تفسير القرآن الكريم
وإعرابه وبيانه

تأليف

الشيخ محمد علي طه الدرة

(رحمه الله)

المجلد السابع

من سورة القصص إلى سورة يس

دار ابن كثير

تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

المجلد السابع

من سورة القصص إلى سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1430 هـ ـ 2009 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

ردمك : 978-9953-520-23-0

الموضوع : تفسير - علوم القرآن

العنوان : تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه 10/1

التأليف : الشيخ محمد علي طه الدرة

الورق : كريم

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 7520

القياس : 17×24

التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 13 كغ

التنفيذ الطباعي : 53dots - بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشـــق ـ حلبـــوني ـ جـادة ابن ســـــينا ـ بناء الجـــابي

ص.ب : 311 ـ صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541

بـيروت ـ بـرج أبي حيـدر ـ خـلف دبـوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

9789953520230

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القصص

سورة القصص، وهي مكية كلها في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء. وقال ابن عباس، وقتادة: إلا آية نزلت بين مكة والمدينة. وقال ابن سلام: بالجحفة في وقت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وهي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾. وقال مقاتل: فيها آية من المدني: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. وهي ثمان وثمانون آية، وأربعمئة وإحدى وأربعون كلمة، وخمسة آلاف وثمانمئة حرف. انتهى. قرطبي، وخازن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾

شرح الآيتين، وإعرابهما انظره مستوفىً في أول سورة (الشعراء) برقميه، فلا حاجة إلى إعادة شيء من ذلك.

﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾

الشرح: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ أي: نقرأ عليك بواسطة جبريل؛ لأنه هو الذي ينزل عليك بكلامنا، ووحينا. ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ أي: من خبرهما، فقد ذكر الله في هذه السورة قصة موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام ـ وفرعون، وقارون، واحتج على مشركي قريش، وبيّن: أن قرابة قارون من موسى لم تنفعه مع كفره، وكذلك قرابة قريش لمحمد ﷺ. وبيّن: أن فرعون علا في الأرض، وتجبر، فكان ذلك من كفره، فليجتنب العلو في الأرض، وكذلك التعزز بكثرة المال، وهما من سيرة فرعون وقارون، وخص المؤمنين بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بالتذكير، وقص قصص الأنبياء.

هذا؛ و(النبأ): الخبر وزناً، ومعنًى، ويقال: النبأ أخص من الخبر؛ لأن النبأ لا يطلق إلا على كل ما له شأن، وخطر من الأنباء. وقال الراغب: النبأ: خبر ذو فائدة يحصل به علم، أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحقه أن يتعرَّى عن الكذب كالمتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ. هذا؛ والفعل منه من الأفعال التي

تنصب ثلاثة مفاعيل، وقد يجيء الفعل منه غير مضمن معنى: أعلم، فيتعدى لواحد بنفسه، وللآخر بحرف الجر، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

الإعراب: ﴿نَتْلُوا۟﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن نَّبَإِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به؛ لأن ﴿مِن﴾ بمعنى بعض، والأخفش يعتبر ﴿مِن﴾ زائدة، و﴿نَّبَإِ﴾ مفعولاً به، وقيل: المفعول محذوف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة له، التقدير: نتلو عليك شيئاً كائناً من نبأ موسى. و﴿نَّبَإِ﴾ مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. (فرعون): معطوف على ﴿مُوسَىٰ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل: ﴿نَتْلُوا۟﴾ المستتر؛ أي: محقين، أو من: ﴿نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾ أي: ملتبساً بالحق. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل ﴿نَتْلُوا۟﴾، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل جر صفة: (قوم)، وجملة: ﴿نَتْلُوا۟...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: استكبر وطغى وتجبر، وادعى الربوبية. و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر. ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي: فرقاً؛ يشيعونه فيما يريد، أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته، أو أصنافاً في استخدامه، استعمل كل صنف في عمل، أو أحزاباً بأن أغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه. ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾: يستذلها، ويستعبدها، والمراد: بنو إسرائيل. ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾: سمي هذا استضعافاً؛ لأنهم عجزوا، وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، فكان يذبح الصبيان الذكور، ويترك البنات أحياء، وسبب ذلك: أن فرعون رأى في منامه رؤيا أفزعته، فعبرها له الكهنة بأن مولوداً يولد في بني إسرائيل، يكون ذهاب ملك فرعون على يديه.

قال الزمخشري: وفيه دليل على ثخانة حمق فرعون فإنَّه إن صدق الكاهن؛ لم يدفع القتل الكائن. وإن كذب، فما وجه القتل. أقول: لذا كان قول سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق ﷺ لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في ابن صياد: «**إنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَا يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**». هو عين الحكمة، والحق والصواب. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: بقتل الأولاد، وتسخير الكبار، وادعائه الربوبية. وقيل: إنه ذبح سبعين غلاماً من بني إسرائيل.

هذا؛ و(الطائفة): الجماعة من الناس، لا واحد لها من لفظها، مثل: فريق، ورهط، وجماعة، وجمعها: طوائف، وقد يطلق لفظ طائفة على الواحد، وعلى الاثنين، مثل قوله تعالى في سورة (التوبة): ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾؛ لأن مجموع الطائفتين كانوا ثلاثة، كما رأيت في تفسير الآية هناك.

أما (شيع) فهو جمع شيعة، وكل قوم اجتمعوا على أمر، فهم شيعة، وأشياع، وأصله من التشيع، ومعنى الشيعة: الجماعة الذين يتبع بعضهم بعضاً، وقيل: الشيعة: هم الذين يتقوى بهم الإنسان. وفي القاموس المحيط: وشيعة الرجل بالكسر: أتباعه، وأنصاره، والفرقة على حدة، وتقع على الواحد، والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث. وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علي بن أبي طالب، وأهل بيته ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ حتى صار اسماً لهم خاصة، قال الكميت: [الطويل]

وَمَالِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ وَمَالِيَ إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

هذا؛ والمشايعة: المناصرة، والمعاونة، أخذت من الشياع وهو دقاق الحطب؛ لمعاونته النار على الإيقاد في الحطب الجزل، قال عنترة: [الكامل]

ذُلُلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي قَلْبِي وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَلَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنَ﴾، تقديره: «هو». ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. وقيل: تفسير لـ: ﴿نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾. ﴿وَجَعَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (جعل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿أَهْلَهَا﴾: مفعول به أول، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿شِيَعًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿طَآئِفَةً﴾: مفعول به. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿طَآئِفَةً﴾ والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل: (جعل)، والرابط: الضمير فقط، أو في محل نصب صفة: ﴿شِيَعًا﴾، أو مستأنفة، والأول أقوى، وجملة: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ بدل منها بدل اشتمال على جميع الوجوه المعتبرة فيها. (يستحيي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنَ﴾ أيضاً. ﴿نِسَآءَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي بدل مثلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل لأفعاله المذكورة، لا محل لها.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ...﴾ إلخ: أي: نريد أن نتفضل على بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون، واستذلهم. والتعبير بالمضارع حكاية حال مضت، كما هو الواقع، فإن التقدير: وأردنا أن نمن، وقل مثله إلى آخر الآية التالية. هذا؛ والإرادة: نزوع النفس، وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه. ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع، والأول مع الفعل، والثاني قبله، وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به، ولذا اختلف في معنى إرادته سبحانه وتعالى، فقيل: إرادته لأفعاله: أنه غير ساهٍ، ولا مكره. ولأفعال غيره أمره بها، فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته. وقيل: علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل، والوجه الأصلح. وهذا الأخير هو المقبول؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر. هذا؛ ولم يرد لفعل الإرادة، ولا لفعل المشيئة أمر فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف، وقد كثر حذف مفعول هذين الفعلين؛ حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشيء المستغرب، مثل هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ وقال الشاعر الخزيمي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِن سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقيد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد «لو»، وليس كذلك.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: رؤساء يقتدى بهم في الخيرات، وأعمال الطاعات. وقيل: نجعلهم ملوكاً. وهو غير مسلم. هذا؛ و﴿أَئِمَّةً﴾ جمع: إمام، سمي بذلك؛ لأنه يؤتم به في الأفعال، فهنيئاً لمن كان إماماً في الخير، وويل لمن كان إماماً في الشر. هذا؛ والفعل (نجعل) بمعنى: نصير، فلذا تعدى إلى مفعولين، فإن كان بمعنى: خلق تعدى إلى مفعول واحد، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أي: وخلق الظلمات، والنور، وخلق إذا كان بمعنى: صير؛ تعدى إلى مفعولين، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ وإن كان بمعنى: اخترع، وأحدث؛ تعدَّى إلى مفعول واحد، وهو كثير. هذا؛ والفرق بين: خلق وجعل الذي له مفعول واحد: أن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إحداث الظلمات، والنور بالجعل، فقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ تنبيهاً على أنهما لا يقومان بأنفسهما، كما زعمت المجوس، بخلاف الخلق، فإن فيه معنى الإيجاد، والإنشاء، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إيجاد السموات والأرض بالخلق.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: لملك فرعون، يرثون ملكه، ويسكنون مساكن القبط، كما قال تعالى في سورة (الأعراف): ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر؛ استطالوا على الناس، وعملوا بالمعاصي، فسلط الله عليهم القبط، وساموهم سوء العذاب إلى أن أنجاهم الله على يد موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام ـ.

الإعراب: ﴿وَنُرِيدُ﴾: الواو: حرف عطف. (نريد): فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن»، والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّمُنَّ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: فعل ماض، مبني للمجهول، مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو ضعيف، وجملة: ﴿وَنُرِيدُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ...﴾ إلخ، أو هي مستأنفة، وقيل: هي في محل نصب حال من فاعل يستضعف، ولا وجه له قطعاً؛ لأن الجملة المضارعية الواقعة حالاً لا تقترن بالواو إلا بتقدير: ونحن نريد. . . إلخ. (نجعلهم): معطوف على: ﴿نَّمُنَّ﴾ منصوب مثله، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء. . . إلخ.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر، والشام، وأصل التمكين أن تجعل للشيء مكاناً يتمكن فيه، ثم استعير للتسليط، وإطلاق الأمر. ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾، وقرئ (يَرى فرعونُ. . .) إلخ برفع هذه الأسماء. ﴿مِنْهُم﴾ أي: من بني إسرائيل. ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ أي: يخافون من هلاكهم، وذهاب ملكهم على يد مولود منهم، والحذر والتحرز من الشر، ولا يغني حذر من قدر. هذا؛ وهامان كان وزيراً لفرعون، وهو معين له على ضلاله، وكفره، وادعائه الربوبية.

تنبيه: قال ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ في مغنيه: إنهم يعبرون عن الماضي، والآتي، كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصداً لإحضاره في الذهن، حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿وَنُمَكِّنَ﴾: معطوف على: ﴿أَن نَّمُنَّ﴾، والفاعل المستتر تقديره: «نحن». ﴿لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جاران، ومجروران متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلقان بمحذوف

حال، وليس بشيء. ﴿وَنُرِىَ﴾: معطوف على ما قبله، والفاعل: «نحن». ﴿فِرْعَوْنَ﴾: مفعول به، وما بعده معطوف عليه. وعلى قراءة: (يرى) فهو فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. (فرعونُ): فاعله بالرفع، والجملة الفعلية على هذه القراءة فيها معنى التعليل؛ إذ التقدير: وليرى فرعون. . .إلخ، ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾: اسم معطوف، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿مِنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل (نري) على القراءتين. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان على القراءة الأولى، أو مفعول واحد على القراءة الثانية، وكلاهما بصريان، لكن الأول رباعي فتعدى بالهمزة إلى مفعولين، والثاني ثلاثي يكتفي بمفعول واحد. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، و(كان) واسمها وخبرها صلة ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو: شيئاً كانوا يحذرونه.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾: اختلف في هذا الوحي، فقيل: وحي إلهام، وقيل: كان في المنام، وقيل: كان جبريل يكلمها. وأجمع الجميع على أنها لم تكن نبية. هذا؛ وانظر الوحي في الآية رقم [٥٢] من سورة (الشعراء).

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: قيل: أرضعته ثمانية أشهر، وقيل: أربعة، وقيل: ثلاثة، وكانت ترضعه، وهو لا يبكي، ولا يتحرك في حجرها. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي: الذبح. ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي: في البحر، والمراد به: نيل مصر، فأطلق عليه اسم اليم لعظمه. ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ أي: عليه من الغرق، وقيل: الضياع. ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ أي: على فراقه. ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾: عن قريب بحيث تأمنين عليه، ونرده إليك بوجه لطيف لتربيه. ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من الأنبياء المرسلين مثل أجداده: يعقوب، وإسحاق، وإبراهيم. هذا؛ والفرق بين الخوف، والحزن: أن الخوف غم يلحق الإنسان لشر متوقع. والحزن: غم يلحق الإنسان لشر واقع، والمراد هنا فراق ولدها، والأخطار المحيطة به، فنهيت عنهما، وبشرت برده، وجعله من المرسلين. حكي أن الأصمعي رحمه الله تعالى قال: سمعت جارية أعرابية تنشد، وتقول: [الرجز]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِي كُلِّهِ ... قَبَّلْتُ إِنْسَاناً بِغَيْرِ حِلِّهِ

مِثْلَ الْغَزَالِ نَاعِماً فِي دَلِّهِ ... فَانْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أُصَلِّهِ

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أو تعد هذا فصاحة مع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾ إلخ، فجمع في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين. هذا؛ والفعل ﴿تَحْزَنِىٓ﴾ في هذه الآية من باب: فرح، وطرب، فهو لازم، ويأتي من باب: دخل، وقتل، فيكون متعدياً، كما يكون متعدياً إذا أتى من الرباعي.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن أم موسى لما تقاربت ولادتها، كانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى، فلما ضربها الطلق أرسلت إليها، وقالت لها: قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي، فعالجت قبالها، فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نور عَيْنَيْ موسى، فارتعش كل مفصل فيها، ودخل حب موسى قلبها، ثم قالت لها: يا هذه ما جئت حين دعوتني إلا مرادي قتل ولدك، ولكن وجدت لابنك حباً، ما وجدت حب شيء مثل حبه، فاحفظي ابنك، فإني أراه عدونا. فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون، فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا، فقالت أخته: يا أماه هذا الحرس بالباب.

فلفته بخرقة وألقته في التنور، وهو مسجور، فطاش عقلها، فلم تعقل ما تصنع، فلمَّا دخلوا؛ فتشوا فلم يجدوا شيئاً ورأوا: أنَّ التنور مسجور، ورأوا أن أم موسى لم يتغير لها لون، ولم يظهر لها لبن في ثديها، فقالوا: ما أدخل القابلة؟ قالت: هي مصافية لي، فدخلت عليَّ زائرة، فخرجوا من عندها، فرجع إليها عقلها، فقالت لأخته: أين الصبي؟ فقالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبي في التنور، فانطلقت إليه، وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً، فاحتملته.

ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الصبيان؛ خافت على ابنها، فقذف الله في قلبها أن تتخذ تابوتاً له، ثم تقذف التابوت في النيل، فانطلقت إلى نجار من قوم فرعون، فاشترت منه تابوتاً صغيراً، فقال النجار: ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: ابن لي أخبئه في هذا التابوت، وكرهت الكذب، ولم تقل: أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته، وانطلقت به، انطلق النجار إلى الذباحين؛ ليخبرهم بأمر أم موسى، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه، فلم يطق الكلام، وجعل يشير بيديه، فلم تدر الأمناء ما يقول، فلما أعياهم أمره، قال كبيرهم: اضربوه! فضربوه، وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه؛ رد الله عليه لسانه، فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأمناء. فأتاهم؛ ليخبرهم، فأخذ الله لسانه، وبصره، فلم يطق الكلام، ولم يبصر شيئاً، فضربوه، وأخرجوه، وبقي حيران، فجعل لله عليه: إن رد عليه لسانه، وبصره ألَّا يدل عليه، وأن يكون معه فيحفظه حيثما كان. فعرف الله صدقه، فرد الله عليه لسانه، وبصره، فخر لله ساجداً، فقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح، فدله عليه فآمن به، وصدقه. انتهى. بحروفه من الخازن، وفي الكشاف قريب منه. أقول: وهذا النجار هو مؤمن آل فرعون الذي سيأتي ذكره في سورة (غافر) ـ إن شاء الله تعالى ـ بقوله جل شأنه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ...﴾ إلخ.

هذا؛ وقد اختلف في اسم أم موسى، فقيل: اسمها: يوحنانذ، وقيل: اسمها: لوخا بنت هاند، بن لاوي بن يعقوب، وقيل: اسمها أيارخا. وقيل: أيارختْ. وقيل: بوخابذ. وقيل: يوخابيل. وقيل: غير ذلك، والمشهور: أنه حَنَّة، والله أعلم، أما زوجها فهو: عمران، ـ ويقال بالعبري: عمرام ـ ابن قاهت بن لاوي، بن يعقوب فهو ابن عمها. وينبغي أن تعلم أن عمران أبا موسى غير عمران أبي مريم أم عيسى؛ لأن بين العمرانين ألفاً وثمانمئة سنة. وانظر الآية رقم [١٩] الآتية.

الإعراب: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾: الواو: حرف عطف. (أوحينا): فعل ماض، وفاعله. ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿أُمِّ﴾ مضاف، و﴿مُوسَىٰٓ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿أَنۡ﴾: حرف تفسير. وقيل: حرف مصدري، ونصب، وهو ضعيف؛ لأنها مسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه. ﴿أَرۡضِعِيهِۖ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، وياء المؤنثة المخاطبة فاعله، والهاء في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها مفسرة لـ: (أوحينا) على المعتمد عندي، وجملة: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ...﴾ إلخ؛ لأنها معها من جملة تفسير النبأ. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف وتفريغ. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿خِفۡتِ﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿فَأَلۡقِيهِ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (ألقيه): فعل أمر، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب (إذا). ﴿فِي ٱلۡيَمِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَخَافِي﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وياء المؤنثة المخاطبة فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا) ضمير متصل في محل نصب اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿رَآدُّوهُ﴾: خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَيۡكِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿رَآدُّوهُ﴾. ﴿وَجَاعِلُوهُ﴾: معطوف على: ﴿رَآدُّوهُ﴾، وهو مثله في إعرابه. ﴿مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ (جاعلوه) معطوف على: ﴿رَآدُّوهُ﴾ وهو مثله في إعرابه. ﴿مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (جاعلوه) وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره: كان لفرعون يومئذ بنت، ولم يكن له غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه، وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد جمع لها الأطباء، والسحرة، فنظروا في أمرها، فقالوا: أيها الملك، لا تبرأ البنت من برصها إلا من قبل البحر، يوجد فيه شبه الإنسان، فيؤخذ من ريقه، فيلطخ به برصها، فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا ساعة كذا حين تشرق الشمس، فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس له على شفير النيل، ومعه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن، وتنضح الماء على وجوههن؛ إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فقال فرعون: إن هذا لشيء في البحر قد تعلق بالشجر؛ ائتوني به.

فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقتدروا عليه، وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدنت آسية، فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها، فعالجته، ففتحت الباب، فإذا هي بصبي صغير في التابوت، وإذا نور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه، يمص منه لبناً، فألقى الله محبته في قلب آسية، وأحبه فرعون، وأقبل عليه، وأقبلت عليه بنت فرعون، فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت إلى ما يسيل من أشداقة من ريقه، فلطخت به برصها، فبرأت، ثم قبلته، وضمته إلى صدرها.

فقالت الغواة من قوم فرعون: أيها الملك إنا نظن أن هذا المولود هو الذي نحذر منه من بني إسرائيل رمي به في النيل فزعاً منك، فهم فرعون بقتله، فقالت آسية: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ أي: فنصيب منه خيراً، نتخذه ولداً، وكانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون، فوهبه لها، وقال فرعون: أما أنا فلا حاجة لي فيه، قال رسول الله ﷺ: «**لوْ قَالَ يومَئِذٍ قرَّةُ عينٍ لي، كما هُوَ لَكِ؛ لهداهُ اللهُ كما هَدَاها الله**». فقيل لآسية: سمِّيه، قالت: سميته موسى؛ لأنا وجدناه في الماء والشجر؛ لأن (مو) هو الماء، و(سا) هو الشجر. انتهى. خازن بحروفه.

هذا؛ وقد قرئ: (حزنا) بفتحتين، وبضم فسكون، وهما لغتان مثل: العَدم، والعُدْم، والسَّقَم، والسُّقْم، والرَّشَد، والرُّشْد، والحزن: ضد الفرح، والسرور، يحصل للإنسان بسبب مصائب الدهر، ومتاعب الدنيا، وآل فرعون لقوا من موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام ـ ما لقوا من الهم، والغم، والحزن، وما آل إليه أمرهم من الهلاك، والدمار، وقد تفرد الجلال ـ رحمه الله ـ بتفسير حزناً، فقال: يستعبد نساءهم. قال الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: ظاهر هذه العبارة: أنَّ موسى بعد غرق القبط كان يستعبد نساءهم؛ أي: يعاملهن معاملة العبيد

في التسخير في الأعمال، ولم نر من ذكر هذا في هذه القصة في سائر مواضعها في القرآن. ويمكن أن يقال: المراد باستعباده نساءهم: تذليلهن، أي: تصييرهن أذلاء ضعفاء لعدم الرجال الذين يقومون عليهن بالخدمة والنفقة. فليتأمل انتهى. بحروفه.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ أي: في كل شيء، فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله، ثم أخذوه يربونه؛ ليكبر، ويفعل بهم ما كانوا يحذرون، أو كانوا مذنبين، فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم. هذا؛ واللام بقوله: ﴿لِيَكُونَ﴾ تسمى لام العاقبة، ولام الصيرورة؛ لأنهم أخذوه؛ ليكون لهم قرة عين، فكان عاقبة ذلك أن كان لهم عدواً، وحزناً، فذكر الحال بالمآل، كما قال الشاعر: [البسيط]

ولِلْمَنَايَا تُرَبِّي كُلُّ مُرْضِعَةٍ وَدُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا

وقال آخر: [الطويل]

فَلِلْمَوْتِ تَغْذُو الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا كَمَا لِخَرَابِ الدُّورِ تُبْنى الْمَسَاكِنُ

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى: [المتقارب]

فَإِنْ يَكُنِ الموتُ أفْنَاهُمُ فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَه

وهذا قول الكوفيين، وقد أنكر البصريون، ومن تابعهم لام العاقبة. قال الزمخشري: والتحقيق: أنها لام العلة، وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة، وبيانه أنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً، بل المحبة والتبني، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له، وثمرته؛ شبه بالداعي الذي يفعل الفعل لأجله، فاللام مستعارة لما يشبه التعليل، كما استعير الأسد لمن يشبه بالأسد. انتهى. مغني اللبيب.

هذا؛ وينبغي أن تدرك معي: أن كل مخلوق ذي روح حبس عنه الهواء بضع دقائق يموت بلا شك، فكيف بقي هذا المخلوق الصغير الضعيف حياً داخل صندوق محكم الإغلاق؟! إن هي إلا معجزة رب الأرض، والسماء الذي حفظ له روحه دون إزهاق ساعات، وساعات مضت بين إلقائه في النيل، والتقاطه منه، وما أشبه هذه المعجزة بمعجزة يونس ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ الذي التقمه الحوت، وجاب به أعماق البحار، وبقي حياً أيضاً حتى نبذه إلى شاطئ البحر بأمر الله الواحد القهار.

الإعراب: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥ﴾: الفاء: حرف عطف. (التقطه): فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ءَالُ﴾: فاعل، و﴿ءَالُ﴾ مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، والجملة الفعلية معطوفة على جمل مقدرة قبلها، كما يلي: فأرضعته، فوضعته في تابوت، وألقته في نهر النيل، فالتقطه... إلخ.

﴿لِيَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد اللام، واسمه يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما على التنازع. ﴿عَدُوًّا﴾: خبر (يكون). ﴿وَحَزَنًا﴾: معطوف عليه، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَهَامَانَ﴾: معطوف عليه. ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾: معطوف أيضاً على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿خَاطِئِينَ﴾: خبر كان منصوب... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليلية. وقال الجمل: معترضة بين الجملتين المتعاطفتين جملة: ﴿وَقَالَتِ...﴾ إلخ وجملة: ﴿فَالْتَقَطَهُ...﴾ إلخ.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ أي: لفرعون حين أخرجته من التابوت. ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾: الخطاب لفرعون، وانظر شرح: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ في الآية رقم [٧٤] من سورة (الفرقان). ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾: خاطبته بلفظ الجمع للتعظيم. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾: لأن فيه مخايل اليمن، والبركة، ودلائل النفع، وذلك لما رأت منه ما ذكرته في الآية السابقة. ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أي: نتبناه، فإنه أهل له. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أن التقاطه، وتربيته وبال عليهم.

تنبيه: امرأة فرعون هي آسية بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء، ومن بنات الأنبياء، وكانت أمّاً للمساكين، ترحمهم، وتتصدق عليهم، قالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه على شاطئ النيل حين التقطوا موسى: هذا أكبر من ابن سنة، وأنت تذبح ولدان هذه السنة، فدعه يكون عندي، وقيل: إنها قالت له: إنه أتانا من أرض أخرى، وليس هو من بني إسرائيل، فاستحياه فرعون، وألقى الله محبته في قلبه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو أن عدوَّ الله قال في موسى، كما قالت آسية: لنفعَه الله به، ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه. انتهى. خازن. وفي أبي السعود: وآسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد، الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام. انتهى.

أقول: أعتمد: أنها من بني إسرائيل، وقيل: إنها بنت عم موسى، وقد تزوجها فرعون قهراً، ولم تنجب منه أولاداً، وقد آمنت بموسى وصدَّقته، كما ستعرفه في آخر سورة (التحريم) إن شاء الله تعالى. وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجةُ بِنْتُ**

خُوَيْلِد، وَفَضْلُ عائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سائِرِ الطَّعام». متفق عليه. وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ». أخرجه الترمذي، وورد أن النبي ﷺ يتزوج مريم، وآسية في الجنة، وأخت موسى بن عمران.

فقد روى الزبير بن بكار: أن رسول الله ﷺ قال لخديجة ـ رضي الله عنها ـ: «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ زَوَّجَني معَكِ في الجنةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَان، وَكُلْثومَ أُخْتَ مُوسَى، وآسِيةَ امرأةَ فرعونَ؟ فقالت: اللهُ أخبركَ بذلِكَ؟ فقال: نَعَمْ، فَقَالَتْ: بالرَّفَاءِ والْبَنِينَ». انتهى. وهذا كان منه ﷺ قرب وفاتها ـ رضي الله عنها ـ وأرضاها.

الإعراب: ﴿وَقَالَتِ﴾: الواو: حرف عطف. (قالت): فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ٱمۡرَأَتُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (التقطه...) إلخ لا محل لها مثلها، و﴿ٱمۡرَأَتُ﴾ مضاف، و﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ. ﴿قُرَّتُ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: هو قرة. وقال النحاس: وفيه وجه آخر بعيد، ذكره أبو إسحاق، قال: يكون رفعاً بالابتداء، والخبر جملة: ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ﴾. وإنما بَعُد؛ لأنه يصير المعنى: أنه معروف بأنه قرة عين. وجوازه أن يكون المعنى: إذا كان قرة عين لي ولك؛ فلا تقتلوه. ويجوز النصب بمعنى: لا تقتلوه قرة عين لي، ولك، ولم أر قراءة بالنصب. تأمَّل. و﴿قُرَّتُ﴾ مضاف، و﴿عَيۡنٍ﴾ مضاف إليه، ﴿لِّي﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿قُرَّتُ﴾، أو بمحذوف صفة له. (لك): جار، ومجرور، معطوفان على ما قبلهما، وجملة: «هو قرَّة...» إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَقۡتُلُوهُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿عَسَىٰٓ﴾: فعل ماض جامد تام هنا مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب ﴿يَنفَعَنَآ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰٓ﴾، و(نا): مفعول به، وأن والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل ﴿عَسَىٰٓ﴾. هذا؛ وإن كانت ﴿عَسَىٰٓ﴾ ناقصة فاسمها ضمير مستتر والمصدر المؤول في محل نصب خبرها. والأول أقوى؛ لأنه لا مرجع للضمير. تأمَّل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿نَتَّخِذَهُۥ﴾: فعل مضارع معطوف على ما قبله، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿وَلَدٗا﴾: مفعول به ثان. ﴿وَهُمۡ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشۡعُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية ﴿وَهُمۡ...﴾ إلخ في محل نصب حال من (آل فرعون) والرابط: الواو، والضمير، الذي رأيت تقديره في الشرح.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَصْبَحَ﴾: صار، فليست أصبح على بابها من التوقيت في الصباح. وقيل: المراد ألقته ليلاً، فأصبح فؤادها في النهار فارغاً. والفؤاد: القلب، والجمع: أفئدة، ومعنى ﴿فَٰرِغًاۖ﴾: صفراً من العقل؛ لما دهمها من الخوف، والحيرة لمَّا سمعت بوقوعه في يد فرعون، كقوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي: خلاء لا عقول فيها، ومنه قول حسَّان ـ رضي الله عنه ـ: [الوافر]

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

وقيل: المعنى: خالياً من ذكر كل شيء في الدنيا إلا من ذكر موسى. وقيل: معناه: ناسياً للوحي الذي أوحاه الله إليها حين أمرها أن تلقيه في اليم بقوله: ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ﴾، والعهد الذي عهده إليها أن يرده إليها، ويجعله من المرسلين.

﴿إِن كَادَتْ﴾ أي: إنها قاربت. ﴿لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي: لتظهر أمره. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: تصيح عند إلقائه في يد فرعون: وا ابْنَاهْ. ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي: بالصبر، والثبات. ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من المصدقين بوعد الله إياها. قال يوسف بن الحسين ـ رحمه الله تعالى ـ: أمرت أم موسى بشيئين، ونهيت عن شيئين، وبشرت ببشارتين، فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها، فربط على قلبها. انتهى. نسفي؛ أي: بالصبر، والثبات، وقوة الإيمان، والله يتولى الصالحين. وفيه استعارة تصريحية تبعية؛ لأن الربط هو الشد بالحبل.

الإعراب: ﴿وَأَصْبَحَ﴾: الواو: حرف عطف. (أصبح): فعل ماض ناقص. ﴿فُؤَادُ﴾: اسم (أصبح)، وهو مضاف، و﴿أُمِّ﴾ مضاف إليه، و﴿أُمِّ﴾ مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ. ﴿فَٰرِغًاۖ﴾: خبر: (أصبح)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وهي من جملة تفسير ﴿نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾. ﴿إِن﴾: مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها. ﴿كَادَتْ﴾: فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هي»، يعود إلى ﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾. ﴿لَتُبْدِى﴾: اللام: هي الفارقة بين النفي والإثبات. (تبدي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿كَادَتْ﴾، والجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿رَّبَطْنَا﴾: فعل ماض مبني على السكون، وهو في محل نصب بـ ﴿أَن﴾، و(نا): فاعله، و﴿أَن﴾ والفعل في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف

وجوباً، والجملة الاسمية ابتدائية، وحالة محل شرط ﴿لَوْلَآ﴾. وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: لولا رَبْطُنَا على قلبها موجود؛ لأبدت به. ﴿عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِتَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: ﴿أَن﴾ مضمرة بعد لام التعليل، واسمه مستتر تقديره: «هي» يعود إلى: ﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (تكون)، و:«أن» المضمرة، والفعل (تكون) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿رَّبَطْنَا﴾. تأمل، وتدبر.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَتْ﴾ أي: أم موسى. ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾: أخت موسى، واسمها: مريم بنت عمران وافق اسمها اسم مريم أم عيسى على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، وذكر ذلك السهيلي، والثعلبي. وذكر الماوردي عن الضحاك: أن اسمها: كلثمة. وقال السهيلي: اسمها: كلثوم، جاء ذلك في حديث الزبير بن بكار، انظره في الآية رقم [٩]. ﴿قُصِّيهِ﴾: اتبعي أثره حتى تتعرفي خبره. هذا؛ وقص الخبر: أخبر به، والقصص: تتبع الأثر، وسميت الحكاية: قصة؛ لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾: عن بعد، قيل: كانت تمشي جانباً، وتنظره اختلاساً، تري: أنها لا تنظره. و«بصر» من الباب الخامس. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أنها أخته، وأنها تراقبه، فكانت تسير على شاطئ النيل بعيداً عنه حتى دخلوا القصر، وأخذوا يبحثون عن مرضع ترضعه.

الإعراب: ﴿وَقَالَتْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالت): فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾. ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿قُصِّيهِ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والياء فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَتْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿فَبَصُرَتْ﴾: الفاء: حرف عطف، وتعقيب. (بصرت): فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى (أخته) تقديره: «هي». ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَن جُنُبٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل (بصرت) المستتر؛ أي: بصرت به مستخفية كائنة عن جنب، أو من الضمير المجرور بالباء؛ أي: بعيداً منها، وجملة: ﴿فَبَصُرَتْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (قالت. . .) إلخ لا محل لها مثلها، أو هي معطوفة على جملة محذوفة، انظر الشرح. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ انظر الآية رقم [٩] ففيها الكفاية محلاً، وإعراباً.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه، فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضَرة، قبل مجيء أمه، وأخته. والتحريم استعارة للمنع؛ لأن من حرم عليه الشيء؛ فقد منعه، وذلك؛ لأن الله منعه أن يرضع ثدياً غير ثدي أمه، وقد أهمهم ذلك. هذا؛ وإن الحكم الشرعي وإن نسب إلى ذات، فالطلب لا يتعلق إلا بالأفعال، نحو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أي: حرم الاستمتاع بهن، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي: أكلها، وقوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ﴾ أي: تناولها، لا أكلها، لتناول شرب ألبان الإبل، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي: منافعها من الركوب، والتحميل. و(مراضع) جمع: مُرْضِع بضم الميم، وكسر الضاد، وترك التاء إما لاختصاصه بالنساء، أو لأنه بمعنى: شخص مرضع، وفي سورة (الحج): ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ لذا قيل: مرضعة بالتاء لمن باشرت الإرضاع، وبلا تاء لمن شأنها الإرضاع، وإن لم تباشره، قال امرؤ القيس يخاطب ابنة عمه عنيزة: [الطويل]

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ... فأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

هذا؛ ويقال: لم يؤنث مرضع في بيت امرئ القيس، ونحوه؛ لأن المراد النسبة، أي: ذات إرضاع، أو ذات رضيع، ومثلها: حائض، وطالق، وحامل. والاسم إذا كان من هذا القبيل عرته العرب من علامة التأنيث، كما قالوا: امرأةٌ لابنٌ تامِرٌ، أي: ذات لبن، وذات تمر، ورجل لابنٌ تامرٌ، أي: ذو لبن، وذو تمر، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ نص الخليل على أن المعنى: السماء ذات انفطار به؛ لذلك تجرد لفظ منفطر من علامة التأنيث، بخلاف ما إذا بني الوصف على الفعل؛ أنث، فتقول: أرضعت فهي مرضعة كما في آية الحج. والجمع: مراضع، ومراضيع، ومرضعات.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ أي: يتولون تربيته، ورضاعه، وإنما قالت لهم ذلك حين رأت رغبتهم في إيجاد امرأة يقبل ثديها، وحرصهم على حياة الطفل الذي يبكي بين أيديهم من شدة جوعه. ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ أي: لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته، وغذائه، والنصح: إخلاص العمل من شوائب الفساد. قيل: لما قالت لهم ذلك، قالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله، قالت: لا أعرفه، ولكن قلت: وهم ناصحون للملك، وقيل: إنها قالت: إنما قلت ذلك رغبة في سرور الملك، واتصالنا به. وقيل: قالوا: من هي؟ قالت: أمي، قالوا: أولأمك ولد؟ قالت نعم هارون، وكان هارون ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام ـ قد ولد في السنة التي لا يقتل فيها

الغلمان، قالوا: صدقت فائتينا بأمك، فانطلقت إليها، وأخبرتها بحال ابنها، وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها، وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه رياً. انتهى. خازن.

روي: أنهم قالوا لأم موسى حين قبل ثديها، والتقمه: كيف ارتضع منك، ولم يرتضع من غيرك؟! فقالت: إني امرأة طيبة الريح، طيبة اللبن، لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع مني. فاستأجرها فرعون لإرضاعه، وحضانته، وكان يعطيها كل يوم ديناراً. روي: أن فرعون ـ لعنه الله تعالى ـ قال لها: أقيمي عندنا لإرضاعه، فقالت: لا أقدر على فراق بيتي، إن رضيتم أن أرضعه في بيتي، وإلا فلا حاجة لي فيه، وأظهرت الزهد فيه نفياً للتهمة عنها، فرضوا بذلك، فرجعت به إلى بيتها من يومها، ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها، وأتحفها بالذهب، والجواهر. قال الزمخشري: فإن قلت: كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها؟ قلت: ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع، ولكنه مال حربي، تأخذه على وجه الاستباحة. انتهى. أقول: ومن هذا يستباح مال الحربي بأي وجه كان، ولو كان عن طريق المقامرة؛ إذا كان المسلم يعلم من نفسه أنه يقمرهم ويغلبهم. والله أعلم.

الإعراب: ﴿وَحَرَّمْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (حرمنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الْمَرَاضِعَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿الْمَرَاضِعَ﴾. وبني (قبل) على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى. ﴿فَقَالَتْ﴾: الفاء: حرف عطف. (قالت): فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى أخت موسى. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿أَدُلُّكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿عَلَىٰ أَهْلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف، و﴿بَيْتٍ﴾ مضاف إليه. ﴿يَكْفُلُونَهُ﴾: فعل مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿أَهْلِ بَيْتٍ﴾، أو في محل نصب حال منه لتخصصه بالإضافة. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿نَاصِحُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع.. إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿وَقَالَتْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: تسر، وتفرح من «القرار»، فإن العين إذا رأت ما يسر النفس؛ سكنت إليه من النظر إلى غيره. أو من «القر»، فإن دمعة السرور باردة، ودمعة

الحزن حارة، وضعف ناس هذا، وقالوا: الدمع كله حار، فمعنى «أقر الله عينه» أي: سكن الله عينه؛ بالنظر إلى من يحبه حتى تقر وتسكن، وإذا أريد بهذه الجملة الدعاء فيكون المعنى: أقر الله عينه، أي: أسكنها بالموت، فيكون الفعل من الأضداد، وفلان قرة عيني؛ أي: تسكن نفسي بقربه، وقالت ميسون بنت بحدل الكلبية: [الوافر]

وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٤] من سورة (الفرقان). ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ أي: لفراقه. ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: ما وعدها به من رده إليها، وجعله من المرسلين. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أكثر آل فرعون كانوا في غفلة عن ما قدره الله، وقضاه. هذا؛ وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ مبلغ التكليف، أو لأنه يقام مقام الكل. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦] من سورة (الروم) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿فَرَدَدْنَهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (رددناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿كَيْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَقَرَّ﴾: فعل مضارع منصوب بـ ﴿كَيْ﴾. ﴿عَيْنُهَا﴾: فاعل، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، و: ﴿كَيْ﴾ والفعل: ﴿تَقَرَّ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بلام تعليل مقدرة قبل ﴿كَيْ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت النصب بـ: «أن» مضمرة بعد: ﴿كَيْ﴾، فـ: «أن» تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بـ: ﴿كَيْ﴾. وعلى الاعتبارين فالجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَحْزَنَ﴾: معطوف على ﴿تَقَرَّ﴾. وقيل التقدير: ولئلا تحزن، والفاعل يعود إلى ﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾. ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾: الواو: حرف عطف. (لتعلم): فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى أم موسى أيضاً، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور معطوفان على ما قبلهما. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿وَعْدَ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾، و﴿وَعْدَ﴾مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقٌّ﴾: خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول: (تعلم). ﴿وَلَكِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسم (لكن)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (لكن)، والجملة الاسمية مستأنفة، أو معترضة في آخر الكلام لا محل لها، وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: الأشد: ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين عاماً، وقيل: الأشد: ثلاثة وعشرون سنة. ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾: بلغ أربعين عاماً هكذا قيل، ومعلوم أن بلوغه سن الأربعين كان عند رجوعه من مدين؛ لأنه أقام في مصر ثلاثين سنة، ثم ذهب إلى مدين، وأقام فيها عشر سنين، ووقعة قتل القبطي كانت قبل ذهابه إلى مدين، فهي السبب فيه؛ لذا تفسير الاستواء بانتهاء الشباب، وتكامل العقل، والقوى أولى بالاعتبار. ولا تنس: أن الله تعالى لم يذكر الاستواء في حق يوسف على نبينا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. وانظر شرح ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ في سورة (طه) رقم [٥]. و﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ أي: الحكمة قبل النبوة. والعلم: الفهم. وقال محمد بن إسحاق: أي: العلم بما في دينه ودين آبائه، وكان له تسعة من بني إسرائيل يسمعون منه، ويقتدون به، ويجتمعون إليه، وكان هذا قبل النبوة. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: كما جزينا أم موسى لما استسلمت لأمر الله، وألقت ولدها في البحر، وصدّقت بوعد الله، فرددنا ولدها إليها مصحوباً بالهدايا والتحف وهي آمنة، ثم وهبنا له العقل، والحكمة، والنبوة، وكذلك نجزي كل محسن على إحسانه. انتهى. قرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿بَلَغَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى موسى، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿أَشُدَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾: الواو: حرف عطف. (استوى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى موسى، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿حُكْمًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَعِلْمًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: نجزي المحسنين جزاءً كائناً مثل جزاء موسى وأمه على صبرهما، وإحسانهما. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿نَجْزِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والكلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ يعني: موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. والمدينة قيل: هي مُنْفُ من أعمال مصر. وقيل: هي قرية، يقال لها: حايين على رأس فرسخين من مصر. وقيل: هي مدينة عين شمس. ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: قيل: هي نصف النهار، واشتغال الناس بالقيلولة. وقيل: دخلها ما بين المغرب، والعشاء. وفي سبب دخول المدينة في ذلك الوقت أقوال:

الأول: أن موسى كان يسمى ابن فرعون، وكان يركب في مراكبه، ويلبس لباسه، فركب فرعون يوماً، وكان موسى غائباً، فلما جاء؛ قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره، فأدركه المقيل بأرض منف، فدخلها، وليس في طرقها أحد.

الثاني: أنه كان لموسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ شيعة من بني إسرائيل يسمعون منه، ويقتدون به، فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه، ومخالفتهم في دينه؛ حتى أنكروا عليه ذلك، وخافوه، وخافهم، فكان لا يدخل المدينة إلا خائفاً مستخفياً على حين غفلة من أهلها.

القول الثالث: أن موسى ضرب فرعون بالعصا في صغره، فأراد فرعون قتله، فقالت امرأته: هو صغير فتركه وأمر بإخراجه من مدينته، فأخرج منها، فلم يدخل عليهم حتى كبر، وبلغ أشده، فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها، يعني: عن ذكر موسى، ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به.

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يوم عيد لهم، قد اشتغلوا فيه بلهوهم ولعبهم. انتهى. خازن بحروفه. وفي القرطبي قريب منه، واعتمد المروي عن علي كرم الله وجهه. هذا؛ وعلى حين بمعنى في حين، قال النابغة الذبياني: [الطويل]

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ؟!

وقال القرطبي: يقال في الكلام: دخلت المدينة حين غفل أهلها، ولا يقال: على حين غفل أهلها، فدخلت ﴿عَلَىٰ﴾ في هذه الآية؛ لأن الغفلة هي المقصودة، فصار هذا كما تقول: جئت على غفلة انتهى. هذا؛ والغفلة: معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور. وقيل: حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ، والتيقظ، وهذا في حق الله تعالى محال، فلا بد من تأويل قوله تعالى في سورة (إبراهيم) رقم [٤٢]: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ

﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ...﴾ إلخ فإن المقصود منها: أنه سبحانه ينتقم من الظالم للمظلوم، ففيه وعيد، وتهديد للظالم، وإعلام له بأنَّه لا يعامله معاملة الغافل عنه، بل ينتقم منه، ولا يتركه مُغْفَلاً.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾: يتخاصمان، ويتنازعان. ﴿هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: أحدهما من طائفة بني إسرائيل. ﴿وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: والثاني قبطي من قوم فرعون عدوه. وقيل: أحدهما مؤمن، والآخر كافر. وقيل: الذي من شيعته هو السامري، والذي من عدوه هو طباخ فرعون، واسمه: فاتون، وكان القبطي يريد أن يأخذ الإسرائيلي ليحمل الحطب إلى مطبخ فرعون، وهذا يرجِّح ما اعتمدته عن علي ـ كرم الله وجهه ـ آنفاً. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم؛ حتى امتنعوا كل الامتناع، وكان بنو إسرائيل قد عَزُّوا بمكان موسى؛ لأنهم كانوا يعلمون: أنه منهم.

قال ابن هشام في المغني: ليس المراد تقريب الرجلين من موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام، كما تقول: هذا كتابك فخذه، وإنما الإشارة إليهما كانت في ذلك الوقت هكذا، فحكيت.

﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾: طلب منه أن يغيثه وأن يعينه على عدوه الفرعوني. وقرئ: (فاستعانه) وهو بمعناه، والسين والتاء فيهما للطلب. ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضرب القبطي بجُمْع كفه، وقرئ: (فلكزه) أي: فضرب به صدره. قال قتادة: ضربه بعصاه، وقال مجاهد: بكفه، أي: دفعه. هذا؛ والوكز، واللكز، واللهز، واللهد بمعنى واحد، وهو الضرب بجمع الكف مجموعاً كعقد ثلاثة وسبعين، قال طرفة في معلقته يذم رجلاً: [الطويل]

بَطِيءٌ عَنِ الْجُلَّى، سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَا ذَلُولٌ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ

ففعل موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ذلك؛ وهو لا يريد قتله، إنما قصد دفعه، فكانت فيه منيته، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ وكل شيء أتيت عليه، وفرغت منه قضيت عليه. يروى: أن موسى قال للقبطي: خلِّ سبيله، فقال: إنما أريد أن يحمل الحطب إلى مطبخ أبيك، فنازعه، فقال القبطي لموسى: لقد هممت أن أحمله عليك، فغضب موسى، واشتد غضبه، وكان قد أوتي بسطة في الخلق، وشدَّة في القوة، فوكزه فقضى عليه.

﴿قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ أي: من إغوائه؛ لأنه لم يكن أمر بقتال الكفار، أو لأنه كان مأموناً فيهم، فلم يكن له اغتيالهم، ولا يقدح ذلك في عصمته؛ لأنه قتل خطأ لا عمد، وإنما عده من عمل الشيطان، وسماه ظلماً، واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم. ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾: بيِّن الضلال، والإضلال، وانظر شرح (عدو) في الآية رقم [٧٧] من سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿وَدَخَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (دخل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى موسى. ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله عند بعض النحاة وفي مقدمتهم سيبويه. والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب عندهم انتصاب المفعول به على السعة بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في «دخلت الدار، ونزلت البلد، وسكنت الشام». ﴿عَلَىٰ حِينِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾، أو من الفاعل المستتر؛ أي: مستخفياً. ﴿مِّنْ أَهْلِهَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿غَفْلَةٍ﴾، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَدَخَلَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (لمَّا) لا محل لها أيضاً. ﴿فَوَجَدَ﴾: الفاء: حرف عطف. (وجد): فعل ماض، والفاعل يعود إلى موسى أيضاً، ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، تقدم على الأول. ﴿رَجُلَيْنِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى. ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، وألف الاثنين فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب صفة (رجلين) وجملة: ﴿فَوَجَدَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب صفة ثانية لـ: ﴿رَجُلَيْنِ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم على حد قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾، وجملة: ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ معطوفة على ما قبلها فلها حكمها. ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (استغاثه): فعل ماض. والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية معطوفة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَى ٱلَّذِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾: الفاء: حرف عطف. (وكزه): فعل ماض، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها.

﴿فَقَضَىٰ﴾: الفاء: حرف عطف. (قضى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (موسى)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ. ﴿مِنْ عَمَلِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿عَمَلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مضاف

إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر (إنَّ). ﴿مُّضِلٌّ﴾: خبر ثان. ﴿مُّبِينٌ﴾: خبر ثالث. وإن اعتبرت ﴿مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ صفتين لـ: ﴿عَدُوٌّ﴾ فالمعنى لا يأباه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ندم موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ على ذلك الوكز، الذي كان فيه إزهاق الروح، فحمله ندمه على الخضوع لربه، والاستغفار من ذنبه، ثم لم يزل يعدد ذلك على نفسه مع علمه بأنه قد غفر له، حتى إنه في يوم القيامة يعتذر عن الشفاعة، ويقول: إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، وإنما اعتبره ذنباً؛ لأن النبي لا ينبغي له أن يَقْتُلَ حتى يؤمر. ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ أي: ذنبي الذي حصل من قتل القبطي. ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾: ذنوبه باستغفاره. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: لذنوب عباده إذا استغفروا، وتابوا، و﴿ٱلْغَفُورُ﴾ صيغة مبالغة. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر لهم ذنوبهم؛ إذا استغفروا.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة. . .إلخ، وانظر الآية رقم [١٦٩] من سورة (الشعراء) ففيها البحث كافٍ وافٍ. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿ظَلَمْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿نَفْسِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَٱغْفِرْ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (اغفر): فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والمفعول محذوف، تقديره: اغفر لي ذنوبي، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا»؛ إذ التقدير: إذا كان ذلك حاصلاً مني فاغفر لي، والكلام كله في محل نصب مقول القول. ﴿فَغَفَرَ﴾: الفاء: حرف عطف. (غفر): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: «ربه». ﴿لَهُۥٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء

اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، لا محل له من الإعراب، أو هو توكيد لاسم (إنَّ) على المحل. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: خبر (إن). ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: خبر ثان. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، وما بعده خبراً عنه، فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: من المعرفة، والحكمة، والتوحيد، والإيمان بك. قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: يجوز أن يكون قسماً، جوابه محذوف، تقديره: أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة؛ لأتوبن. وأن يكون استعطافاً، كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة، فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين. فتكون الباء متعلقة بـ: «اعصمني» المقدر، أقول: من المعروف: أن جواب القسم الاستعطافي يكون جملة إنشائية، مثل قول الشاعر: [الطويل]

بِعَيْشِكِ يَا سَلْمَى ارْحَمِي ذَا صَبَابَةٍ أَبَى غَيْرَ ما يُرْضِيكِ في السِّرِّ والْجَهْرِ

وأيضاً قول مجنون ليلى: [الوافر]

بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَاهَا؟

اللهم إلا أن يقال: الجواب محذوف لدلالة الجملة الآتية عليه، التقدير على الأول: أقسم بحق إنعامك علي؛ لأتوبن! والتقدير على الثاني: أسألك بحق إنعامك علي اعصمني! هذا؛ وانظر البيتين في كتابنا فتح القريب المجيب رقم [٩٩٥ و٩٩٦].

هذا؛ وأراد بمظاهرة المجرمين: إما صحبة فرعون، وانتظامه في جملته، وتكثير سواده؛ حيث كان يركب بركوبه، كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون، وإما بمظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم، والإثم، كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له قتله. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لم يستثن، فابتلي به مرة أخرى، يعني: لم يقل: فلن أكون إن شاء الله ظهيراً؛ أي: معاوناً للمجرمين، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

قال عبيد الله بن الوليد الوصَّافي: قلت لعطاء بن أبي رباح: إن لي أخاً يأخذ بقلمه (أي: يأخذ أجرةً على كتابته بقلمه)، وإنما يحسب ما يدخل، وما يخرج، وله عيال، ولو ترك ذلك لاحتاج، وادَّان، فقال: مَنِ الرأس؟ قلت: خالد بن عبد الله القسري، قال: أما تقرأ ما قال العبد الصالح: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فلم يستثن، فابتلي به ثانية، فأعانه الله، فلا يعينهم أخوك؛ فإن الله يعينه.

قال عطاء: فلا يحل لأحد أن يعين ظالماً، ولا يكتب له، ولا يصحبه، وأنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيناً للظالمين. وفي الحديث: «**يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيامةِ: أَيْنَ الظَّلَمةُ، وأعوانُ الظَّلَمةِ؛ حتَّى مَنْ لَاقَ لَهُمْ دَواةً، أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَماً، فَيُجْمَعُونَ في تَابُوتٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُرْمَى بِهِمْ في جَهَنَّمَ**». ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ؛ لِيُعِينَهُ عَلَى مَظْلَمَتِهِ؛ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامةِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الأَقْدَامُ. وَمَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ؛ لِيُعِينَهُ عَلَى ظُلْمِهِ؛ أَزَلَّ اللهُ قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَدْحَضُ فِيهِ الأَقْدَامُ**». انتهى. قرطبي، وخذ مايلي:

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعِيذُكَ بالله يا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاء يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ، وصَدَّقَهُمْ في كذبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، ولا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ، أَوْ لَمْ يَغْشَ، فَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَلَا أَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ**». رواه الترمذي والنسائي.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (موسى). ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة... إلخ. ﴿بِمَآ﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿أَنْعَمْتَ﴾: فعل، وفاعل، و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم، أو: أسألك بحق إنعامك عليّ. وانظر الشرح. ﴿عَلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَلَنْ﴾: الفاء: حرف تعليل وتفريغ. (لن): حرف نفي، ونصب، واستقبال. وقال ابن عصفور، وابن السراج، وآخرون: ودعاء، أي: اعتبروها دعائية هنا، مثل قول الأعشى: [الخفيف]

لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ، ثُمَّ لَازِلْـ ... ـتُ لَكُمْ خَالِداً خُلُودَ الْجِبَالِ

﴿أَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: (لن) واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا». ﴿ظَهِيرًا﴾: خبر: ﴿أَكُونَ﴾. ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ظَهِيرًا﴾، وجملة: ﴿فَلَنْ أَكُونَ...﴾ تعليل لما قبلها، والأحسن عطفها على الجواب المحذوف المقدر بـ: (لأتوبنَّ)، والكلام ﴿رَبِّ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا﴾ أي: على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به. و(أصبح) بمعنى: صار، وليس على بابه. ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أي: ينتظر سوءاً. والترقب: انتظار المكروه. وقيل:

ينتظر متى يؤخذ به. وقيل، يترقب الأخبار وما يتحدث به الناس. ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾: وهو الإسرائيلي؛ الذي قتل القبطي بسببه. ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ أي: يستغيث بموسى عليه السلام.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أتي فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً منا، فخذ لنا بحقنا، فقال: اطلبوا قاتله، ومن يشهد عليه، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة؛ إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً آخر، فاستغاثه على الفرعوني، وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتله القبطي. هذا؛ والصارخ، والمستصرخ: هو الذي يطلب النصرة، والمعاونة، والْمُصْرِخ: هو المغيث، قال سلامة بن جندل: [البسيط]

كُنَّا إذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ

الظنابيب: جمع ظنبوب، وهو حرف الساق اليابس من قُدُمٍ، وقال أمية بن أبي الصلت: [الطويل]

وَلَا تَجْزَعُوا إِنِّي لَكُمْ غَيْرُ مُصْرِخٍ وَلَيْسَ لَكُمْ عِنْدِي غَنَاءٌ وَلَا نَصْرُ

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ أي: للإسرائيلي. ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر الغواية، قاتلت رجلاً بالأمس، فقتلتُه بسببك، وتقاتل اليوم رجلاً آخر، وتستغيث بي عليه. هذا؛ والغواية، والغي: ضد الرشد، الذي هو التعقل في الأمور، والتدبير: ألا يفعل فعلاً يفضي إلى البلاء على نفسه، وعلى من يريد نصرته. وقال الحسن: إنما قال للقبطي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾. وهو غير معتمد، وإنما هو للإسرائيلي.

فائدة: الأمس: اسم نكرة يراد به يوم من الأيام الماضية لا على التعيين، وإذا قيل: أمس؛ فإنه يكون معرفة؛ المراد به اليوم الذي قبل يومك الذي أنت فيه. وبه يلغز، فيقال: أي اسم إذا عُرِّفَ، نُكِّر، وإذا نُكِّرَ؛ عُرِّف. وإذا اقترنت به أل فيكون معرباً بالحركات الظاهرة، وإذا جرد منها فللعرب فيه حينئذٍ ثلاث لغات:

إحداها: البناء على الكسر مطلقاً، وهي لغة أهل الحجاز، فيقولون: ذهب أمسِ بما فيه، واعتكفت أمسِ، وعجبت من أمسِ (بالكسر فيهن).

الثانية: إعرابه إعراب ما لا ينصرف مطلقاً، وهي لغة بني تميم.

الثالثة: إعرابه إعراب ما لا ينصرف في حالة الرفع خاصة، وبناؤه على الكسر في حالتي النصب والجر، وهي لغة جمهور بني تميم. انتهى. شذور الذهب. هذا؛ وقال الزمخشري: قد يذكر: الأمس، ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك، ولكن يراد به الوقت المستقرب على طريق الاستعارة.

الإعراب: ﴿فَأَصْبَحَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أصبح): فعل ماض ناقص، واسمه مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى موسى. ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَآئِفًا﴾ بعدهما. ﴿خَآئِفًا﴾: خبر

(أصبح)، ويجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر: (أصبح)، و﴿خَآئِفًا﴾ حالاً من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور، كما يجوز اعتباره خبراً ثانياً. ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (موسى) أيضاً، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية يجوز فيها أن تكون خبراً ثانياً لـ (أصبح)، وأن تكون حالاً ثانية، وأن تكون بدلاً من الحال الأولى، أو من الخبر الأول، أو حالاً من الضمير المستتر بـ: ﴿خَآئِفًا﴾. فتكون حالاً متداخلة، وجملة: ﴿فَأَصْبَحَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف وتعقيب. (إذا): هي الفجائية. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱسْتَنصَرَهُۥ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، والهاء مفعول به، والمتعلق محذوف، التقدير: على قبطي آخر، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، أو الخبر متعلق: (إذا) فتكون الجملة الفعلية في محل نصب حال من الموصول. وانظر الآية رقم [٣٢] من سورة (الشعراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿قَالَ﴾. ﴿مُوسَىٰٓ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَغَوِىٌّ﴾: اللام: هي المزحلقة. (غوي): خبر (إنَّ). ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٩﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ﴾ أي: موسى. ﴿أَن يَبْطِشَ﴾: بطش به: فتك به، وأخذه بصولة، وشدة، وسطا، وانقض عليه فهو باطش، وبطاش وبطيش. وقد أطلق على يوم بدر اسم البطشة الكبرى؛ لأن الله أخذهم أخذة شديدة فيه، كما هو معروف في السيرة النبوية، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣٠] من سورة (الشعراء)، فإنه جيد. ﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي: لموسى، وللإسرائيلي، والمراد: القبطي الذي يريد أن يسخر الإسرائيلي؛ لأنه عدو لموسى، وللإسرائيلي. وقيل: الذي أراد أن يبطش هو الإسرائيلي. وليس بشيء، وانظر زيادة ﴿أَن﴾ بعد (لما) في الآية رقم [٣٣] من سورة (العنكبوت).

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ...﴾ إلخ: وذلك: أن موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ أخذته الرقة، والغيرة على الإسرائيلي، فمد يده ليبطش بالقبطي، فظن الإسرائيلي: أنه يريد أن يبطش به، لما رأى من غضب موسى، وسمع من قوله: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ وهذا يفيد: أنه لم يكن أحد علم من قوم فرعون: أن موسى هو الذي قتل القبطي، حتى أفشى عليه الإسرائيلي ذلك، فسمعه القبطي، فأتى فرعون، فأخبره بذلك.

﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بالقتل ظلماً. وقيل: الجبار: هو الذي يقتل، ويضرب، ولا ينظر في العواقب. وقيل: هو الذي يتعاظم، ولا يتواضع لأمر الله تعالى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣٠] من سورة (الشعراء) أيضاً. ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾: بين الناس، فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن، ولما فشا: أن موسى قتل القبطي؛ أمر فرعون بقتله، فخرجوا بطلبه، وسمع رجل من شيعة موسى، ويقال: أنه مؤمن من آل فرعون، واسمه حزقيل، وقيل: شمعون، وقيل: سمعان. أقول: وهو النجار الذي صنع التابوت لأم موسى، كما رأيت في الآية رقم [٧] وهو مؤمن آل فرعون المذكور في سورة (غافر).

الإعراب: ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٤]. ﴿أَنْ﴾: زائدة. ﴿أَرَادَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى موسى على المعتمد. والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَبْطِشَ﴾ في محل نصب مفعول به. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً. ﴿بِٱلَّذِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبره، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَّهُمَا﴾: جار ومجرور، متعلقان بـ ﴿عَدُوٌّ﴾، أو بمحذوف صفة له، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الإسرائيلي. (يا): حرف نداء ينوب مناب: أدعو. (موسى): منادى مفرد علم مبني على ضم مقدر على الألف في محل نصب بـ: (يا). ﴿أَتُرِيدُ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (تريد): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَقْتُلَنِى﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والجملة الندائية، والفعلية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿قَتَلْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿نَفْسًا﴾: مفعول به. ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و: (ما) المصدرية، والفعل ﴿قَتَلْتَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: أتريد أن تقتلني قتلاً كائناً مثل قتلك نفساً بالأمس. وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا

التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر، المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿تُرِيدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ ﴿أَن﴾، واسمه مستتر تقديره: «أنت». ﴿جَبَّارًا﴾: خبر: ﴿تَكُونَ﴾. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ ﴿جَبَّارًا﴾، و﴿أَن تَكُونَ...﴾ إلخ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿إِن تُرِيدُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَمَا تُرِيدُ...﴾ إلخ معطوفة عليها فهي في محل نصب مقول القول أيضاً، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾: آخرها، أي: من مكان بعيد. ﴿يَسْعَىٰ﴾: يسرع في مشيه، وأخذ طريقاً قريباً حتى سبق إلى موسى، وأخبره، وأنذره بما سمع. ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون بسببك. والائتمار: التشاور. يقال: الرجلان يتآمران، ويأتمران؛ لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء، أو يشير عليه بأمر، و﴿ٱلْمَلَأَ﴾: الأشراف، والسادة، ولا يقال لغيرهم؛ لأنهم يملؤون العيون بكبريائهم، وزينتهم، وما يحاطون به من هيبة، وعظمة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: معشر، ورهط، ونحوهما. وانظر الآية رقم [٣٤] من سورة (الشعراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أي: في الخروج من المدينة.

تنبيه: في سورة (يس) قدَّم ﴿مِّنْ أَقْصَا﴾ على: ﴿رَجُلٌ﴾؛ لأنه لم يكن من أقصاها، وإنما جاء منها. وهنا وصفه بأنه من أقصاها، وهما رجلان مختلفان، وقضيتان متباينتان، فما هنا في قضية موسى، وما هناك في قضية حواري عيسى. انتهى. جمل. وهل هذا الرجل من القبط، أو من بني إسرائيل؟ المعتمد: أنه من القبط، وأنه الرجل المذكور في الآية رقم [٢٨] من سورة (غافر) انظر شرحها هناك: إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿وَجَآءَ﴾: الواو: حرف استئناف. (جاء): فعل ماض. ﴿رَجُلٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وقبلها كلام محذوف يفهم من سياق القصة. ﴿مِّنْ أَقْصَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رَجُلٌ﴾ وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف، و﴿أَقْصَا﴾ مضاف، و﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿يَسْعَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿رَجُلٌ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿رَجُلٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم على حد قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ

أنزلناه﴾. ﴿قال﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿رجل﴾. ﴿إن﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿الملأ﴾: اسم ﴿إن﴾. ﴿يأتمرون﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إن﴾. ﴿بك﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ليقتلوك﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والكاف مفعوله، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فاخرج﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [١٦]، (اخرج): فعل أمر، وفاعله: أنت. ﴿إني﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها. ﴿لك﴾: متعلقان بمحذوف يدل عليه ما بعده، التقدير: ناصح لك؛ لأن «أل» موصولة، ولا يتقدم معمول الصلة على الموصول، وقيل: متعلقان بالناصحين؛ لأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها، أو على جهة البيان، أعني: لك. ﴿من الناصحين﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إني﴾، والجملة الاسمية: ﴿إني...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، وجملة: ﴿فاخرج...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط محذوف، يقدر بإذا، والكلام ﴿يموسى...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قال...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (جاء...) إلخ بواو محذوفة، لا محل لها مثلها، وهو أولى من اعتبارها في محل نصب حال. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿فخرج منها﴾ أي: من المدينة. ﴿خائفا﴾: من آل فرعون. ﴿يترقب﴾: لحوق طالب له. ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾: خلصني منهم، واحفظني من لحوقهم، وهذا لجوء إلى الله لعلمه أن لا ملجأ إلا إليه تعالى.

تنبيه: في هذه الآية، وفي الآية رقم [١٨] دليل واضح على: أن الخوف من الأعداء، والحذر من شرهم، إنما هو سنة الله في أنبيائه، وأوليائه، مع معرفتهم به، وثقتهم بنصره. ومنه حفر النبي ﷺ الخندق حول المدينة تحصيناً للمسلمين، وأموالهم؛ مع كونه من التوكل على الله، والثقة به بمحل لم يبلغه أحد، ثم ما كان من أصحابه ما لا يجهله أحد من تحولهم عن منازلهم، مرة إلى الحبشة، ومرة إلى المدينة تخوفاً على أنفسهم من مشركي مكة، وهرباً بدينهم أن يفتنوهم عنه بتعذيبهم، وخاب الفسقة، والفجرة الذين يصمون الصديق ـ رضي الله عنه ـ بالجبن، وضعف الإيمان لما ناله من الخوف في ليلة الهجرة الشريفة، ودخوله مع حبيبه الغار، فويل لهم مما يكذبون، وويل لهم مما يفترون.

الإعراب: ﴿فخرج﴾: الفاء: حرف استئناف. (خرج): فعل ماض، والفاعل يعود إلى موسى، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿منها﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿خائفا﴾:

حال من الفاعل المستتر، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (موسى) أيضاً، ومفعوله محذوف، التقدير: يترقب لحوقهم به، والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية من الفاعل المستتر في الفعل: (خرج) أو من الفاعل المستتر بـ: ﴿خَآئِفًا﴾، فتكون حالاً متداخلة. ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف. ﴿نَجِّنِي﴾: فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة القوم مجرور، وعلامة جره الياء. . .إلخ، والجملتان الندائية والفعلية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ رَبِّ...﴾ إلخ في محل نصب حال ثانية من فاعل (خرج) المستتر، والرابط: الضمير فقط.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: لما خرج موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ فاراً بنفسه، خائفاً منفرداً، لا شيء معه: من زاد، ولا راحلة، ولا حذاء نحو مدين. قيل: لأنه وقع في نفسه: أن بينهم، وبينه قرابة؛ لأن أهل مدين من ولد إبراهيم، وموسى من ولد إبراهيم، ومدين هو أحد أولاد إبراهيم، وقد بينته لك في سورة (هود) وغيرها، سميت البلد باسمه، وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام، وليس لفرعون سلطان على أهل مدين، ولم يكن لموسى طعام إلا ورق الشجر، ونبات الأرض، حتى رأى خضرته في بطنه. وما وصل إلى مدين؛ حتى وقع خف قدميه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو أول ابتلاء من الله لموسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن...﴾ إلخ: لما توجه موسى إلى مدين ولم يكن له معرفة بالطرق؛ سأل الله أن يهديه إلى الطريق التي توصله إلى مدين، فاعترضه ثلاث طرق، فأخذ في أوسطها، وكان فرعون أرسل جنوده في طلبه، وقال لهم: اطلبوه في ثنيات الطريق؛ فإنه لا يعرف الطريق، فجاءه ملك راكباً فرساً، فقال له: اتبعني، فاتبعه، فهداه إلى الطريق. قيل: إن هذا الملك هو جبريل عليه السلام. والله أعلم.

هذا؛ وبلاد مدين واقعة حول خليج العقبة من عند نهايته الشمالية، وشمال الحجاز، وجنوب فلسطين تنسب إلى مدين، ويطلق على سكانها: قوم مدين.

هذا؛ و﴿تِلْقَآءَ﴾ يقرأ بالمد، والقصر، قراءتان سبعيتان، وهو يستعمل ظرف مكان كما هنا، ويستعمل مصدراً كـ: «التِّبيان»، ولم يجئ من المصادر على التفعال بالكسر غير: التِّلقاء،

والتِّبْيان، والزِّلْزَال، والوِسْوَاس، وإذا فتحت الأول صارت أسماء. ولم أعثر على فعل لـ: «تلقاء» على الاعتبارين: المصدرية، والاسمية، وهمزته بالمد منقلبة عن ياء «تلقاي» لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين.

هذا؛ و﴿سَوَآءَ﴾ في الأصل مصدر بمعنى: الاستواء، فلذا صح الإخبار به عن متعدد في كثير من الآيات، وقيل: هو بمعنى: مستو، وهو لا يثنى، ولا يجمع. قالوا: هما سواء، وهم سواء، فإذا أرادوا لفظ المثنى، قالوا: سيان، وإن شئت قلت: سواءان. قال قيس بن معاذ، وهو الشاهد رقم [٢٤١] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الطويل]

فَيَا رَبِّ إنْ لَمْ تَجْعَلِ الْحُبَّ بَيْنَنَا سَوَاءَيْنِ فَاجْعَلْني عَلَى حُبِّهَا جَلْدا

واعتبر ابن هشام في المغني هذه التثنية شاذة، وفي الجمع قالوا: هم أسواء، وهذا كله ضعيف، ونادر، وأيضاً على غير القياس قولهم: هم سواس، وسواسية، أي: متساويان، ومتساوون. هذا؛ والسواء أيضاً: العدل، والوسط، كما في هذه الآية، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾. وانظر شرح السبيل في الآية رقم [٥٧] من سورة (الفرقان). هذا؛ وفسر الجلال: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ بقصد الطريق، ثم فسر القصد بالوسط.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٤]. ﴿تَوَجَّهَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿تِلْقَآءَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿تِلْقَآءَ﴾ مضاف، و﴿مَدْيَنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. وقيل: العلمية، والتأنيث، وليس بشيء، وجملة: ﴿تَوَجَّهَ...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى) أيضاً. ﴿عَسَىٰ﴾: فعل ماض جامد من أفعال الرجاء، مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿رَبِّىٓ﴾: اسم (عسى) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَهْدِيَنِى﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّىٓ﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿سَوَآءَ﴾: منصوب بنزع الخافض. وقيل: هو مفعول ثان للفعل قبله، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ و﴿سَوَآءَ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ مضاف إليه من إضافة الصفة للموصوف، و﴿أَن يَهْدِيَنِى﴾ في تأويل مصدر في محل نصب خبر: ﴿عَسَىٰ﴾، وجملة: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾: وصل موسى إلى الماء، وهو بئر لأهل مدين كانوا يسقون منها، ووروده الماء معناه: أنه بلغه لا أنه دخل فيه، ولفظة الورود تكون بمعنى الدخول في المورود، وبمعنى الاطلاع عليه؛ والبلوغ إليه؛ وإن لم يدخل، ومنه قول زهير في معلقته: رقم [١٤]. [الطويل]

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ﴾ أي: قريباً من الماء، أو وجد فوق شفير البئر. ﴿أُمَّةٗ﴾: جماعة كثيرة العدد. ﴿يَسۡقُونَ﴾: مواشيهم الماء. هذا؛ وأمة بمعنى الجماعة، كما رأيت، ولا واحد لها من لفظها، وتكون واحداً إذا كان ممن يقتدى به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾ والأمة: الطريقة، والملة في الدين، كقوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ وبها فسرت الآية رقم [٩٢] من سورة (الأنبياء). وقال النابغة الذبياني من قصيدة يخاطب بها النعمان بن المنذر، ويعتذر له مما وشى به الواشون: [الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ، وَهُوَ طَائِعُ؟

وكل جنس من الحيوان أمة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾. والأمة: الحين، والوقت، كقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد وقت وحين.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: في مكان أسفل من مكانهم، وقبل أن يصل إلى الجماعة المحتشدين على الماء. ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾: تحبسان أغنامهما من الماء؛ لئلا تختلط بأغنامهم. قال سويد بن كراع يذكر تنقيحه شعره: [الطويل]

أَبِيتُ عَلَى بَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا أَذُودُ بِهِ سِرْباً مِنَ الْوَحْشِ نُزَّعَا

أي: أحبس، وأمنع. وقيل: تذودان: تطردان. قال جرير يهجو الفرزدق: [الوافر]

لَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا تَدْرِي بِأَيِّ عَصاً تَذُودُ؟

أي: تطرد، وتكف. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تذودان أغنامهما عن الماء خوفاً من السقاة الأقوياء. وقيل: كانتا تكرهان المزاحمة على الماء. ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾ أي:

ما شأنكما؟ وحقيقته: ما مخطوبكما؛ أي: ما مطلوبكما من الذياد؟ فسمى المخطوب: خطباً. هذا؛ والخطب: الأمر العظيم، والنازلة من نوازل الدهر، وجمعه: خطوب، قال جابر بن رألان الطائي الجاهلي، وهذا هو الشاهد رقم [٢٦] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الوافر]

يُــرَجِّــي الْــمَــرْءُ مَــا إنْ لَا يَــرَاهُ وَتَــعْــرِضُ دُونَ أَدْنَــاهُ الْــخُــطُــوبُ

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾: أغنامنا الماء. ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ أي: يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء، حذراً من مزاحمة الرجال، فإذا صدروا سقينا مواشينا من فضل ما بقي منهم في الأحواض. هذا؛ ويقرأ ﴿يُصْدِرَ﴾ بضم الياء وكسر الدال من الرباعي، وبفتح الياء، وضم الدال من الثلاثي، و﴿ٱلرِّعَآءُ﴾ بكسر الراء جمع: راع، كقائم، وقيام، ويقرأ بضم الراء، وهو اسم للجمع، كالتُّوَام، والرُّخَاء. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي، فيرسلنا اضطراراً.

هذا؛ والفعل ﴿نَسْقِى﴾ و﴿يَسْقُونَ﴾ في الآية السابقة، وَ(سَقَى) في الآية التالية، و(سَقَيْتَ) في الآية التي بعدها كل هذه الأفعال من الثلاثي، كما يأتي هذا الفعل من الرباعي: أَسْقَى، وهما بمعنى واحد، تقول: سقى الله هذه البلاد الغيث، وأسقاها الغيث، فيكون بالهمزة تارة، وبدونه أخرى، وشاهد المهموز قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾، وشاهد غير المهموز قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، ويحتملهما قوله تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا﴾، وقوله جل ذكره: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ وقد ورد اللغتان في قول لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الوافر]

سَــقَــى قَــوْمِــي بَــنِــي مَــجْــدٍ وَأَسْــقَــى نُــمَــيْــراً وَالْــقَــبَــائِــلَ مِــنْ هِــلَالِ

ولكنه حذف المفعول الثاني من كليهما، كما حذف المفعولان من الألفاظ المذكورة في هذه الآيات. هذا؛ وفرق الأعلم بين المهموز، وغيره، فقال: تقول: سقيتك ماءً إذا ناولته إياه يشربه، وتقول: أسقيتك إذا حصلت له سُقْيَا.

هذا؛ والشيخ هو الذي استبانت فيه السن، وظهر عليه الشيب، وفي اللغة: هو من تجاوز الأربعين من عمره، وهو السن الذي يَكْمُلُ فيها العقل، ويغلب فيها صلاح الرجل على فساده، ومن لم يَكْمُلْ بعد الأربعين، ولم يرجع إلى صوابه فهو من الخاسرين. قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ عَلَى شَرِّهِ فَلْيَتَجَهَّزْ إلى النَّارِ**». وأصبح الأمل في صلاحه بعيداً. قال زهير بن أبي سلمى: [الطويل]

وَإِنَّ سِــفَــاهَ الــشَّــيْــخِ لَا حِــلْــمَ بَــعْــدَهُ وَإِنَّ الْــفَــتَــى بَــعْــدَ الــسَّــفَــاهَــةِ يَــحْــلُــمُ

ورحم الله من يقول: [الطويل]

إذَا الْــمَــرْءُ وَفَّــى الأربــعــيــن وَلَــمْ يَــكُــنْ لَــهُ دُون مَــا يَــأْتــي حَــيَــاءٌ وَلَا سِــتْــرُ

وَإِنْ مَدَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ فَدَعْهُ وَلَا تَنْفَسْ عليهِ الذي ارْتَأَى

هذا؛ ويجمع شيخ على: شُيُوخ، وشِيُوخ، وأشياخ، وَمَشْيَخة، وشِيخان وشِيخة، وجمع الجمع: مشايخ وأشاييخ، وفي مختار الصحاح عدَّ من الجمع: مشايخ، ومشيوخاء، والمرأة شيخة، قال عَبيد بن الأبرص في وصف فرسه في معلقته: [مخلع البسيط]

بَاتَتْ عَلَى إِرَمٍ عَذُوباً كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ رَقُوبُ

وقال عبد يغوث بن الحارث، وهذا هو الشاهد رقم (٥٠٣) من كتابنا: «فتح القريب»: [الطويل]

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كَأَن لَمْ تَرَى قبلي أسيراً يمانيا

هذا؛ وَشَيَّخْتَهُ دعَوْتَهُ شَيخاً للتبجيل والتعظيم، وتصغير الشيخ: شُيَيْخ (بضم الشين وكسرها) ولا تقل: شُوَيْخٌ. ويطلق الشيخ على الأستاذ، والعالم وكبير القوم، ورئيس الصناعة، وعلى من كان كبيراً في أعين الناس علماً، أو فضيلةً، أو مقاماً، ونحو ذلك، وشيخ النار: كناية عن إبليس، أخزاه الله تعالى.

هذا؛ ولقد اختلف في الشيخ أبي البنتين اختلافاً كبيراً، فأكثر المفسرين على: أنه شعيب النبي على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وقد اشتهر ذلك اشتهاراً عظيماً، وأولع به الأدباء وأصحاب السير، وهذا أبو العلاء المعري يقول مادحاً رجلاً عظيماً زفت إليه عروسه: [الخفيف]

كُنْتَ مُوسَى وَافَتْهُ بِنْتُ شُعَيْبٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ فِيكُمَا مِنْ فَقِيرِ

وآخرون يذكرون غير ذلك، فقال جماعة: اسم والد المرأتين: يَثْرونَ، وإنه ابن أخي شعيب، على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام. وقال آخرون: اسمه: يَثْرِي، فقد ذكر أبو جعفر الطبري في ذلك ثلاث روايات تنتهي كلها إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ليس فيها: أنه شعيب، أو ابن أخي شعيب.

وقال آخرون: إن الذي استأجر موسى هو نبي الله شعيب، وهي رواية ذكرها الطبري بسنده إلى قرَّة بن خالد عن الحسن البصري، وذكر هذا الحافظ ابن كثير في تفسيره من قول الحسن البصري، وقول الإمام مالك. وقال آخرون: إن صاحب موسى والد المرأتين هو رجل مؤمن من قوم شعيب. وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى بمدة طويلة، والله أعلم بحقيقة الحال.

هذا؛ وقد روى البزار وابن أبي حاتم، كلاهما عن عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله ﷺ بسند طويل، قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: «**أَبَرَّهُمَا وأَوْفَاهُمَا**». ثم قال النبي ﷺ: «**إنَّ مُوسَى لَمَّا أَرَادَ فِرَاقَ شُعَيْبٍ ـ عليهِ السلامُ ـ أمر امْرَأَتَهُ أَنْ تَسْأَلَ أَبَاهَا أَن يُعْطِيهَا مِنْ غَنَمِهِ مَا يَعِيشُونَ بِهِ، فَأَعْطَاهَا مَا وَلَدَتْ غَنَمُهُ في ذَلِكَ الْعَام من قَالِبِ لوْنٍ، قَالَ: فَمَا مَرَّتْ شاةٌ إلا ضَرَبَ موسى جَنبَهَا بعصاهُ، فَوَلَدَتْ قَوَالِبَ أَلْوانٍ كُلُّهَا، وَوَلَدَتْ**

ثِنْتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثاً كلُّ شاةٍ، وَلَيْسَ فِيهَا فَشُوش، وَلَا ضَبُوب، ولا كَمِيشَة تَفُوت الكف، ولا ثغول». وقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا فَتَحْتُمُ الشَّامَ، فَإِنَّكُمْ تَجِدُونَ بَقَايَا مِنْهَا، وَهِيَ السامِرِيَّة**». هذا الحديث أورده الحافظ ابن كثير من جملة أحاديث مرسلة، ثم قال: بعد كلام طويل: مدار هذا الحديث على عبد الله بن لهيعة المصري، وفي حفظه سوء، وأخشى أن يكون رفعه خطأ، والله أعلم. وابن لهيعة أحد رواة سند الحديث. انتهى. قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار بتصرف، واختصار كبيرين. ثم قال عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ: من هذا نعلم: أنه لا يوجد حديث صحيح فيه اسم شعيب مصرحاً به. انتهى.

شرح ألفاظ الحديث ـ قالب لون: ذات لونين، ما بين أبلق، وبلقاء، وقال الهروي: إنها جاءت على غير ألوان أمهاتها، والفشُوش: هي التي ينْفَشُّ لبنها من غير حلب، وذلك لسعة الإحليل، أي الحلمة التي يخرج منها اللبن، ومثله الْفَتُوح والثَّرُور، ومنه قول النبي ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفُشُّ بَيْنَ أَلْيَتَيْ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُخَيَّلَ إِلَيْهِ: أنهُ أَحْدَثَ**». أي: ينفخ نفخاً ضعيفاً. والضبوب: الضيقة ثقب الإحليل، والضَّبُّ: الحلب لشدة العصر، والكميشة، ويروى الكموش، وهما بمعنى: الصغيرة الضرع، سميت بذلك لإنكماش ضرعها، وهو تقلصه. والثغول، ويروى بالعين، وهي الشاة التي لها زيادة حلمة. والثعل: ضيق مخرج اللبن أيضاً، وزيد في رواية ابن أبي حاتم: ولا عزوز، قال الهروي: العزوز: البكيئة، مأخوذ من العزاز، وهي الأرض الصلبة. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (لما): انظر الآية رقم [١٤]. ﴿وَرَدَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿مَآءَ﴾: مفعول به، و﴿مَآءَ﴾ مضاف، و﴿مَدْيَنَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، وجملة: ﴿وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ لا محل لها... إلخ. ﴿وَجَدَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أُمَّةً﴾: مفعول به أول. ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أُمَّةً﴾. ﴿يَسْقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، وقد حذف مفعولاه، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان، أو في محل نصب حال من: ﴿ٱلنَّاسِ﴾، أو من: ﴿أُمَّةً﴾، والرابط: الضمير. وهذا على اعتبار: وجد بمعنى: لقي. وجملة: ﴿وَجَدَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا)، لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله.

﴿وَوَجَدَ﴾: الواو: حرف عطف. (وجد): فعل ماض، والفاعل يعود إلى موسى أيضاً. ﴿مِن دُونِهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، واكتفى الفعل بمفعول واحد؛ لأنه بمعنى: لقي. ﴿تَذُودَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، وألف الاثنين فاعله، ومفعوله محذوف،

التقدير: تذودان أغنامهما. وانظر ما ذكرته الآية رقم [٩] من سورة (الزمر) عن ابن هشام فهو جيد إن شاء الله. والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾، وجملة: ﴿وَوَجَدَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (لما)، لا محل لها مثلها. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَطۡبُكُمَا﴾: خبر المبتدأ، وبعضهم يعتبره مبتدأ مؤخراً، و(ما) خبراً مقدماً، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم، والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَتَا﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، وحركت بالفتح لالتقائها ساكنة مع ألف الاثنين التي هي فاعله. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نَسۡقِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، ومفعولاه محذوفان، التقدير: لا نسقي أغنامنا الماء، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿يُصۡدِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿ٱلرِّعَآءُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف إن كان من الرباعي؛ و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جرٍّ بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَأَبُونَا﴾: والواو: واو الحال. (أبونا): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿شَيۡخٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿كَبِيرٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل: ﴿نَسۡقِي﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿قَالَتَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾: أغنامهما ماءً رحمة بهما، وشفقة عليهما، واختلف كيف كان سقيه لأغنامهما، قيل: اقتلع صخرة كانت على رأس بئر أخرى، كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس، وقيل: زاحم القوم، ونحاهم عن البئر، وسقى لهما الغنم، وقيل: لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بحجر، لا يرفعه إلا عشرة نفر، فجاء موسى، فرفع الحجر وحده، ونزع دلواً واحداً، ودعا فيه بالبركة، وسقى الغنم، فرويت.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي: عدل، ومال إلى أصل شجرة من شجر الطلح، فجلس في ظلها من شدة الحر، وهو جائع، وفيه دليل على جواز الاستراحة في الدنيا؛ حتى من كثرة العبادة، فكيف بمن يشقى، ويركض في الدنيا ليلاً ونهاراً في جمع حطامها الفاني، بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة: ولما طال عليه البلاء أنس بالشكوى؛ إذ لا نقص في الشكوى إلى المولى.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾: لأي شيء. ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾: قليل، أو كثير، غث أو سمين، وكان لم يذق طعاماً منذ سبعة أيام، حتى لصق بطنه بظهره، وكان يأكل من ورق الشجر ونبات الأرض، فعرَّض بالدعاء، ولم يصرح بالسؤال، هكذا روى جميع المفسرين: أنه طلب في هذا الكلام ما يأكله، فالخير يكون بمعنى الطعام كما في هذه الآية، ويكون بمعنى المال، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، ويكون بمعنى القوة، كما قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، ويكون بمعنى العبادة، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

﴿فَقِيرٌ﴾: محتاج. وعدي باللام؛ لأنه ضمن معنى: سائل، أو طالب. هذا؛ وأصل «فقير» في اللغة: الذي انكسر فقار ظهره، ثم أطلق على المعدم الذي لا يجد حاجته من المال؛ لأنه يشبه الذي انبت ظهره، وعدم الحول والقوة، وهو أسوأ حالاً من المسكين عندنا معاشر الشافعية.

تنبيه: وإنما رضي شعيب ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ لابنتيه بسقي الغنم؛ لأن هذا الأمر في نفسه ليس بمحظور، والدين لا يأباه، وأما المروءة فعادة الناس في ذلك متباينة، وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم، ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر، خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة. انتهى. نسفي.

أقول: لعل الرجل أبا البنتين لم يكن له أولاد ذكور يقومون له بسقي الغنم، وغيرها من الأعمال، فإنني لم أطلع على أولاد ذكور لشعيب في المراجع الموجودة لدي، فتكون الضرورة هي التي ألجأت البنتين لسقي الغنم، وغيرها من الأعمال؛ وقد ذكر: أنه كان له سبع بنات، وانظر ما ذكرته في الشاهد [١٠٣١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»؛ ففيه بحث جيد.

الإعراب: ﴿فَسَقَىٰ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سقى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (موسى)، ومفعولاه محذوفان، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقبلها كلام كثير مقدر، كما رأيت في الشرح. ﴿لَهُمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَوَلَّىٰٓ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى) أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى (موسى) أيضاً. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف. وانظر ما ذكرته في (الشعراء) رقم [١٦٩] فإنه جيد. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿لِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿فَقِيرٌ﴾ الآتي، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، و﴿أَنزَلْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: إني فقير للذي، أو: لشيء أنزلته. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما،

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في ما. ﴿فَقِيرٌ﴾: خبر (إنَّ)، والكلام: ﴿رَبِّ إِنِّي...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: روي: أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس مبكرتين، وأغنامهما حفل بالماء، قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً، رحمنا، فسقى لنا، وقصَّا عليه القصة، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي، وهو قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾. قيل: هي الكبرى، واسمها صفوراء. وقيل: صفراء. وقيل: بل هي الصغرى، واسمها: ليا. وقيل: صفيراء، وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: ليست بسلفع من النساء، خرَّاجة، ولَّاجة، ولكن جاءت مستترةً، قد وضعت كمَّ درعها على وجهها استحياءً.

والاستحياء، والحياء ـ بالمد ـ: الحشمة، والانقباض، والانزواء. يقال: استحيت ـ بياء واحدةٍ، وبياءين ـ، ويتعدى بنفسه، وبالحرف، يقال: استحييته، واستحيت منه. والحياء: ملكة تمنع الإنسان من ارتكاب الرذائل. والحياء خير ما يتحلى به إنسان، فإذا ذهب الحياء من الإنسان؛ فقد ذهب منه كلُّ خير، كما قال القائل: [الوافر]

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ... وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

وقد رغَّب النبي ﷺ في أحاديثه الشريفة الكثيرة بالحياء، وبيَّن أنه من خير الخصال، وأكتفي بما يلي: فعن عمران بن الحصين ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**». رواه البخاري، ومسلم، وفي رواية لمسلم: «**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**». وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْحَيَاءُ مِنَ الإيمانِ، والإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ**». رواه أحمد.

هذا؛ والحياء في حق الله تعالى المراد منه: الترك اللازم للانقباض، كما ورد في قول النبي ﷺ: عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنَ الْعَبْدِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً خَائِبَتَيْنِ**». رواه أبو داود، والترمذي، وغيرهما، فالمراد منه: أن الله سبحانه يعطي، ولا يمنع.

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: قيل: لما سمع موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ذلك كره أن يذهب معها، ولكن كان جائعاً، فلم يجد بدّاً من الذهاب معها، فمشت المرأة، ومشى خلفها، فكانت الريح تضرب ثوبها، فتصف ردفها، فكره أن يرى ذلك منها، فقال لها: امشي خلفي، ودليني على الطريق؛ إذا أخطأت، ففعلت ذلك، فلما دخل موسى على شعيب إذا هو بالعشاء مهيأ، فقال: اجلس يا فتى فتعش! فقال: أعوذ بالله، قال شعيب: ولم ذاك؟ ألست جائعاً؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لابنتيك، وإنا أهل بيتٍ لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا. فقال له شعيب: لا والله يا فتى! ولكنها عادتي، وعادة آبائي نقري الضيف، ونطعم الطعام. فجلس، وأكل. انتهى. خازن. وقال القرطبي: كان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال. فلما جاءه، وقصَّ عليه القصص؛ أي: أخبره بأمره أجمع: من خبر ولادته، وتربيته في بلاط فرعون، وقتله القبطي، وقصد فرعون قتله. ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: من فرعون، وقومه، وإنما قال ذلك؛ لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين.

يقول بعض المفسرين: إن موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام ـ أسمع المرأتين قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ تعريضاً حتى يكون له منهما ما يقوته، وهو ليس معه درهم ولا متاع ولا دينار، ولا ما يؤكل، فكانت دعوته كدعوة المظلوم سريعة الإجابة، ومن جهة أخرى: فإن غرس الجميل قد أثمر، وآتى أكله في أقل من ساعة، والله يضاعف الحسنات لعباده المخلصين.

موسى رجل رُبِّيَ على العزة في بيت فرعون، مدللاً في نعيم دائم، ورفاهة، وقد نزل به من الجوع ما اضطره إلى أن يرضى أن يأخذ أجر عمل من أعمال المروءة، والجوع يرضي الأُسود بالجيف، وأحسبه لو كان في بُلَهنِيَة من العيش؛ لم يرض أن يأخذ أجراً على زكاة قوته. انتهى. عبد الوهاب النجار، وهذا كلام لا وجه له.

الإعراب: ﴿فَجَاءَتْهُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (جاءته): فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿إِحْدَاهُمَا﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، وجملة: ﴿فَجَاءَتْهُ...﴾ إلخ معطوفة على الكلام المقدر الذي رأيته في الشرح، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿تَمْشِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل تقديره: «هي»، يعود إلى إحداهما، والجملة الفعلية في مجل نصب حال من ﴿إِحْدَاهُمَا﴾. والرابط: الضمير فقط. ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل: ﴿تَمْشِي﴾ فهي حال متداخلة. ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى: ﴿إِحْدَاهُمَا﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَبِي﴾:

اسمها منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَدْعُوكَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿أَبِي﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول.

﴿لِيَجْزِيَكَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿أَبِي﴾، والكاف مفعول به أول، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَجْرَ﴾: مفعول به ثان، و﴿أَجْرَ﴾ مضاف، و﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿سَقَيْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: أجر الذي سقيته... إلخ، وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بالإضافة، فالتقدير: أجر سقيك لنا... إلخ. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (جاءته...) إلخ بواو محذوفة، أو هي في محل نصب حال ثانية، فتكون «قد» قبلها مقدرة. تأمل.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [١٤]. ﴿جَآءَهُ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى)، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿وَقَصَّ﴾: الواو: حرف عطف. (قصَّ): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْقَصَصَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى أبي البنتين. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَخَفْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: «لا» الناهية، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿نَجَوْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل ﴿تَخَفْ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير «قد» قبلها. ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة (القوم) مجرور مثله، وعلامة جره الياء... إلخ، وجملة: ﴿لَا تَخَفْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾: وهي التي استدعته. ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾: اتخذه أجيراً؛ ليرعى غنمنا. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أي: إن خير من تستعمله الذي قوي على العمل، وأدى الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوته، وأمانته؟ قالت: أما قوته؛ فإنه رفع الحجر من على رأس البئر، ولا يرفعه إلا عشرة. وقيل: أربعون رجلاً. وأما أمانته؛ فإنه قال لي: امشي

خلفي، ودليني على الطريق؛ حتى لا تصف الريح بدنك. هذا؛ وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أن أمانته، وقوته أمران متحققان. وقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ كلام جامع؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان: الكفاية والأمانة في القائم بأمرك؛ فقد فرغ بالك، وتم مرادك. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: أفرس الناس ثلاثة: بنت شعيب، وصاحب يوسف في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ وأبو بكر في عمر، رضي الله عن الاثنين. هذا؛ وقد جعل الله ﴿خَيْرَ﴾ اسماً لـ: ﴿إِنَّ﴾ و﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ خبران لها، وهما أعرف منه، والسبب في ذلك: هو شدة الاهتمام والعناية بما جعل اسماً، ومنه قول أبي الشغب العبسي في خالد بن عبد الله القسري الذي أسره يوسف بن عمر، وسجنه: [الطويل]

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا ومَيِّتاً أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ في السَّلَاسِلِ

﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾: من المعروف: أن في الاسم المضاف لياء المتكلم إذا كان صحيح الآخر ومنادىً ستَّ لغات: أحدها: حذف الياء، والاستغناء عنها بالكسرة مثل: يا عبدِ، وهذا هو الأكثر. الثاني: إثبات الياء ساكنة، نحو: يا عبدي، وهو دون الأول في الكثرة. الثالث: قلب الياء ألفاً، وحذفها، والاستغناء عنها بالفتحة، نحو يا عبدَ. الرابع: قلبها ألفاً وبقاؤها، وقلب الكسرة فتحة، نحو: يا عبدَا. الخامس: إثبات الياء محركةً بالفتحة، نحو: يا عبدِيَ. قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

وَاجْعَلْ مُنَادىً صَحَّ إِنْ يُضَفْ لِيَا كَعَبْدِ عَبْدِي عَبْدَ عَبْدَاً عَبْدِيَا

السادس: ضم الاسم بعد حذفها كالمفرد، اكتفاءً بنية الإضافة، وإنما يكون ذلك فيما يكثر نداؤه مضافاً للياء كالرب، والأبوين، والقوم، قرئ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ...﴾ إلخ بضم الباء، وحكي: يا رَبُّ اغفِرْ لي. هذا؛ ويضاف إلى ذلك: إذا كان المنادى المضاف إلى الياء أباً، أو أمّاً أربع لغات: إحداها: إبدال الياء تاء مكسورة، وبها قرأ السبعة ما عدا ابن عامر في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ من سورة (يوسف) وسورة (مريم). الثانية: إبدالها تاءً مفتوحةً، وبها قرأ عامر ما تقدم. الثالثة: (ياأبتا) بالتاء والألف، وبها قرئ ما تقدم شاذاً. وقال رؤبة بن العجاج: [الرجز]

تَقُولُ بِنْتِي قَدْ أَنَى أَنَاكَا يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَا

الرابعة: يا أبتي. وعليه قول الشاعر: [الطويل]

أَيَا أَبَتِي لَا زِلْتَ فِينَا فَإِنَّمَا لَنَا أَمَلٌ في الْعَيْشِ ما دُمْتَ عَائِشَا

قال ابن هشام في قطر الندى: وهاتان اللغتان قبيحتان، والأخيرة أقبح من التي قبلها، وينبغي ألَّا تجوز إلا في ضرورة الشعر، وقال الخضري في حاشيته على ابن عقيل: ضرورة لكن الأولى

أهون لذهاب صورة الياء المعوض عنها. بل قيل: لا ضرورة فيه؛ لأن هذه الألف لم تنقلب عن الياء، بل هي التي تلحق المنادى البعيد، والمندوب، والمستغاث، فتكون لغة عاشرة، والله أعلم.

الإعراب: ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (أبت): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، والمعوض عنها التاء، كما رأيت في الشرح. ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت» والهاء مفعول به. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿خَيْرَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ وهو مضاف، و﴿مَنِ﴾ اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾ صلة ﴿مَنِ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي، أو: شخص استأجرته. ﴿ٱلْقَوِيُّ﴾: خبر (إن). ﴿ٱلْأَمِينُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ خَيْرَ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، والكلام: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ أي: أزوجك. ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ﴾: قيل: زوّجه الكبرى. وقال الأكثرون: إنه زوجه الصغرى، واسمها: صفوراء، أو: ليا، حسبما رأيت فيما تقدم، وهي التي ذهبت في طلبه، واستدعائه، وهذا؛ وعد منه، ولم يكن عقد نكاح إذ لو كان عقداً؛ لقال: قد أنكحتك، ولعين المعقود عليها له. ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ﴾: على أن تكون لي أجيراً ثمان سنين، والحجة: السنة، وجمعها: حجج، قال زهير بن أبي سلمى، وينسب لحماد الراوية: [الكامل]

لِـمَـنِ الـدِّيَـارُ بِـقُـنَّـةِ الْـحِـجْـرِ أَقْـوَيْـنَ مُـذْ حِـجَـجٍ وَمُـذْ دَهْـرِ

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: عمل عشر سنين. ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ أي: فالإتمام من عندك؛ أي: تفضل منك، وتكرم، وليس مشروطاً عليك. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ أي: ألزمك إتمام العشر. هذا؛ والمشقة: الصعوبة، واشتقاقها من: الشق، فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته، ورأيك في مزاولته.

﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: في حسن المعاملة، ولين الجانب، والوفاء بالمعاهدة، والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح: الاتكال على توفيقه تعالى،

ومعونته، لا المراد التعليق بالمشيئة؛ لأنها غير معلومة في جنب الله تعالى. وإن قلت: المراد: التبرك، لا الاستثناء؛ فهو جيد.

هذا؛ والمساهلة في المعاملات من شيم الأنبياء بلا ريب، والصالحون يقتدون بهم، ومنه الحديث: «**كان رسول الله ﷺ شَريكي، فكانَ خيرَ شريكٍ، لا يُدَاري، ولا يُشَارِي، ولا يُمَارِي**».

تنبيه: في الآية الكريمة عرض ولي الأنثى ابنته على الرجل، وهذه سنة قائمة بين الناس، عرض صالح مدين ابنته على صالح بني إسرائيل، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر، وعثمان ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وعرضت الموهوبة نفسها على النبي ﷺ، فمن الحسن عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على الرجل الصالح، اقتداءً بالسلف الصالح.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى والد البنتين. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أُرِيدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿أَنۡ﴾: حرف ناصب. ﴿أُنكِحَكَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَنۡ﴾ والفاعل تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول، و﴿أَنۡ﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿إِحۡدَى﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿إِحۡدَى﴾: مضاف، و﴿ٱبۡنَتَيَّ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰتَيۡنِ﴾: الهاء: تنبيه. (تين): اسم إشارة صفة ﴿ٱبۡنَتَيَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه مثنى، وبعضهم يعتبره مبنياً على الياء؛ لأن أسماء الإشارة من المبنيات، وجملة: ﴿أُرِيدُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الإسمية ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَأۡجُرَنِي﴾: فعل مضارع منصوب، بـ: ﴿أَنۡ﴾ والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، ويا المتكلم مفعول به، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: تأجرني نفسك. ﴿ثَمَٰنِيَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، واعتبره الزمخشري مفعولاً ثانياً على تضمين ﴿تَأۡجُرَنِي﴾ تثيبني، وتقدير مضاف محذوف، التقدير: تثيبني رعي ثماني حجج، و﴿ثَمَٰنِيَ﴾ مضاف، و﴿حِجَجٖ﴾ مضاف إليه، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أو من المفعول وهو الكاف، التقدير: مشروطاً علي، أو عليك ذلك.

﴿فَإِنۡ﴾: الفاء: حرف استئناف، وتفريع. (إن): حرف شرط جازم، ﴿أَتۡمَمۡتَ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿عَشۡرٗا﴾: مفعول به، وهو على حذف مضاف، التقدير: أتممت رعي عشر سنين، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَمِنۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (من عندك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف أيضاً: التقدير: فالتمام من عندك تفضلاً،

لا من عندي إلزاماً عليك، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أُرِيدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿وَمَآ أُرِيدُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾: السين: حرف استقبال. (تجدني): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والمفعول محذوف للتعميم، والجملة الفعلية لا محل لها... إلخ، وجواب الشرط محذوف، التقدير: إن شاء الله ذلك؛ فإنك تجدني مثلك. ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الشرطية معترضة بينهما لا محل لها، وجملة: ﴿سَتَجِدُنِيٓ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أي: الذي قلته، وعاهدتني عليه قائم، وثابت بيننا، لا يخرج عنه واحد منا، لا أنا عما شرطت علي، ولا أنت عما شرطته على نفسك. ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ أي: أتممت أقصرهما، أو أطولهما. ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ أي: لا يتعدى علي بطلب الزيادة على الثمان، كما لا أطالب بالزيادة على العشر، أما الثمان فأنا ملزم بإتمامها. وقرئ بضم العين وكسرها، والأول أفصح. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شاهد، وحفيظ. هذا؛ وقرئ: (أيْمَا) بتخفيف الياء، ومثله قول الفرزدق في مدح نصر بن سيار أمير خراسان لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وهو الشاهد رقم [١٢٤] من كتابنا فتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب: [الطويل]

تَنَظَّرْتُ نَصْراً والسِّمَاكَيْنِ أَيْهُمَا عَلَيَّ مِنَ الْغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهْ

تنبيه: قيل: تم عقد النكاح والإجارة بما صدر من شعيب، وهو قوله ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ...﴾ إلخ ومن موسى، وهو قوله ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ...﴾ إلخ ولعل هذا كان في شرعهما، وإلا فهذه الصيغة لا تكفي عندنا في عقد النكاح؛ لأن الواقع من شعيب وعد بالإنكاح، والواقع من موسى ليس فيه مادة التزويج، ولا الإنكاح، وأيضاً الصداق ليس راجعاً للمنكوحة، بل لأبيها، وأيضاً لم يعين المنكوحة. وقيل: إنهما عقدا عقداً بغير الصورة المذكورة هنا منهما. انتهى. جمل. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بَيْنِي﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، التقدير: قائم، وثابت بيني وبينك، منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿وَبَيْنَكَ﴾: الواو: حرف عطف. (بينك): معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَيَّمَا﴾: اسم شرط مفعول به مقدم، و(ما): صلة، و(أيَّ) مضاف، و﴿ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ مضاف إليه مجرور. . .إلخ. هذا؛ وقيل: (ما) نكرة تامة بمعنى شيء، وهي المضاف إليه، و﴿ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ بدل منها. وبه قيل في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ الآية رقم [١٥٩] من سورة (آل عمران). ﴿قَضَيْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿عُدْوَٰنَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿عَلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر (لا)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿وَكِيلٌ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: على الذي، أو على شيء نقوله، وعلى اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ ﴿عَلَىٰ﴾، التقدير: على قولنا. ﴿وَكِيلٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً، إن كانت من كلام موسى، ومستأنفة إن كانت من قول شعيب، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾: وهو عشر سنين. عن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري؛ حتى أقدم على حبر العرب، فأسأله. فقدمت، فسألت ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: قضى أكثرهما، وأوفاهما؛ لأن النبي إذا قال؛ فعل.

وعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً إذا سُئِلْتَ: أَيَّ الأجلين قضى موسى؟ فقل: خَيْرَهُمَا، وأَبَرَّهُمَا. وإذا سُئِلتَ أي المرأتين تزوج فقل: الصغرى منهما، وهي التي جاءت

فقالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ فتزوج صغراهما، وقضى أوفاهما، وعن عيينة بن حصن ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَجَّرَ مُوسى نَفْسَهُ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وعِفَّةِ فَرْجِهِ**».

وروى شداد بن أوس مرفوعاً: بكى شعيب النبي ﷺ؛ حتى عمي، فرد الله عليه بصره، ثم بكى؛ حتى عمي، فرد الله عليه بصره، ثم بكى؛ حتى عمي، فرد الله عليه بصره، فقال الله له: ما هذا البكاء؟ أشوقاً إلى الجنة، أم خوفاً من النار؟ فقال: لا يا رب، ولكن شوقاً إلى لقائك، فأوحى الله إليه: إن يكن ذلك، فهنيئاً لك لقائي يا شعيب! لذلك أخدمتك كليمي موسى.

ولما تعاقدا العقد السابق بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، قيل: كانت من آس الجنة، حملها آدم معه، فتوارثها الأنبياء، وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته، فصارت من آدم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم؛ حتى وصلت إلى شعيب، فأعطاها موسى. وقيل: أمره شعيب أولاً أن يلقيها في البيت، ويأخذ غيرها، فدخل، وأخرج تلك العصا بعينها، وهكذا سبع مرات، كل مرة لا تقع بيده غير تلك، فعلم شعيب: أن له شأناً.

فلما أصبح قال له: سق الأغنام إلى مفرق الطريق، فخذ عن يمينك، وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك فإن بها عشباً كثيراً، وتنيناً كبيراً، فساق المواشي إلى مفرق الطريق، فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ضبطها، فنام موسى وخرج التنين، فقامت العصا، وصارت شعبتاها حديداً، وحاربت التنين حتى قتلته، وعادت إلى موسى، فلما انتبه رأى العصا مخضوبة بالدم، والتنين مقتولاً، فعاد إلى شعيب عشاء، وكان شعيب ضريراً فمس الأغنام، فإذا أثر الخضب باد عليها، فسأله عن القصة، فأخبره بها، ففرح شعيب.

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: بامرأته؛ لصلة رحمه، وزيارة أمه، وأبيه، وأخيه، وأقاربه مصطحباً الغنم التي أعطاه إياها شعيب كما رأيت في الآية رقم [٢٣] وكان قد استأذن شعيباً في العودة إلى مصر، فأذن له، فخرج من عنده قاصداً مصر، وفيه دليل على: أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء، لما له عليها من فضل القوامة وزيادة الدرجة، إلا أن يلتزم لها أمراً؛ فالمؤمنون عند شروطهم. ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾: انظر الآية رقم [٧] من سورة (النمل)، وانظر التعبير هناك بقوله تعالى: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: وفي (النمل): ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ و(الجذوة) بتثليث الجيم، وقرئ بهن: الجمرة الملتهبة، والجمع: جذاً بتثليث الجيم أيضاً، والجذوة: العود الغليظ كانت في رأسه نار، أو لم تكن، قاله الزمخشري، والأول قاله القرطبي، وهو الموافق لكتب اللغة، قال ابن مقبل: [البسيط]

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا ... جَزْلَ الجِذى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ

الخوار: الضعيف، وعود دعر: كثير الدخان، وقال آخر: [الطويل]

وَأَلْقَى عَلَى قَيْسٍ مِنَ النَّارِ جَذْوَةً شَدِيداً عَلَيْهَا حَرُّهَا وَالْتِهَابُهَا

فهي في هذا البيت مستعارة لشدة النِّكاية التي أذاقها قبيلة قيس. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: انظر الآية رقم [٧] من سورة (النمل). هذا؛ والنار: جوهر لطيف مضيء مُحرق، وهي من المؤنث المجازي وقد تذكَّر، وأصلها: نَوَر، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت أَلِفاً، وتصغيرها: نُوَيْرَة، والجمع: أَنْوُر، ونيران، ونيرة، قلبت الواو فيهما ياءً لانكسار ما قبلها. ويكنى بها عن جهنم التي سيعذب الله بها الكافرين، والفاسقين والمجرمين. والفعل: نار ينور، يستعمل لازماً، ومتعدياً؛ إذا بدئ بهمزة التعدية، كما في قولك: أنارت الشمس الكون.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٤]. ﴿قَضَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿مُوسَى﴾: فاعله مرفوع... إلخ. ﴿ٱلْأَجَلَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً. وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. (سار): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَى﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿بِأَهْلِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ءَانَسَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَى﴾. ﴿مِن جَانِبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿نَارًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة...» إلخ و﴿جَانِبِ﴾ مضاف، و﴿ٱلطُّورِ﴾ مضاف إليه. ﴿نَارًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ءَانَسَ﴾ جواب (لما)، لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وقبله كلام محذوف يدل عليه سياق الكلام.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَى﴾ أيضاً. ﴿لِأَهْلِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والمعنى: فلما آنس من جانب الطور ناراً؛ قال... إلخ. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿ءَانَسْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿نَارًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿لَّعَلِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿ءَاتِيكُم﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مِّنْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من (خبر). ﴿بِخَبَرٍ﴾: متعلقان به أيضاً، وهما في محل نصب مفعول به ثان، وجملة: ﴿ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ في محل رفع خبر: (لعلَّ)، وجملة: ﴿لَّعَلِّيٓ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل أيضاً. وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له؛ لأن الترجي إنشاء. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿جَذْوَةٍ﴾: معطوف على

ما قبله. ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿جَذْوَةٍ﴾، وجملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ بمنزلة البدل من سابقتها، وإعرابها غير خافٍ؛ إن شاء الله تعالى.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾: يعني: الشجرة، قُدِّم ضميرها عليها. ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ أي: من جانب الوادي الذي عن يمين موسى، وهو صريح قوله تعالى في سورة (مريم): ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ وإن الجبل، والوادي لا يمين لهما، ولا شمال كما هو معروف، والشجرة المذكورة كانت نابتة على الشاطئ، وشاطئ الوادي، وشطه: جانبه، والجمع شُطّان، وشواطئ ذكره القشيري، وقال الجوهري: ويقال: شاطئ الأودية، ولا يجمع. ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾: جعلها الله مباركة؛ لأن الله كلم موسى هناك، وبعثه نبياً، وقيل: يريد: البقعة المقدسة.

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي: من ناحية الشجرة. قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: كانت سَمُرة خضراء تبرق، وقيل: كانت عوسجة. وقيل: كانت من العليق. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنها العناب. وقيل: إن موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم: أنه لا يقدر على الجمع بين النار، وخضرة الشجرة إلا الله تعالى، فعلم بذلك أن المتكلم هو الله تعالى. وقيل: إن الله تعالى: خلق في نفس موسى علماً ضرورياً بأن المتكلم هو الله تعالى، وأن ذلك الكلام كلام الله تعالى. وقيل: إنه قيل لموسى: كيف عرفت أنه نداء الله تعالى؟ قال: إني سمعته بجميع أجزائي، فلما وجد حس السمع من جميع الأجزاء؛ علم بذلك: أنه لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى. انتهى. خازن.

قال المهدوي: كلم الله تعالى موسى من فوق عرشه، وأسمعه كلامه من الشجرة على ما شاء، ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالانتقال، والزوال، وشِبه ذلك من صفات المخلوقين. وقال أبو المعالي: وأهل المعاني، وأهل الحق، يقولون: مَن كلمه الله تعالى، وخصه بالرتبة العليا، والغاية القصوى، فيدرك كلامه القديم المتقدس عن مشابهة الحروف، والأصوات، والعبارات، والنغمات، وضروب اللغات، كما أن مَن خصه الله بمنازل الكرامات، وأكمل عليه نعمته، ورزقه رؤيته يرى الله منزهاً عن مماثلة الأجسام وأحكام الحوادث، ولا مثل له سبحانه في ذاته، وصفاته. انتهى. قرطبي.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وفي سورة (طه) قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ...﴾ إلخ، وفي سورة (النمل) ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ والمعنى واحد، واختلاف

الألفاظ لشحذ الأذهان، وله وقع جيد على الأسماع، وهو دليل واضح على بلاغة القرآن، الذي أخرس الفصحاء، وأسكت البلغاء، واعتبروا يا أولي الأبصار.

الإعراب: ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٤]. ﴿أَتَىٰهَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾ تقديره: «هو» و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿نُودِىَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿مِن شَٰطِيِٕ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من نائب الفاعل؛ أي: قريباً منه، أو كائناً فيه. و﴿شَٰطِيِٕ﴾ مضاف، و﴿ٱلْوَادِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل. ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾: صفة: ﴿ٱلْوَادِ﴾. ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿نُودِىَ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿شَٰطِيِٕ﴾. ﴿ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾: صفة ﴿ٱلْبُقْعَةِ﴾. ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: بدل من ﴿شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ﴾ بدل اشتمال، وجملة: ﴿نُودِىَ...﴾ إلخ جواب (لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وقبله كلام مقدر يقتضيه المقام.

﴿أَن﴾: مفسرة، وقيل: مصدرية، وقيل: مخففة من الثقيلة. وليسا بشيء؛ لعدم إفادتها المعنى المقصود. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (موسى): منادى مفرد علم مبني على ضم مقدر على الألف المقصورة في محل نصب بـ: (يا). ﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل في محل رفع توكيد لاسم (إنَّ) على المحل، أو هو ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر (إن). ﴿رَبُّ﴾: خبر ثان لـ: (إنَّ)، أوهو بدل من لفظ الجلالة، أو هو صفة له. و﴿رَبُّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وهو مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، ولفظ الجلالة خبره؛ فالجملة الاسمية تكون في محلِّ رفع خبر (إنَّ). هذا؛ والكلام: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ...﴾ إلخ لا محل له؛ لأنه مفسر لـ: ﴿نُودِىَ﴾، وقيل: هو على إضمار القول؛ أي: قل يا موسى: إني... إلخ، والمعتمد الأول. هذا؛ وقرئ بفتح همزة: (أني)، وعليه تؤول أن واسمها وخبرها بمصدر في محل نصب سد مسد مفعول لفعل محذوف، التقدير: اعلم: أني... إلخ، وهذه الجملة في محلها ما ذكرته سابقاً.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ﴾: في الآية حذف؛ إذ التقدير: وألق عصاك، فألقاها من يده، فصارت حية تهتز، كأنها جان، وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم، وقيل: إنها قلبت له حية

صغيرة، فلمَّا أنس منها، قلبت حية كبيرة. وقيل: انقلبت مرة حية صغيرة، ومرة حية تسعى، وهي الأنثى، وهو ما عبر عنها في سورة (طه) بقوله: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ ومرة ثعباناً، وهو الذكر الكبير من الحيات، وهو ما عبر عنها بقوله تعالى في سورة (الشعراء)، وفي سورة (الأعراف): ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾.

قال أحمد مُحَشِّي الكشاف: كما وصف الله الريح بأنها تكون أحياناً عاصفةً، وأحياناً رخاءً، وذلك لسليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ وصف عصا موسى تارة بأنها جان، وتارة بأنها ثعبان. والجان: الرقيق من الحيات، والثعبان: العظيم الجافي منها، ووجه ذلك: أنها جمعت بين الوصفين، فكانت في خفتها، وفي سرعة حركتها كالجان، وكانت في عظم خلقها كالثعبان، ففي كل واحد من الريح، والعصا على هذا التقرير معجزتان، والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: خائفاً على عادة البشر، هارباً من هول ما رأى. ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يرجع، ولم يلتفت لشدة خوفه، ورعبه؛ لأنه ظن: أن هذا الأمر أريد به. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾: ناداه ربه: يا موسى! لا تخف من الحية، وضررها. ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾: من المخاوف جميعها، فإنه لا يخاف لدي المرسلون. قال وهب ـ رحمه الله تعالى ـ: إنها لم تدع شجرة، ولا صخرة إلا بلعتها؛ حتى إن موسى سمع صرير أسنانها، وقعقعة الشجر، والصخر في جوفها، فحينئذ ولَّىٰ مدبراً ولم يعقب، فنودي عند ذلك: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ...﴾ إلخ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَنْ﴾: الواو: حرف عطف. (أن): مفسرة مثل سابقتها. ﴿أَلْقِ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿عَصَاكَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على قوله تعالى: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ...﴾ إلخ ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف. (لما): انظر الآية رقم [١٤]. ﴿رَءَاهَا﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى)، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً؛ لأنها ابتدائية، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿تَهْتَزُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى العصا، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، وجملة: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ في محل نصب حال من فاعل: ﴿تَهْتَزُّ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط، وهي حال متداخلة، أو هي حال ثانية من الضمير المنصوب. ﴿وَلَّىٰ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: (موسى) أيضاً. ﴿مُدْبِرًا﴾: حال منه، وهي حال مؤكدة لمعنى الفعل؛ لأنها من معناه، وإن اختلف اللفظ، وجملة: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على الكلام الذي رأيته في الشرح، أو هو مستأنف، لا محل له على الاعتبارين. ﴿وَلَمْ﴾:

الواو: حرف عطف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُعَقِّبْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) والفاعل يعود إلى (موسى) أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية من فاعل: ﴿وَلَّىٰ﴾، والرابط: الواو، والضمير.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: منادى مثل سابقه. ﴿أَقْبِلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَخَفْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لا)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ تعليل للنهي، لا محل لها، والكلام: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ...﴾ إلخ مستأنف، لا محل له. هذا؛ والآية مذكورة في سورة (النمل) برقم [١٠] مع فارقٍ بسيط.

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ...﴾ إلخ: وفي سورة (النمل): ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ...﴾ إلخ، وهما بمعنى واحد. وقيل: كانت عليه مدرعة صوف، لا كم لها، ولا أزرار، فأدخل يده في جيبها، وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل شعاع الشمس، أو البرق. والجيب طوق القميص، سمي جيباً؛ لأنه يجاب؛ أي: يقطع؛ ليدخل فيه الرأس. هذا؛ وفي سورة (طه) قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ...﴾ إلخ فيكون المراد بما هنا، وهناك أدخل يدك في جيبك، وأوصلها تحت العضد، وضمَّ عليها العضد وهو المعبر عنه بالجناح. وقوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ من غير عاهة، وقبح، كنى به عن البرص، كما كنى بالسوءة عن العورة؛ لأن الطباع تعافه، وتنفر منه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان ليده نور ساطع، يضيء بالليل، والنهار كضوء الشمس، والقمر، فكان يعشي البصر من شدته. ولا تنس: أن قوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ احتراس من أن يتوهم متوهم البرص، وغيره من الأمراض المشينة.

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾: المعنى: اضمم يدك إلى صدرك يذهب ما بك من خوف لأجل الحية، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كل خائف إذا وضع يده على صدره؛ زال خوفه. وقيل: معنى ضم الجناح: أن الله تعالى لما قلب العصا حية؛ فزع موسى، واتَّقاها بيده، كما يفعل الخائف من الشيء، فقيل له: إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء، فإذا ألقيتها، فكما تنقلب العصا حية؛ فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها، ثم أخرجها بيضاء؛ ليحصل

الأمران: اجتناب ما هو غضاضة عليك، وإظهار معجزة أخرى. والمراد بالجناح: اليد؛ لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى، فقد ضم جناحه إليه.

أو أريد بضم جناحه إليه: تجلده وضبط نفسه عند انقلاب العصا حية؛ حتى لا يضطرب، ولا يرهب استعارة من فعل الطائر؛ لأنه إذا خاف؛ نشر جناحيه، وأرخاهما، وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران. انتهى. نسفي. هذا؛ وضم الجناح كناية عن السكون، والرفق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ارفق بهم.

طرفة: يحكى عن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ: أن كاتباً كان يكتب بين يديه، فانفلتت منه فلتة ريح فخجل، وانكسر، فقام، وضرب بقلمه الأرض، فقال له عمر ـ رحمه الله تعالى ـ: خذ قلمك واضمم إليك جناحك، وليفرخ روعك، فإني ما سمعتها من أحد أكثر ممَّا سمعتها من نفسي. هذا؛ ومعنى: وليفرخ روعك: وليذهب روعك، وأفرخ الروع: انكشف وذهب.

هذا ويقرأ ﴿ٱلرَّهْبِ﴾ بفتحتين، وبضمتين وبضم فسكون، والمعنى واحد. ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ﴾: حجتان واضحتان، والمراد بهما: العصا، واليد. هذا؛ وقال الزمخشري: فإن قلت: لم سميت الحجة برهاناً؟ قلت: لبياضها، وإنارتها، من قولهم للمرأة البيضاء: برهرهة بتكرير العين واللام معاً. انتهى. ومثله تسميتهم الحجة سلطاناً من السليط، وهو الزيت؛ لإنارتها، وقرئ بتشديد نون (ذانك) والتخفيف أفصح، وانظر شرح بقية الآية في سورة (النمل) رقم [١٢] وإنما ذكَّر اسم الإشارة مع أن المشار إليه اليد، والعصا، وهما مؤنثان؛ لأن المبتدأ عين الخبر في المعنى، والبرهان مذكر.

الإعراب: ﴿ٱسْلُكْ﴾: فعل أمر معطوف بواو محذوفة على قوله: ﴿أَلْقِ﴾ بدليل قوله ﴿وَأَدْخِلْ﴾ في الآية رقم [١٢] من سورة (النمل)، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿يَدَكَ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فِي جَيْبِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿تَخْرُجْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه في جواب الأمر، والفاعل يعود إلى: ﴿يَدَكَ﴾. ﴿بَيْضَآءَ﴾: حال من الفاعل المستتر. ﴿مِنْ غَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أخرى من الفاعل المستتر، أو من الضمير المستتر في: ﴿بَيْضَآءَ﴾، أو بمحذوف صفة: ﴿بَيْضَآءَ﴾، و﴿غَيْرِ﴾ مضاف، و﴿سُوٓءٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿تَخْرُجْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط مقدر قبل ﴿ٱسْلُكْ﴾، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿وَٱضْمُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (اضمم): معطوف على ما قبله، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

هذا؛ وقال ابن هشام في مغنيه: في تعليق الجار والمجرور في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ الآية رقم [٢٦٠] من سورة (البقرة)، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٥] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. وهذا كله يتخرج إما على

التعلق بمحذوف، كما قيل في اللام في: سقياً لك. وإما على حذف مضاف، التقدير: واضمم إلى نفسك جناحك، وذلك لأنه لا يتعدى فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل إلا في باب: «ظَنَّ» وانظر ما ذكرته في الشاهد رقم [٢٥٧] من كتابنا فتح القريب المجيب؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿جَنَاحَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾: متعلقان بالفعل: (اضمم) وقال مكي وأبو البقاء: متعلقان بـ: ﴿وَلَّىٰ﴾، وقيل: بـ: ﴿مُدْبِرًا﴾، وقيل: بمحذوف، أي: يسكن من الرهب، وقيل: بـ: (اضمم). انتهى. ولعلك تدرك معي: أن التعليق بأقرب مذكور أولى. ﴿فَذَانِكَ﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (ذانك): اسم إشارة مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بالمثنى، وبعضهم يعتبره مبنياً على الألف؛ لأن أسماء الإشارة مبنية، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الألف... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على مضمون الكلام قبلها لا محل لها، وإن اعتبرتها مستأنفة، لا محل لها أيضاً. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (برهان)، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الكاف، التقدير: مرسلاً إلى فرعون. ﴿وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾: معطوف على: ﴿فِرْعَوْنَ﴾ مجرور مثله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [١٢] من سورة (النمل).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾: يعني القبطي الذي تقدم ذكره في الآية رقم [١٥]. ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ أي: به. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١].

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿قَتَلْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿نَفْسًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً، وجملة: ﴿قَتَلْتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿فَأَخَافُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أخاف): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَقْتُلُونِ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة ﴿فَأَخَافُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ رَبِّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أي: كلاماً، أو بياناً، وإنما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه، وذلك: أن موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام ـ قد رُبِّيَ في حجر فرعون، كما رأيت فيما سبق، فكان يلاعبه ذات يوم، فلطم موسى فرعون لطمة على وجهه، وأخذ بلحيته، فقال فرعون لامرأته آسية: إن هذا عدوي، وأراد قتله، فقالت له آسية ـ عليها السلام ـ: إنه صبي، لا يعقل، جربه إن شئت، فجاءت بطستين، في أحدهما جمر، وفي الآخر جوهر. وقيل: تمر، فوضعتهما بين يدي موسى، وفرعون ينظر، فأراد موسى أن يأخذ الجوهر، فأخذ جبريل عليه السلام يده، فوضعها على الجمر، فأخذ جمرة، فوضعها في فيه، فاحترق لسانه، وصارت فيه لكنةٌ، ولذا قال في سورة (طه): ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ وقال فرعون عنه في سورة (الزخرف): ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾. وهو حكاية قول الله عنهما.

﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: معيناً، مشتق من: أردأته، أي: أعنته، وأردأته: أفسدته، فهو من الأضداد. قال النحاس: وقد حكي: ردأته ردءاً. هذا؛ والردء: اسم لما يعان به، كما أنَّ الدفء اسم لما يدفأ به. قال سلامة بن جندل: [الوافر]

وَرِدْئِـي كُـلُّ أَبْـيَـضَ مَـشْـرِفِـيٍّ ... شَـحِـيـذِ الْـحَـدِّ، عَـضْـبٍ ذِي فُـلُـولِ

وقرئ (ردًا) على التخفيف، كما قرئ قوله تعالى ﴿ٱلْخَبْءَ﴾: (الْخَبَ). قال المهدوي: ويجوز أن يكون ترك الهمز من قولهم: أردى على المئة، أي: زاد عليها. وكأن المعنى: أرسله معي زيادة في تصديقي، قاله مسلم بن جندب، وأنشد قول الشاعر: [الطويل]

وَأَسْـمَـرَ خَـطِّـيَّـاً كَـأَنَّ كُـعُـوبَـهُ ... نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرْدَى ذِرَاعاً عَلَى الْعَشْرِ

فهو يصف رُمْحاً. والقسب: الصلب، والقسب: تمر يابس يتفتت في الفم، صلب النواة. ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾: يقرأ بالرفع، والجزم، والمراد بتصديق هارون له أن يخلص بلسانه الحق، ويبسط القول فيه، ويجادل به الكفار، كما يفعل الرجل الفصيح البليغ، لا المراد أن يقول له: صدقت، فإن هذا يستوي فيه البليغ، والبليد، والمنطيق، والعي، كما هو معروف. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾: إذا لم يكن لي وزير، ولا معين يدعمني، ويقوي حجتي.

الإعراب: ﴿وَأَخِي﴾: الواو: حرف استئناف. (أخي): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير في محل جر بالإضافة. ﴿هَـٰرُونُ﴾: بدل، منه، أو عطف بيان عليه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، لا محل له. ﴿أَفْصَحُ﴾: خبر المبتدأ. وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، و﴿أَفْصَحُ﴾ خبره؛ فالجملة

الاسمية تكون في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من تاء الفاعل؛ فالرابط: الواو، والضمير، ولكن الأول أقوى. ﴿مِنِّي﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَفْصَحُ﴾. ﴿لِسَانًا﴾: تمييز. ﴿فَأَرْسِلْهُ﴾: الفاء هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [١٦]. (أرسله): فعل دعاء، والفاعل تقديره: «أنت» والهاء مفعول به. ﴿مَعِيَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿رِدْءًا﴾: مفعول به ثان، وقيل: حال من الضمير المنصوب، والجملة الفعلية: ﴿فَأَرْسِلْهُ...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل يعود إلى ﴿هَٰرُونُ﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿رِدْءًا﴾، وقيل: في محل نصب حال من الضمير المنصوب، وعلى قراءته بالجزم يكون مجزوماً بجواب الدعاء، والجملة الفعلية لا محل لها. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ إعرابها مثل إعراب ما قبلها بلا فارق، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من قول موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله. ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي: سنقويك به، فإن قوة الشخص بقوة اليد على مزاولة الأمور؛ ولذلك يعبر عنه باليد، وشدتها بشدة العضد. هذا؛ وأصل العضد: العضو الذي هو المرفق إلى الكتف، ففي الكلام استعارة، وفيه قراءات ثمانية. هذا؛ والعضد تذكر، وتؤنث، وقال اللحياني: العضد مؤنثة لا غير، وهي العضو ما بين المرفق، والكتف، وجمعها: أعضاد، وأعضد، وتكون بمعنى الناصر، والمعين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾. وذلك على سبيل الاستعارة، قال أبو الشعر الهلالي من قصيدة له مستجادة: [البسيط]

كِلَا أَخِي وَخَلِيلِي وَاجِدي عَضُداً ... فِي النَّائِبَاتِ وَإِلْمَامِ الْمُلِمَّاتِ

وتكون بمعنى القوة، كما في الآية الكريمة، وقال طرفة بن العبد: [السريع]

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ ... إِلَّا يَداً لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

ويقال في دعاء الخير: شدَّ الله عضدَك، وفي ضده: فتَّ الله في عضدِك. ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾: غلبة، وتسلطاً، أو حجة واضحة. ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾: بالأذى من قتل، أو غيره، وقد استدل بهذه الآية على أن فرعون لم يقتل السحرة الذين آمنوا، ولم يسلط عليهم. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: المعنى: نمدكما بالمعجزات، ما تمتنعان به من أذاهم. ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أي: لكما،

ولأتباعكما الغلبة على فرعون، وقومه. هذا؛ وقد كان هارون في مصر، ولم يكن حاضراً في مجلس المناجاة، وإنما جمعهما في هذا الخطاب من باب تغليب الحاضر على الغائب. هذا؛ وذكر: أن الله في ذلك الوقت أرسل جبريل بالرسالة إلى هارون، وهو بمصر، فيكون الخطاب إليهما في وقت واحد، وهما في مكانين متباعدين. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى الله تعالى. ﴿سَنَشُدُّ﴾: السين: حرف استقبال. (نشد): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَضُدَكَ﴾: مفعول به. ﴿بِأَخِيكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَنَجْعَلُ﴾: الواو: حرف عطف. (نجعل): فعل مضارع، والفاعل تقديره: «نحن». ﴿لَكُمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿سُلْطَنًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَصِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَيْكُمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: يجوز فيهما أوجه: أن يتعلقا بـ: (نجعل)، أو بـ: ﴿يَصِلُونَ﴾، أو بمحذوف، تقديره: اذهبا بآياتنا. أو على البيان فيتعلقان بمحذوف أيضاً، أو بـ: ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ على أن (أل) ليست موصولة، أو موصولة، واتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما، أو هما قسم وجوابه متقدم عليه، وهو قوله: ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾ أو من لغو القسم. انتهى. سمين نقلاً عن الزمخشري. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿أَنتُمَا﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿وَمَنِ﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على ما قبله. ﴿ٱتَّبَعَكُمَا﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ أي: فرعون، وقومه. ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضحات، والمراد بها هنا: العصا، واليد؛ إذ هما اللتان أظهرهما الله على يد موسى إذ ذاك، والتعبير عنهما بصيغة الجمع؛ لأن في كل واحدة منهما آيات عديدة. ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ أي: قلب العصا حية،

وجعل اليد بيضاء كشعاع الشمس. ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ أي: سحر تعمله أنت، ثم تفتريه على الله. أو: هو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر، وليس بمعجزة من عند الله تعالى.

﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي: بالذي تدعونا إليه. ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وكلامهم هذا لا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك، وقد سمعوا، وعلموا بنحوه، أو يريدوا: أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته، أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى، ومجيئه بما جاء به. وهذا دليل على أنهم حُجوا، وبُهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم: هذا سحر، وبدعة لم يسمعوا بمثلها. وانظر ما حدث عند إلقاء العصا بين يدي فرعون، وانقلابها حية في الآية رقم [٤٥] من سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف. (لما): انظر الآية رقم [١٤]. ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ماض، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مُّوسَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: حال من (آياتنا) منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿جَآءَهُم...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿سِحْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّفْتَرًى﴾: صفة ﴿سِحْرٌ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الاسمية: ﴿مَا هَٰذَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿سَمِعْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهَٰذَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه مقحم بينهما، لا محل له. ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من اسم الإشارة، والعامل حرف التنبيه. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صفة: ﴿ءَابَآئِنَا﴾ مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، واعتبارها حالاً من واو الجماعة ليس بعيداً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: أي: قال موسى: ربي أعلم منكم بحال مَنْ أهّله الله للفلاح الأعظم؛ حيث جعله نبياً، وبعثه بالهدى، ووعده حسن العقبى، يعني: نفسه، ولو كان ساحراً مفترياً كما تزعمون؛

لما أهَّله الله لذلك؛ لأنه غني حكيم لا يرسل الكذابين، ولا ينبئ الساحرين، ولا يفلح عنده الظالمون، وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة لقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ والمراد بالدار: الدنيا، وعاقبتها: أن يختم للعبد بالرحمة، والرضوان، وتلقي الملائكة بالبشرى، والغفران. هذا؛ وقرئ الفعل: ﴿تَكُونُ﴾ بالتاء، والياء؛ لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي، وما كان منه يستوي فيه التذكير، والتأنيث، كما قرئ (قال) بواو وبدونه وكلاهما حسن، وجيد.

فقراءته بالواو وجهها: أنهم قالوا ذلك، وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين قولهم، وقوله، ويتبصر فساد أحدهما، وصحة الآخر، وبضدها تتبين الأشياء، وقراءته بدون الواو وجهها: أن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحراً مفترىً. هذا؛ وإعلال ﴿يُفْلِحُ﴾ مثل إعلال ﴿يُقِيمُونَ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (النمل)، وانظر التعبير عن الكافرين بالظالمين ونحوه في الآية رقم [٢٠٠] من سورة (الشعراء). والفلاح: نيل المرغوب، والفوز بالمطلوب.

هذا؛ والدار تطلق على الحياة الدنيا، كما تطلق على الآخرة، والدار هي منزل الإنسان ومسكنه الخاص به في الدنيا، وهي مؤنثة، وقد تذكر، أصلها: دَوَر بفتحتين، قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وجمعها: ديار، ودُور، وَأَدْؤُر، وَأَدْوُر، وَأَدْوِرَة، وَأَدْوار، وديارات، ودُورَات، ودُوران، ودِيران. وأصل ديار: دوار، قلبت الواو ياء؛ لأنها وقعت عيناً في جمع على وزن فعال، لمفرد اعتلت عينه بالقلب. هذا؛ والدار أيضاً: البلد، والقبيلة، ودار القرار: الآخرة، والداران: الدنيا والآخرة، ودار الحرب: بلاد العدو. هذا؛ وقد قال أبو حاتم: إن الديار: العساكر، والخيام، لا البنيان، والعمران، وإن الدار: البنيان، والعمران، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: في عساكرهم، وخيامهم ميتين. وقال جل شأنه: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: في مدينتهم المعمورة، ولو أراد غير ذلك؛ لجمع الدار، فعلم من كلامه: أن الديار مخصوصة بالخيام. انتهى. قال صاحب الخزانة: وهذه غفلة عن قول الشاعر، وهو مجنون ليلى (أُقبِّلُ ذَا الجِدارَ) وهو حائط البيت، وذلك في قوله: [الوافر]

أَمُرُّ عَلَى الدِّيارِ، دِيَارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذَا الْجِدَارَ، وَذَا الْجِدَارَا

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ... وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعله، ﴿رَبِّيٓ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿بِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، و(مَنْ)

تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها. ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مِنْ عِندِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (الهدى)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (مَنْ): معطوفة على (مَنْ) السابقة من غير إعادة الجار. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿تَكُونُ﴾ مقدم، و﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها مؤخر، وأجيز اعتبار اسمها ضمير القصة، و: ﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ﴾ جملة اسمية في محل نصب خبرها، وهذا على القراءتين. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿تَكُونُ﴾ تاماً وفاعله يعود إلى (مَنْ)، وجملة: ﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ﴾ في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الضمير المجرور باللام، و﴿عَٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلدَّارِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، الهاء اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُفْلِحُ﴾: فعل مضارع، ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: فاعله مرفوع. . .إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية فيها معنى التعليل، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ لا محل لها على القراءتين؛ لأنها بالواو معطوفة على جواب (لمَّا)، وبدون الواو مستأنفة.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ...﴾ إلخ: قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان بين قوله هذا؛ وبين قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أربعون سنة، وكذب عدو الله، بل علم: أن له رباً هو خالقه، وخالق قومه، ولذا نفى علمه بإله غيره دون وجوده؛ إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه، ولذلك أمر ببناء الصرح؛ ليصعد عليه، ويطلع على الحال.

﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ أي: اطبخ لي الآجر، وهو القرميد. قيل: إنه أول من اتخذ آجراً، وبنى به. ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ أي: قصراً عالياً. وقيل: منارة. وهذا بخلاف صرح سليمان الذي بنته له الجن في الآية رقم [٤٤] من سورة (النمل) فليتأمل.

هذا؛ و(غير) اسم شديد الإبهام، لا يتعرف بالإضافة لمعرفة، وغيرها، فلذا وصفت به النكرة في هذه الآية، وهو ملازم للإضافة، ويجوز أن يقطع عنها، إن فهم المعنى، وتقدمت كلمة ليس عليها، تقول: قبضت عشرة ليس غير. وهو مبني على الضم، أو على الفتح، خلاف.

قال أهل التفسير: لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح؛ جمع هامان العمال، والفعلة، حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء، سوى الأتباع، والأجراء، وطبخ الآجر، والجص، ونجر الخشب، وضرب المسامير، وأمر بالبناء، فبنوه، ورفعوه، وشيدوه، حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق، وأراد الله أن يفتنهم فيه، فلما فرغوا منه؛ ارتقى فرعون فوقه، وأخذ نشابة، ورمى بها نحو السماء، فردت إليه، وهي ملطخة بالدم، فقال: قد قتلت إله موسى، فعند مقالته هذه بعث الله جبريل فضرب الصرح بجناحه، فقطعه ثلاث قطع، فوقعت منه قطعة على عسكر فرعون، فقتلت منهم ألف ألف رجل، ووقعت قطعة منه في البحر، وقطعة في المغرب، فلم يبق أحد عمل شيئاً فيه إلا هلك.

﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أي: أصعد. ظن الخبيث: أن الله تعالى في مكان؛ أي في السموات، كما هو في مكان؛ أي: في الأرض. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي: موسى. . ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: في دعواه: أن له إلهاً، وأنه أرسله إلينا رسولاً. وقد ناقض نفسه اللَّعين، فإنه قال: ما علمت لكم من إله غيري، ثم أظهر حاجته إلى هامان اللَّعين أيضاً، وأثبت: أن لموسى إلهاً، وأخبر: أنه غير متيقن بكذبه، وكأنه خاف من عصا موسى، فلبَّس، وقال: لعلي أطلع إلى إله موسى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (قال): فعل ماض. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: فاعله، (يا): أداة نداء، تقوم مقام: أدعو، أو: أنادي. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ: (يا)، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلْمَلَأُ﴾: بعضهم يعرب هذا؛ وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل: أن الاسم الواقع بعد «أي» أو بعد اسم الإشارة، إن كان مشتقاً فهو نعت، وإن كان جامداً كما هنا، فهو بدل أو عطف بيان، والمتبوع؛ أعني: (أي) منصوب محلاً، فكذا التابع، أعني: ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ وأمثاله، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الإتباع اللفظية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿عَلِمْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿إِلَٰهٍ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿إِلَٰهٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، واكتفى بمفعول واحد؛ لأنه من المعرفة، لا من العلم. ﴿غَيْرِى﴾: صفة: ﴿إِلَٰهٍ﴾ على اللفظ، فهو مجرور، أو على المحل، فهو منصوب، والكسرة أو الفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿فَأَوْقِدْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (أوقد): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت».

﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿يَٰهَٰمَٰنُ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا). ﴿عَلَى ٱلطِّينِ﴾: متعلقان بالفعل (أوقد)، والجملة الندائية معترضة بين الفعل ومتعلقه، وجملة: (أوقد. . .) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط محذوف يقدر بـ: «إذا»، وجملة: ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَّعَلِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل مفيد للترجي، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أَطَّلِعُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: «أنا». ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ﴾: متعلقان به، و﴿إِلَٰهِ﴾ مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿أَطَّلِعُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية: ﴿لَّعَلِّيٓ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل، لا محل لها. ﴿وَإِنِّي﴾: الواو: واو الحال. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿لَأَظُنُّهُۥ﴾: اللام: هي المزحلقة. (أظنه): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والهاء مفعول به أول، ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، وجملة: ﴿لَأَظُنُّهُۥ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل: ﴿أَطَّلِعُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من قول فرعون، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها من الإعراب. تأمل، وتدبر وربك أعلم.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾: تعظم في نفسه، وأعرض عن الإيمان. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: إذ الاستكبار بالحق إنما هو في الحقيقة لله الواحد القهار، وهو المتكبر على الحقيقة، وهو الذي يليق بجلاله، وعظمته الكبرياء، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله جل وعلا: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعنِي وَاحِداً مِنْهما أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ**». رواه ابن ماجه، ورواه مسلم، وأبو داود بألفاظ مختلفة. ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: للحساب، والجزاء. هذا؛ ويقرأ الفعل بضم الياء من المتعدي، وبفتح الياء من اللازم؛ لأن رجع يكون متعدياً، ولازماً.

الإعراب: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: الواو: حرف عطف. (استكبر): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنُ﴾ تقديره: «هو». ﴿هُوَ﴾: توكيد للفاعل المستتر. ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (جنوده): معطوف على الفاعل المستتر، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِغَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: فرعون، وجنوده، و(غير) مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة (قال. . .) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾: الواو: حرف عطف. (ظنوا): فعل ماض مبني

على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، أو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (ظنَّ)، وجملة: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾: وكانوا ألفي ألف وستمئة ألف. ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي: طرحناهم في البحر. قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا الكلام الفخم الذي دل على عظمة شأنه، وكبرياء سلطانه، شبههم ـ استحقاراً لهم، واستقلالاً لعددهم، وإن كانوا الكثير الكثير، والجم الغفير ـ بحصيات أخذهن آخذ في كفه، فطرحن في البحر، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ وقوله جلت قدرته: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾. وما هي إلا تصويرات، وتمثيلات لاقتداره، وأن كل مقدور ـ وإن عظم وجل ـ فهو مستصغر إلى جنب قدرته. انتهى. وانظر الكلام على (نا) في الآية رقم [٧] من سورة (الشعراء)، وانظر كيف كان هلاك فرعون في الآية رقم [٩٠] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ولكل من يتأتى منه النظر، نظر تبصر، واعتبار، فيعتبر العاقل، وينزجر بذلك الاعتبار عن الأفعال القبيحة، والأعمال الخبيثة. وعاقبة كل شيء: نتيجته، وآخره، ولم يؤنث الفعل: ﴿كَانَ﴾؛ لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي، وما كان منه يستوي فيه التذكير والتأنيث، أو لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اكتسب التذكير من المضاف إليه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (أخذناه): فعل ماض، وفاعل، ومفعول به. ﴿وَجُنُودَهُۥ﴾: معطوف على الضمير المنصوب، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لهما على الاعتبارين بالفاء. ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: هي الفصيحة. والأول أقوى. (انظر): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت» وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، ﴿كَيْفَ كَانَ﴾: في ﴿كَانَ﴾ وجهان: أحدهما: أنها ناقصة، و﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها، و﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام مبني على الفتح في محل

نصب خبرها تقدم عليها، وعلى اسمها. والثاني: أنها تامة و﴿عَٰقِبَةُ﴾ فاعلها، و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال من: ﴿عَٰقِبَةُ﴾، تقدمت على صاحبها وعاملها، و﴿عَٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، وجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب سدَّت مسد مفعول (انظر) وجملة: ﴿فَٱنظُرْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معترضة بين المتعاطفتين.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: قادة، وزعماء يقتدى بهم في الضلال، وبالحمل على الإضلال، كما جعلنا الأنبياء، والمرسلين ودعاة الخير أئمة يدعون إلى الطاعات، وفعل الصالحات. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾ إلخ رقم [٧٣] من سورة (الأنبياء) ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: يدعون إلى الكفر، والمعاصي؛ التي تسبب دخول النار؛ لأن من أطاعهم؛ ضلَّ، ودخل النار معهم.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: لا يمنعون من العذاب، ولا يجدون من يدفعه عنهم، بخلاف الأئمة الداعين إلى الخير، فإنهم منصورون في الدارين. ويجوز أن يكون المعنى خذلناهم؛ حتى كانوا أئمة الكفر. ومعنى الخذلان: منع الألطاف، وإنما يمنعها الله من علم: أنها لا تنفع فيه، وهو المصمم على الكفر؛ الذي لا تغني عنه الآيات، والنذر، ومجراه مجرى الكناية؛ لأن منع الألطاف يردف التصميم، والغرض بذكره التصميم نفسه، فكأنه قيل: صمموا على الكفر، حتى كانوا أئمة فيه، دعاة إليه، وإلى سوء عاقبته. وخذ ما يلي:

عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان الناسُ يسألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخير، وَكُنْتُ أسأله عن الشرِّ مخافَةَ أن يُدْركني، فقلت: يا رسولَ اللهِ! إنَّا كنَّا في جاهليةٍ وشرٍّ فَجاءَنَا الله بهذا الخيرِ، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «**نَعَمْ**». قُلْتُ: وَهلْ بعد ذلك الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَنٌ**». قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قال: «**قومٌ يَهْدُون بغيْرِ هَدْيي، تعرفُ منهم وتُنْكِرُ**». فقُلْتُ: فهل بعد ذلك الخير مِنْ شرٍّ؟ قال: «**نعمْ دُعاةٌ على أبوابِ جهَنَّم، مَنْ أَجابَهُمْ إليها قذفوه فِيهَا**». قُلْتُ: يا رسول الله! صِفهمْ لنَا! قال: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، ويتكلمون بأَلْسِنَتِنَا**» قُلْتُ: فما تأمرني إنْ أدركني ذلك؟ قال: «**تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهُمْ**». قُلْتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَماعةٌ، وَلَا إمامٌ؟ قَالَ: «**فاعْتَزِلْ تلكَ الفرقَ كُلَّهَا؛ وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**». أخرجه البخاري.

الإعراب: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَئِمَّةً﴾: مفعول به ثان. ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والمفعول

محذوف للتعميم، وجملة: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ في محل نصب صفة: ﴿أَئِمَّةً﴾. ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يوم): ظرف زمان متعلق بما بعده، و(يوم) مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُنصَرُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها.

﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: خزياً، وبعداً، وطرداً من رحمة الله. أو المراد: لعن اللاعنين لهم كلما ذكروا يلعنهم الملائكة، والمؤمنون. ومثله قوله تعالى في سورة (هود) في حقهم: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المبعدين، المطرودين، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من المشوهين الخلقة بسواد الوجوه، وزرقة العيون. وقال أبو عمرو: قَبَحت وَجْهُهُ بالتخفيف معناه: قَبَّحت، قال الشاعر: [الطويل]

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الْبَرَاجِمَ كُلَّهَا وَقَبَّحَ يَرْبُوعاً، وَقَبَّحَ دَارِمَا

الإعراب: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (أتبعناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿فِي هَٰذِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿لَعْنَةً﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». والهاء حرف تنبيه، لا محل له. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لَعْنَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يوم): فيه أوجه: أحدها أن يتعلق بـ: ﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾، على أن (أل) ليست موصولة، أو هي موصولة، واتسع فيه على القاعدة: «يتسع في الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما» والثاني: أن يتعلق بمحذوف يفسره: ﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾. كأنه قيل: وقبحوا يوم القيامة، على مثال ما رأيت في الآية رقم [١٦٨] من سورة (الشعراء). الثالث: أن الظرف معطوف على محل: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيكون التقدير: وأتبعناهم لعنة يوم القيامة. وهو ما في مغني اللبيب، وهو قول الفارسي. والرابع: أنه معطوف على ﴿لَعْنَةً﴾ على حذف الموصوف؛ أي: ولعنة كائنة يوم القيامة. والوجه الثاني أظهرها، وأقواها. وقد مر معنا كثير مثله، و(يوم) مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، أو معطوفة على ما قبلها، أو هي في محل نصب حال من الضمير المنصوب وذلك على حسب تعليق الظرف. تأمل.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة، وهو أول كتاب نزلت فيه الفرائض، والحدود، والأحكام. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب. وقيل: أي: من بعد إهلاك فرعون، وقومه. قال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال النبي ﷺ: «**مَا أَهْلَكَ اللهُ قَوْماً، وَلَا قَرْناً، وَلَا أُمَّةً، وَلَا أَهْلَ قَرْيَةٍ بِعَذَابٍ مِنَ السَّماءِ، وَلَا مِنَ الأَرْضِ مُنْذُ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسى غَيْرَ القَرْيَةِ الَّتي مُسِخَتْ قِرَدَةً، أَلَمْ تَرَ إلى قوله**: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ...﴾ **إلخ**».

قال الجمل نقلاً من أبي السعود: ـ رحمهما الله تعالى ـ: التعرض لكون إيتاء التوراة بعد إهلاك الأمم الماضية، للإشعار بمسيس الحاجة الداعية إليها؛ تمهيداً إلى إنزال القرآن على رسول الله ﷺ؛ فإن إهلاك القرون الأولى من موجبات اندراس معالم الشرائع، وانطماس آثارها، وأحكامها المؤدِّيَيْنِ إلى اختلال نظام العالم، المستدْعِيَيْنِ للتشريع الجديد، بتقرير الأصول الباقية على مر الدهور، وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور، وتذكير أحوال الأمم الخالية الموجبة، كأنه قيل: ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة إليها. وقوله: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أنواراً لقلوبهم، تبصر بها الحقائق، وتميز بين الحق والباطل، بعد أن كانت عمياً عن الفهم والإدراك بالكلِّية، فالبصيرة نور القلب الذي يستبصر به، كما أنَّ البصر نور العين الذي به تبصر. انتهى. هذا؛ وبصائر جمع: بصيرة، وهي: العقل، والفطنة، والعبرة، والشاهد، والحجة. يقال: جوارحه بصيرة عليه، أي: شهود، وفراسة ذات بصيرة، أي: صادقة.

هذا؛ وقد قال الله تعالى في حق القرآن الكريم: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الآية رقم [٢٠٣] من سورة (الأعراف)، وقال أيضاً جل ذكره: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٠٤] من سورة (الأنعام). ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: رشد، وبيان، وهداية من الضلال، ونعمة شاملة لمن قرأ التوراة، وانتفع بها. هذا؛ والترجي في هذه الآية، وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى، لا يحصل منه ترج ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مُوسَى﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾. ﴿مَآ﴾:

مصدرية. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلْقُرُونَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: صفة له منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿مَآ﴾ والفعل: ﴿أَهْلَكْنَا﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة (بعد) إليه، والتقدير: من بعد إهلاكنا القرون الأولى. ﴿بَصَآئِرَ﴾: حال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾. وقال أبو البقاء: مفعول لأجله. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ ﴿بَصَآئِرَ﴾. (هدى): معطوف عليه منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، (رحمة): معطوف على ما قبله، وحذف متعلقهما لدلالة ما قبله عليه؛ إذ التقدير: هدى للناس، ورحمة للناس. ﴿لَّعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه، وجملة: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل لا محل لها، وجملة (لقد آتينا...) إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. وانظر الآية رقم [٢٣] من سورة (السجدة)، ففيها فضل بيان.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾: يريد الوادي، أو الطور، الذي خاطب موسى بجانبه، فإنه كان في الجهة الغربية من مقام موسى، أو: الجانب الغربي منه، ولكن حول عن ذلك، وجعل صفة لمحذوف، التقدير: بجانب المكان الغربي، والخطاب لسيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ، أي: ما كنت حاضراً. ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي: وقت كلفناه أمرنا، ونهينا، وألزمناه عهدنا. ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: الحاضرين ذلك المقام؛ الذي أوحينا إلى موسى فيه، فتعرفه من ذات نفسك.

وهذا شروع في بيان: أن إنزال القرآن واقع في زمان شدة الحاجة إليه ببيان: أن الوقوف على هذه الأحوال لم يحصل لك بالمشاهدة، أو بالتعلم ممن شاهدها، فوجب أن يكون بوحي من الله تعالى. انتهى. جمل. نقلاً من أبي السعود. والمراد من الآية: الدلالة على أن إخباره عن ذلك إنما هو من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تُعرف إلا بالوحي.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بِجَانِبِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر (كان) و(جانب) مضاف، و﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ مضاف إليه، وهو على حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، كما رأيت في الشرح. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بما تعلق به ﴿بِجَانِبِ﴾. ﴿قَضَيْنَآ﴾: فعل ماض، وفاعله. ﴿إِلَىٰ مُوسَى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلْأَمْرَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿قَضَيْنَآ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة: ﴿وَمَا كُنتَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا﴾: خلقنا. ﴿قُرُونٗا﴾: أجيالاً من البشر من بعد موسى، عليه السلام. ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾ والمعنى: ولكنا أوحينا إليك هذا القرآن؛ لأنا خلقنا أجيالاً مختلفة بعد موسى، فتطاولت عليهم الأعوام، والسنون، فحرفوا الأخبار، وغيروا الشرائع، وبدلوا الأحكام، ونسوا عهد الله، وتركوا أوامره، فهو كقوله تعالى عنهم في سورة (الحديد): ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾. ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا﴾: مقيماً. ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾: قوم شعيب الذين أقام فيهم موسى مدة عشر سنين.

﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: تذكر أهل مكة بالوعد، والوعيد. والمعنى: ما كنت مقيماً في أهل مدين وقت تلاوتك على أهل مكة خبرهم، وقصتهم مع موسى، ومع شعيب حتى تنقلها إليهم بطريق العيان والمشافهة، وإنما أتتك بطريق الوحي الإلهي، وهذا أحد احتمالين في الضمير، والمعنى عليه واضح كما عرفت، وأكثر المفسِّرين على أن الضمير لأهل مدين، والمراد بتلاوته عليهم القراءة عليهم بطريق التعلم منهم. انتهى. جمل. ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ إياك رسولاً، وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار، تتلوها عليهم، ولولا ذلك؛ ما علمتها، ولم تخبرهم بها.

هذا؛ وأصل «كُنْتَ»: «كَوَنْتَ» فقل في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: «كَانْتَ» فالتقى ساكنان: الألف وسكون النون، فحذفت الألف، فصار: «كَنْتَ» بفتح الكاف، ثم أبدلت الفتحة ضمة لتدل على الواو المحذوفة، فصار «كُنْتَ». وهناك إعلال آخر: وهو أن تقول: أصل الفعل: كَوَنَ، فلما اتصل به ضمير رفع متحرك؛ نقل إلى باب فعل، فصار: (كَوُنْتَ) ثم نقلت حركة الواو إلى الكاف قبلها، فصار (كُوْنْتَ) فالتقى ساكنان: العين المعتلة ولام الفعل، فحذفت العين، وهي الواو لالتقائها ساكنة مع النون، فصار: (كُنْتَ) وهكذا قل في إعلال كل فعل أجوف واوي أسند إلى ضمير رفع متحرك، مثل: قام، وقال، ونحوهما.

الإعراب: ﴿وَلَٰكِنَّآ﴾: الواو: حرف عطف. (لكنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها؛ إذا الأصل لكننا، فحذفت النون، وبقيت الألف دليلاً عليها، على مثال إنَّا وأنَّا. ﴿أَنشَأۡنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿قُرُونٗا﴾: مفعول به. ﴿فَتَطَاوَلَ﴾: الفاء: حرف عطف. (تطاول): فعل ماض. ﴿عَلَيۡهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿ٱلۡعُمُرُۚ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾ فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على

السكون، والتاء اسمها. ﴿ثَاوِيًا﴾: خبرها، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على مثلها في الآية السابقة لا محل لها مثلها، وعليه فالجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّآ...﴾ إلخ معترضة بين المتعاطفتين. ﴿فِىٓ أَهْلِ﴾: متعلقان بـ ﴿ثَاوِيًا﴾، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف، و﴿مَدْيَنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿تَتْلُواْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان به. ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَتْلُواْ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ثان لـ: ﴿كُنتَ﴾، أو في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿ثَاوِيًا﴾. ﴿وَلَٰكِنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (لكنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿مُرْسِلِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ...﴾ إلخ: أي: كما لم تحضر جانب المكان الغربي؛ إذ أرسل الله موسى إلى فرعون، فكذلك لم تحضر جانب الطور إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين. انتهى. قرطبي. هذا؛ وعكس الزمخشري الأمر، وتبعه البيضاوي حيث جعلا الأول، وهو ما تضمنته الآية رقم [٤٤] المناجاة مع السبعين؛ لأخذ التوراة؛ التي وعد الله بها موسى بني إسرائيل، وجعلا ما في هذه الآية المناجاة في طريق عودة موسى من مدين إلى مصر، وكانت هذه المناجاة هي أول مَنْحِهِ الرسالة إلى فرعون، وقومه. وعاد البيضاوي، فاستدرك بقوله: لعل المراد به وقت إعطائه التوراة، وبالأول حيثما استنبأه؛ لأنهما المذكوران في القصة. انتهى. وينبغي أن تعلم: أن بين الإرسال، وإيتاء التوراة نحواً من ثلاثين سنة.

قال سليمان الجمل نقلاً من أبي السعود: من المعلوم: أن واقعة مدين كانت قبل واقعتي الطور، فمقتضى الترتيب الوقوعي أن تقدم عليهما، وإنما توسطت بينهما للتنبيه على أن كلاًّ منهما برهان مستقل على أن إخباره ﷺ عن هذه القصص بطريق الوحي الإلهي، ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم: أن الكل دليل واحد على ما ذكر انتهى. هذا؛ وانظر المناجاة لأخذ التوراة في الآية رقم [١٥٤] من سورة (الأعراف).

هذا؛ وقال الخازن: اعلم: أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله ﷺ فجمع بين هذه الأحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى، فأراد بقوله: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ هو إنزال التوراة عليه؛ حتى تكامل دينه، واستقر شرعه، والمراد بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ أول أمر موسى، والمراد بقوله: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ ليلة المناجاة، فهذه أعظم أحوال موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام. ولما بينها لرسوله، ولم يكن في هذه الأحوال حاضراً؛ بين الله: أنه بعثه، وعرفه هذه الأحوال الدالة على نبوته ﷺ ومعجزته، وكأنه قال: في إخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور، ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك.

هذا؛ وروى عمرو بن دينار يرفعه، قال: «نُودِيَ يا محمدُ! أَجَبْتُكُمْ قبل أن تدعوني، وأعطيْتكُمْ قبل أَنْ تسألوني». فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾. وفي رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن الله تعالى قال: «يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، ورحمتكم قبل أن تسترحموني».

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: رحمناك رحمة بإرسالك، والوحي إليك، وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: المراد بـ ﴿قَوْمًا﴾ أهل مكة، فلم يأتهم رسول في الفترة الواقعة بين محمد، وعيسى عليهما الصلاة، والسلام، وهي خمسمئةٍ وخمسون سنة، أو بين محمد، وإسماعيل، عليهما الصلاة، والسلام، على أن دعوة موسى، وعيسى ـ على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام ـ كانت مختصة ببني إسرائيل، وما حواليهم.

تنبيه: لعلك تدرك معي أيها القارئ الكريم: أن ما ذكر في هذه الآيات إنما هو من تذكير الله لنبيه ﷺ بما أنعم عليه، وإنك لتجد الكثير من هذا في آيات القرآن مثل سورة (الضحى) وغيرها، وهذا يسمى بالمنِّ على الْمُنْعَم عليه. هذا؛ وقد بين الله في آية البقرة رقم [٢٦٢] أن المنَّ على من أنعمت عليه مذموم، وهو يحبط الثواب، بل ويوجب المقت، والسخط. والجواب عن ذلك: أن الفرق بعيد بين مَنِّ اللهِ على عباده، وبين مَنِّ الْعَبْدِ على العبد، فمنُّ اللهِ على العبدِ يزيده شكراً له تعالى، كما يزيده طاعة له، ورغبة في عبادته. وأيضاً: فالله هو المالك حقيقة بما ينعم به على العبد، ويمنُّ به عليه، وأما العبد فإنه غير مالك بما ينعم على الحقيقة، وإنما هو وكيل على هذه النعم، والمالك على الحقيقة إنما هو الله تعالى. وأيضاً: مَنُّ العبد على العبد يورثه ذلةً وانكساراً.

الإعراب: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ﴾ انظر الآية رقم [٤٤] فالإعراب واحد. ﴿نَادَيْنَا﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، التقدير: نادينا موسى، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل، لا عمل له. ﴿رَّحْمَةً﴾: قال الأخفش: مفعول مطلق عامله محذوف، التقدير: ولكن رحمناك رحمة. وقال الزجاج: مفعول لأجله، التقدير: ولكن كان ذلك رحمة. وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، التقدير: ولكن هي رحمةٌ. والجملة على جميع الأوجه معطوفة على ما قبلها. ﴿مِّن

﴿رَّبِّكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿رَّحۡمَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لِتُنذِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل الذي رأيت تقديره على جميع الأوجه التي رأيتها، ومتعلقان بـ: ﴿رَّحۡمَةً﴾ على التقدير الأخير. ﴿قَوۡمًا﴾: مفعول به. ﴿مَّآ﴾: نافية. ﴿أَتَىٰهُم﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّذِيرٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿قَوۡمًا...﴾. ﴿مِّن قَبۡلِكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿نَّذِيرٍ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: انظر مثلها في الآية رقم [٤٣] إعراباً، ومحلاً.

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ﴾: عقوبة، ونقمة. ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾: من الكفر، والظلم، والمعاصي. ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي؛ نسبت الأعمال كلها إلى الأيدي، وإن كانت من أعمال القلوب، والأرجل، والعيون، والآذان تغليباً للأكثر على الأقل. ﴿فَيَقُولُواْ﴾: عند معاينة العذاب. ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ...﴾ إلخ: أي هلا أرسلت إلينا يا ربنا رسولاً يدعونا إلى الإيمان، ويبين لنا ما يجب علينا من عبادتك، وتقديسك، وتعظيمك. ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ أي: التي جاء بها الرسول محمد ﷺ. ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: من المصدقين له، وبما جاء به.

قال النسفي: والمعنى: لولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك، والمعاصي: هلا أرسلت إلينا رسولاً محتجين علينا بذلك؛ لما أرسلنا إليهم، يعني أن إرسال الرسول إليهم، إنما هو ليلزموا الحجة، ولا يلزموها، كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾.

فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى؟ وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال، لا القول؛ لدخول ﴿لَوۡلَآ﴾ الامتناعية عليها دونه!.

قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً للإرسال، ولكن العقوبة لما كانت سبباً للقول وكان وجوده بوجودها؛ جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال، فأدخلت عليها ﴿لَوۡلَآ﴾، وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السببية، ويؤول معناه إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة؛ لما أرسلنا إليهم رسولاً. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣٤] من سورة (طه)، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَلَوْلَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تُصِيبَهُم﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مُّصِيبَةٌۢ﴾: فاعل، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: ولولا إصابتهم مصيبة موجودة. وقال الجلال: لولا الإصابة المسبب عنها قولهم، أو: لولا قولهم المسبب عنها؛ لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿قَدَّمَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء قدمته أيديهم. ﴿فَيَقُولُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (يقولوا): فعل مضارع معطوف على (تصيبهم) منصوب مثله، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أَرْسَلْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به. ﴿فَنَتَّبِعَ﴾: الفاء: للسببية. (نتبع): فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد الفاء، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ءَايَٰتِكَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والكاف في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: هلا حصل إرسال رسول منك إلينا فاتّباعٌ منا لآياتك. ﴿وَنَكُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (نكون): فعل مضارع ناقص معطوف على نتبع، فهو منصوب مثله، واسمه مستتر تقديره: «نحن». ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (نكون) والكلام: ﴿رَبَّنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف، قدره النسفي كما رأيت في الشرح: لما أرسلنا إليهم، وقدره القرطبي: لعاجلناهم بالعقوبة، وهو تقدير الجلال أيضاً، وعطف عليه قوله: ولما أرسلناك إليهم رسولاً، وهو ما رأيته آنفاً.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ﴾ أي: أهل مكة. ﴿ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: المراد به: محمد ﷺ المؤيد بالمعجزات، وأطلق عليه اسم: ﴿ٱلْحَقُّ﴾؛ لأنه مرسل بالحق، والصدق، أو المراد به: القرآن

الكريم، الناطق بالحق، والصدق. ﴿قَالُواْ﴾ أي: كفار قريش. ﴿لَوْلَآ﴾: هلا. ﴿أُوتِيَ﴾: أعطي من المعجزات. ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ أي: من المعجزات، مثل: العصا، واليد، وإنزال القرآن دفعة واحدة، كما أنزلت التوراة على موسى، فجاؤوا بالاقتراحات المبنية على التعنت، والعناد، كما قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ وما أشبه ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: أبناء جنسهم، ومَنْ مذهبهم مذهبهم، وعنادهم عنادهم، وهم الكفرة في زمن موسى من قبل محمد ونزول القرآن عليه. قيل: إن يهود المدينة أرسلوا إلى قريش أن يسألوا محمداً ﷺ مثل ما أوتي موسى من المعجزات، فقال الله تعالى: أولم يكفر اليهود بما أوتي موسى، وأول كفرهم قولهم: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، وثاني كفرهم اتخاذهم العجل إلهاً، وثالث، ورابع... إلخ، ومِنْ كفرهم قتلهم زكريا، ويحيى، وغيرهما من الأنبياء.

﴿قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ أي: تعاونا وقوّى بعضهما بعضاً. قال الكلبي: بعثت قريش إلى اليهود يسألونهم عن بعث محمد، وشأنه، فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته، وصفته كذا، وكذا، فلما رجع الجواب إليهم، وتحققوا الصفات التي اقترحها اليهود موجودة في النبي ﷺ؛ ﴿قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾. هذا؛ وقرئ: (ساحران تظاهرا) فيكون المراد: محمداً، وموسى عليهما الصلاة والسلام. وقيل: هو من قول اليهود، فيكون المراد: موسى، وهارون. وقيل: بل المراد عيسى، ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وهذا قول اليهود إلى اليوم وإلى يوم القيامة، وبه قال قتادة. ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ أي: بالتوراة، والقرآن، أو بمحمد، وموسى، فيكون من قول كفار قريش، أو بموسى وهارون، أو بعيسى، ومحمد، عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، فيكون من قول اليهود اللؤماء على نحو ما قبله. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٤]. ﴿جَآءَهُمُ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿مِنْ عِندِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْحَقُّ﴾. ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أُوتِيَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، تقديره: «هو»، يعود إلى محمد ﷺ وهو المفعول الأول. ﴿مِثْلَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿أُوتِيَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والمفعول الثاني محذوف. ﴿مُوسَىٰٓ﴾: نائب فاعل، وهو المفعول الأول، والجملة الفعلية صلة ﴿مَآ﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: لولا أوتي محمد مثل الذي، أو: شيء أوتيه موسى، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (لمّا)، و(لمّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكْفُرُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وإعراب: (ما أوتي موسى) مثل ما قبله بلا فارق. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿أُوتِيَ﴾ وعلقهما الزمخشري بالفعل: (لم يكفروا)، أقول: وهذا الاختلاف تابع للمعنى. تأمل. وبُنِي ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، وجملة: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا...﴾ إلخ معطوفة على محذوف، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. (قالوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿سِحْرَانِ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هما سحران، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿سِحْرَانِ﴾. وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالُوا﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمه وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿بِكُلٍّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿كَافِرُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩)﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿فَأْتُوا﴾: أمر لكفار قريش. ﴿بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: فيه تبيين الحلال، والحرام، وغيرهما من الأحكام. ﴿هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ أي: من التوراة، والقرآن. ﴿أَتَّبِعْهُ﴾ أي: أتبع الكتاب الذي تأتون به. وهذا تنبيه على عجزهم عن الإتيان بمثله، وكيف يأتون بكتاب مثل القرآن، فضلاً عن الإتيان بأهدى منه، وقد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٨] من سورة (يونس)، ومثلها الآية رقم [٢٣] من سورة (البقرة). ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إنهما سحران تظاهرا؛ فائتوا، وانظر شرح ﴿ائْتِ﴾ في الآية رقم [١٠٠] من سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فَأْتُوا﴾: الفاء: حرف صلة، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: إذا كان ما ادعيتموه صحيحاً وواقعاً؛ ﴿فَأْتُوا﴾. (ائتوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِكِتَابٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْ عِندِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (كتاب). و﴿عِندِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿فَأْتُوا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَهْدَىٰ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل جر صفة

ثانية لـ: (كتاب)، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿مِنْهُمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَهْدَىٰ﴾ والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿أَتَّبِعْهُ﴾: مجزوم بجواب الأمر. وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، تقديره: إن تأتوا بكتاب؛ أتبعه، وقال الفراء: برفعه على أن الجملة صفة لكتاب أيضاً، ولم يذكر: أن أحداً قرأ برفعه، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. وجواب الشرط محذوف، انظر تقديره في الشرح. والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾ أي: إن لم يفعلوا ما كلفتهم به من الإتيان بكتاب هو أهدى منهما. وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟...﴾ إلخ الآية رقم [٢٤] من سورة (البقرة). هذا؛ وقد تعدى الفعل باللام، وقد عدي بنفسه في قول كعب بن سعد الغنوي في رثاء أخيه: [الطويل]

وَدَاعٍ دَعَـا يَـا مَـنْ يُـجِـيـبُ إِلَـى الـنَّـدى فَـلَـمْ يَـسْـتَـجِـبْـهُ عِـنْـدَ ذَاكَ مُـجِـيـبُ

والفرق بين الآية والبيت أن هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه، وإلى الداعي باللام، ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداعي في الغالب فيقال: استجاب الله دعاءه أو: استجاب له، ولا يكاد يقال: استجاب له دعاءه. وأما البيت؛ فمعناه: لم يستجب دعاءه؛ على حذف المضاف. هذا؛ والسين والتاء زائدتان؛ لأن استجاب بمعنى: أجاب.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾: يعني: أن ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه، وإنما آثروا اتباع ما هم عليه من الهوى، وما يستحسنونه، ويحببه لهم الشيطان. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: لا أحد أضل عن طريق الحق والصواب. ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بغير توفيق من الله إلى طريق الرشاد، والفلاح. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وارتكاب المعاصي. بمعنى لا يرشدهم إلى الإيمان، ولا يوفقهم للعمل به. وهذا يرجع إلى علمه الأزلي بأنهم لو تُركوا وشأنهم؛ لما اختاروا غير ما هم عليه من الكفر، والضلال.

فائدة: قال مكي ـ رحمه الله تعالى ـ في مثل هذا التركيب: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾: دخلت (إن) على: ﴿لَّمْ﴾ ليرتد الفعل إلى أصله في لفظه، وهو الاستقبال؛ لأن «لم» ترد لفظ المستقبل إلى

معنى المضي، و: «إنْ» تردُّ الماضي إلى معنى الاستقبال، فلما صارت «لم» ولفظ المستقبل بعدها بمعنى الماضي ردتها (إن) إلى الاستقبال؛ لأن «إن» ترد الماضي إلى معنى الاستقبال. انتهى.

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسْتَجِيبُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون. . .إلخ، وهو في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿فَٱعْلَمْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (اعلم): فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿أَنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ...﴾ إلخ في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: (اعلم) وجملة: (اعلم. . .) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب.

﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم استفهام بمعنى النفي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَضَلُّ﴾: خبره، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَضَلُّ﴾، و(من) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿ٱتَّبَعَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، أو الرابط. ﴿هَوَىٰهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة (من) أو صفتها، والجملة الاسمية: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِغَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿ٱتَّبَعَ﴾ المستتر، أي: مخذولاً مخلى بينه وبين هواه، و(غير) مضاف، و﴿هُدًى﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة، والثابتة دليل عليها، وليست عينها، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿هُدًى﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: صفة: ﴿ٱلْقَوْمَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿لَا يَهْدِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: أتبعنا بعضه بعضاً، وبعثنا رسولاً بعد رسول. وقال أبو عبيدة، والأخفش: معناه: أتممنا، كصلتك الشيء. وقال ابن عيينة، والسدي: معناه: بينا.

وقال أهل المعاني: والينا، وتابعنا، وأنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً وعداً، ووعيداً، وقصصاً، وعبراً، ونصائح، ومواعظ إرادة أن يتذكروا، فيفلحوا. وهذا القول أعم، وأتم، وأصلها من: وصل الحبال بعضها ببعض، فاستعير لإنزال القرآن متتابعاً يتلو بعضه بعضاً، قال الشاعر: [الطويل]

فَـقُـلْ لِـبَـنِـي مَـرْوانَ مَـا بَـالُ ذِمَّـتِـي ... بِـحَـبْـلٍ ضَـعِـيـفٍ مـا يَـزَالُ يُـوَصَّـلُ؟!

والضمير في: ﴿لَهُمُ﴾ لقريش، وهو المعتمد، فتكون الآية رداً على من قال: هلا أوتي محمد القرآن جملة واحدة. وقيل: الضمير لليهود، فيكون المراد بتوصيل القول لهم: إرسال الرسل إليهم من بني إسرائيل؛ حتى تم بإرسال محمد ﷺ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لعلهم يتعظون بالقرآن الكريم عن عبادة الأصنام، ويخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم. وعلى رد الضمير لليهود يكون المعنى: لعلهم يتذكرون: أن محمداً هو المبشر به في التوراة، والإنجيل فيؤمنوا به، ويتبعوه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [٤٣]. ﴿وَصَّلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الْقَوْلَ﴾: مفعول به، وجملة: (لقد وصّلنا...) إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل، لا محل لها.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾

الشرح: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن، أو من قبل محمد ﷺ. نزلت هذه الآية والتي بعدها في مؤمني أهل الكتاب من اليهود، كعبد الله بن سلام، وأصحابه. ويدخل فيه من أسلم من النصارى، وهم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة، اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة، وثمانية أقبلوا من الشام، وكانوا أئمة النصارى، فلما رأوا ما بالمسلمين من الفقر، والحاجة، قالوا: يا رسول الله: إن لنا أموالاً، فإن أذنت لنا انصرفنا، فجئنا بأموالنا، فواسينا بها المسلمين؟ فأذن لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين، فنزلت الآيات الأربع. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٥] من سورة (المائدة)، فهو وثيق الصلة والمعنى بما في هذه الآيات.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت الآيات في ثمانين من أهل الكتاب: أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام. وعن رفاعة القرظي: نزلت في عشرة، أنا أحدهم. وقال القرطبي: وقال عروة بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في

النجاشي، وأصحابه، وكان وجه باثني عشر رجلاً، فجلسوا مع النبي ﷺ، وكان أبو جهل، وأصحابه قريباً منهم، فآمنوا بالنبي ﷺ، فلما قاموا من عنده؛ تبعهم أبو جهل، ومن معه، فقال لهم: خيبكم الله من ركب! وقبحكم من وفد! لم تلبثوا أن صدقتموه، وما رأينا ركباً أحمق منكم، ولا أجهل! فقالوا: سلام عليكم. . .إلخ، وإذا عرفت: أن هذه الآيات مدنية، لا يبقى لما ذكره القرطبي اعتبار، والله أعلم بحقيقة الحال.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾: فعل ماض، وفاعله، ومفعوله الأول، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان. ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُم...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يقرأ القرآن على المذكورين في الآية السابقة. ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ أي: صدقنا بالقرآن، واعترفنا بأنه منزل من عند الله تعالى بالحق والصدق، وذلك: أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوباً عندهم في التوراة، والإنجيل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ...﴾ إلخ الآية رقم [١٥٧] من سورة (الأعراف)؛ بل وجاء ذكر أصحابه، وأمته مكتوباً في التوراة، والإنجيل، اقرأ الآية الأخيرة من سورة (الفتح) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك؛ إن كنت من أهل القرآن.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل نزول القرآن، أو من قبل بعثة محمد ﷺ. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: موحدين، أو مؤمنين بأنه سيُبْعَثُ محمدٌ ﷺ وينزل عليه القرآن.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿يُتْلَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى القرآن. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية مع ما بعدها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبر (إن). ﴿مِن رَّبِّنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْحَقُّ﴾، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وقد قال البيضاوي: الجملة الاسمية مستأنفة لبيان ما أوجب إيمانهم به، وقال في الجملة التالية: استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ، وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة، وكونهم على دين الإسلام، قبل نزول القرآن، أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة، وهذا حل معنى، ولا يغير المحل الإعرابي الذي ذكرته للجملتين. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة: ﴿إِنَّهُ...﴾ إلخ فيها معنى التعليل لإيمانهم، وإن كانت في محل نصب مقول القول.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة إلى الذين آمنوا من أهل الكتاب. ﴿يُؤْتَوْنَ﴾: يعطون، ويوفون. ﴿أَجْرَهُم﴾: ثوابهم على إيمانهم، وعملهم. ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾: مرة على إيمانهم بكتابهم الأول، ومرة على إيمانهم بالقرآن الكريم، فهو كقوله تعالى لهم في سورة (الحديد): ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾. وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لَهُمْ أَجْرَان: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بمحمدٍ ﷺ، والعبْدُ الْمَمْلُوكُ؛ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللهِ وحقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا، فَأَدَّبَهَا، فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا، فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعتقَهَا، ثُمَّ تزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَان**». متفق عليه.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بصبرهم على الإيمان بالتوراة، أو الإنجيل، وصبرهم على الإيمان بالقرآن. أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله، وبعد نزوله، أو بصبرهم على أذى المشركين، وأذى أهل الكتاب.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: قال ابن عباس ـ ـ رضي الله عنهما ـ: يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ، فيكون كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية رقم [١١٤] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: (إذا حُرِمُوا؛ أَعْطَوْا، وَإِذَا ظُلِمُوا؛ عَفَوْا، وإذا قُطِعُوا؛ وَصَلُوا) فيكون كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الآية رقم [١٩٩] من سورة (الأعراف). ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: قسماً من أموالهم في وجوه الخير، وفي الطاعات.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿يُؤْتَوْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿أَجْرَهُم﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾: نائب مفعول مطلق منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿صَبَرُواْ﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿يُؤْتَوْنَ﴾، أو بـ: ﴿أَجْرَهُم﴾. ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يدرؤون): فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾: مفعول به. ﴿وَمِمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (مما): جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿يُنفِقُونَ﴾، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي، أو: من شيء رزقناهموه، وجملة: ﴿يُنفِقُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿يُؤْتَوْنَ...﴾ إلخ، فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ﴾: هذا وصف لمن آمن من أهل الكتاب، وفي ضمنه مدح لهم، وثناء عليهم. ﴿ٱللَّغْوَ﴾: الشتم، والأذى من الكفار، وكان المشركون يسبون مؤمني أهل الكتاب، ويقولون لهم: تباً لكم تركتم دينكم! فيعرضون عنهم، ولا يردون عليهم. هذا؛ واللغو: ما ينبغي أن يلغى، ويطرح، وفي آية الفرقان رقم [٧٢]: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ والمعنى: إذا مروا بأهل اللغو، المشتغلين به؛ مروا معرضين عنهم، مكرمين أنفسهم عن التوقف معهم، والخوض معهم.

﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ أي: لنا ديننا، وعبادتنا، ولكم دينكم، وعبادتكم. ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: هذا سلام توديع، ومتاركة، مثل قوله تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٦٣]: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ فأقيم السلام مقام التسلم، والتوديع، والمتاركة؛ إذ المعنى: وإن سفه عليهم جاهل؛ حلموا، ولم يجهلوا. وليس المراد السلام المعروف، فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعاً، ومروءة. ﴿لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: لا نطلبهم للجدال، والمراجعة، والمشاتمة. وانظر ما ذكرته في آية الفرقان رقم [٦٣] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٥٣]. ﴿سَمِعُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّغْوَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿أَعْرَضُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿عَنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها معطوف على الجمل الفعلية السابقة، فهو في محل رفع مثلها، أو هو مستأنف، لا محل له. ﴿وَقَالُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): فعل، وفاعل. ﴿لَنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿أَعْمَٰلُنَا﴾: مبتدأ مؤخر، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ معطوفة عليها، وهي مثلها في المحل والإعراب. ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، وساغ الابتداء به، وهو نكرة؛ لأنه بمعنى الدعاء. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نَبْتَغِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية في محل نصب حال من نا، والرابط: الضمير فقط، وجملة: ﴿وَقَالُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (أعرضوا...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: هذا الخطاب لسيد الخلق وحبيب الحق ﷺ، والمعنى: لا تقدر أن تُدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك، وغيرهم؛ لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾: يُدخل في الإسلام ﴿مَن يَشَآءُ﴾ وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه، وأن الألطاف تنفع فيه، فيقرن به ألطافه حين تدعوه إلى القبول.

قال النسفي - رحمه الله تعالى -: والآية حجة على المعتزلة؛ لأنهم يقولون: الهدى هو البيان، وقد هدى الله الناس أجمع، ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم، فدل على أن وراء البيان ما يسمى هداية، وهو خلق الاهتداء، وإعطاء التوفيق، والقدرة. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٧] من سورة (الفرقان).

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: بالقابلين من الذين لا يقبلون. قال الزجاج: أجمع المسلمون: أنها نزلت في أبي طالب، وذلك: أن أبا طالب قال عند موته: يا معشر بني هاشم، أطيعوا محمداً، وصدقوه؛ تفلحوا، وترشدوا. فقال النبي ﷺ: «**يا عم! تأمرهم بالنصيحة؛ لأنفسهم، وتدعها لنفسك!**». قال: فما تريد يا بن أخي؟ قال: «**أريد منك كلمة واحدة، فإنك في آخر يوم**

من أيام الدنيا: **أن تقول: لا إله إلا الله، أشهد لك بها عند الله»**. قال: يا بن أخي قد علمتُ: أنك لصادق، ولكني أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك، وعلى بني عمك غضاضة، ومسبة بعدي؛ لقلتها، ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ: عبد المطلب، وهاشم، وعبد المناف. وروي أنه قال للنبي: جئت بشيء قَبِله الجنان، وأباه اللسان، مخافة الشنآن.

تنبيه: من المعروف: أن أبا طالب كفل النبي ﷺ بعد وفاة جده عبد المطلب، وعطف عليه عطف الوالد على ولده حتى شبَّ وترعرع، وكان يحبه حباً شديداً، ولما منَّ الله عليه بالرسالة؛ قامت قريش بكليتها تعارضه، وتصد الناس عن دعوته، فأعلن أبو طالب حمايته له، والذود عنه، ومشوا إليه مراراً يطلبون منه أن يكف الرسول ﷺ عن تسفيه عقولهم، وشتم آبائهم، وعيب آلهتهم، وقدموا له من مغريات الدنيا المال، والملك، والسيادة، كل ذلك لم يثن الرسول ﷺ عن دعوته.

وروي في كتب السيرة، وغيرها: أن قريشاً جاؤوا إلى أبي طالب، فكلموه في شأن النبي ﷺ فهددوه، وتوعدوه، وكان فيما قالوا له: إما أن تكفه، أو ننازله، وإياك! فشق على أبي طالب فراق قومه، ومعاداتهم، فبعث إلى النبي ﷺ فجاء، وقال له: يا بن أخي! إن قومك جاؤوني، وقالوا لي: كذا، وكذا. يا بن أخي! أبق عليّ، وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق! فظن النبي ﷺ أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله، فقال: «**يا عم! والله لو وَضَعُوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله تعالى، أو أهلك في طلبه**». ثم استعبر فبكى، فلمَّا ولى، قال له: يا بن أخي! امض على أمرك، وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً! وأنشد: [الكامل]

والله لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ ما عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... أَبْشِرْ وَقِرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ ... وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينَا
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا المَلامَةُ أَوْ حِذَارِيَ سُبَّةً ... لَوجَدتَنِي سَمحاً بِذاكَ مُبِينَا

انتهى. بتصرف كبير، سيوطي، وبغدادي، كلاهما شرح شواهد المغني. ومن الغريب: أن الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ ذكر: أن أبا طالب أنشد البيتين الأخيرين عند موته، ونقله عنه سليمان الجمل، رحمه الله تعالى، ولم يصحح له هذا الخطأ، بل أبقاه على حاله، وانظر الآية رقم [١١٣] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَحْبَبْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَنْ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: لا تهدي الذي، أو: شخصاً أحببته، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، أو مستأنفة. ﴿وَلَكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مَن﴾: مثل سابقتها، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يهدي الذي، أو شخصاً يشاء هدايته. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو أعلم): مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل: ﴿يَهْدِى﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿أَعْلَمُ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: كفار قريش. وقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قائل ذلك من قريش الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القريشي، قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم: أن قولك حق، ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك، ونؤمن بك مخافة أن يخرجنا العرب من بلدنا، وإنما نحن أكلة رأس (أي: قليلون). هذا؛ والتخطف الانتزاع، والأخذ بسرعة.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أي: ذا أمن، وذلك: أن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون مطمئنون في حرمهم، لا يخافون أن يغير عليهم أحد، فأخبر الله: أنه قد أمنهم بحرمة البيت، وحماهم من الاعتداء عليهم، فلا يخافون أن تستحل العرب حرمة في قتالهم. ومن المعروف: أنه كان تأمن فيه الظباء من الذئاب، والحمام من الحدأة، فكيف يسلبهم هذا الأمن، ويخيفهم، ويعرضهم للتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام، وتوحيد الملك العلام، ونبذوا الشرك، والأوثان.

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: يُجمع، ويجلب إلى الحرم من الشام، ومصر، والعراق، واليمن وغيرها الثمرات، والفواكه، وغيرها. والمراد بالكلية: الكثرة مثل قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ لا الكلية الحقيقية، كما هو معروف. هذا؛ ويقرأ ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ بالياء، والتاء، كما يقرأ: (يجنى) بالنون.

﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا كرماً، وجوداً، وتفضلاً، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي أكثر أهل مكة، بل أكثر الناس لا يفهمون هذا؛ ولا يعرفونه، وذكر الأكثر إما؛ لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حد التكليف، أو لأنه يقام مقام الكل. وانظر الآية رقم [٦] من سورة (الروم)، وانظر شرح (لدن) في الآية رقم [٦] من سورة (النمل)، وشرح شيء في الآية رقم [١٨٣] من سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾: الواو: حرف استئناف. (قالوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿نَّتَّبِعِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مَعَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. وقيل في محل نصب حال، ولا وجه له، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نَّتَّبِعِ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿نُتَخَطَّفْ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول جواب الشرط، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿مِنْ أَرْضِنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: (قالوا...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿نُمَكِّن﴾: فعل مضارع مجزوم بـ(لم)، والفاعل تقديره: «نحن». ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿حَرَمًا﴾: مفعول به. ﴿ءَامِنًا﴾: صفة له. ﴿يُجْبَىٰٓ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ثَمَرَٰتُ﴾: نائب فاعل، و(هو) مضاف، و﴿كُلِّ﴾ مضاف إليه، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿يُجْبَىٰٓ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ثانية لـ: ﴿حَرَمًا﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، والجملة: ﴿أَوَلَمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

(رزقاً) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو مفعول مطلق مؤكد؛ لأن معنى ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ بمعنى: نرزقهم. وثانيها: على أنه مفعول لأجله، عامله محذوف، التقدير: نسوقه إليه رزقاً. ثالثها: على أنه حال من ﴿ثَمَرَٰتُ﴾ لتخصصها بالإضافة. ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿رِّزْقًا﴾، أو بمحذوف صفة له، و(لدن): مبني على السكون في محل جر، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسمها، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر: (لكنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾: هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بإنعام الله عليهم، فلم يشكروا النعمة، وقابلوها بالبطر، فأهلكوا، فدمرهم الله، وخرب ديارهم. هذا؛ والبطر: سوء احتمال الغنى، وهو أن لا يحفظ حق الله فيه، والبطر: الأشر والكبر وتجاوز حدود الله تعالى. وقيل: عاشوا في البطر، فأكلوا رزق الله، وعبدوا غيره، و﴿مِن قَرْيَةٍ﴾: على حذف المضاف؛ أي: من أهل القرية.

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ أي: منازلهم باقية الآثار، يشاهدونها في الأسفار، كبلاد ثمود، وقوم لوط، وشعيب، وغيرهم. ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لم يسكنها إلا المسافرون سكوناً قليلاً. وقيل: لم يعمر إلا أقلها، وأكثرها خراب. ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم، وصار أمرها إلى الله تعالى؛ لأنه الباقي بعد فناء الخلق.

وفحوى الآية الكريمة: أن كفار قريش لما خافوا أن يتخطفهم الناس؛ إن آمنوا، ونبذوا عبادة الأصنام؛ بين الله لهم في هذه الآية: أن الأمر بالعكس، وأنهم جديرون بأن يخافوا بأس الله تعالى، ولا يغتروا بالأمن الحاصل لهم؛ إن بقوا على كفرهم بالله، وأنهم جديرون بالأمن والطمأنينة إن هم آمنوا بالله، ووحدوه. هذا؛ و(كم) خبرية كناية عن عدد مبهم، وهي هنا بمعنى: كثير، والمعنى: أهلكنا كثيراً من القرى.

الإعراب: ﴿وَكَمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (كم): خبرية بمعنى كثير مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مِن﴾ بيان لـ: (كَمْ) وتمييز له. والتمييز في المعنى هو المجرور بـ: ﴿مِن﴾، وبما أنه معرفة؛ لأنه على حذف المضاف كما رأيت في الشرح، والتمييز لا يكون معرفة، فلذا جر بـ: ﴿مِن﴾، والجملة الفعلية: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَطِرَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى: ﴿قَرْيَةٍ﴾، تقديره: «هي». ﴿مَعِيشَتَهَا﴾، فيه أوجه: مفعول به على تضمين ﴿بَطِرَتْ﴾: خسرت، أو على الظرف؛ أي: أيام معيشتها. فيكون على حذف المضاف، أو على حذف «في» أي: في معيشتها، أو على التمييز، أو على التثنية بالمفعول به، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿بَطِرَتْ...﴾ إلخ في محل جر صفة: ﴿قَرْيَةٍ﴾. ﴿فَتِلْكَ﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له.

﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾: خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿تُسْكَن﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال اسم الإشارة، وأجيز اعتبارها في محل رفع خبر ثان، كما أجيز اعتبار ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾ بدلاً من تلك، فتكون الجملة الفعلية خبراً للمبتدأ. ﴿مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: إلا سكناً قليلاً، أو صفة زمان محذوف، أي: إلا زمناً قليلاً، أو صفة مكان محذوف، أي: إلا مكاناً قليلاً. والأقوى الثاني من الثلاثة. ﴿وَكُنَّا﴾: الواو: واو الحال. (كنا): فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو توكيد لـ: (نا). ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة ﴿وَكُنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير، أو هي مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ويعم كل واحد من العقلاء. ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: القرى الكافرة. ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ أي: في أكبرها وأعظمها رسولاً ينذرهم، وخص الأم ببعثة الرسول؛ لأنه يبعث إلى الأشراف، وهم سكان المدن، بخلاف أهل البوادي، فإن الله لا يبعث فيهم، انظر ما ذكرته الآية رقم [١٠٩] من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقيل: المراد بأم القرى: مكة المكرمة، والمراد بالرسول: محمد ﷺ؛ لأنه خاتم الأنبياء، ويؤيده قوله تعالى في سورة (الأنعام) [٩٢]: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: يقرأ عليهم ما ننزله عليه من آيات، وهذا يفيد: أن أهل الفترة غير معذبين في الدنيا، وفيه دلالة على أنهم لا يعذبون في الآخرة، كما هو صريح قوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [١٥]: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ...﴾ إلخ: أي: لم أهلكهم إلا وقد استحقوا الإهلاك؛ لإصرارهم على الكفر بعد الإعذار إليهم، وفي هذا بيان لعدله، وتقدسه عن الظلم.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنَّه لا يهلك قوماً هلاك استئصال إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم. ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة، والإلزام ببعثة الرسل. ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم، ونزه ذاته أن يهلكهم؛ وهم غير ظالمين، وهو صريح قوله تعالى في

سورة (هود): ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ولا تنس: أن في الآية التفاتاً من الخطاب إلى التكلم.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿رَبُّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مُهْلِكَ﴾: خبر: ﴿كَانَ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿يَبْعَثَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة، والفاعل يعود إلى ﴿رَبُّكَ﴾، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿مُهْلِكَ﴾. ﴿فِىٓ أُمِّهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به. ﴿يَتْلُوا۟﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿رَسُولًا﴾. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَتْلُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب صفة: ﴿رَسُولًا﴾. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿مُهْلِكِى﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿مُهْلِكِى﴾ مضاف، و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ مضاف إليه... إلخ على مثال سابقه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وَأَهْلُهَا﴾: الواو: واو الحال. (أهلها): مبتدأ، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ظَٰلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، التقدير: وما نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين. وجملة: ﴿وَمَا كُنَّا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (ما كان...) إلخ لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾: الخطاب لأهل مكة، ويعم كل عاقل. ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ أي: من أسباب الدنيا، وزينتها. ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾: تتمتعون بها أيام حياتكم، ثم هي إلى فناء، وانقضاء؛ لأنها زينة أيام قلائل سرعان ما تنقضي، فإما أن تزول عن الإنسان، أو يزول الإنسان عنها. روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنهُ قال: إن الله خلق الدنيا، وجعل أهلها ثلاثة أصناف: المؤمن، والمنافق، والكافر، فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزيَّن، والكافر يتمتَّع. انتهى.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: ثوابه، وما أعده الله من النعيم المقيم للمؤمنين العاملين. ﴿خَيۡرٞ﴾: في نفسه من الأول؛ لأنه لذة خالصة من المكدرات، وبهجةٌ كاملة لا يشوبها منغصات. ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾: أدوم بخلاف الأول فإنه منقطع، وزائل. ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أي: أفلا تفهمون، وتتدبرون: أن الباقي خير من الفاني. وقيل: من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل. ولهذا قال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس؛ صرف ذلك الثلث إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى؛ لأن أعقل الناس من أعطى القليل، وأخذ الكثير، وما هم إلا المشتغلون بطاعة الله تعالى. والمعنى: أعطى القليل من حطام الدنيا، وأخذ الكثير من الحسنات.

هذا؛ وقد وصف الله تعالى الحياة الدنيا التي يحياها ابن آدم في هذه الآية وغيرها بالدنيا؛ لدناءتها، وحقارتها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة. ورحم الله الجريري إذ يقول: [الكامل]

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الأَكْدَارِ
دارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ في يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَداً تَبّاً لَهَا مِنْ دَارِ

أو: هي من الدنو، وهو القرب؛ لأنها في متناول يد الإنسان ما دام حياً.

الإعراب: (ما): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان تقدم على عامله، أو هو في محل رفع مبتدأ. ﴿أُوتِيتُم﴾: فعل ماض مبني على السكون مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف على اعتبار (ما) مبتدأ. ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من (ما)، أو من المفعول الثاني المحذوف، و(من) بيان لما أبهم في (ما). ﴿فَمَتَٰعُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (متاع): خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فالمؤتى متاع، و(متاع) مضاف، و﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾: صفة: ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر (ما) على اعتبارها مبتدأ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: هو جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) موصولة؛ فالجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: والذي أوتيتموه. والجملة الاسمية خبرها، وزيدت الفاء في خبر المبتدأ؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، ويؤيد هذا الاعتبار الجملة التالية؛ لأن (ما) لا تكون إلا موصولة فيها.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، وقيل: واو الحال، ولا وجه له لعدم الرابط. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿خَيۡرٞ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع. (أبقى): معطوف

على ما قبله مرفوع مثله. . . إلخ. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. والفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿تَعۡقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾

الشرح: ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا﴾: والمراد به: المؤمن الذي وعده ربه بالجنة على عمله الصالح. والوعد الحسن: الثواب في الآخرة ودخول الجنة؛ لأنه دائم غير منقطع تكرماً، وتفضلاً منه تعالى: ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده سبحانه، وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾.

﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: الذي هو مشوب بالآلام، مكدر بالمتاعب، مستعقب للتحسر على الانقطاع. والمعنى لا يستوي من يدخل الجنة تحقيقاً لوعده سبحانه الصادق، ومن يتمتع في هذه الدنيا متاعاً قليلاً، ثم هو يزول ويفنى، ثم يوم القيامة يحشر، ويحضر للحساب، والجزاء، ثم يساق إلى النار، وبئس القرار، ونحوه قوله تعالى حكاية عن قول المؤمن: ﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾، وقوله جل شأنه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾.

تنبيه: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت الآية في حمزة بن عبد المطلب، وفي أبي جهل بن هشام. وقال مجاهد: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل. وقال محمد بن كعب: نزلت في حمزة، وعلي ـ رضي الله عنهما ـ، وقيل غير ذلك. قال القشيري: والصحيح: أنها نزلت في المؤمن، والكافر على التعميم. وقال الثعلبي: وبالجملة فإنها نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالعافية، والغنى، وله في الآخرة النار. وفي كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا، ثقة بوعد الله، وله في الآخرة الجنة. هذا؛ ومعنى الآية شبيه بالآية رقم [٢٢] من سورة (الرعد).

هذا؛ والوعد يستعمل في الخير وفي الشر، فإذا قلت: وعدت فلاناً من غير أن تتعرض لذكر الموعود به، كان ذلك خيراً، وإذا قلت: أوعدت فلاناً من غير ذكر الموعود به، كان ذلك شراً، وهو ما في بيت طرفة بن العبد البيت الأخير من معلقته: [الطويل]

وَإِنِّي وإِنْ أَوْعَدْتُهُ، أَوْ وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

وهو قول الجوهري، وقول كثير من أئمة اللغة، وأما عند ذكر الموعود به، أو الموعد به، فيجوز أن تستعمل «وعد» في الخير وفي الشر، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾ ومن الثاني قوله جل شأنه: ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾. وأنشدوا: [الطويل]

إذَا وَعَـدَتْ شَـرّاً أَتَـى قَـبْـلَ وَقْـتِـهِ وَإِنْ وَعَـدَتْ خَـيْـراً فـراتَ وعَـتَّـمَـا

كما يستعمل «أوعد» فيهما أيضاً، كقولك: (أوعدْتُ الرجلَ خيراً، وأوعدْتُهُ شرّاً) هذا؛ والمركز في الطبائع: أن من مكارم الأخلاق، وجميل العادات: أنك إذا وعدت غيرك أن تنزل به شراً؛ كان الخلف محمدةً، وإذا وعدته خيراً؛ كان الخلف منقصةً. وهذا ما أراده طرفة في بيته المتقدم. هذا؛ والثابت عند الأشاعرة: أنه يجوز إخلاف الوعيد في حقه تعالى كرماً. وعند الماتريدية لا يجوز. وأما الوعد؛ فلا يجوز الخلف في حقه تعالى اتفاقاً، دليل الأشاعرة قول النبي ﷺ: «**من وعده الله على عمل ثواباً؛ فهو منجز له، ومن أوعده على عمل عقاباً؛ فهو بالخيار، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه**». وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٤] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام، وإنكار، واستبعاد. الفاء: حرف استئناف، أو هي حرف عطف. (مَنْ): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿وَعَدْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة: (مَنْ) أو صفتها. ﴿وَعْدًا﴾: مفعول مطلق. ﴿حَسَنًا﴾: صفة له. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿لَٰقِيهِ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية هذه معطوفة على فحوى ما قبلها. ﴿كَمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة مثل سابقتها، وجملة: ﴿مَّتَّعْنَٰهُ﴾ صلة (مَنْ)، أو صفتها. ﴿مَتَٰعَ﴾: مفعول مطلق، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما بعده، على أن (أل) ليست موصولة، أو هي موصولة، واتسع فيه على القاعدة: «يتوسع في الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما»، أو هو متعلق بمحذوف يفسره ﴿ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ وانظر الآية رقم [٤٢] و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ يَوْمَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، والجملة الاسمية ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أيستوي المؤمن الموعود بالخير العميم، والكافر الموعود بالعذاب الأليم؟! وهذا الكلام كله مستأنف لا محل له.

تنبيه: قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: فسر لي الفاءين، و﴿ثُمَّ﴾، وأخبرني عن مواقعها، قلت: قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا، وما عند الله، وتفاوتهما ثم عقبه بقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ على معنى: أبعد هذا التفاوت الظاهر، يُسَوَّى بين أبناء الآخرة، وأبناء الدنيا، فهذا بيان معنى الفاء الأولى وبيان موقعها. وأما الثانية فللتسبب؛ لأن لقاء الموعود

مسبب عن الوعد، الذي هو الضمان في الخير، وأما ﴿ثُمَّ﴾ فلتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع، لا لتراخي وقته عن وقته. انتهى.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي الله يوم القيامة هؤلاء المشركين الذين اتخذوا الحجارة آلهة من دون الله، فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ أي: يقول الله لهم يوم القيامة على سبيل التقريع، والتأنيب: أين شركائي في الألوهية ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنهم آلهة، وأنهم ينصرونكم ويشفعون لكم. هذا؛ وأطلق الله على الأصنام اسم الشركاء لأمرين: أحدهما: أن المشركين يشركونها مع الله في العبادة، والتعظيم، والتقديس، وثانيهما: أنهم يشركونها معه في الأموال، والأنعام، والزروع، وانظر الآية رقم [١٣٨] من سورة (الانعام) وما بعدها.

هذا؛ وماضي: ﴿تَزْعُمُونَ﴾: زعم. قال الشيخ مصطفى الغلاييني ـ رحمه الله تعالى ـ: الغالب في «زعم» أن تكون للظن الفاسد، وهوحكاية قول، يكون مظنة للكذب، فيقال فيما يشك فيه، أو فيما يعتقد كذبه، ولذلك يقولون: «زعم» مطية الكذب، أي: هذه الكلمة مركب للكذب، ومن عادة العرب: أن من قال كلاماً، وكان عندهم كاذباً؛ قالوا: زعم فلان، ولهذا جاء في القرآن الكريم في كل موضع ذُمَّ القائلون به، وقد يراد الزعم بمعنى القول مجرداً عن معنى الظن الراجح أو الفاسد، أو المشكوك فيه، فإن كانت زعم بمعنى: تأمَّر، وَتَرَأَّس، أو بمعنى: كفل به؛ تعدت إلى واحد بحرف الجر، تقول: زعم على القوم، فهو زعيم، أي: تأمَّر عليهم، وترأَّسهم، وزعم بفلان أو بالمال، أي: كفله، وضمنه. وتقول: زعم اللبن؛ أي: أخذ يطيب. انتهى.

وقال الأشموني: وإن كانت بمعنى: سمن، أو: هزل؛ فهي لازمة. هذا؛ وأقول: إن «زعم» من الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ، وخبر إن كان من أفعال الرجحان، والأكثر أن يسد مسدهما: «أن» واسمها وخبرها مخففة من الثقيلة أو غيرها، نحو قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾ إلخ، وانظر شواهد ذلك في كتابنا فتح رب البرية، والقليل أن تنصب مفعولين صريحين، وهو ناقص التصرف لا يأتي منه غير الماضي، والمضارع.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يوم): معطوف على ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، أو هو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر يوم. ﴿يُنَادِيهِمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله) تعالى، والهاء مفعول به. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿فَيَقُولُ﴾: الفاء: حرف عطف، وتفسير. (يقول): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً. ﴿أَيْنَ﴾: اسم استفهام توبيخي إنكاري، مبني على الفتح في في محلِّ نصب

على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿شُرَكَآءِىَ﴾: مبتدأ مؤخر، مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة: ﴿شُرَكَآءِىَ﴾. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَزْعُمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعولاه محذوفان، والتقدير: تزعمونهم شركائي، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف كما رأيت تقديره، والجملة الاسمية: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿فَيَقُولُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها من عطف التفسير على المفسَّر.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وهم أئمة الكفر، ورؤساء الضلالة، ومعنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب عليهم مقتضاه، وثبت مؤداه تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾: دعوناهم إلى الشرك، وارتكاب المعاصي، واجتراح السيئات، فأجابونا، وانقادوا لنا من دون قهر، وقسر. ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي: أضللناهم كما ضللنا، فهم يريدون ضللنا باختيارنا، وضلوا باختيارهم؛ لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسةً، وتسويلاً، فلا فرق بين غينا وغيهم، وإن كان تسويلنا داعياً لهم إلى الكفر، وارتكاب المعاصي، فهناك دعاء الله في مقابلته إلى الإيمان، بما ركز فيهم من أدلة العقل، وما بعث إليهم من الرسل، وأنزل عليهم من الكتب الداعية إلى الهدى والرشاد.

﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾: معناه: تبرأ بعضهم من بعض، وصاروا أعداء، وقول الله تعالى في سورة (إبراهيم) ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٢] برهان قاطع على وقوع العداوة بين الأتباع والمتبوعين، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾. ومثل ذلك الآية رقم [٢٥] من سورة (العنكبوت). ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ أي: بل كانوا يعبدون أهواءهم، ويطيعون شهواتهم، ولا سلطان لنا عليهم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿حَقَّ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: فاعل، وجملة: ﴿حَقَّ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾:

الهاء: حرف تنبيه. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، وقيل: صفة له، فهو مبني على الفتح في محل رفع. ﴿أَغْوَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: أغويناهم. ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ.

﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿غَوَيْنَا﴾: فعل، وفاعل، وهو لازم لا ينصب مفعولاً، و(ما) المصدرية والفعل ﴿غَوَيْنَا﴾ في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة مصدر محذوف يقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: أغويناهم إغواءً كائناً مثل إغوائنا. وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها، والكلام ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿تَبَرَّأْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير «قد» قبلها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانُوٓاْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿إِيَّانَا﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، وجملة: ﴿إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿مَا كَانُوٓاْ...﴾ إلخ في محل نصب حال ثانية من (نا) أيضاً، فهي حال متكررة، أو متداخلة، والرابط: الضمير فقط على الاعتبارين. قال الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي: وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى. أقول: واعتبارهما حالاً يؤدي هذا المعنى بلا ريب. هذا؛ وقيل: (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بحرف جر محذوف، التقدير: من عبادتهم إيانا، وهو ضعيف.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للكفار، والقائل هو الله تعالى أو الملائكة، وهذا يكون يوم القيامة، والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه. ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: أصنامكم التي كنتم تعبدونها في الدنيا لتخلصكم من العذاب. ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ أي: استغاثوا بهم. ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾: لم يجيبوهم ولم يغيثوهم. ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾: عاينوه بأعينهم واقعاً بهم.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: لو أنَّهم كانوا يهتدون؛ لأنجاهم الهدى، ولما صاروا إلى العذاب. وقيل: المعنى لو أنهم كانوا يهتدون؛ ما استغاثوا بهم؛ لأن استغاثتهم بهم لا تغني فتيلاً. وقيل: المعنى ودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا إلى التوحيد، والإيمان بالله، وتصديق رسول الله ﷺ.

الإعراب: ﴿وَقِيلَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قيل): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱدۡعُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿شُرَكَآءَكُمۡ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ في محل رفع نائب فاعل: (قيل)، وهذا على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه» وهذا لا غبار عليه. هذا؛ وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وقيل قول. وقيل: الجار والمجرور المقدر بـ: «لهم» في محل رفع نائب فاعل. والمعتمد الأول. وأيده ابن هشام في المغني؛ حيث قال: إن الجملة التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات، ولهذا تقع مبتدأ، نحو «**لا حوْلَ وَلَا قوةَ إلَّا بالله كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجنَّةِ**» ونحو «زَعَمُوا مَطِيَّةُ الكذبِ» وجملة: ﴿وَقِيلَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَدَعَوۡهُمۡ﴾: الفاء: حرف عطف. (دعوهم): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَلَمۡ﴾: الفاء: حرف عطف. (لم): حرف نفي، وجزم، وقلب. ﴿يَسۡتَجِيبُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَرَأَوُاْ﴾: الواو: حرف عطف. (رأوا): ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، وحركت الواو بالضم للتفريق بينها وبين الواو الأصلية في نحو قولك: (لَوِ اجتهدْتَ؛ لَنجحْتَ). والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿لَوۡ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَهۡتَدُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أن) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، هو شرط (لو) عند المبرد، التقدير: لو حصل، أو وقع اهتداؤهم. وقال سيبويه: هو في محلِّ رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو اهتداؤهم حاصل أو واقع، وقول المبرد هو المرجح؛ لأن ﴿لَوۡ﴾ لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر على قول المبرد وفاعله جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب ﴿لَوۡ﴾ محذوف تقديره: لأنجاهم الهدى ولما صاروا إلى العذاب. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿لَوۡ﴾ للتمني فلا جواب لها، وانظر تقدير الكلام في الشرح. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦٥﴾

الشرح: قال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: حكى أولاً ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء، ثم ما يقوله الشياطين، أو أئمة الكفر عند توبيخهم؛ لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة، اعتذروا بأن

الشياطين، هم الذين استغووهم، ثم ما يشبه الشماتة بهم، لاستغاثتهم آلهتهم، وعجزهم عن نصرتهم، ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل، وإزاحة العلل.

الإعراب: ﴿وَيَوۡمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يوم): معطوف على مثله في الآية رقم [٦٢]، أو هو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر (يوم)، وجملة: ﴿يُنَادِيهِمۡ﴾ في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿مَاذَآ﴾: اسم استفهام توبيخي، مبني على السكون في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بماذا، والجار والمجرور متعلقان بالفعل بعدهما، أو هو اسم استفهام مركب مبني على السكون في محل نصب مفعول مطلق قدم على عامله. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَاذَآ﴾ اسماً مركباً مبنياً على السكون في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية بعده خبره، والرابط محذوف، التقدير: ماذا أجبتم به المرسلين؛ فالمعنى لا يأباه، وأقوى منه اعتبار (ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و(ذا) اسماً موصولاً مبنياً على السكون في محل رفع خبره، والجملة الفعلية صلته، والعائد محذوف، والتقدير: ما الذي أجبتم به المرسلين، فهو كلام في غاية الوضوح. ﴿أَجَبۡتُمُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة سواء أكانت اسمية أم فعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَيَقُولُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. تأمل، وتدبر.

﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ٦٦﴾

الشرح: ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: فصارت الأنباء كالعمي عليهم، لا تهتدي إليهم، وأصله: فعموا عن الأنباء، لكنه عكس مبالغة، ودلالة على أن ما يحضر الذهن، إنما يفيض، ويرد عليه من خارج، فإذا أخطأه؛ لم يكن له حيلة إلى استحضاره، والمراد بـ: ﴿ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾ ما أجابوا به الرسل، أو ما يعمها، وإذا كانت الرسل يتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول الشديد، ويفوضون علم ذلك إلى الله تعالى، فما ظنكم بالضلال من أممهم؟! ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب؛ لفرط الدهشة، أو العلم بأنه مثله في العجز. انتهى. بيضاوي بحروفه. هذا؛ واعتبر ابن هشام في المغني قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾ من باب القلب، وهذا باب واسع من أبواب النحو، ومن شواهده الشعرية الشاهد رقم [١١٨٧] إلى [١١٩٣] من كتابنا فتح القريب المجيب انظرها فيه تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

وقال القرطبي: ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾: خفيت عليهم الحجج. قاله مجاهد؛ لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، فلا يكون لهم عذر، ولا حجة يوم القيامة. ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: بالأنساب والقرابات. قاله مجاهد. وقيل: لا يتساءلون سؤال تواصل، كما كانوا يتساءلون في

الدنيا: من أنت؟ ومن أي قبيلة أنت؟ وقوله تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [١٠٢]: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ يوضح هذا؛ ويبينه.

هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (الطور) رقم [٢٥]: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وقال في سورة (الصافات) رقم [٢٧]: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، أقول: فآية (الطور) تنص على أن التساءل إنما يكون في الجنة بلا ريب، بدليل الآيات التي قبلها، والتي بعدها، وأما آية (الصافات) فهي تنص على أن التساءل إنما يكون يوم القيامة، بدليل قوله تعالى قبلها بآيتين: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ وهي تعارض الآية التي نحن بصدد شرحها، وآية المؤمنون المذكورة آنفاً، وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في حل هذا التعارض: إن للقيامة أحوالاً ومواطن، ففي موطن يشتد عليهم الخوف، فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل، فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقة، فيتساءلون. انتهى. خازن في سورة (المؤمنون).

الإعراب: ﴿فَعَمِيَتْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (عميت): فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَنۢبَآءُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: (يوم): ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، والتنوين ينوب عن جملة محذوفة، مضافة (إذ) إليها، التقدير: يوم إذ يناديهم. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾: من الشرك، ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبمحمد ﷺ نبياً، وشفيعاً، ورسولاً. ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾: أدى الفرائض، وأكثر من النوافل، مع اجتناب المحرمات، والمنهيات. انظر الآية رقم [٧٠] من سورة (الفرقان) تجد ما يسرك.

﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ أي: من الفائزين بالسعادة الأبدية، والهناءة السرمدية. وعسى من الله واجبة التحقيق على عادة الكرام، أو هي ترج من التائب الذي آمن وعمل صالحاً، وينبغي أن تعلم: أنه لما ذكر الله حال الكافرين في الآيات السابقة، وما يجري عليهم يوم القيامة من عظائم الأمور؛ ذكر حال المؤمنين السعداء، وما يجري عليهم من النعيم المقيم والخير العميم؛ لأنه جرت سنة الله في كتابه: أنه لا يذكر أحد الفريقين؛ إلا ويذكر الآخر، ولا يذكر الجنة؛ إلا ويذكر النار... إلخ، وذلك ليكون المؤمن راغباً في طاعة الله خائفاً من معصيته.

الإعراب: ﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (أما) أداة شرط، وتفصيل، وتوكيد، أما كونها أداة شرط؛ لأنها قائمة مقام أداة الشرط وفعله، بدليل لزوم الفاء بعدها؛ إذ الأصل: مهما يك من شيء فالذي تاب... إلخ، فأنيبت (أما) مناب: مهما يك من شيء، فصار: أما من... فعسى. وأما كونها أداة تفصيل؛ لأنها في الغالب تكون مسبوقة بكلام مجمل، وهي تفصله، ويعلم ذلك من تتبع مواقعها. وأما كونها أداة توكيد؛ لأنها تحقق الجواب، وتفيد: أنه واقع لا محالة؛ لكونها علقته على أمر متيقن.

﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَابَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، وجملة: ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ معطوفتان عليها. ﴿فَعَسَىٰٓ﴾: الفاء: واقعة في جواب (أما). (عسى): فعل ماض جامد مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، واسمها ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه يعود إلى ﴿مَن﴾ أيضاً. ﴿مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿يَكُونَ﴾، ﴿أَن يَكُونَ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب خبر (عسى). هذا؛ وإن اعتبرت عسى تامة فالمصدر المؤول يكون في محل رفع فاعلها، ولا ضمير مستتر فيها، قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

وَجَــرِّدَنْ عَـسَـى أو ارْفَـعْ مـضْـمَـرا ... بِـهَـا إِذَا اسْـمٌ قَـبْـلَـهَـا قَـدْ ذُكِـرَا

وجملة: (عسى...) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَأَمَّا مَن...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: نزلت الآية الكريمة جواباً للمشركين حين قالوا: ما حكى الله عنهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ يريدون الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي. وقيل: هي جواب لليهود؛ إذ قالوا: لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل، لآمنا به، والمعنى: وربك يخلق ما يشاء من خلقه، ويختار منهم من يشاء لنبوته. قاله يحيى بن سلام، وحكى النقاش: أن المعنى: وربك يخلق ما يشاء من خلقه. يعني: محمداً ﷺ، ويختار الأنصار لدينه.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي كتاب البزار مرفوعاً صحيحاً عن جابر ـ رضي الله عنه ـ: «**إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين، والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة، يعني: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، فجعلهم أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على الأمم، واختار لي من أمتي أربعة قرون**». انتهى.

و﴿ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ من التخير، كالطيرة من التطير. يستعمل بمعنى المصدر، وهو التخير، وبمعنى المتخير، كقولهم: محمد خيرة الله من خلقه، والمعنى على الأول: إن الخيرة لله تعالى في أفعاله، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، أي: ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه، كقوله تعالى في سورة (الأحزاب): ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ وقال محمود الوراق رحمه الله تعالى: [الطويل]

تـوكَّـل عـلـى الـرحـمـنِ فـي كـلِّ حَـاجَـةٍ ... أَرَدْتَ فَـإِنَّ اللهَ يَـقْـضِـي وَيَـقْـدِرُ

إِذَا مَـا يُـرِدْ ذُو الـعـرشِ أمـراً بـعـبْـدِهِ ... يُـصـبْـهُ وَمَـا لِـلْـعَـبْـدِ مَـا يَـتَـخَـيَّـرُ

وقَـدْ يَـهْـلِـكُ الإنْـسَـانُ مِـنْ وَجـهِ حِـذْرِهِ ... وَيَـنْـجُـو بـحـمـد اللهِ مـنْ حـيْـثُ يـحْـذَرُ

وقال آخر: [البسيط]

الـعـبـدُ ذُو ضَـجَـرٍ والـرَّبُّ ذُو قَـدَرٍ ... والـدَّهْـرُ ذو دُولٍ والـرِّزْقُ مَـقْـسُـومُ

والـخَـيْـرُ أَجْـمَـعُ فِـيـمَـا اخـتـارَ خـالِـقُـنَـا ... وفـي اخْـتِـيـارِ سِـواهُ الـلُّـومُ والـشُّـومُ

قال بعض العلماء: لا ينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا حتى يسأل الله الخيرة في ذلك؛ بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة، يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ...﴾ إلخ وفي الركعة الثانية: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ...﴾ إلخ. واختار بعض المشايخ أن يقرأ في الركعة الأولى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ...﴾ إلخ، وفي الركعة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ...﴾ إلخ وكلٌّ حسنٌ، ثم يدعو بهذا الدعاء بعد السلام، وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ. قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأَمْرِ؛ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بقدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُم إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ: أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيرٌ لي في ديني ودنياي ومعاشي، وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاقدُرْهُ لِي، ويسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تعلمُ: أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لي في ديني، ودنياي، ومعاشي، وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجِلِ أمري وآجله ـ. فاصرفه عني واصرفني عنه، واقْدُرْ لي الخيرَ حيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّني بِهِ. قال: ويسمي حاجته**».

وروى أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال له: «**يا أَنَسُ! إذا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ، فاسْتَخِرْ رَبَّكَ فِيهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْظُرْ إلى ما يَسْبِقُ إِلَيْهِ قَلْبُكَ؛ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهِ**». قال العلماء: وينبغي له أن يفرّغ قلبه من جميع الخواطر، حتى لا يكون مائلاً إلى أمر من الأمور، فعند ذلك ما يسبق إليه قلبه؛

يعمل عليه، فإن الخير فيه إن شاء الله، وإن عزم على سفر، فَيَتَوَخَّى بسَفَرِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ، أَوْ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، اقتداءً برسول الله ﷺ. انتهى. قرطبي بتصرف.

أقول: وما تقدم كله صريح على أن الاستخارة تكون في اليقظة. هذا؛ وقد استحدثت الاستخارة المنامية: يتوضأ، ويصلي ركعتين بنية الاستخارة، ثم يدعو بالدعاء المذكور، ثم يستغفر الله ما أمكنه، ثم يصلي على الرسول ﷺ ما أمكنه، ثم ينام موجهاً صدره إلى جهة القبلة، ثم إن رأى في منامه ما يسره مضى لما يريده، وإن رأى في منامه ما يزعجه ويسوءُه أعرض عن الأمر الذي يريده. والله ولي التوفيق.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تنزيهاً، وتقديساً لله. (تعالى عما يشركون) أي: تقدس الله، وتنزه عن الذي يشركونه معه من الحجارة، والأوثان، و(تعالى) بهذا المعنى ناقص التصرف، لا يأتي منه أمر.

الإعراب: ﴿وَرَبُّكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ربك): مبتدأ، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَخْلُقُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (ربك)، والجملة الفعلية في محل رفع خبره. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يخلق الذي أو شيئاً يشاؤه، وجملة: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ معطوفة عليها، والمفعول محذوف أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿وَرَبُّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان) مقدم. ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: اسمها مؤخر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، والوقف على (يختار) تام، وجيد. هذا؛ وقيل: إن ﴿مَا﴾ مصدرية، تؤول بما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يختار اختيارهم، كما قيل: إنَّ ﴿مَا﴾ موصولة في محلِّ نصب مفعول به وفي (كان) ضمير مستتر هو اسمها، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾: في محلِّ خبرها، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: ما كان لهم الخيرة فيه، وهذان القولان ضعيفان، والأصح اعتبار ﴿مَا﴾ نافية، والجملة مستأنفة.

قال مكي ـ رحمه الله تعالى ـ: وقال بعض العلماء كالطبري، وغيره: هي في موضع نصب بـ: (يختار)، وليس ما قاله بحسن في الإعراب؛ لأنه لا عائد يعود على ﴿مَا﴾ في الكلام، وهو بعيد أيضاً في المعنى، والاعتقاد؛ لأن كونها للنفي يوجب عموم جميع الأشياء في الخير، والشر: أنها حدثت بقدر الله، واختياره، وليس لمخلوق فيها اختيار غير اكتسابه بقدر من الله له.

وإذا كانت ﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ: (يختار)؛ لم تعم جميع الأشياء: أنها مختارة لله، إنما أوجبت أنه يختار ما كان لهم فيه الخيرة لا غير، وبقي ما ليس لهم فيه الخيرة، وهو الخير موقوفاً، وهذا هو مذهب الْقَدَرية والمعتزلة، فكون ﴿مَا﴾ للنفي أولى في المعنى، وأصح في التفسير، وأحسن في الاعتقاد، وأقوى في العربية. انتهى. ﴿سُبْحَٰنَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، وهو مضاف،

و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والفعل المقدر، والمصدر كلام مستأنف لا محل له.
﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (تعالى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾ تقديره: «هو»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.
﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو عن شيء يشركونه مع الله، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: تعالى الله عن شركهم.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: تخفي صدورهم من الحقد عليك يا محمد! والعداوة لك. ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: يظهرون من عداوتك بالطعن، والشتم، فليس تأخير العذاب لخفاء حالهم، ولكن له وقت مقدر أوانه، فهو سبحانه وتعالى يعلم ما يخفون، وما يعلنون من عداوة رسول الله ﷺ ومكايدهم، وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقون، وقد حقق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده؛ حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

الإعراب: ﴿وَرَبُّكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ربك): مبتدأ، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (ربك) وهو من المعرفة فلذا اكتفى بمفعول واحد. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿تُكِنُّ﴾: فعل مضارع. ﴿صُدُورُهُمْ﴾: فاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يعلم الذي، أو: شيئاً تكنه صدورهم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿مَا﴾: معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف على نحو ما تقدم. هذا؛ وقد ذكرت الآية بحروفها في سورة (النمل) برقم [٧٤]. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: المستحق للعبادة. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا أحد يستحق العبادة، والتقديس، والتعظيم إلا هو، ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: في الدنيا. ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: المراد بها: الحياة

الثانية التي تكون بعد الموت، ثم الحشر، والنشر، والحساب، والجزاء، ودخول الجنة، والخلود فيها بالفضل الإلهي، ودخول النار، والخلود فيها بالعدل الرباني. ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ في كل شيء، لا يوجد معارض، ولا مدافع، ولا محام، يحكم لأهل طاعته بالمغفرة، والسعادة في الجنة، ولأهل المعصية بالشقاوة، ودخول النار. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: بالبعث، والنشور يوم القيامة. هذا؛ ويقرأ الفعل بالبناء للمجهول من المتعدي، ويقرأ بالبناء للمعلوم من اللازم.

تنبيه: الحمد في الدنيا حمد تكليف، وشكر لله على إنعامه، وهو في الآخرة على وجه اللذاذة، لا الكلفة، يقولون: (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ)، (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) ويقولون: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) انظر (الحمد) في الآية رقم [١٥] من سورة (النمل) فهو جيد.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر أول، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: الأول: اعتباره بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. الثاني: اعتباره بدلاً من ﴿لَآ﴾ وما عملت فيه؛ لأنها وما بعدها في محل رفع على الابتداء. والثالث: اعتباره بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو أقوى الثلاثة، وهو مبني على الفتح في محل رفع، والجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في محل رفع خبر ثان للمبتدأ. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثالث للمبتدأ. ﴿فِى ٱلْأُولَىٰ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾؛ لأنه مصدر، وتعليقهما بمحذوف حال منه لا يجيزه كثير من النحاة. (الآخرة): معطوف على الأولى، وجملة: ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: الواو: حرف عطف. (إليه): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعل، أو نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني، والخطاب لأهل مكة. ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: دائماً مستمراً. من السرد، وهو المتابعة، ومنه قولهم في الأشهر الحرم: ثلاثة سرد، وواحد فرد. ومنه قول طرفة في معلقته رقم [١٠٦]: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ ... نَهَارِي وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: بإسكان الشمس تحت الأرض، أو تحريكها حول الأفق الغائر، فقد بيّن سبحانه: أنه مهّد أسباب المعيشة؛ ليقوموا بشكر نعمه. ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: المعنى: أي إله يأتيكم بنهار تطلبون فيه المعيشة، وتستعينون فيه على قضاء حوائجكم. ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ أي: سماع فهم وقبول وتدبر واستبصار. هذا؛ والقيامة أصلها: القوامة؛ لأنها من قام، يقوم، قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها، ويوم القيامة هو اليوم الذي يقوم فيه الناس من قبورهم للحساب، والجزاء.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. (رأيتم): فعل، وفاعل، والميم علامة جمع الذكور، وقد اختلف في مفعولي هذا الفعل، فقال قوم: هما محذوفان دل عليهما الكلام، التقدير: أرأيتم عبادتكم الأصنام، هل تنفعكم شيئاً إن جعل الله... إلخ، ودل عليه قوله: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾. وقال آخرون: لا يحتاج الفعل إلى مفعول؛ لأن بالشرط، وجوابه قد حصل معنى المفعول. وملخص كلام السمين: أن المفعول الأول محذوف، التقدير: أرأيتموه، والمسألة من باب التنازع، فقد تنازع (أرأيتم) وفعل الشرط في: (الليل) فكلاهما يطلبه مفعولاً، فأعمل الثاني، وحذف المفعول الأول، وأما المفعول الثاني لـ: (رأيتم) فهو الجملة الاستفهامية. انتهى. جمل بتصرف كبير من سورة (الأنعام). وأرى: أن الفعل: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وأن الجملة الاسمية: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ سدت مسد المفعولين، وما بينهما كلام معترض لا محل له، أعطى الكلام تقويةً، وتسديداً، وحذف جواب الشرط لدلالة الكلام عليه، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول به. ﴿سَرْمَدًا﴾: مفعول به ثاني، أو هو حال من ﴿ٱلَّيْلَ﴾. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿جَعَلَ﴾، أو بـ: ﴿سَرْمَدًا﴾، أو بمحذوف صفة له، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه، وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه، التقدير: فمن يأتيكم بضياء تطلبون فيه معايشكم، وتستعينون فيه على قضاء حوائجكم؟!.

﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبره. ﴿غَيْرُ﴾: صفة: ﴿إِلَٰهٌ﴾، و﴿غَيْرُ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿يَأْتِيكُم﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿إِلَٰهٌ﴾، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: (إله)، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿بِضِيَآءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد المفعول، أو المفعولين حسب ما رأيت في الشرح. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: حرف استئناف، أو حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَسْمَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة

الفعلية: مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ والكلام ﴿أَرَءَيْتُمْ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وإعراب الآية التالية مثلها بلا فارق.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: وذلك بإسكان الشمس في وسط السماء، أو تحريكها على مدارٍ فوق الأفق. ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: للاستراحة من متاعب الأشغال. ولعله لم يصف الضياء بقوله: بنهار تتصرفون فيه، كما وصف الليل بما ذكر؛ لأن الضوء نعمة في ذاته، مقصود بنفسه، ولا كذلك الليل حيث قال: ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾؛ لأن منافع الضوء التي تتعلق به متكاثرة لا يحصيها عد، ليس التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس بتلك المنزلة، ومن ثم قرن بالضياء قوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؛ لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه، ووصف فوائده، وقرن الليل بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون، ونحوه.

تنبيه: الهمزة في الكلام ﴿أَفَلَا﴾ ومثلها ﴿أَوَلَمْ﴾ للإنكار، وهي في نية التأخير عن الفاء والواو؛ لأنهما حرفا عطف، وكذا تقدم على «ثم» تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ، وقوله جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ، وقوله جل شأنه: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦ...﴾ إلخ، وأخواتها تتأخر عن حروف العطف، كما هو قياس أجزاء الجملة المعطوفة، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾. هذا مذهب سيبويه، والجمهور، وخالف جماعة، أولهم الزمخشري، فزعموا: أن الهمزة في الآيات المتقدمة في محلها الأصلي، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف، فيقولون: التقدير في: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ...﴾ إلخ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ...﴾ إلخ أمكثوا فلم يسيروا في الأرض، أنهملكم فنضرب عنكم. . .إلخ؟ أتؤمنون في حياته، فإن مات، أو قتل. . .إلخ؟ ويضعفه ما فيه من التكلف وأنه غير مطرد في جميع المواضع. انتهى. مغني اللبيب بتصرف.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾: من فضله، وكرمه. ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: يتعاقبان بالظلمة، والضياء. ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾: لتستريحوا فيه من متاعبكم؛ التي تنالكم في النهار. ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن

﴿فَضْلِهِۦ﴾ أي: في النهار بطلب المعاش، وأنواع المكاسب، فهو من باب اللف، والنشر. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك، فتشكروه عليها. هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [١٢]: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ انظر شرحها هناك، وانظر الترجي في الآية رقم [٤٣].

هذا؛ وقد قال الخازن: إن من نعمة الله تعالى على الخلق أن جعل الليل، والنهار يتعاقبان؛ لأن المرء في حال الدنيا، وفي حال التكليف مدفوع إلى التعب، ليحصل ما يحتاج إليه، ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار، ولأجله يحصل الاجتماع، فتمكن المعاملات. ومعلوم: أن ذلك لا يتم إلا بالراحة، والسكون بالليل، فلا بد منهما، فأما في الجنة؛ فلا تعب، ولا نصب، فلا حاجة بهم إلى الليل، ولذلك يدوم لهم الضياء أبداً، فيبين الله تعالى: أنه القادر على ذلك؛ ليس غيره، فقال: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ...﴾ إلخ.

وقال الزمخشري: زاوج بين الليل، والنهار لأغراض ثلاثة: لتسكنوا في أحدهما، وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخرة، وهو النهار، ولإرادة شكركم. وقد سُلِكَتْ بهذه الآية طريقة اللف، والنشر في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذاناً بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به! كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده! اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك؛ فأدخلنا في الناجين من وعيدك. انتهى. آمين يا رب.

الإعراب: ﴿وَمِن﴾: الواو: حرف استئناف. (من رحمته): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. وقيل: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿جَعَلَ﴾ مؤول بمصدر بتقدير: «أن» مبتدأ مؤخر، ولا وجه له قطعاً؛ لأن تأويل الفعل بمصدر إنما هو في المضارع، لا الماضي، وبحثه معلوم. انظر الآية رقم [٢٤] من سورة (الروم) والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو». ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان به أيضاً. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول به. (النهار): معطوف على ﴿ٱلَّيْلَ﴾. ﴿لِتَسْكُنُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿جَعَلَ﴾ أيضاً. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق. ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لعلكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، وجملة: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها من تعليل. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ذكرت هذه الآية بحروفها برقم [٦٢] وأعيدت هنا لزيادة التوبيخ والتقريع للمشركين للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به! أو الآية الأولى لتقرير فساد آرائهم، وهذه الآية لبيان: أن إشراكهم لم يكن عن سند، وإنما هو محض تشهٍّ، ومجرد هوًى.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أي: وأخرجنا يوم القيامة. ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: يشهد عليهم، والمراد به رسولهم يشهد عليهم بأن بلغهم رسالة ربهم، ونصح لهم، اقرأ معي قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٤١]: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: حجتكم على صحة ما كنتم تدينون به من الشرك، ومخالفة الرسل. ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: أيقنوا يوم القيامة: أن الدين القويم هو الذي ارتضاه الله للناس أجمعين، وهو دين التوحيد. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: غاب عنهم. ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: يختلقون في الدنيا من الكذب على الله من إلوهية غيره، والشفاعة لهم.

هذا؛ و(ضل): غاب كما رأيت، وأكثر استعماله في القرآن الكريم بمعنى: كفر، وخرج عن جادة الحق والصواب، وهو ضد: اهتدى، واستقام. وضل الشيء: ضاع وهلك، وضل: أخطأ في رأيه. ولولا هذا المعنى؛ لكفر أولاد يعقوب بقولهم لأبيهم في حضرته: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾، وقولهم في غيبته: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾. وضل: تحير، وهو أقرب ما يفسر به قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾. هذا؛ والتعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه، وهو فن من فنون البلاغة، كما هو معروف ببابه.

الإعراب: ﴿وَنَزَعْنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (نزعنا): فعل، وفاعل. ﴿مِن كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿شَهِيدًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَنَزَعْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَقُلْنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (قلنا): فعل، وفاعل. ﴿هَاتُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿هَاتُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾: الفاء: حرف عطف. (علموا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف

للتفريق. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: اسمها. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (علموا)، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَضَلَّ﴾: الواو: حرف عطف. (ضل): فعل ماض. ﴿عَنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ضل عنهم الذي، أو شيء كانوا يفترونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ضل عنهم افتراؤهم. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَفْتَرُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان).

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: قال القرطبي رحمه الله تعالى: لما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ بيّن أن قارون أوتيها، فاغتر بها، ولم تعصمه من عذاب الله، كما لم تعصم فرعون، ولستم أيها المشركون بأكثر عدداً، ومالاً من فرعون، وقارون، فلم ينفع فرعون جنوده، وأمواله، ولم ينفع قارون قرابتُه من موسى، ولا كنوزه. قال النخعي، وقتادة، وغيرهما: كان ابن عمِّ موسى لحًّا، وهو قارون، بن يصهر، بن قاهث، بن لاوي، بن يعقوب، وموسى بن عمران، بن قاهث. انتهى.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: تكبر عليهم، وأراد أن يكون بنو إسرائيل تحت أمره. وقيل: أمّره فرعون على بني إسرائيل، فجعل يظلمهم، ويستبد بهم. ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: من الأموال المدخرة. وقيل: أظفره الله بكنز من كنوز يوسف، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقيل: سميت أمواله كنوزاً؛ لأنه كان ممتنعاً من أداء الزكاة، وبسبب ذلك عادى موسى، عليه السلام.

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ أي: مفاتح كنوزه، جمع مِفتح ـ بكسر الميم، وفتح التاء ـ فيكون المراد به الآلة المعروفة، ويؤيده قراءة: (مفاتيح) في سورة (الأنعام) ويكون قد حذف منه عند الجمع الألف التي تقلب ياء في صيغة منتهى الجموع، كما قيل في جمع: مصباح: مصابح، وفي جمع: محراب: محارب، أو هو جمع مفتح ـ بفتح الميم، وكسر التاء ـ كمخزن وزناً، ومعنى، وهو الخزانة. وقال النسفي: والأصوب: أنها المقاليد، والمعتمد الأول بدليل قوله تعالى: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ أي: لتثقلهم، وتميل بهم؛ إذا حملوها. قال النمر بن تولب الصحابي ـ رضي الله عنه ـ، قيل: إنه عمر مئتي سنة: [الطويل]

يَـوَدُّ الْـفَـتَـى طُـولَ الـسَّـلَامَـةِ والْـبَـقَـا فـكـيـفَ يُـرى طـولَ الـسـلَامَـةِ يـفْـعَـلُ؟

يـوَدُّ الـفـتـى بـعـدَ اعـتِـدالٍ وَصِـحَّـةٍ يَـنُـوءُ إذا رامَ الـقـيـامَ ويُـحْـمَـلُ

هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ قلب؛ إذ المعنى: لتنوء العصبة بها، أي: تنهض بها متثاقلة. هذا؛ والقلب باب واسع من أبواب النحو، ويوجد في القرآن كثير، كما رأيته في مواضعه. ومن شواهده الشعرية الشواهد رقم [١١٨٧] إلى [١١٩٤] من كتابنا فتح القريب المجيب، وخذ واحداً منها، وهو للقطامي: [الوافر]

فَـلَـمَّـا أَنْ جَـرَى سِـمَـنٌ عَـلَـيْـهَـا كـمـا طَـيَّـنْـتَ بِـالْـفَـدَنِ الـسِّـيَـاعَـا

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان يحمل مفاتيح خزائنه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال. وقيل: كان قارون يحمل معه مفاتيح كنوزه معه أينما ذهب، وكانت من حديد، فلما كثرت، وثقلت؛ جعلها من خشب، فثقلت فجعلها من جلود البقر، كل مفتاح على قدر الإصبع، وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلاً.

هذا؛ والعصبة، ومثلها العصابة: من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين، وهو قول السدي، وقتادة، وقال تعالى في قصة أولاد يعقوب، وكانوا عشرة: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ ثم قالوا: ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾. هذا؛ والعصبة، والعصابة: الجماعة من الناس، والخيل، والطير، واعصوصبوا: اجتمعوا، والعصبة لا واحد لها من لفظها، مثل: نفر، ورهط، ومعشر، وانظر شرح (أولو) في الآية رقم [٣٣] من سورة (النمل).

﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡ﴾ أي: المؤمنون من بني إسرائيل. قاله السدي. وقال يحيى بن سلام: القوم هنا: موسى، وقاله الفراء أيضاً، وعليه فهو جمع، أريد به واحد، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ وإنما هو نعيم بن مسعود، كما رأيت في الآية رقم [١٧٣] من سورة (آل عمران) والمراد بالفرح: البطر، وهو مذموم؛ لأنه نتيجة حب الدنيا، والرضا بها، والذهول عن ذهابها، فإن الواقع بأن ما فيها من اللذة زائل لا محالة، يوجب الهم، والغم، والحزن الطويل، كما قال أبو الطيب المتنبي: [الوافر]

أَشَـدُّ الْـغَـمِّ عِـنْـدِي فِـي سُـرُورٍ تَـيَـقَّـنَ عَـنْـهُ صـاحِـبُـهُ انْـتِـقَـالَا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ أي: بزخارف الدنيا، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ويبطرون به على خلقه، قال الشاعر: [الطويل]

وَلَـسْـتُ بِـمِـفْـراحٍ إذَا الـدَّهْـرُ سَـرَّنِـي وَلَا ضَـارِعٍ مِـنْ صَـرْفِـهِ الْـمُـتَـقَـلِّـبِ

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿قَٰرُونَ﴾: اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿قَٰرُونَ﴾. ﴿مِن قَوۡمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان). و﴿قَوۡمِ﴾

مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَبَغَىٰ﴾: الفاء: حرف عطف. (بغى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿قَـٰرُونَ﴾، تقديره: «هو»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ﴾: الواو: حرف عطف. (آتيناه): فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. هذا؛ وإن اعتبرتها في محل نصب حال من فاعل (بغى) المستتر، فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط: الواو، والضمير، وتكون: «قد» قبلها مقدرة. ﴿مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَتَنُوٓأُ﴾: اللام: هي المزحلقة. (تنوء): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿أُوْلِى﴾: صفة (العصبة) مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و﴿أُوْلِى﴾ مضاف، و﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل (تنوء)، وقال أبو البقاء: متعلق بـ: (آتينا)، ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل محذوف، دل عليه الكلام، أي: بغى؛ إذ قال له قومه. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان به. ﴿قَوْمُهُۥ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا تَفْرَحْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلْفَرِحِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱبْتَغِ﴾: اطلب، واقصد. ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: من المال، والغنى. ﴿ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي: الجنة، وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم، وتنفق المال في مرضاة الله عز وجل؛ لأن من حق المؤمن العاقل أن يصرف المال فيما يقربه من رحمة الله تعالى، لا فيما يسبب له غضبه، وسخطه من تجبر وتكبر، وبغي، وفساد في الأرض.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾: اختلف فيه، فقال ابن عباس، والجمهور: لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملاً صالحاً في دنياك؛ إذ الآخرة إنما يعمل لها، فنصيب الإنسان عمره، وعمله الصالح فيها. فالكلام على هذا التأويل شدة في الموعظة. وقال الحسن، وقتادة: معناه: لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال، وطلبك إياه، ونظرك لعاقبة دنياك. فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به، وإصلاح الأمر الذي يشتهيه، وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النَّبْوَةِ من الشدَّة. قاله ابن عطية. وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في قوله: احرثْ لدنياك كأنك تعيشُ أبداً، واعملْ لآخرتِكَ كأنكَ تموتُ غداً، وقيل: لا تَنْسَ صحتك، وقوتك، وشبابك، وغناك أن تطلب بها الآخرة. وعن عمرو بن ميمون الأزدي قال: قال رسول الله ﷺ لرجل، وهو يعظه: «**اغْتَنِمْ خمساً قبلَ خمسٍ: شَبَابَكَ قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وغِنَاكَ قبْلَ فَقْرِكَ، وفرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وحياتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**».

﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أطع الله، واعبده، كما أنعم عليك. وقيل: أحسن إلى الناس، كما أحسن الله إليك. وقال ابن العربي: فيه أقوال كثيرة، جماعها: استعمال نعم الله في طاعة الله. ﴿وَلَا تَبْغِ﴾ أي: لا تقصد. ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كل من عصى الله وآذى عباد الله فقد طلب الفساد في الأرض، وتعرَّض لسخط الله، وشديد نقمته، ودليله عدم حبِّه له، وهو كناية عن البغض، والسخط، والغضب. ومحبته جلت قدرته للعبد: رضاه عنه، وغفر ذنوبه، وستر عيوبه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱبْتَغِ﴾: الواو: حرف عطف. (ابتغ): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِيمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وأجاز أبو البقاء تعليقهما بمحذوف حال من الفاعل المستتر، والمعنى لا يؤيده، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (في). ﴿ءَاتَىٰكَ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والكاف مفعول به أول، والمفعول الثاني ـ وهو العائد، أو الرابط ـ محذوف؛ إذ التقدير: في الذي، أو: في شيء آتاك الله إياه. وأجاز أبو البقاء فيها المصدرية، والمعنى لا يؤيده. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة ما، أو صفتها. ﴿ٱلدَّارَ﴾: مفعول به للفعل: (ابتغ) ﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾: صفة: ﴿ٱلدَّارَ﴾، وجملة: ﴿وَٱبْتَغِ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ فهي مثلها في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَنسَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ(لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿نَصِيبَكَ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿نَصِيبَكَ﴾. وهو أقوى معنىً، وجملة: ﴿وَلَا تَنسَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿وَأَحْسِن﴾: الواو:

حرف عطف. (أحسن): فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت» ﴿كَمَآ﴾ الكاف حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿أَحۡسَنَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿إِلَيۡكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، يقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: أحسن إحساناً كائناً مثل إحسان الله إليك، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٩] عن سيبويه، رحمه الله تعالى. واعتبار (ما) موصولة ضعيف. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا تبغ): فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلۡفَسَادَ﴾: مفعول به. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ إعراب هذه الجملة ومحلها مثلها إعراب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ في الآية السابقة بلا فارق.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾

الشرح: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ أي: على فضل، وخير عَلِمَه الله عندي، فرآني أهلاً لذلك، ففضلني بهذا المال عليكم، كما فضلني بغيره. وقيل: هو علم الكيمياء، وكان موسى عليه السلام يعلمه، فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم، وعلم كالب بن يوقنا ثلثه، وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، فكان يصنع من الرصاص فضة، ومن النحاس ذهباً، وكان ذلك سبب كثرة أمواله. وقيل: كان علمه حسن التصرف في التجارات، والزراعات، وأنواع المكاسب. انتهى. خازن. وقال القرطبي: يعني: علم التوراة، وكان فيما روي من أقرأ الناس لها، ومن أعلمهم بها، وكان أحد السبعين الذين اختارهم موسى للميقات. انتهى. فهو كقول الله تعالى على لسان الآخر: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍۭۚ﴾ الآية رقم [٤٩] من سورة (الزمر).

فائدة: قال سهل: ما نظر أحد إلى نفسه، فأفلح! والسعيد من صرف بصره عن أفعاله، وأقواله، وفتح له سبيل رؤية منّة الله تعالى عليه في جميع الأفعال، والأقوال، والشقي من زين في عينه أفعاله، وأقواله، وأحواله، ولا فتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه، فافتخر بها، وادعاها لنفسه، فشؤمه يهلكه يوماً، كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلاً. انتهى. نسفي.

﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ...﴾ إلخ: أي: ألم يعلم علم اليقين: أن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه، وأغنى؛ لأنه قد قرأ في التوراة، وفيها ذكر من أهلك الله، كعاد، وثمود، وما فرعون منه ببعيد، كأنه قيل: أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا، حتى لا يغتر بكثرة ماله، وقوته، أو هو نفي لعلمه بذلك؛ لأنه لما قال: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ

عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾، قيل: أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه، ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة، ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين. انتهى. نسفي.

﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: لعلمه تعالى بهم، بل يدخلون النار بغير حساب، أو يعترفون بها بغير سؤال، أو يعرفون بسيماهم، فلا يسألون، أو لا يسألون من جهتهم؛ لتعلم ذنوبهم، بل يسألون سؤال تقريع، وتوبيخ. أو لا يسأل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة. انتهى. نسفي. وانظر العنكبوت [١٣] قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: وجه اتصال هذه الجملة بما قبلها: لما ذكر الله قارون ومَنْ أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه، وأغنى مالاً منه؛ قال على سبيل التهديد، والوعيد له: والله مطلع على ذنوب المجرمين، لا يحتاج إلى سؤالهم عنها، وهو قادر على أن يعاقبهم عليها، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وما أشبه ذلك. انتهى. بتصرف.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: (قارون). ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والهاء مفعوله الثاني. ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من تاء الفاعل. ﴿عِندِيٓ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿عِلۡمٍ﴾، أو بمحذوف صفة له، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَوَلَمۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَعۡلَمۡ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل يعود إلى: ﴿قَٰرُونُ﴾. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَهۡلَكَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَنۡ﴾ بعدهما، و﴿مِن﴾ الجارة تبيين لما أبهم فيها. ﴿مَنۡ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾: خبره. ﴿مِنۡهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَشَدُّ﴾. ﴿قُوَّةً﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ أَشَدُّ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَأَكۡثَرُ﴾: معطوف على ﴿أَشَدُّ﴾، ومتعلقه محذوف. ﴿جَمۡعٗا﴾: تمييز، وجملة: ﴿قَدۡ أَهۡلَكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول: ﴿يَعۡلَمۡ﴾، وجملة: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف، أو حرف عطف.

(لا): نافية. ﴿يُسْأَلُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿عَن ذُنُوبِهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والمفعول الأول نائب الفاعل، وهو قوله ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾: قيل: خرج هو، وحاشيته، وهم سبعون ألفاً، عليهم الثياب الحمر، والصفر، والمعصفرات، وكان ذلك أول يوم رؤي فيه المعصفر. وقيل: خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأُرجُوان، وعليها سرج من ذهب، ومعه أربعة آلاف من حاشيته على زيه. وقيل: عليهم، وعلى خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاثمئة غلام، وعن يساره ثلاثمئة جارية بيض، عليهن الحلي، والديباج، والجميع على البغال الشهب.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: قيل: كانوا مسلمين، وإنما تمنوا ذلك على سبيل الرغبة في اليسار على عادة البشر. وقيل: هو من قول أقوام لم يؤمنوا بالآخرة، ولا رغبوا فيها، وهم الكفار. ولا وجه له؛ لأن بني إسرائيل كانوا جميعاً مؤمنين موحدين في عهد موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾: قالوا ذلك غبطة، والغابط: هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه، كما في هذه الآية. وهذا لا بأس به، ولا يضر بالدين. أما الحاسد فهو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه، وقد نهى الله عنه بقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وهذا مذموم، ضارٌّ بالدين، يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب. قيل للنبي ﷺ: هل يضر الغبط؟ فقال: «**لا إلا كما يضر العضاه الخبط**». هذا؛ والتمني: طلب ما لا طمع فيه كقول أبي العتاهية: [الوافر]

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْماً فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

أو ما فيه عسر، كقول المعدم الآيس: ليت لي قنطاراً من الذهب. هذا؛ والترجي طلب المحبوب المتوقع حصوله، كقولك: لعل زيداً هالك.

﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: صاحب حظ، والحظ: الجد، وهو البخت، والدولة، وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت، يقال: فلان ذو حظ، وحظيظ، ومحظوظ، وما الدنيا إلا أحاظٍ، وجدود. هذا؛ والحظ ضد النَّحس، وعليه قول أبي العلاء المعري: [الكامل]

لا تَطْلُبَنَّ بِغَيْرِ حَظٍّ رُتْبَةً قَلَمُ الأديبِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ

سكَنَ السِّماكَانِ السماءَ كِلاهُما هَذا لَهُ رُمْحٌ وَهَذا أَعْزَلُ

الإعراب: ﴿فَخَرَجَ﴾: الفاء: حرف عطف. (خرج): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿قَـٰرُونُ﴾. ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل (خرج) المستتر، وجملة: ﴿فَخَرَجَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قَالَ إِنَّمَآ...﴾ إلخ وما بينهما كلام معترض. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. (يا): حرف تنبيه. وقيل: أداة نداء، والمنادى محذوف، والمعتمد الأول. (ليت): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (ليت) تقدم على اسمها. ﴿مِثْلَ﴾: اسمها مؤخر، و(مثل) مضاف، و﴿مَآ﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿أُوتِىَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والمفعول الثاني محذوف، والمفعول الأول هو نائب الفاعل، الذي هو ﴿قَـٰرُونُ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: مثل الذي أوتيه قارون، والجملة الاسمية: ﴿يَـٰلَيْتَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَذُو﴾: اللام: هي المزحلقة. (ذو): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذو) مضاف، و﴿حَظٍّ﴾ مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة ﴿حَظٍّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للتمني، لا محل لها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: بالثواب، والعقاب، وفناء الدنيا، وبقاء الآخرة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني الأحبار للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون. ﴿وَيْلَكُمْ﴾: دعاء بالهلاك، استعمل للزجر عما لا يرتضى. ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ أي: جزاؤه للمؤمنين المطيعين، وهو الجنة. ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾: صدق بوعد الله. ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾: هذا احتراسٌ، وقد ذكرته لك مراراً، وهو يفيد: أنه لا بد من العمل الصالح مقروناً بالإيمان. ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء، أو للثواب، فإنه بمعنى المثوبة، أو للجنة المفهومة من الكلام، أو للإيمان، والعمل الصالح، فإنهما بمعنى السيرة، والطريقة، ومثلها قوله تعالى في سورة (فصلت) رقم [٣٤]: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

هذا؛ وأصل ﴿أُوتُوا۟﴾: (أوتِيُوا) فاستثقلت الضمة على الياء، فحذفت، فالتقى ساكنان: الياء، والواو، فحذفت الياء، وبقيت الواو. فصار: (أُوْتِوْا) ثم قلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو.

هذا؛ و(ويل) كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة، وأصلها في اللغة: العذاب والهلاك. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الويل: شدة العذاب. وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الويلُ وادٍ في جَهَنَّم، يَهْوِي بِهِ الكافِرُ أربعينَ خَرِيفاً قَبْلَ أَنْ يبلغَ قَعْرَهُ**». أخرجه الترمذي. هذا؛ والويل مصدر لم يستعمل منه فعل؛ لأن فاءه وعينه معتلتان، ومثله: وَيْح، ووَيْس، ووَيْب، وهو لا يثنى، ولا يجمع. وقيل: يجمع على: ويلات بدليل قول امرئ القيس: [الطويل]

وَيَــوْمَ دَخَـلْـتُ الْـخِـدْرَ خِـدْرَ عُـنَـيْـزَةٍ فَـقَـالَـتْ: لَـكَ الْـوَيْـلَاتُ إِنَّـكَ مُـرْجِـلِـي

وإذا أضيفت هذه الأسماء، فالأحسن النصب على المفعولية المطلقة، وإذا لم تضف فالأحسن فيها الرفع على الابتداء، وهي نكرات، وساغ ذلك؛ لتضمنها معنىً خاصاً. هذا؛ وويل: نقيض: الْوَأْل، وهو النجاة. وقد ينادى الويل إذا أضيف إلى ياء المتكلم، أو (نا) وسبقته أداة النداء، وانظر: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ في الآية رقم [٧٢] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وانظر ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا﴾ في الآية رقم [٤٩] من سورة (الكهف)، ولا تَنْسَ: أنه قد أنث الويل في الآيتين المذكورتين. هذا؛ وانظر شرح (الصبر) في الآية رقم [٨٥] من سورة (الأنبياء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، ﴿أُوتُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿ٱلۡعِلۡمَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف. وقال أبو البقاء: مفعول به لفعل محذوف، أي ألزمكم الله ويلكم. والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ثَوَابُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله؛ لأنه بمعنى: إثابة الله لكم. ﴿خَيۡرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِّمَنۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيۡرٌ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام. ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة (مَنْ) أو صفتها، وجملة: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: معطوفة عليها، والكلام ﴿وَيۡلَكُمۡ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به ثان. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾: نائب فاعل وهو المفعول الأول مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من مرجع الضمير المنصوب، وهو أولى، والرابط: الواو و الضمير.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: (خسفنا به) أي: بقارون، والخسف: انهيار الأرض، وخَسَف المكان: ذهب في الأرض، وبابه: جلس، وخَسَف الله به الأرض من باب: ضرب، أي: غاب به فيها، وخسوف القمر: ذهاب ضوئه. هذا؛ والخسف: النقصان، والخسف: الذلة، والمهانة، والحقارة، قال الشاعر: [البسيط]

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ ... إِلَّا الأَذَلَّانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتِدُ

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾: جماعة من الناس، وهي اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل: قوم، وفريق، ومعشر... إلخ؛ ولذا أعاد عليه الضمير بلفظ الجمع، والمراد: فما كان له أعوان يدفعون عنه عذاب الله. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ أي: الممتنعين من عذابه.

تنبيه: كان قارون ابن عم موسى كما ذكرت لك فيما سبق، وكان قد آمن به، وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة، فسمع كلام الله تعالى، وكان أعلم بني إسرائيل بعد موسى، وهارون على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام، وأقرأهم للتوراة، وأكملهم، فابتلاهُ الله بالغنى، وجمع المال، فبغى، وطغى، وكان موسى يداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه كل وقت، ولا يزيد إلا عتواً، وتجبراً، ومعاداةً لموسى - عليه السلام - حتى بنى داراً، وجعل لها باباً من ذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون، فيطعمهم الطعام، ويحدثونه، ويضاحكونه.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما نزلت فريضة الزكاة على موسى؛ أتاه قارون، فصالحه على كل ألف دينار عنها دينار، وعلى كل ألف درهم عنها درهم، وعلى كل ألف شاة عنها شاة، وكذلك سائر الأشياء، انتهى. أقول: والمشهور: أن الزكاة كانت مفروضة على بني إسرائيل بمقدار الربع من جميع أصناف المال، ويظهر أن موسى عليه السلام صالحه على ما ذكر لما رأى من شحه، وبخله.

ثم رجع قارون إلى بيته، وماله بعد المصالحة المذكورة، فحسب ماله، فوجد المال المطلوب إخراجه زكاةً كثيراً، فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بني إسرائيل، وقال لهم: إن موسى أمركم بكل شيء، فأطعتموه، وهو يريد أن يأخذ أموالكم. فقالوا له: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، قال: آمركم أن تأتوا فلانة البغي، وتجعلوا عليكم لها جُعْلاً على أن تقذف موسى بنفسها،

فإذا فعلت ذلك؛ خرج عليه بنو إسرائيل، فرفضوه. فدعَوْها، فجعل لها قارون ألف دينار، وألف درهم. وقيل: طستاً من ذهب، وقيل: قال لها قارون: أنزلك بيتي، وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل. قالت: نعم، فلما كان الغد، وهو يوم عيد لهم، قام موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ خطيباً، فقال: من سرق قطعنا يده، ومن زنى غير محصن جلدناه، ومن زنى، وهو محصن؛ رجمناه إلى أن يموت. فقال قارون: وإن كنت أنت، قال: وإن كنت أنا. قال: فإن بني إسرائيل يزعمون: أنك فجرت بفلانة البغي،قال موسى: ادعوها فلما جاءت، قال لها موسى: أسألك بالله الذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة إلا صدقت، فتداركها الله بالتوفيق.

فقالت في نفسها: أحدث توبة أفضل من أن أوذي رسول الله. فقالت: لا والله، ولكن قارون جعل لي جُعْلاً على أن أقذفك بنفسي! فخر موسى ساجداً يبكي، ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي! فأوحى الله إليه: إني أمرت الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت. فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون، كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا قارون، فلم يبق معه إلا رجلان، وقيل: كان على سريره، وفرشه فأخذته الأرض حتى غيبت سريره، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق.

وأصحاب قارون يتضرعون إلى موسى، وقارون يناشده الله، والرحم؛ حتى قيل: إنه ناشده أربعين مرة. وقيل: سبعين مرة، وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأطبقت عليهم الأرض، فأوحى الله إلى موسى ـ عليه السلام ـ: ما أغلظ قلبك! يستغيث بك قارون سبعين مرة، فلم تغثه، أما وعزتي، وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته! وفي بعض الآثار، لا أجعل بعدك الأرض طوعاً لأحد.

قال قتادة: خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامةَ رَجُلٍ، لا يبلغ قرارها إلى يوم القيامة. وأصبح بنو إسرائيل يقولون فيما بينهم: إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره، وكنوزه، وأمواله، فدعا الله موسى حتى خسف بداره، وكنوزه، وأمواله. وقد ذكر في فتح الباري شرح البخاري نكتة لطيفة، وهي أن مقتضى هذا الحديث: أن الأرض لم تأكل جسده، فيمكن أن يلغز، ويقال لنا: كافر لا يبلى جسده بعد الموت، وهو قارون. والله أعلم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٩] من سورة (الأحزاب).

الإعراب: ﴿فَخَسَفْنَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (خسفنا): فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. (بداره): جار ومجرور، معطوفان عليهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿فَخَسَفْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿فِئَةٍ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ تامة فـ﴿فِئَةٍ﴾ فاعلها، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿فِئَةٍ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿يَنصُرُونَهُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر على اللفظ، أو في محل رفع على المحل صفة: ﴿فِئَةٍ﴾. ﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة العائدة على ﴿فِئَةٍ﴾. و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال، (ما): نافية، ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى قارون. ﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ، في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَصْبَحَ﴾ أي: صار؛ فليس المراد التوقيت في الصباح. ﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾: منزلته، وهو ما كان فيه من النعيم، والزينة، والتفاخر بالأموال، والتعاظم بالذهب، والفضة، والعمارات الشامخة، والفرش الوثيرة. ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: يبسط، ويقدر بمقتضى مشيئته، لا لكرامة تقتضي البسط، ولا لهوان يوجب القبض، فإن القوم الذين شاهدوا قارون في زينته لما شاهدوا ما نزل به من الخسف؛ تنبهوا لخطئهم في تمنيهم، مثل ما أوتي قارون حيث علموا: أن بسط الرزق لا يكون لكرامة الإنسان على الله، ولا تضييقه لهوانه عليه، فتعجبوا من أنفسهم: كيف وقعوا في مثل هذا الخطأ، ثم ابتدؤوا يقولون: كأن الله يبسط الرزق... إلخ، والمعنى: ليس الأمر كما زعمنا من أن البسط في الرزق ينبئ عن الكرامة، والقبض ينبئ عن الهوان، بل كان بمقتضى مشيئته، وحكمته. هذا؛ و﴿تَمَنَّوْا۟﴾ أرادوا، وأحبوا، ويأتي (تمنى) بمعنى: قرأ، وتلا قال الشاعر في عثمان ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ تَمَنِّي داوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ

أي: قرأ كتاب الله، ومثله قول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أولَ لَيْلَةٍ وآخِرَهَا لاَقى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالإيمان، والرحمة، وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البغي والبطر. هذا؛ وقرئ: (لولا مَنُّ اللهِ لخسف بنا) أي: لِمَا يحصل فينا من الغطرسة، والبغي

المتولد عن الغنى، كقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾. ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: الجاحدون لنعمة الله، أو المكذبون برسله، وبما وعد لهم من ثواب الآخرة.

هذا؛ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ بمعنى: يضيق، ويفقر من المال. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ وقال جل ذكره: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾. أما (وي) فقد قال ابن جني ـ رحمه الله ـ في المحتسب: في: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ ثلاثة أقوال: منهم من جعلها كلمة واحدة، فلم يقف على (وَيْ)، ومنهم من يقف على: (وَيْ)، ويعقوب يقف على: (وَيْكَ) وهو مذهب أبي الحسن، والوجه فيه عندنا قول الخليل، وسيبويه، وهو أن: (وَيْ) على قياس مذهبهما اسم سمي به الفعل، فكأنه اسم فعل بمعنى: أعجب، ثم ابتدأ، فقال: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فـ: (كأنَّه) هنا إخبار عار من معنى التشبيه، ومعناه: إن الله يبسط الرزق، و: (وَيْ) منفصلة من (كأن)، وعليه بيت الكتاب، وأنشد قول سعيد بن زيد الصحابي أحد العشرة المبشرين بالجنة، ـ رضي الله عنه ـ: [الخفيف]

وَيْ كَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

هذا كلامه، وهو خلاف ما صرح به سيبويه، قال: سألت الخليل عن قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وعن قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ...﴾ إلخ، فزعم أنها مفصولة من كأنَّ، والمعنى وقع على أن القوم انتبهوا، فتكلموا على قدر علمهم، أو نبهوا فقيل لهم: أما يشبه أن يكون هذا عندكم كذا، والله أعلم.

قال النحاس: يريد: أن معنى (وَيْ) تنبيه يقولها الإنسان حين يستنكر أمراً، أو يستعظمه، فيقول: «وَيْ!» فتكون (وَيْكَأَنَّ) مركبة من (وَيْ) للتنبيه، ومن (كأنَّ) للتشبيه، وكذلك قال الأعلم. انتهى. بغدادي بتصرف. وقال الفراء: هي كلمة تقرير، كقولك: أما ترى إلى صنع الله، وإحسانه! وذكر أن أعرابية قالت لزوجها: أين ابنك ويلك؟! فقال: وي كأنه وراء البيت، أي: أما تَرَيْنَهُ وراء البيت! هذا؛ وعلى قول يعقوب: إن الوقف على: (ويك) جاء قول عنترة العبسي في معلقته رقم [٩٩]: [الكامل]

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا ... قِيلُ الْفَوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

وعليه فالكاف حرف خطاب مضمومة إلى (وَيْ) وأنه بمعنى: لأنه. وبقي قول آخر للكوفيين، وهو: أن (ويْك) بمعنى: ويلك، بل وهو أصلها، فحذفت اللام، واتصلت الكاف بـ: (وَيْ) وفيه بعد في المعنى، والإعراب؛ لأن القوم لم يخاطبوا في الآية أحداً بخلاف بيت عنترة، ولأن حذف اللام من هذا لا يعرف، ولأنه كان يجب أن تكون «إن» مكسورة؛ إذ لا شيء يوجب فتحها. انتهى. من هنا وهناك. وقد ذكر الجمل الأقوال كلها باختصار، وإيجاز، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

الإعراب: ﴿وَأَصْبَحَ﴾: الواو: حرف عطف، (أصبح): فعل ماض ناقص. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع اسمها. ﴿تَمَنَّوْا۟﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مَكَانَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من: ﴿مَكَانَهُۥ﴾، ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية مع مقولها في محل نصب خبر (أصبح). هذا؛ وأجيز اعتبار (أصبح) تامة. وليس بشيء. وجملة: ﴿وَأَصْبَحَ...﴾ إلخ، معطوفة على جملة: (خسفنا. . .) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾: فيها أوجه، ومذاهب: أحدهما: أن (وَيْ) اسم فعل مضارع بمعنى: أعجب مبني على السكون، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنا»، والكاف حرف تشبيه وجر، و(أن) حرف مشبه بالفعل. و﴿ٱللَّهَ﴾ اسمها، والجملة الفعلية بعدها في محل رفع خبرها، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار، والمجرور متعلقان باسم الفعل (وَيْ) والمعنى: أعجب؛ لأن الله يبسط. . .إلخ.

الثاني: أن (وَيْ) اسم فعل مضارع مثل الأول، و(كأن) حرف مشبه بالفعل، و﴿ٱللَّهَ﴾ اسمها، والجملة الفعلية خبرها، إلا أن معنى التشبيه ذهب منها، وصارت للخبر، واليقين.

والثالث: أن (ويك) كلمة برأسها؛ أي: هي اسم فعل مضارع مثل الأول، والثاني، والكاف حرف خطاب، لا محل له، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي فعل محذوف، التقدير: اعلم: أن الله يبسط. . .إلخ. قال هذا الأخفش.

الرابع: أن (ويك) مفعول مطلق عامله محذوف، وهذا على أن أصلها: «ويلك» وفيه بعد في المعنى، والإعراب، كما رأيت في الشرح.

والخامس: اعتبار: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ كلمة مستقلة بسيطة عاملة عمل «أنَّ»، و﴿ٱللَّهَ﴾ اسمها، وجملة: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾، في محل رفع خبرها على جميع أوجه الإعراب المتقدمة، والرابط رجوع فاعل ﴿يَبْسُطُ﴾، ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(من) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو لشخص يشاؤه، ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و(مِنْ) بيان لما أبهم في: (مَنْ)، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: الواو: حرف عطف. (يقدر): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله) والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يَبْسُطُ...﴾ إلخ، فهي في محل رفع مثلها.

﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿مَّنَّ﴾: فعل ماض، و﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و: ﴿أَن﴾ والفعل ﴿مَّنَّ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ. هذا؛ وقرأ الأعمش: (لولا مَنُّ اللهِ) بحذف ﴿أَن﴾، ورفع (مَنُّ) على الابتداء، وإضافته إلى لفظ الجلالة. وعلى الوجهين فخبر المبتدأ محذوف، تقديره: لولا من الله علينا موجود. ﴿لَخَسَفَ﴾: اللام: واقعة في جواب: ﴿لَوْلَآ﴾. (خسف): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، وقرئ بالبناء للمجهول. ﴿بِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل (خسف) على بنائه للمعلوم، وهما في محل نائب فاعل على بنائه للمجهول، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْلَآ﴾، لا محل لها، و﴿لَوْلَآ﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: إعراب هذه الجملة مثل سابقتها، وهي توكيد لها.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ أي: الجنة، والإشارة تعظيم لها، وتفخيم لشأنها، والمعنى: تلك التي سمعت بذكرها، وبلغك وصفها. ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: رفعة وتكبراً على الإيمان، والمؤمنين، كتكبر فرعون. ﴿وَلَا فَسَادًا﴾: عملاً بالمعاصي، كالذي حصل من قارون؛ حيث افترى على موسى الافتراءات. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ أي: المحمودة. وقد روي عن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يردد هذه الآية حتى قبض. وعن الفضيل: أنه قرأ هذه الآية، ثم قال: ذهبت الأماني هاهنا.

هذا؛ والطماع في رحمة الله من دون عمل صالح، مَنْ يجعل العلو لفرعون، متعلقاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والفساد لقارون متعلقاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ويقول: من لم يكن مثل فرعون، وقارون؛ فله الدار الآخرة؛ أي: الجنة، ولا يتدبر قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما تدبره الفضيل، وعمر رحمهما الله تعالى.

الإعراب: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلدَّارُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿ٱلْءَاخِرَةُ﴾: صفة: ﴿ٱلدَّارُ﴾. ﴿نَجْعَلُهَا﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و(ها): مفعول به أول. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿لَا﴾: نافية، ﴿يُرِيدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عُلُوًّا﴾: مفعول به. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عُلُوًّا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿لَا﴾: زائدة لتأكيد النفي. ﴿فَسَادًا﴾:

معطوف على: ﴿عُلُوًّا﴾، والجملة الاسمية: ﴿تِلْكَ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: الواو: حرف استئناف. (العاقبة): مبتدأ. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وهو أقوى من العطف على الجملة السابقة، وأقوى من اعتبارها حالاً، وجملة: ﴿نَجْعَلُهَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿تِلْكَ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: ذاتاً، وصفةً، وقدراً، وانظر الآية رقم [٨٩] من سورة (النَّمل)، ففيها الدواء الشافي لقلبك. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾، انظر الآية رقم [٩٠] من سورة (النمل) أيضاً. ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجيناً لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم، وفيه زيادة تبغيض السيئة إلى قلوب السامعين. ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: إلا مثل ما كانوا يعملون، وهذا من فضله العظيم، وكرمه العميم أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها، ويجزي الحسنة بعشر أمثالها، وبسبعمئة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم.

ووجه المناسبة بين هذه الآية، والتي قبلها: أن الله تعالى لما حكم بأن العاقبة للمتقين؛ أكد ذلك بوعد المحسنين، ووعيد المسيئين، ثم وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين. هذا؛ والحسنة: ما يحمد فاعله شرعاً، وسميت حسنة؛ لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة، والمراد بالحسنة: المقبولة الأصلية المعمولة للعبد، أو ما في حكمها، كما لو تصدق عنه غيره.

وأما السيئة، فهي: ما يذم فاعلها شرعاً، صغيرةً كانت، أو كبيرةً، وسميت سيئة؛ لأن فاعلها يساء بها عند المجازاة عليها في الدنيا، أو في الآخرة، وأصلها: سيْوِئة، فقل في إعلالها: اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء.

الإعراب: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: انظر الآية رقم [٨٩] من سورة (النمل)، والجملة التالية فإنها مثلها بلا فارق، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية، ﴿يُجْزَى﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعل، وهو المفعول الأول، ﴿عَمِلُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة

نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، وهي في الأصل مضاف إليه، والمضاف محذوف. التقدير: إلا مثل الذي، أو: مثل شيء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل نصب خبر (كان).

هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به ثان. وهو في الأصل مضاف إليه. والمضاف محذوف، التقدير: إلا مثل عملهم، والجملة الفعلية: ﴿فَلَا يُجْزَى...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَن﴾ اسماً موصولاً فتكون جملة: ﴿جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ صلتها، وجملة: (لا يجزى. . .) إلخ في محل رفع خبرها، ودخلت الفاء على خبرها؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية على الاعتبارين معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أوجب عليك تلاوته، وتبليغه والعمل به، والمعنى: إن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثواباً، لا يحيط به الوصف. ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: أيَّ معاد! وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه. وعن أبي سعيد الخدري، وابن عباس - رضي الله عنهما -: لرادك إلى الجنة؛ لأنه دخلها ليلة الإسراء، والمعراج. وقيل: لأن أباه آدم خرج منها.

هذا؛ وقول آخر: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مكة، وهو قول جابر بن عبد الله، وابن عباس، ومجاهد، وغيرهم. قال مقاتل: خرج النبي ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً إلى المدينة في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق، ونزل بالجحفة، عرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، فنزل جبريل الأمين - عليه السلام - فقال له: أتشتاق إلى مكة؟ قال: نعم، فأوحاها إليه. قال القتبي: معاد الرجل بلده؛ لأنه ينصرف منه، ثم يعود، وعليه فالآية الكريمة ليست مكية، ولا مدنية؛ لأنها نزلت بالجحفة. وفيها يتجلى مقدار الحب، والحنين للأوطان، ومما يؤكد هذا قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٦٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ حيث سوى الله بين قتل أنفسهم، وبين الخروج من ديارهم. وقال

تعالى حكاية عن قول قوم طالوت: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾. الآية رقم [٢٤٦]، من سورة (البقرة)، وقال بعضهم: من أمارات العاقل بره لإخوانه، وحنينه لأوطانه، ومداراته لأهل زمانه. والشعر العربي طافح بالحنين إلى الأوطان، أكتفي بقول أبي تمام: [الكامل]

نَقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئْتَ مِن الهوى ... ما الحُبُّ إلا لِلْحَبِيبِ الأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ في الأرضِ يألَفُهُ الفتى ... وحَنِينُهُ أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ

﴿قُل﴾: خطاب للنبي ﷺ، والمعنى: قل يا محمد للمشركين: ﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ...﴾ إلخ: فإن الله لما وعد النبي ﷺ الردَّ إلى معاد، قال له: قل للمشركين: ﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: وما يستحقه من الثواب، والتأييد، والنصر على الأعداء، ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: وما يستحقه من الإذلال والإهانة في الدنيا، والعذاب الشديد في العقبى. هذا؛ وفي ختم السورة بهذه الآية بشارة للنبي ﷺ، برده إلى مكة فاتحاً منتصراً مظفراً في وقت كان فيه خائفاً من لحاق قريش؛ وهو في طريق هجرته إلى المدينة المنورة.

تنبيه: هذه الآية اتخذها عبد الله بن سبأ اليهودي الخبيث ذريعة في تفرقة المسلمين وجعلهم شيعاً، فإنه انتحل الإسلام، وجعل يطوف في البلاد الإسلامية في عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ويقول: إن محمداً يعود إلى الدنيا قبل يوم القيامة كما يرجع عيسى إلى الدنيا، ومحمد أحق بالرجعة منه، شأنه في ذلك شأن بولص اليهودي الذي انتحل النصرانية، وجعلهم شيعاً، وقد سار أبناء الخبيث سيرته بعد موته حتى أَلَّهُوا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ وتم لهم ما أرادوا من جعل المسلمين شيعاً، وفرقاً، وهناك من يقدِّسه ويعظمه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿فَرَضَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَرَآدُّكَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (رادك): خبر ﴿إِنَّ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ (رادك)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ﴿رَّبِّيٓ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون

في محل نصب مفعول به لـ ﴿أَعْلَمُ﴾ على تأويله بـ: «عالم»، أو هو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: يعلم، وإنما احتيج إلى ذلك؛ لأن ﴿أَعْلَمُ﴾ لا ينصب المفعول به. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، وهو العائد أو الرابط. ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة ﴿مَن﴾ أو صفتها. ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿مَنْ﴾: معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَٰلٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ صلة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والجملة الاسمية: ﴿رَّبِّىٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟﴾: تأمل، وتتوقع. وانظر الآية رقم [٢١] من سورة (الفرقان) ﴿أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: ما كنت قبل النبوة، ونزول الوحي تُؤَمِّل أن ينزل عليك القرآن من السماء. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: ولكن أنزله الله عليك رحمة، وفضلاً، وكرماً، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: معاوناً، ومساعداً للكافرين على ظلمهم، وفسوقهم، وفسادهم. وانظر الآية رقم [١٧] تجد ما يسرك. هذا؛ وقيل: نزلت الآية الكريمة حين دعا كفارُ قريش النبيَّ ﷺ إلى دين آبائه، فذكره نعمهُ عليه، ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ، والمراد أهل دينه. انتهى. وهذا المعنى يتكرر في آيات الله، كما في الآية التالية.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَرْجُوٓا۟﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُلْقَىٰٓ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: نائب فاعل، و﴿أَن﴾ المصدرية والفعل ﴿يُلْقَىٰٓ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿تَرْجُوٓا۟...﴾ إلخ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتَ تَرْجُوٓا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. وإن اعتبرتها في محلٍّ نصب حال من ضمير المخاطب في الآية السابقة؛ فلست مفنداً، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر بمعنى: «لكن». ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول لأجله، والعامل محذوف، والتقدير: لكن ألقاه رحمة منه. ويجوز أن يكون الاستثناء محمولاً على المعنى، كأنه قال: وما ألقي إليك الكتاب إلا رحمة، أي: لأجل الترحم.

﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، وانظر الآية رقم [١٦]. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص مبني على الفتح في محل جزم بـ: (لا) الناهية، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والنون للتوكيد حرف لا محل له. ﴿ظَهِيرًا﴾: خبر ﴿تَكُونَنَّ﴾، ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ظَهِيرًا﴾، وجملة: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ...﴾ إلخ، لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر بـ: «إذا» التقدير: وإذا أنعمنا عليك بما أنعمنا فلا تكونن. . . إلخ، وهذا الكلام مستأنف لا محل له.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ولا يصرفنك عن قراءة آيات الله، والعمل بها كفار قريش، ومَنْ على شاكلتهم من المجرمين. هذا؛ وانظر صَدَّ يَصُدُّ في الآية رقم [٢٤] من سورة (النمل)، وقد قرئ (يُصِدُّنَّكَ) من: أصده، يصده، وهي لغة في بني كلب، قال ذو الرمة: [الطويل]

أُنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْهُمُ صُدُودَ السَّوَاقِي عَنْ أُنُوفِ الْحَوَائِمِ

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ادع الناس إلى دين الله وتوحيده. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: انظر ما ذكرته في الآية السابقة عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، (لا): ناهية جازمة. ﴿يَصُدُّنَّكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ «لا» الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين، والمدلول عليها بالضمة فاعله، والنون حرف لا محل له. ﴿عَنْ ءَايَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿ءَايَٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿إِذْ﴾ ظرف مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿أُنزِلَتْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة لا محل لها مثلها، وهي جملة: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ...﴾ إلخ. ﴿وَٱدْعُ﴾: الواو: حرف عطف. (ادع): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله

مستتر فيه. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص مبني على الفتح في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والنون حرف لا محل له، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُونَنَّ﴾ والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: هذا الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره، كقوله تعالى له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وحاشاه ﷺ أن يشرك باتخاذ إله مع الله تعالى، وانظر الآية رقم [٢١٣] من سورة (الشعراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا إله موجود في هذا الكون إلا الله تعالى. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي: إلا ذاته، فإن كل ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم، والتعبير بالوجه عن الكل مستعمل في العربية، وقال أبو العالية، وسفيان: معناه: إلا ما أريد به وجهه؛ أي: ما يقصد إليه بالقربة، قال الشاعر: [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: انظر الآية رقم [٧٠] ففيها الكفاية، وفي الآية التفات من خطاب الواحد إلى الجمع.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَدْعُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف مفعول به ثان تقدم على الأول على اعتبار الفعل متعدياً إلى مفعولين. و﴿مَعَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به، ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة له، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَدْعُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: انظر إعرابها في الآية رقم [٧٠]، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وقيل: في محل نصب حال، وهو ضعيف، ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿هَالِكٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، ﴿وَجْهَهُۥ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها أيضاً. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: الواو: حرف

عطف. (إليه): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعل، أو نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

انتهت سورة (القصص)، شرحاً وإعراباً.

والله الموفق والمعين، والحمد لله رب العالمين.

سورة العنكبوت

سورة العنكبوت، وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية كلها في أحد قولي ابن عباس وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ وفي القول الآخر لهما، وهو قول يحيى بن سلَّام أنها مكية إلا عشر آيات من أولها، فإنها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين في مكة. وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: نزلت بين مكة والمدينة. انتهى. قرطبي.

وآياتها تسع وستون، وكلماتها تسعمئة وثمانون، وحروفها أربعة آلاف، ومئة وخمسة وستون حرفاً. انتهى. خازن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾

الشرح: ﴿الٓمٓ﴾: انظر شرح هذا اللفظ، وإعرابه في أول سورة (الروم). ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: أظَنَّ الناس. والحسبان: قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن، بخلاف الشك، فهو الوقوف بينهما، أما العلم؛ فهو القطع على أحدهما. والحسبان، والظن يتعلقان بمضامين الجمل، للدلالة على جهة ثبوتها، ولذلك اقتضى كل واحد منهما مفعولين متلازمين، أصلهما مبتدأ وخبر، أو ما يسد مسدهما.

﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ أي: بغير اختبار، وابتلاء، ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ أي: يقولوا بألسنتهم: آمنا بالله، ورسوله. ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي: لا يبتلون في أنفسهم، وأموالهم. كلا لنختبرنهم بأنواع البلاء لنمحص المؤمن من المنافق، ونميز الصادق من الكاذب. هذا؛ والفتنة: الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان، ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقة، وهجر الشهوات والملاذ، وبالفقر، والقحط، وأنواع المصائب في الأنفس، والأموال، وبمصابرة الكفار على أذاهم، وكيدهم، وضرارهم، وكذلك الصبر على أذى الفساق من الذين يَدَّعُوْنَ الإسلام؛ والإسلام منهم براء.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره: المراد بـ: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان كفار قريش يؤذونهم، ويعذبونهم على الإسلام، كسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر، وياسر أبوه، وسمية أمه، وعدة من بني مخزوم، وغيرهم،

فكانت صدورهم تضيق لذلك، وربما اسْتُنْكِر أن يمكن الله الكفار من المؤمنين. قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية مُسَلِّية، ومعلمة: أن هذه هي سيرة الله في عباده اختباراً للمؤمنين، وفتنة.

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب، أو ما في معناه من الأقوال؛ فهي باقية في أمة محمد ﷺ، موجود حكمها بقية الدهر. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: ما أحسن ما قاله! ولقد صدق فيما قال ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

وقيل: نزلت هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب النبي ﷺ: أنه لا يقبل منكم الإقرار بالإسلام؛ حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فتبعهم المشركون، وقاتلوهم فمنهم من قتل، ومنهم من نجا، فأنزل الله هاتين الآيتين.

الإعراب: ﴿أَحَسِبَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير، وتوبيخ. (حسب): فعل ماض. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: فاعله. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسد مفعولي: (حسب)، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن يقولوا. والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، كما تقول: خرج زيد بثيابه، وقيل: هو على تقدير لام التعليل؛ أي: لأن يقولوا، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: المصدر المؤول من ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ بدل مما قبله، وقيل: هو على التكرير؛ أي: تقدير: أحسبوا أن يقولوا. . . إلخ. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُفْتَنُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . . إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هم لا يفتنون) في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ﴾ أي: ابتلينا الماضين بأنواع البلاء، كالخليل ـ عليه السلام ـ ألقي في النار، ومنهم من يوضع المنشار على رأسه، فيشقه نصفين، فما يصرفه ذلك عن دينه، ومنهم من يمشط بأمشاط الحديد ما يصرفه ذلك أيضاً عن دينه، ومنهم من أحرق بالنار كأصحاب الأخدود، والأمثلة على هذا كثيرة.

روى البخاري عن خَبَّاب بن الأرتِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: شكوْنَا إلى رسول الله ﷺ؛ وهو متوسِّدٌ بردةً له في ظلِّ الكعبة، فقلنا له: ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو لنا؟! فقال: «**قد كان من**

قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض حفرة، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فَيُجْعَل نصفين، ويُمْشَط بأمشاطِ الحديدِ لحمُهُ، وعَظْمُهُ فما يصرفهُ ذلِكَ عنْ دينِهِ، والله لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرُ حتى يسيرَ الراكبُ مِنْ صَنعاءَ إلى حضرموتَ لا يخافُ إلَّا اللهَ، والذئبَ على غَنَمِهِ، ولكنكمْ تسْتَعْجلونَ».

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص يروي عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الناسِ أشدُّ بَلاءً؟ قال: «**الأنبياءُ، ثم الأَمْثَلُ فالأَمثلُ، يُبْتَلى الرجلُ على حَسَبِ دينِهِ، فإنْ كَانَ دِينُهُ صُلْباً؛ اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كان في دينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلاهُ اللهُ عَلَى حسَبِ دِينِهِ، فما يبرح الْبَلاءُ بالعبدِ حَتَّى يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ خطيئة**». رواه ابن ماجه، والترمذي.

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أنه دخل على رسول الله ﷺ، وهو موعوكٌ، عليه قَطِيفةٌ، فَوَضَعَ يدَهُ فوق القطيفةِ، فقال: ما أشدَّ حُمَّاكَ يا رسولَ اللهِ! قال: «**إنا كَذلِكَ يُشَدَّدُ علَيْنا الْبَلاءُ، ويضاعَفُ لَنَا الأَجْرُ**». ثُمَّ قَالَ: يا رسولَ اللهِ! مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بلاءً؟ قال: «**الأنبياءُ**»، قالَ: ثمَّ مَنْ؟ قالَ: «**العلماءُ**»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «**الصالحون، كان أحدهم يُبْتَلَى بالْفَقْرِ حَتَّى ما يجدُ إلَّا العباءَةَ يلبسها، ولأحدهم كان أشدَّ فرحاً بالبلاءِ مِنْ أحَدِكُمْ بالْعَطاءِ**». رواه ابن ماجه، والحاكم.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾: في إيمانهم. ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: في دعواهم الإيمان، و(ليعلمن) هنا ليس على ظاهره؛ لأن الله قد علم الصادق من الكاذب قبل أن يخلقهما، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٦ و١٦٧] وهو يحتمل ثلاثة معان: الأول: أن (يعلمن) بمعنى: يظهرن. الثاني: أنه بمعنى يميزن بين الصادق، والكاذب. الثالث: أنه بمعنى يجازين الصادق بما يستحق من الثواب، والأجر، ويجازين الكاذب بما يستحق من الخزي، والنكال. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وقرأ الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ الفعلين (لَيُعْلِمَنَّ) بضم الياء وكسر اللام، وهذه القراءة تحتمل ثلاثة معان: الأول: أن يُعلِم الله في الآخرة هؤلاء الصادقين والكاذبين بمنازلهم من ثوابه وعقابه، وبأعمالهم في الدنيا، بمعنى: يُوقفُهم ويظهرهم على ما كان منهم. الثاني أن يكون المفعول الأول محذوفاً، تقديره: فليُعْلِمَنَّ الناس والعالم هؤلاء الصادقين والكاذبين؛ أي: يشهرهم، هؤلاء في الخير، وهؤلاء في الشر، وذلك في الدنيا، والآخرة. والثالث: أن يكون ذلك من العلامة، أي يضع الله لكل واحد من الصادقين في إيمانهم، والكاذبين علامة يشتهر بها، فالآية على هذا تنظر إلى قول النبي ﷺ: «**مَنْ أَسَرَّ سَرِيرَةً أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَهَا**». انتهى. قرطبي بتصرف.

هذا؛ وفي التعبير عن الصادقين بقوله: ﴿صَدَقُوا۟﴾ وفي التعبير عن الكاذبين باسم الفاعل: ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ نكتة، وهي أن اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه،

والفعل الماضي لا يدل عليه؛ لأن وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالإسلام، وعن قوم مستمرين على الكفر، فعبر في حق الأولين بلفظ الفعل، وفي حق الآخرين بالصيغة الدالة على الثبات. انتهى. جمل نقلاً مِنْ زاده.

تنبيه: فحوى الآيتين قريب من فحوى قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢١٤]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب من الحال. ﴿فَتَنَّا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. وجملة: (لقد فتنا...) إلخ. جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. وانظر الآية رقم [٢٣] من سورة (السجدة) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾: الفاء: حرف عطف، اللام: واقعة في جواب القسم بسبب العطف، (يعلمن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿صَدَقُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وأيضاً جملة: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثل إعراب سابقتها بلا فارق.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الشرك، والمعاصي، فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح. ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: أن يفوتونا، ويعجزونا قبل أن نعاقبهم ونؤاخذهم بما يفعلون، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد الوليد بن المغيرة، وأبا جهل، وأمثالهما من كفرة قريش. وما أحراك أن تجعل حكم الآية عاماً لكل من يعمل السيئات. ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بئس الحكم ما حكموا في صفات ربهم أنه مسبوق، والله القادر على كل شيء. هذا؛ وفحوى الآية قريب من فحوى قوله تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٥٩]: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

هذا؛ و﴿حَسِبَ﴾ من باب تعب في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون سين المضارع مع كسر سين الماضي أيضاً على غير قياس، وقد قرئ المضارع بفتح السين وكسرها، والمصدر: الحسبان بكسر الحاء. وحَسَبْتُ المال حسباً من باب: قتل بمعنى: أحصيته عدداً.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، وهي منقطعة بمعنى: «بل» لأنها لا معادل لها. ﴿حَسِبَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿يَعْمَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَسْبِقُونَا﴾: فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، و(نا): مفعول به، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: ﴿حَسِبَ﴾. ﴿سَآءَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله ضمير مستتر فيه مفسر بما بعده. ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على التمييز، وجملة: ﴿يَحْكُمُونَ﴾: في محل نصب صفة: ﴿مَا﴾، والتقدير: ساء الشيء شيئاً محكوماً به، ورابط الصفة محذوف، التقدير: يحكمونه، والمخصوص بالذم محذوف أيضاً، التقدير: هو حكمهم. هذا؛ وأجيز اعتبار الفعل: ﴿سَآءَ﴾ متصرفاً من الإساءة، وله مفعول محذوف، كما أجيز اعتبار: ﴿مَا﴾ موصولة، وموصوفة ومصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وتقدير الكلام: سَاءَهُمُ الذي، أو: شيء يحكمونه. وعلى اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ساءهم حكمهم، والجملة الفعلية: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي: يخاف لقاء الله للبعث، والجزاء، والحساب؛ فليعمل عملاً صالحاً، فإنه لابد أن يأتيه. أو المعنى: من كان يطمع في ثواب الله، وجنته؛ فليعمل عملاً صالحاً... إلخ، وانظر الآية رقم [٢١] من سورة (الفرقان). ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ أي: فإن الأجل المضروب للقائه تعالى لا بد آتٍ، وإذا كان وقت اللقاء آتياً؛ كان اللقاء كائناً لا محالة، فليبادر الإنسان ما يحقق أمله، ويصدق رجاءه، أو ما يستوجب به القربة والرضا، وهو العمل الصالح الذي يرضى به ربه. وهذا ما صرحت به آية (الكهف) الأخيرة: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال عباده. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بأفعالهم، وعقائدهم من إيمان، ونفاق، وإخلاص، ورياء... إلخ. هذا؛ وإعلال (آت) مثل إعلال ﴿زَانٍ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (النور).

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمها ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى

﴿مَن﴾. ﴿يَرۡجُواْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿لِقَآءَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، وجملة: ﴿يَرۡجُواْ...﴾ إلخ خبر: ﴿كَانَ﴾. وجواب الشرط محذوف، كما رأيت تقديره في الشرح، وخبر المبتدأ الذي هو: ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: هو جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿مَن﴾ اسماً موصولاً مبتدأ، فجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ صلته، وخبره ما رأيت تقديره في الشرح، وقد اقترن خبره بالفاء؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَجَلَ﴾: اسم (إن)، و﴿أَجَلَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَأٓتٖۚ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى المزحلقة. (آت): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ...﴾ إلخ تعليل للأمر الذي رأيت تقديره، لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: خبر المبتدأ، ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من لفظ الجلالة فلست مفنداً، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾

الشرح: ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾: حارب أعداء الله، وأعداء الدين، وحارب شيطانه العدو المبين، وحارب هو نفسه الأمارة بالسوء، بالصبر على الطاعات، والكف عن المعاصي، وهجر اللذات والشهوات المحرمة. ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ أي: له ثواب جهاده، وهذا بحكم الوعد، لا بحكم الوجوب على الله، والكريم إذا وعد؛ وفى، ومن أفى بوعده من الله؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: عن أعمالهم، وعبادتهم. وفيه بشارة، وتخويف، أما البشارة؛ فلأنه إذا كان غنياً عن الأشياء، فلو أعطى جميع ما خلقه لعبد من عبيده؛ لا شيء عليه، لاستغنائه عنه، وهو يوجب الرجاء التام، وأما التخويف؛ فلأن الله إذا كان غنياً عن العالمين، فلو أهلكهم بعذابه؛ فلا شيء عليه، لاستغنائه عنهم، وإنما كلف عباده بتكاليف رحمة بهم، ومراعاة لمصالحهم، ومنافعهم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبتدأ. ﴿جَٰهَدَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، (إنما): كافة، ومكفوفة. ﴿يُجَٰهِدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء: ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ

الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية السابقة، كما يجوز اعتبار (مَنْ) موصولة أيضاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَغَنِيٌّ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى المزحلقة. (غني): خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (غني)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للكلام السابق لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: عطف العمل الصالح على الإيمان دليل واضح على أن الإيمان وحده قد لا يكفي، بل لا بد وأن يقرن بالعمل الصالح. وهذا يسمى في اللغة العربية احتراساً. ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: السيئات: جمع سيئة، وهي تعم الكفر والمعصية، فالكفر يكفَّر بالإيمان، والمعصية تكفَّر بالطاعة، والعمل الصالح. والتكفير: المحو، والإزالة، وهو أيضاً: التغطية، فالإيمان يمحو، ويزيل، ويغطي الكفر، والعمل الصالح يمحو، ويزيل، ويغطي المعصية، ولا سيما إذا قرن بالتوبة النصوح.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: والجزاء الحسن: أن يجازى بحسنة حسنة، وأحسن الجزاء هو أن يجازى الحسنة الواحدة بالعشر، وزيادة، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ رقم [٣٦] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَعَمِلُوا۟...﴾ إلخ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: صفة لموصوف محذوف، التقدير: الأعمال الصالحات، فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، (نكفرن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: نحن. ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة.. إلخ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المحذوف، والقسم المحذوف، وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وأجيز اعتبار (الذين) منصوباً بفعل مضمر على الاشتغال؛ أي: ونخلص الذين آمنوا من سيئاتهم. ولا أراه قوياً. هذا؛ ووقوع الجملة القسمية خبراً للمبتدأ. قاله ابن مالك،

ومنعه ثعلب، ومثله قوله تعالى في سورة (النساء): ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ومثل ذلك قول الشاعر، وهو الشاهد رقم [٧٥٦] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الطويل]

جَشَأَتْ فَقُلْتُ اللَّذْ خَشِيتِ لَيَأْتِيَنْ وَإِذَا أَتَاكِ فَلَاتَ حِينَ مَنَاصِ

قال ابن هشام في المغني: وعندي لما استدل به ابن مالك تأويل لطيف يخرجه عن الاستدلال، وهو أن المبتدأ في ذلك كله، ـ أي: البيت المذكور، والآيات التي ألحقها، ومنها الآية التي نحن بصدد شرحها ـ ضمن معنى الشرط؛ إذ التقدير: إن آمنوا وعملوا الصالحات؛ لنكفرن. . . إلخ، فإذا قدر قسم قبل الشرط؛ كان المعنى: والله إن آمنوا وعملوا الصالحات؛ لنكفرن، فـ: (لنكفرنَّ) جواب القسم المقدر، والمبتدأ مضمن معنى الشرط، خبره محذوف، وهذا على القاعدة المشهورة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما». ويحذف جواب المتأخر، فكذا يقال في المبتدأ المنزل منزلة الشرط مع القسم، وحينئذ فلا تقع الجملة القسمية خبر المبتدأ، ونظيره في الاستغناء بجواب القسم المقدر قبل الشرط المجرد من لام التوطئة قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التقدير: والله ليمسن إن لم ينتهوا. انتهى. وهذا من ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ تخريج على البعيد.

والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: الواو: حرف عطف، (لنجزينهم): إعرابه مثل إعراب: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾ وهو معطوف عليه، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿أَحْسَنَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾: في محل نصب خبر: (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: كانوا يعملونه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ...﴾ إلخ: أي: وصيناه بوالديه براً بهما، وعطفاً عليهما. أو المعنى: وصينا الإنسان بوالديه أن يفعل معهما ما يحسن. نزلت هذه الآية والتي في سورة (لقمان) رقم [١٤]، والتي في سورة (الأحقاف) رقم [١٥] في سعد بن أبي وقاص مالك الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم ـ رضي الله عنه ـ، وكان من السابقين إلى الإسلام، وكان باراً بأمه، فلما

أسلم؛ قالت له أمه: ما هذا الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب، ولا يظلني سقف بيت من الحر، والريح؛ حتى ترجع إلى ما كنت عليه، أو أموت، فتعيَّر بذلك أبد الدهر، ويقال: يا قاتل أمه. ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب، ولم تستظل، فأصبحت وقد جهدت، ثم مكثت كذلك يوماً آخر، وليلة، فجاءها، وقال: يا أماه! والله لو كانت لك مئة نفس، فخرجت نفساً؛ نفساً ما تركت ديني، فكلي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلي! فلما أيست منه؛ أكلت، وشربت، واستظلت. وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: نزلت في عيّاش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه حين هاجر. والصحيح الأول. ومع ذلك فالآية حكمها عام إلى يوم القيامة.

هذا؛ وقد قال تعالى هنا: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي...﴾ إلخ، وفي سورة (لقمان) قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي...﴾ إلخ؛ لأن ما في هذه السورة وافق ما قبله لفظاً، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾، وفي لقمان محمول على المعنى؛ لأن التقدير: وإن حملاك على أن تشرك بي. انتهى. جمل نقلاً عن غيره.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾: في الشرك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: مرجع من آمن منكم، ومرجع من أشرك، ومن أطاع، ومن عصى، ومن بر بوالديه، ومن عق. . . إلخ، وفي كثير من الآيات يذكر بعده: ﴿جَمِيعًا﴾. ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: فأخبركم بالذي كنتم تعملونه من إيمان، أو كفر، صلاح، أو فساد، طاعة، أو معصية. . . إلخ.

هذا؛ والفعل «وصى» حكمه حكم: «أمَر» في معناه، وتصريفه. يقال: وصيت زيداً بأن يفعل كذا، كما تقول: أمرته بأن يفعل كذا، ومنه قول الشاعر: [الوافر]

وَذُبْيَانِيَّةٍ وَصَّتْ بَنِيهَا … بِأَنْ كَذَبَ القَرَاطِفُ والْقُرُوفُ

يصف امرأة ذبيانية وصت بنيها بحفظ القراطف، جمع القرطفة، وهي القطيفة المخملة، والقروف: أوعية من أدم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ أي: وصاهم بكلمة التوحيد، وأمرهم بها.

أما ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، فإنه يطلق على الذكر، والأنثى من بني آدم، ومثله كلمة: «شخص» قال تعالى في سورة (العصر): ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ ومعلوم: أن الله لم يقصد الذكور خاصة، والقرينة الآيات الكثيرة الدالة على أن المراد: الذكر، والأنثى، واللام في الإنسان إنما هي لام الجنس التي تفيد الاستغراق، ولذا صح الاستثناء من الإنسان في سورة (العصر). هذا؛ وإنسان العين: هو المثال الذي يرى فيها، وهو النقطة السوداء، التي تبدو لامعة وسط السواد، قال ذو الرمة، وهو الشاهد رقم (٨٨٩) من كتابنا فتح القريب المجيب: [الطويل]

وإِنْسانُ عَيْنِي يَحْسِرُ الماءَ تارَةً … فَيَبْدُو وتَاراتٍ يَجُمُّ فَيَغْرَقُ

وانظر جمع ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ في الآية رقم [٣٩] من سورة (الشعراء). هذا؛ والإنس: البشر، الواحد: إنسي، بكسر الهمزة فيهما، وجمع الإنسي أُناسٌ، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ ويجمع أيضاً على: أناسِيَّ، كما في الآية رقم [٤٩] من سورة (الفرقان). هذا؛ وفي قوله (والديه) تغليب الوالد على الوالدة، وفي: «أبويه» تغليب الأب على الأم.

الإعراب: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (وصينا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنًّى تغليباً، وحذفت النون للإضافة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿حُسْنًا﴾: صفة مصدر محذوف مع حذف مضاف؛ إذ التقدير: وصينا الإنسان بوالديه إيصاءً ذا حسن. وقيل: هو منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية؛ أي: قل لهما، أو افعل بهما حسناً، وهو أوفق لما بعده، وعليه يحسن الوقف على: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾، وقرئ (حَسَناً) و(إِحْسَانَاً). انتهى. بيضاوي. وقال مكي: التقدير: وصينا الإنسان بوالديه أمراً ذا حسن، ثم أقام الصفة مقام الموصوف، وهو الأمر، ثم حذف المضاف، وهو «ذا» وأقام المضاف إليه مقامه، وهو حُسْن. انتهى. وهذا يعني: أن الفعل قد نصب مفعولين، وقيل: هو منصوب بنزع الخافض، التقدير: وصينا الإنسان بوالديه بحسن، وانظر ما ذكرته في سورة (الأحقاف) رقم [١٥]، وجملة: ﴿وَوَصَّيْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿جَٰهَدَاكَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، وألف الاثنين ضمير متصل في محل رفع فاعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لِتُشْرِكَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، ﴿بِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، ويجيز بعضهم تعليقهما بمحذوف حال من ﴿عِلْمٌ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿عِلْمٌ﴾: اسم: ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور بالباء.

﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، (لا): ناهية. ﴿تُطِعْهُمَآ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والهاء ضمير متصل في محل نصب

مفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: حرف عطف. (أنبئكم): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به ثان، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: فأنبئكم بالذي، أو: بشيء كنتم تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فأنبئكم بعملكم، وهو أضعف من الاعتبارين السابقين، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية، لا محل لها مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: هو مثل الآية رقم [٧]. ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: مع الصالحين؛ أي: نحشرهم معهم يوم القيامة، وندخلهم معهم الجنة. والاتصاف بالكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين، ومتمنى أنبياء الله المرسلين، وإذا تحصل للمؤمن هذا الحكم؛ تحصل ثمرته، وجزاؤه وهو الجنة، وما فيها من النعيم المقيم، والخير العميم، كيف لا؛ وقد تمنى يوسف، وسليمان ـ على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام ـ ذلك فقال يوسف: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، وقال سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وقيل: هو منصوب على الاشتغال بفعل محذوف. ولا أراه قوياً. وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (ندخلنهم): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، ﴿فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ، وانظر الآية رقم [٧]؛ ففيها الكفاية.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: لما بين الله المؤمنين، والكافرين فيما تقدم في قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، وبين حال الكفار بقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ...﴾ إلخ، وبين حال المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ إلخ؛ بين حال المنافقين في هذه الآية حيث جعلوا إيذاء الكفار لهم صارفاً لهم عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر.

﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: عذبوا تعذيباً لم يصبروا عليه، وتركوا الدين الحق، وكان يمكنهم أن يصبروا على الأذى إلى حد الإكراه، وتكون قلوبهم مطمئنة بالإيمان. ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: تعذيب الكافرين لهم صارفاً عن الإيمان. ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ أي: في النار فإنه يصرف المؤمنين عن الكفر، وشتان ما بينهما، فتعذيب الكافرين للمؤمنين يترتب عليه ثواب عظيم، وعذاب الله للكافرين بعده عذاب أليم، والمشقة إذا كانت مستتبعة للراحة العظيمة؛ تطيب لها النفس، ولا تعد عذاباً، كما تُجرى عملية جراحية في الجسم لقطع ما يؤذيه، ولا تعد عذاباً له.

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: نصر على الكفار، وفيه كسب، وغنيمة، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ أي: المنافقون. وهذا على ضم اللام مراعاةً لمعنى (مَنْ)، وقرئ بفتح اللام، مراعاة للفظ (مَنْ). ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: على عدوكم، وكنا مسلمين، وإنما أكرهنا بالتعذيب حتى قلنا ما قلنا فأشركونا معكم بالكسب، والغنيمة. ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: الله أعلم بما في صدور العالمين من العالمين أنفسهم بما في صدورهم، ومن ذلك ما في صدور المؤمنين من الإخلاص، وما في صدور المنافقين من النفاق.

تنبيه: قال الضحاك: نزلت الآية في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا؛ رجعوا إلى الشرك. وقال عكرمة: كان قوم قد أسلموا، فأكرههم المشركون على الخروج معهم إلى بدر، فقتل بعضهم، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فكتب بها المسلمون من المدينة إلى المسلمين بمكة، فخرجوا، فلحقهم المشركون، فافتتن بعضهم، فنزلت هذه الآية فيهم. وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أسلم، وهاجر، ثم أوذي، وضرب، فارتد، وإنما عذبه أبو جهل والحارث وكانا أخويه لأمه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ثم عاش بعد ذلك بدهر وحسن إسلامه. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف استئناف. (من الناس): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، وقيل: إن الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمبتدأ محذوف، التقدير: وفريق كائن من الناس على حد قوله تعالى: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾. والأصح: أن مضمون الجار والمجرور مبتدأ، و: ﴿مَن﴾ هي الخبر؛ لأن (مِنْ) الجارة دالة على التبعيض؛ أي: وبعض الناس، وجمع الضمير في قوله ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ يؤيد ذلك، ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ، يرشدك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فعطف (أكثرهم) على ﴿مِّنْهُمُ﴾ يؤيد: أن معناه: بعضهم، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِـنْـهُـمْ لُـيُـوثٌ لَا تُـرَامُ وَبَـعْـضُـهُـمْ ... مِـمَّـا قَـمِشـتَ، وَضَـمَّ حَبْـلُ الْـحَـاطِـبِ

حيث قابل لفظ: «منهم» بما هو مبتدأ، أعني لفظة: «بعضهم» وهذا مما يدل على أن مضمون: «منهم» مبتدأ. هذا؛ وليوث: جمع ليث، وهو الأسد. لا ترام: لا تقصد. قمشت: جمعت من هنا وهناك، والمراد رذالة الناس، والقمش: الرديء من كل شيء.

﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، تقديره: «هو». ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِذَآ﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿أُوذِىَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى ﴿مَن﴾، ﴿فِى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَن﴾ أيضاً، ﴿فِتْنَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف. ﴿كَعَذَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿جَعَلَ﴾، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. هذا؛ وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى مثل، فهي المفعول الثاني، وهي مضاف، و(عذاب) مصاف إليه، و(عذاب) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف، وجملة: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ...﴾ إلخ جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله.

﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، ﴿نَصْرٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نَصْرٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، والكاف ضمير متصل في

محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (يقولن): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون للتوكيد حرف لا محل له. هذا؛ وعلى قراءته بفتح اللام، فهو مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص، مبني على السكون. و(نا): ضمير متصل في محل رفع اسمها. ﴿مَعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر (كان)، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كُنَّا مَعَكُمْ﴾: في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا...﴾ إلخ جواب القسم المقدر المدلول عليه باللام، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط، وقسم؛ فالجواب للسابق منهما» قال ابن مالك رحمه الله تعالى: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

﴿أَوَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي، الواو: حرف استئناف. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾: اسم (ليس). ﴿بِأَعْلَمَ﴾: الباء: حرف جر صلة، (أعلم): خبر (ليس) مجرور لفظاً، منصوب محلاً. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ (أعلم). ﴿فِي صُدُورِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، و﴿صُدُورِ﴾ مضاف، و﴿الْعَالَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٣] ففيها الكفاية. هذا؛ و﴿اللَّهُ﴾ علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به لتخلف شروط الإجابة؛ التي أعظمها أكل الحلال. ولم يسم به أحد سواه قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: هل تعلم أحداً تسمى الله غير الله؟ وقد ذكر في القرآن الكريم في ألفين، وثلاثمئة وستين موضعاً.

بعد هذا: فالمنافقون: جمع: منافق، وقد سمي المنافق: منافقاً أخذاً من: نافقاء اليربوع، وهو جحره الذي يقيم فيه، فإنه يجعل له بابين، يدخل من أحدهما، ويخرج من الآخر، فكذلك المنافق يدخل مع المؤمنين بقوله: أنا مؤمن، ويدخل مع الكفار بقوله: أنا كافر. هذا؛ وقد يتصف

مؤمن بصفات المنافقين، فيكذب، ويخلف الوعد، ويخون في الأمانة، ويفجر في الخصومة. وما أكثرهم في هذا الزمن! فهذا يقال له: نفاق العمل، وأما الأول فيقال له: نفاق العقيدة؛ لأنه يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، وهو أخبث من الكفر، وعقابه أشد منه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وقد حذر الرسول ﷺ من نفاق العمل، والاتصاف به؛ لأنه قد يجر إلى نفاق العقيدة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**آيَةُ المنافِقِ ثلاثٌ؛ إذا حدَّثَ كذبَ، وإذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذَا اؤْتُمِنَ خَانَ؛ وَإِنْ صَلَّى، وصامَ، وحجَّ، واعتمرَ، وقالَ إنِّي مُسْلِمٌ**». أخرج بعضه البخاري، وبعضه مسلم، وآخره أبو يعلى من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

الإعراب: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (يعلمن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المقدر، والقسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له، وجملة (وليعلمن المنافقين) معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ أي: ديننا الذي ندين به، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: هذا أمر، وهو في تأويل الشرط، والجزاء؛ إذ المعنى: إن تتبعوا ديننا نحمل خطاياكم. وقيل: هو خبر عبر عنه بصيغة الطلب، مثل قوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٧٥]: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾. والحمل هنا بمعنى: الحمالة، لا الحمل على الظهر. وهذا قول صناديد قريش، كانوا يقولون لمن آمن منهم: لا نبعث نحن، ولا أنتم، فإن كان ذلك؛ فإنا نتحمل عنكم الإثم الذي تخافون سوء عاقبته. وقيل: القائل الوليد بن المغيرة. وقيل: أبو سفيان. هذا؛ وإنك لترى في هذه الأيام بعض من يتسمون بالإسلام، وبأسماء المسلمين يستنون بأولئك الكفرة الفجرة، فيقول أحدهم لصاحبه إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض الجرائم: افعل هذا؛ وإثمه في عنقي. وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم!.

﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: لا يحملون شيئاً من أوزارهم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وانظر الآية التالية. ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: في قولهم؛ لأنهم قالوا ذلك؛ وقلوبهم على خلافه كالمرائين الذين يَعِدون؛ وفي قلوبهم نية الخلف. وأيضاً فإنهم لا يستطيعون ذلك، بل، ولا أقل منه.

هذا؛ و﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾: جمع: خطيئة. وأصله: خطايئ، بياء قبل الهمزة، فقلبت تلك الياء همزة مكسورة، فاجتمع همزتان، فقلبت الثانية ياء، فاستثقلت الكسرة على حرف ثقيل من نفسه، وهو الهمزة الأولى، فقلبت فتحة. ثم يقال: تحركت الياء التي بعد الهمزة، وانفتح ما قبلها، وهو الهمزة، فقلبت ألفاً على القاعدة، فصار خَطَاءَا بألفين، بينهما همزة، فاستثقل ذلك؛ لأن الهمزة شبه الألف، فكأنه اجتمع ثلاث ألفات متواليات، فقلبت الهمزة ياء للخفة، فصار خطايا بوزن فَعَالَى، ففيه خمسة أعمال: قلب الياء التي قبل الهمزة همزة، ثم قلب الثانية ياء، ثم قلبت كسرة الأولى فتحة، ثم قلبت الثانية ألفاً، ثم قلبت الأولى ياء. هذا؛ وتجمع: خطيئة جمع مؤنث سالماً: خطيئات.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف، (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، تقديره: كفروا بالله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (قال)، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿سَبِيلَنَا﴾: مفعول به، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ٱتَّبِعُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ﴾: الواو: حرف عطف، (لنحمل): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما). ﴿بِحَٰمِلِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة، (حاملين): خبر: (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِّنۡ خَطَٰيَٰهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿شَيۡءٍۖ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيۡءٍۖ﴾: مفعول به لـ: (حاملين)، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا هُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿إِنَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى المزحلقة. (كاذبون): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾: مؤكدة لمضمون الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: الأثقال: الأوزار، جمع: ثِقل، وهو استعارة أطلق عليها لفظ الأثقال، وهي الأحمال التي تثقل حاملها، وتتعبه؛ لأنها تسبب له النكد، والشقاء الطويل في جهنم يوم القيامة، وما بعده. وفيه تأويلان:

أحدهما: أن المراد به ما يحمل على الظالمين من سيئات من ظلموه بعد فراغ حسناتهم، قال أبو أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ: «**يُؤْتَى بالرجلِ يَوْمَ القيامةِ، وهو كثيرُ الحسناتِ، فلا يزال يُقْتَصُّ منه حتى تفنى حسناتُهُ، ثم يطالبُ، فيقول الله عز وجل: اقتصوا من عبدي، فتقول الملائكة: ما بقيتْ له حسناتٌ! فيقول: خذوا من سيئات المظلوم، فاجعلوا عليه**». ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾. أقول: وهذا في حق المسلم الموحد؛ لأن الكافر لا حسنة له، كما نوهت به آية (الفرقان) رقم [٢٣]: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ وآية (النور) رقم [٣٩] وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً...﴾ إلخ. والمسلم الذي تذهب حسناته، ويطرح عليه من سيئات المظلومين، هو من سماه الرسول ﷺ الْمُفْلِسَ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرونَ مَن الْمُفْلِس؟ قالوا: المفلِسُ فينا، من لا درهَمَ لهُ ولا مَتَاعَ، فقال: الْمُفلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأتِي يَوْمَ القيامةِ بصلاةٍ، وصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ؛ ويأتي قدْ شَتَمَ هذَا، وقذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حسناته قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**». رواه مسلم والترمذي.

والتأويل الثاني: أن المراد به: رؤساء الكفر، ودعاة الشر، والرذيلة، الذين يصدون الناس عن الإيمان، أو عن الطاعة، أو عن عمل الخير. . إلخ، فقد قال قتادة ـ رضي الله عنه ـ: من دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها، ولاينقص من أوزارهم شيء، ونظيره قوله تعالى في سورة (النحل) رقم [٢٥]: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**أَيُّما داعٍ دعَا إلى ضَلَالَةٍ فَاتُّبِعَ، فإنَّ له مِثْلَ أَوْزارِ من اتَّبَعَهُ، ولا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزارِهِمْ شَيْئاً، وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدَىً، فَاتُّبِعَ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أُجُورِ مَن اتَّبَعَهُ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجورِهِمْ شَيْئاً**». أخرجه ابن ماجه.

هذا؛ ومن الحديث الطويل الذي خرجه مسلم، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي عن جرير بن عبد الله البجلي ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَنَّ في الإِسْلَام سُنَّةً حسنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كانَ عليهِ وِزْرُهَا ووزرُ من عملَ بها من بعده مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: سأل رجل على عهد رسول الله ﷺ، فأمسك القوم، ثم إن رجلاً أعطاهُ، فأعطى القومُ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ خيراً فَاسْتُنَّ بِهِ كانَ لَهُ أَجْرُهُ، ومِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ سَنَّ شَرّاً فَاسْتُنَّ بِهِ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ، ومثلُ أَوْزَارِ مَنْ تَبِعَهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً**». رواه أحمد، والحاكم.

هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الأنعام) الآية رقم [٣١]: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾. وحمل الذنوب ـ بالمعنيين: الأوزار، والأثقال ـ قيل به: إن الكافر إذا خرج من قبره يوم القيامة يستقبله أقبح شيء صورةً، وأنتنه ريحاً، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا، فأنا اليوم أركبك؛ حتى أخزيك على رؤوس الخلائق! فيركبه، وَيَتَخَطَّى به الناس، حتى يقف بين يدي الله تعالى. وأقول: إن الفاسق، والفاجر ليس من ذلك ببعيد. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: من الأباطيل التي أضلوا بها غيرهم، يسألون سؤال توبيخ، وتقريع؛ لأن الله تعالى عالم بأعمالهم، وأحوالهم، وافترائهم. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الحجر): ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وهذه الآية تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم، كافرهم ومؤمنهم، وفي سؤاله الكافر، ومحاسبته خلاف بين العلماء، والذي يظهر سؤاله لهم، لقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾، فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فالجواب: أن ليوم القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال، وكلام، وموطن لا يكون فيه ذلك. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لا يسألهم سؤال استخبار، واستعلام، ولكن يسألهم سؤال تقريع، وتوبيخ، فيقول لهم: لم عصيتم القرآن؟ وما حجتكم فيه؟ قال ابن عادل: وأليق الوجوه بهذه الآيات الاستعتاب لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

هذا؛ وأصل الفعل: (ليحملن) يحملون، فلما اتصلت به نون التوكيد الثقيلة صار: (ليحملونَنَّ) فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فصار: (ليحملونَّ) فحذفت واو الجماعة لالتقاء الساكنين، فصار: (ليحملنَّ) وبقيت الضمة على اللام لتدل على الواو المحذوفة، ومثله: (ليسألن) وشبهه.

الإعراب: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾: الواو: حرف استئناف، اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (يحملن): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون للتوكيد حرف لا محل له. ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء: ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، والقسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَأَثْقَالًا﴾: الواو: حرف عطف. (أثقالاً):

معطوف على ما قبله. ﴿مَّعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة (أثقالاً). و﴿مَّعَ﴾ مضاف، و﴿أَثْقَالِهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (ليسألن): معطوف على الفعل: (ليحملنَّ)، فهو مثله، مع ملاحظة: أنه مبني للمجهول، والواو نائب فاعله. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (ليسألن)، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن). ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَفْتَرُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ليسألن عن الذي، أو: عن شيء كانوا يفترونه. هذا؛ وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن)، التقدير: ليسألن يوم القيامة عن افترائهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: لقد شرح الله لنا في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) قصة نوح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ شرحاً وافياً وكافياً، وذكرها في سورة (الشعراء) باختصار، ولم يخل الله سورة من سور القرآن من ذكره إلا القليل منها؛ وقد عد المرحوم عبد الوهاب النجار السور التي ورد فيها ذكر نوح ثلاثاً وأربعين سورة، وعمل لها جدولاً، مع عدد الآيات التي ذكر فيها بكل سورة جزاه الله خيراً! وقال: ذكرت قصة نوح مفصلة في سورة (الأعراف) وسورة (هود) وسورة (الشعراء) وسورة (القمر) وسورة (نوح) وهي مختلفة اللفظ بحسب ما تكون العناية موجهة نحوه من البيان. انتهى. بتصرف. وهذا؛ أنذا أذكر لك ما يتعلق بهاتين الآيتين، فأقول وبالله التوفيق:

قيل: إن اسمه الأصلي: السكن، سمي بذلك؛ لأن الناس سكنوا إليه بعد آدم. فهو الأب الثاني لهم بعده، وقيل: إن اسمه: عبد الغفار، وسمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه، وهو ابن لمك بن متوشلخ، وقال النجار (نوح بن لامك، بن متوشالح) بن أخنوخ، وهو إدريس النبي، ابن يارد، بن مهلئيل، بن قينان، بن أنوش، بن شيث، بن آدم أبي البشر، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ وذكر المرحوم النجار: أن آدم عاش في الأرض تسعمئة وثلاثين عاماً، وأن المدة بين وفاة آدم وولادة نوح مئة وستة وعشرون عاماً.

واختلفوا في سبب نوحه، فقيل: لدعوته على قومه بالهلاك. وقيل: لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان. وقيل: لأنه مر بكلب مجذوم، فقال له: اخسأ يا قبيح! فأوحى الله إليه: أعبتني أم عبت الكلب؟! وهو أول رسول بعث بشريعة بعد آدم، وهو أول نذير على الشرك، وأنزل الله عليه

عشر صحائف، وكان أول من عذبته أمته لردهم دعوته، وأهلك الله أهل الشرك بدعائه، وكان أبا البشر كآدم، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. وكان أطول الأنبياء عمراً، عمَّر ألفاً وخمسين سنة، وقال وهب: عمَّر نوح ألفاً وأربعمئة سنة، وقيل غير ذلك، ولم تنقص قوته، ولم يشب، ولم تسقط له سن، وصبر على أذى قومه طول عمره، وكان أبواه مؤمنين؛ بدليل دعوته لهما بالمغفرة في الآية الآخرة في سورة (نوح).

وولد له أربعة أولاد: سام، وحام، ويافث، وكنعان، فالثلاثة الأول اتبعوه في دينه، وأما الرابع وهو كنعان، فقد انشق عنه وخالفه، كما رأيت تفصيله في سورة (هود). وروي: أنه عليه الصلاة والسلام عاش عمره الطويل في بيت من شعر، فقيل له: يا نبي الله ابْنِ بيتاً، فقال: أموت اليوم، أو غداً. وقال وهب بن منبه: مرت بنوح خمسمئة سنة لم يقرب النساء وَجَلاً من الموت.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾: أقام في قومه، ألف سنة إلا خمسين عاماً: قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: هلَّا قيل: تسعمئة وخمسين سنة؟ قلت: ما أورده الله أحكم؛ لأنه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك، وكأنه قيل: تسعمئة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أن ذلك أخصر، وأعذب لفظاً وأملأ بالفائدة، وفيه نكتة أخرى، وهي: أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته، وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله ﷺ، وتثبيتاً له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطاعة السامع مدة صبره.

فإن قلت: فلم جاء المميز أولاً بالسَّنة، وثانياً بالعام؟ قلت: لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم، أو تهويل، أو تنويه، أو نحو ذلك. انتهى. كشاف. أما ذكر مدة لبثه في قومه عليه الصلاة والسلام ففائدته تسلية النبي ﷺ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يضيق صدره بسبب عدم إسلام قومه، وقد ذكر ذلك في آياته حيث قال له: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ فقال الله له: إن نوحاً لبث هذا العدد الكثير من السنين، ولم يؤمن من قومه إلا القليل، فصبر، وما ضجر، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك. انتهى. نقلاً عن الرازي بتصرف. هذا؛ ونوح أحد الرسل أولي العزم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام.

هذا؛ وروي: أنه لما أتاه ملك الموت، قال: يا نوح، يا أكبر الأنبياء، ويا طويل العمر، ويا مجاب الدعوة، كيف وجدت الدنيا؟ قال: مثل رجل بني له بيت، له بابان، فدخل من أحدهما، وخرج من الآخر. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير الذي نبع من الأرض، ونزل من السماء. ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾: أنفسهم بالكفر، ومخالفة الواحد القهار.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله. والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿نُوحًا﴾: مفعول به. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿نُوحًا﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ: جواب القسم المحذوف، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم يعتبرها حرف استئناف، ويعتبر أن الجملة الآتية جواب لقسم محذوف. ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف واو القسم والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو: وأقسم والله. اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف، وبعضهم يقول: اللام موطئة للقسم، والموطئة معناها: المؤذنة. وهذه اللام إنما تدخل على «إنْ» الشرطية؛ لتدل على القسم المقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر). افهم هذا؛ واحفظه فإنه جيد بعون الله تعالى. فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به وبقاء حرف القسم. والجواب: أنه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ فإن التقدير: وربِّ السماء... إلخ، بدليل التصريح به في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٣] من سورة (الذاريات) وحذف المقسم به ظاهر بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآية رقم [٧١] من سورة (مريم) وأظهر منه في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية رقم [٧٣] من سورة (المائدة) فالواو في الآيتين حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف بلا ريب.

﴿فَلَبِثَ﴾: الفاء: حرف عطف. (لبث): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (نوح)، تقديره: «هو» ﴿فِيهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَلْفَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل (لبث)، و﴿أَلْفَ﴾ مضاف، و﴿سَنَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿خَمْسِينَ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾ منصوب. وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وهو عند المبرد مفعول به، و﴿إِلَّا﴾ عنده قامت مقام الفعل الناصب للأسماء، فهي تقوم مقام: أستثني، واستثنيت فلاناً، ولا يستثنى من العدد إلا أقل من النصف عند أكثر النحويين. انتهى. من قول مكي. ﴿عَامًا﴾: تمييز. وجملة: ﴿فَلَبِثَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة جواب القسم، لا محل لها مثلها. ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أخذهم): فعل ماض، والهاء: مفعول به. ﴿ٱلطُّوفَانُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو

الحال، (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ظَٰلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٥﴾

الشرح: وجه مناسبة ذكر نوح، وإبراهيم ـ على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام ـ بعدما تقدم من الآيات هو: أن الله تعالى لما بين التكليف، وذكر أقسام المكلفين، ووعد المؤمن الصادق الثواب العظيم، ووعد المنافق العذاب الأليم؛ ذكر: أن هذا التكليف ليس مختصاً بالنبي ﷺ، وأصحابه، وأمته حتى صعب عليهم ذلك، بل من قبله كان كذلك، كنوح، وإبراهيم وغيرهما. انتهى. جمل نقلاً عن الرازي، وقد تصرفت فيه.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: أنجيْنا نوحاً من أذى قومه، ومن الغرق بالطوفان الذي غرقوا فيه، و﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي: أنجيناهم مع نوح، وكثيراً جاء التعبير عن السفينة بالفلك، وكانوا ثمانية وسبعين من بني آدم، نصفهم ذكور، ونصفهم إناث، كما حمل في السفينة ذكراً وأنثى من جميع أصناف المخلوقات، وهو فحوى قوله تعالى في سورة (هود) رقم [٤٠]: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾. ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾: الضمير يعود إلى السفينة، أو للعقوبة التي أهلكوا فيها، أو للنجاة الحاصلة بسبب السفينة. ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: علامة على قدرة الله القاهرة، وقوته الباهرة. هذا؛ وانظر صنع السفينة مفصلاً في سورة (هود).

هذا؛ وأصحاب جمع: صاحب، وهو هنا بمعنى الراكب فيها، ويكون بمعنى المالك، كقولك: صاحب الدار. أي: مالكها. هذا؛ والصاحب يكون بمعنى الصديق، والزوج. وصاحب رسول الله ﷺ هو كل من جالَسَه في حياته، ولو ساعة بشرط أن يكون مسلماً موحداً، ويجمع على: أصْحاب، وصَحْب، وصِحاب، وصِحَابة، وصُحْبة، وصُحْبَان، ثم يجمع أصحاب على: أصاحيب أيضاً، ثم يخفف، فيقال: أصاحِب.

الإعراب: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أنجيناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَأَصْحَٰبَ﴾: الواو: حرف عطف. (أصحاب): معطوف على الضمير المنصوب، و(أصحاب) مضاف، و﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾: الواو: حرف عطف. (جعلناها): فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَةً﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أي: اذكر. أو وأرسلنا إبراهيم. ﴿ٱعْبُدُواْ﴾: وحدوه، ولا تشركوا معه شيئاً في العبادة. ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ أي: خافوا عقابه، فاجتنبوا مخالفته، ومعصيته، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: الإشارة إلى ما ذكر من العبادة، والتقوى، أي: فهي خير لكم مما أنتم عليه من عبادة الأصنام، وذلك على تقدير الخيرية فيه على زعمكم. وقيل: التقدير: خير من كل شيء؛ لأن حذف المفضل عليه يقتضي العموم مع عدم احتياجه إلى التأويل؛ إذ المراد بكل شيء، كل شيء فيه خيرية، ويجوز كونه صفة لا اسم تفضيل. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: الخير، والشر، وتميزون بين ما هو خير، وبين ما هو شر، أو: كنتم تنظرون في الأمور بنظر العلم دون نظر الجهل.

هذا؛ وإبراهيم خليل الله بن تارح، بن ناحور، بن سروج، بن رعو، بن فالج، بن عابر، بن شالح، بن أرفكشاذ بن سام، بن نوح، على نبينا، وحبيبنا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام، وقد جاء ذكره في القرآن في خمس وعشرين سورة، وقد عمل المرحوم عبد الوهاب النجار، جدولاً بأسماء تلك السور، مع عدد الآيات التي ذكر فيها بكل سورة، جزاه الله خيراً! وقد ذكرت قصة إبراهيم مفصلة في سورة (هود) وفي سورة (إبراهيم) وفي سورة (الحجر) وفي سورة (مريم) وفي سورة (الأنبياء) وفي سورة (الشعراء) وفي سورة (الصافات) ومختصرة في باقي السور التي ذكر فيها، وهي مختلفة الألفاظ، والتعبير بحسب ما تكون العناية موجهة نحوه من البيان والإيضاح.

وإبراهيم خليل الرحمن ولد في فدام آرام من بلاد العراق، ولم يؤمن له من قومه سوى زوجه سارة، وابن أخيه لوط بن هاران، بن تارح، فهاجر إلى فلسطين، ثم إلى مصر، ثم عاد إلى فلسطين، وكانت وفاته فيها، وقبره موجود في بلدة الخليل. هذا؛ ويذكر المفسرون: أن شأن إبراهيم في ولادته شبيه بشأن موسى في ولادته، وأنه ربي خفيةً عن النمرود الذي هو شبيه بفرعون بادعاء الألوهية، والربوبية. هذا؛ وإبراهيم معناه في العبرانية: أب رحيم، وانظر أولاده والكثير من سيرته في الآية رقم [٣٥] وما بعدها من السورة المسماة باسمه، على نبينا، وحبيبنا، وعليه، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: الواو: حرف عطف. (إبراهيم): معطوف على ﴿نُوحًا﴾ فيكون التقدير: وأرسلنا إبراهيم. أو هو معطوف على الضمير المنصوب، فيكون التقدير: وأنجينا إبراهيم. أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: واذكر إبراهيم. هذا؛ وقرئ برفعه فيكون مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: ومن المرسلين إبراهيمُ. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل

نصب يقع بدلاً من (إبراهيم) على نصبه، فهو بدل اشتمال، ومفعول به لفعل محذوف على رفع (إبراهيم)، التقدير: اذكر وقت قال. . . إلخ. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم)، تقديره: «هو». ﴿لِقَوْمِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل، في محل جر بالإضافة. ﴿اعْبُدُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعله، والألف للتفريق. ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: معطوفة عليها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ: في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، والكلام معطوف على ما قبله على نصب (إبراهيم)، ومستأنف على رفعه. ﴿ذَلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . . إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنتم تعلمون فذلكم خير لكم. أو: «فاعبدوا الله. . .» إلخ، وهذه الجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾: أصناماً. قال أبو عبيدة: الصنم: ما يتخذ من ذهب، أو فضة، أو نحاس. والوثن: ما يتخذ من جصّ، أو حجارة. وقال الجوهري: الوثن: الصنم، والجمع: وُثْن، وأوثان، مثل: أُسد، وآساد. انتهى. قرطبي. هذا؛ وقد حكى الله عن إبراهيم في سورة (الأنبياء) قوله: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾. وفسرت هناك بالأصنام المصورة على صورة السباع، أو الطيور، أو الإنسان، وحكى الله عنه قوله في السورة المسماة باسمه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. والأصنام، والتماثيل، والأوثان كلها بمعنى واحد، وتصنع من خشب، أو ذهب، أو فضة، أو نحاس، وذلك تبع لقدرة العابد، وغناه، وكانت العرب، وغيرهم من الوثنيين يعبدونها، والنصارى تنصب الصليب، وتعبده، وتعظمه، فهو كالتمثال أيضاً، قال عدي بن حاتم الطائي ـ رضي الله عنه ـ: أتيت النبي ﷺ، وفي عنقي صليب

من ذهب، فقال: «**يا عدي! ألق عنك هذا الوثن!**». فألقيته. وأصله من: وَثَن الشيء؛ أي: أقام في مقامه، وسمي الصنم وثناً؛ لأنه ينصب ويركز في مكان لا يبرح عنه.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: وتكذبون كذباً في تسميتها آلهةً، وادعاء شفاعتها عند الله، أو تعملونها وتنحتونها للإفك، وهو استدلال بيِّن على شرارة ما هم عليه من حيث إنه زور، وباطل، وبهتان، وقرئ: (تَخَلَّقُونَ)، وقرئ: (تُخَلِّقُونَ) وهو بمعنى التكثير من خَلَّق، والأول من تَخَلَّق بمعنى: تكذَّب، وَتَخَرَّص. هذا؛ والإفك هو أبلغ ما يكون من الكذب، والافتراء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ...﴾ إلخ رقم [١١] من سورة (النور)، وانظر الآية رقم [٤٥] من سورة (الشعراء).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الأوثان. ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: لا يستطيعون أن يرزقوكم، وهذا دليل ثانٍ على شرارة عبادتهم لهذه الأوثان؛ لأنها لا تجدي قليلاً، ولا تغني فتيلاً، ونكر: (رزقاً) للتعميم؛ أي: لا قليلاً، ولا كثيراً. ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: اطلبوا رزقكم كله من عند الله تعالى، وتعريف الرزق على حد قوله تعالى في سورة (المزمل): ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ...﴾ إلخ.

﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾: وحِّدوه، وانظر (العبادة) في سورة (النمل) رقم [٤٣]، ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾: انظر (الشكر) في الآية رقم [٤٠] من سورة (النمل). ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: يقرأ بالبناء للمجهول من المتعدي، وبالبناء للمعلوم من اللازم.

هذا؛ و﴿دُونِ﴾ بمعنى: غير وسوى هنا، وأصله من الدنو، وهو القرب، ومنه: تدوين الكتب؛ لأنه إدناء، أي: تقريب البعض من البعض، ثم استعير للرتب، فيقال: زيد دون عمرو، أي: في الشرف، والسيادة، وعلو المنزلة، ثم اتُّسِع فيه، فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد. هذا؛ ويأتي «دون» بمعنى «قدام» قال الشاعر: [الطويل]

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا، وَهْيَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

هذا؛ ومثله: أدنى، وألفه منقلبة عن واو؛ لأنه من دنا، يدنو: إذا قرب، وله معنيان: أحدهما: أن يكون المعنى: ما تقرب قيمته بخساسته، ويسهل تحصيله. والثاني أن يكون بمعنى: القريب منكم، لكونه في الدنيا، والذي هو خير ما كان من امتثال أوامر الله تعالى؛ لأن نفعه متأخر إلى الآخرة. خذ قوله تعالى لليهود اللؤماء، حكاية عن قول موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾. وقيل: الألف مبدلة من همزة؛ لأنه مأخوذ من: دنؤ، يدنؤ، فهو دنيء، والمصدر: الدناءة، وهو من الشيء الخسيس، فأبدلت الهمزة ألفاً. وقيل: أصله: أدْوَنُ من الشيء الدُّون، فأخرت الواو، فانقلبت ألفاً، فوزنه الآن أَفْلَع. انتهى. عكبري في غير هذا الموضع.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو: فاعله. ﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال من: ﴿أَوْثَنَا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً. ﴿أَوْثَنَا﴾: مفعول به، ولو قرئ برفعه، لكانت (ما) اسماً موصولاً اسماً لـ: (إن)، على حد قوله تعالى في سورة (طه): ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَحِرٍ...﴾ إلخ، (تخلقون): فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو: فاعله. ﴿إِفْكًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم: ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿تَعْبُدُونَ﴾: صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: إن الذين تعبدونهم. ﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في الموصول، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمْلِكُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رِزْقًا﴾ على مثال ما تقدم. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَا يَمْلِكُونَ...﴾ إلخ: في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. وقيل: ﴿رِزْقًا﴾: مفعول مطلق، وعامله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾؛ لأنه من معناه، وليس بشيء. ﴿فَابْتَغُوا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. .(ابتغوا): فعل أمر مبني على حذف النون. . .إلخ، والواو: فاعله، والألف للتفريق. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿الرِّزْقَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَابْتَغُوا...﴾ إلخ: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط مقدر بـ: إذا، التقدير: وإذا كانت معبوداتكم لا تملك لكم رزقاً؛ فابتغوا. . .إلخ، وجملة: ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾: معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وكذلك جملة: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: معطوفة عليها أيضاً. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو: فاعله، أو نائب فاعله. بعد هذا فالآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول إبراهيم على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: وإن تكذبوني؛ فلا تضروني بتكذيبكم، فإن الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم، وما ضروهم، وإنما ضروا أنفسهم؛ حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل. وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك، وهو اقترانه بآيات الله، ومعجزاته، أو وإن كنت مكذباً فيما بينكم؛ فلي في سائر الأنبياء أسوة، وسلوة؛ حيث كُذِّبوا، وعلى الرسول أن يبلغ، وما عليه أن يصدَّق ولا يكذَّب.

وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم ـ صلوات الله، وسلامه عليه ـ لقومه، وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله ﷺ وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم، وآخرها. فإن قلت: إذا كانت من قول إبراهيم؛ فما المراد بالأمم قبله؟ قلت: قوم شيث، وإدريس، ونوح، وقوم صالح، وهود، وغيرهم ـ وكفى بقوم نوح أمة ـ في معنى أمم جمَّةٌ مكذبة.

ولقد عاش إدريس ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء، وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنيه، وأعقابهم على التكذيب. انتهى. كله من الكشاف. وما ذكر في شأن إدريس ـ عليه السلام ـ يخالف ما ذكرته في الآية رقم [٥٥] من سورة (مريم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

وقال النسفي ـ وهو مأخوذ من الكشاف بلا شك ـ: فإن قلت: فالجمل الاعتراضية، لا بدَّ لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه، فلا تقول: مكةُ، وزيدٌ قائمٌ، خيرُ بلادِ اللهِ. قلت: نعم، وبيانه: أن إيراد قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله ﷺ، وأن تكون مَسْلَاةً لهُ بأن أباه إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان مُبْتَلَى بنحو ما ابتلي به من شرك قومه، وعبادتهم الأوثان، فاعترض بقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟...﴾ إلخ على معنى: أنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمداً؛ فقد كذب إبراهيمَ قومُهُ، وكل أمة كذبت نبيها؛ لأن قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ لا بد من تناوله لأمة إبراهيم، وهو كما ترى اعتراض متصل، ثم سائر الآيات بعدها من توابعها؛ لكونها ناطقة بالتوحيد، ودلائله، وهدم الشرك، وتوهين قواعده، وصفة قدرة الله، وسلطانه، ووضوح حجته وبرهانه. انتهى.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الاعتراض، أو هي حرف عطف، (إن): حرف شرط جازم، ﴿تُكَذِّبُوا۟﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، تقديره: فلا يضرني تكذيبكم. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف تعليل للجواب المنفي. (قد): حرف تحقيق، يقرب الماضي مِنَ الحال. ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض. ﴿أُمَمٌ﴾: فاعله. ﴿مِّن قَبْلِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أُمَمٌ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ...﴾ إلخ، لا محل لها؛ لأنها تعليلية. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية، ﴿عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: صفة له، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال، ولا أراه قوياً. هذا؛ والآية في محل نصب مقول القول على اعتبارها مع ما بعدها من قول إبراهيم عليه السلام، ولا محل لها على اعتبارها مع ما بعدها كلام معترض، وهو المعتمد. انظر الشرح.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا...﴾ إلخ: لما بين الله الأصل الأول، وهو التوحيد، وأشار إلى الثاني، وهو الرسالة بقوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ شرع في بيان الأصل الثالث، وهو الحشر. وهذه الأصول الثلاثة لا ينفك بعضها عن بعض في الذكر الإلهي. انتهى. جمل نقلاً من النهر. هذا؛ والضمير في ﴿يَرَوْا﴾ إلى الأمم المكذبة، ويقرأ: (أولم تروا) بتاء المضارعة خطاب لكفار قريش.

﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: من مادة من نطفة، ونحوها، ومن غير مادة، والفعل بضم الياء من الرباعي، وقرئ شاذاً: (يَبْدَأ) من الثلاثي. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ أي: يوم القيامة للحساب، والجزاء، ويجوز أن يراد ببدء الخلق، وإعادته ما يحصل في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات، والثمار، ونحوهما؛ حيث تحيا، ثم تفنى، ثم يعيدها وكذلك يبدأ خلق الإنسان، ثم يميته بعد أن خلق منه ولداً، وخلق من الولد ولداً، وكذلك سائر الحيوان، والمعنى: إذا رأيتم قدرة الله تعالى على الإبداء، والإيجاد فيما ذكر؛ فهو القادر على الإعادة بلا ريب. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: ماذكر من الإيجاد، والإعدام، والإهلاك، ثم الإعادة. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هيِّن سهل؛ لأنه سبحانه لا يفتقر في فعل ذلك إلى معاون، ولا إلى مساعد؛ لأنه إذا أراد شيئاً؛ فإنما يقول له: كن، فيكون.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لم)، وهو بصري، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من لفظ الجلالة، ﴿يُبْدِئُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْخَلْقَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَيْفَ...﴾ إلخ: في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل قبلها، وجملة: ﴿أَوَلَمْ...﴾ إلخ: معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا...﴾ إلخ، ولا يجوز عطفها على جملة: ﴿يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾؛ لأن الرؤية غير واقعة على الإعادة، بل على الإبداء فقط. هذا؛ وقدر الجلال: ثم هو يعيده. وهذا يعني: أن الجملة اسمية، وهي مستأنفة. وهو قول ابن هشام في المغني. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم: ﴿إِنَّ﴾. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يَسِيرٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية تعليل لما ذكر من الإبداء، والإعادة.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا الخطاب للنبي ﷺ، وهو يؤيد ما ذكر من الاعتراض. وقيل: هو لإبراهيم عليه السلام. ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: على كثرتهم، واختلاف أحوالهم، وألسنتهم، فهو أمر للكفرة؛ لينظروا نظرة تبصر، واعتبار، لا نظرة غفلة، وإهمال، ينظرون إلى مساكن الأمم الماضية، وديارهم، وآثارهم كيف أهلكهم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ أي: يخلق الخلق المرة الثانية بعد الأولى؛ التي هي الإبداء، والآخرة تكون يوم القيامة. فبدء الخلق، وإعادته نشأتان من حيث إن كلاً منهما اختراع، وإخراج من العدم، غير أن الثانية إنشاء بعد إنشاء مثله، والأولى ليست كذلك، والقياس أن يقال: كيف بدأ الله الخلق، ثم ينشئ النشأة الآخرة؟ لأن الكلام معهم وقع في الإعادة، فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، فإذا لم يعجزه الإبداء، وجب ألا يعجزه الإعادة، فكأنه قال: ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة، فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه، وأوقعه مبتدأ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لأن قدرته لذاته، ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على سواء، فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على النشأة الأولى. هذا؛ وقرئ: (النَّشَاءَة) كالرآفة.

هذا؛ وقد قال تعالى هنا: ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ...﴾ إلخ، وقال في سورة (الأنعام) رقم [١١]: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا...﴾ إلخ والفرق بينهما: أن النظر هنا جعل مسبباً عن السير، فكأنه قال: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، ومعنى السير هناك إباحة السير للتجارة، وغيرها، وإيجاب النظر في آثار الهالكين. ونبه على ذلك بـ: ﴿ثُمَّ﴾ التي هي للتراخي لتباعد ما بين الواجب، والمباح. انتهى. نسفي من سورة (الأنعام) بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿سِيرُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فَانْظُرُوا﴾: الفاء: حرف عطف. (انظروا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من فاعل: ﴿بَدَأَ﴾. ﴿بَدَأَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى. ﴿الْخَلْقَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: في محل نصب سدت مسد مفعول (انظروا)، المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وجملة: ﴿فَانْظُرُوا...﴾ إلخ معطوفة على

ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يُنشِئُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾: مفعول مطلق، فهي مصدر محذوف الزوائد، والأصل الإنشاءة، أو هو على حذف العامل، أي: ينشئ فَيَنْشَؤون النشأة؛ وعلى هذا فهي مصدر للثلاثي، ولا حذف. ﴿ٱلْآخِرَةَ﴾: صفة لها، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ يُنشِئُ...﴾ إلخ، معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿كُلِّ﴾: اسم مجرور، وهو مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ، تعليل لقدرة الله القاهرة، وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ: مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: تعذيبه بعدله. ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾: رحمته بفضله، وكرمه، وجوده. ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: ترجعون، وتردون إليه يوم القيامة، فيجازي كل واحد ما يستحق من الثواب، والعقاب. هذا؛ وقد قال سليمان الجمل: لما ذكر الله النشأة الآخرة؛ ذكر ما يكون فيها، وهو تعذيب أهل التكذيب عدلاً، وحكمةً، وإثابةُ أهل الإثابة فضلاً، ورحمةً. وقدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع أن رحمته سابقة؛ لأن السابق ذكر الكفار، فذكر العذاب أولاً لسبق ذكر مستحقيه. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. ولا تَنْسَ: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

الإعراب: ﴿يُعَذِّبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله. والجملة الفعلية صلة ﴿مَن﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يعذب الذي، أو شخصاً يشاء تعذيبه، والجملة الفعلية مستأنفة، واعتبارها حالاً من لفظ الجلالة، لا بأس به، وجملة: ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾: معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: الواو: حرف عطف. (إليه): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، وتقديمهما يفيد الحصر. ﴿تُقْلَبُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: ربكم عن إدراككم. بمعنى: لا تفوتونه؛ إن هربتم من حكمه، وقضائه. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: إن فررتم من قضائه، وحكمه بالتواري في

الأرض، أو الهبوط في مهاويها، والتحصين في السماء، أو القلاع، والجبال الذاهبة، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾. وقيل: المعنى: ولو كنتم في السماء لا تعجزون الله، ولا تهربون من قضائه، وحكمه، فهو كقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا﴾. وقيل: التقدير: ولا مَن في السماء. قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في هجاء أبي سفيان، وقريش: [الوافر]

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ؟!

فإن المعنى: ومن يمدحه. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: من غيره، وسواه. ﴿مِن وَلِيٍّ﴾: يتولى أموركم، ويمنعكم من عذابه. ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: ينصركم من عذاب الله تعالى. هذا؛ والولي: هو الذي يتولى شؤون غيره، والنصير: المعين، والمساعد. والفرق بينهما: أن الولي قد يضعف عن النصرة، والمعاونة، والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور، فبينهما عموم، وخصوص من وجه. هذا، وقال تعالى هنا: ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ واقتصر في سورة (الشورى) رقم [٣١] على ﴿الْأَرْضِ﴾؛ لأن ما هنا خطاب لقوم فيهم النمرود، الذي حاول الصعود إلى السماء. وقد حذفا معاً للاختصار في الآية رقم [٥١] من سورة (الزمر).

فائدة: والولي لله: العارف بالله تعالى على حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المعرض عن الانهماك في اللذات، والشهوات. وفيه وجهان: أحدهما: أنه فعيل بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح، فعلى هذا هو مَنْ يتولى الله رعايته، وحفظه، فلا يكله إلى غيره، ونفسه لحظة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّٰلِحِينَ﴾. والوجه الثاني: أنه فعيل مبالغة من فاعل، كرحيم، وعليم بمعنى: راحم، وعالم، فعلى هذا هو مَنْ يتولى عبادة الله تعالى، من غير أن يتخللها عصيان، أو فتور. وكلا المعنيين شرط في الولاية، فمن شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض؛ فليس بولي، بل هو مغرور، مخادع. ذكره الإمام أبو القاسم القشيري وغيره من أئمة الطريقة رحمهم الله تعالى. انتهى. من شرح ألفاظ الزبد للشيخ أحمد بن حجازي الفشني، رحمه الله تعالى. هذا؛ وربنا يقول في الحديث القدسي: «**من عادى لي ولياً؛ فقدْ آذنْتُهُ بالحربِ**».

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف، أو: واو الحال. وقيل: عاطفة. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس» ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسمها. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (معجزين): خبر (ما)، مجرور لفظاً، منصوب محلاً. وإن اعتبرت (ما) مهملة؛ فالضمير يكون مبتدأ، والباء زائدة في خبره، والجملة الاسمية على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ وفاعل (معجزين) ضمير مستتر فيه، ومفعوله محذوف؛ إذ التقدير: وما

أنتم بمعجزين الله في حال وجودكم في الأرض، وهذا يعني: أن الجار، والمجرور: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر بـ: (معجزين). ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: زائدة لتوكيد النفي. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لـ: «كان» المحذوفة، على تقدير: ولو كنتم في السماء. أو صفة: «مَنْ» على تقدير: مَنْ في السماء. أو هما معطوفان على قوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مراعاة للظاهر. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَلِىٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿نَصِيرٍ﴾: معطوف على: ﴿وَلِىٍّ﴾ على لفظه، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا لَكُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بدلائل وحدانيته، وقدرته، أو المعنى: بكتب الله؛ التي أنزلها على رسله، أو بالمعجزات؛ التي أجراها على أيدي رسله، ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾: يوم القيامة بالبعث، والحشر، والنشر. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ أي: المتصفون بما ذكر. ﴿يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي: قطعوا أملهم في دخول الجنة يوم القيامة. والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه. ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يوم القيامة، وذلك بدخولهم النار لمخالفتهم أوامر الواحد القهار. وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن الله ذم قوماً هانوا عليه، فقال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى﴾، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله، ولا من رحمته، وأن لا يأمن عذابه، وعقابه، صفة المؤمن أن يكون راجياً لله عز وجل خائفاً. انتهى. كشاف.

هذا؛ والفعل «يئس» مضارعه: ييأس بمعنى: يقنط من رحمة الله، ويقطع أمله فيها. قال تعالى حكاية عن قول يعقوب لأولاده: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾. هذا؛ ويأتي «ييأس» بمعنى: يعلم، وبه فسر قوله تعالى في الآية رقم [٣١] من سورة (الرعد): ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾. قال الكلبي: هي لغة النخع. وقيل: لغة هوازن. ويؤيده ما روي: أن علياً، وابن عباس، وجماعة من الصحابة، والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قرؤوا: (أفلم يتبين) وهو تفسيره، وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم؛ لأنه مسبب

عن العلم بأن الميئوس منه لا يكون. وقال الليث، وأبو عبيدة: هو بمعنى: ألم يعلم، واستدلوا لهذه اللغة بقول سحيم بن وثيل اليربوعي: [الطويل]

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي: أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ؟

زهدم اسم فرس، وقال رباح بن عدي: [الطويل]

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيَا؟

﴿عَذَابٌ﴾: اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصدر تعذيب؛ لأنه من: عذَّب، يعذِّب بتشديد الذال فيهما، وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، مثل: عطاء، وسلام، ونبات لأعْطَى وسَلَّم، وأَنبت.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف، (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة واو الجماعة، ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل. ﴿بِآيَاتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(آيات) مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. (لقائه): معطوف على: (آيات الله) بالواو العاطفة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿يَئِسُوا﴾: فعل، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مِن رَّحْمَتِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأُولَئِكَ﴾: الواو: حرف عطف. (أولئك): مبتدأ أول، والكاف حرف خطاب. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأُولَئِكَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)﴾

الشرح: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ أي: قوم إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ حين دعاهم إلى التوحيد، والإيمان. ﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض، أو

قاله واحد منهم، وكان الباقون راضين، فكانوا جميعاً في حكم القائلين. ﴿ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾: ثم اتفقوا على تحريقه. ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: فقذفوه في النار، فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه برداً، وسلاماً. انظر ما ذكرته في سورة (الأنبياء) الآية رقم [٦٨ و٦٩]. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: أي في إنجائه من النار العظيمة التي أوقدوها، ﴿لَأَيَـٰتٍ﴾ أي: دلالات وعلامات على قدرة الله تعالى. هذا؛ وذكر الجلال الآيات بأنها ثلاث: عدم تأثيرها فيه مع عظمها، وإخمادها، وإنشاء روض في مكانها في زمن يسير. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: خصهم بالذكر؛ لأنهم هم الذين يتفكرون، ويتأملون، وينتفعون. يروى: أنه لم ينتفع أحد في ذلك اليوم الذي ألقي فيه إبراهيم في النار بشيء منها، وذلك لذهاب حرها. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿جَوَابَ﴾: خبر كان مقدم، وقرئ برفعه على أنه اسمها، و﴿جَوَابَ﴾ مضاف، و﴿قَوْمِهِۦٓ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، و﴿أَن﴾ والفعل ﴿قَالُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب خبر كان على رفع: (جوابُ)، وفي محل رفع اسمها مؤخراً على نصبه، وهو الأفصح؛ لأن فيه جعل الأعرف اسماً. ﴿ٱقْتُلُوهُ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿حَرِّقُوهُ﴾: فعل أمر، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿فَمَا كَانَ...﴾ إلخ معطوفة على ما ذكر في الآية رقم [١٦]، أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَأَنجَىٰهُ﴾: الفاء: حرف عطف. وقيل: الفصيحة، ولا وجه له. (أنجاه): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَأَنجَىٰهُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (ما كان...) إلخ لا محل لها مثلها، والأولى عطفها على جملة محذوفة، التقدير: فقذفوه، فأنجاه الله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَأَيَـٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء، (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: (آيات)، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل جر صفة (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي تعليل لمحذوف، أي: وخصوا بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ﴾ أي: إبراهيم، ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم﴾ أي: عبدتم، وجعلتم آلهة. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾: من سوى الله أصناماً تقدسونها وتعظمونها بالعبادة، ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: اجتمعتم على عبادة تلك الأوثان، واتفقتم عليها؛ لتتوادوا بينكم، وتتواصلوا، وتتآلفوا لاجتماعكم على عبادتها، واتفاقكم عليها، كما يتفق على مذهب من المذاهب، فيكون سبباً لتحابهم، وتآلفهم، وتعلقتم بها، وأحببتموها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾. [١٦٥] من سورة (البقرة). ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: تتبرأ الأوثان من عابديها، وتجحد الآلهة عبادة المشركين لها، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ الآية رقم [٨٢] من سورة (مريم)، وكما حكى الله عنهم في سورة (القصص) رقم [٦٣]: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: يقوم بينكم التلاعن، والتباغض، والتعادي، يتلاعن العبدة والأصنام، ويتلاعن العبدة، وهذا ما صرحت به سورة الأحزاب رقم [٦٨]: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾. ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾: مقركم، ومآلكم، ومصيركم النار، وبئس المآل، والمصير! ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: ينصرونكم من النار، ويمنعونكم من عذاب الله تعالى. هذا؛ والخطاب لعبدة الأوثان، الرؤساء منهم، والأتباع. وقيل: تدخل فيه الأوثان، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ سورة (الأنبياء) رقم [٩٨].

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف، (قال): فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى إبراهيم. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِّن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَوْثَٰنًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَوْثَٰنًا﴾: مفعول به أول، أو مفعول واحد، على حد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾. ﴿مَّوَدَّةَ﴾: مفعول لأجله، و﴿مَّوَدَّةَ﴾ مضاف، و﴿بَيْنِكُمْ﴾ مضاف إليه، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. وهذا الإعراب إنما هو على قراءة حفص، وقد قرئ: (مَوَدَّةٌ) بالرفع أيضاً، وفيه من الأوجه ما يلي:

اعتبار (إن) عاملة، و(ما): اسم موصول بمعنى «الذي» مبني على السكون في محل نصب اسمها، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: إن الذي اتخذتموه. وعليه ف: ﴿أَوْثَٰنًا﴾ مفعول ثان، أو حال، و(مَوَدَّةُ) بالرفع خبر (إن)، وعلى الوجه الأول في الإعراب، تكون (مَوَدَّةُ) بالرفع خبراً لمبتدأ محذوف، أي هي مودة، أي ذات مودةٌ، والجملة الاسمية هذه في محل نصب صفة: ﴿أَوْثَٰنًا﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) مصدرية، تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر (مَوَدَّةُ) على رفعه، ولا حذف على هذا الوجه، والخبر محذوف على نصب ﴿مَّوَدَّةَ﴾، التقدير: إن اتخاذكم أوثاناً من دون الله لأجل المودة لا ينفعكم، أو: يكون عليكم. هذا؛ ويقرأ ﴿مَّوَدَّةَ﴾ في حال رفعه بالتنوين، وعدمه، فعدم التنوين على الإضافة، وعلى رفعه يكون (بينكم) متعلقاً بمحذوف صفة: (مَوَدَّةٌ)، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: قال أبو البقاء: فيه سبعة أوجه: الأول: أن يتعلقا بـ ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ إذا جعلت (ما) كافة لـ (إن)، لا على الوجهين الآخرين؛ لئلا يؤدي إلى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر، والثاني: أن يتعلقا بنفس: ﴿مَّوَدَّةَ﴾؛ إذا لم تجعل ﴿بَيْنِكُمْ﴾ صفة لها؛ لأن المصدر إذا وصف لا يعمل. والثالث: أن يتعلقا بنفس: ﴿بَيْنِكُمْ﴾؛ لأن معناه: اجتماعكم، أو وصلكم. والرابع: أن تجعلهما متعلقين بمحذوف: صفة ثانية لـ: ﴿مَّوَدَّةَ﴾ إذا نونتها، وجعلت ﴿بَيْنِكُمْ﴾ متعلقاً بمحذوف صفة أولى. والخامس: أن تعلقهما بـ: ﴿مَّوَدَّةَ﴾، وتجعل ﴿بَيْنِكُمْ﴾ ظرف مكان، فيعمل ﴿مَّوَدَّةَ﴾ فيهما، والسادس: أن تعلقهما بمحذوف حال من الضمير في: ﴿بَيْنِكُمْ﴾؛ إذا جعلته وصفاً لـ ﴿مَّوَدَّةَ﴾. والسابع: أن تعلقهما بمحذوف حال من ﴿بَيْنِكُمْ﴾ لتعرفه بالإضافة، وأجاز قوم منهم، أن يتعلقا بـ: ﴿مَّوَدَّةَ﴾، وإن كان ﴿بَيْنِكُمْ﴾ متعلقاً بمحذوف صفة لها؛ لأن الظروف يتوسع فيها، بخلاف المفعول به. انتهى. بتصرف.

﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لـ: (حياة) مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿يَكْفُرُ﴾: فعل مضارع. ﴿بَعْضُكُم﴾: فاعله، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بِبَعْضٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة معطوفة على ما قبلها، وجملة: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ معطوفة عليها. ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾: الواو: حرف عطف، أو واو الحال، (مأواكم): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلنَّارُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الكاف المجرورة بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير، أو هي معطوفة على ما قبلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر

مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّٰصِرِينَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع محلاً، مجرور لفظاً، وإن اعتبرت (ما) نافية حجازية عاملة عمل «ليس»، فالإعراب لا يخفى، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ أي: صدق إبراهيم برسالته لما رأى معجزاته، وذلك حين رأى النار عليه برداً وسلاماً. والمراد: التصديق كما ذكرت، وأما في أصل التوحيد؛ فإنه كان مؤمناً، موحداً؛ لأن الأنبياء لا يتصور فيهم الكفر. ولوط هو ابن أخي إبراهيم، كما ذكرته لك فيما مضى.

﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي: إلى حيث أمرني ربي. قال النخعي، وقتادة: هاجر إبراهيم من كوثا ـ وهي قرية مِنْ سواد العراق ـ. إلى حران، ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط، بن هاران بن تارح، وامرأته سارة، وهي بنت عمه، وهو أول من هاجر من أرض الكفر. قال مقاتل: هاجر إبراهيم، وهو ابن خمس وسبعين سنة. وقيل: الذي قال ذلك إنما هو لوط، وليس بشيء يعتد به. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي القاهر الذي يمنعني من أعدائي. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاحي، والذي لا يفعل إلا ما فيه الحكمة.

الإعراب: ﴿فَـَٔامَنَ﴾: الفاء: حرف عطف. (آمن): فعل ماض. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لُوطٌۘ﴾: فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (قال. . .) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم) على المعتمد. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿مُهَاجِرٌ﴾: خبر (إن)، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «أنا». ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُهَاجِرٌ﴾ وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ إِنِّى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه توكيد للضمير المنصوب على المحل. والثاني: أنه ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وعليهما ف: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ خبر أول لـ: (إن)، و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ خبر ثان. والثالث: أن الضمير مبتدأ، و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ خبر أول له، و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ خبر ثان، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليلية، وهي في محل نصب مقول القول أيضاً. هذا؛ وقال ابن هشام في المغني الفصل أرجحها، والابتداء أضعفها، ويختص بلغة تميم، والتوكيد سكت عنه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أي: مَنَّ الله عليه بالأولاد حين أيس من الولادة من عجوز عاقر، وهي سارة، فرزقه إسحاق، وولد لإسحاق يعقوب في حياته، كما قال تعالى في سورة (هود) رقم [٧١]: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، وقال تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٧٢]: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: غنيمة، فعد الله ولد الولد غنيمةً فوق الولد. هذا؛ وفي الآية دليل واضح على أن الولد الصالح هبة، ومنحة من الله للوالدين، فلم يقل سبحانه وتعالى: أعطيناه، ورزقناه، وإنما قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ قال الشاعر الحكيم: [الكامل]

نِعَمُ الإلهِ عَلَى الْعِبَادِ كَثِيرَةٌ ... وَأَجَلُّهُنَّ نَجَابَةُ الأَوْلَادِ

﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾: فلم يبعث الله نبياً بعد إبراهيم إلا من ذريته، ونسله، ووحد الكتاب؛ لأنه أراد الجنس ليتناول الكتب الأربعة، أو أراد المصدر كالنبوة، فإنه تعم كل نبوة كانت في ذريته، والمراد: التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، فالتوراة أنزلت على موسى، والزبور أنزل على داود، والإنجيل أنزل على عيسى، والقرآن أنزل على محمد، وكلهم من ولد إبراهيم ﷺ وعليهم أجمعين، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ثوابه على الهجرة من وطنه إلى غيره، وثباته على التقوى، والصلاح، وهذا الأجر كان بإعطائه الولد في غير أوانه، والذرية الطيبة، واستمرار النبوة فيهم، وانتماء أهل الملل إليه، فجميع أهل الأديان يتولونه، ويحبونه، ويقدسونه، ويثنون عليه، ويصلون عليه إلى آخر الدهر. ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: مثل نوح، وإدريس، وآدم، وانظر ما ذكرته بشأن الصالحين في الآية رقم [١٠]، وانظر شرح (ذرية) في الآية رقم [٧٤] من سورة (الفرقان).

الإعراب: ﴿وَوَهَبْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (وهبنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُۥٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِسْحَٰقَ﴾: مفعول به. ﴿وَيَعْقُوبَ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَوَهَبْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَجَعَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿فِى ذُرِّيَّتِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، والهاء مفعول به. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿أَجْرَهُۥ﴾: مفعول به ثان، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو

هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَجْرَهُۥ﴾. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: واو الحال. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف، تقديره: وإنه صالح في الآخرة؛ لأن متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول، وهذا على اعتبار «أل» في: ﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ موصولة. وقيل: الجار والمجرور للتبيين، فجاز تقديمهما، وقيل: الألف واللام للتعريف، وليستا بمعنى «الذين» وعليه فهما متعلقان بـ: ﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، ﴿لَمِنَ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى المزحلقة. (من الصالحين): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: (إن)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير العائد إلى (إبراهيم)، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: بعد أن هاجر لوط مع عمه إبراهيم من العراق إلى فلسطين، واستقر به المقام أرسله الله إلى أهل «سدوم» يدعوهم إلى الله، وينهاهم عن فعلهم القبيح، وهو إتيان الرجال في أدبارهم، وقد ذكرت قصة لوط بتمامها في عدة سور باختلاف يسير، وبعضها يكمل بعضاً، وتلخص: أن قوم لوط كانوا من الشر بمكان، وأنهم كانوا يقطعون السبيل على المارة، وقد ذهب الحياء من وجوههم، فلا يستقبحون قبيحاً، ولا يرغبون في حَسَن، كما قال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من خلق الله، وذلك: أنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين شهوة من دون النساء، يستعلنون بذلك، ولا يسْتَسِرُّون، ولا يرون في ذلك سوءاً، أو قبحاً، وإن لوطاً عليه السلام قد وعظهم، ونصحهم، ونهاهم، وخوفهم بأس الله تعالى، فلم يأبهوا، ولم يرتدعوا، فلما ألح عليهم بالعظات والإنذار؛ هددوه، وتوعدوه تارة بالرجم، وتارة بالإخراج من بينهم، إلى أن جاء لوطاً الملائكة، الذين ذكرهم الله في سورة (هود)، وسورة (الحجر)، وهذه السورة، وغيرها، وقد جاؤوا إلى لوط بهيئة غلمان مرد، حسان الوجوه، فجاء أهل القرية إلى بيت لوط طالبين ضيوفه الكرام؛ ليفعلوا فيهم الفاحشة، وقد جهد لوط في ردهم، وبالغ في ذلك؛ حتى طلب إليهم أن يأخذوا بناته بدل ضيوفه، فلم يصغوا إليه.

حينئذ التفت لوط إلى ضيوفه الكرام، وقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي: لجاهدتهم بكم، وأوقعت بهم ما يستحقون، وكان لا يعلم: أنهم ملائكة إلى ذلك الحين، وحينئذ أعلمه الملائكة بحقيقة أمرهم، وأنهم جاؤوا للتنكيل بأولئك القوم الخبثاء، ولما حاول أهل القرية أخذ أولئك المردان بالقوة، وهجموا على بيت لوط، طمس الله أعينهم، فلم يبصروا، ولم يهتدوا إلى مكان يقتحمون منه عليه، وعلى من معه، قال تعالى في سورة (القمر): ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

ثم أخرج الملائكة لوطاً، وابنتيه وزوجه من القرية، وأمروهم أن لا يلتفت منهم أحد، وأن يحضروا حيث يؤمرون، فامتثلوا الأمر إلا امرأته، فقد التفتت إلى القرية لترى ما يحلُّ بها، وكانت خبيثة هواها مع أهل القرية دون لوط، فحل بها من السخط، والعذاب ما حل بهم، وكانت كافرة غير مؤمنة، فأمطر الله عليهم حجارة من سجيل، وقلبت ديار القوم، قال تعالى في سورة (هود) رقم [٨٣]: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾.

قال عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ: وأعتقد: أن البحر الميت ـ المعروف الآن ببحر لوط، أو بحيرة لوط ـ لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث، وإنما حدث من الزلزال الذي جعل عالي البلاد سافلها، وصارت أخفض من سطح البحر بنحو أربعمئة متر، وقد جاءت الأخبار في السنتين الماضيتين بأنهم اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت. انتهى. قصص الأنبياء للنجار بتصرف.

يا سبحان الله! كيف زلَّ النجار حيث عزَا ما وقع في قرى قوم لوط إلى الزلزال؟! وإنما حصل ذلك بفعل جبريل عليه السلام؛ حيث وضع جناحه تحت القرى، ورفعها إلى السماء ثم جعل عاليها سافلها، ولا زلزال، ولا بحر، ولا بحيرة، وكان هذا العمل الجبار الذي كان من قدرة الواحد القهار، فاعتبروا يا أولي الأبصار!.

هذا؛ ويقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره: وجعل الله مكان تلك البلاد بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها، ولا بما حولها من الأراضي المتاخمة؛ لفنائها، ولرداءتها ودناءتها، فصارت عبرة، ومثلة، وعظة، وآية على قدرة الله تعالى، وعظمته، وعزته في انتقامه ممن خالف أمره، وكذب رسله، واتبع هواه، وعصى مولاه. انتهى.

هذا، والمراد بالفاحشة المذكورة في هذه الآية: هي إتيان الذكور في أدبارهم، وقد ذمهم الله في هذه الآيات. وقال عنهم في سورة (الأعراف) حكاية عن قول لوط لهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾؛ لأن الله خلق الإنسان، وركب فيه الشهوة لبقاء النسل، وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٥] من سورة (النمل) ففيها الكفاية لطالب الزيادة.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: لم يفعل هذه الفاحشة أحد قبلكم من الناس أجمعين، وانظر شرح ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الشعراء). هذا؛ و﴿أَحَدٍ﴾ أصله: وحد؛ لأنه من الوحدة، فأبدلت الواو همزة، وهذا قليل في المفتوحة، إنما يحسن في المضمومة، والمكسورة مثل قولهم: وجوه، وأجوه، ووسادة، وإسادة، وهو مرادف للواحد في موضعين: أحدهما: وصف الباري جل علاه، فيقال: هو الواحد، وهو الأحد، والثاني: أسماء العدد، فيقال: أحد وعشرون، وواحد وعشرون، وفي غير هذين الموضعين يفرق بينهما في الاستعمال،

فلا يستعمل «أحد» إلا في النفي، وهو كثير في الكلام، أو في الإثبات مضافاً، كما في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بخلاف الواحد، وقولهم: «ما في الدار أحد» هو اسم لمن يعقل، ويستوي فيه المفرد والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، وقال جل ذكره: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾.

هذا؛ و«أحد» أكمل من «الواحد»: ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى أن يقوم له اثنان، فأكثر، بخلاف قولك: لا يقوم له أحد. وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد، تقول: ليس في الدار أحد، فيجوز أن يكون فيها من الدواب، والطير، والوحش، والإنس، فيعم الناس، وغيرهم، بخلاف: ليس في الدار واحد، فإنه مخصوص بالآدميين.

ويأتي «الأحد» في كلام العرب بمعنى الواحد، فيستعمل في النفي، والإثبات، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحد، وقوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ أي: واحداً منكم، وبغير معنى الواحد، فلا يستعمل إلا في النفي. تقول: ما جاءني من أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، و«واحد» يستعمل فيهما مطلقاً، و«أحد» يستعمل في المذكر، والمؤنث، نحو قوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بخلاف الواحد، فلا يقال: كواحد من النساء، بل: كواحدة. وأحد يصلح للإفراد، والجمع، ولهذا؛ وصف به في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ بخلاف الواحد، و«الأحد» له جمع من لفظه، وهو: الأحدون، والآحاد وليس للواحد جمع من لفظه، فلا يقال: واحدون، بل: اثنان، وثلاثة. والأحد ممتنع من الدخول في شيء من الحساب بخلاف الواحد، فتلخص من ذلك سبعة فروق. انتهى.

الإعراب: ﴿وَلُوطًا﴾: الواو: حرف عطف، (لوطاً): معطوف على (إبراهيم)، أو على الضمير المنصوب في (أنجيناه)، وقيل: معطوف على نوح في الآية رقم [١٤]، وقيل: هو على تقدير: اذكر لوطاً. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب بدل من (لوطاً) بدل اشتمال. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (لوط). ﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَتَأْتُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (تأتون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة. هذا؛ وقرئ بهمزتين على الاستفهام الإنكاري، والواو فاعله. ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿سَبَقَكُم﴾: فعل ماض، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَحَدٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره،

منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَحَدٍ﴾، والجملة الفعلية: ﴿مَا سَبَقَكُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من: ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ نفسها، والرابط: الضمير فقط على الاعتبارين. وقد قيل: إنها مستأنفة. والأول أقوى، وجملة: اذكر لوطاً، أو: أرسلنا لوطاً، معطوفة على ما قبلها، ومتضمنة عطف قصة لوط على قصة إبراهيم، ونوح على نبينا، وعليهم جميعاً ألف تحية، وسلام، وصلاة. هذا؛ وقد قال البيضاوي، والنسفي تبعاً للزمخشري: جملة: ﴿مَا سَبَقَكُم...﴾ إلخ جملة مستأنفة مقررة لقبح تلك الفعلة، كأن قائلاً قال: لم كانت فاحشة؟ فقيل له: لأن أحداً قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازاً منها في طباعهم، لإفراط قبحها؛ حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم، وقذر طباعهم. انتهى. كشاف بتصرف.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ أي: في أدبارهم شهوة من دون النساء؛ حيث تقضون وطركم بالرِّجال، ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: الطريق، فقد كانوا يتعرضون للمارة في طرقهم بالقتل، وسلب مالهم، أو يتعرضون لهم بالفاحشة بالقهر، والقوة حتى ابتعد الناس عن المرور في طرقهم. وقيل: المراد به قطع سبيل النَّسْل بالإعراض عن مكان الحرث؛ أي: محل النسل، وإتيان ما ليس بمكان النسل.

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾: النادي: مجلس القوم ومتحدثهم، ولا يقال له: ناد إلا بوجود أهله فيه، ودار الندوة كان قرب الكعبة المعظمة، يجتمع فيه زعماء قريش للتشاور في أمورهم العامة، والخاصة. ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾: الفعل القبيح؛ الذي تأباه العقول السليمة، والأخلاق الكريمة، والفطرة المستقيمة.

قيل: كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل واحد منهم قصعة فيها حَصَىً، فإذا مر بهم عابر سبيل؛ خذفوه، فأيهم أصابه؛ قال: أنا أولى به، فيأخذه، ويفعل به الفاحشة قهراً. وقيل: كان يأخذ ما معه، وينكحه. وهذان الفعلان سبب في قطع الطريق، كما رأيت، فهما مفهومان مما سبق. وقيل: كان يلوط بعضهم ببعض في مجلسهم. وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم، ويتهارشون تهارش الكلاب، ويبزق بعضهم على بعض. وقيل: كانت أخلاق قوم لوط مضغ العلك، وتطريف الأصابع بالحناء، وحل الإزار، والصفير، والخذف بالحصى، والرمي بالبندق، واللوطية، والفحش في المزاح، وفرقعة الأصابع، وغير ذلك من رذيل الفعال.

وعن أم هانئ بنت أبي طالب - رضي الله عنها -: أنها قالت: سألت النبي ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ قال: «**كَانُوا يخذِفُونَ مَنْ يَمُرُّ بِهِمْ، ويَسْخَرُونَ مِنْهُ، فَذَلِكَ الْمُنْكَرُ الَّذي كَانُوا يَأْتُونَهُ**». أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، وذكره النحاس، والثعلبي، والمهدوي، والماوردي. وذكر الثعلبي: قال معاوية: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ قَوْمَ لوطٍ كانوا يَجْلِسُونَ في مَجَالِسِهِمْ، وعِنْدَ كلِّ رَجُلٍ قَصْعَةٌ فِيهَا الحصى للخذْفِ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ عَابِرٌ؛ قَذَفُوهُ، فَأَيُّهُمْ أَصَابَهُ كَانَ أَوْلَى بِهِ**». يعني: يذهب به للفاحشة. انتهى. قرطبي.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ أي: حين أنذرهم، وتوعدهم بالعذاب. ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ :الذي تعدنا به. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ : فائتنا بما تعدنا به، وقولهم هذا إنما هو استهزاء، وقولهم في سورة (النمل) رقم [٥٦] غير هذا.

تنبيه: كثير من أمة محمد يفعلون القبائح، والفواحش التي فعلها قوم لوط، والقبائح التي فعلها غيرهم، مثل: بخس الكيل والميزان، والظلم، والعدوان، والتكبر، والإفساد في الأرض، ومع ذلك لم يعاقبهم الله في الدنيا، وانظر ما أذكره في الآية رقم [٤٠] الآتية.

الإعراب: ﴿أَئِنَّكُمۡ﴾ : الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي، فيكون تأكيداً لما في الآية السابقة على قراءتها بالاستفهام. (إنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَتَأۡتُونَ﴾ : اللام: لام الابتداء، وتسمى المزحلقة. (تأتون): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلرِّجَالَ﴾ : مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إن)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وفيها معنى التوكيد لجملة: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾. وجملة: ﴿وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وأيضاً ﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ معطوفة عليها فهي في محل رفع مثلها، والجار والمجرور: ﴿فِي نَادِيكُمُ﴾ متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلۡمُنكَرَۖ﴾. ﴿فَمَا﴾ : الفاء: حرف استئناف. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٦] من سورة (النمل) من الفرق بين بدء جوابهم بالفاء هنا، وفيها، وبين بدء جوابهم بالواو في الآية رقم [٨٢] من سورة (الأعراف). (ما): نافية. ﴿جَوَابَ﴾ : خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، وهو مضاف، و﴿قَوۡمِهِۦٓ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّآ﴾ : حرف حصر، والمصدر المؤول من: ﴿أَن قَالُواْ﴾ في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر. هذا ويقرأ برفع (جوابُ) على أنَّه اسم ﴿كَانَ﴾ والمصدر المؤوّل في محل نصب خبرها، ولكن الأول أفصح؛ لأن فيه جعل الأعرف اسماً. ﴿ٱئۡتِنَا﴾ : فعل أمر، مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: أنت، و(نا): ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِعَذَابِ﴾ : جار ومجرور متعلقان بالفعل

قبلهما، و(عذاب) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم المصدر لفاعله. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: فائتنا به، والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٣٠﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: لوط. ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾ أي: بإنزال العذاب. ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم، وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب، وإشعاراً بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب، وقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ رقم [٨٨] من سورة (النحل).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. والفاعل يعود إلى (لوط) تقديره: «هو». ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، وانظر تفصيله في الآية رقم [١٦٩] من سورة (الشعراء) ففيها الكفاية. ﴿ٱنصُرْنِي﴾: فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية، والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول. ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: صفة: ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝٣١﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ أي: الملائكة. ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: هي البشارة بالولد، والنافلة لزوجته سارة، وهي قوله تعالى في سورة (هود) رقم [٧١]. ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾. ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: الملائكة المرسلون. ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: وهي قرية «سدوم» وما حولها، وقد قيل فيها: أجْوَر من قاضي سدوم. وهذه الآية تشعر بأن القرية قريبة من موضع إبراهيم على نبينا، وحبيبنا، وعليهم أجمعين ألف صلاة، وألف سلام. قالوا: إنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم.

﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ أي: إن الظلم قد استمر فيهم في الأيام السالفة، وهم عليه مصرون، وظلمهم: هو كفرهم، وأنواع معاصيهم التي رأيتها فيما مضى. هذا؛ وانظر شرح

﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ في الآية رقم [٥٦] من سورة (النمل)، وانظر شرح: ﴿أَهْلِ﴾ في الآية رقم [١٦٩] من سورة (الشعراء).

هذا؛ وقد قال المرحوم عبد الوهاب النجار: قرأت في كتاب من كتب الأدب العبري وصفاً لهم، وفي ذلك الكتاب من دلائل ظلمهم، واستغراقهم فيه: أن سارة زوج إبراهيم أرسلت لَعَازَرَ كبير عبيد إبراهيم؛ ليأتيها بأخبار لوط، فلما دخل مدينة سدوم لقيه رجل من أهلها، فعمد إلى لَعَازَرَ بحجر ضربه به في رأسه، فأسال منه دماً كثيراً، ثم تعلق به قائلاً: إن هذا الدم لو بقي لأضَرَّ بك، فأعطني أجري، ثم آل الأمر بينهما إلى الترافع إلى قاضي سدوم، فلما سمع للخصمين حكم على لَعَازَرَ بأن يعطي للسدومي أجر ما ضربه بالحجر، وأسال دمه، فلما رأى لعازر الْجَوْر من القاضي والخصم في أمره، عمد إلى حجر ضرب به رأس القاضي، فأسال دمه، وقال له: الأجر الذي وجب لي عليك بإسالة دمك عليك أن تعطيه لضاربي السدومي جزاء ضربه إياي، وإسالة دمي. ولقد كنت أقرأ قول المعري: [الطويل]

وَأَيُّ امْرِئٍ في النَّاسِ أُلْفِي قَاضِياً ... وَلَمْ يُمْضِ أحْكَاماً لِحُكْمِ سَدُومِ

فلم أفهم ما يعزوه بهذا البيت، ولم أعرف ما سدوم حتى قرأت هذه القصة ففهمت معنى البيت. هذه الحكاية مع احتمال وضعها تفيدنا معرفة الفكر العام في أحوال هؤلاء الناس، وأنهم من الشر بحيث يصلحون أن تسند إليهم أمثالها. انتهى. بحروفه.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى حين عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿جَآءَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لامحل له. ﴿رُسُلُنَآ﴾: فاعل. و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مفعول به. ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿جَآءَتْ...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مُهْلِكُوٓاْ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿مُهْلِكُوٓاْ﴾ مضاف، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف، و﴿هَٰذِهِ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول

القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. هذا؛ وقدر الجمل ما يلي: فاستجاب الله دعاءه، فأرسل ملائكة لإهلاكهم، وأمرهم أن يبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة، فجاؤوا أولاً إلى إبراهيم. فيقدر هذا كله قبل قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ...﴾ إلخ ونقل من أبي السعود نحوه، وعليه ف: (لما) ومدخولها معطوف على هذا المقدر.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَهْلَهَا﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿ظَٰلِمِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾: في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل لإهلاكهم. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: أي: إبراهيم عليه السلام. ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ﴾ أي: أتهلكون أهل القرية، وفيهم من هو بريء من الكفر، والمعصية، وهو لوط؟! وأراد بهذا الاعتراض، والجدال إظهار الشفقة عليه، وما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه، والتشمر في نصرته، وحياطته، والخوف من أن يمسه أذى، أو يلحقه ضرر. ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الملائكة. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ﴾: يريدون نحن أعلم منك، وأخبر بحال لوط، وحال قومه، وامتيازه منهم الامتياز البين، وأنه لا يستحق ما يستحقون من العذاب، فخفض على نفسك، وهون عليك الخطب. ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾: مما يقع فيهم من العذاب الذي يستأهلونه. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب، وانظر الآية رقم [٥٧] من سورة (النمل) ففيها الكفاية لمن أراد الزيادة. وانظر مراجعة إبراهيم للملائكة في سورة (هود) رقم [٧٤] وما بعدها.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى إبراهيم. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها. ﴿لُوطًا ۚ﴾: اسمها مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبر المبتدأ، وهو يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث؛ فلذا صح فيه الإخبار عن الجمع. ﴿بِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾؛ لأنه أفعل التفضيل. ﴿فِيهَا ۖ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف.

(ننجينه): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها. ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (أهله): معطوف على الضمير المنصوب، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة أيضاً. والكلام: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿كَانَتْ﴾: فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، واسمها ضمير مستتر تقديره: «هي» يعود إلى: ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾. ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَتْ﴾، والجملة الفعلية: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال مقدر نشأ من استئنافها. كأنه قيل: فماذا كان حالها؟ فقيل: كانت من الغابرين. انتهى. جمل من سورة (الأعراف). هذا؛ وأرى جواز اعتبارها حالاً من ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ وهي على تقدير «قد» قبلها، والرابط: الضمير فقط. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾: ساءه مجيئهم، واغتم بسببهم، مخافة أن يقصدهم قومه بسوء، و﴿أَن﴾ صلة أكدت وجود فعلين متجاورين، مرتباً أحدهما على الآخر كأنهما وُجِدا في جزء واحد من الزمان، كأنه قيل: لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه أن يتناولوهم بالفجور. انتهى. نسفي بتصرف.

هذا؛ وزيدت ﴿أَن﴾ بعد (لما) في الآية رقم [١٩] من سورة (القصص)، وفي الآية رقم [٩٦] من سورة (يوسف)، ولم تزد في الآية رقم [٧٧] من سورة (هود) لعدم السبب المذكور، وإنما ساءه مجيئهم؛ لأنهم كانوا في صورة غلمان مرد، حسان الوجوه، فظن: أنهم أناس، فخاف أن يقصدهم قومه، فيعجز عن مدافعتهم؛ لأن قوم لوط كانوا مولعين بالفاحشة، وهي إتيان الذكور في أدبارهم. هذا؛ والفعل: ﴿سِىٓءَ﴾ من: ساء، يسوء يكون لازماً، ويكون متعدياً، كما في قولك: ساءني فلان، وكما هنا، وهذا غير «ساء» المستعمل في الذم.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: ضاق بشأنهم، وتدبير أمرهم ذرعه؛ أي: طاقته، وقد جعلت العرب ضيق الذراع، والذرع عبارة عن فقد الطاقة، كما قالوا: رَحْب الذراع بكذا؛ إذا كان مطيقاً له، والأصل فيه: أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير، فضرب ذلك مثلاً في العجز، والقدرة. انتهى. كشاف.

هذا؛ ولما كان الذراع موضع قوة الإنسان، وقدرته، وشهرته، قيل في الأمر الذي لا طاقة للإنسان به: ضاق بالأمر ذراع فلان، وذرعه، وضاق بالأمر ذرعاً، وذراعاً: عجز عن احتماله. قال هدبة بن خشرم، رحمه الله تعالى، وهو الشاهد رقم [٥٦٣] من كتابنا: فتح القريب المجيب: [الطويل]

إِنِ الْعَقْلُ فِي أَمْوَالِنَا لَا نَضِقْ بِهَا ذِرَاعاً وَإِنْ صَبْراً فَنَصْبِرُ لِلصَّبْرِ

وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه، والاحتيال فيه، قال عمر بن أبي ربيعه المخزومي: [الخفيف]

مَنْ رسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا بأَنِّي ضِقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِهَا والْكِتَابِ؟

وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره على قدرِ سعة خطوه، فإذا حمل على أكثر من طوقه؛ ضاق عن ذلك، وضعف، ومد عنقه. فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع. هذا؛ والذراع من الإنسان من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى. وهي مؤنثة، وجمعها: أذرع لا غير، قاله سيبويه، وذرَع الثوبَ: قاسه بذراعه، وذرَعَه القيءُ: غلبه. هذا؛ وضاق الأمر، وتضايق وَتَضَيَّق به، أو عليه: ضد اتسع. والضيق: ما ضاق عنه الصدر من حزن، أو هم. قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ وهو بفتح الضاد، وبكسرها ما يكون في الذي يتسع، ويضيق، مثل الدار، والثوب ونحوهما.

﴿وَقَالُواْ﴾ أي: الملائكة لما رأوا فيه أثر الضجر، والقلق والانزعاج من أجلهم. كيف لا؛ وقد قال لقومه، وهم يسمعون قوله متأسفاً متحسراً: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: لبطشت بكم. ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾: ولا تغتم لأجلنا، فإنهم لن يصلوا إلينا بسوء. ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ أي: إنا مهلكوهم، ومنجوك، وأهلك ولم يكن له أهل، ولا عشيرة فيهم سوى ابنتيه؛ لأنه لم يكن منهم في نسب، ولا قرابة، كما بينته لك في سورة (الأعراف) وغيرها، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الباقين في العذاب مع قومها. وانظر سبب ذلك، وشرحه في الآية رقم [٥٧] من سورة (النمل).

الإعراب: ﴿وَلَمَّآ﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٣١]. ﴿أَن﴾: حرف صلة كما رأيت في الشرح. ﴿جَآءَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿رُسُلُنَا﴾: فاعله، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لُوطًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿جَآءَتْ...﴾ إلخ: لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿سِيٓءَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى (لوط) وقيل: هو ضمير المصدر، وليس بشيء. ﴿بِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ جواب: (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها

كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَضَاقَ﴾: الواو: حرف عطف. (ضاق): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (لوط). ﴿بِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ذَرْعًا﴾: تمييز جملة، وجملة: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف عطف، (قالوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَا تَخَفْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: (لا تحزن) معطوفة عليها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: (قالوا...) إلخ معطوفة على جواب (لما)، لا محل لها أيضاً.

﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مُنَجُّوكَ﴾: خبر: (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة جمع اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَأَهْلَكَ﴾: الواو: حرف عطف. (أهلك): معطوف على محل الكاف عند الأخفش. وعند سيبويه مفعول به لفعل محذوف، التقدير: وننجي أهلك، وهذه الجملة معطوفة على: ﴿مُنَجُّوكَ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها، وهي من مقول الرسل بلا ريب. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿امْرَأَتَكَ﴾: مستثنى بـ: (إلا)، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وإعراب: ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: مثل سابقتها محلاً، وإعراباً بلا فارق. والله ولي التوفيق.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ...﴾ إلخ: يقرأ بتشديد الزاي، وتخفيفها، وتشديد الجيم، وتخفيفها بقوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ و﴿مُنَجُّوكَ﴾ والمراد بالقرية: قرية سدوم التي كان يقطنها قوم لوط، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. والرجز: العذاب، ومثله الرجس من قولهم: ارتجز، وارتجس: إذا اضطرب، لما يلحق المعذب من القلق، والاضطراب، قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٣٤] في حق الفراعنة الطغاة: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ...﴾ إلخ.

هذا؛ واختلف في ذلك الرجز الذي أنزل على قوم لوط، قيل: حجارة، وقيل: نار، وقيل: خسف، وعلى هذا يكون المراد: أن الأمر بالخسف، والقضاء به من السماء، ومعلوم: أن الخسف كان بجعل عاليها سافلها، ثم أمطر الله على من كان خارج القرية حجارة من سجيل منضود. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: إن إنزال الرجز عليهم كان بسبب فسقهم، وخروجهم عن طاعة ربهم، ومخالفة نبيهم.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿مُنزِلُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . .إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُنزِلُونَ﴾؛ لأنه جمع اسم فاعل، لذا فيه ضمير مستتر هو فاعله، و: ﴿أَهْلِ﴾ مضاف، و﴿هَٰذِهِ﴾: مضاف إليه مبني على الكسر في محل جر، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿رِجْزًا﴾: مفعول به لـ: ﴿مُنزِلُونَ﴾. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رِجْزًا﴾. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر، (ما): مصدرية. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَفْسُقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، التقدير: بفسقهم، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿مُنزِلُونَ﴾. هذا؛ واعتبار (ما) موصولة، أو موصوفة ضعيف معنىً، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ...﴾ إلخ تعليل آخر للنهي المذكور في الآية السابقة.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الآية البينة: آثار منازلهم الخربة، وقيل: هي الحجارة التي أهلكوا بها، أبقاها الله عز وجل حتى أدركتها أوائل هذه الأمة. وقيل: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض، والضمير يعود إلى قرى قوم لوط، والآية: الدلالة، والعبرة. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يفهمون، فيستعملون عقولهم في الاستبصار، والاعتبار.

هذا؛ والعقل: نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس الظاهرة، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه؛ أي: يمنع صاحبه من فعل الرذائل، والقبائح؛ لذا فإن كل شخص لا يسير على الجادة المستقيمة لا يكون عاقلاً بالمعنى الصحيح، فقد ورد: أن رجلاً معتوهاً مر على مجلس النبي ﷺ، فقال الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ: (هذا رجل مجنون) فقال سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق: «**هَذَا مصابٌ، إِنَّمَا المجنونُ مَنْ أَصَرَّ على مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى**». هذا؛ والعقل أيضاً: الدية، سميت بذلك؛ لأن الإبل المؤداة دية تعقل بباب ولي القتيل. والعقال بكسر العين: الحبل الذي تشد به ركبة الجمل عند بروكه؛ ليمنعه من القيام، والمشي، والعقال أيضاً: صدقة عام، قال شاعر يهجو عاملاً على الصدقات، في عهد بني أمية: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَداً ... فَكَيْفَ لَوْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ؟!
لَأَصْبَحَ النَّاسُ أَوْبَاداً وَلَمْ يَجِدُوا ... عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ

الإعراب: ﴿وَلَقَد﴾: انظر الآية رقم [١٤] ففيها الكفاية. ﴿تَّرَكْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنْهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به. ﴿بَيِّنَةً﴾: صفة: ﴿ءَايَةً﴾. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو بـ: ﴿ءَايَةً﴾، أو بـ: ﴿بَيِّنَةً﴾، وهو أظهر، قاله الجمل. ﴿يَعْقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جر صفة: (قوم)، وجملة: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا...﴾ إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين. هذا؛ ومدين اسم رجل، وهو مدين بن إبراهيم الخليل، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. فعلى هذا يكون المعنى: وأرسلنا إلى ولد مدين. ومدين: اسم للقبيلة، كما يقال: بنو تميم، وبنو أمية، ونحو ذلك، وقيل: مدين: اسم للماء الذي كانوا عليه. وقيل: هو اسم للمدينة، وعلى هذين القولين يكون المعنى: وأرسلنا إلى أهل مدين. والصحيح هو الأول؛ لقوله تعالى: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ يعني في النسب لا في الدين، وشعيب هو ابن ميكيل، بن يشجر، بن مدين، بن إبراهيم، وأم ميكيل هي بنت لوط، وكان يقال لشعيب عليه السلام: خطيب الأنبياء؛ لحسن مراجعته قومه، وكانوا أهل كفر، وبخس في المكيال، والميزان. هذا؛ وكان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون في بلاد الحجاز، مما يلي جهة الشام قريباً من خليج العقبة من الجهات الشمالية منه، ويقول الطبري: إن بين مصر وأرض مدين ثمان ليال، ويظهر: أنها في الأرض المسماة الآن معان، وهي جنوب فلسطين. وهذا يخالف ما ذكرته سابقاً.

هذا؛ وأذكر أن شعيباً أضيف إلى قومه حيث قال تعالى: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ بخلافه في قصة نوح، وإبراهيم، ولوط حيث ذُكِر قومٌ مؤخراً عنهم، معرفاً بالإضافة إلى ضمير كل واحد منهم؛ لأن الأصل في جميع المواضع أن يذكر القوم، ثم يذكر رسولهم؛ لأن الله لا يبعث رسولاً إلى غير معين، غير أن قوم نوح، وإبراهيم، ولوط، لم يكن لهم اسم خاص، ولا نسبة مخصوصة، يعرفون بها، فعرفوا بالإضافة إلى نبيهم، فقيل: قوم نوح، وقوم لوط، وقوم إبراهيم، وأما قوم شعيب، وهود، وصالح، فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس، فجرى الكلام على أصله. انتهى. جمل بتصرف. وينبغي أن تعلم: أن الله أرسل شعيباً إلى أهل مدين أولاً، كما ذكر في سورة (الأعراف) وسورة (هود) فدعاهم إلى التوحيد، وإلى إيفاء الكيل، والميزان،

فعصوا، وعاندوا، فأهلكهم الله بالرجفة، ثم بعثه إلى أهل الأيكة، كما رأيت في سورة (الشعراء) فعَصَوْا، وعتوْا أيضاً، فأهلكهم الله بالظلة.

﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحده. لم يذكر الله عن لوط: أنه أمر قومه بالعبادة، والتوحيد، وذكر عن غيره ذلك؛ لأن لوطاً كان في زمن إبراهيم على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، وإبراهيم سبق لوطاً بذلك؛ حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند الخلق، وإنما ذكر عنه ما اختص به من النهي عن الفاحشة، وأما غيره؛ فجاؤوا في زمن غير مشتهر بالتوحيد، فأمروا به. انتهى. جمل نقلاً عن الرازي.

﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ أي: افعلوا ما ترجون به ثوابه، فأقيم المسبب مقام السبب. أو المعنى: اخشوا اليوم، وخافوه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١] من سورة (الفرقان) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. وانظر شرح (يوم) في الآية رقم [١٣٥] من سورة (الشعراء) ووصفه بالآخر؛ لأنه آخر يوم من أيام الدنيا، وهو اليوم الذي يقوم فيه الناس من قبورهم للحساب، والجزاء، وهو لا ريب فيه، وانظر شرح: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ في الآية رقم [١٨٣] من سورة (الشعراء).

الإعراب: ﴿وَإِلَىٰ﴾: الواو: حرف عطف، (إلى مدين): جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: وأرسلنا إلى مدين، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول به للفعل المحذوف منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿شُعَيْبًا﴾: بدل من ﴿أَخَاهُمْ﴾ بدل كل من كل، أو عطف بيان عليه. والواو عطفت قصة شعيب على قصة نوح، وإبراهيم. ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (شعيب) تقديره: هو. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى، انظر تفصيل إعرابه في الآية رقم [٤٦] من سورة (النمل). ﴿ٱعْبُدُواْ﴾: فعل أمر، مبني على حذف النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية والندائية قبلها كلتاهما في محل نصب مقول القول. (ارجو): فعل أمر. . .إلخ، ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْأَخِرَ﴾: صفة له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَعْثَوْاْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال من واو الجماعة، وهي مؤكدة للفعل؛ لأنها من معناه، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول أيضاً، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة المقدرة بعد الواو لا محل لها مثلها.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: كذب قوم شعيب شعيباً فيما قاله، فلم يؤمنوا به، ولم يصدقوه فيما يقوله. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: وفي سورة (الحجر): ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، وفي سورة (هود): ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾. فقد قال الفراء، والزجاج: الرجفة: الزلزلة الشديدة العظيمة. وقال مجاهد، والسدي: هي الصيحة، فيحتمل: أنهم أخذتهم الزلزلة من تحتهم، والصيحة من فوقهم حتى هلكوا، فيكون قد اجتمع على إهلاكهم سببان. وقيل: إن جبريل الأمين ـ عليه السلام ـ صاح فيهم، فتزلزلت الأرض من صيحته، فرجفت قلوبهم. والإضافة إلى السبب لا تنافي الإضافة إلى سبب السبب. انتهى. جمل نقلاً من زاده. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: أصبحوا في أرضهم، وبلدهم ميتين على وجوههم خامدين. هذا؛ والجثوم للناس، والطير بمنزلة البروك للبعير. وانظر شرح ﴿ٱلدَّارِ﴾ في الآية رقم [٣٧] من سورة (القصص).

الإعراب: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (كذبوه): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (قال. . .) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف أيضاً. (أخذتهم): فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾: فاعله. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾: الفاء: حرف عطف، وقد أفادت في المواضع الثلاثة الترتيب، والتعقيب. (أصبحوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِى دَارِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿جَٰثِمِينَ﴾: خبر (أصبح) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. هذا؛ وأجيز اعتبار أصبحوا تاماً، فتكون الواو فاعله، و﴿جَٰثِمِينَ﴾ حالاً، والأول أقوى، وجملة: ﴿فَأَصْبَحُوا۟...﴾ إلخ: معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَعَادًا﴾: عاد: اسم للحي؛ ولذلك صرف، ومنهم من جعله اسماً للقبيلة، ولذلك منعه، و(عاد) في الأصل اسم الأب الكبير، وهو: عاد بن عوص، بن إرم، بن سام، بن نوح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. فسميت به القبيلة، أو الحي، وقبيلة عاد كانت تسكن الأحقاف من أرض اليمن. أما ثمود؛ فهي قبيلة أخرى من العرب كعاد، سموا باسم أبيهم

الأكبر: ثمود، بن غابر، بن سام، بن نوح، وهو أخو جديس بن غابر. وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز، والشام إلى وادي القرى وما حوله. قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقلة مائها، والثمد: الماء القليل. والأول هو المعتمد، ونبي قوم عاد هو هود، ونبي قوم ثمود هو صالح. على نبينا، وحبيبنا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. وقد مضى القول على هذين الرسولين وقومهما مفصلاً في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) وغيرهما.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡ﴾ أي: تبين لكم بعض مساكنهم، أو تبين لكم إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها، وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم إلى الشام، واليمن لأجل التجارة، فيبصرون ديار أولئك الأقوام الهالكين. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: انظر الآية رقم [٤] و [٢٤] من سورة (النمل) ففيها الكفاية. ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ أي: فكانوا متمكنين من النظر، والاستبصار، ولكنهم لم يفعلوا، وكانوا معجبين بدينهم، وضلالتهم، يحسبون أنهم على هدى؛ وهم على باطل، وضلالة. أو المعنى: كانوا متبينين: أن العذاب لاحق بهم بإخبار الرسل لهم، ولكنهم لجوا في العصيان حتى هلكوا، فلم تغن عنهم عقولهم شيئاً؛ لأنهم لم ينتفعوا بها؛ حيث لم تهدهم إلى مرضاة الله تعالى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَعَادًا﴾: الواو: حرف عطف، (عاداً): قال الكسائي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال بعضهم: هو راجع إلى أول السورة؛ أي: ولقد فتنا الذين من قبلهم، وفتنا عاداً، وثمود. قال: وأحب إليَّ أن يكون معطوفاً على: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾؛ أي: وأخذت عاداً، وثمود. وزعم الزجاج: أن التقدير: وأهلكنا عاداً، وثمود. وقيل: المعنى: واذكر عاداً إذ أرسلنا إليهم هوداً، فكذبوه، فأهلكناهم. انتهى. قرطبي. أقول: وقول الزجاج أولى بالاعتبار، وهو أولى لعطف جملة على جملة قريبة في المعنى. ﴿وَثَمُودَاْ﴾: معطوف على: (عاداً). ﴿وَقَد﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿تَّبَيَّنَ﴾: فعل ماض، والفاعل محذوف، تقديره: ذلك؛ يعني ما وصفه الله من إهلاكهم. وقيل: التقدير: تبين لكم بعض مساكنهم، أو تبين لكم إهلاكهم من جهة مساكنهم، والأول أولى بالاعتبار. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مِّن﴾ لابتداء الغاية؛ أي: من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها. والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من: (عاداً وثمود). ﴿وَزَيَّنَ﴾: الواو: حرف عطف. (زين): فعل ماض. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: فاعله. ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، والرابط في الأولى:

الواو، والضمير. ﴿فَصَدَّهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (صدهم): فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، وأيضاً جملة ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، و«قد» مقدرة قبل كل جملة من هذه الجمل المتعاطفة؛ لأنها كلها في محل نصب حال.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: (قارون): هو من بني إسرائيل، وقد رأيت قصته في آخر سورة (القصص) وقدم بالذكر على فرعون، وهامان لشرف نسبه بقرابته من موسى لكونه ابن عمه. (فرعون): ما أكثر ذكره في القرآن لشدة عتوه، وكثرة طغيانه. و(هامان): هو وزيره والمساعد له على عتوه، وطغيانه، وخروجه عن طاعة ربه. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الواضحات، والحجج الدامغات. ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تعالوا على الناس، وخرجوا عن طاعة الله بأرض مصر؛ حيث كان فرعون، وهامان. وأما قارون؛ فقد كان، وأهلكه الله بأرض فلسطين. ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ أي: فائتين من عذابنا، بل أدركهم العذاب، فلم يفوتوه. وانظر الآية رقم [٤] فبحثها جيد. وقيل: المعنى: وما كانوا سابقين في الكفر، والطغيان، والعصيان، بل قد سبقهم في ذلك قرون كثيرة، وأمم عديدة، مثل قوم نوح، وقوم هود، وصالح، وقوم لوط... إلخ، فأخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واقٍ.

الإعراب: ﴿وَقَٰرُونَ﴾: معطوف على: (عاداً وثمود) وما بعده معطوف عليه. ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٤] فالإعراب فيها كافٍ وافٍ، ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿مُّوسَىٰ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: جار ومجرور، متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مُّوسَىٰ﴾ أي: مصحوباً بالبينات، أو ملتبساً بها، وجملة: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه، كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: الفاء: حرف عطف. (استكبروا): فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على جواب القسم، لا محل لها أيضاً. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿سَٰبِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهو أولى من اعتبارها معطوفة على ما قبلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ﴾ أي: فكل واحد من المذكورين عاقبناه بسبب ذنبه. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ أي: ريحاً عاصفاً، فيها حصباء، أو ملكاً رماهم بها، كالذي حصل لقوم لوط، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: كقوم شعيب، وقوم صالح، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾. وانظر تفسير الرجفة في الآية رقم [٣٧]. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: والمراد به: قارون، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ أي: بالماء، كالذي حصل لقوم نوح، وقوم فرعون.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: ليعاملهم معاملة الظالم، فيعاقبهم بغير جرم؛ إذ ليس ذلك من عادته، بل أنذرهم رسولهم عقاب الله، وأمهلهم الله؛ حيث بعث إليهم الرسل، وأزاح العذر. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: حيث ارتكبوا الجرائم التي سببت لهم الهلاك والدمار. هذا؛ وانظر شرح (نا) في الآية رقم [٧] من سورة (الشعراء)، وشرح الذنب في الآية رقم [٥٨] من سورة (الفرقان).

تنبيه: مما لا ريب فيه أن أمة محمد ﷺ، قد فعل أفرادها جميع الفواحش، والقبائح التي فعلتها الأمم الماضية، والقرون الخالية من تطفيف، وبخس للكيل والميزان، والزنى وعمل قوم لوط، وسفك الدماء، والظلم، والعدوان، والفساد في الأرض، وتجاوز حدود الله: من سلب للأموال، وانتهاك للحرمات، واعتداء على الكرامات، ومع ذلك لم يقع عذاب على هذه الأمة، وهي باقية بقاء الدهر، ولعل السبب في ذلك: أن الأمة لا تخلو في كل زمان، ومكان من صالحين، وصالحات، فيدفع الله بهم البلاء عن المسيئين، والمسيئات، أو أن الله لم يعاجل هذه الأمة بالأخذ الشديد، والعقاب الأليم، بل يؤخر ذلك إلى يوم القيامة، أو أن السبب كون النبي ﷺ رحمة للعالمين، فلذا لم يعاقب أحداً عقاب استئصال؛ حتى الكافرين لم يعاقبهم ذلك العقاب، وهو فحوى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ولكن لا بد من القول: إن الله سينزل على هذه الأمة في آخر الزمان أنواع العذاب؛ التي أنزلها على الأمم الماضية، والقرون الخالية، وخذ ما يلي:

فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يَبِيتُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى طُعْمٍ، وَشُرْبٍ، ولهْوٍ، ولَعِبٍ، فَيُصْبحُوا قَدْ مُسِخُوا قِرَدَةً، وَخنازِيرَ، وَلَيُصِيبَنَّهُمْ خَسْفٌ، وَقَذْفٌ، حَتَّى**

يُصْبِحَ النَّاسُ، فيقولُونَ: خُسِفَ اللَّيْلَةَ بِبَنِي فُلَانٍ، وَخُسِفَ اللَّيْلَةَ بدَارِ فلانٍ خَوَاصَّ، وَلَتُرْسَلَنَّ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، كَمَا أُرْسِلَتْ عَلَى قوْمِ لوطٍ على قَبَائِلَ فيهَا، وعلى دورٍ، وَلَتُرْسَلَنَّ عليهم الريحُ العقيمُ؛ التي أَهْلكتْ عَاداً على قبائِلَ فيهَا، وعلى دورٍ بشربِهِمُ الْخَمْرَ ولُبْسِهِمُ الحريرَ، واتخاذِهِمُ الْقَيْنَاتِ، وأكلِهِمُ الرِّبَا، وَقَطِيعتهِمُ الرَّحِمَ». رواه الإمام أحمد، والبيهقي.

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا فعلَتْ أُمَّتي خمْسَ عَشْرَةَ خصلةً؛ حَلَّ بها البلاءُ».** قِيلَ: مَا هُنَّ يا رسُولَ اللهِ؟! قَالَ: **«إذَا كانَ الْمَغْنَمُ دُوَلاً، والأمانةُ مَغْنماً، والزكاةُ مَغْرَماً، وَأَطَاعَ الرجلُ زَوْجَتَهُ، وعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ، وارتفعَتِ الأَصْوَاتُ في المسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ القومِ أرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مخافَةَ شَرِّهِ، وشُرِبَتِ الخمورُ، وَلُبِسَ الحريرُ، واتُّخِذَتِ الْقَيْنَاتُ، والمعازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحاً حمْرَاءَ، أوْ خَسْفاً، أَوْ مسْخاً».** رواه الترمذي.

الإعراب: ﴿فَكُلًّا﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: هي الفصيحة. (كُلًّا): مفعول به مقدم. ﴿أَخَذْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِذَنۢبِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة؛ من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمِنْهُم﴾: الفاء: حرف استئناف، وتفريع. (منهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. هذا هو الإعراب المتعارف عليه، والظاهر في مثل هذه الجملة، وأرى: أن مضمون الجار والمجرور مبتدأ، و﴿مَّنْ﴾ خبره. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠]. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَاصِبًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: صلة: ﴿مَّنْ﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (على)، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وما بعدها معطوف عليها، كما هو الظاهر. ﴿أَخَذَتْهُ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، وهو العائد، أو الرابط لـ: ﴿مَّنْ﴾. ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّنْ﴾، أو صفتها. ﴿خَسَفْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: صلة: ﴿مَّنْ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿أَغْرَقْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّنْ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: منهم الذي، أو شخص أغرقناه.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿لِيَظْلِمَهُمْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، تقديره: «هو» والهاء: ضمير متصل في محل نصب مفعول به. و«أن»

المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾ التقدير: وما كان الله مريداً ظلمهم. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ: (مِنْ) فلست مفنداً. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل، لا عمل له. ﴿كَانُوٓاْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَظْلِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾. والجملة الفعلية: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنام التي اتخذوها معتمداً، ومتكلاً، يرجون نصرها، ونفعها. فالغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً، ومعتمداً في دينهم، وتولَّوْه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن والضعف، وهو نسج العنكبوت. ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾: لنفسها تأوي إليه، وإن بيتها في غاية الضعف، والوهن، لا يدفع عنها حراً، ولا برداً، فكذلك الأوثان، لا تملك لعابدها نفعاً، ولا ضراً.

وقيل: معنى هذا المثل: أن المشرك الذي يعبد الأصنام بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله، مثل العنكبوت تتخذ بيتاً من نسجها بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً بآجرٍّ وجِصٍّ، أو نحته من صخر فكما: أن أوهن البيوت إذا استقريْتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت، فكذلك أضعف الأديان إذا استقريْتها ديناً ديناً عبادة الأوثان؛ لأنها لا تضر ولا تنفع.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾: أي أضعفها. ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: إشارة إلى ضعفه، فإن الريح إذا هبت عليه، أو لمسه لامس، فلا يبقى له عين، ولا أثر، فقد صح، وثبت: أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، وقد تبين وثبت أن دين الكفرة أوهن الأديان، وأحقرها.

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يرجعون إلى علم؛ لعلموا: أن هذا مثل دينهم، فعند ذلك يقلعون عن دينهم الوضيع المهين، ويعتنقون الدين القويم، الذي جاء به سيد المرسلين محمد ﷺ. هذا؛ وقد قال النحاة: إن تاء العنكبوت في آخرها مزيدة؛ لأنها تسقط في التصغير، والجمع، وهي مؤنثة. وحكى الفراء تذكيرها، وأنشد قول الشاعر: [الوافر]

عَلَى هَطَّالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ ... كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ قَدِ ابْتَنَاهَا

ويروى: عَلَى أَهْطَالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ.

قال الجوهري: والهطال: اسم جبل، والعنكبوت: الدويبة المعروفة التي تنسج نسجاً رقيقاً مهلهلاً بين الهواء، ويجمع على: عَنَاكِيبِ، وعَنَاكِب، وعِكَابِ، وَعُكُب، وَأَعْكُب. وقد حكى: أنه يقال: عَنْكَب، وَعَكَنْبَاة. قال الشاعر: [الرجز]

كَأَنَّمَا يَسْقُطُ مِنْ لُغَامِهَا ... بَيْتُ عَكَنْبَاةٍ عَلَى زِمَامِهَا

ويقال أيضاً: «عنكباة» بتقديم النون على الكاف، وتصغَّر، فيقال: عُنَيْكِب. وقد حكي عن يزيد بن ميسرة: أن العنكبوت شيطان مسخها الله تعالى (ولا أصل له). وقال عطاء الخراساني: نسجت العنكبوت مرتين: مرةً على داود عليه السلام، حين كان جالوت يطلبه ـ الأصح: (طالوت) ـ، ومرةً على النبي ﷺ (ليلة الهجرةِ، ويَوْمَها حين كان في غار ثور)؛ ولذلك نهى النبي عن قتلها. ويروى عن علي ـ رضي الله عنه، وكرم الله وجهه ـ: أنه قال: طَهِّرُوا بُيُوتَكُمْ مِنْ نَسْجِ العنكبوتِ، فإنَّ تَرْكَهُ في البيوتِ يُورِثُ الْفَقْرَ. انتهى. قرطبي. ما عدا ما بين القوسين، فإنه تصرف مني. وأضيف: أن العنكبوت يقع على الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، والغالب في استعماله التأنيث.

تنبيه: روي عن الحسن البصري، وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ: أنهما قالا: لما ذكر الله الذباب، والعنكبوت في كتابه؛ أي: في هذه الآية وقوله تعالى في سورة (الحج): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾. وضرب للمشركين بذلك المثل ضحكت اليهود، وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله! تعالى قوله في سورة (البقرة): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٦]. وانظر الآية رقم [١٣] من سورة (فاطر)، وانظر (الحج) رقم [٧٣] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة؛ إذا تقدم عليها صار حالاً». و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُواْ...﴾ إلخ: صلة الموصول، لا محل لها. ﴿كَمَثَلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. و(مثل) مضاف، و﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱتَّخَذَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾، تقديره: «هي». ﴿بَيْتًاۖ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ على اعتبار (أل) للتعريف، وقد حازت شرط مجيء الحال من المضاف إليه، أو الجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ على اعتبار (أل) فيه

للجنس، على حد قوله تعالى في حق علماء اليهود اللؤماء: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾. وقال السلولي: [الكامل]

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَعْنِينِي

﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَوْهَنَ﴾: اسم (إنَّ) وهو مضاف، و﴿ٱلْبُيُوتِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَبَيْتُ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى: (المزحلقة). (بيت): خبر (إنَّ)، و(بيت) مضاف، و﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾، والرابط: إعادة ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ بلفظه. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، التقدير: لو كانوا يعلمون ذلك؛ لما عبدوها، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام فيه معنى التقوية للجملة الاسمية قبله. والجملة الاسمية: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ أي: الله يعلم ما يعبدون من غيره من إنس، أو جن، أو جماد، أو نبات، أو شمس، أو قمر. . .إلخ، وقال الخازن: هذا توكيد للمثل، وزيادة عليه، يعني: إن الذين يدعون من دونه ليس بشيء. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي القاهر؛ الذي لا يغلب. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في صنعه، فهو الذي خلق كل شيء على مقتضى الحكمة. هذا؛ وإن من فرط الغباوة إشراك ما لا يعد شيئاً بمن هذا شأنه وهو القدرة على كل شيء، وإن الجماد الذي يعبده المشركون بالإضافة إلى القاهر على كل شيء، البالغ في العلم وإتقان العمل الغاية القصوى، كالمعدوم، وإن من هذا صفته قادر على مجازاتهم إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شرّاً فشرٌّ، وانظر شرح (دعا) في الآية رقم [٢١٣] من سورة (الشعراء)، وشرح ﴿شَىْءٍ﴾ في الآية رقم [١٨٣] منها.

هذا؛ و﴿ٱللَّهَ﴾: علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد: وهو اسم الله الأعظم؛ الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى. وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به لتخلف شروط الإجابة؛ التي أعظمها أكل الحلال. ولم يسم به أحد سواه. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: هل أحد تسمى الله غير الله؟ وقد ذكر في القرآن الكريم في ألفين وثلاثمئة وستين موضعاً.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾. ﴿يَعۡلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: يعلم الذي يدعونه. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿شَيۡءٍ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِن شَيۡءٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول، و﴿مِن﴾ تبيين لِ: ﴿مَا﴾ وهذا الإعراب هو الظاهر، والمتبادر إلى الأفهام. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿مَا﴾ استفهامية على جهة التوبيخ، وهي معلقة للفعل عن العمل، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم للفعل بعدها، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿يَعۡلَمُ﴾. وقول الجمل: (فتكون هي وما عمل فيها معترضاً بين قوله: ﴿يَعۡلَمُ﴾ وبين قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ كأنه قيل: أي شيء يدعون من دونه؟ ولا أراه قوياً، كما أجيز اعتبار: ﴿مَا﴾ نافية، فتكون معلقة للفعل: ﴿يَعۡلَمُ﴾ عن العمل أيضاً، وتكون: ﴿مِن﴾ صلة، و﴿شَيۡءٍ﴾ مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿يَعۡلَمُ﴾. كما أجيز اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية، فتؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم دعوتهم شيئاً من دونه. فينتج أربعة أوجه في: ﴿مَا﴾ ويكون فحوى الكلام على الوجه الأول، والرابع تجهيلاً لهم، وتوكيداً للمثل. وعلى الوجه الثاني، والثالث وعيداً لهم. وجملة: ﴿يَعۡلَمُ...﴾ إلخ، في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقولٍ محذوف؛ إذ التقدير: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ...﴾ إلخ وهذا الكلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من فاعل يعلم المستتر؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾

الشرح: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾: يعني هذا المثل الذي ضربه الله للأوثان بالعنكبوت، ونظائره مما ذكر في سورة (البقرة) وسورة (الحج) وغيرهما. ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾: نبينها لكفار مكة، وغيرهم. ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ أي: ما يفهم الأمثال التي يضربها الله للناس إلا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل. فقد روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ تلا هذه الآية، ثم قال: «**الْعَالِمِ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ، فَعَمِلَ بِطاعَتِهِ، وَاجْتَنَبَ سُخْطَهُ**».

فعن النبي ﷺ: أنه قال: «**الناس كلهم هالكون إلا العالِمُون، والعالِمُون كلُّهم هالكون إلا العاملون، والعامِلون كلُّهم هالكون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم**». وفي رواية «**الناس هَلْكَى إلا العالِمُون، والعالمون هَلْكَى إلَّا العامِلون، والعامِلُون هَلْكَى إلَّا المخلِصون**». وينبغي أن تعلم أن «إلا» في هذا الحديث بمعنى «غير» إذ المعنى: الناس غير العالمين هلكى، والعالمون غير العاملين هلكى، والعاملون غير المخلصين هلكى، ولو أراد الاستثناء لنصب ما بعد «إلَّا»؛ لأنه في كلام تام موجب.

الإعراب: ﴿وَتِلْكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلْأَمْثَـٰلُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿نَضْرِبُهَا﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿ٱلْأَمْثَـٰلُ﴾ خبر المبتدأ؛ فالجملة الفعلية تكون في محل نصب حال من ﴿ٱلْأَمْثَـٰلُ﴾، والعامل في الحال اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل، والجملة الاسمية: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال، (ما): نافية. ﴿يَعْقِلُهَآ﴾: فعل مضارع، و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، أو: هي مستأنفة، لا محل لها.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل، والقسط، محقاً غير قاصد به باطلاً، فإن المقصود من خلقهما إفاضة الخير على العباد، والدلالة على ذاته، وصفاته. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ أي: لعلامة، ودلالة على قدرته التامة، وحكمته البالغة. ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: خصهم بالذكر؛ لأنهم هم الذين يتفكرون، فينتفعون.

الإعراب: ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من لفظ الجلالة، والجملة الفعلية: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام

للبعد، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿لَآيَةً﴾: اللام: لام الابتداء. (آية): اسم: ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (آية)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: تقرباً إلى الله تعالى بقراءته، وتذكراً لما في تضاعيفه من المعاني، وتذكيراً للناس، وحملاً لهم على العمل بما فيه من الأحكام، ومحاسن الآداب، ومكارم الأخلاق.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ويعم أمته إلى يوم القيامة بدليل التعليل بالجملة الاسمية التالية، وإقامة الصلاة: أداؤها في وقتها بقراءتها، وركوعها، وسجودها، وقعودها وتشهدها، وجميع شروطها على الوجه الأكمل، ومن لم يؤدها على الوجه الأكمل؛ يقال عنه: إنه صلى، ولا يقال: أقام الصلاة. وانظر ما ذكرته لك في الآية رقم [٣] من سورة (النمل).

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ أي: ما قبح من الأعمال، وفحش من الأقوال. ﴿وَالْمُنكَرِ﴾: وهو ما استقبحه الشرع، والعقل، وتأباه الفطرة السليمة، والخليقة المستقيمة، فقد قال عبد الله بن مسعود، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: في الصلاة منتهى، ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر؛ لم تزده صلاته من الله إلا بعداً. وقال الحسن، وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر؛ فصلاته وبالٌ عليه. وقيل: من داوم على الصلاة جره ذلك إلى ترك المعاصي، والسيئات. كما روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله ﷺ، ثم لم يدع من الفواحش شيئاً إلا ركبه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**إِنَّ صَلَاتَهُ سَتَنْهَاهُ يَوْماً**». فلم يلبث أن تاب، وحسنت حاله، فقال النبي ﷺ «**ألم أقل لكم: إِنَّ صَلَاتَهُ سَتَنْهَاهُ يَوْماً**».

وفي الآية قول آخر، ارتضاه المحققون، وقال به المشيخة الصوفية، وذكره المفسرون؛ حيث قيل: المراد بـ: (أقم الصلاة) إدامتها، والقيام بحدودها، ثم أخبر حكماً منه بأن الصلاة تنهى صاحبها، وممتثلها عن الفحشاء والمنكر، وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة. والصلاة تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه، وخشع، وأخبت لربه، وادَّكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه، ويراه؛ صلحت لذلك نفسه، وتذللت، وخامرها ارتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى، يرجع بها إلى أفضل حالة. فهذا معنى هذه الأخبار؛ لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون. انتهى. قرطبي.

ثم قال: لا سيما وإن أشعر نفسه: أن هذا ربما يكون آخر عمله، وهذا أبلغ في المقصود، وأتم في المراد، فإن الموت ليس له سن محدود، ولا زمن مخصوص، ولا مرض معلوم، وهذا مما لا خلاف فيه. وروي عن بعض السلف: أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد، واصفر لونه، فَكُلِّم في ذلك، فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى،وَحُقَّ لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع ملك الملوك. فهذه صلاة تنهى صاحبها، ولا بد عن الفحشاء، والمنكر. ومن كانت صلاته دائرة حول الإجزاء، لا خشوع فيها، ولا تذكر، ولا فضائل، كصلاتنا ـ وليتها تجزي ـ فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان، فإن كان على طريقة معاص، تبعده من الله تعالى؛ تركته الصلاة يتمادى على بعده. انتهى. والمعنى: إن الصلاة لم تؤثر في تقريبه من الله، بل تتركه على حاله، ومعاصيه من الفحشاء، والمنكر، والبعد، فلم تزده الصلاة إلا تقرير البعد الذي كان سبيله.

وعلى الجملة فالمعنى المقصود بالحديث: «**لم تزده من الله إلا بعداً، ولم يزدد بها من الله إلا مقتاً**». إشارة إلى أن مرتكب الفحشاء، والمنكر لا قدر لصلاته؛ لغلبة المعاصي على صاحبها. انتهى. قرطبي.

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: ذكر الله لكم بالثواب، والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم، وصلواتكم. وقال معناه ابن مسعود، وابن عباس، وأبو الدرداء، وأبو قُرَّة، وسلمان، والحسن ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ؛ وهو اختيار الطبري. وقيل: ذكركم الله في صلاتكم، وفي قراءة القرآن أفضل من كل شيء. وقيل: المعنى: لذكر الله باللسان بسائر أنواعه من تحميد، وتهليل، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك أفضل من أي عمل كان. واستدل عليه بما رواه أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ، وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**». قَالوا: بلى، قال: «**ذِكْرُ اللهِ**». أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وغيرهم.

والحديث القدسي الذي خرجه الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإِنْ ذَكَرَنِي في ملأ؛ ذَكَرْتُهُ فِي ملأ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وإِنْ تَقَرَّب إِليَّ ذِرَاعاً؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**». وخذ قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ...﴾ إلخ.

وقيل: و﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ يريدُ: وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وإنما قال: ولذكر الله؛ ليستقل بالتعليل، كأنه قال: وللصلاة أكبر؛ لأنها ذكر الله، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: ولذكر الله إياكم برحمته أكبر

من ذكركم إياه بطاعته. وهو قريب مما تقدم. هذا؛ وإننا لنرى من يكثر الصلاة، والركوع، والسجود، وهو معرض عن الحق، مؤيد للباطل، فهذا يمكن القول: إنه اتخذ الصلاة عادة من غير أن يفقه لها معنىً، ولا مغزى. وقد قيل: إن الصلاة عادة، والصوم جلادة.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾: هو أبلغ من (والله يعلم ما تعملون)؛ حيث إن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وتروٍّ، وتحري إجادة، ولذا ذم الله به خواص اليهود؛ حيث قال تعالى في حقهم: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ بينما ذم عوامهم بقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وأعني بخواصهم: الأحبار، والرهبان الذين يحرفون التوراة، ويفترون على الله المفتريات، وأعني بعوامهم: الذين كانوا لا يعلمون الكتاب إلا أماني، أي: أكاذيب. والمراد ما تصنعون من الذكر، وسائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة.

الإعراب: ﴿ٱتْلُ﴾: فعل أمر، مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مَآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أُوحِىَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود إلى ﴿مَآ﴾، تقديره: «هو» وهو العائد. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا أراه قوياً، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿ٱتْلُ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين، وجملة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾. ﴿تَنْهَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾. والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: معطوف على ما قبله بالواو العاطفة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿وَلَذِكْرُ﴾: الواو: واو الحال. اللام: لام الابتداء، (ذكر): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف؛ إذ التقدير: ولذكركم الله. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، والرابط: الواو فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة فلا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف أو عطف. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع. وفاعله مستتر فيه يعود إلى (الله)، واكتفى بمفعول واحد؛ لأنه من المعرفة، لا من العلم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يعلم الذي، أو: شيئاً تصنعونه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل

بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم صنعكم. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأعظم.

الجزء ٢١

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾

الشرح ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: لا تخاصموهم، والجدل شدة الخصومة، وهي مذمومة إلا عند الضرورة كما سيأتي، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**» ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ﴾. رواه الترمذي، وابن ماجه.

وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا**». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: بالخصلة التي هي أحسن للثواب، وهي: مقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾: فأفرطوا في الاعتداء والعناد، ولم يقبلوا النصح والإرشاد، ولم ينفع فيهم الرفق والسهولة، فاستعملوا معهم الغلظة. وقيل: إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ بالقول، أو بالفعل. أو إلا الذين أثبتوا الولد والشريك لله، وقالوا: يد الله مغلولة، أو المعنى: ولا تجادلوا الداخلين في الذمة، المؤدين للجزية. ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، فنبذوا الذمة، ومنعوا الجزية، فمجادلتهم بالسيف، والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين، وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي تتحقق به المجادلة.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾: روى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وقولوا: آمنا بالذي... إلخ**». وروى عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**لا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، إِمَّا أن تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وإما أن تصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ**». وعن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بالله ومَلَائِكَتِهِ وَبِكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، فَإِنْ قَالُوا بَاطِلاً لَمْ تُصَدِّقوهُمْ، وإِنْ قالُوا حَقّاً لَمْ تكذِّبُوهُمْ**».

وفي البخاري عن حُمَيد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار، فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب. ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: مطيعون له خاصة. وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم، ورهبانهم أرباباً من دون الله.

هذا وفحوى الآية قريب من قوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ إلخ رقم [١٣٦]. وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا...﴾ إلخ رقم [٦٤] والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُجَٰدِلُوٓاْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَهْلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱلَّتِى﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال؛ إذ المعنى: ولا تجادلوا أهل الكتاب في حال من الأحوال إلا في حال مجادلتكم إياهم بالتي. . .إلخ. ﴿هِىَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَحْسَنُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب على الاستثناء من ﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أو في محل نصب بدل منه. ﴿ظَلَمُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، وجملة: ﴿ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: (لا تجادلوا. . .) إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَقُولُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (قولوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِٱلَّذِىٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والموصول مبني على السكون في محل جر. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود إلى الذي، وهو العائد. ﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. هذا؛ وقال الكوفيون، والأخفش وتبعهم ابن مالك: إنَّ اسماً موصولاً محذوفاً هنا معطوفاً على ما قبله، التقدير: والذي أنزل إليكم. ومثل الآية قول حسان بن ثابت رضي الله عنه: [الوافر]

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... ويَمْدَحُهُ ويَنْصُرُهُ سَوَاءُ؟

التقدير: ومن يمدحه، وهذا هو الشاهد رقم [١٠٥٨] من كتابنا فتح القريب المجيب، ولولا هذا التقدير لفسد المعنى فساداً شنيعاً؛ إذ يصير المادح هو الهاجي، وهو لا يصح، ومثله قول الآخر، وهو الشاهد التالي له من كتابنا المذكور: [الخفيف]

مَــا الَّــذِي دَأْبُــهُ احْــتِــيَــاطٌ وحَــزْمٌ وَهَـــوَاهُ أَطَـــاعَ يَـــسْـــتَـــوِيَـــانِ

وجملة: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقُولُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة (لا تجادلوا. . .) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَإِلَٰهُنَا﴾: الواو: واو الحال. (إلهنا): مبتدأ، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (إلهكم): معطوف على ما قبله، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَٰحِدٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (إلٰهنا. . .) إلخ في محل نصب حال من (نا)، أو من الكاف، والرابط على الاعتبارين الواو والضمير. ﴿وَنَحْنُ﴾: الواو: حرف عطف. (نحن): ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُسْلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: كما أنزلنا الكتاب على اليهود والنصارى؛ أنزلنا إليك القرآن يا محمد مصدقاً لسائر الكتب السماوية، ومحتوياً على جميع ما فيها من تعاليم وتشريعات إلهية. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: المراد بهم: عبد الله بن سلام ومن تبعه من اليهود. وأيضاً من أسلم من نصارى نجران، والقسيسون، والرهبان من أهل الحبشة. قال الجمل: فيه أن إسلامهم إنما كان بالمدينة، والسورة مكية، ويجاب بأن هذا من قبيل الإخبار بالغيب فأخبر الله نبيه ﷺ بحالهم قبل وقوعه. انتهى. نقلاً من كرخي، وانظر ما ذكرته في المقدمة عن ابن عباس وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ. ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: يصدقون بالقرآن، ويهتدون بهديه. ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ومن أهل مكة، أو: ومن العرب. وقيل: المراد بالذين أوتوا الكتاب: الذين تقدموا عهد رسول الله ﷺ. ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ممن في عهده منهم. ﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾: وما يكفر، يقال: جحد الشيء: أنكره، وجحد الإسلام: كفر به، وهو من باب: فتح. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: آيات القرآن. ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: المتوغلون في الكفر، فإن جزمهم به يمنعهم من التأمل فيما يفيد لهم صدقها؛ لكونها معجزة بالإضافة إلى رسول الله ﷺ الذي لم يقرأ ولم يكتب.

هذا والمراد بالكتاب الأول: القرآن، وبالكتاب الثاني: التوراة، والكتاب في اللغة: الضم، والجمع، وسميت الجماعة من الجيش كتيبة لاجتماع أفرادها، كما سمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يضم الكلام بعضه إلى بعض، ويجمعه، ويرتبه، وفي الاصطلاح: اسم لجملة مختصة من العلم، مشتملة على أبواب، وفصول، ومسائل غالباً.

هذا و﴿أَنزَلْنَآ﴾ بمعنى: نزَّلنا، والفرق بين الفعلين أن أنزل يفيد أن القرآن، أو السورة نزل دفعة واحدة، وأما نَزَّل فيفيد أن القرآن نزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع، ومقتضيات الأحوال، على ما نرى عليه أهل الشعر والخطابة، وهذا مما يريب القرشيين، كما حكى سبحانه وتعالى ذلك عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ فبين الله سبحانه الحكمة من نزوله مفرقاً بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: أنزلنا إليك الكتاب إنزالاً كائناً، مثل إنزالنا التوراة، والإنجيل على من قبلك، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَنزَلْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: حرف استئناف، وتفريع. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من): حرف جر. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بـ: (مِنْ)، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الجملة، وأرى: أن مضمون الجار والمجرور مبتدأ، و﴿مَن﴾ خبره، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠] من هذه السورة؛ تجد ما يسرك. ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَجْحَدُ﴾: فعل مضارع. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا يَجْحَدُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ﴾: تقرأ، والخطاب لسيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق ﷺ. ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل القرآن. ﴿مِن كِتَٰبٍ﴾ أي: من كتب سماوية، أو غيرها. ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ أي: لم تكتبه، والمعنى: إنك لم تقرأ، ولم تكتب قبل الوحي. وذكر اليمين، وهي اليد الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتباً، ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات: رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه، كان أشد لإثباتك أنه تولى كتابته بيده، فكذلك النفي، وإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أمِّيٍّ لم يُعرف بالقراءة، والكتابة، والتعلم خارق للعادة، بل هو معجزة المعجزات.

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ معناه: لو كنت تقرأ، وتكتب قبل الوحي إليك؛ لارتاب المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرأ ما يقصه، ويتلوه علينا من كتب الأولين، أو ينسخه منها. وقيل: ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ هم اليهود، ومعناه: أنهم إذاً لشكُّوا فيما تتلوه وتقرؤه، واتهموك، وقالوا: إن الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ، ولا يكتب، ومحمد ليس على هذه الصفة. وسماهم الله مبطلين؛ لإنكارهم نبوة محمد ﷺ، وكفاهم بذلك بُطْلاً، وكفراً. وعن مجاهد، والشعبي: ما مات النبي ﷺ حتى كتب وقرأ. وهذا لم يثبت.

وقال مجاهد: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم: أن محمداً ﷺ المبعوث آخر الزمان لا يخط، ولا يقرأ، فنزلت الآية الكريمة تؤيد ما في كتبهم. قال النحاس: نزلت الآية دليلاً على نبوته لقريش؛ لأنه لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يخالط أهل الكتاب، ولم يكن بمكة أهل الكتاب، فجاءهم بأخبار الأنبياء، والأمم، وزالت الريبة، والشك.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون. والتاء ضمير متصل في محل رفع اسمها. ﴿تَتْلُواْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿كِتَٰبٍ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿كِتَٰبٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿تَتْلُواْ...﴾ إلخ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿وَمَا كُنتَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو زائدة لتأكيد النفي. ﴿تَخُطُّهُۥ﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره: «أنت»، والهاء

مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿تَتْلُواْ...﴾ إلخ فهي في محل نصب مثلها. ﴿بِيَمِينِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء. ﴿لَّٱرْتَابَ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: إذاً والله. . . إلخ. (ارتاب): فعل ماض. ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: فاعله، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر، لا محل لها. هذا؛ وقدر الجلال الكلام كما يلي: «لو كنت قارئاً كتاباً؛ لارتاب المبطلون» وقدر نظيره في قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ وقد قال الجمل هناك، معلقاً على تقدير الجلال: ﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء يقدر بلو الشرطية كما فعل الشارح، وعبارة السمين: ﴿إِذًا﴾ حرف جواب وجزاء، ولهذا تقع أداة الشرط موقعها.

هذا وقد قال ابن هشام ـ رحمه الله تعالى في مغنيه ـ: والأكثر أن تكون جواباً لـ: «إنْ»، أو «لو» مقدرتين، أو ظاهرتين، فالأول أي وقوعها جواباً لـ: «إن» كقول كثير عزة: [الطويل]

لَئِنْ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا ... وَأَمْكَنَنِي مِنْهَا إِذاً لَا أُقِيلُهَا

هذا هو الشاهد رقم [١٩] من كتابنا فتح القريب المجيب، وقول قريط بن أنيف: [البسيط]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي ... بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بنِ شَيْبَانَا

إِذاً لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا

هذا هو الشاهد رقم [٢٠] من كتابنا المذكور. هذا؛ وقد قال الفراء: حيث جاءت بعدها اللام فقبلها (لو) مقدرة، إن لم تكن ظاهرة، وهذا هو القول الفصل، والكلام بجملته: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ مستأنف لا محل له.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾: إضراب عن ارتيابهم، أي: ليس القرآن مما يرتاب فيه؛ لكونه في الصدور، وكونه محفوظاً بخلاف غيره من الكتب، فإنه لا يقرأ إلا في المصاحف، ولذا جاء في وصف هذه الأمة، صدورهم أناجيلهم، والمعنى: أنهم يقرؤون كتاب الله عن ظهر قلب، وهو مثبت محفوظ في صدورهم، كما كان كتاب النصارى مثبتاً في أناجيلهم، أي: كتبهم.

﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون من أنه سحر أو شعر، ولكنه علامات، ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه، وهي كذلك في صدور الذين أوتوا

العلم، وهم أصحاب محمد ﷺ، والمؤمنون به، يحفظونه، ويقرؤونه، ووصفهم بالعلم؛ لأنهم ميزوا بأفهامهم بين كلام الله، وكلام البشر، والشياطين، ولذا لا يقدر أحد على تحريفه، كما حرفت الكتب السابقة.

وقال قتادة، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿بَلْ هُوَ﴾ يعني: محمداً ﷺ. والمراد بـ: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أهل الكتاب يجدونه مكتوباً عندهم في كتبهم بهذه الصفة: أمياً لا يقرأ، ولا يكتب، ولكنهم ظلموا أنفسهم، وكتموا، وهذا اختيار الطبري. ودليل هذا القول قراءة ابن مسعود، وابن السَّمَيْقَع: (بل هذا آيات بينات) وكان عليه الصلاة والسلام آياتٍ، لا آية واحدة؛ لأنه دل على أشياء كثيرة من أمر الدين، لهذا قال: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ وقيل: بل هو ذو آيات بينات، فحذف المضاف.

﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾: وما يكفر. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: بآيات القرآن. ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل إعجازها حتى لم يعتدُّوا بها، والمراد بالظالمين: اليهود، ومن على شاكلتهم من المكابرين المعاندين في كل وقت، وحين. وعبر سبحانه في هذه الآية وسابقتها عن القرآن بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها، وعلى كونها من عند الله تعالى، وأضيفت إلى نون العظمة لمزيد تفخيمها، وغاية التشنيع على من يجحدها.

هذا؛ والظالم هو الذي يظلم غيره بالاعتداء على حقوقه، أو على كرامته، وحرماته، والظالم هو الذي يظلم نفسه بالكفر، أو بالمعاصي، وارتكاب الفواحش، والمنكرات، وكثيراً ما يعبر القرآن عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، وغير ذلك، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يتوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، ولاسيما من قرأ القرآن منهم، واطلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب، وانتقال. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾: خبر المبتدأ. ﴿بَيِّنَٰتٌ﴾: صفة ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾. ﴿فِى صُدُورِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَيِّنَٰتٌ﴾، و﴿صُدُورِ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿أُوتُوا۟﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿ٱلْعِلْمَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ءَايَٰتٌۢ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَمَا يَجْحَدُ...﴾ إلخ انظر الآية رقم [٤٧] فالإعراب مثلها.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: كفار مكة لرسول الله ﷺ. ﴿لَوْلَآ﴾: هلا. ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: مثل آيات الأنبياء، كما جاء صالح بالناقة، وموسى بالعصا، وعيسى بالمائدة، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وقرئ (آية) بالإفراد. ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي ﷺ. ﴿إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ﴾: المعجزات. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ينزلها على من يشاء؛ إذا شاء أنزلها عليَّ، وليست عندي، فأملكها، فآتيكم بما تقترحونه. ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته، بما أعطيت من الآيات.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (قالوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَٰتٌ﴾: نائب الفاعل. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَٰتٌ﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلْـَٔايَٰتُ﴾: مبتدأ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿وَإِنَّمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبره. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿نَذِيرٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا...﴾ إلخ: هذا جواب لقولهم في الآية السابقة: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: أو لم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب المعجز الذي قد تحدَّيْتُهم بأن يأتوا بمثله، أو بسورة منه، فعجزوا، ولو أتيتُهم بآيات موسى وعيسى؛ لقالوا: سحر ونحن لا نعرف السحر، والكلام مقدور لهم، ومع ذلك عجزوا عن المعارضة. وأيضاً:

فإن معجزة القرآن أتم من معجزة من تقدم من الأنبياء؛ لأن معجزة القرآن تدوم على مر الدهور والزمان، ثابتة لا تزول، ولا تضمحل، كما زالت كل آيات الأنبياء بعد وجودها.

وقيل: إن سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة قال: أُتِيَ النبي ﷺ بكتِف «أي: عظم كتف دابة» فيه كتاب، فقال: «**كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به نبي غير نبيهم، أو كتاب غير كتابهم**». فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. أخرجه أبو محمد الدارمي في مسنده، وذكره أهل التفسير في كتبهم. انتهى. قرطبي.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الكتاب، الذي هو آية مستمرة، وحجة مبينة. ﴿لَرَحْمَةً﴾: لنعمة عظيمة في الدنيا والآخرة. وقيل: رحمة في الدنيا باستنقاذهم من الضلالة. وذكرى في الدنيا بإرشادهم به إلى الحق. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: فإنهم هم المنتفعون بتعاليم القرآن، والمهتدون بهديه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكْفِهِمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿أَنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَنزَلْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل للفعل: «يكفي»، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها مع الجملة المعطوفة عليها في التقدير: إذا قدرت: أقصَّر محمدٌ، ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات. ﴿يُتْلَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب فاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الكتاب، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الكتاب. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَرَحْمَةً﴾: اللام: لام الابتداء. (رحمة): اسم: ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (ذكرى): معطوف على رحمة منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (رحمة)، أو بـ: (ذكرى) على التنازع، أو بمحذوف صفة لأحدهما، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف صفة: (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أني قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، وأنذرتكم، وأنكم قابلتموني بالجحد والتكذيب. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه يشهد لي: أني رسوله، والقرآن كتابه، ويشهد عليكم بالتكذيب، وشهادة الله إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو المطلع على أمري وأمركم، ويعلم حقي وباطلكم، كيف لا؟ وهو يعلم ما في السموات والأرض، ولا يعزب عن علمه شيء مهما دق، وصغر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: بعبادة غير الله من حجارة، أو شمس، أو قمر، أو إنسان، فإن عبادة ما سوى الله باطل. ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: بتكذيب رسوله، وجحد كتابه، أو بإضافة الولد له تعالى.

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: من آمن بالباطل فقد كفر بالله، فهل لهذا العطف من فائدة غير التأكيد؟ قلت: نعم فائدته: أنه ذكر الثاني لبيان قبح الأول، فهو كقول القائل: «أتقول الباطل، وتترك الحق» لبيان: أن الباطل قبيح. ومعنى ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان، والنار بالجنة.

هذا؛ والباطل ضد الحق، والباطل بمعنى الفاسد، والبطلان عبارة عن عدم الشيء، إما لعدم ذاته، أو بعدم فائدته، ونفعه. هذا؛ وبَطَل من باب: دخل، والْبَطَل بفتحتين: الشجاع، والْبُطْلُ بضم فسكون: الباطل، والكذب، والبطالة: التعطل والتفرغ عن العمل، ويجمع باطل على أباطيل شذوذاً، كما شذ: أحاديث، وأعاريض، وأفاظيع في جمع: حديث، وعريض، وفظيع. هذا؛ ومبطل: اسم فاعل من أبطل الرباعي.

أما كفى في هذه الآية، ونحوها؛ فهو بمعنى: اكتف، والباء زائدة في الفاعل عند الجمهور، وهو لازم لا ينصب المفعول به، ومضارعه مثله. كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وأما إذا كان بمعنى: جزى، وأغنى، فيكون متعدياً لمفعول واحد، وإذا كان بمعنى: وقى؛ فإنه يكون متعدياً لمفعولين، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾.

وأما الفعل: ﴿يَعْلَمُ﴾ فإنه هنا بمعنى: يعرف، فهو متعد لمفعول واحد فقط، والفرق بين العلم والمعرفة: أن المعرفة تستدعي سبق جهل، وأن متعلقها الذوات دون النِّسب بخلاف العلم، فإن متعلقه المعاني، والنِّسب. وانظر الآية رقم [٥٢] من سورة (النمل).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿كَفَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (الله): فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿بَيْنِي﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة؛ والياء: ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿شَهِيدًا﴾: تمييز. وقيل: حال، والأول أقوى، وأصح، وجملة: ﴿كَفَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي تعليلية، لا محل لها على الوجهين، واعتبارها حالاً فيه ضعف.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له من الإعراب. ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: خبر المبتدأ. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ ثانياً، و﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ خبره فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر المبتدأ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾، وعلى الوجهين فالجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾: لما أنذرهم الرسول ﷺ بالعذاب، قالوا لشدة جهلهم، وحمقهم: عجل لنا هذا العذاب. والقائل: هو النضر بن الحارث، وأبو جهل، وأشباههما، فقد قال النضر ما قاله الله تعالى عنه: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقالوا جميعاً ما قاله الله تعالى عنهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وقالوا أيضاً ما قاله الله عنهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت محدد لعذاب كل قوم، وهلاكهم. وقيل: هو القتل يوم بدر. وعلى الجملة فلكل عذاب أجل لا يتقدم ولا يتأخر، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: المراد به: ما وعد الله به رسوله ﷺ من عدم عذاب قومه، وعدم استئصالهم، وتأخير عذابهم إلى يوم القيامة. ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: عاجلاً، وهو ما استعجلوه، وطلبوه. ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ أي: فجأة من غير إنذار، ولا يؤخر إذا نزل، وقد حقق الله ذلك يوم بدر. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون بنزوله عليهم. هذا؛ والشعور إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً؛ لفطنته ودقة معرفته.

الإعراب: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يستعجلونك): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به. ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَوْلَآ﴾: الواو: واو الحال. (لولا): حرف امتناع لوجود. ﴿أَجَلٌ﴾: مبتدأ. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة له مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، وخبر المبتدأ محذوف، تقديره موجود، والجملة الاسمية هذه ابتدائية لا محل لها، وحالة محل شرط (لولا). ﴿لَّجَآءَهُمُ﴾: اللام: واقعة في جواب (لولا). (جاءهم): فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية جواب: (لولا) لا محل لها، و(لولا) ومدخولها في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير المنصوب، وهو أولى وأقوى معنى من الاستئناف. ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾: الواو: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب (لولا) تقديراً بسبب العطف. وقيل: موطئة للقسم، ولا وجه له ألبتة. (يأتينهم): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لولا)، لا محل لها أيضاً. هذا؛ ويغلب أن يقع جواب (لولا) ماضياً، وإنما وقع مستقبلاً ليفيد التوكيد في الوعيد والتهديد؛ إذ المعنى: ولأتاهم العذاب بغتة.

وإذا أبقينا الكلام على ظاهره فتكون الجملة جواباً لقسم محذوف، والقسم وجوابه يكون كلاماً مستأنفاً، ويكون المراد بمجيء العذاب عذاب الاستئصال، والمراد بإتيانه المؤكد بالنون ما نزل ببعضهم يوم بدر من الخزي، والنكال، وهو القتل، والأسر، كما هو معروف. ﴿بَغْتَةً﴾: حال من الفاعل المستتر بمعنى: باغتاً أو مباغتاً، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: يبغتهم بغتة، وتكون الجملة هذه في محل نصب حال من الفاعل المستتر، وجوز اعتبار ﴿بَغْتَةً﴾ مصدراً للفعل: يأتي من غير لفظه، كقولهم: أتيته ركضاً، فتكون نائب مفعول مطلق. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال، (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: فعل

مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ أي: يستعجلونك، وقد أعد لهم جهنم، وأنها ستحيط بهم لا محالة يوم يأتيهم العذاب، فما معنى الاستعجال، أو هي كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم؛ لتلبسهم بالكفر والمعاصي، وعدم إقلاعهم عن ذلك.

الإعراب: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: هذه الجملة مؤكدة للجملة السابقة، وفيها معنى التعجب، أي: يتعجب من أمرهم، فكيف يطلبون العذاب، وإن جهنم لا بد أن تحيط بهم؟ ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿جَهَنَّمَ﴾: اسم (إن). ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾: اللام: لام الابتداء وتسمى المزحلقة. (محيطة): خبر (إن). ﴿بِالْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلقان بـ (محيطة)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من العذاب، أو من الواو، أو من الكاف، والرابط الواو فقط.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أي: يحيط بهم العذاب من جميع جوانبهم وجهاتهم، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ رقم [١٦] من سورة (الزمر)، وأيضاً قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٤١]: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾. ﴿وَيَقُولُ﴾ أي: الموكل بالعذاب. ويقرأ بالنون التي هي للعظمة، فيكون القائل الله تعالى. ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي.

قال الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قيل: لم خص الجانبين بالذكر، ولم يذكر اليمين، ولا الشمال، ولا الخلف، ولا الأمام؟ فالجواب: إن المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم عن نار الدنيا، ونار الدنيا تحيط بالجوانب الأربع، فإن من دخلها تكون الشعلة قدامه وخلفه ويمينه وشماله، وأما النار من فوق، فلا تنزل. وإنما تصعد في العادة، وتحت الأقدام لا تبقى الشعلة التي تحت القدم، بل تطفأ، ونار جهنم تنزل من فوق، ولا تطفأ بالدوس عليها بوضع القدم. انتهى. نقلاً من الرازي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا وأما الذوق فإنه يكون محسوساً ومعنًى، وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول: اركب هذا الفرس فذقه، أي: اختبره، وانظر فلاناً، فذق ما عنده. قال الشماخ يصف قوساً: [الطويل]

فَـذَاقَ فَـأَعْـطَـتْـهُ مِـنَ الـلِّـيـنِ جَـانِـبـاً كَـفَـى وَلَـهـاً أَنْ يُـغْـرِقَ الـسَّـهْـمَ حَـاجِـزُ

وقد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس، وإن لم يكن مطعوماً لإحساسها به كإحساسها بذوق المطعوم قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

فَـذُقْ هَـجْـرَهَـا إِنْ كُـنْـتَ تـزعـمُ أَنَّـهَـا فَـسَـادٌ أَلَا يـا رُبَّـمَـا كَـذَبَ الـزَّعْـمُ

وتقول: ذقت ما عند فلان، أي خبرته، وذقت القوس إذا جذبت وترها لتنظر ما شدتها؟ وأذاقه الله وبال أمره، أي: عقوبة كفره ومعاصيه، قال طفيل بن سعد الغنوي: [الطويل]

فَـذُوقُـوا كَـمَـا ذُقْـنَـا غـداةَ مُـحَـجَّـرٍ مِـنَ الْـغَـيْـظِ فِـي أكـبـادِنَـا والـتَّـحـوُّبِ

وتذوقته، أي: ذقته شيئاً بعد شيء، وأمر مستذاق، أي: مجرب معلوم، قال الشاعر: [الوافر]

وعَـهْـدُ الْـغَـانِـيَـاتِ كـعَـهْـدِ قَـيْـنٍ وَنَـتْ عِـنْـدَ الْـجَـعَـائِـلِ مُـسْـتَـذَاقِ

وأصله من الذوق بالفم، وذوقوا في كثير من الآيات للإهانة، وفيه استعارة تبعية تخييلية، وذكر العذاب في بعض الآيات استعارة مكنية، حيث شبه العذاب بشيء يدرك بحاسة الأكل، وشبه الذوق بصورة ما يذاق، وأثبت للذوق تخييلاً.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ (محيطة)، أو هو متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر يوم، أو هو مفعول به لهذا الفعل المقدر. ﴿يَغْشَىٰهُمُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْعَذَابُ﴾. والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَمِن تَحْتِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، و﴿تَحْتِ﴾ مضاف، و﴿أَرْجُلِهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَيَقُولُ﴾: الواو: حرف عطف. (يقول): فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»، أو «نحن». ﴿ذُوقُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وهي على تقدير مضاف قبلها؛ إذ التقدير: ذوقوا جزاء الذي، أو: شيء. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان) والمفعول به، وهو عائد الموصول، أو رابط الصفة محذوف، التقدير: جزاء الذي، أو شيء كنتم تعملونه. هذا؛ وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة للمفعول المحذوف، التقدير: ذوقوا جزاء عملكم، وجملة: ﴿ذُوقُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾

الشرح: معنى الآية الكريمة: أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه، ولم يتمشَّ له أمر دينه كما ينبغي ويجب، فليهاجر عنه إلى بلد يقدِّر أنه فيه أسلم قلباً، وأصح ديناً، وأكثر عبادة، وأحسن خشوعاً. هذا؛ وإن الآية الكريمة نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة مستضعفين على الهجرة، فأخبرهم الله تعالى بسعة أرضه، وأن البقاء في أرض يؤذى فيها المسلم بسبب دينه، وطاعته لربه ليس بصواب، بل الحكمة الخروج من هذه الأرض إلى أرض يستطيع فيها أن يؤدي عبادته بحرية تامة.

ولا ريب: أن بقاع الأرض تتفاوت بالفضيلة، وما يكون فيها من راحة وهدوء، وما يتبع ذلك من طمأنينة وخشوع وخضوع لله تعالى، ولا يوجد في الأرض أرض تكون أعون على قهر النفس، وعصيان الشهوة، وأجمع للقلب المتلفت، وأضم للهم المنتشر، وأحث على القناعة، وأطرد للشيطان، وأبعد للفتن، وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله، وجوار بيت الله في مكة المكرمة، ومع ذلك فقد أمر الله المؤمنين بالهجرة منها حين كانت دار كفر، وكان المشركون يؤذونهم في دينهم.

هذا وقد قال مطرف بن الشخير: المعنى: إن رحمتي واسعة، وعنه أيضاً: إن رزقي لكم واسع فابتغوه في الأرض. وقال سفيان الثوري: إذا كنت بأرض غالية، فانتقل إلى غيرها تملأ فيها جرابك خبزاً بدرهم. وقيل: المعنى: إن أرضي التي هي أرض الجنة واسعة. وكل هذه الأقوال لا تستفاد من نص الآية؛ لأن الآيات السابقة تكلمت عن المشركين، وعن تعنتهم في سؤالهم، ثم ذكرت ما أعد لهم من العذاب الأليم، في نار الجحيم، وفي الوقت نفسه كانوا يؤذون المؤمنين المستضعفين؛ الذين لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، فالقول الحق هو الأول، وهو أن الآية نزلت في تحريض المؤمنين، وحثهم على الهجرة من مكة المكرمة بأية وسيلة كانت، وعن النبي ﷺ: أنه قال: «**مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ أَرْضٍ إلى أَرْضٍ، وَإِنْ كَانَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ؛ اسْتَوْجَبَ الْجَنَّةَ، وَكَانَ رَفِيقَ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ**». وعن سهل: إذا ظهرت المعاصي، والبدع في أرض؛ فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو، أو أنادي. (عبادي): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وهي تقرأ بالسكون وبحركة الفتحة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة: (عبادي)، أو عطف بيان عليه، والبدلية لا تجوز؛ لأن المبدل منه في نية الطرح، ولا يمكن نداء الذين، بدون «أي» قبله، وهذه

إحدى مسألتين يمتنع فيهما البدلية، ويتعين فيهما عطف البيان، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَصَالِحاً لِبَدَلِيَّةٍ يُرى ... في غيرِ نحو يا غلامُ يَعْمُرَا
ونحوِ بِشْرٍ تابعِ البَكْرِيِّ ... وليس أنْ يُبْدلَ بالمَرْضِيِّ

﴿ءَامَنُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَرۡضِى﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه مثل (عبادي). ﴿وَٰسِعَةٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية لا محل لها مثل الجملة الندائية قبلها. ﴿فَإِيَّٰىَ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرطٍ مقدَّر؛ إذ التقدير: إن لم تتمكنوا من العبادة في أرضٍ؛ فإياي اعبدون في غير تلك الأرض. فإذاً الضمير في محل نصب مفعول به مقدم للفعل المقدر، كما ترى. ﴿فَإِيَّٰىَ﴾: الفاء: حرف عطف. (اعبدون): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، والكسرة تحتها دليل على ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والتي هي مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة المقدرة قبلها، ومؤكدة لها. وقيل: مفسرة، ولا وجه له. والجملة الشرطية التي رأيت تقديرها، لا محل لها مثل الجملتين قبلها. هذا؛ ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٤٠]: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ ورقم [٤١]: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧﴾

الشرح: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾: فيه وعد للمصدق، ووعيد للكاذب، والمعنى: لا يحزنك تكذيبهم إياك فمرجع الخلق إليَّ، فأجازيهم على التكذيب، وأجازيك على الصبر. وهذا التعميم مخصوص بقوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِى وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَۚ﴾ فإن الله تعالى حي لا يموت، ولا يجوز عليه الموت، وانظر الآية رقم [٨٧] من سورة (النمل) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وانظر (الذوق) في الآية رقم [٥٥]. والموت: هو انتهاء الحياة بخمود حرارة البدن، وبطلان حركته، وموت القلب قسوته، فلا يتأثر بالمواعظ، ولا ينتفع بالنصائح. هذا ويكثر ذكر الموت في القرآن الكريم، والمراد منه تحقير أمر الدنيا، والزهد فيها، والاستعداد للآخرة التي لا بد منها وخذ قول بعضهم: [البسيط]

الْمَوْتُ في كُلِّ حِينٍ يَنْشُدُ الْكَفَنَا ... ونحنُ في غَفْلَةٍ عمَّا يُرادُ بِنَا
لَا تَرْكَنَنَّ إلى الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ... وَإنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوابِهَا الْحَسَنَا
أَيْنَ الأَحِبَّةُ والجيرانُ مَا فَعَلُوا؟ ... أَيْنَ الَّذِينَ هُمُو كَانُوا لَهَا سَكَنَا؟

سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأْساً غَيْرَ صَافِيَةٍ صَيَّرَهُمْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرى رُهُنَا

الإعراب: ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ: وهو مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ذَآئِقَةُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْمَوْتِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، وهو يقرأ بالتاء والياء مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، فهو عطف جملة فعلية على جملة اسمية.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: وقرئ بالياء، كما قرئ: (لَنُثْوِيَنَّهُم) من الثوي وهو الإقامة؛ أي: لنعطينهم غرفاً يثوون فيها، والمعنى: على الأول: لننزلنهم، يقال: بوأته منزلاً، وبوأت له، كما يقال: مكنتك ومكنت لك، والمبوأ المنزل الملزوم، ومنه بوأه الله منزلاً، أي: ألزمه إياه،وأسكنه فيه، قال الرسول ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَهُ من النارِ**». أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: جمع: غرفة، وهي الدرجة الرفيعة، وهي أعلى منازل الجنة، وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا، وتجمع أيضاً على غرفات كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ الآية رقم [٣٧] من سورة (سبأ)، وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**». قالوا: يا رسول الله! تلك منازلُ الأنبياءِ، لا يَبْلُغُهَا غيرهمْ؟ قال: «**بَلَى وَالَّذِي نَفسِي بيدِهِ! رِجَالٌ آمَنُوا بالله، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**». وخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الْجَنَّةِ لغُرَفاً يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**». فَقَامَ إِلَيْهِ أعرابيٌّ. فقال: لمن هي يا رسولَ اللهِ؟! قال: «**هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى للهِ بِاللَّيْلِ، والنَّاسُ نِيَامٌ**».

هذا؛ وعطف العمل الصالح على الإيمان في الآية الكريمة وغيرها يوحي بأن العمل قرين الإيمان، وقد لا يجدي الإيمان بلا عمل، وهو ما أفاده قول الرسول ﷺ: «**الإيمَانُ والعملُ قَرينَانِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ أَحَدَهُمَا بِدُونِ صَاحِبِهِ**». كما أن الإيمان مشروط لقبول العمل الصالح، ويسمى هذا في علم البديع: احتراساً.

بعد هذا؛ فقد قال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ نقلاً عن الرازي: بين الله ما يكون للمؤمنين وقت الرجوع إليه، كما بين في الآية السابقة ما يكون للكافرين بقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فبين: أن للمؤمنين الجنات في مقابلة: أن للكافرين النيران. وبين: أن فيها غرفاً تجري تحتها الأنهار في مقابلة أن تحت الكافرين النار، وبين: أن ذلك أجر عملهم بقوله: ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ في مقابلة ما تقدم للكفار بقوله: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، ولم يذكر ما فوق المؤمنين؛ لأن المؤمنين في أعلى عليين، فلم يذكر فوقهم شيئاً إشارة إلى علو مرتبتهم، وارتفاع منزلتهم، ولم يجعل الماء من تحت أقدامهم، بل جعله من تحت غرفهم؛ لأن الماء يكون ملتذاً به في أي جهة كان، وعلى أي بعد كان إذا كان تحت الغرفة؟. انتهى.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَعَمِلُواْ...﴾ إلخ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: صفة لموصوف محذوف، التقدير: عملوا الأعمال الصالحات، فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نبوئنهم): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، أو جوازاً تقديره: «هو»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿غُرَفٗا﴾ كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿غُرَفٗا﴾: مفعول به ثان على قراءة الفعل بالنون، والباء؛ لأن «بوأ» ينصب مفعولين، قال تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ﴾ وأما على قراءة الفعل بالنون والثاء ففيه أوجه: أحدها أنه مفعول ثان بتضمين: «نثوي» ننزل، فيتعدى لاثنين بسبب التضمين، وإما على تشبيه الظرف المختص بالمبهم، فيكون ظرف مكان متعلقاً بالفعل قبله، أو هو منصوب بنزع الخافض اتساعاً، أي في غرف، وجملة: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا﴾ جواب القسم المحذوف، والقسم المحذوف وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وأجيز اعتبار (الذين) منصوباً بفعل مضمر على الاشتغال، أي: ونبوئ الذين آمنوا. . .إلخ، ولا أراه قوياً. هذا؛ ووقوع الجملة القسمية خبراً للمبتدأ قاله ابن مالك، ومنعه ثعلب، ومثل الآية قوله تعالى في سورة (النساء): ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ...﴾ إلخ، والآية رقم [٧ و٩] من هذه السورة، ومثل ذلك كله قول الشاعر، وهو الشاهد رقم [٧٥٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

وَإِذَا أَتَــاكِ فَــلَاتَ حِــيــنَ مَــنَــاصِ   جَشَأَتْ، فَقُلْتُ: اللَّذْ خَشِيتِ لَيَأْتِيَنْ

والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ إلخ مستأنفة، أو معطوفة على ما قبلها، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿تَجْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و: (ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿الْأَنْهَارُ﴾: فاعل: ﴿تَجْرِي﴾. ﴿خَالِدِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه؛ لأنه جمع اسم فاعل. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بخالدين، وجملة: ﴿تَجْرِي...﴾ إلخ في محل نصب صفة: ﴿غُرَفًا﴾. ﴿نِعْمَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء المدح. ﴿أَجْرُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿الْعَامِلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، والمخصوص بالمدح محذوف، دل عليه ما قبله؛ إذ التقدير: نعم أجر العاملين الممدوح ما ذكر، وجملة: ﴿نِعْمَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وقرئ: (فنعم).

فائدة: الحال بالنسبة للزمان على ثلاثة أقسام: حال مقارنة، وهي الغالبة نحو قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾. وحال مقدرة، وهي المستقبلة، نحو قوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ وحال محكية، وهي الماضية. نحو: جَاءَ زَيْدٌ أَمْسِ رَاكِباً.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على مفارقة الأهل، والأوطان، والهجرة لأجل الدين، وصبروا على أذى المشركين، وصبروا على المحن، والشدائد، والمصائب، وصبروا على الطاعات على تفاوت درجاتها، ومراتبها، وصبروا عن المعاصي كبيرها، وصغيرها، وعلى جميع أنواعها. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: لا يتوكلون، ولا يعتمدون على غيره. هذا؛ وحقيقة التوكل: تفويض الرجل الأمر إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه وضره. وقالوا: المتوكل من إنْ دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى، فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصه منها، لم يخرج عن حد التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله تعالى، وإنما هو من تعاطي الأسباب في دفع المحنة، والله أعلم، وأجل، وأعظم.

الإعراب: ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة ﴿الْعَامِلِينَ﴾ أو هو بدل منه، أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أمدح، أو: أعني الذين، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، أو هو في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، التقدير: الذين صبروا... لهم أجرهم عند ربهم، وجملة: ﴿صَبَرُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَعَلَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (على ربهم): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة؛ من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله

مستتر فيه. ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَأَيِّن﴾: أصلها «أي» الاستفهامية، دخلت عليها كاف التشبيه، فصارت بمعنى «كم» الخبرية التكثيرية، وهي كناية عن عدد مبهم، مثل «كم» و«كذا»، وفيها خمس لغات، كلها قرئ بها: إحداها: (كَأَيِّن)، وهي الأصل، وبها قرأ الجماعة، إلا ابن كثير، والثانية: (كَائِن) بوزن كاعِن، وبها قرأ ابن كثير وجماعة، وهي أكثر استعمالاً من: (كأَيِّن)، وإن كانت الأصل، وهو كثير في الشعر العربي، الثالثة: (كَئِين) بوزن كريم، الرابعة: (كَيْئِن) بياء ساكنة، وهمزة مكسورة، الخامسة: (كَأْنْ) بوزن كَفنْ. هذا؛ والجلال المحلي اعتبر (كَأَيِّن) بسيطة غير مركبة، وأن آخرها نون من نفس الكلمة لا تنوين؛ لأن هذه الدعاوى المتقدمة لا يقوم عليها دليل، والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سلك في ذلك الطريق الأسهل، والنحويون ذكروا هذه الأشياء محافظة على أصولهم مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد، وتشحين الذهن، وتمرينه. انتهى. جمل. ﴿دَآبَّةٍ﴾: تشمل كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان، وحيوان، وطير، وحشرة، وغيرها.

هذا وسبب نزول الآية الكريمة: أن النبي ﷺ لما أمر المسلمين بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المشرفة حين آذاهم المشركون؛ قالوا: كيف نخرج إلى المدينة، وليس لنا بها دار، ولا مال؟ فمن يطعمنا، ويسقينا؟! فأنزل الله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ...﴾ إلخ.

والمعنى: كثير من الدواب لا تطيق حمل رزقها لضعفها، أو لا تدخره، وإنما تصبح، ولا معيشة عندها، ثم إنها مع ضعفها، وتوكلها يرزقها الله، وإياكم مع قوتكم، واجتهادكم، فأنتم سواء في أن يرزق الله الجميع من فضله، وكرمه، وجوده، و﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾، فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة، فإن الله يرزقكم.

فقد سوى الله بين الحريص، والمتوكل في الرزق، وبين الراغب، والقانع، وبين الْجَلِد، والعاجز. يعني: أن الجَلِد لا يتصور: أنه مرزوق بِجَلَده؛ ولا يتصور العاجز: أنه ممنوع من الرزق بعجزه. انتهى. قرطبي بتصرف.

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَوْ أنكمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ، كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خماصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً**». أخرجه الترمذي. ومعناه أن الطير تذهب أول النهار جياعاً ضامرة البطون، وتروح آخر النهار إلى أوكارها شباعاً ممتلئة البطون، ولا تدخر شيئاً. قال سفيان بن عيينة: ليس شيء من خلق الله يخبئ طعامه إلا الإنسان، والفأرة، والنملة، وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في محضنه، ويقول: للعقعق مخابئُ إلا أنه

ينساها. هذا؛ وادخار الطعام لا ينافي التوكل، فقد روى البخاري، ومسلم: أن النبي ﷺ كان يدخر لأهله قوت سنتهم. وهذا بلا ريب كان في آخر حياته، وقد وسع الله عليه، وعلى المسلمين في معيشتهم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون ذلك، وهم القدوة الطيبة، وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين. وخذ على سبيل الموعظة ما يلي:

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ؛ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا عَمَلٍ يُقَرِّبُ مِنَ النَّارِ؛ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَلَا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدُ مِنْكُمْ رِزْقَهُ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَلْقَى فِي رُوعِي: أَنَّ أَحَداً لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ. فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ! وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنِ اسْتَبْطَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ، فَلَا يَطْلُبْهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ فَضْلُهُ بِمَعْصِيَتِهِ**». رواه الحاكم.

الإعراب: ﴿وَكَأَيِّن﴾: الواو: حرف استئناف. (كَأَيِّن): اسم كناية بمعنى كثير مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وأجاز أبو البقاء أن يكون في موضع نصب بفعل دل عليه ﴿يَرْزُقُهَا﴾، ويقدَّر بعد (كَأَيِّن) وفيه ضعف لا يخفى. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿دَآبَّةٍ﴾: تمييز لكأين منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تَحْمِلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿دَآبَّةٍ﴾. ﴿رِزْقَهَا﴾: مفعول به، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر على اللفظ، أو في محل نصب على المحل صفة ﴿دَآبَّةٍ﴾. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَرْزُقُهَا﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، تقديره: «هو». و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (إياكم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَكَأَيِّن...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿يَرْزُقُهَا﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمسؤول منهم أهل مكة. ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ: ذكر الله من آثار قدرته، ودلائل عظمته أمرين: أحدهما: إشارة إلى اتحاد الذات، والثاني: إشارة إلى اتحاد الصفات، وهي الحركة في الشمس، والقمر، وذكر في السموات،

والأرض الخلق، وفي الشمس، والقمر التسخير؛ لأن مجرد خلق الشمس والقمر، ليس حكمة، فإن الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد، لا تتحرك؛ ما حصل الليل، والنهار، ولا الصيف، والشتاء وكذلك القمر لولا زيادته، ونقصانه، ونوره، ومحاقه؛ لما أمكن معرفة الشهور، وعددها، فحينئذ الحكمة إنما هي في تحريكهما، وتسخيرهما. ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد، واجب الوجود. ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: أي فكيف يصرفون عن توحيد الله وعبادته مع إقرارهم بذلك، واعترافهم: أنه هو الصانع الحكيم.

هذا وقد قال تعالى في سورة الذاريات ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أي: يُصْرفُ عنه من صُرف، فهو من باب: ضرب، ومصدره: أَفْكاً، كضَرْباً. هذا؛ وهو من الباب الرابع بمعنى: كذب، ومصدره، إفْكاً كَعِلْماً، ويغلب مجيء الأول بالبناء للمجهول، وقد يجيء بالبناء للمعلوم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ سورة الأحقاف رقم [٢٢] ومن مجيئه بمعنى الكذب قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الآية رقم [٤٥] من سورة (الشعراء)، انظر شرحها هناك، ففيه كبير فائدة.

الإعراب: ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله. (إن): حرف شرط جازم. ﴿سَأَلْتَهُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والهاء مفعوله الأول، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَّنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿مَّنْ﴾. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله بالواو العاطفة، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَّنْ خَلَقَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان للفعل: (سأل)، وجملة: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (يقولُنَّ): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة، المدلول عليها بالضمة في محل رفع فاعل، والنون حرف لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، وخبره محذوف، التقدير: الله خلقهن، أو هو فاعل لفعل محذوف، التقدير: خلقهن الله، ويرجحه التصريح به في قوله تعالى في سورة (الزخرف): ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ رقم [٩]، والجملة على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ جواب القسم المقدر، المدلول عليه باللام الموطئة، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما» قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واحْـذِفْ لَـدَى اجْـتِـمَـاعِ شَـرْطٍ وَقَـسَـمْ جَـوَابَ مَـا أَخَّـرْتَ فَـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

والكلام: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم...﴾ إلخ كله مستأنف لا محل له. ﴿فَأَنَّى﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كانوا يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض فكيف يصرفون عن توحيده، وعبادته. (أنى): اسم استفهام، وتعجب، وتوبيخ مبني على السكون في محل نصب حال عامله ما بعده. ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بإذا، والجملة الشرطية مستأنفة لا محل لها.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: لما ذكر سبحانه وتعالى الخلق؛ ذكر الرزق؛ لأن كمال الخلق ببقائه، وبقاء الخلق بالرزق، والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق، فله الفضل، والإحسان، والطول، والامتنان. ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي: يضيق عليه إذا شاء، ويفقره من المال، قال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي: ضيق عليه في الرزق. وينبغي أن يعلم الإنسان: أن البسط في الرزق لا ينبئ عن كرامة العبد على الله، والقبض، والضيق في الرزق لا ينبئ عن هوان العبد على الله، بل العكس هو الصحيح، فإذا رأينا إنساناً عاصياً لله، وهو يمده في المال، ويعطيه ما يرغب فيه من حطام الدنيا؛ فإن هذا الإمداد والإعطاء قد يكون استدراجاً له، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال جل ذكره: ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾، وقال تعالى شأنه: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾.

هذا وإذا رأينا إنساناً مطيعاً لله تعالى، ورزقه مضيق عليه، فقد يكون ذلك رحمة من الله له؛ لأنه تعالى لا يريد أن يلوثه بحطام الدنيا، ولا أن يكثر مسؤوليته أمامه يوم القيامة عن تبعات المال، وخذ ما يلي: فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ يُحِبُّه كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُم الطَّعَامَ، وَالشَّرَابَ**». رواه الحاكم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْتَقَى مُؤْمِنَانِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ: مُؤْمِنٌ غَنِيٌّ، ومؤمنٌ فقيرٌ كانا في الدنيا، فَأُدْخِلَ الْفَقِيرُ الْجَنَّةَ، وَحُبِسَ الْغَنِيُّ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُحْبَسَ، ثُمَّ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، فَلَقِيَهُ الْفَقِيرُ، فقالَ: يا أخي مَا حَبَسَكَ؟ والله لَقَدْ حُبِسْتَ؛ حَتَّى خِفْتُ عَلَيْكَ! فَيَقُولُ: يَا أخي! إِنِّي حُبِسْتُ بَعْدَكَ مَحْبَساً فظيعاً كريهاً، ما وصلْتُ إِلَيْكَ؛ حَتَّى سَالَ مِني مِنَ الْعَرَقِ مَا لَوْ وَرَدَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ، كُلُّها أَكَلَةُ حُمْض النَّبَاتِ؛ لَصَدَرَتْ عَنْهُ رِوَاءً**». رواه أحمد.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: يعلم ما يصلحهم، وما يفسدهم، فيعطي كل واحد حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه وتعالى، من غنًى، أو فقر، والسعيد من كان رزقه كفافاً، وقنع به، ورضيه، وحمد الله عليه. وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**إن من عبادي من لا يصلح**

إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته؛ لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته؛ لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، والعافية، ولو أمرضته؛ لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا المرض، ولو عافيته وصححت له جسمه؛ لأفسده ذلك».

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَبْسُطُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿ٱلرِّزْقَ﴾: مفعول به. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(مَنْ): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، وجملة: ﴿يَشَآءُ﴾ صلة: (مَنْ) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير للذي، أو لشخص يشاؤه. ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: الواو: حرف عطف. (يقدر): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿لَهُۥٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم (إنَّ). ﴿بِكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدهما، و(كل) مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليلية لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾: الخطاب للنبي ﷺ والمسؤول منهم أهل مكة. ﴿مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: من السحاب مطراً. ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي: جدبها. وموت الأرض عندما تكون يابسة لا نبات فيها شبيهة بالميت، وقد قال تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ انظر تفسيرها وشرحها هناك.

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: فهم معترفون بأن الله هو الموجد للممكنات بأسرها، أصولها، وفروعها، ثم هم يشركون به بعض مخلوقاته، الذي لا يقدر على شيء من ذلك، وكان الأحرى بهم أن يعبدوه، ويوحدوه ما داموا يعترفون بأنه هو الذي ينزل الغيث من السماء، وما داموا يعترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وسخر الشمس، والقمر، ولكنهم لا يعقلون كما ذكر الله ذلك عنهم كثيراً.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الخطاب للنبي ﷺ؛ أي: احمد الله يا محمد على نعمته عليك حيث عصمك من مثل ضلالهم، وهداك الصراط المستقيم، وأنعم عليك بالرسالة، والنبوة، وأيدك

بالحجج الدامغة، والبراهين الساطعة. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يفهمون فيناقض فعلهم قولهم، حيث يقرون بأن الله هو المبدئ لكل ما عداه، ثم يشركون به أحقر خلقه. وذكر الأكثر؛ إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ مبلغ التكليف، أو لأنه يقام مقام الكل، وانظر سورة الروم رقم [٦].

الإعراب: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾: انظر الآية رقم [٦١]. ﴿مَّن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿نَّزَّلَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَّن﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مَاءً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها؛ صار حالاً». ﴿مَاءً﴾: مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿مَّن نَّزَّلَ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني لـ: (سأل). ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المدلول عليه باللام الموطئة. (يقولن): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون حرف لا محل له. ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ خبره محذوف، التقدير: الله نزل من السماء ماء، والمعنى: لا يؤيد التقدير الثاني، الذي ذكرته في الآية رقم [٦١]، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَيَقُولُنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، وجواب الشرط محذوف على مثال ما رأيت في الآية رقم [٦١]، والكلام: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم...﴾ إلخ مستأنف لا محل له.

﴿قُلِ﴾: فعل أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿الْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وانتقال. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وهو أولى من العطف على ما قبلها؛ لأنها ليست من مقول القول. تأمل وتدبر، وربك أعلم. وأجل وأعظم.

﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: إشارة تحقير؛ كيف لا؟ وهي لا تزنُ عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً جرعة ماء، ولقد وصف الله تعالى في هذه الآية وغيرها الحياة التي يحياها ابن آدم بالدنيا لدناءتها، وحقارتها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، ورحم الله الحريري؛ إذ يقول: [الكامل]

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّة إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ في يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَداً تَبّاً لَهَا مِنْ دَارِ

أو هي من الدنو، وهو القرب؛ لأنها في متناول يد الإنسان ما دام حيًّا.

﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ أي: إلا كما يلهو ويلعب به الصبيان، ويجتمعون عليه، ويبتهجون به ساعة، ثم يتفرقون متعبين. هذا؛ واللهو: هو الاستمتاع بلذات الدنيا. وقيل: هو الاشتغال بما لا يعنيه، وما لا يهمه. واللعب: هو العبث، أي ليس ما أعطاه الله الأغنياء من الدنيا؛ إلا وهو يضمحل، ويزول، كاللعب الذي لا حقيقة له، ولا ثبات، قال بعضهم: إن بقيت لك الدنيا؛ لم تبق لها، وأنشد: [الطويل]

تروحُ لَنَا الدُّنْيَا بِغَيْرِ الَّذِي غَدَتْ وتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الأُمُورِ أمُورُ
وتَجْرِي اللَّيَالي باجتماعٍ وَفُرْقَةٍ وتَطْلُعُ فِيهَا أَنْجُمٌ وَتَغُورُ
فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الدَّهْرَ بَاقٍ سُرُورُهُ فَذَاكَ مُحَالٌ، لا يَدُومُ سُرُورُ
عَفَا اللهُ عَمَّنْ صَيَّرَ الْهَمَّ وَاحِداً وَأَيْقَنَ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

وما أحسن قول الشافعي، رضي الله عنه: [الطويل]

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْماً لأَهْلِهَا وَإِنْ تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: التي تكون بعد الموت، وبعد البعث، والحشر، والحساب والجزاء، والمراد بها: الجنة، ونعيمها الدائم. ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: هي دار الحياة الباقية، التي لا تزول، ولا موت فيها، وهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها، أو جعلت في ذاتها حياة للمبالغة.

و﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ مصدر: حَيِيَ، سُمِّيَ به ذُو الحياة، وأصله عند سيبويه، وأتباعه: حَيَيَان، فقلبت الياء الثانية واواً، وهو شاذ. قال أبو البقاء: لئلا يلتبس بالتثنية، ولم تقلب ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، لئلا تحذف إحدى الألفين. وقال البيضاوي: وهو أبلغ من الحياة؛ لما في بناء: «فَعَلَان» من الحركة، والاضطراب اللازم للحياة، ولذا اختير عليها هاهنا. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: حقيقة الدارين؛ لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿هَٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: بدل من ﴿هَٰذِهِ﴾، أو عطف بيان عليه. ﴿ٱلدُّنْيَآ﴾: صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف

للتعذر. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لَهْوٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَعِبٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿الدَّارَ﴾: اسم (إن)، وقدر أبو البقاء، وغيره: وإن حياة الدار الآخرة، وإنما قدروا ذلك ليتطابق المبتدأ، والخبر. ﴿الْآخِرَةَ﴾: صفة: ﴿الدَّارَ﴾. ﴿لَهِيَ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى المزحلقة. (هي): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿الْحَيَوَانُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ والرابط: الضمير فقط. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، انظر تقديره في الشرح، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف، أو معترض في آخر الكلام، لا محل له على الاعتبارين.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا﴾ أي: ركب المشركون في السفن، وخافوا الهلاك، والغرق، وهذا مع كونهم وصفوا بالشرك، والعناد، فإذا ركبوا في البحر، وخافوا الغرق. ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: تركوا الأصنام، ولجؤوا إلى الله بالدعاء، والتضرع حالة كونهم كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين؛ حيث لا يذكرون إلا الله، ولا يدعون سواه، لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ أي: إلى الأرض اليابسة. ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: عادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك، والعناد. وقيل: إن أهل الجاهلية كانوا إذا ركبوا البحر؛ حملوا أصنامهم معهم، فإذا اشتدت الريح، وخافوا الغرق؛ ألقوها في البحر، وقالوا: يا رب! وقيل: إشراكهم أن يقول قائلهم: لولا الله، والرئيس أو الملاح؛ لغرقنا، فيجعلون ما فعل الله بهم من النجاة قسمة بين الله وبين خلقه.

أقول: وهذا القول لا يقتصر على المشركين، بل هو يعم المسلمين؛ إذا قال أحدهم: لولا فلان؛ لكان كذا، واعتقد بأن لفلان، أو لشيء تأثيراً في جلب نفع، أو جلب شر. وهذا ما يسمى بالشرك الأصغر، لذا ينبغي للمسلم أن ينزه نفسه عن ذلك خوفاً من تطرق الشرك إليه، وهو لا يشعر به، قال الرسول ﷺ لعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «**يا غُلَامُ! إنِّي أعلِّمُك**

كلماتٍ: احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ؛ إذَا سأَلْتَ؛ فاسْأَلِ الله، وَإذَا اسْتَعَنْتَ؛ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعتْ علَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ؛ لَمْ ينفعوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجْتَمعَتْ على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصحفُ». رواه الترمذي.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿رَكِبُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح، وجملة: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ جواب: (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿مُخْلِصِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُخْلِصِينَ﴾. ﴿ٱلدِّينَ﴾: مفعوله. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٣١]. ﴿نَجَّىٰهُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الله، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً، وابتدائية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً. ﴿إِذَا﴾: كلمة دالة على المفاجأة هنا واقعة في جواب (لما)، وانظر تفصيل الكلام فيها في الآية رقم [٣٢] من سورة (الشعراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُشْرِكُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية جواب (لما) لا محل لها، على اعتبار ﴿إِذَا﴾ حرفاً، وهو قول الأخفش، وابن مالك، و(لما) ومدخولها كلام معطوف على (إذا) ومدخولها، أو هو مستأنف، لا محل له على الاعتبارين.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: اللام لام التعليل، ومتعلقة بما قبلها؛ إذ التقدير: إذا هم يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة. ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾: معطوف على ما قبله على قراءة كسر اللام، واعتبارها للتعليل، فيكون المعنى: يعودون إلى شركهم بعد نجاتهم من الغرق؛ ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة، قاصدين التمتع والتلذذ بها لا غير، على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة، فإنهم يشكرون نعمة الله إذا أنجاهم، ويجعلون نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة، لا إلى التلذذ، والتمتع، وعلى هذا لا وقف على قوله ﴿يُشْرِكُونَ﴾؛ لأنه

ينقطع التعليل عن المعلل. هذا؛ ومن اعتبر اللام فيهما للأمر محتجاً بقراءة ابن كثير، وحمزة، وعلي بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ إلخ فيكون الكلام مستأنفاً، والوقوف على ﴿يُشْرِكُونَ﴾ جيد. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: سوء تدبيرهم عند تدميرهم، فهذا تهديد، ووعيد صراحة.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف جاز أن يأمر الله بالكفر، وبأن يعمل العصاة ما شاؤوا وهو ناهٍ عنه، ومتوعد عليه؟! قلت: هو مجاز عن الخذلان، والتخلية، وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية، ومثاله: أن ترى الرجل قد عزم على أمر، وعندك: أن ذلك الأمر خطأ، وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم، فتبالغ في نصحه، واستنزاله عن رأيه، فإذا لم تر منه إلا الإباء، والتصميم؛ حردت عليه، وقلت: أنت وشأنك، وافعل ما شئت! فلا تريد بهذا حقيقة الأمر. كيف والآمر بالشيء مريد له؟! وأنت شديد الكراهة، متحسر، ولكنك كأنك تقول له: فإذا قد أبيت قبول النصيحة، فأنت أهل لأن يقال لك: افعل ما شئت، وتبعث عليه؛ ليتبين لك إذا فعلت صحة رأي الناصح، وفساد رأيك. انتهى. بحروفه. أقول: ومن هذه المشكاة قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ رقم [٤٠] من سورة (فصلت).

الإعراب: ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، وأن المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُشْرِكُونَ﴾. هذا؛ وعلى اعتبار اللام لام الأمر، فالفعل مجزوم، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون، و(نا): فاعله، والهاء مفعوله الأول، والمفعول الثاني، وهو العائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: (بالذي)، أو بشيء آتيناهموه. ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾: معطوف على ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾ على الوجهين المعتبرين فيه. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: هي الفصيحة، ولا وجه له. (سوف): حرف تسويف، واستقبال. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعني: أهل مكة. ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أي: جعلنا بلدهم، وهو مكة آمناً مصوناً من النهب، والتعدي، ومن القتل، والسبي. ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: يختلسون

قتلاً، وسبياً؛ إذ كانت العرب حول الكعبة يغزو بعضهم بعضاً، ويتغاورون، ويتناهبون، وأهل مكة قارُّون آمنون فيها، لا يغزون، ولا يغار عليهم مع قلتهم، وكثرة العرب حولهم، فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة بهم. هذا؛ والتخطف: الانتزاع، والأخذ بسرعة.

ولا تنس: أن ذلك كان تحقيقاً لدعوة إبراهيم، وإجابة لسؤاله، فقد قال الله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٢٦]: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، وقال في السورة المسماة باسمه رقم [٣٥]: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ فقد حقق الله رجاءه، وأجاب دعوته، والحمد لله رب العالمين، وكان ذلك فخراً للمسلمين إلى يوم الدين.

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ يعني: الشيطان، والأصنام. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يؤملون أن تنفعهم، والمعنى: أَبَعْدَ هذه النعمة الظاهرة وهي الأمن، والاستقرار في بلدهم، وغير هذه النعمة مما لا يقدر عليه إلا الله يؤمنون بالأصنام، وينقادون للشيطان؟! ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي: بمحمد ﷺ والإسلام يكفرون؛ حيث أشركوا مع الله في العبادة أحقر خلقه. هذا؛ ولم يذكر الله الضمير: (هم) هنا، وذكره في سورة (النحل) رقم [٧٢] بقوله: ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ لأن ما في سورة (النحل) اتصل بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ وهو بالخطاب كما ترى، فلو ترك: (هم) لالتبست الغيبة بالخطاب بأن تبدل الياء تاء.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، والفعل بصري، لا علمي. ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و: (نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿حَرَمًا﴾: مفعول به. ﴿ءَامِنًا﴾: صفة ﴿حَرَمًا﴾، وجملة: ﴿جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَيُتَخَطَّفُ﴾: الواو: واو الحال. (يتخطف): فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: نائب فاعل. ﴿مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: (يتخطف...) إلخ في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وهم يتخطف الناس من حولهم. والجملة الاسمية هذه في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ ولا يجوز اعتبار الجملة الفعلية حالاً بمفردها؛ لاقترانها بالواو، وهي مضارعية، وهذا ممتنع كما هو معروف في القواعد النحوية.

قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وذاتُ بَدْءٍ بمضارعٍ ثَبَتْ حَوَتْ ضَميراً ومِنَ الواوِ خَلَتْ

وَذَاتُ واوٍ بَـعْـدَهَـا انـوِ مُـبْـتَـدَا لَـهُ الـمـضـارعَ اجْـعَـلَـنَّ مُـسْـنَـدَا

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف، التقدير: أيكفرون بالله الذي هذا شأنه، فيؤمنون. (بالباطل): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي معطوفة على المقدرة، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَبِنِعْمَةِ﴾: الواو: حرف عطف. (بنعمة): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و(نعمة) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿يَكْفُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم ممن جعل مع الله شريكاً وولداً، وإذا فعل فاحشة قال: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ...﴾ إلخ، فقد جمعوا بين أمرين لا يجتمعان عند عاقل: افتراؤهم على الله بما هو باطل غير ثابت بالحجة، أو المعنى: لا أحد أظلم ممن ذهب إلى أحد الأمرين، فكيف بمن جمع بينهما، والأمر الأول هو ما زعمه مشركو العرب من كون الملائكة بنات الله تعالى، والأمر الثاني هو تكذيبهم بالقرآن الكريم، وبالمعجزات التي أيد الله بها نبيه محمداً ﷺ.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ أي: بمحمد ﷺ، أو بالقرآن، وفي لفظ: ﴿لَمَّا﴾ تسفيه لهم حيث لم يتوقفوا، ولم يتأملوا قط حين جاءهم، بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه، ولم يفعلوا كما يفعل العقلاء المتثبتون في الأمور، يسمعون الخبر، فيستعملون فيه الروية، والفكر، ويستأنون إلى أن يتضح لهم صدقه، أو كذبه.

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: هذا تقرير لثوائهم؛ لأن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفي صار إيجاباً فيرجع إلى معنى التقرير، قال تعالى لنبيه ﷺ في سورة (الضحى): ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، وقال له في سورة (الشرح): ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، وقال جرير يخاطب عبد الملك بن مروان، ويمدحه: [الوافر]

أَلَـسْـتُـمْ خَـيْـرَ مَـنْ رَكِـبَ الْـمَـطَـايَـا وَأَنْـدَى الْـعَـالَـمِـيـنَ بُـطُـونَ رَاحِ؟

إذ المعنى: ألا يستوجبون، ويستحقون الثواء في جهنم، والإقامة فيها، وقد افتروا على الله مثل هذا الكذب، وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب، أو لاجترائهم على الله؛ أي: ألم يعلموا علم اليقين، ويستقر في نفوسهم: أن في جهنم مثوى للكافرين المكذبين؛ حتى اجترؤوا على الله هذه الجرأة؟!

هذا؛ و﴿مَثْوًى﴾ بمعنى: مأوى، وكلاهما بمعنى المستقر، والملجأ، والفرق بينهما: أن المثوى مكان الإقامة المنبئة عن المكث، وأما المأوى فهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ولو مؤقتاً، وقدم المأوى على المثوى في قوله تعالى: ﴿وَمَأْوَنهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّلِمِينَ﴾؛ لأنه على الترتيب الوجودي يأوي، ثم يثوي. هذا و﴿مَثْوًى﴾ مشتق من: ثوى بالمكان: إذا أقام به ثواءً، وثُوِيًّا، مثل: مضى، يمضي مَضاء، ومُضِيًّا، ولو كان من: أثوى لكان: مُثوىً، وهذا يدل على أن «ثوى» هي اللغة الفصيحة، وحكى أبو عبيد: أثوى، وأنشد قول الأعشى: [الكامل]

أَثْـوى وقـصَّـر لـيـلـةً لِـيـزَوَّدَا ومـضـى وأخـلـفَ مـن قُـتَـيْـلَـةَ مَـوْعِـدَا

والأصمعي لا يعرف إلا «ثوى» ويروى البيت (أَثَوى) على الاستفهام، وأثويت غيري يتعدى، ولا يتعدى.

الإعراب: ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَظْلَمُ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مَنْ). ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (من)، أو صفتها. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (من) أيضاً. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَمَّا﴾: ظرف زمان بمعنى «حين» مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿كَذَّبَ﴾. ﴿جَآءَهُۥٓ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الحق، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها، وجملة: ﴿كَذَّبَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ٱفْتَرَىٰ...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها. والجملة الاسمية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام تقريري. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿فِى جَهَنَّمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (ليس) تقدم على اسمها، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿مَثْوًى﴾: اسم (ليس) مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة، لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿مَثْوًى﴾، وجملة: ﴿أَلَيْسَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ أي: جاهدوا في طلب مرضاتنا. فقد أطلق المجاهدة، ولم يقيدها بمفعول؛ ليتناول كل ما تجب مجاهدته، من النفس، والشيطان، وأعداء الدين. قال

أبو سليمان الداراني: ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط، بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وأعظمه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله، وهو الجهاد الأكبر، فقد روى البيهقي بإسناد حسن صحيح: أن أصحاب رسول الله ﷺ حين قدموا من الجهاد، تلقاهم الرسول ﷺ، وقال لهم: «**مَرْحَباً بكمْ قدِمْتُمْ مِنَ الجهادِ الأصغرِ إلى الجهادِ الأكبرِ**». قالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأكبرُ يا رسولَ اللهِ؟! قالَ: «**جهادُ النفسِ**».

وقال عبد الله بن عباس، وإبراهيم بن أدهم ـ رضي الله عنهما ـ: الآية في الذين يعملون بما يعلمون؛ وقد قال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ؛ عَلَّمَهُ اللهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ**». ونزع بعض العلماء إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾. وقال عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ: إنما قصّر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا، ولو عملنا ببعض ما علمنا لأوْرَثنا علماً لا تقوم به أبداننا، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طرق السير إلينا، والوصول إلى جنابنا، أو لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير، وتوفيقاً لسلوكها، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ وهاك أقوالاً أخر في تفسير هذه الآية: فعن الفضيل قوله: والذين جاهدوا في طلب العلم؛ لنهدينهم سبل العمل به. وعن سهل قوله: والذين جاهدوا في إقامة السنة؛ لنهدينهم سبل الجنة. وعن ابن عطاء قوله: والذين جاهدوا في رضانا؛ لنهدينهم إلى الوصول إلى محل الرضوان. وعن ابن عباس قوله: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وعن الجنيد قوله: والذين جاهدوا في التوبة؛ لنهدينهم سبل الإخلاص، أو جاهدوا في خدمتنا، لنفتحنَّ عليهم سبل المناجاة معنا، والأنس بنا، أو جاهدوا في طلبنا تحرِّياً لرضانا؛ لنهدينهم سبل الوصول إلينا. انتهى. نسفي.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾: بالعون، والرعاية، والتوفيق، والهداية، ومع جميع الناس بالعلم، والقدرة، والإحاطة، فبين المعنيين بَوْنٌ، ومع المحسنين بالنصرة، والمعونة في الدنيا، وبالثواب والمغفرة في العقبى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿جَاهَدُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِينَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نهدينهم): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿سُبُلَنَا﴾: مفعول به، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ جواب القسم

المحذوف، والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ، وانظر الآية رقم [٥٨] ففيها كبير فائدة، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم (إن). ﴿لَمَعَ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى: (المزحلقة) هنا. (مع): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر: (إن)، و(مع) مضاف، و﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الفاعل المستتر؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو فقط. تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، ورحم الله قيس بن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنهما ـ إذ يقول: [مخلع البسيط]

يا نَاظِراً في الكتابِ بَعْدِي ... مُجْتَنِياً مِنْ ثمارِ جُهْدِي
بِي افتقارٌ إلى دُعَاءٍ ... تهدِيهِ لِي في ظَلامِ لَحْدِي

انتهت سورة العنكبوت شرحاً وإعراباً، بحمد الله وتوفيقه
والحمد لله رب العالمين.

سورة الروم

سورة الروم، وهي مكية كلها، وهي ستون آية، وثمانمئة وتسع عشرة كلمة، وثلاثة آلاف وخمسمئة وأربعة وثلاثون حرفاً. انتهى. خازن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾

الشرح: ﴿الٓمٓ﴾: أَلِفْ لامْ مِيمْ، اعلم: أن مجموع الأحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفاً، وهي نصف حروف الهجاء، وقد تفرقت في تسع وعشرين سورة، ولم يثبت عن النبي ﷺ في هذه الفواتح شيء، يصلح للتمسك به؛ لذا كان بعده فيها مذهبان: مذهب السلف: التفويض، ومذهب الخلف: التأويل، فالصحابة، والتابعون لم يخوضوا في تفسيرها، ويكلون العلم بها إلى الله تعالى. فعن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: في كل كتاب سِرٌّ، وسِرُّ الله في القرآن أوائل السور. وعن عمر، وعثمان، وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ: أنهم قالوا: الحروف المقطعة من السر المكتوم؛ الذي لا يفسر. وعن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: أنه قال: إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي. ولكن بعد أن اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، ودخل أكثر أهل البلاد المفتوحة في الدين الإسلامي الحنيف، وظهرت الملل، والنحل خصوصاً في العصر العباسي؛ اضطر علماء المسلمين للخوض في تفسير هذه الحروف، وأعني بهؤلاء الخلف، وبمذهبهم مذهب الخلف، وكثرت الأقوال والتفاسير في ذلك:

فقيل: كل حرف مفتاح اسم من أسماء الله تعالى، فالألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه اللطيف، والميم مفتاح اسمه المجيد. وقيل: الألف آلاءُ اللهِ، واللام لُطْفه، والميم مُلكه. وقيل: هي أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها، لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها، ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعاً. وقيل: هي أسماء للسور التي بدئت بها. وقيل: غير ذلك. انتهى. من تفسير سورة (البقرة).

وينبغي أن تعلم: أن هذا اللفظ أعني: ﴿الٓمٓ﴾ قد ذكر في أول سورة (البقرة)، وأول سورة (آل عمران)، وأول سورة (العنكبوت) وأول سورة (الروم) هذه، وأول سورة (لقمان) وأول سورة

(السجدة) وذكر في أول سورة (الأعراف) ﴿الٓمٓصٓ﴾، وفي أول سورة (الرعد) ﴿الٓمٓرۚ﴾، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾: الروم اسم قبيلة، سميت باسم جدها الأول، وهو: روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، على نبينا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. وسبب نزول الآيات على ما ذكره المفسرون: أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم؛ لأن الفرس كانوا مجوساً أميين مثل المشركين، وكان المسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب مثل المسلمين، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم استعمل عليهم رجلاً، يقال له: شهريزان، وبعث قيصر جيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى بُخِّين. وقيل: بخْنَس، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى بلاد الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار قريش، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أمِّيُّون، وفارس أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا؛ لنظهرن عليكم.

فأنزل الله تعالى هذه الآية فخرج أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إلى كفار مكة، وقال: فرحتم بظهور إخوانكم، فلا تفرحوا، فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ، فقام إليه أُبيُّ بنُ خَلَف الجمحي، وقال: كذبت! فقال له الصديق ـ رضي الله عنه ـ: أنت أكذب يا عدوَّ الله! فقال: اجعل أجلاً أناحبك عليه، والمناحبة: القمار والمراهنة؛ أي: أراهنك عليه، فناحبه على عشر قلائص مِني، وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت لك، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت لي. ففعلوا، وجعلوا الأجل ثلاث سنين، فجاء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بذلك، وكان ذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: «**ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايِدْه في الخطر، ومادِدْه في الأجل**». فخرج أبو بكر، رضي الله عنه، فلقي أُبَيًّا، فقال: لعلك ندمت، فقال: لا، فتعال أزيدك في الخطر، وأمادِدُك في الأجل فاجعلها مئة قلوص إلى تسع سنين. وقيل: إلى سبع.

فلما خشي أُبَيُّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه، ولزمه، وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة، فأقم لي كفيلاً ضامناً، فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد، أتاه عبد الله بن أبي بكر، فلزمه، وقال: لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً، ثم خرج إلى أحد، ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة، ومات بها من جراحته التي جرحه إياها النبي ﷺ حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم. وقيل: كان يوم بدر، وربطت الروم خيولهم بالمدائن. وبنوا بالعراق مدينة، وسَمّوْها رُومِيَّةَ، فقمر أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أُبَيًّا، وأخذ مال الخطر

من ورثته، وجاء به إلى النبي ﷺ، وذلك قبل أن يُحَرَّم القمار، فقال له النبي ﷺ: «**تصدق به**». انتهى. خازن.

وكان سبب غلبة الروم فارساً على ما قاله عكرمة وغيره: أن شهريزان لما غلب الروم لم يزل يطؤهم، ويخرب مدائنهم؛ حتى بلغ الخليج، فبينا أخوه فرُّخان جالس ذات يوم يشرب؛ قال لأصحابه: لقد رأيت أني جالس على سرير كسرى، فبلغت كلمته كسرى! فكتب إلى شهريزان: إذا أتاك كتابي فابعث إليَّ برأس أخيك فَرُّخان! فكتب إليه: أيها الملك! إنك لم تجد مثل فرخان، إن له لنكاية، وصولة في العدو، فلا تفعل! فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفاً عنه، فعجِّل إليَّ برأسه! فراجعه، فغضب كسرى، ولم يجبه وبعث بريداً إلى أهل فارس: إني قد عزلت عنكم شهريزان، واستعملت عليكم فرخان، ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة، وأمره فيها بقتل شهريزان، وقال: إذا ولي فرُّخان الملك، وانقاد له أخوه، فأعطه الصحيفة.

فلما وصل البريد إلى شهريزان عرض عليه كتاب كسرى، فلما قرأه قال: سمعاً وطاعةً، ونزل عن سرير الملك، وأجلس عليه أخاه فَرُّخان، فدفع البريد الصحيفة إلى فرخان فلما قرأها استدعى أخاه شهريزان، وقدمه ليضرب عنقه، فقال له: لا تعجل حتى أكتب وصيتي! قال: نعم، فدعا بسفط، ففتحه، وأعطاه ثلاث صحائف منه، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت تريد قتلي بكتاب واحد، فرد فرخان الملك إلى أخيه شهريزان.

ثم كتب إلى قيصر ملك الروم: أما بعد: إن لي إليك حاجة، لا تحملها البرد، ولا تبلغها الصحف، فَالْقَني في خمسين روميًّا حتى ألقاك في خمسين فارسياً، فأقبل قيصر في خمسمئة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق، مخافة أن يمكر به شهريزان حتى أتاه عيونه، فأخبروا: أنه ليس معه إلا خمسون فارسياً، فلما التقيا ضربت لهما قبة، فيها ديباج، فدخلاها ومع كل واحد منهما سكين، ودعيا بترجمان يترجم بينهما، فقال شهريزان: إن الذي خرب بلادك أنا، وأخي بكيدنا، وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا، وأراد أن يقتل أخي، فأبيت عليه، ثم أمر أخي بقتلي، فأبى عليه، وقد خلعناه، ونحن نقاتله معك، فقال: قد أصبتما، وأشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين، فإذا جاوزهما فشا، فقتلا الترجمان معاً بسكينهما، ونشبت الحروب بعدئذ، وأديل للروم على فارس عند ذلك، وغلبوهم، وقتلوهم، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ففرح، ومن كان معه من المسلمين بذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ...﴾ إلخ. انتهى. خازن. والبادئ في الحرب الأولى الفرس، وفي هذه الروم.

﴿أَدْنَى﴾: أقرب. قال ابن عطية، فإن كانت الواقعة بأذرعات، فهي من أدنى الأرض بالقياس إلى مكة، وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله: [الطويل]

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا ... بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي

وإن كانت الواقعة في الجزيرة، فهي أدنى بالقياس إلى أرض كسرى، وإن كانت بالأردن، فهي أدنى إلى أرض الروم. وكان في هذا الإخبار دليل على نبوة محمد ﷺ؛ لأن الروم قد غلبتها فارس، فأخبر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، وأن المؤمنين يفرحون بذلك، وفي هذا الإخبار دليل على أن القرآن من عند الله؛ لأن الآيات أنبأت عن علم الغيب؛ الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ لبيان شدة ضعفهم، أي: انتهى ضعفهم إلى أن وصل عدوهم إلى طرف بلادهم، وكسروهم، وهم في بلادهم، ثم غلبوا حتى وصلوا إلى المدائن، وبَنَوْا هناك الروميَّة، لبيان: أن هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم كان، بإذن الله تعالى. انتهى جمل نقلاً من كرخي. قال الزمخشري: وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة نبوة النبي ﷺ، وأن القرآن من عند الله؛ لأنها إنباء عن علم الغيب؛ الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

الإعراب: ﴿الٓمٓ﴾: في إعراب هذا اللفظ وجوه: الأول: أن محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذه الٓمٓ. أو هو مبتدأ خبره ما بعده. والثاني: أن محله النصب على أنه مفعول به لفعل محذوف، التقدير: اقرأ، أو اتْلُ الٓمٓ، أو هو منصوب على تقدير حذف حرف القسم، كما تقول: الله لأَفْعَلَنَّ، والناصب فعل محذوف أيضاً، التقدير: التزمت الله، أي: اليمين به. والثالث: أن محله الجر على القسم، وحرف الجر محذوف، وبقي عمله بعد الحذف؛ لأنه مراد، فهو كالملفوظ به، وتقدير الكلام على هذا: أقسم، أو أحلف بـ: الٓمٓ، وضعف هذا سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ، فقال: وهذا ضعيف؛ لأن ذلك؛ أي: حذف الجار، وإبقاء عمله من خصائص الجلالة المعظمة، لا يشركها فيه غيرها. ولا محل لها من الإعراب على اعتبارها وأمثالها حروفاً مقطعة، أو مختصرة من أسماء.

﴿غُلِبَتِ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿ٱلرُّومُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر: ﴿الٓمٓ﴾ على وجه مر ذكره في إعرابها. ﴿فِيٓ أَدۡنَى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿أَدۡنَى﴾ مضاف، و﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِّنۢ بَعۡدِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و﴿بَعۡدِ﴾: مضاف، و﴿غَلَبِهِمۡ﴾ مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف؛ إذ التقدير: من بعد غلب فارس لهم. ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾: السين: حرف استقبال. (يغلبون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الروم، والرابط:

الواو، والضمير. هذا؛ واقتران الجملة الخبرية بالسين، لا يضر، وهو من قبيل الوعد، ووعد الله حق، لا يخلف فكان بمنزلة الواقع حالاً، وإن اعتبرتها معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، فمحلها مثلها، والحالية أقوى.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾: البضع مأخوذ من: بضعت الشيء؛ أي: قطعته، فهو قطعة من العدد، وهو في العدد بكسر الباء، وبعض العرب يفتحها، وهو ما بين الثلاث إلى التسع، تقول: بضع سنين، وبضعة عشر رجلاً، وبضع عشرة امرأة، فإذا جاوزت لفظ العشر، ذهب البضع، لا تقول: بضع وعشرون، وقد يقال. والبضع: الطائفة من الليل، والبضع بضم الباء: الجماع، أو الفرج نفسه، والمهر، والطلاق، وعقد النكاح. وقد أبهم البضع ولم يبينه، وإن كان معلوماً لنبيه ﷺ، لإدخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت. انتهى. جمل نقلاً من الرازي.

﴿سِنِينَ﴾: جمع سنة، والأصل فيها ألا تجمع بالياء والنون؛ لأن الواو والنون لمن يعقل، ولكن جاز ذلك فيها، وإن كانت ممن لا يعقل للحذف الذي دخلها؛ لأن أصلها سنوة. وقيل: سنهة على فعلة، دليله قولهم: في جمع الأول سنوات جمع مؤنث سالم، وقولهم: سانهت، وتجمع على سنهات، كسرت السين في ﴿سِنِينَ﴾ لتدل على أنه جمع على غير الأصل؛ لأن كل ما جمع جمع السلامة، لا يتغير فيه بناء الواحد، فلما تغير بناء الواحد في هذا الجمع بكسر أوله، وقد كان مفتوحاً في الواحد؛ علم أنه جمع على غير أصله، لذا فإنه يلحق بجمع المذكر السالم إلحاقاً، والنسبة إلى سنة: سنهي، أو سنوي.

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾: أخبر الله تعالى بانفراده بالقدرة، وأن ما في العالم من غلبة وغيرها إنما هي منه، وبإرادته، وقدرته، فقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: إنفاذ الأحكام. و﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من قبل كل شيء، ومن بعد كل شيء، أو حين غلبوا، وحين يغلبون، والمعنى: أن كونهم مغلوبين أولاً، وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله، وقضائه، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾. هذا؛ و﴿قَبْلُ﴾ و﴿بَعْدُ﴾ ظرفان بنيا على الضم؛ لأنهما تعرّفا بحذف ما أضيفا إليهما، وصارا متضمنين ما حذف، فخالفا تعريف الأسماء، وأشبها الحروف في التضمين، فبنيا، وخُصّا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد في أنه إذا نكر وأضيف؛ زال بناؤه، وكذلك هما، فضما. هذا؛ وقرئ شاذاً بالجر بالتنوين، وعدمه.

(يومئذ): التنوين فيه ينوب عن جملة محذوفة، دلت عليها الغاية، أي: يوم ينتصر الروم على الفرس، و(إذ) مضافة لهذه الجملة في الأصل، فإن أصل الكلام: يوم إذ ينتصر الروم على الفرس، ويتحقق وعد الله بنصرهم، فحذفت الجملة الفعلية، وعوض عنها التنوين، وكسرت

الذال لالتقاء الساكنين، كما كسرت الهاء في صَهٍ، ومَهٍ عند تنوينهما، ومثل ذلك قل في: حينئذ، وساعتئذ، ونحوهما، وانظر الفرح في الآية رقم [٣٢] الآتية.

الإعراب: ﴿فِي بِضْعِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (يغلبون) و﴿بِضْعِ﴾ مضاف، و﴿سِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿الْأَمْرُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وهو أولى من تعليقهما بمحذوف خبر ثان، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنى، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: في ألفيته: [الرجز]

وَاضْمُمْ بِنَاءً غَيْراً أَنْ عَدِمْتَ مَا ... لَهُ أُضِيفَ نَاوِياً مَا عُدِمَا
قَبْلُ كَغَيْرُ بَعْدُ حَسْبُ أَوَّلُ ... وَدُونَ وَالْجِهَاتُ أَيْضاً وَعَلُ

(من بعد): جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: الواو: حرف استئناف. (يومئذ): ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين. ﴿يَفْرَحُ﴾: فعل مضارع. ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي معطوفة على ما قبلها، ولا محل لها على الاعتبارين.

﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ أي: يفرح بنصر الله مَنْ له كتاب، وهم الروم على من لا كتاب له، وهم الفرس، لما في ذلك من انقلاب التفاؤل، وظهور صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من أهل مكة، وغلبة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في رهانه مع أبي بن خلف كما رأيت، وازدياد يقينهم، وثباتهم في دينهم. ﴿يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: من أوليائه على أعدائه؛ لأن نصره مختص بغلبة أوليائه؛ لأعدائه، فأما غلبة أعدائه لأوليائه؛ فليس بنصر، وإنما هو ابتلاء، وقد يسمى ظفراً. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: القوي الغالب القاهر ينتقم من أعدائه. ﴿الرَّحِيمُ﴾: بأهل طاعته، ينصرهم؛ إن نصروا دينه، وتعاليم نبيه.

الإعراب: ﴿بِنَصْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل يفرح، و(نصر) مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف، انظر الشرح. ﴿يَنصُرُ﴾: فعل مضارع،

والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ينصر الذي، أو: شخصاً يشاء نصره، والجملة الفعلية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط. وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل (ينصر) المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها أيضاً.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: وعد الله وعداً قاطعاً بظهور الروم على فارس. ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾: لامتناع الخلف في حقه تعالى كرماً، وجوداً. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحقيقة، ولا يفهمونها، وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لا يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حد التكليف، أو لأنه يقام مقام الكل. وخذ قول الشاعر: [البسيط]

لَمْ يبقَ مِنْ جُلِّ هذا الناسِ باقيةٌ ... يَنَالُهَا الْوَهْمُ إلا هذِهِ الصُّوَرُ
لا يُدْهِمَنَّكَ مِنْ دهمائِهِمْ عَدَدٌ ... فإنَّ جُلَّهُمُ بَلْ كُلُّهُمْ بَقَرُ

دهمه: غشيه، يقول: لا يدهمنك من جماعتهم الكثيرة عدد فيهم غناء، ونصرة، فإن كلهم كالأنعام، والبهائم، ولله دَرُّ القائل: [المنسرح]

لا يُدْهِمَنَّكَ اللِّحَاءُ والصُّوَرُ ... تِسْعَةُ أعشارِ مَنْ تَرَى بَقَرُ
في شَجَرِ السَّرْوِ منهمُ شَبَهٌ ... لَهُ رُوَاءٌ مَا لَهُ ثَمَرُ

ورضي الله عن حسان بن ثابت؛ إذ يقول: [البسيط]

لا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ ومِنْ عِظَمٍ ... جِسْمُ الجِمالِ وأحْلَامُ الْعَصَافِيرِ

هذا والفعل ﴿يَعْلَمُونَ﴾ من المعرفة، لا من العلم اليقيني، والفرق بينهما: أن المعرفة تكتفي بمفعول واحد، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

لِعِلْمِ عِرْفَانٍ وَظَنِّ تُهَمَهْ ... تَعْدِيَةٌ لِوَاحِدٍ مُلْتَزَمَهْ

بخلافه من العلم اليقيني، فإنه ينصب مفعولين، أصلهما: مبتدأ، وخبر، وأيضاً فالمعرفة تستدعي سبق جهل، وأن متعلقها الذوات دون النِّسَب بخلاف العلم، فإن متعلقه المعاني، والنِّسَب، وتفصيل ذلك: أنك إذا قلت: عرفت زيداً؛ فالمعنى: أنك عرفت ذاته، ولم ترد أنك

عرفت وصفاً من أوصافه، فإذا أردت هذا المعنى لم يتجاوز مفعولاً؛ لأن العلم، والمعرفة تناول الشيء نفسه، ولم يقصد إلى غير ذلك، وإذا قلت: علمت زيداً قائماً، لم يكن المقصود: أن العلم تناول نفس زيد فحسب، وإنما المعنى: أن العلم تناول كون زيد موصوفاً بهذه الصفة. هذا؛ والوعد يستعمل في الخير والشر، وانظر الآية رقم [٦١] من سورة (القصص) ففيها الكفاية.

الإعراب: ﴿وَعۡدَ﴾: مفعول مطلق عامله محذوف دل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ لأن هذا الكلام كان بمنزلة الوعد للمؤمنين، و﴿وَعۡدَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُخۡلِفُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿وَعۡدَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط إعادة اللفظ الكريم بعينه وهي مؤكدة لمعنى المصدر، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلست مفنداً. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكۡثَرَ﴾: اسمها، و﴿أَكۡثَرَ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعۡلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (لكنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له.

﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾

الشرح: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: ما يشاهدونه منها، والتمتع بزخارفها، ويعلمون أمر معاشهم؛ كيف يكسبون، ويتجرون، ومتى يغرسون، ويزرعون، ويحصدون. قال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره، فيذكر وزنه لا يخطئ؛ وهو لا يحسن أن يصلي. وقيل: إن المعنى لا يعلمون الدنيا بحقيقتها إنما يعلمون ظاهرها، وهو ملاذُّها، وملاعبها، ولا يعلمون باطنها، وهو مضارُّها، ومتاعبها.

﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: عن العلم بها، والعمل لها، وأنَّها غاية الدنيا، والمقصود منها. ﴿هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾: لا تخطر ببالهم. وهو نداء، وإشعار على تمكن غفلتهم عن الآخرة. وهو تقرير لجهالتهم، وتشبيه لهم بالحيوانات، وخذ ما يلي وهو قول بعضهم: [الكامل]

ومِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ تَرى لَكَ صَاحِباً ... في صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ
فَطِنٍ بِكُلِّ مُصِيبَةٍ فِي مَالِهِ ... وَإِذَا يُصَابُ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرِ

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يُبْغِضُ كلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ، صَخَّابٍ في الأسْواقِ، جيفةٍ بالليلِ، حمارٍ بالنَّهارِ، عالمٍ بأمرِ الدنيَا، جاهلٍ بأَمْرِ الآخِرَةِ**».

الإعراب: ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ظَٰهِرًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ظَٰهِرًا﴾. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ...﴾ إلخ بدل من الجملة قبلها، وفيه إشعار: أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين العلم المقصور على معرفة الدنيا، وتحصيل متاعها الزائل. وفي هذا الإبدال مخالفة بين النفي والإثبات؛ لذا فقد قيل بالاستئناف. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿غَٰفِلُونَ﴾ بعدهما. ﴿هُمْ﴾: توكيد لما قبله. ﴿غَٰفِلُونَ﴾: خبر المبتدأ. هذا وإن اعتبرت ﴿هُمْ﴾ الثانية مبتدأ ثانياً، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبره، فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر المبتدأ الأول، وعلى الاعتبارين فالجملة الاسمية: ﴿هُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، ومثلها الآية رقم [٣٧] من سورة (يوسف).

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ﴾ أي: أولم يتفكروا في أنفسهم، التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات، وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ما عداها، فيتدبروا ما أودعها الله ظاهراً، وباطناً من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الإهمال، وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى وقت تجازى فيه على الإحسان إحساناً، وعلى الإساءة مثلها؛ حتى يعلموا عند ذلك: أن سائر الخلائق كذلك، أمرها جار على الحكمة في التدبير، وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت، قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات.

﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: هو مثل قوله تعالى في آية أخرى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ والمعنى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾، أولم ينظروا نظر تفكر، واعتبار، واستدلال، واستبصار. ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ أي: ما خلق الله السموات والأرض، وما بينهما باطلاً وعبثاً بغير حكمة بالغة، ولا لتبقى خالدة، وإنما خلقها مقرونةً بالحق، مصحوبةً بالحكمة، وبتقدير أجل مسمى، لا بد لها من أن تنتهي إليه، وهو قيام الساعة، ووقت الحساب، والثواب، والعقاب. ألا ترى إلى قوله جل ذكره في آية أخرى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثاً. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بلقاء جزائه عند انقضاء الأجل المسمى، أو قيام الساعة. ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾: جاحدون يوم القيامة، ولا يعتقدون بالبعث، والحساب، ولا يقرون بالجزاء، والجنة، والنار، وإنما يظنون: أن الدنيا أبدية، وأن الآخرة لا تكون.

هذا وقد أعاد الضمير إلى السموات والأرض مثنى، والمرجوع إليه مجموع السموات والأرض، وتثنية الجمع جائزة على تأويل الجماعتين، ومنه قول الشاعر، يذم عاملاً على الصدقات في عهد بني أمية: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سِبَداً فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ؟

لَأَصْبَحَ النَّاسُ أَوْبَاداً وَلَمْ يجِدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ

فقد ثنى: «جمالاً» الذي هو جمع: جمل، والعقال: صدقة عام، والسبد: المال القليل، واللبد: المال الكثير، وأوباداً: هلكى جمع: وَبْد، فهو يقول: صار عمرو عاملاً على الزكوات في سنة واحدة، فظلم، وأخذ أموالنا بغير حق، حتى لم يبق لنا إلا شيء قليل من المال، فكيف يكون حالنا؟ وكيف يبقى لأحد مال لو صار عمرو عاملاً في زكاة عامين؟ ثم أقسم، فقال: والله لو صار عمرو عاملاً سنتين لصارت القبيلة هلكى، فلا يكون لهم عند التفرق في الحرب جمالان؛ أي: قطيعان من الجمال، فيختل أمر الغزوات.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، وهو أقوى من العطف على محذوف، فلا محل لها. ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما بمعنى الظرف له. وقيل: هما في محل نصب مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالواو العاطفة. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. ﴿بَيْنَهُمَآ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، التقدير: إلا مقرونةً بالحق. ﴿وَأَجَلٍ﴾: الواو: حرف عطف. (أجل): معطوف على الحق. فإن التقدير: وبأجلٍ. ﴿مُّسَمًّىۗ﴾: صفة (أجل) مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. وجملة: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ قال أبو البقاء والجَمَلُ: فيها وجهان: أحدهما أنها مستأنفة، والثاني أنها معلقة للفعل قبلهما عن العمل لفظاً، فتكون في محل نصب على نزع الخافض.

وأما الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي، فيعتبرونها في محل نصب مقول القول لقول محذوف. التقدير: أولم يتفكروا، فيقولوا: ما خلق الله... إلخ. وقيل: التقدير: أولم يتفكروا

فيعلموا ما خلق الله. . . إلخ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿كَثِيرًا﴾: اسم (إن). ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَثِيرًا﴾. ﴿بِلِقَآيِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (كافرون)، و(لقاء) مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: بلقائهم ربهم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾: اللام: لام الابتداء. وتسمى المزحلقة. (كافرون): خبر (إن) مرفوع. . . إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة، فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط: الواو فقط.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ...﴾ إلخ أي: أولم يمش كفار قريش في نواحي الأرض، وجهاتها ليروا مصارع الأمم المكذبة، وما حل بهم من الهلاك، والدمار، فيعتبروا بهم، وفيه ردع، وزجر للكافرين المكذبين بأن الله سيهلكهم، كما أهلك مَنْ قبلهم، فهو حض للكفرة؛ لينظروا نظرة تبصر، واعتبار، لا نظرة غفلة، وإهمال، ينظرون إلى مساكن الأمم الماضية، وديارهم وآثارهم، كيف أهلكهم الله، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

هذا؛ وعاقبة كل شيء: آخره، ونتيجته، ومصيره، ومآله، ولم يؤنث الفعل: ﴿كَانَ﴾؛ لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي، وما كان منه يستوي فيه التذكير، والتأنيث، أو لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اكتسب التذكير من المضاف إليه، وهذا باب من أبواب النحو، انظر الشاهد رقم [٩٠١] وما بعده من كتابنا فتح القريب المجيب؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: في الأبدان، كقوم هود، وكقوم صالح، فإنهم كانوا طوال الأجسام أقوياء الأبدان، كما هو معروف عنهم. وأثاروا الأرض: حرثوا الأرض، وقلبوا وجهها لاستنباط المعادن، واستخراج المياه، وزرع البذور وغيرها. وذكر الله أهل مكة بهذا، ولم يكونوا أهل حرث، وزرع لزيادة العبرة، والعظة لهم. ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: عمر الأرض أولئك الأقوام، وشيدوا فيها القصور الشامخة، والعمارة الفخمة أكثر من تعمير كفار قريش لها.

﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ أي: بالمعجزات الواضحة، والحجج الدامغة، والدلالات الظاهرة، ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ أي: فأهلكهم الله بذنوبهم، وما كان الله مريداً ظلمهم بأن يهلكهم من غير ذنب. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ أي: ظلموا أنفسهم بالكفر، وارتكاب المعاصي، واجتراح السيئات، ومعاندة الواحد القهار.

الإعراب: ﴿أَوَلَمۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسِيرُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على جملة مقدرة قبلها يقتضيها المقام، أي: أقعدوا في أماكنهم، ولم يسيروا. ﴿فَيَنظُرُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم على اعتبار الفاء عاطفة، أو منصوب على إضمار: «أن» واعتبار الفاء للسببية، وعلامة الجزم، أو النصب حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى اعتبار الفعل منصوباً، فيؤول مع «أن» المضمرة الناصبة له بمصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، فيكون التقدير: فهلا حصل منهم سير في الأرض، فنظرٌ في عاقبة الذين من قبلهم. ﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها، وهو معلق للفعل قبله عن العمل لفظاً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها، و﴿عَٰقِبَةُ﴾: مضاف، والذين اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

هذا وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ تامة؛ فالمعنى لا يأباه، فيكون عاقبة فاعلها، وكيف في محل نصب حال من ﴿عَٰقِبَةُ﴾ والعامل ﴿كَانَ﴾، وعلى الاعتبارين فالجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل قبلها. ﴿كَانُوٓاْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أَشَدَّ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿أَشَدَّ﴾. ﴿قُوَّةً﴾: تمييز، وجملة: ﴿كَانُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الموصول. فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط الضمير فقط، وقد ربطت بالواو أيضاً في آية سورة (فاطر) رقم [٤٤]، ويجب تقدير: «قد» قبلها، لتقربها من الحال. وقيل: مفسرة لما قبلها. وقيل: بدل منها. ﴿وَأَثَارُواْ﴾: الواو: حرف عطف، وجملة: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿أَكۡثَرَ﴾: صفة مفعول مطلق محذوف. التقدير: عمروها عمارة أكثر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿مِمَّا﴾: (من): حرف

جر. (ما): مصدرية، و(ما) والفعل: (عمر) في تأويل مصدر في محل جر بـ: (مِنْ)، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿أَكْثَرَ﴾، التقدير: أكثر من عمارتهم.

﴿وَجَآءَتْهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (جاءتهم): فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿رُسُلُهُم﴾: فاعل. والهاء في محل جر بالإضافة، والميم حرف دال على جماعة الذكور، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿لِيَظْلِمَهُمْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة وجوباً بعد لام الجحود. والفاعل يعود إلى الله تعالى، والهاء مفعول به، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، التقدير: وما كان الله مريداً ظلمهم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل، لا عمل له. ﴿كَانُوٓا۟﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَظْلِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: هذا بيان هلاكهم في الآخرة بعد بيان هلاكهم في الدنيا بسبب تكذيبهم رسلهم، وانظر شرح: ﴿عَٰقِبَةُ﴾ في الآية السابقة. هذا؛ والسوء: كل ما يغم الإنسان من أمر دنيوي، أو أخروي، وهو في الأصل مصدر، ويؤنث بالألف كما في هذه الآية. وقيل: إن ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن. وقيل: المعنى: ثم كان عاقبة الذين أساؤوا العقوبة السوأى. أو الخصلة السوأى، كما قيل: السوأى هي النار. هذا؛ والسوء أيضاً: العمل السَّيِّئ، وأطلق عليه ذلك؛ لأنه يسوء صاحبه، ويغمه عند مجازاته به في الدنيا، وفي الآخرة، وهو بضم السين من ساءه، وهو بفتح السين المصدر، تقول: رجل سَوْء، ورجل السَّوْء، ولا تقول: الرجل السَّوْء. ﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾: المعنى: ثم كان عاقبة الكافرين السوأى لتكذيبهم بآيات الله، واستهزائهم بها، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةَ﴾: يقرأ بالرفع، والنصب، فمن رفعه جعله اسم ﴿كَانَ﴾، وفي الخبر وجهان، أحدهما: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ والمصدر المؤول من: ﴿أَن كَذَّبُوٓا۟﴾ في محل نصب مفعول لأجله؛ أي: لأن كذبوا، أو بأن كذبوا، أو

في موضع جر بتقدير الجار على قول الخليل. والثاني: أن الخبر هو المصدر المؤول من: ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ أي: كان آخرَ أمرهم التكذيبُ، و﴿السُّوأَىٰ﴾ على هذا صفة مصدر محذوف، أي: أساؤوا الإساءة السوأى. ومن نصب: ﴿عَاقِبَةَ﴾ جعلها خبر (كان) مقدماً، وفي الاسم وجهان: أحدهما: ﴿السُّوأَىٰ﴾، والآخر: المصدر المؤول من: ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ على ما تقدم، ويجوز أن تجعل المصدر المؤول من ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ بدلاً من ﴿السُّوأَىٰ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف. انتهى. عكبري بتصرف. وزاد مكي اعتبار ﴿السُّوأَىٰ﴾ مفعولاً به لـ: ﴿أَسَاءُوا﴾ على اعتبار المصدر المؤول من ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ خبر (كان) على قراءة الرفع، واسم (كان) على قراءة النصب، وهو بيان لما أبهم في شأن: ﴿السُّوأَىٰ﴾. هذا؛ ونقل الجمل عن السمين نحو ما تقدم، وما تقدم من أوجه الإعراب في هذه الآية يشبه الآية رقم [٥١] من سورة (النمل).

هذا و﴿عَاقِبَةَ﴾ مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿أَسَاءُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿السُّوأَىٰ﴾: رأيت ما فيها من اعتبارات فيما تقدم، والمصدر المؤول من: ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ قد رأيت ما فيه من اعتبارات أيضاً. ﴿بِآيَاتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(آيات) مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَكَانُوا﴾: الواو: حرف عطف. (كانوا): فعل ماض ناقص والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، وجملة: «يستهزئون بها» في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانُوا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿كَذَّبُوا...﴾ إلخ فهي داخلة معها في المصدرية المؤولة، انظر المعنى في الشرح.

﴿اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: خلقهم ابتداء، ثم يعيدهم بعد الموت أحياء. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: بالخطاب على الالتفات من الغيبة إليه، ويقرأ بالياء على الغيبة من غير التفات. ورجوع الخلق إليه بعد الموت للحساب، والجزاء، وإدخال المحسنين الجنة، وإدخال المسيئين النار، والفعل: «رجع» يستعمل لازماً، ومتعدياً.

﴿ثُمَّ﴾: بضم الثاء: حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وفي كل منها خلاف مذكور في مغني اللبيب، وقد تلحقها تاء التأنيث الساكنة، كما تلحق: «رُبَّ» و«لا» العاملة عمل: «ليس» فيقال: ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، ولَاتْ، والأكثر تحريك التاء معهن بالفتح. هذا؛ و«ثُمَّ» هذه غير: «ثَمَّ» بفتح الثاء، فإنها اسم يشار به إلى المكان البعيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ وهي ظرف لا يتصرف، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا يتصل به كاف الخطاب، وقد يتصل به التاء المربوطة، فيقال: «ثَمَّةَ».

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَبْدَؤُاْ﴾: فعل مضارع. والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾ تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلْخَلْقَ﴾: مفعول به. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُعِيدُهُۥ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله أيضاً، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً مثلها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: يسكتون متحيرين، يقال: ناظرته، فأبلس: إذا سكت، وأيس من أن يحتج. وفي سورة (الأنعام) قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ أي: آيسون من كل خير ورحمة. وقال الفراء: المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه، وذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته، ولا يكون له جواب: قد أبلس. وقال الزجاج: المبلس: الساكت، المنقطع في حجته، اليائس من أن يهتدي إليها.

أقول: سمي إبليس من هذا؛ لأنه أفلس من رحمة الله، وانقطع رجاؤه من سعة فضل الله. بعد هذا خذ ما رواه عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إذَا رَأَيْتُمُ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، فذلكَ مِنْهُ تعالى اسْتِدْرَاجٌ**». ثم تلا قوله تعالى في سورة (الأنعام) الآية [٤٤]: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ ذكره البغوي بغير سند، وأسنده الطبري، وانظر الآية رقم [٤٩] الآتية.

هذا والمراد بـ: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون، والتعبير عن الكافرين بالمجرمين، والظالمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين كثير في القرآن الكريم، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات؛ فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يتوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، ولاسيما من قرأ القرآن منهم، واطّلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): ظرف زمان متعلق بالفعل ﴿يُبْلِسُ﴾. ﴿تَقُومُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿يُبْلِسُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فاعله. هذا؛ وقرئ شاذاً ببناء الفعل للمجهول، وهذا بعيد؛ لأن «أبلس» لم يستعمل متعدياً، ومخرجه أن يكون أقام المصدر مقام الفاعل وحذفه،

وأقام المضاف إليه مقامه، فيكون التقدير: يُبْلَسُ إبْلاسُ المجرمين. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها من الإعراب، ومثلها في إعرابها الآية رقم [٥٥] الآتية.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾: يجيرونهم من عذاب الله. ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ أي: جاحدين متبرئين منها، وتتبرأ منهم. أو المعنى: كانوا في الدنيا كافرين بسببهم، وهذا التبرؤ بين العابدين، والمعبودين من دون الله، وبين التابعين، والمتبوعين نجده في كثير من آيات الله تعالى. والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق وقوعه، وهو كثير في آيات الله تعالى.

هذا وقد أطلق الله على الأصنام المعبودة من دون الله اسم الشركاء لأمرين: أحدهما: أن المشركين يشركونها مع الله في العبادة، والتعظيم، والتقديس، وثانيهما: أنهم يشركونها معهم في الأموال، والأنعام، والزروع. انظر الآية رقم [١٣٨] من سورة (الأنعام) وما بعدها؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ و﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾ جمع: شفيع، والشفاعة: التوسل، وابتغاء الخير، والذي يكون منه التوسل يسمى: الشفيع، والشفاعة تكون حسنة، وتكون سيئة، فالأولى هي التي روعي فيها حق مسلم، ودفع بها عنه شر، أو جلب إليه خير، وابتغي بها وجه الله، ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز، لا في حد من حدود الله، ولا في حق من حقوق الناس. والسيئة ما كانت بخلاف ذلك. وقيل: الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم؛ لأنها في معنى الشفاعة إلى الله، فعن النبي ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا لأخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ**». فذلك هو النصيب الذي ذكره الله بقوله: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ رقم [٨٥] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم). ﴿لَّهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿يَكُن﴾ تقدم على اسمها. ﴿مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، أو حال من: ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾؛ لأنه صفة له في الأصل، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾: اسم ﴿يَكُن﴾ مؤخر. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿يَكُن﴾ تاماً فـ: ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾ فاعله، و﴿لَّهُم﴾ متعلقان بالفعل: ﴿يَكُن﴾، و﴿مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ متعلقان بمحذوف حال من ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي معترضة بين الجملتين المتعاطفتين لا محل لها على الاعتبارين، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿وَكَانُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (كانوا): فعل

ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِشُرَكَآئِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿كَٰفِرِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَكَانُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، على جميع الاعتبارات فيها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤﴾

الشرح: معنى الآية يتفرق الناس يوم القيامة فرقتين بعد الحساب: المؤمنون يدخلون الجنة، والكافرون يدخلون النار، وقد دل على هذا التفرق الآيتان التاليتان. وعن الحسن، رضي الله عنه، قال: هو تفرق المسلمين، والكافرين، هؤلاء في عليين، وهؤلاء أسفل السافلين. وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ: فرقة لا اجتماع بعدها. وانظر هذا التفرق في الآية رقم [٤٤] الآتية.

هذا؛ و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تفجأ الناس بغتة في ساعة، لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى. وقيل: سميت ساعة لسرعة الحساب فيها؛ لأن حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة، أو أقل من ذلك، قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ ولا تنس: أن ساعة كل إنسان، وقيامته وقت مقدمات الموت، وما فيه من أهوال، ولذا قال النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ**». وقيل: سميت الساعة بذلك؛ لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا.

هذا وقد ثبت: أن لقيام القيامة علامات، وهي صغرى، وكبرى، فالصغرى قد ظهر جميعها، كقبض العلم الشرعي، وتقارب الزمان، وفيض المال، وكثرة الزلازل، وكثرة القتل، وتطاول البدو في البنيان، وكثرة الفجور، والفسوق، وغير ذلك مما هو واقع، ومشاهد الآن.

أما العلامات الكبرى فخذها مما يلي، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: طلع علينا رسول الله ﷺ، ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «**ما تذاكرون؟**». قالوا: نتذاكر الساعة، قال: «**إنها لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آياتٍ، فذَكَرَ الدُّخَانَ، والدَّجَّالَ، والدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، ونزولَ عِيسى ابنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوج ومَأْجُوج، وثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٍ بالْمَشْرقِ، وخسْفٍ بالْمَغْرِبِ، وخَسْفٍ بجزيرَةِ الْعَرَبِ، وآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تطردُ الناسَ إلى محْشَرِهِمْ**». أخرجه مسلم. انتهى. خازن.

أقول: ما ذكر في الحديث الشريف، بعضه من علاماتها، وبعضه من مبادئها، كخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك يغلق باب التوبة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، انظر الآية رقم [١٥٨] من سورة (الأنعام)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٣] من سورة (الأحزاب) فإنه جيد.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يوم): ظرف زمان متعلق بالفعل ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾. ﴿تَقُومُ﴾: فعل مضارع. ﴿السَّاعَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: توكيد لفظي لسابقه، و: (إذْ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، والتنوين عوض عن جملة محذوفة؛ إذ التقدير: يوم إذ تقوم الساعة. ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ في الآية رقم [١٢] لا محل لها مثلها.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: عطف العمل الصالح على الإيمان في الآية الكريمة، وغيرها يوحي بأن العمل قرين الإيمان، وقد لا يجدي الإيمان بلا عمل، وهو ما أفاده قول الرسول ﷺ: «**الإيمانُ والعملُ قرينانِ، لا يقبلُ الله أحَدَهُمَا بدُونِ صاحِبِهِ**». كما أن الإيمان مشروط لقبول العمل الصالح وقد بينته الآية رقم [٣٩] من سورة (النور)، والآية رقم [٢٣] من سورة (الفرقان) وغيرهما، ويسمى هذا في علم البديع احتراساً.

﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: الروضة: كل أرض ذات نبات، وماء، ورونق، ونضارة. وقال أبو عبيدة: الروضة: ما كان في تسفل من الأرض، فإذا كانت مرتفعة فهي تُرْعَة. وقال غيره: أحسن ما تكون الروضة؛ إذا كانت في موضع مرتفع غليظ، كما قال الأعشى في معلقته رقم [١٢] وما بعده: [البسيط]

مـا رَوْضَـةٌ مِـنْ رِيَـاضِ الْـحَـزْنِ مُـعْـشِـبَـةٌ ... خـضـراءُ جَـادَ عَـلَـيْـهَـا مُـسْـبِـلٌ هَـطِـلُ

يُـضَـاحِـكُ الـشَّـمْـسَ مِـنْـهَـا كَـوْكَـبٌ شَـرِقٌ ... مُـؤَزَّرٌ بِـعَـمِـيـمِ الـنَّـبْـتِ مُـكْـتَـهِـلُ

يَـوْمـاً بِـأَطْـيَـبَ مِـنْـهَـا نَـشْـرَ رَائِـحَـةٍ ... وَلَا بِـأَحْـسَـنَ مِـنْـهَـا إِذْ دَنَـا الأُصُـلُ

انظر شرح هذه الأبيات، وإعرابها في كتابنا إعراب المعلقات العشر؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك؛ إلا أنه لا يقال له: روضة إلا إذا كان فيها نبْتٌ، فإن لم يكن فيها نبت، وكانت مرتفعة فهي تُرْعة. وقال القشيري: والروضة عند العرب ما ينبت حول الغدير من البقول، ولم يكن عند العرب شيء أحسن منه. هذا؛ وجمع روضة: رَوْض، ورِياض، وأصل هذا: رِوَاض، قُلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، مثل: حوض، وحياض، وثوب، وثياب، ونحو ذلك، وتجمع أيضاً على: روضات، كما في سورة (الشورى) [٢٢].

﴿يُحْبَرُونَ﴾: يكرمون، وينعّمون. وقيل: يسرون سروراً تهللت له وجوههم. والْحَبْر، والْحُبور هو السرور. وقيل: هو من التحبير، وهو التحسين، يقال: هو حَسَن الحبر، والسِّبر،

بكسر الحاء، والسين وفتحهما. وفي الحديث «**يَخْرُجُ مِنَ النارِ رَجُلٌ ذَهَبَ حِبْرُهُ، وسِبْرُهُ**». فالمفتوح مصدر، والمكسور اسم.

روي: أن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار، فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا؛ لماتوا طرباً.

وقال الأوزاعي: ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم، وتسبيحهم. زاد غير الأوزاعي: ولم تبق شجرة في الجنة إلا وَرَدَّدتْ، ولم يبق ستر، ولا باب إلا أُرْتِجَ، وانْفَتح، ولم تبق حلقة إلا طَنَّتْ بألوان طنينها، ولم تبق أجمة من آجام الذهب إلى وقع أهبوب الصوت في مقاصبها، فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر، ولم تبق جارية من جواري الحور العين إلا غنت بأغانيها، والطير بألحانها.

ويوحي الله إلى الملائكة أن جاوبوهم، وأسمعوا عبادي الذين نزهوا أسماعهم من مزامير الشيطان! فيجاوبون بألحان، وأصوات روحانيين، فتختلط هذه الأصوات، فتصير رجة واحدة، ثم يقول الله عز وجل: «يا داود قم عند ساق عرشي فمجدني، فيندفع داود بتمجيد ربه بصوت يغمر الأصوات، ويجليها، وتتضاعف اللذة»، فذلك قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ ذكره الترمذي الحكيم رحمه الله. انتهى. قرطبي، ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا كله من النعيم والسرور والإكرام، فلا تعارض بين الأقوال، وأين هذا من قوله الحق: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ على ما يأتي، وقول النبي ﷺ: «**فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**». انتهى.

الإعراب: ﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف، وتفريع. (أما): أداة شرط، وتفصيل، وتوكيد. أما كونها أداة شرط؛ فلأنها قائمة مقام الشرط، وفعله؛ بدليل لزوم الفاء بعدها؛ إذ الأصل: مهما يك من شيء؛ فالذين آمنوا... إلخ، فأنيبت (أما) مناب مهما، ويك من شيء. فصار: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ...﴾ إلخ.

وأما كونها أداة تفصيل؛ فلأنها في الغالب مسبوقة بكلام مجمل، وهي تفصله، ويعلم ذلك من تتبع مواقعها.

وأما كونها أداة توكيد؛ فلأنها تحقق الجواب، وتفيد: أنه واقع لا محالة؛ لأنها علقته على أمر متيقن. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿فَهُمْ﴾:

الفاء: واقعة في جواب (أما). (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يُحْبَرُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هم...) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بالله، وبرسوله، وبكتابه. ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: آيات القرآن، أو بالمعجزات التي أيد بها رسوله. ﴿وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: البعث، والحساب، والجزاء يوم القيامة. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: مقيمون، لا يغيبون عنه، ولا يخفف عنهم منه شيء. قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ وقال: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

تنبيه: لما ذكر الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وما أعد لهم من النعيم المقيم، والخير العميم؛ ذكر الذين كفروا، وما أعد لهم من العذاب المقيم، والعقاب الشديد، وتلك سنة الله في كتابه العظيم؛ حيث اقتضت حكمته تعالى، ورحمته، فلا يذكر التصديق من المؤمنين؛ إلا ويذكر التكذيب من الكافرين، ولا يذكر الإيمان إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة؛ إلا ويذكر النار، ولا يذكر الرحمة؛ إلا ويذكر الغضب، والسخط؛ ليكون المؤمن راغباً راهباً، راجياً خائفاً. والمراد بـ: (عملوا الصالحات) الأعمال الصالحات على اختلافها، وتفاوت درجاتها، ومراتبها.

الإعراب: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ انظر الآية السابقة؛ فالإعراب مثله. ﴿وَلِقَآئِ﴾: الواو: حرف عطف. (لقاء): معطوف على (آياتنا)، و(لقاء) مضاف، و﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: ولقائهم الآخرة. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب (أما). (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُحْضَرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: (أولئك...) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: الكلام إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى، والثناء عليه في هذه الأوقات؛ التي تظهر فيها قدرته، وتتجدد فيها نعمته. أو دلالة على أن ما

يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه، واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات، والأرض. وتخصيص التسبيح بالمساء، والصباح؛ لأن آثار القدرة، والعظمة فيهما أظهر، وتخصيص الحمد بالعشي؛ الذي هو آخر النهار، وبالظهيرة؛ التي هي وسطه؛ لأن تجدد النعم فيهما أكثر.

هذا؛ وقال الجوهري: العشي، والعشية: من صلاة المغرب إلى العتمة، تقول: أتيته عشيَّة أَمْسِ، وعشِيَّ أَمْسِ. وتصغير العشي: عُشَيَّانٌ على غير قياس مُكَبَّره، والجمع: عُشَيَّانَات، وتصغير العشية: عُشَيْشَة، والجمع عُشَيْشِيَات، والعِشاء مثل العشي. والعِشاءان: المغرب، والعتمة، وزعم قوم: أن العشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر، وأنشدوا: [الوافر]

غَدَوْنَا غُدْوَةً سَحَراً بِلَيْلٍ عِشَاءً بَعْدَمَا انْتَصَفَ النَّهَارُ

هذا؛ وقال الأزهري: العشي ما بين زوال الشمس، وغروبها. وهذا هو المعتمد عنده. أقول: والمعتمد أنه الوقت من قُبَيْل العصر إلى المغرب، وهو ما رأيته في تفسير الآية، وإن أفتاك الناس، وأفتوك. وقال الماوردي: والفرق بين المساء، والعشاء: أن المساء بُدُوّ الظلام بعد المغيب، والعشاء آخر النهار عند ميل الشمس للمغيب، وهو مأخوذ من: عشا العين، وهو نقص النور من الناظر، كنقص نور الشمس.

هذا؛ وقد قوبل العشي بالإبكار في قوله تعالى لزكريا عليه السلام: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾، وقد قوبل بالغدو، في قوله تعالى في حق فرعون، وأشياعه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، وقوبل بالغداة في قوله تعالى لنبينا، وحبيبنا ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ...﴾ إلخ. وقوبلت العشية بالضحى في قوله تعالى في بيان يوم القيامة في سورة (النازعات) رقم [٤٦]: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾.

هذا وأكثر المفسرين على أن المراد بالتسبيح هنا: الصلاة، والمراد بـ: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: تدخلون في المساء وفيه صلاة المغرب والعشاء، والمراد بـ: ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح، والمراد بالعشي: الوقت ما بين العصر، والمغرب، وفيه صلاة العصر والمراد بـ ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: حين تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر، قال نافع بن الأزرق الخارجي لابن عباس - رضي الله عنهما -: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن، قال: نعم، وقرأ هاتين الآيتين: وقال: جمعتا الصلوات الخمس، ومواقيتها.

وعن النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُكَالَ لَهُ بِالْقَفِيزِ الأَوْفى، فَلْيَقُلْ**: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ...﴾ إلخ»، وعنه ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ**: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ...﴾ **إلخ إلى قوله**: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ **أدْرَكَ ما فَاتَهُ في يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي لَيْلَتِهِ**».

وإنما خص الله هذه الأوقات بالصلاة لله تعالى، وتسبيحه، وتعظيمه، وتقديسه؛ لأن أفضل الأعمال أدومها، والإنسان لا يقدر أن يصرف جميع أوقاته إلى الصلاة، والتسبيح، والتحميد، والتقديس؛ لأنه محتاج إلى ما يمونه من مأكول، وملبوس، وغير ذلك، فخفف الله عنه العبادة في غالب الأوقات، وأمره بها في أول النهار، ووسطه، وآخره، وفي أول الليل، وآخره، فإذا صلى العبد ركعتي الفجر، فكأنما عبد الله قدر ساعتين، وكذلك باقي الركعات، وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر، فإذا صلى المسلم، والمسلمة الصلوات الخمس في أوقاتها، فكأنما سبحه، وقدسه، وعظمه سبع عشرة ساعة من الليل، والنهار، وبقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار، وهي مقدار النوم، والنائم مرفوع عنه القلم، فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح، والعبادة. انتهى. خازن بتصرف.

هذا؛ وإن الصلوات الخمس إذا أديت على الوجه الأكمل كانت كفارة لما بينها من الذنوب الصغار. وخذ ما يلي: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٍ؟**» قَالُوا: لَا يَبْقى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «**فَكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي. وعنه أيضاً ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، والجُمعةُ إلى الجمعَةِ كَفَّارةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ**». رواه مسلم والترمذي، وفي رواية أخرى: «**الصّلواتُ الخمسُ، والْجُمعَةُ إلى الْجُمعةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ؛ إِذَا اجْتُنِبَت الْكَبَائِرُ**».

هذا؛ وتفسير التسبيح بالصلاة على ما تقدم هو قول لبعض المفسرين، وقال بعضهم: المراد: التنزيه، أي: نزهوا الله عن صفات النقص، وصفوه بصفات الكمال. وهذا أولى؛ لأنه يتضمن الصلاة؛ لأن التنزيه المأمور به يتناول التنزيه بالقلب؛ الذي هو الاعتقاد الجازم، ويتناول التنزيه باللسان، وهو الذكر الحسن، ويتناول التنزيه بالأركان، وهو العمل الصالح، والثاني ثمرة الأول، والثالث ثمرة الثاني، فاللسان ترجمان الجنان، والأركان ترجمان اللسان، لكن الصلاة أفضل أعمال الأركان، فهي مشتملة على الذكر باللسان، والتصديق بالجنان، فهو نوع من أنواع التنزيه، والأمر المطلق، لا يختص بنوع دون نوع، فيجب حمله على كل ما هو تنزيه، الذي من جملته الصلاة، انتهى. جمل نقلاً عن الرازي. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٣] من سورة الأحزاب.

هذا؛ وقد حضنا الرسول ﷺ على كثرة التسبيح باللسان زيادة على تسبيح الله، وتعظيمه بالصلوات: فرضِها، ونفلها، وذكر لنا أحاديث ترغبنا به، وصِيغاً مفضلة على غيرها لما فيها من المعاني الجميلة، وخذ نبذة من ذلك: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعظِيمِ». رواه الستة ما عدا أبا داود. وعنه أيضاً قال: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، والْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلهَ إِلَّا الله، والله أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». رواه مسلم، والترمذي.

وعن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، عن أبيها ـ رضي الله عنهما ـ: أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة، بين يديها نَوىً، أو حصىً تسبح به، فقال: «أُخْبِرُك بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْك مِنْ هَذَا، أَوْ أَفْضَلُ؟ فقالَ: سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خلقَ في السماءِ، وسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ بَيْنَ ذَلِكَ، وسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، والله أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، والحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ولا إِلهَ إِلَّا الله مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بالله مِثْلَ ذَلِكَ». رواه أبو داود، والترمذي. فلفظ مثل يجوز رفعه ونصبه.

الإعراب: ﴿فَسُبْحَـٰنَ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل الفصيحة، ولا وجه له. (سبحان): مفعول مطلق لفعل محذوف: و(سبحان) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والفعل المقدر والمصدر كلام مستأنف لا محل له. ﴿حِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل المقدر، أو بالمصدر المذكور. ﴿تُمْسُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وهو تام، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿حِينَ﴾ إليها، وقوله: ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق. هذا؛ ويقرأ: (حين) بالتنوين، فتكون الجملة الفعلية في الموضعين في محل نصب صفة له. ﴿وَلَهُ﴾: الواو: واو الاعتراض. (له): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، ومن لا يجيز مجيء الحال من المبتدأ يعتبرهما متعلقين في محل نصب حال من الخبر المحذوف. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَعَشِيًّا﴾: معطوف على (حين)، وعليه فالجملة الاسمية معترضة بين المتعاطفين. ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ﴾: كالإنسان، والطائر. ﴿ٱلْمَيِّتِ﴾: النطفة، والبيضة، ومعروف إخراج أحدهما من الآخر. هذا؛ وقد قيل: إن المراد بـ: ﴿ٱلْحَىَّ﴾ المسلم يخرج من صلب الكافر، وبـ: ﴿ٱلْمَيِّتِ﴾ الكافر يخرج من صلب المؤمن، فالمسلم حي القلب بالإيمان، والكافر

ميت القلب بالكفر، خذ قول ربك: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ الآية رقم [١٢٢] من سورة (الأنعام) انظر شرحها، وتفسيرها هناك. ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: يبسها وجدبها؛ إذ موتها حين تكون يابسة لا نبات فيها شبيهة بالميت، وإحياؤها يكون بنزول المطر عليها، وقد قال تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ انظر تفسيرها، وشرحها هناك.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي: ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم. والمعنى: أن بدْء خلق الإنسان، وإعادته بعد موته متساويان في قدرة من هو قادر على إخراج الميت من الحي، وعكسه. روى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ قال: «**من قرأ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ...﴾ إلخ إلى الثلاث، وآخر سورة (الصافات) دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، كُتِبَ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ عَدَدَ نُجومِ السماءِ، وقَطْرِ الأمطارِ، وَوَرَقِ الأشجارِ، وترابِ الأرْضِ، فإذا ماتَ أُجري لهُ بكلِّ حرفٍ عشرُ حسناتٍ في قبره**».

هذا؛ و﴿ٱلْمَيِّتِ﴾ وَالْمَيْتَة بفتح الميم، وسكون الياء فيهما، وهو من فارقت روحه جسده، وجمعهما: أموات، ومَيْتَات، وأما المشدد، فهو الحي الذي سيموت، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وجمعه: موتى قال بعض الأدباء في الفرق بينهما: [الطويل]

أَيَـا سَـائِـلِـي تَـفْـسِـيـرَ مَـيْـتٍ ومَـيِّـتٍ فَـدُونَـكَ قَـدْ فَـسَّـرْتُ مَـا عَـنْـهُ تَـسْـأَلُ

فَـمَـنْ كَـانَ ذَا رُوحٍ فَـذَلِـكَ مَـيِّـتٌ وَمَـا الْـمَـيْـتُ إِلَّا مَـنْ إِلَـى الْـقَـبْـرِ يُـحْـمَـلُ

هذا هو الأصل الغالب في الاستعمال، وقد يتعاوضان، كما في قول عدي بن الرِّعلاء الغساني: [الخفيف]

لَـيْـسَ مَـنْ مَـاتَ، فـاسْـتَـرَاحَ بِـمـيْـتٍ إِنَّـمَـا الْـمَـيْـتُ مَـيِّـتُ الأَحْـيَـاءِ

إِنَّـمَـا الْـمَـيْـت مَـنْ يَـعِـيـشُ كَـئِـيـبـاً كَـاسِـفـاً بـالُـهُ قَـلِـيـلَ الـرَّجَـاءِ

أقول: ومن هذا ما في هذه الآية، والآية رقم [٩٥] من سورة (الأنعام)، والآية رقم [٢٧] من سورة (آل عمران) حيث استعمل المشدد في الآيات الثلاث لفاقد الحياة، والروح، كما هو واضح، ولا تنس: أن أصل ميِّت المشدد: مَيْوِت؛ لأنه من: مات، يموت، فقل في إعلاله: اجتمعت الياء، والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وقل مثله في إعلال سيِّد وهيِّن وصيِّب ونحو ذلك، وأضيف: أنه قرئ في الآيات الثلاث بتشديد ياء الميت وتخفيفها.

الإعراب: ﴿يُخْرِجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، أو من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الضمير فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿ٱلْحَيَّ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ

﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وإن اعتبرتهما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلۡحَيَّ﴾ فلست مفنداً، والمعنى لا يأباه، والجملة الفعلية بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها. (يحيي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾: مفعول به. ﴿بَعۡدَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعۡدَ﴾ مضاف، و﴿مَوۡتِهَآۚ﴾ مضاف إليه، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَيُحۡيِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. الكاف: حرف تشبيه، وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة مفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: تخرجون إخراجاً كائناً مثل إخراج الحي من الميت. أو التقدير: تخرجون إخراجاً كائناً مثل إخراج النبات من الأرض... إلخ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿تُخۡرَجُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل، أو هو فاعل له، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠﴾

الشرح: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: ومن علامات ربوبيته، ووحدانيته. ﴿أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾: في هذا الخلق تأويلان: خلق من تراب غير مباشر، وخلق مباشر، فالأول: خلق أبينا آدم من تراب، كما رأيت في سورة (الحجر) رقم [٢٦] ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾. والثاني: كل واحد منا خلق من التراب خلقاً مباشراً، وذلك إذا نظرنا إلى المادة التي يتخلق منها الإنسان، فإنها من الدم بلا ريب، والدم مصدره من الطعام، والشراب، وأنواع الغذاء، وكل ذلك مصدره من التراب، كما هو معروف.

﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ﴾: ثم أنتم عقلاء ناطقون، تتصرفون فيما فيه قوام معايشكم؛ إذاً فلم يكن خلقكم عبثاً، ومن قدر على هذا؛ فهو أهل للعبادة، والتسبيح، والتحميد، والتقديس. هذا؛ والترتيب والمهلة المفهومان من ﴿ثُمَّ﴾ هنا ظاهران، فإنهم إنما يصيرون بشراً بعد أطوار كثيرة، والغالب أن تقع «إذا» الفجائية بعد الفاء؛ لأنها تقتضي التعقيب بلا مهلة، ووجه وقوعها هنا بعد ﴿ثُمَّ﴾ بالنسبة إلى ما يليق بالحالة الخاصة، أي بعد تلك الأطوار، التي قصها الله علينا في مواضع أخر من كتابه من كوننا نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم عظماً مجرداً، ثم عظماً مكسواً لحماً فاجأ البشرية والانتشار. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. بتصرف مني.

هذا؛ وآيات: جمع: آية، وتطلق على معان كثيرة: الدلالة على قدرة الله تعالى، كما في الآية الكريمة، وما يليها من آيات، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وتطلق

على المعجزة الخارقة للعادة، مثل: انشقاق القمر، وعصا موسى، ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾. وتطلق على الموعظة. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ كما تطلق على جملتين أو أكثر من كلام الله تعالى، وعلى السورة بكاملها، كما في أول سورة (الشعراء) ونحوها.

أما: ﴿بَشَرٌ﴾ فإنه يطلق على الإنسان ذكراً، أو أنثى، مفرداً، أو جمعاً مثل كلمة «الفلك» تطلق على المفرد، والجمع. وسمي بنو آدم بشراً لبدو بشرتهم، وهي ظاهر الجلد بخلاف أكثر المخلوقات، فإنها مكسوة بالشعر، أو الصوف، أو الريش. هذا؛ و﴿بَشَرٌ﴾ يطلق على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ولذا ثني في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ ويطلق على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾.

تنبيه: ذكر الله لفظ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ في هذه السورة ست مرات، تنتهي عند قوله: ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ذكر فيها بدء خلق الإنسان آية آية إلى حين بعثه من القبور، وختم هذه الآيات بقيام السموات والأرض، لكونه من العوارض اللازمة؛ لأن كلاً من السماء، والأرض، لا يخرج عن مكانه، فيتعجب من وقوف الأرض، وعدم نزولها، ومن علو السماء وثباتها بغير عمد، ثم أتبع ذلك بالنشأة الآخرة، وهي الخروج من الأرض، وذكر من الأنفس أمرين: ﴿خَلَقَكُم﴾ و﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، وذكر من الآفاق السماء، والأرض، وذكر من لوازم الإنسان: اختلاف الألسنة، واختلاف اللون، وذكر من عوارضه: المنام، والابتغاء، ومن عوارض الآفاق البرق، والمطر، ومن لوازمها: قيام السماء وقيام الأرض، فجملة ما يتعلق بالنوع الإنساني ستة أشياء: اثنان أصول، واثنان لوازم، واثنان عوارض، وستة متعلقة بالآفاق، اثنان أصول، واثنان لوازم، واثنان عوارض، انتهى. جمل من هنا، وهناك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من آياته): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿خَلَقَكُم﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل نصب بـ: ﴿أَنْ﴾، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مِّن تُرَابٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(أن) والفعل (خلق) في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِذَآ﴾: كلمة دالة على المفاجأة، وانظر الآية رقم [٢٥] الآتية. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَشَرٌ﴾: خبره: والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، على اعتبار ﴿إِذَآ﴾ حرفاً، واعتبارها هنا ظرفاً غير جيد، ولا يصح معنًى. ﴿تَنتَشِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة بشر، أو هي في محل رفع خبر ثان. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: من دلائل قدرته، وعلامات ربوبيته، ووحدانيته. ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: لأن حواء خلقت من ضلع آدم عليهما السلام، وسائر النساء خلقن من نطف الرجال، أو لأنهن من جنسهم لا من جنس آخر. ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾: لتميلوا إليها، وتأنسوا بها؛ لأنهن من جنسكم، لا من جنس آخر، وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف، والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر، يقال: سكن إليه إذا مال إليه، وأنس به. هذا؛ والمودة، والرحمة، والألفة التي تقع بين الزوجين ظاهرة لا خفاء فيها.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي: محبة، وشفقة متبادلتين، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: المودة حبُّ الرجل امرأته، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء. انتهى. والعكس صحيح، وعن ابن عباس، ومجاهد، والحسن: المودة الجماع، والرحمة: الولد، ولا أراه قوياً، فلعله مُتقوَّل عليهم. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: الخلق. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لعلامات واضحة على قدرته تعالى. ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإذا تفكروا؛ اتعظوا، وإذا اتعظوا؛ آمنوا، وعبدوا الله، والتفكير في صنع الله أعظم عبادة يقوم بها العبد، وقد ورد: لَتَفَكُّرُ سَاعَةٍ في صُنْعِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً. وورد: تَفَكَّروا في آلاءِ اللهِ، ولا تَفَكَّروا في اللهِ، فإنهُ لا تُحِيطُ بِهِ الْفِكْرَةُ.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَا عِبَادَةَ كالتَّفَكُّرِ**». لأنه المخصوص بالقلب، والمقصود من الخلق، وعنه ﷺ أنه قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِهِ، إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إلى السماءِ والنُّجوم، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لَكِ رَبًّا، وَخَالِقاً، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي! فنظرَ اللهُ إِلَيْهِ، فَغَفَرَ لَهُ**».

هذا؛ والفكر: تصرف القلب في طلب الأشياء. وقال صاحب المفردات: الفكر: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يكون له صورة في القلب. انتهى. هذا؛ والفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني المطلوبة من التآنس، والتجانس بين الأشياء كالزوجين.

الإعراب: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ﴾: انظر الآية السابقة فالإعراب واحد لا يتغير. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل ﴿خَلَقَ﴾ أيضاً، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَزْوَٰجًا﴾: مفعول به. ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿خَلَقَ﴾ أيضاً. ﴿إِلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان

بالفعل قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَجَعَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (جعل): معطوف على ﴿خَلَقَ﴾، فهو يؤول مثله بمصدر، أو هو داخل معه بالمصدرية بسبب العطف، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً. ﴿بَيْنَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. وقيل: مفعول ثان، ولا وجه له، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مَّوَدَّةً﴾: مفعول به. ﴿وَرَحْمَةً﴾: معطوف على ما قبله.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى﴾: حرف جر. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿فِى﴾، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: (آيات). ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل جر صفة (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: الدالة على أمر البعث، وما يتلوه من الحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار. ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: في تخصيصهما بالذكر أحد أمرين: إما من حيث إن القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مساعدة لها أظهر قدرة على إعادة ما كان حياً قبل ذلك. وإما من حيث إن خلقهما، وما فيهما ليس إلا لمعاش البشر، ومعاده، كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، وقوله جل ذكره: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لغاتكم بأن علَّم كل صنف لغته، أو ألهمه وضعها، وأقدره عليها، أو أجناس نطقكم وأشكاله، فإنك لا تكاد تسمع متكلمين متساويين في الكيفية من كل وجه، فكيف بالاختلاف الكبير، من العربية، والتركية، والرومية، والإنكليزية... إلخ.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾: بياض الجلد، وسواده، وتوسطه فيما بينهما، أو تخطيطات الأعضاء، وهيآتها، وألوانها، وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الأشخاص، حتى إن التوأمين مع توافق موادهما، وأسبابهما، والأمور الملاقية لهما في التخليق مختلفان في شيء من ذلك لا محالة، وإن كانا في غاية التشابه، وإنما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات، والأرض

مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق أنفسهم، وأزواجهم للإيذان باستقلاله، والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم. انتهى جمل نقلاً من أبي السعود، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٨] من سورة فاطر.

تنبيه: خالف سبحانه وتعالى بين الألوان، والألسنة حتى ما تكاد تسمع منطقين متفقين في جرس واحد، ولا جهارة واحدة، وحتى ما تكاد ترى صورتين متشابهتين تمام التشابه في الألوان، والسمات، والقسمات؛ لحصول التعارف، وإلا فلو كان الناس على هيئة واحدة، وبلون واحد، وتقاسيم وتقاطيع واحدة لحصل الخلل والالتباس، ولانعدم التمييز بينها جميعاً حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما، والأمور الملاقية في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة، مهما تقاربا في وجه الشبه انتهى.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكر في هذه الآية. ﴿لَآيَٰتٍ﴾: لدلالات بالغة لا تكاد تخفى على عاقل من ملك، أو إنس، أو جن على قدرة الواحد القهار، حيث ولدوا من أب واحد، وهم على هذه الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون.

﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾: يقرأ بكسر اللام على أنه جمع: عالِم بكسرها أيضاً، ويؤيده قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ ويقرأ بفتح اللام على أنه جمع: عالَم بفتحها أيضاً، وهو يقال لكل ما سوى الله، ويدل له قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ والعوالم كثيرة، لا تحصيها الأرقام، وهي منتشرة في هذا الكون المترامي الأطراف في البر والبحر؛ إذ كل جنس من المخلوقات يقال له: عالم قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

هذا وخص الله السموات والأرض بالذكر هنا وفي كثير من الآيات؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وجمع السموات دون الأرض؛ وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار، والحركات، وقدمها لشرفها، وعلو مكانها، وتقدم وجودها، ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية كما في الأرض، وأيضاً؛ لأنها كالذَّكَر، فنزول المطر من السماء على الأرض كنزول المني من الذكر في رحم المرأة؛ لأن الأرض تنبت، وتخضر بالمطر.

أما ﴿أَلْسِنَتِكُمْ﴾ فهو جمع لسان، ويجمع أيضاً على لُسُن بضم اللام، وضم السين وتسكينها أيضاً، وهو على هذا مؤنث كذراع وأَذْرُع، والأول مذكر، كحمار، وأَحْمِرَة، وتصغيره على التذكير: لُسَيْن، وعلى التأنيث: لُسَيْنَة، وقد يجعل اللسان كناية عن كلمة السوء، كما في قول الشاعر: [الوافر]

لِسَانُ السُّوءِ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا ... وَحِنْتَ وَمَا حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَا

فيؤنث لا غير، كما يجعل كناية عن الرسالة، أو عن القصيدة من الشعر، كقول الآخر: [المتقارب]

أَتَــتْــنِــي لِــسَــانُ بَــنِــي عَــامِــرٍ فَــجَــلَّــت أَحَــادِيــثُــهَــا عَــنْ بَــصَــرْ

وقد أطلقه الله على القرآن الكريم بكامله مع التذكير في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية رقم [١٠٣] من سورة (النحل)، كما أطلقه على الثناء، والذكر الحسن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآية رقم [٥٠] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. وأيضاً قوله تعالى حكاية عن قول إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ في سورة (الشعراء) رقم [٨٤]: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

الإعراب: ﴿وَمِنْ﴾: الواو: حرف عطف. (من آياته): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿خَلْقُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿السَّمَاوَاتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: ومن آياته خلقه السموات، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَاخْتِلَافُ﴾: معطوف على ﴿خَلْقُ﴾، و(اختلاف) مضاف. ﴿أَلْسِنَتِكُمْ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف فيهما ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وانظر إعراب: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ في الآية السابقة. ﴿لِّلْعَالِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (آيات)، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، أو لأنه ملحق به، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ أي: منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية، وقوة القوى الطبيعية، وطلب معاشكم فيهما، أو منامكم بالليل، وابتغاؤكم بالنهار، فلف وضم بين الزمانين، والفعلين بعاطفين إشعاراً بأن كلاً من الزمانين؛ وإن اختص بأحدهما؛ فهو صالح للآخر عند الحاجة، يؤيده سائر الآيات الواردة فيه. انتهى. بيضاوي.

وقال الجمل: قيل في الآية تقديم وتأخير ليكون كل واحد مع ما يلائمه، والتقدير: ومن آياته منامكم بالليل، وابتغاؤكم من فضله بالنهار، فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل، وعطف عليه؛ لأن حرف العطف قد يقوم مقام الجار، والأحسن أن يجعل على حاله، والنوم بالنهار مما كانت العرب تعده نعمة من الله، ولاسيما في أوقات القيلولة في البلاد الحارة. انتهى. نقلاً عن السمين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكر في هذه الآية. ﴿لَأَيَٰتٍ﴾: لدلالات واضحة على قدرة الله تعالى. ﴿لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾: سماع تفهم واستبصار، وتدبر، واعتبار؛ لأن الحكمة فيما ذكر ظاهرة.

هذا و﴿مَنَامُكُم﴾ مصدر ميمي بمعنى النوم، أو هو اسم مكان بمعنى موضعه، أو هو اسم زمان بمعنى زمانه؛ لأن «مفعلاً» يصلح لهذا كله. هذا؛ والنوم هو الموتة الصغرى؛ لذا أرشدنا سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ أن نقول عند القيام من النوم: «**سُبْحَانَ مَنْ أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**». والنوم قسمان: نوم العين، ونوم القلب، فنوم العين فترة طبيعية، تعتري الحيوان، وتتعطل حواسه بها، وأما نوم القلب، فهو تعطيل القوى المدركة، والثاني لم يقع من النبي ﷺ؛ لأن قلبه لا ينام، كما في حديث الصحيحين عنه ﷺ: أنه قال: «**إنّ عينيَّ تَنَامَانِ، ولا ينامُ قَلْبي**». ورحم الله البوصيري إذ يقول: [البسيط]

لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ ... قَلْباً إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

هذا والفعل (يسمع) من الأفعال الصوتية، إن تعلق بالأصوات؛ تعدى إلى مفعول واحد، وإن تعلق بالذوات؛ تعدى إلى اثنين، الثاني منهما جملة فعلية مصدرة بمضارع من الأفعال الصوتية، مثل قولك: سمعت فلاناً يقول كذا، وهذا اختيار الفارسي، واختار ابن مالك، ومن تبعه أن تكون الجملة الفعلية في محل نصب حال، إن كان المتقدم معرفة، وصفة إن كان نكرة، مثل قولك: سمعت رجلاً يقول كذا.

الإعراب: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم﴾: انظر الآية السابقة فإعراب هذه الجملة مثلها، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله. ﴿بِٱلَّيۡلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالمصدر الميمي، وإن علقتهما بمحذوف حال من الكاف؛ فالمعنى لا يأباه. (النهار): معطوف على الليل. (ابتغاؤكم): معطوف على منامكم، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾: متعلقان بالمصدر (ابتغاء) والهاء في محل جر بالإضافة، وانظر إعراب مثل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾ إلخ في الآية رقم [٢١] مفردات، وجملاً، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤﴾

الشرح: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾: هذا الفعل من: «رأىٰ» البصرية التي تنصب مفعولاً واحداً، فلما دخلت عليه همزة التعدية صار: «أَرَى» وحذفت الهمزة الأصلية منه؛ لأن أصله «أَرْأَى» مثل: «أذهب»، وفي المضارع حذفت منه الهمزتان كما ترى، وهمزة التعدية عدته إلى المفعولين.

﴿ٱلۡبَرۡقَ﴾: مصدر: برق، يبرق: إذا لمع. والرعد مصدر: رعد، يرعد، وهما معروفان، ومشاهدان للناس، وتفسيرهما وشرحهما في الشرع غير تفسيرهما في العلم الحديث. ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾: هذا الخوف، والطمع من رؤية البرق يكونان من وجوه: الأول: عند لمعان البرق يخاف من الصواعق، ويطمع في نزول المطر. الثاني: أنه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر، ومن على بيدره التمر، والزبيب، والقمح ونحو ذلك، ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع، ونحوهم. الثالث: أن المطر يخاف منه إذا كان في غير مكانه، وزمانه، ويطمع فيه إذا كان في مكانه وزمانه المناسبين لسقوطه، وخذ قول أبي الطيب في ممدوحه: [الطويل]

فتىً كَالسَّحَابِ الْجَوْنِ يُخْشَى وَيُرْتَجَى ... يُرَجى الْحَيَا مِنْهُ، وتُخْشى الصَّواعِقُ

هذا؛ وقيل: ﴿خَوۡفٗا﴾ أن يكون البرق برقاً خلباً، لا يمطر، ﴿وَطَمَعٗا﴾ أن يكون ممطراً. قاله ابن بحر، وأنشد قول الشاعر: [الرمل]

لا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقاً خُلَّباً ... إنَّ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهْ

هذا؛ والسماء يذكر، ويؤنث، والسماء: كل ما علاك، فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء، والسماء: المطر، يقال: ما زلنا نطأ السماء؛ حتى أتيناكم، قال معاوية بن مالك: [الوافر]

إذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ، وَإنْ كَانُوا غِضَابَا

أراد بالسماء المطر، ثم أعاد الضمير عليه في: «رعيناه» بمعنى النبات، وهذا يسمى في فن البديع بالاستخدام، وأصل سماء سماو، فيقال في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة، وانظر شرح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في الآية رقم [٢٢].

وأما ﴿مَآءٗ﴾ فاصله: مَوَه بفتح الميم والواو، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: «ماه» فلما اجتمعت الألف والهاء، وكلاهما خفي، قلبت الهاء همزة، ودليل ذلك: أن جمع ﴿مَآءٗ﴾: أمْوَاه، ومياه، وتصغيره: مُوَيْه، وأصل ياء مياه واو، لكنها قلبت ياءً لانكسار ما قبلها في جمع أعلت في مفرده، كما قالوا: دار، وديار، وقيمة، وقيم، ومثله قولهم: سوط، وسياط، وحوض، وحياض، وثوب، وثياب، وثور، وثيرة. ويقال في تعريف الماء: هو جسم رقيق مائع به حياة كل نامٍ. وقيل في حده: جوهر سيال به قوام الأرواح. بعد هذا خذ قول أبي ذؤيب الهذلي: [الطويل]

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ ... مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

فهو يصف السحاب على اعتقاد العرب في الجاهلية، ومثلهم العصريون في هذا الزمن من أن السحاب، أي: الغيوم تدنو من البحر الملح في أماكن مخصوصة، فتمتد منها خراطيم

كخراطيم الفيلة، فتشرب بها من مائه، فيسمع لها عند ذلك صوت مزعج، ثم تصعد إلى الجو، وترتفع، فيلطف ذلك الماء، ويعذب بإذن الله تعالى في زمن صعودها، ثم تمطره حيث شاء العلي القدير. هذا ونص الآية يرد هذا الاعتقاد، وأما عند أهل السنة، فهم يقولون: إن أصله من الجنة، يأتي به المولى القدير من السحاب من خروق فيها كخروق الغربال.

وأقول: إن ما ينزل من السماء من مطر بعضه من ماء البحار المالحة الأرضية، وبعضه من خزائن القدرة على أن الأول لا ينبت وإنما الإنبات والخصب في الثاني، وعلامة الأول أنه ينزل غزيراً كأنما ينصب من أفواه قرب، وأما ما يقوله الدهريون الملحدون: إن الطبيعة تمطر فهو كفر صراح.

﴿فَيُحْيِ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: انظر الآية رقم [١٩]. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: فيما ذكر في هذه الآية. ﴿لَآيَاتٍ﴾: لدلالات واضحة على قدرة الله تعالى. ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: يفهمون. وإذا فهموا؛ تدبروا، وإذا تدبروا؛ اتعظوا، وتذكروا؛ وإذا اتعظوا؛ آمنوا، ووحدوا، وإذا آمنوا؛ عبدوا الله.

الإعراب: ﴿وَمِنْ﴾: الواو: حرف عطف. (من آياته): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يُرِيكُمُ﴾: هذا الفعل مقدر بـ: «أن يريكم» وعليه فأن المقدرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، ومثل ذلك قول طرفة بن العبد في معلقته رقم [٦٠]: [الطويل]

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الْوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟

بنصب «أَحْضُرَ» بعد حذف أن الناصبة، وهي رواية الكوفيين، ولكن لم يقرأ أحد بنصب الفعل في الآية، أو الفعل منزل منزلة المصدر، كما في قول طرفة المذكور في رفع «أَحْضُرُ» وهي رواية البصريين، ومنه المثل العربي: «تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ» فيروى «تَسْمَع» برفعه، ونصبه، وإنزال الفعل منزلة المصدر واضح في قول عروة بن الورد العبسي، المعروف بعروة الصعاليك: [الوافر]

فَقَالُوا: مَا تَشَاءُ؟ فَقُلْتُ: أَلْهُو ... إِلَى الإِصْبَاحِ آثَرُ ذِي أَثِيرِ

هذا؛ أو: الجملة الفعلية: ﴿يُرِيكُمُ﴾ في محل رفع صفة لمبتدأ محذوف، التقدير: ومن آياته آية يريكم بها البرق، كما قال ابن مقبل الشاعر: [الطويل]

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا ... أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ

التقدير: فمنهما تارة أموت منها. وقيل: التقدير: ومن آياته أنه يريكم البرق. وتعسف أبو البقاء وجهاً آخر، فاعتبر: (من آياته) متعلقين بمحذوف حال من البرق، وقال التقدير: يريكم

البرق كائناً من آياته، والمعتمد من كل ما تقدم تنزيل الفعل منزلة المصدر، و﴿يُرِيكُمُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله) والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿ٱلْبَرْقَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ...﴾ إلخ على جميع الوجوه معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿خَوْفًا﴾: مفعول لأجله، أو هو حال على حذف المضاف، التقدير: ذوي خوف، وذوي طمع، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: فتخافون خوفاً، وتطمعون طمعاً. أجاز الاعتبارات الثلاثة ابن هشام في المغني. ﴿وَيُنَزِّلُ﴾: الواو: حرف عطف. (ينزل): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَآءً﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». وجملة: ﴿وَيُنَزِّلُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿يُرِيكُمُ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿فَيُحْيِۦ﴾: الفاء: حرف عطف. (يحيي): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل (يحيي)، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و(موتها) مضاف إليه، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَيُحْيِۦ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها أيضاً، وانظر مثل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ...﴾ إلخ في الآية رقم [٢١] فالإعراب لا يختلف.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: من علامات قدرة الله، ودلائل ربوبيته، ووحدانيته. ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: تثبتا وتدوما بلا عمد، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ سورة (الرعد) رقم [٢]، وقال في الآية رقم [١٥] من سورة (النحل): ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ والتعبير بالأمر للمبالغة في كمال القدرة، والغنى عن الآلة. ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أي: الذي فعل هذه الأشياء قادر على أن يبعثكم من قبوركم، والمراد بالدعوة هي ما عبر عنها جلت قدرته بسورة ﴿قٓ﴾ في قوله: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ والمنادي هو إسرافيل عليه السلام، والصيحة هي قوله: أيتها العظام البالية! أيتها اللحوم المتمزقة! أيتها الشعور المتفرقة! أيتها الأوصال المتقطعة! إن الله يأمركن أن تجتمعْنَ لفصل القضاء. فلا تبقى حينئذ نسمة من الأولين، والآخرين إلا قامت تنظر، كما قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

هذا؛ وأظهر الله تعالى ﴿أَن﴾ الناصبة هنا التي هي علم الاستقبال، ولم يظهرها في الآية السابقة قبل: ﴿يُرِيكُمُ﴾ لأن القيام هنا بمعنى البقاء لا الإيجاد، وهو مستقبل باعتبار أواخره، وما بعد نزول هذه الآيات. انتهى. جمل بتصرف.

فائدة: ذكر الله قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ في الأربع مواضع، ولم يذكره في الأول، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ ولا في الأخير، وهو هذا، ووجه عدم ذكره في الأول: أن خلق الأنفس، وخلق الأزواج من باب واحد، وهو الإيجاد، فاكتفى فيهما بذكره مرة واحدة، أي: اكتفى بذكر قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ مرة واحدة. وأمَّا قيام السموات، والأرض الذي هو الأخير فلذكره الدلائل الظاهرة بقوله: ﴿لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ و﴿يَسْمَعُونَ﴾ و﴿يَعْقِلُونَ﴾ فيكون الأمر بعدها أظهر فلم يميز أحداً عن أحد، أو ذكر ما هو مدلوله، وهو قدرته على الإعادة. انتهى. جمل نقلاً من الرازي.

فائدة: قال هنا: ﴿إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ وقال في خلق الإنسان أولاً: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾؛ لأنه هناك يكون خلق، وتقدير، وتدريج، حتى يصير التراب قابلاً للحياة، فتنفخ فيه الروح، فإذا هو بشر. وأما في الإعادة فلا يكون تدريج، بل يكون بدء، وخروج، فلم يقل هنا: ثم. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمِنْ﴾: الواو: حرف عطف. (من آياته): جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب، واستقبال. ﴿تَقُومَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿السَّمَاءُ﴾: فاعل. ﴿وَالْأَرْضُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بِأَمْرِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، و﴿أَن تَقُومَ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، التقدير: ومن آياته قيام السموات. . .إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿دَعَاكُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر فيه، تقديره: «هو» يعود إلى الله، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿دَعْوَةً﴾: مفعول مطلق. ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (دعا) كقوله: دعوته من أسفل الوادي، فطلع إليَّ، وقال أبو البقاء: فيه وجهان: أحدهما هو صفة لـ: ﴿دَعْوَةً﴾ والثاني: أن يكون متعلقاً بمحذوف، تقديره: خرجتم من الأرض، ودل على المحذوف ما بعده، والمعتمد الأول، تأمل. ﴿إِذَا﴾: كلمة دالة على المفاجأة، وهي رابطة لجواب ﴿إِذَا﴾ الشرطية قبلها.

و«إذا» الفجائية تختص بالجملة الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، نحو خرجت؛ فإذا الأسد بالباب، وهي حرف عند الأخفش، وابن مالك، ويرجحه نحو: «خَرَجْتُ فَإِذَا إِنَّ زَيْداً بِالْبَابِ» لأن «إنَّ» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وهي ظرف مكان عند المبرد، وابن عصفور، وظرف زمان عند الزجاج، والزمخشري، وزعم الأخير: أن عاملها فعل مشتق من لفظ المفاجأة. ولا يعرف هذا لغير الزمخشري، وإنما ناصبها عندهم الخبر المذكور، في نحو «خرجتُ فإذا زيدٌ جالسٌ» أو المقدر في نحو: فإذا الأسد. أي: حاضر، وإذا قدرت أنها الخبر؛ فعاملها مستقر، أو: استقر، ولم يقع الخبر معها في التنزيل إلا مصرحاً به. انتهى. ملخصاً من مغني اللبيب.

وعلى اعتبارها ظرف مكان، أو زمان فعاملها الفعل بعدها، فيكون التقدير: أنتم تخرجون وقت مفاجئتكم، أو في مكان مفاجئتكم العذاب. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَخْرُجُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها معطوف على الجملة الاسمية السابقة على المعنى؛ إذ المعنى: ومن آياته قيام السموات والأرض بأمره، ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة من الأرض، وانظر الآية رقم [٣٣] الآتية.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَهُۥ﴾ أي: لله. ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خلقاً، وملكاً، وعبيداً. ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: روي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: أنه قال: «كُلُّ قُنُوتٍ فِي القُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ» ومطيعون طاعة انقياد، وإقرار بالعبودية، إما قولاً، وعملاً من المؤمنين، وإما دلالة من الكافرين، وما أحسن ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أنه قال: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مطيعون في الحياة والبقاء، والموت، والبعث، وإن عصَوْا في الْعِبَادَةِ».

الإعراب: ﴿وَلَهُۥ﴾: الواو: حرف استئناف. (له): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وكذا إن اعتبرتها معطوفة على ما قبلها. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، جوز الابتداء به الإضافة المقدرة؛ إذ التقدير: كلهم. ﴿لَّهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿قَٰنِتُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وفيها معنى التأكيد لما قبلها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: يخلقهم ابتداء بعلوق كل واحد في الرحم قبل ولادته. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: يحييه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث، فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما يخفى من إعادته.

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: والإعادة بعد الموت أسهل على الله تعالى من بدء الخلق، وإنشائه، وهذا بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة. وهذا جواب لسؤال قد يرد، وهو أنه كيف قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ والأفعال كلها بالنسبة إلى قدرته تعالى متساوية في السهولة؟! وإيضاحه: أن الأمر مبني على ما ينقاس على أصولكم، ويقتضيه معقولكم من أن الإعادة للشيء أهون من ابتدائه؛ لأن من أعاد منكم صنعة شيء، كانت أسهل عليه، وأهون من إنشائها، فالإعادة محكوم عليها بزيادة السهولة. هذا وذكر الضمير في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ مع أنه عائد على الإعادة باعتبار كونها رداً، وإرجاعاً، أو مراعاة للخبر، وهو ﴿أَهْوَنُ﴾ قال الجمل: وذكَّر الضمير فيه مع أنه راجع إلى الإعادة المأخوذة من لفظ: ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ نظراً إلى المعنى دون اللفظ، وهو رجعه، أو رده كما نظر إليه في قوله: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي: مكاناً ميتاً، أو تذكيره باعتبار الخبر. انتهى. نقلاً عن كرخي.

وقيل: الضمير المجرور بـ: (على) يعود إلى الخلق، فتكون الإعادة أهون على الخلق، وذلك؛ لأنهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، إلى أن يصيروا رجالاً، ونساءً. وقيل: إن أهون بمعنى: هين وليس على بابه من التفضيل؛ لأنه ليس شيء أهون على الله من شيء. قال أبو عبيدة: ومن جعل أهون يعبر عن تفضيل شيء على شيء، فقوله مردود بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾، وبقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ والعرب تحمل «أفعل» على فاعل، ومنه قول الفرزدق: [الكامل]

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

أي: دعائمه عزيزة طويلة. وقال معن بن أوس: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ ... عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

أراد: إني لَوَجِل. ومن ذلك قول الشافعي رضي الله عنه: [الطويل]

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ، وَإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ

أي: لست فيها بواحد. هذا؛ وتذكير الضمير في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ﴾ مع أن المراد به الإعادة المفهومة من الفعل لأن المعنى: وأن يعيده أهون عليه، وأُخِّر الجار، والمجرور ﴿عَلَيْهِ﴾ عن ﴿أَهْوَنُ﴾ هنا، وقُدّم في قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ الآية رقم [٢٠] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام لقصد الاختصاص هناك، وأما هنا فلا معنى للاختصاص، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف العجيب الشأن، كالقدرة العامة، والحكمة التامة، وليس لغيره ما يساويه، أو يدانيه في ذلك، وقد وصف به في السموات والأرض على ألسنة الخلائق، وألسنة الدلائل، وهو أنه القادر، الذي لا يعجز عن شيء، من إنشاء، وإعادة، وغيرهما من المقدورات والممكنات، وعن مجاهد، وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قول: لا إله إلا الله؛ أي: الذي له الوصف الأرفع شأناً والأعلى مكانة؛ الذي هو الوصف بالوحدانية. ويعضده ما يلي في الآية التالية.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي القاهر الغالب لكل مقدور. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي يجري كل فعل على حسب حكمته، وعلمه، ومقتضى قضائه، وقدره، وإرادته، ومشيئته.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿يَبْدَؤُا۟﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلْخَلْقَ﴾: مفعول به. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُعِيدُهُۥ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿أَهْوَنُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَهْوَنُ﴾ على جميع الاعتبارات فيه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (له): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمَثَلُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾: صفة المثل مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو غير وجيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها، ولا محل لها على الاعتبارين، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا...﴾ إلخ: قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت هذه الآية في كفار قريش، كانوا يقولون في التلبية: لبيك لا شريك لك؛ إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا مثل ضربه الله للمشركين، والمعنى: هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه في ماله، ونفسه مثله؟! فإذا لم ترضوْا بهذا لأنفسكم، فكيف جعلتم لله شركاء؟.

هذا؛ وقال بعض العلماء: هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض، ونفيها عن الله سبحانه، وذلك: أن الله عز وجل لما قال: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا...﴾ إلخ فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا. فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم، وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي؟! فهذا حكم فاسد، وقلة نظر، وعمى قلب، فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم، فيما يملكه السادة، والخلق كلهم عبيد الله، فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكاً لله تعالى في شيء من أفعاله، فلم يبق إلا أنه يستحيل أن يكون له شريك؛ إذ الشركة تقتضي المعاونة، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضاً بالمال، والعمل، والقديم الأزلي منزه عن ذلك. وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه؛ لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب، فافهم ذلك. انتهى. قرطبي.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ إلخ: منتزعاً من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم. ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾: من عبيدكم، ومماليككم. ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي: من الأموال، وغيرها. ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم، فتكونون أنتم وهم فيه شرك يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم، وأن أموالكم معارة لكم؟.

﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أي: تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها، فلا تمضون فيها حكماً دون إذنهم خوفاً من لائمة تلحقكم من جهتهم. ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: كما يخاف بعض الأحرار بعضاً، فيما هو مشترك بينهم. فإذا لم ترضوْا بذلك لأنفسكم؛ فكيف ترضوْن لرب الأرباب، ومالك الأحرار، والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا التفصيل. ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نبينها؛ لأن التمثيل مما يكشف المعاني، ويوضحها. ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يفهمون، وإذا فهموا؛ تدبروا، وإذا تدبروا؛ اتعظوا وتذكروا، وإذا اتعظوا؛ آمنوا ووحدوا، وإذا آمنوا؛ عبدوا الله. فاستعمال العقل يؤدي إلى كل خير، وعدم استعماله يجعل الإنسان في عداد البهائم.

هذا؛ وأما النفس، فإنها تجمع في القلة: أنفس، وفي الكثرة: نفوس، والنفس تؤنث باعتبار الروح، وتذكر باعتبار الشخص؛ أي: فإنها تطلق على الذات أيضاً، سواء أكان ذكراً؛ أم أنثى، فعلى الأول قيل: إنها جسم لطيف مشتبك بالجسم اشتباك الماء بالعود الأخضر الرطب، فتكون سارية في جميع البدن.

قال الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ: الروح: شيء استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا يجوز البحث عنه بأكثر من أنه موجود، قال تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقال بعضهم: إن هناك لطيفة ربانية، لا يعلمها إلا الله تعالى فمن حيث تفكرها تسمى: عقلاً، ومن حيث حياة الجسد بها تسمى: روحاً، ومن حيث شهوتها تسمى: نفساً، فالثلاثة متحدة بالذات، مختلفة بالاعتبار، وهذا ما تدل عليه الآثار الصحاح، انظر رقم [٤٢] من سورة (الزمر).

هذا؛ وقد ذكر القرآن الكريم: أن للنفس خمس مراتب: الأمارة بالسوء، واللوامة، والمطمئنة، والراضية، والمرضِيَّة، ويزاد: الملهمة، والكاملة، فالأمارة بالسوء هي التي تأمر صاحبها بالسوء، ولا تأمر بالخير إلا نادراً، وهي مقهورة، ومحكومة للشهوات. وإن سكنت لأداء الواجبات الإلهية، وأذعنت لاتباع الحق؛ لكن بقي فيها ميل للشهوات؛ سميت لوامة. وإن زال هذا الميل، وقويت على معارضة الشهوات، وزاد ميلها، إلى عالم القدس، وتلقت الإلهامات؛ سميت ملهمة. فإن سكن اضطرابها، ولم يبق للنفس، الشهوانية حكم أصلاً؛ سميت مطمئنة. فإن ترقت من هذا، وأسقطت المقامات من عينها، وفنيت عن جميع مراداتها؛ سميت راضية. فإن زاد هذا الحال عليها؛ صارت مرضية عند الحق، وعند الخلق، فإن أمرت بالرجوع إلى العباد لإرشادهم، وتكميلهم؛ سميت كاملة، فالنفس سبع طبقات، ولها سبع درجات، كما ذكرت، وقدمت.

وأخيراً خذ ما ذكره القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي الخبر عن النبي ﷺ: أنه قال: «**مَا تَقُولُونَ في صَاحِبٍ لَكُمْ، إِنْ أَكْرَمْتُمُوهُ، وَأَطْعَمْتُمُوهُ، وَكَسَوْتُمُوهُ؛ أَفْضَى بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ. وإِنْ أَهَنْتُمُوهُ، وَأَعْرَيْتُمُوهُ، وَأَجَعْتُمُوهُ؛ أَفْضى بِكُمْ إِلَى خَيْرِ غَايَةٍ؟**». قَالُوا: يا رسولَ اللهِ! هَذَا شَرُّ صَاحِبٍ! قَالَ: «**فَوَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَنُفُوسُكُمُ التي بَيْنَ جُنُوبِكُمْ!**».

الإعراب: ﴿ضَرَبَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى (الله). ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: في محل مفعول ثان تقدم على الأول. ﴿مَّثَلًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿مَّثَلًا﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ضَرَبَ لَكُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿هَل﴾: حرف استفهام توبيخي إنكاري. ﴿لَّكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿مِّن﴾، والجار

والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من ﴿شُرَكَآءَ﴾ كان نعتاً له. . .إلخ، وبعضهم لا يجيز مجيء الحال من المبتدأ. ﴿مَلَكَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿أَيْمَٰنُكُم﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو: من شيء ملكته أيمانكم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿شُرَكَآءَ﴾: مبتدأ مؤخر مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، والجر اللفظي لم يظهر؛ لأنه ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة، والجملة الاسمية مفسرة لـ: ﴿مَّثَلًا﴾. ﴿فِى مَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿شُرَكَآءَ﴾، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة والموصوفة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من شركاء كائنين في الذي، أو: في شيء رزقناكموه.

﴿فَأَنتُمْ﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿سَوَآءٌ﴾ لأنه بمعنى: مستوون، أو: متساوون. ﴿سَوَآءٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، وقال أبو البقاء: الجملة في موضع نصب جواب الاستفهام، أي: هل لكم، فتستووا. ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . .إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، وقال أبو البقاء: في محل نصب حال من الضمير المستتر في: (سواء). ﴿كَخِيفَتِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف؛ إذ التقدير: تخافونهم خيفة كائنة مثل خيفتكم، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: مفعول به للمصدر: (خيفة)، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: نفصل الآيات تفصيلاً كائناً مثل ذلك التفصيل. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿نُفَصِّلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر وجوباً، تقديره: «نحن». ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ في محل جر صفة (قوم)، وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي: أشركوا بالله غيره، وأطلق على الشرك لفظ الظلم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. وفيه الإضراب مع الالتفات، وأقيم الظاهر مقام

الضمير للتسجيل عليهم بوصف الظلم. ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ﴾ أي: اتبعوا أهواءهم جاهلين؛ لأن العالم إذا ركب هواه؛ ربما ردعه علمه، وكفه، وأما الجاهل، فإنه يهيم على وجهه كالبهيمة، لا يكفه شيء عن غيه، وضلاله. هذا؛ ولما قامت عليهم الحجة ذكر الله تعالى: أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم، وتقليد الأسلاف في عبادتها، بدون سند يعتمدون عليه.

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي: لا هادي لمن أضله الله تعالى، وفي هذا رد على القدرية، وغيرهم. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: يخلصونهم من الضلالة، ويحفظونهم من آفاتها، وأضرارها في الدنيا والآخرة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٧] من سورة (الفرقان) من إضلال الكافرين؛ وانظر شرح (الهوى) في الآية رقم [٤٣] منها أيضاً، وفيه مراعاة المعنى.

الإعراب: ﴿بَلِ﴾: حرف إضراب انتقالي. ﴿ٱتَّبَعَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَهْوَآءَهُم﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بِغَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(غير) مضاف، و﴿عِلْمٍۖ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿ٱتَّبَعَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: هي الفصيحة، ولا وجه له. (مَنْ): اسم استفهام توبيخي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: (مَنْ). ﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلة: ﴿مَنْ﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير الذي، أو شخصاً أضله الله، والجملة الفعلية: ﴿يَهْدِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَمَن يَهْدِى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّٰصِرِينَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الواو المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالياء؛ التي جلبها حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ﴾: هذا خطاب لسيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ، ويدخل في هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل. وإقامة الوجه معناها: تقويم المقصد، والقوة على

الجد في أعمال الدين، فإن من اهتم بشيء محسوس بالبصر؛ عقد عليه طرفه، ومد إليه نظره، وقوم له وجهه، مقبلاً عليه؛ أي: فقوم وجهك له غير ملتفت يميناً، ولا شمالاً. و﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن كل دين باطل إلى دين الحق. قال الشاعر: [الوافر]

وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا حَنِيفاً دِينُنَا عَنْ كُلِّ دِينِ

ولقد تكرر الكلام على إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ بأنه كان حنيفاً، وفسر بما ذكرته. هذا؛ والحنف: الميل في القدمين. وقد قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في غير هذا الموضع: ولفظة: حنيفاً، وحنفاء من الأضداد، تقع على الاستقامة، وتقع على الميل. انتهى. وهذا يكون على المعنى المأخوذ منه، وهو الميل، وقد ذكرت لك فيما مضى: أن الفعل: «مال» يتغير معناه بتغير الجار، تقول: ملت إليه، وملت عنه، وهو ظاهر.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: الزموا فطرة الله، والفطرة: الخلقة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ فالمعنى: أنه خلقهم قابلين للتوحيد، والإسلام، غير نائين عنه، ولا منكرين له، لكونه مجاوباً للعقل، ومساوقاً للنظر الصحيح، حتى لو تُركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر، ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن، والإنس، ومنه قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ: «**كُلُّ عبادِي خَلَقْتُ حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي غَيْرِي**».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَواهُ يُهَوِّدَانِهِ، ويُنَصِّرَانِهِ، ويُمجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمةُ بَهِيمةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**». ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾. وفي روايةٍ: «**حَتَّى تكونوا أَنْتُمْ تجدعونها**». قالوا: يا رسول الله! أفرأيت من يموت صغيراً؟ قال: «**الله أعلمُ بمَا كَانُوا عَامِلِينَ**». رواه مسلم. ومعنى: «كما تُنْتَجُ الْبَهِيمةُ بَهِيمةً جَمْعَاءَ» أي سالمة من العيوب، كاملة الخلق، ومعنى: «**هل تُحِسُّونَ فيها مِنْ جَدْعَاءَ**». أي: مقطوعة الأذن. فمثَّل قلوب بني آدم بالبهائم؛ لأنها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان، ثم تقطع آذانها بعدُ وأنوفُهَا، فيقال: هذه بحائر، وهذه سوائب. يقول: فكذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم، ليس فيها كفر، ولا إيمان، ولا معرفة، ولا إنكار كالبهائم السائمة، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين، فكفر أكثرهم، وعصم الله أقلهم.

وقال الزجاج ـ رحمه الله تعالى ـ: معناه: أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء في الحديث: أن الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالذر، وأشهدهم على أنفسهم، بأنه خالقهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٧٢] من سورة (الأعراف) وكل مولود هو من تلك الذرية؛ التي شهدت بأن الله تعالى خالقها. فمعنى فطرة الله:

دين الله. انتهى. ولكن لا اعتبار بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة، والفعل، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرانِهِ**». فهو مع وجود الإيمان الفطري، فإنه محكوم له بحكم أبويه الكافرين.

وحكي عن عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ: أنه قال: معنى الحديث: أن كل مولود يولد على فطرته؛ أي: خلقته التي خلقه الله عليها، في علمه تعالى من السعادة، والشقاوة، فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليه، وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها، فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين، أو نصرانيين، فيحملانه على اعتقاد دينهما. انتهى. أقول: وإذا كان الله قد قدر له السعادة، فيهديه إلى الإيمان، فيترك دين أبويه، ويؤمن بالله، ورسوله.

وقيل: معناه: أن كل مولود في مبدأ الخلقة على الفطرة، أي على الجبلة السليمة، والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها؛ لاستمر على لزومها؛ لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول السليمة، والحجة المستقيمة، وإنما يعدل عنه من عدل إلى غيره؛ لأنه من آفات التقليد، ونحوه، فمن سلم من تلك الآفات، لم يعتقد غيره، فعرف الحق، وعرف دين الإسلام، وقد دل على صحة هذا المعنى قول النبي ﷺ: «**كَمَا تُنتَجُ الْبَهِيمةُ بَهِيمةً جَمْعَاءَ، هل تُحِسُّونَ فِيهَا من جَدْعَاءَ**». أي: كما تلد البهيمة بهيمة مستوية، لم يذهب من بدنها شيء.

ولا بأس بهذا القول، وأن انحراف العبد عن الفطرة السليمة، يظهر بعد أن يدرك، ويعقل أمر الدنيا، وقد تأكدت حجة الله عليه بما نصب من الآيات الظاهرة من خلق السموات والأرض، والشمس والقمر، والبر والبحر، واختلاف الليل والنهار، فلما عملت أهواؤه فيه؛ أتته الشياطين، فدعته إلى اليهودية، أو النصرانية، أو الوثنية فذهبت بأهوائه يميناً، وشمالاً، وهو إن مات صغيراً فهو في الجنة، وأعني: جميع أطفال الكفار من يهود، ونصارى، ومجوس، بل ووثنيين؛ لأن الله لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صور الذر؛ أقروا له بالربوبية والوحدانية وهو فحوى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ...﴾ إلخ الآية رقم [١٧١] من سورة (الأعراف).

ثم أعادهم في صلب آدم بعد أن أقروا له بالربوبية، وأنه الله لا إله غيره، ثم يكتب العبد في بطن أمه شقياً، أو سعيداً على الكتاب الأول، فمن كان في الكتاب الأول شقياً عُمِّر حتى يجري عليه القلم، فينقض الميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم بالشرك، ومن كان في الكتاب الأول سعيداً عُمِّر حتى يجري عليه القلم، فيصير سعيداً، ومن مات صغيراً من أولاد المسلمين قبل أن يجري عليه القلم فهم مع آبائهم في الجنة؛ لأنهم ماتوا على الميثاق الأول الذي أخذ عليهم في صلب آدم، ولم ينقضوا الميثاق. ذهب إلى هذا جماعة من أهل التأويل، وهو يجمع بين الأحاديث، ويكون معنى قوله ﷺ لما سئل عن أولاد المشركين، فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» أي: لو بلغوا.

وقد روي من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «**لَمْ تَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ فَيُجْزَوْا بِهَا، فَيَكُونُوا مِنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ فَيُعَاقَبُوا عَلَيْهَا، فَيَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَهُمْ خَدَمٌ لأَهْلِ الْجَنَّةِ**». ذكره يحيى بن سلام في التفسير له.

وقال أبو بكر الوراق ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ هي الفقر، والفاقة، وهذا حسن فإنه منذ ولد إلى حين يموت فقير محتاج، نعم؛ وفي الآخرة؛ أي: أحوج إلى فضل الله تعالى. انتهى. قرطبي بتصرف.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة الخالق، ولا يجيء الأمر على خلاف هذا بوجه، أي: لا يشقى من خَلَقه سعيداً، ولا يسعد من خلقه شقياً. وقال مجاهد: المعنى لا تبديل لدين الله، ويدل عليه ما بعده. وقاله قتادة، وابن جبير، والضحاك، وابن زيد، والنخعي، والزجاج، قالوا: هذا معناه في المعتقدات. وقال عكرمة: وروي عن ابن عباس، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: أن المعنى لا تغيير لخلق الله من البهائم أن تخصى فحولها، فيكون معناه النهي عن خصاء الفحول من الحيوان.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: دين الإسلام هو الدين القيم المستقيم، فالإشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له، أو الفطرة؛ إن فسرت بالملة، أو الطريقة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يتفكرون، فيعلمون: أن لهم خالقاً معبوداً، وإلهاً قديماً سبق قضاؤه، ونَفَذ حكمه. وانظر الآية رقم [٦] تجد ما يسرك.

هذا؛ والدين بكسر الدال اسم لجميع ما يتعبد به الله تعالى. والدين أيضاً: الملة، والشريعة. ومن هذا قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾. والدِّين: الحساب، والجزاء، ومنه: يوم الدين، أي: يوم الجزاء، والحساب. ومنه: كما تدين تدان، أي: كما تفعل تجازى. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: يوم الدِّين: يوم حساب الخلائق يدينهم بأعمالهم، إن خيراً؛ فخير، وإن شرّاً فشرٌّ، إلا من عفى الله عنه، والأمر أمره، ثم قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾. هذا؛ والدَّيْنُ بفتح الدال: القرض المؤجل، وجمع الأول: أديان، وجمع الثاني: ديون، وأَدْيُن. هذا؛ والدينونة: القضاء، والحساب، والديانة: اسم لجميع ما يتعبد به الله تعالى.

أما ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾ فهو المستقيم، المعتدل، أي: لا إفراط فيه، ولا تفريط، وأصله: الْقَيْوِم: فقلبت الواو ياء، ثم أدغمت الياء في الياء، وهذا على القاعدة: «إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء»، وانظر سورة (يوسف) رقم [٤٠].

الإعراب: ﴿فَأَقِمْ﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: الفصيحة، وهو ضعيف معنًى. (أقم): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿وَجْهَكَ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِلدِّينِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَنِيفًا﴾: حال من

الفاعل المستتر، أو من: (الدين). ﴿فِطْرَتَ﴾: مفعول به على الإغراء بفعل محذوف، تقديره: الزموا فطرة، أو: عليكم فطرة، أو: اتبعوا فطرة، وقدر بالجمع لقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ...﴾ إلخ في الآية التالية، وقال الطبري: ﴿فِطْرَتَ﴾ مصدر من معنى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ لأن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة، وانظر إعراب: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ في الآية رقم [٨٨] من سورة (النمل). و﴿فِطْرَتَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿فِطْرَتَ﴾. ﴿فَطَرَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿فَأَقِمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿تَبْدِيلَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لِخَلْقِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَا﴾، و(خلق) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿لَا تَبْدِيلَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مؤكدة لمضمون الكلام السابق مثل «أنت أخي حقاً». ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلدِّينُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، أو نعت له. ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾: خبر المبتدأ. هذا؛ وإن اعتبرت (الدين) خبر المبتدأ، و(القيم) صفته، فالمعنى لا يأباه، وانظر ما ذكرته في سورة (يوسف) رقم [٤٠] وانظر تتمة الإعراب في الآية رقم [٦].

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه، من: أناب إذا رجع مرة بعد مرة. وقيل: منقطعين إليه، ومنه أخذ اسم الناب؛ لأنه قاطع، فكأن الإنابة هي الانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ بالطاعة، والمفرد: مُنِيب، وأصله: «مُنْيِب» على وزن مُفْعِل؛ لأنه من الرباعي كما ترى، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الياء إلى النون قبلها، بعد سلب سكونها، فصار «مُنِيب» ومثله قل في إعلال «مُبِين» ونحوه. (اتقوه): خافوه، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه. (أقيموا الصلاة): أدوها على الوجه الأكمل، وقد شرحت ذلك كثيراً. ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: بأي نوع من أنواع الشرك، فإن الشرك لا يكون مقصوراً على عبادة الحجارة، أو عبادة الشمس، والقمر، أو عبادة فرد من الناس، لا؛ فإن الرياء بالعمل شرك، وإن من اعتقد: أن لمخلوق في هذا الكون تأثيراً في شيء من الأشياء؛ فقد أشرك، وإن من اعتقد: أن فلاناً؛ ضره، أو نفعه، ولم يعز ذلك إلى الله؛ فقد أشرك، ومَن يقول: إن فلاناً سبب في النفع، أو الضر؛ فلا بأس به شرعاً مع اعتقاده: أنه من الله.

الإعراب: ﴿مُنِيبِينَ﴾: حال من واو الجماعة بـ: «الزموا» الذي رأيت تقديره في الآية السابقة، أو حال من فاعل (أقم) المستتر؛ لأن الأمر للنبي ﷺ أمر له، ولأمته. فالمعنى أقيموا وجوهكم. ويؤيده عطف: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ عليه، فهو منصوب وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: الواو: حرف عطف: (اتقوه): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: «الزموا» التي رأيت تقديرها في الآية السابقة، أو هي معطوفة على جملة: (أقم...) إلخ التي رأيت تأويلها، وجملة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوفة عليها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونُواْ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع اسمه، والألف للتفريق. ﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُونُواْ﴾، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾: إن كان الضمير راجعاً إلى كفار قريش، فيكون معنى التفريق راجعاً إلى تفريق أهوائهم، واختلافهم فيما يعبدون من أوثان، وعبادة الملائكة، وغير ذلك من المعبودات الباطلة؛ التي كانت شائعة عند العرب في الجاهلية، ويؤيده قراءة حمزة، والكسائي: (فارقوا) أي: فارقوا دينهم الصحيح، وهو دين إبراهيم، وإسماعيل، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. وقيل: هم أهل البدع من هذه الأمة. وقيل: هم اليهود والنصارى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ﴾.

هذا؛ وشيع: جمع: شيعة، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وأشياع، وأصله من التشيع، وهو التحزب، ومعنى الشيعة الجماعة الذين يتبع بعضهم بعضاً. وقيل: الشيعة هم الذين يتقوى بهم الإنسان، وفي القاموس المحيط: وشيعة الرجل بالكسر: أتباعه، وأنصاره؛ والفرقة على حدة، وتقع على الواحد، والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث. وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علي بن أبي طالب، وأهل بيته ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، حتى صار اسماً لهم خاصة، قال الكميت: [الطويل]

وَمَالِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةٌ وَمَالِيَ إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

﴿كُلُّ حِزۡبِۭ﴾: كل فريق، وملة. هذا؛ والحزب في اللغة: أصحاب الرجل الذين يكونون معه على مثل رأيه، وهم القوم الذين يجتمعون لأمرٍ حَزَبَه، يعني: أهمَّه، والجمع: أحزاب. ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾: مسرورون معجبون به، معتقدون: أنه الحق.

هذا؛ و﴿لَدَيْهِمْ﴾ ظرف مكان بمعنى: «عند» وهي معربة مثلها، وقد تستعملان في الزمان، وإذا أضيف «لدى» إلى مضمر كما هنا قلبت ألفه ياء عند جميع العرب، إلا بني الحارث بن كعب، وبني خناعة فلا يقلبونها تسوية بين الظاهر، والمضمر، كما لا يقلبون ألف على وإلى ونحوهما، وعلى لغتهم جاء قول الشاعر: [الوافر]

إلَاكُمْ يَا خُنَاعَةُ، لَا إلَانَا ... عَزَا النَّاسُ الضَّرَاعَةَ وَالْهَوَانَا

فَلَوْ بَرَأَتْ عُقُولُكُمُو بَصَرْتُمْ ... بِأَنَّ دَوَاءَ دَائِكُمُو لَدَانَا

وَذَلِكُمُو إذَا وَاثَقْتُمُونَا ... عَلَى قَصْرِ اعْتِمَادِكُمُو عَلَانَا

ثم اعلم: أن «عند» أمكن من: «لدى» من وجهين: أحدهما أنها تكون ظرفاً للأعيان، والمعاني، تقول: هذا القول عندي صواب، وعند فلان علم به، ويمتنع ذلك في «لَدَى»، ذكره ابن الشجري في أماليه، ومبرمان في حواشيه. والثاني: أنك تقول: عندي مال، وإن كان غائباً، ولا تقول: لديَّ مال إلا إذا كان حاضراً. قاله جماعة.

خاتمة: هذه الآية وأمثالها تنظر إلى قول النبي ﷺ: «**أَلَا إنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا على ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ ملةً، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ إِلَى ثَلَاثٍ وَسبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ في الجنةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**». الحديث خرجه أبو داود، ورواه الترمذي وزاد فيه: قالوا: ومَنْ هِيَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**». خرجه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وهذا يبين أن الافتراق المحذَّر منه في الآية، والحديث إنما هو في أصول الدين وقواعده؛ لأنه قد أطلق عليها مللاً، وأخبر أن التمسك بشيء من تلك الملل موجب لدخول النار، ومثل هذا لا يقال في الفروع، فإنه لا يوجب تعديد الملل، ولا عذاب النار. انتهى. قرطبي في غير هذا الموضع.

أقول: وإنما يعني ـ رحمه الله تعالى ـ المذاهب الأربعة المختلفة في بعض الأحكام، فأهل هذه المذاهب يطلق عليهم اسم أهل السنة، والجماعة؛ لأنهم هم المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين، وصحابته المهتدين، وعَاضُّونَ عليها بالنواجذ. والحمد لله رب العالمين.

بعد هذا: فالفرح لذة في القلب، بإدراك المحبوب، ولذا أكثر ما يستعمل في اللذات البدنية، وقد ذم الله الفرح في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ ولكنه مطلق، فإذا قُيِّد الفرح لم يكن ذمّاً لقوله تعالى في حق الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، وقال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ أي: برحمته، وقال تعالى: ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ هذا؛ وقد قال تعالى في

سورة (غافر) رقم [٧٥]: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يدل على أنه يكون في الحق وغيره، ثم قال تعالى في تتمة الآية: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ فلم يستثن؛ لأن المرح لا يكون إلا في الشر كالبطر، والأشر.

الإعراب: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور بدل من قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بإعادة العامل. ﴿فَرَّقُواْ﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿دِينَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَكَانُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (كانوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿شِيَعًا﴾: خبر (كان) والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿حِزْبٍ﴾: مضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿فَرِحُونَ﴾ بعدهما. ﴿لَدَيْهِمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء؛ لاتصاله بالهاء التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فَرِحُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿كُلُّ...﴾ إلخ مستأنفة أو معترضة في آخر الكلام لا محل لها على الاعتبارين، وهي مقررة لما قبلها من تفريق دينهم، وكونهم شيعاً.

هذا؛ وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ منقطعاً مما قبله، ومعناه: من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم، ولكنه رفع ﴿فَرِحُونَ﴾ على الوصف لـ: ﴿كُلُّ﴾ وفحواه أنه يريد اعتبار ﴿كُلُّ﴾ مبتدأ مؤخراً، والجار والمجرور ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ متعلقين بمحذوف خبر مقدم، والمعنى لا يؤيده. تأمل.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾: أصابهم شدة من هزال، أو مرض، أو قحط، أو غير ذلك. ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم﴾: لجؤوا إلى الله بالدعاء، والتضرع. ﴿مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: مقبلين عليه بقلوبهم، وجميع جوارحهم. ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾: صحة من مرض، وخصباً من قحط، ونعمة من نقمة. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: المراد: الكفار من الناس. ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يرجعون إلى عبادة الأصنام، وترك عبادة الملك العلام.

ومعنى هذا الكلام التعجب: عجب الله نبيه ﷺ من المشركين في ترك الإنابة إليه تعالى، مع تتابع الحجج عليهم، ولكنهم إذا نزل بهم ضر؛ لجؤوا إليه في كشف الضر عنهم، فإذا كشف

عنهم؛ انقلبوا على أعقابهم خاسئين. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦] من سورة العنكبوت تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وانظر (الذوق) في الآية رقم [٥٥] منها أيضاً. هذا؛ وأما ﴿دَعَوْاْ﴾ فأصله قبل دخول واو الجماعة: (دَعَوَ) فقل في إعلاله: تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فلما اتصلت به واو الجماعة، صار «دَعَاوْا» فالتقى ساكنان: ألف العلة، وواو الجماعة، وحرف العلة أولى بالحذف من الضمير، فحذف حرف العلة، وبقيت الفتحة على العين دليلاً على الألف المحذوفة. ويقال في إعلاله أيضاً: رُدَّت الألف لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار «دَعَوا» فقُلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، فصارت ألفاً، فالتقى ساكنان: ألف العلة، وواو الجماعة. . .إلخ، كما يقال أيضاً: ردت الألف لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار: «دعَوُوا» فاستثقلت الضمة على الواو فحذفت، فالتقى ساكنان: واو العلة، وواو الجماعة، فحذفت واو العلة. . .إلخ، وما ذكرته يجري في إعلال كل فعل ناقص، اتصل به واو الجماعة، مثل: نجا، ورمى، وسعى، ودعا، وغزا. . .إلخ تنبه لذلك واحفظه.

هذا؛ وتحرك واو الجماعة بالضمة إذا التقى معها ساكن، مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ وإنما حركت بالضمة دون غيرها ليفرق بين واو الجماعة، والواو الأصلية في نحو قولك: «لَوِ اجْتَهَدْتَ لَنَجَحْتَ» وقيل: ضمت؛ لأن الضمة أخف من الكسرة؛ لأنها من جنس الواو. وقيل: حركت بحركة الواو المحذوفة. وقيل: غير ذلك.

هذا؛ والفريق: الطائفة من الناس، والفريق أكثر من الفرقة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، كرهط، ومعشر. . .إلخ، وقد جمع الضمير في الثلاثة بعده مراعاة لمعناه. تأمل.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان. . .إلخ. ﴿مَسَّ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به. ﴿ضُرٌّ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿دَعَوۡاْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة كما رأيت، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (إذا)، لا محل لها. ﴿رَبَّهُم﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مُّنِيبِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ. ﴿إِلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان به، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِذَآ﴾: ظرف لما يستقبل. . .إلخ. ﴿أَذَاقَهُم﴾: فعل ماض، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿رَبَّهُم﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: (إذا) إليها. . .إلخ. ﴿مِّنۡهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ: ﴿رَحۡمَةً﴾ بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف

حال من: ﴿رَحْمَةً﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». (إذا): كلمة دالة على الفجاءة، وهي رابطة لجواب (إذا) الشرطية قبلها، وانظر الآية رقم [٢٥]. ﴿فَرِيقٌ﴾: مبتدأ. ﴿مِّنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿فَرِيقٌ﴾. ﴿بِرَبِّهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة... إلخ. ﴿يُشْرِكُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَرِيقٌ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾ الشرطية، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله، وفي الآية دليل واضح على أن «إذا» الشرطية لا تكون معمولة لجوابها؛ لأن ما بعد «إذا» الفجائية، لا يعمل فيما قبلها. هذا؛ ومثل هذه الآية في المعنى، والإعراب الآية رقم [٥٤] من سورة (النحل).

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: اللام لام التعليل، ومتعلقة بما قبلها؛ إذ التقدير: فريق منهم بربهم يشركون؛ ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة، وجمع الضمير مراعاة لمعنى ﴿فَرِيقٌ﴾. ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾: لفظه أمر، ومعناه: التهديد، والوعيد، والمعنى: فاسرحوا في هذه الدنيا الفانية، وامرحوا إلى انتهاء آجالكم، وقرئ: (وليتمتعوا). وقيل: اللام فيه للأمر، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٦] من سورة (العنكبوت) ففيها الكفاية. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: سوء تدبيركم عند تدميركم، فهذا تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد. والالتفات من الغيبة إلى الخطاب واضح وظاهر، ويقرأ: (يعلمون) بالياء ليوافق: (ليتمتعوا) فتكون الآية قد وافقت آية (العنكبوت) رقم [٦٦] بحروفها، وعلى القراءة بالتاء فهي موافقة للآية رقم [٥٥] من سورة (النحل) بحروفها.

هذا؛ والكفر: ستر الحق بالجحود، والإنكار، وكفر فلان النعمة، يكفرها كفراً، وكفوراً، وكفراناً: إذا جحدها، وسترها، وأخفاها، وكفر الشيء: ستره وغطاه. وسمي الكافر كافراً؛ لأنه يغطي نعم الله بجحدها، وعبادته غيره. وسمي الزارع: كافراً؛ لأنه يلقي البذر في الأرض، ويغطيه، ويستره بالتراب، قال تعالى في تشبيه حال الدنيا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ وسمي الليل: كافراً؛ لأنه يغطي، ويستر كل شيء بظلمته، قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في معلقته البيت رقم [٦٥] وما بعده: [الطويل]

وألقيتُها بالثَّنْي مِنْ جَنْبِ كافرٍ ... كَذٰلِكَ أُلْقِي كلَّ رأيٍ مضلَّلِ

رضِيتُ لها بالماءِ لَمَّا رَأَيْتُها ... يجولُ بها التَّيَّارُ في كلِّ جَدْوَلِ

هذا؛ والتمتع: التلذذ بالشيء، والانتفاع به، ومثله: الاستمتاع، والاسم: المتعة. فهنيئاً لمن تمتع، واستمتع بالمباح الحلال، وويل، ثم ويل لمن تمتع، واستمتع بالحرام! هذا؛ والمتعة بكسر الميم وضمها اسم للتمتيع، والزاد القليل، وما يتمتع به من الصيد، والطعام، ومتعة المرأة ما وُصلت به بعد الطلاق من نحو القميص، والإزار، والملحفة، قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. هذا؛ والمراد من الآية: الأمر للكفار بأن يتمتعوا بدنياهم قليلاً، أو بعبادتهم الأوثان، أو باتباعهم الأهواء، فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها. وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهَدَّد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهدَّدِ به.

هذا؛ وذكرت لك: أن في الآية التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب، وللالتفات فوائد كثيرة: منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر، والملال؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد. هذه فوائده العامة، ويختص كل موضع بنكت، ولطائف باختلاف محله، كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه حث السامع، وبعثه على الاستماع؛ حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصصه بالمواجهة.

الإعراب: ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل. وقيل: العاقبة. وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ على اعتبار اللام للتعليل، ومتعلقان بفعل محذوف على اعتبار اللام للعاقبة، والمآل، التقدير: آل أمرهم للكفر. وقيل: اللام لام الأمر، فالفعل مجزوم لا منصوب، فتكون الجملة مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة: (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ليكفروا بالذي، أو: بشيء آتيناهموه. ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة. (تمتعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول محذوف، التقدير: فقل لهم يا محمد: تمتعوا، وهذه الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان هذا حالهم وعملهم؛ فقل لهم: (تمتعوا). ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سوف): حرف تسويف، واستقبال. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والمفعول محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وانظر الإعراب على قراءة الفعلين بالياء في الآية رقم [٦٦] من سورة (العنكبوت) ففيها فضل زيادة.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾: على المشركين. ﴿سُلْطَانًا﴾: حجَّةً، وعذراً، وقال الضحاك وقتادة، والربيع بن أنس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: ﴿سُلْطَانًا﴾ كتاباً، وأضاف الكلام إليه توسعاً، أو المراد: تكلم دلالة، كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾. هذا؛ وفي الحقيقة قد نطق القرآن بكفرهم كثيراً، كما هو معلوم من الآيات الكثيرة، أو المراد بالكلام: الشهادة، كأنه قال: فهو يشهد بشركهم، كما يشهد بنبوة محمد ﷺ، ويشهد بصحته: أنه منزل من عند الله، ولا تنس: أن (أم) بمعنى همزة الإنكار، فيكون المعنى: لا، لم ننزل عليهم سلطاناً. وهو قول الكوفيين. ومذهب البصريين: أنها بمعنى بل، والهمزة، والمعنى: لا يصح إلا على هذا. تأمل.

هذا؛ و(سلطان): تسلط وولاية، ومعناه هنا: الحجة، والبرهان، أو الكتاب، كما رأيت. قال بعض المفسرين المحققين: سميت الحجة سلطاناً؛ لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة له، كالسلطان يقهر غيره بقوته. وقال الزجاج: السلطان هو الحجة، وسمي السلطان سلطاناً؛ لأنه حجة الله في أرضه. انتهى. ولا تنس ما قاله عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ: «إنَّ اللهَ لَيَزَعُ بالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ». أي: يكف عن المعاصي ويردع، وجمعه بمعنى الحاكم، والمالك: سلاطين، ولا يجمع إذا كان بمعنى الحجة، والبرهان. هذا؛ وزعم الفراء: أن العرب تؤنث السلطان، تقول: قضت به عليك السلطان، أما البصريون فالتذكير عندهم أفصح، وبه جاء القرآن، والتأنيث عندهم جائز؛ لأنه بمعنى الحجة. هذا؛ والسلطان: ما يدفع به الإنسان عن نفسه أمراً يستوجب به عقوبة، كما قال تعالى حكاية عن قول سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ الآية رقم [٢١] من سورة (النمل).

هذا؛ والكلام بالنسبة للبشر، فهو يدل على أحد ثلاثة أمور:

أولها: الحدث الذي يدل عليه لفظ التكليم، تقول: أعجبني كلامُكَ زَيداً، تريد تكليمك إياه.

وثانيها: ما يدور في النفس من هواجس، وخواطر، وكل ما يعبر عنه باللفظ لإفادة السامع ما قام بنفس المخاطب، فيسمى هذا الذي تخيلته في نفسك: كلاماً في اللغة العربية، تأمل قول الأخطل التغلبي: [الكامل]

لَا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ خُطْبَةٌ ... حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ أَصِيلَا

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا

وثالثها: كل ما تحصل به الفائدة، سواء أكان ما حصلت به لفظاً، أو خطّاً، أو إشارةً، أو دلالةَ حَال. انظر إلى قول العرب: «الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ» وانظر إلى تسمية المسلمين ما بين دَفَّتي

المصحف: «كَلَامَ اللهِ»، ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾. وقال جل شأنه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾، وإلى كلمته جلت حكمته: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾، ثم انظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة الذي نفى الكلام اللفظي عن محبوبته، وأثبت لعينيها القول، والكلام، وذلك في قوله: [الطويل]

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا ... إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ: مَرْحَباً ... وأهْلاً وسهْلاً بالحبيبِ الْمُتَيَّمِ

ثم انظر إلى قول نصيب بن رباح: [الطويل]

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وانظر شرح القول في الآية رقم [٨٥] من سورة (النمل).

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل»؛ لأنها منقطعة. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سُلْطَٰنًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: حرف عطف، وسبب. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَكَلَّمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿سُلْطَٰنًا﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، وهي في المعنى صفة سلطاناً، وإن اعتبرت الفاء زائدة؛ وضح المعنى. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بسبب كونهم مشركين، ويضعفه وجود الضمير العائد عليها، والمصدرية لا يعود عليها الضمير، احفظه؛ فإنه جيد. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يُشْرِكُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ صلة (ما) أو صفتها... إلخ.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾: نعمة من صحة، وغنى، وخصب، ورخاء، وراحة بال، وهناءة ضمير. وانظر الذوق في الآية رقم [٥٥] من سورة (العنكبوت). ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ أي: فرحوا فرح

بطر، وكبر. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شدة من مرض، وفقر، وقحط، وغير ذلك مما يسوءهم. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: من الكفر، والظلم، والمعاصي. ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي؛ نسبت الأعمال كلها إلى الأيدي، وإن كانت من أعمال القلوب، والأرجل، والعيون، والآذان تغليباً للأكثر على الأقل. ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: ييأسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر ربه عند النعمة، ويصبر، ويرجوه عند الشدة، وكان الأحرى بهؤلاء الكافرين أن يعلموا، ويوقنوا أن الله هو الباسط، والقابض، فيرجعوا إليه عند الشدة، ويتوبوا من المعاصي التي عوقبوا بسببها حتى يعيد إليهم نعمته التي سلبهم إياها. هذا؛ والفعل: قنط، يقنط يأتي من الباب الرابع، والثاني، وبهما قرئ في هذه الآية، وقرأ الأعمش أيضاً: قَنِط، يَقْنِط من الباب السادس أيضاً.

هذا؛ والآية صفة للكافر يقنط عند الشدة، ويبطَر عند النعمة، كما قيل: [المديد]

كَحِمَارِ السُّوءِ إنْ أَشْبَعْتَهُ رَمَحَ النَّاسَ وَإنْ جَاعَ نَهَقْ

وكثير ممن لم يرسخ الإيمان في قلوبهم بهذه المثابة، وقد مضى هذا في غير موضع، قال تعالى في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾.

الإعراب: ﴿وَإِذَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان... إلخ، انظر الآية رقم [٢٥]. ﴿أَذَقْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به أول. ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿فَرِحُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تُصِبْهُمْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿سَيِّئَةٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالياء. ﴿قَدَّمَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها. والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو: بشيء قدمته أيديهم. ﴿إِذَا﴾: كلمة دالة على المفاجأة واقعة في جواب الشرط، انظر الآية رقم [٢٥] ففيها الكفاية. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَقْنَطُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية واقعة في محل جزم جواب الشرط، والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أولم ينظروا ويبصروا. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾: يعطي الرزق، ويمنح المال، ويوسع في المعيشة لمن يشاء من عباده. ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيق ويفقر من المال، وقال جل ذكره: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في البسط، والتضييق في الرزق. ﴿لَآيَاتٍ﴾: لدلالات على قدرة الله، وكمال حكمته، وأنه هو الفاعل المختار يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: خصهم بالذكر؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالتذكير، وفي كثير من الآيات ﴿لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ وهذه الآية مذكورة في سورة الزمر رقم [٥٢] بحروفها بإبدال ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بـ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ والقوم اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل رهط ومعشر ونفر... إلخ، وهو يطلق على الرجال دون النساء، بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

وَمَا أَدْرِي ـ وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟

وربما دخل فيه النساء على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إن كل لفظ (قوم) في القرآن يوجهه رسول إلى قومه، إنما يراد به الرجال، والنساء جميعاً، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، وقال جل شأنه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ وفي المصباح: «القوم» يذكر، ويؤنث، فيقال: قام القوم، وقامت القوم، وكذا كل اسم جمع، لا واحد له من لفظه، نحو: رهط، ونفر... إلخ، فالتأنيث باعتبار معناه، وتأويله بالجماعة. والتذكير باعتبار لفظه. والآيتان المذكورتان دليل على التأنيث.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الواو: حرف استئناف. وقيل: حرف عطف على محذوف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على جملة مقدرة بما يلي: ما بالهم لم يشكروا في السراء والضراء كالمؤمنين، ولم يروا... إلخ. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾. ﴿يَبْسُطُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهَ﴾. ﴿الرِّزْقَ﴾: مفعول به. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(من) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهَ﴾، والمتعلق محذوف، تقديره: من عباده. والجملة الفعلية صلة: (من) أو صفتها، والعائد، أو الرابط

محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو: لشخص يشاؤه الله. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: الواو: حرف عطف. (يقدر): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهَ﴾ ومتعلقه محذوف، تقديره: له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وجملة: ﴿يَبْسُطُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول الفعل: ﴿يَرَوْا﴾، وانظر مثل إعراب: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ في الآية رقم [٢١]. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: لما بين الله تعالى: أنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر؛ أمر مَن وسع عليه في الرزق أن يوصل إلى الفقير كفايته ليمتحن شكر الغني، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته، وأمر بإيتاء ذي القربى لقرب رحمه، وخير الصدقة ما كان على القريب، وفيها صلة الرحم، وقد فضّل رسول الله ﷺ الصدقة على الأقارب على عتق الرقاب، فقال لميمونة رضي الله عنها، وقد أعتقت وليدةً: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَك؛ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ**». ويظهر: أنَّ أخوالها كانوا فقراء.

وعن سلمان بن عامر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**» أخرجه النسائي، والترمذي. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ أَتَاهُ ابْنُ عَمِّهِ يَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَمَنَعَهُ؛ مَنَعَهُ اللهُ فَضْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». أخرجه الطبراني. وخذ قول زهير في معلقته: [الطويل]

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ   عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾: من صلة مادية كما ذكرت، ومن المودة: الزيارة، وحسن المعاشرة، والمعاونة في الضراء، والمؤالفة في السراء، والدعاء في ظهر الغيب، والمعاضدة، ونحو ذلك، ويدخل في ذي القربى جميع الأقارب من جهة الأب، ومن جهة الأم، ويطلق عليهم جميعاً اسم ذوي الأرحام، وأبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ يلزم الموسر نفقة أقاربه المعسرين من أي جهة كانوا؛ لأنه يورث ذوي الأرحام بعضهم بعضاً، استدلالاً بقوله تعالى في آخر سورة (الأنفال): ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ويقول: الْغُنْمُ بالْغُرْمِ، وهذه الآيات يقول الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ فيها: إنها منسوخة بآية المواريث الموجودة في سورة (النساء)، فلا يرى توريث ذوي الأرحام، ولا يلزم الموسر النفقة إلا إلى الأصول، والفروع.

والمسكين: هو الذي لا يقوم دخله بكفايته، وهو أحسن حالاً من الفقير عند الشافعي، ـ رحمه الله تعالى ـ. والعكس عند أبي حنيفة، ـ رحمه الله تعالى ـ. وخذ تعريفه فيما يلي: فعن

أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ، واللُّقْمَتَانِ، والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ**». رواه البخاري، ومسلم. هذا؛ وقد كان النبي ﷺ يسأل المسكنة، ويتعوذ بالله من الفقر، فعن أنس - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً، وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». رواه الترمذي، ولو كان المسكين أسوأ حالاً من الفقير؛ لما تعوذ بالله من الفقر، وسأله المسكنة. وقد توسعت في شرح الفقير، والمسكين في الآية رقم [٦١] من سورة (التوبة). ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: ابن الطريق المنقطع في سفره، ونفد ماله بأية وسيلة كانت، فقد أمر الله الموسرين بأن يعطوه ما يوصله بلده، ولو كان من أغنى الأغنياء في وطنه، وقد جعله الله أحد الأصناف الثمانية؛ الذين تصرف إليهم الزكاة في الآية رقم [٦٠] من سورة (التوبة).

هذا؛ وخص الله هؤلاء الثلاثة من بين الأصناف الثمانية بالذكر هنا؛ لأنه جلت قدرته أراد هاهنا بيان من يجب الإحسان إليه على كل من له مال، سواء أكان زكوياً، أو لم يكن؟ وسواء أكان قبل الحول، أم لم يكن؟ لأن المقصود هنا الشفقة العامة، وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم، وإن لم يكن للإنسان مال زائد، وإن لم يكن مالكاً للنصاب، والفقير داخل في المسكين؛ لأن من أوصى للمساكين بشيء يصرف إلى الفقراء أيضاً. وإذا نظرت إلى الباقين من الأصناف رأيتهم، لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وجبت الزكاة عليهم. وقدم القريب؛ لأن دفع حاجته واجب، سواء أكان في مخمصة، أو لم يكن، فلذلك قدم على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة إلا إذا كان في شدة، وأما المسكين فحاجته ليست مختصة بموضع فقدم على من حاجته مختصة بموضع دون موضع، وهو ابن السبيل. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

وينبغي أن تعلم: أن (ذا) بمعنى: صاحب، ويجمع جمع تكسير: «ذوين، وذوون» وتحذف نونهما للإضافة، ويجمع على غير لفظه: «أولون، وأولين» وهو كثير مثل: أولو الألباب، وهذا ذكر في الآية رقم [٢٦] من سورة (الإسراء).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إنفاق المال إلى الفقراء والمساكين، ولاسيما الثلاثة المذكورون في هذه الآية. ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل درجة، وأعظم مكانة. ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: ذاته، أو جهته، أي: يقصدون إياه بمعروفهم ويريدون رضاه، فهو كقوله تعالى في حق أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فهم لا يريدون سمعةً، ولا يقصدون ثناءً، ولا شكوراً من الناس. ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون بمطلوبهم من الثواب في الآخرة، حيث بسط لهم من النعيم المقيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

الإعراب: ﴿فَـَٔاتِ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (آت): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ذَا﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذَا﴾ مضاف، و﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿حَقَّهُۥ﴾: مفعول به ثان، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿فَـَٔاتِ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان الغنى والفقر من الله؛ فآت ذا. . . إلخ. ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾: معطوف على: ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وحذف المفعول الثاني لدلالة ما قبله عليه. ﴿وَٱبْنَ﴾: معطوف عليه أيضاً، وحذف الثاني أيضاً، فإن التقدير: وآت المسكين حقه. وآت ابن السبيل حقه، و(ابن) مضاف، و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ مضاف إليه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿يُرِيدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿وَجْهَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الواو: حرف عطف. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له من الإعراب. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ ثانياً، و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾: زيادة محرمة في المعاملة. ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: ليزيد، ويكثر في أموالهم. ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾: فلا يزكو عند الله، ولا يبارك فيه، كيف لا؟ وقد قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٧٥]: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وقرئ: (ما أتيتم) بالقصر؛ المعنى: ما جئتم به من إعطاء الربا، كما قرئ: (لتربوا) أي: لتزيدوا، ولتصيروا ذوي ربا.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾: صدقة تزكون بها أنفسكم. ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ تبتغون به وجهه والتوجه إليه بالإخلاص، وحسن النية. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾: ذوو الأضعاف من الثواب

والحسنات، حيث يعطون الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعين، إلى سبعمئة. . . إلخ، وفي الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة للتعظيم، كأنه خاطب به الملائكة، وخواص الخلق، تعريفاً لحالهم، أو للتعميم كأنه قال: فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون، هذا هو المتبادر للأذهان من فحوى هذه الآية. وقيل المراد: أن يهب الرجل للرجل، أو يهدي له؛ ليعوضه أكثر مما وهب، وأعطى، فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب علي تلك الزيادة، وخذ ما ذكره الجمل ملخصاً من القرطبي، رحمه الله تعالى.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: الربا: الزيادة، وقد مضى في البقرة معناه، وهو هناك محرم، وهاهنا حلال، وثبت بهذا: أنه قسمان، منه حلال، ومنه حرام. قاله عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: الربا نوعان: فرباً حلال، ورباً حرام، فأما الربا الحلال، فهو الذي يُهْدَى يُلتمس ما هو أفضل منه، وليس له فيه أجر، وليس عليه فيه إثم، ولذلك قال ابن عباس: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ يريد هدية الرجل التي يرجو أن يثاب عليها أفضل منها، فذلك الذي لا يربو عند الله، ولا يؤجر صاحبه، ولكن لا إثم عليه، وفي هذا المعنى نزلت الآية.

قال ابن عباس، وابن جبير، وطاوس، ومجاهد: هذه الآية نزلت في هبة الثواب. قال ابن عطية: وما جرى مجراها مما يصنعه الإنسان ليجازى عليه، وهو إن كان لا إثم فيه؛ فلا أجر فيه، ولا زيادة عند الله، وقاله القاضي أبو بكر بن العربي. قال المهلب: واختلف العلماء فيمن وهب هبة يطلب ثوابها، وقال: إنما أردت الثواب، فقال مَالِكٌ: ينظر فيه، فإن كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له، فله ذلك، مثاله هبة الفقير للغني، وهبة الخادم لصاحبه، وهبة الرجل لأميره، ومن فوقه، وهو أحد قولي الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يكون له ثواب إذا لم يشترط، وهو قول الشافعي الآخر، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: المواهب ثلاثة: موهبة يراد بها وجه الله، وموهبة يراد بها ثناء الناس، وموهبة يراد بها الثواب، فموهبة الثواب يرجع فيها أي صاحبها إذا لم يثب عليها، بخلاف القسمين الآخرين، فلا يرجع فيهما صاحبهما. انتهى. بحروفه.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول مقدم، أو هي في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَاتَيْتُم﴾: فعل، وفاعل، والمفعول الثاني محذوف على الوجه الأول في (ما)، والمفعولان محذوفان على الوجه الثاني فيها، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية على الوجه الأول في ما، وفي محل رفع خبرها على اعتبارها مبتدأ. ﴿مِّن رِّبًا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: (ما)، أو من ضميرها المقدر، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿لِّيَرْبُوَاْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿رِّبًا﴾، تقديره: «هو»، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة:

﴿رِّبًا﴾. ﴿فِىٓ أَمۡوَٰلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. و﴿أَمۡوَٰلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية. ﴿يَرۡبُواْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والفاعل يعود إلى: ﴿رِّبًا﴾. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (ما)، على اعتبارها مبتدأ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين.

هذا؛ وإن اعتبرت (ما) موصولة فهي مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: الذي آتيتموه الناس... إلخ، وجملة: ﴿فَلَا يَرۡبُواْ...﴾ إلخ في محل رفع خبرها، ودخلت الفاء في خبرها؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ إعرابه مثل سابقه بلا فارق على جميع الوجوه المعتبرة فيه. وجملة: ﴿تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ﴾ في محل جر صفة (زكاة) ورابط الصفة محذوف؛ إذ التقدير: تريدون بها وجه الله، وإعراب: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ مثل إعراب ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ في الآية السابقة بلا فارق، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط على اعتبار (ما) شرطية، وفي محل رفع خبرها على اعتبارها موصولة مبتدأ، والجملة على جميع الاعتبارات فيها معطوفة على ما قبلها. ومفعول ﴿ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ محذوف؛ إذ التقدير: المضعفون ثوابهم. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىۡءٍۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ﴾: أنشأكم من العدم. ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمۡ﴾: ثم بعد خلقكم تكفل بأرزاقكم إلى أن تموتوا. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾: بقبض أرواحكم. ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾: بإعادة أرواحكم إلى أجسادكم للبعث، والحساب، والجزاء، وهو سبحانه وتعالى المختص بهذه الأمور الأربعة: الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، لا يقدر عليها أحد غيره. ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي: أصنامكم التي زعمتم: أنهم شركاء الله. وقد أطلق الله اسم الشركاء على الأصنام المعبودة من دونه لأمرين: أحدهما أن المشركين يشركونها مع الله في العبادة، والتعظيم، والتقديس. وثانيهما: أنهم يشركونها معهم في الأموال، والأنعام، والزروع، كما رأيت في الآية رقم [١٣٨] من سورة (الأنعام) وما بعدها.

﴿مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىۡءٍ﴾: أثبت الله لنفسه لوازم الألوهية، ونفاها قطعاً عما اتخذوه شركاء له من الأصنام، وغيرها مؤكداً بالإنكار على ما دل عليه البرهان، والعيان، ووقع عليه الوفاق، ثم نزه نفسه بالالتفات من الخطاب إلى الغيبة عن الأنداد، والأضداد، والصاحبة،

والأولاد بقوله الحق: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تقديساً، وتنزيهاً عما يشركونه معه من الأضداد، والأصنام.

هذا؛ و(سبحان) اسم مصدر. وقيل: هو مصدر مثل: غفران، وليس بشيء؛ لأن الفعل سبَّح بتشديد الباء، والمصدر تسبيح، ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله، مثل معاذَ الله، وقد أجري علماً على التسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قول الأعشى: [السريع]

قَـدْ قُـلْـتُ لَـمَّـا جَـاءَنِـي فَـخْـرُهُ: سُـبْـحَـانَ مَـنْ عَـلْـقَـمَـةُ الْـفَـاخِـرُ!

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار، والجهل بحقيقة الحال، ولذلك جعل مفتاح التوبة، فقال موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ وقد نزه الله ذاته في كثير من الآيات بنفسه تنزيهاً لائقاً به، وجملة القول فيه: هو اسم وضع موضع المصدر، وهو غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب، من رفع، وجر، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل، ولم ينصرف؛ لأن في آخره زائدتين: الألف والنون، ومعناه: التنزيه، والبراءة لله عز وجل من كل نقص، فهو ذكر عظيم لله تعالى، لا يصلح لغيره.

وقد روي عن طلحة الخير بن عبيد الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحانَ اللهِ؟ فقال: «تَنْزِيهُ اللهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ». والعامل فيه عند سيبويه الفعل الذي من معناه، لا من لفظه؛ إذ لم يجر من لفظه فعل، وذلك مثل قعد القرفصاء، فالتقدير عنده: أنزه الله تنزيهاً، فوقع سبحان الله، مكان قولك: تنزيهاً لله. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿خَلَقَكُمْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿رَزَقَكُمْ﴾ معطوفة عليها. ﴿يُمِيتُكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الذي أيضاً، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، وكذلك جملة: ﴿يُحْيِيكُمْ﴾ معطوفة عليها، والتعبير بالماضي في الجملتين الأوليتين؛ لأن الخلق، والرزق كانا قد حصلا عند الخطاب، بخلاف الإماتة، والإحياء فإنهما لم يحصلا عند الخطاب، فلذا كان التعبير عنهما بالفعل المستقبل، وهو المضارع كما هو ظاهر.

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام إنكاري توبيخي. ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مَّن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿يَفْعَلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»

يعود إلى ﴿مَّن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب. ﴿مِن ذَٰلِكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿شَيْءٍ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وأجيز اعتبار الموصول صفة الجلالة، والجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو لفظ الجلالة، وهو غير مسلم؛ لأن كثيراً من النحويين لا يجيز وقوع الجملة الطلبية خبراً للمبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، كما رأيت في الشرح، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والفعل المقدر، والمصدر جملة مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَتَعَـٰلَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (تعالى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: تعالى عن الذي، أو عن شيء يشركون به مع الله، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: تعالى الله عن شركهم به. تأمل.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: كالجدب، والموتان، وكثرة الحرق، والغرق، ومحق البركات بسبب شؤم العباد كي يتوبوا. قال النحاس: وهو أحسن ما قيل في الآية. هذا؛ وقيل: المراد بـ: ﴿ٱلْفَسَادُ﴾ الظلم، وارتكاب المعاصي، فهذا هو الفساد على الحقيقة، ويكون المعنى ظهرت المعاصي في البر، والبحر، فحبس الله عنهم الغيث، وأغلى أسعارهم، ومحق البركة من بين أيديهم، وشدد على قلوبهم، وأكثر همومهم وغمومهم، والمراد بالبحر: قرى، ومدن السواحل، وجزر البحار، والبر: مدن وقرى الداخل البعيدة عن البحار.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بسبب الذي اجترحته أيدي الناس من المعاصي، والمنكرات. والتعبير بالأيدي على مثال ما رأيت في الآية رقم [٣٦]. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم

مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾. ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ أي: جزاء وعقوبة بعض الذي عملوا من السيئات، والمعاصي في الدنيا، والعذاب الأليم، والعقاب الشديد الذي سيلقونه في الآخرة، وانظر الاستعارة في الآية رقم [٥٥] من سورة (العنكبوت).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن غيهم، وظلمهم، وارتكابهم المعاصي، واجتراحهم المنكرات، ولكن الناس في هذه الأيام لا يرجعون مع أن البلاء قد صب عليهم بجميع أنواعه، وألوانه، والشيء العجيب الغريب: أن كل واحد يرى الناس ضالين عاصين، ويتحدث بالحلال، والحرام، وينتقد الناس، وهو غارق في الضلال من الظلم وسوء الأعمال إلى فوق الأذقان، ورحم الله الكميت؛ إذ يقول: [الطويل]

كَلَامُ النَّبِيِّينَ الْهُدَاةِ كَلَامُنَا وَأَفْعَالَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ نَفْعَلُ

جاءني شخص يبكي على الإسلام؛ لأن شخصاً آخر يضع مؤونة سنوية عشرين تنكة من الخمر، والناس معروفون بمناصرة الباطل، ومحاربة الحق، وإنني أؤكد أن ما يضعه الشخص مؤونة سنوية من الخمر أهون عند الله من كلمة يقولها إنسان بالباطل، وأهون عند الله من خطوة يخطوها مجرم أثيم لنصرة باطل، وإضاعة حق.

هذا؛ والترجي في هذه الآية وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى، لا يحصل منه ترج ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

تنبيه: لقد كان أول فساد في الأرض قتل قابيل أخاه هابيل، فكانت الأرض قبل ذلك مونقة، نضرة مثمرة، لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر، وكان البحر عذباً، وكان السبع لا يصول على الغنم، ونحوها، فلما قتل قابيل هابيل؛ اقشعرت الأرض، ونبت الشوك في الأشجار، وصار ماء البحر ملحاً، وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض، ومن ذلك اليوم أخذ الكفر، والظلم، وارتكاب المعاصي ينتشر في الأرض، وكلما فسدت أمة يهلكها الله بسبب فسادها، وكل ذلك سجله القرآن الكريم. فاعتبروا يا أولي الأبصار، ولكن لا اعتبار، ولا استبصار!.

الإعراب: ﴿ظَهَرَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلْفَسَادُ﴾: فاعله. ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْفَسَادُ﴾ التقدير: ظهر الفساد منتشراً في الأرض. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿ظَهَرَ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿كَسَبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿أَيْدِى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، و﴿أَيْدِى﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية صلة: (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بسبب الذي، أو شيء كسبته أيدي الناس. وإن اعتبرت (ما) مصدرية؛ فالتقدير يكون: بكسبهم.

﴿لِيُذِيقَهُم﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، أو هي لام العاقبة، والمآل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، ويؤيده قراءة الفعل بالنون، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول. ﴿بَعْضَ﴾: مفعول به ثان، و﴿بَعْضَ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: بعض الذي عملوه، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿ظَهَرَ﴾، أو هما متعلقان بفعل محذوف، تقديره: عاقبهم بذلك؛ ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، وجملة يرجعون في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل لا محل لها من الإعراب.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ سِيرُوا۟...﴾ إلخ: هذا أمر موجه للنبي ﷺ؛ ليرشد قومه بالسير في الأرض، والنظر بما فعل الله بالأقوام الذين كذبوا رسلهم؛ حيث أهلكهم بتكذيبهم إياهم، وكيف خلت منهم مساكنهم، فهو أمر للكفرة لينظروا نظرة تبصر، واعتبار، لا نظرة غفلة، وإهمال، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾. وفيه تهديد، ووعيد لأهل مكة، ولكلِّ المكذبين. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم﴾: أكثر الأمم السابقة. ﴿مُّشْرِكِينَ﴾: فيه بيان على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك فيهم، أو كان الشرك في أكثرهم، وما دونه من المعاصي كان في قليل منهم، ومع ذلك فقد أهلكوا جميعاً. فاعتبروا يا أولي الألباب.

تنبيه: قال الله تعالى هنا ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾، وقال في سورة (الأنعام) رقم [١١]: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ والفرق بينهمَا: أن النظر هنا جعل مسبباً عن السير، فكأنه قال: سيروا؛ لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، ومعنى السير هناك إباحة السير للتجارة وغيرها، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بـ: ﴿ثُمَّ﴾ التي للتراخي لتباعد ما بين الواجب، والمباح. انتهى. نسفي من سورة (الأنعام) بتصرف كبير.

هذا؛ وعاقبة كل شيء: آخره، ونتيجته، ومصيره، ومآله، ولم يؤنث الفعل: ﴿كَانَ﴾ لأن ﴿عَـٰقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي وما كان منه يستوي فيه التذكير، والتأنيث. أو لأن ﴿عَـٰقِبَةُ﴾ اكتسب التذكير من المضاف إليه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبني على السكون، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿سِيرُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار

ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها، وهو معلق للفعل قبله عن العمل لفظاً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها، و﴿عَٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنًى. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ تامة ـ والمعنى: لا يأباه ـ فيكون ﴿عَٰقِبَةُ﴾ فاعلها، و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال من عاقبة، والعامل ﴿كَانَ﴾، وعلى الاعتبارين فالجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل قبلها، وجملة: ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿أَكْثَرُهُم﴾: اسمها، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مُّشْرِكِينَ﴾: خبر: ﴿كَانَ﴾ منصوب... إلخ، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: انظر الآية رقم [٣٠] ففيها الكفاية. ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾: المراد به: يوم القيامة. ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: لا يقدر أن يرده أحد من الخلق. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في ذلك اليوم العظيم شأنه، الطويل زمانه، القريب أوانه. وانظر الآية رقم [٤]. ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾: أصله: يتصدعون، فقلبت التاء صاداً، وأدغمت في الصاد الثانية، ومعناه: يتفرقون بعد الحساب: إما إلى الجنة، وإما إلى النار، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ ويدل على هذا التفريق الآية التالية، ويقال: تصدع القوم: إذا تفرقوا، قال متمم بن نويرة من قصيدته في رثاء أخيه مالك: [الطويل]

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ، حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

جذيمة: هو الأبرش، وكان ملكاً، ونديماه يقال لهما: مالك، وعقيل، ويضرب بهما المثل لطول ما نادماه، فقد نادماه أربعين سنة ما أعادا عليه حديثاً.

الإعراب: ﴿فَأَقِمْ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: الفصيحة. ولا وجه له. (أقم): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿وَجْهَكَ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِلدِّينِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلْقَيِّمِ﴾: صفة (الدين). ﴿مِن قَبْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (أقم) أيضاً. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ولا أراه قوياً، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ في محل جر بإضافة ﴿قَبْلِ﴾ إليه، التقدير: من قبل إتيان يوم. ﴿لَّا﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن».

﴿مَرَدَّ﴾: اسم ﴿لَّا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَّا﴾. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يَأْتِيَ﴾، أو هما متعلقان بفعل محذوف يدل عليه ﴿مَرَدَّ﴾ أي: لا يرده من الله أحد، ولا يجوز أن يتعلقا فيه؛ لأنه ينبغي أن ينون حينئذ؛ لأنه يصير شبيهاً بالمضاف، والجملة الاسمية: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ في محل رفع صفة: ﴿يَوْمٌ﴾. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و(إذ) ظرف زمان أيضاً مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والتنوين عوض عن الجملة المحذوفة؛ إذ التقدير: يوم إذ يأتي هذا اليوم. ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿يَوْمٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم على حد قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ والرابط على الاعتبارين محذوف؛ إذ التقدير: يصدعون فيه يومئذ.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: فعليه وبال كفره، وهو النار المؤبدة، وانظر الآية رقم [٣٤]. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: عملاً صالحاً، والعمل الصالح يتمثل بأداء ما أوجب الله، والقيام بما أمر رسول الله ﷺ به، والعمل السَّيِّئ يتمثل بكل عمل نهى الله، ورسوله عنه. ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يوطئون، ويسوون لأنفسهم في الآخرة فراشاً، ومسكناً، وقراراً بالعمل الصالح، الذي قدموه في الدنيا لآخرتهم. وقيل: يوطئون المضاجع، ويسوونها في القبر. ولا أراه قوياً، وهذه الآية مفسرة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾، وقال تعالى في آية أخرى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ وهي رقم [١٤] في هذه السورة انظر شرحها هناك، فهو جيد.

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، تقديره: «هو» والمتعلق محذوف، تقديره: كفر بالله. ﴿فَعَلَيْهِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (عليه): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿كُفْرُهُۥ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَن﴾ اسماً موصولاً فهي مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرَ﴾ صلتها، والجملة الاسمية: (عليه كفره) في محل رفع خبرها، ودخلت الفاء على خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة التالية مثلها في جميع ذلك، و﴿صَٰلِحًا﴾ صفة لمفعول به محذوف، التقدير: عمل عملاً صالحاً. (لأنفسهم): جار ومجرور متعلقان بالفعل

بعدهما. ﴿يَمْهَدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط، والجملة الاسمية: ﴿مَن كَفَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والثانية معطوفة عليها كما هو ظاهر، وتقديم الظرف في الجملتين للدلالة على الاختصاص.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، الاقتصار على بيان جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات، والاكتفاء بفحوى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فإن فيه إثبات البغض لهم، وإثبات المحبة للمؤمنين، وتأكيد اختصاص الصلاح بالمؤمنين، المفهوم من ترك ضميرهم إلى التصريح باسمهم تعليل له، وقوله جلت قدرته: ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ دال على أن الإثابة تفضل محض، وتأويله بالعطاء، والزيادة على الثواب عدول عن الظاهر. انتهى. بيضاوي بتصرف.

هذا؛ وعطف: «العمل الصالح» على: «الإيمان» دليل واضح على أن الإيمان وحده قد لا يجدي بلا عمل، وهو ما أفاده قول الرسول ﷺ: **«الإِيمَانُ والْعَمَلُ قَرِينَانِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ أَحَدَهُمَا بِدُونِ صَاحِبِهِ»**. كما أن الإيمان مشروط لقبول العمل الصالح، ويسمى هذا في فن البديع احتراساً. هذا؛ وعدم محبة الله للكافرين كناية عن البغض، والسخط، والغضب، ومحبته للمؤمنين رضاه عنهم، وغفر ذنوبهم، وستر عيوبهم. هذا؛ والجزاء والمجازة المكافأة على عمل ما، تكون في الخير، وتكون في الشر، فمن الأول قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾. ومن الثاني قوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ فقد أراد جزاء الشر، والجزاء من جنس العمل، إنْ خَيْراً؛ فخير؛ وإنْ شَرّاً، فَشَرٌّ. هذا؛ والفعل جزى ينصب مفعولين، قال تعالى في سورة (النور): ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾.

الإعراب: ﴿لِيَجْزِيَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله تعالى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. (عملوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وهو في الأصل صفة لموصوف محذوف؛ إذ التقدير: الأعمال الصالحات، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به ثان، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾، أو بالفعل ﴿يَمْهَدُونَ﴾. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع،

والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء. . . إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية، أو معترضة في آخر الكلام لا محل لها من الإعراب على جميع الاعتبارات.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: ومن علامات قدرته، ودلائل ربوبيته، ووحدانيته. ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾: على جميع حالاتها، وقد عدد الفوائد في إرسالها فيما يلي: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ أي: بالمطر، وقد كثر مثل هذا التعبير في القرآن الكريم، فقد قال تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٤٨]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾، وقال في سورة (النمل) رقم [٦٣]: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾.

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: ولإذاقة الرحمة، وهي نزول المطر، وحصول الخصب؛ الذي يتبعه، أو الروح الذي هو مع هبوبها. هذا؛ وأطلق الله على المطر اسم الرحمة؛ لأن به حياة الأرض، التي بها حياة الإنسان، والحيوان، وكل شيء فيها، كما هو مشاهد، وانظر (الإذاقة) في الآية رقم [٥٥] من سورة (العنكبوت).

﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: بقدرته، وإرادته، وتدبيره، أو بتكوينه كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: ولتطلبوا رزقه الذي كتبه، وقدره لكم عن طريق التجارة في البحر، وركوب السفن فيه. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: هذه النعم المتسببة عن إرسال الرياح، وهي أربع هنا، وفوائدها أكثر من أن تعد وتحصى، وانظر (الشكر) في الآية رقم [١٢] من سورة (لقمان).

هذا؛ وقرأ حمزة، والكسائي، وابن كثير: (الريح) على إرادة الجنس، والريح في الأصل: الهواء المسخر بين السماء والأرض، وهو جسم متحرك لطيف، ممتنع بلطفه من القبض عليه، يظهر للحس بحركته، ويخفى عن البصر بلطفه، وهو حياة كل نامٍ، من إنسان، وحيوان، ونبات مثل الماء، بل الحاجة إليه أشد، وأصله: الرِّوْح، قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع: أرواح، ورياح، وأصل رياح: رواح، فُعِل فيه كما فُعِل بأصل ريح، والأكثر في الريح التأنيث، كما في قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ وقد تذكر على معنى الهواء.

والرياح الأصول أربع: إحداها: الشمال، وتأتي من ناحية الشمال، وهي شمال من استقبل مطلع الشمس، وهذه الريح حارة في الصيف، باردة في الشتاء. والثانية: الجنوب، وهي

مقابلتها؛ أي: تأتي من جهة يمين من استقبل مطلع الشمس، وهي الريح اليمانية. والثالثة: الصَّبا، بفتح الصاد، وتأتي من مطلع الشمس، وتسمى الْقَبُول أيضاً. والرابعة: الدَّبُور، وتأتي من مغرب الشمس، وما أتى منها من بين تلك الجهات، يقال لها: النَّكباء، ثم إن خرجت من بين الجنوب والشرق، قيل لها: أَزْيَب، (بفتح الهمزة، وسكون الزاي، وفتح الياء). وإن خرجت من بين الشمال والغرب، قيل لها: جِرْبِيَا، (بكسر الجيم، وسكون الراء، وكسر الباء). وإن خرجت من بين الشمال، والشرق، قيل لها: صَابِيَة. وإن خرجت من بين الجنوب، والغرب، قيل لها: هَيْف (بفتح الهاء، وسكون الياء) وقد جمع الثمانية النواجي بقوله: [الطويل]

صَبَا وَدَبُورٌ وَالْجَنُوبُ وَشَمْأَلٌ ... بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ وَالتَّيَمُّنِ وَالضِّدِّ

وَمِنْ بَيْنِهَا النَّكْبَاءُ أَزْيَبُ جِرْبِيَا ... وَصَابِيَةٌ والهيفُ خَاتِمَةُ الْعَدِّ

هذا؛ وأضيف: أن ريح الصبا نصر الله بها نبينا ﷺ في غزوة الخندق، حيث فعلت بقريش العجائب، فارتدوا على أعقابهم خاسئين، كما ستقف عليه في سورة (الأحزاب) إن شاء الله تعالى، وأن ريح الدَّبُور أهلك الله بها قوم عاد، ونبيهم هود ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ كما رأيت في سورة (الأعراف)، وسورة (هود) وغيرهما.

هذا؛ ولا تنس: أن الريح تفسر بالدولة، والقوة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: دولتكم وقوتكم، شبهت في نفوذ أمرها، وتمشيه بالريح، وهبوبها، يقال: هبت رياح بني فلان: إذا دانت لهم الدولة، ونفذ أمرهم. وتقول: الريح لفلان: إذا كان غالباً في الأمر. قال الشاعر: [الوافر]

إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُكَ فَاغْتَنِمْهَا ... فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ

وَلَا تَغْفَلْ عَنِ الإِحْسَانِ فِيهَا ... فَمَا تَدْرِي السُّكُون مَتَى يَكُونُ؟

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ تَعَالَى، تأتي بِالرَّحْمَةِ، وتَأْتي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا؛ فَلَا تَسُبُّوهَا، وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ خَيْرِهَا، وَاسْتَعِيذُوا باللهِ مِنْ شَرِّهَا**». رواه الشافعي بطوله، وأخرجه أبو داود في المسند عنه. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**إِنَّ الرِّيَاحَ ثَمَان: أَرْبَعٌ مِنْهَا عَذَابٌ، وَهِيَ الْقَاصِفُ، وَالْعَاصِفُ، وَالصَّرْصَرُ، وَالْعَقِيمُ. وَأَرْبعٌ مِنْهَا رَحْمَةٌ، وهِيَ: النَّاشِرَاتُ، وَالْمُبَشِّرَاتُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَالذَّارِيَاتُ**».

الإعراب: ﴿وَمِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من آياته): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُرْسِلَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله تعالى. ﴿الرِّيَاحَ﴾: مفعول به. ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾: حال من الرياح منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن

الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿أَن يُرْسِلَ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾: الواو: حرف عطف. (ليذيقكم): فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى الله تعالى، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على: معنى مبشرات؛ إذ التقدير: ليبشركم وليذيقكم، أو هما متعلقان بمحذوف، التقدير: وأرسلها (ليذيقكم). هذا؛ وأجيز اعتبار الواو صلة، فيتعلقان حينئذ بالفعل ﴿يُرْسِلَ﴾ والأول أقوى، وهو ما في «مغني اللبيب». ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وقوله تعالى: ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق، وأيضاً ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ مثله بلا فارق. ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لعلكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها من تعليل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ: هذا الكلام تسلية لرسول الله ﷺ، وهو اعتراض بين الكلامين المتصلين، أي في الآية السابقة، والآية اللاحقة. قال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ: اعتراض جاء تسلية لرسول الله ﷺ، وتأنيساً له، ووعداً بالنصر، ووعيداً لأهل الكفر، وحقيَّة نصر المؤمنين على الله لا تختص بالدنيا، بل تعم الآخرة أيضاً، فما في الآخرة من متناولات الآية. انتهى. جمل.

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الواضحات، والحجج الدامغات. ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ۖ﴾ أي: كفروا، وكذبوا، وقبلها جملة محذوفة؛ أي: فكفروا وكذبوا، فانتقمنا... إلخ. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا...﴾ إلخ: فيه تعظيم للمؤمنين، ورفع لشأنهم، وتأهيل لكرامة سنية، وإظهار لفضل سابقة، ومزية؛ حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم تفضلاً منه، مستوجبين عليه أن يظهرهم، ويظفرهم، تكرماً منه. وفيه من التبشير للبشير النذير ﷺ بالظفر، والنصر على الأعداء.

هذا؛ وقد عد محمد علي الصابوني ـ جزاه الله خيراً ـ في كتابه: «التبيان في علوم القرآن» من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: الوفاء بالوعد في كل ما أخبر عنه، وفي كل ما وعد الله عباده به. قال: وهذا الوعد ينقسم إلى قسمين: وعد مطلق، ووعد مقيد، فالوعد المطلق كوعده بنصر رسوله، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، ونصر المؤمنين على الكافرين، وقد

تحقق ذلك كله، وذكر مطلع سورة الفتح، وسورة النصر بكاملها، والآية رقم [٥١] من سورة (غافر): ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا...﴾ إلخ ثم قال: ومن الوعد المطلق قوله جل ثناؤه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد تحقق نصر المؤمنين في مواطن عديدة: في بدر، والأحزاب، وحنين، وغير ذلك من المعارك العظيمة، التي شهدها تاريخ الإسلام، وذكر آيات من سورة (الأنفال) ثم قال: ومن الوعد المطلق قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلخ الآية رقم [٥٥] من سورة (النور)، ومن الوعد المطلق أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ...﴾ إلخ رقم [٣٣] من (التوبة) ورقم [٢٨] من سورة (الفتح)، ورقم [٩] من سورة (الصف).

أما الوعد المقيد فهو ما كان فيه شرط، كشرط التقوى، أو شرط الصبر، أو شرط نصرة دين الله، وما شابه ذلك، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ رقم [٧] من سورة (محمد) ﷺ، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ رقم [٢ و٣] من سورة الطلاق، وبعدها: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، وقد وعد المؤمنين بالنصر بشرط الصبر، كما قال تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٦٥]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ...﴾ إلخ. انتهى. بتصرف كبير مني، وانظر شرح هذه الآيات في محالها.

هذا؛ وإذا كان الواحد القهار قد تعهد بنصر المؤمنين الصادقين؛ فالواجب على المؤمنين أن ينصر بعضهم بعضاً في جميع أنحاء الدنيا بما يقدر عليه، ولو بالتأييد باللسان في المؤتمرات العالمية، والدولية، ومن ذلك الدفاع عنه، ونصره في غيبته؛ إذا تعرض أحد للطعن في عرضه، وجرح كرامته. وخذ ما يلي: فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ؛ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، وفي رواية أخرى: «**مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وتلا ﷺ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وعن جابر بن أبي طلحة الأنصاري ـ رضي الله عنهم ـ قال: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِماً فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ؛ إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ. وَمَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ؛ إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نصْرَتَهُ**». رواه أبو داود.

وينبغي أن تعلم: أن نصر الله إنما هو للمؤمنين الصادقين، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فوقفوا عند حدوده، فعملوا بأحكام كتابه، واهتدوا بهدي نبيه. وأكد هذا المعنى في الآية رقم [٥١] من سورة (غافر) حيث قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ وقد تجلى هذا النصر للمؤمنين الصادقين في عهد النبي ﷺ، وفي عهد خلفائه الراشدين وما

بعدهم، والتاريخ شاهد صادق على ذلك، أما بعد أن أهمل المسلمون العمل بكتابه تعالى، ونبذوا الاهتداء بهدي نبيه ﷺ، وفسدوا، وفجروا، فقد رفع الله عنهم عونه، ولم ينصرهم في حربهم مع أعدائهم، قد يقول قائل: إن الأمة لا تخلو من مؤمنين صادقين، والجواب هو ما تضمنته الآية رقم [٢٥] من سورة (الأنفال): ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾.

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ! لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطُّ؛ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا؛ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، والأَوْجَاعُ؛ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ في أَسْلَافِهِم؛ الذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكيالَ، والمِيزانَ؛ إِلَّا أُخِذوا بالسِّنِينَ، وشدة المؤونةِ، وَجَوْرِ السُّلْطانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوالِهِمْ؛ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْر من السمَاءِ، ولولَا البَهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولمْ ينْقُضُوا عهْدَ اللهِ، وعهْدَ رسولِهِ؛ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ، فأَخَذوا بعضَ ما في أيدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ تعالَى، وَيَتَخَيَّرُون فيمَا أَنْزَلَ اللهُ؛ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**». رواه ابن ماجه، ورواه الحاكم بنحوه من حديث بريدة وقال: صحيح على شرط مسلم.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رُسُلًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿رُسُلًا﴾: مفعول به. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ﴿رُسُلًا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام معترض، لا محل له. وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٢٣] من سورة (السجدة). ﴿فَجَاءُوهُم﴾: الفاء: حرف عطف. (جاؤوهم): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَانتَقَمْنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (انتقمنا): فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، وهناك جملة محذوفة، التقدير: فكذبوهم فانتقمنا. . . إلخ. ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿أَجْرَمُوا﴾ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف عطف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿حَقًّا﴾: خبرها، تقدم على اسمها. ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿حَقًّا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿نَصْرُ﴾: اسم (كان) مؤخر، و(نصر) مضاف، و﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة. . . إلخ، هذا هو الإعراب الظاهر، والمتبادر، وهو المعتمد. هذا؛ وأجيز اعتبار اسم

(كان) ضميراً مستتراً، التقدير: وكان الانتقام حقاً، ومن أجاز هذا يجيز الوقف على: ﴿حَقًّا﴾. ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿نَصْرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية تعليل للانتقام، كما أجيز اعتبار اسم (كان) ضميراً، و: ﴿حَقًّا﴾ مفعولاً مطلقاً، والجملة الاسمية: ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وتكون الجملة المؤلفة من حقاً وفعله المحذوف معترضة بين اسم (كان) المستتر وخبرها، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨)﴾

الشرح: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾: على جميع حالاتها، وانظر الآية رقم [٤٦] وقرئ في الآيتين بالإفراد، والجمع. قال أبو عمرو: كل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع، وما كان بمعنى العذاب فهو موحد. ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تحركه وتهيجه، قال تعالى في سورة (النور) رقم [٤٣]: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ أي: يسوق، ويجري إلى حيث يشاء، والسحاب: الغيوم التي تراها العيون في السماء، وهو واحد في اللفظ، ولكن معناه جمع. وقيل: السحاب اسم جنس، واحده سحابة، فلذلك وصف بالجمع، وهو: (الثقال) في آية الرعد، وتجمع السحابة على: سحاب، وسحائب، وسحب. وهو غربال الماء، قاله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. هذا؛ وقيل: السحاب: الغيم فيه ماء، أو لم يكن فيه ماء، ولهذا قيل: سحاب جهام، وهو الخالي من الماء. وأصل السَّحْب: الجر، وسمي السحاب سحاباً إما لجر الريح له، أو لجره الماء، أو لانجراره في سيره، ووصفه الله بالثقال في الآية رقم [١٢] من سورة (الرعد) فقال جل ذكره: ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ لثقله بالماء الذي يحمله إلى حيث شاء الله الخلاق العظيم.

﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾: ينشره متصلاً بعضه ببعض، أي: ينشره كمال الانتشار، وإلا فأصل الانتشار موجود في السحاب دائماً، والمراد بالسماء: جهتها، أي: جهة العلو، وليس المراد حقيقة السماء المعروفة. ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾: من قلة وكثرة، ومن سير تارة، ووقوف أخرى، مطبق، وغير مطبق، متراكم، وغير متراكم، من جهة دون جهة، وغير ذلك. ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾: قطعاً متفرقة، ويقرأ بفتح السين، وسكونها، فهو جمع: كِسْفة، وفي القاموس: الكِسْفة بالكسر: القطعة من الشيء، والجمع كِسَف، وكِسْف، وجمع الجمع: أكساف، وكسوف، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨٧] من سورة (الشعراء) فإنه جيد.

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: من وسطه، وهو مخارج القطر، ولولا السحاب حين ينزل المطر من السماء؛ لأفسد ما يقع عليه من الأرض، وهذا يفيد: أن المطر ينزل من خزائن الله

تعالى، وينفي أن يكون من البحر كما يقول الدهريون والعصريون في هذا الزمن، وفي ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ قولان: أحدهما: أنه البرق، قاله الأشهب العقيلي، ومنه قول الشاعر: [الوافر]

أَثَــرْنَ عَــجَــاجَــةً وَخَــرَجْــنَ مِــنْــهَــا ... خُــرُوجَ الْــوَدْقِ مِــنْ خَــلَــلِ الــسَّــحَــابِ

الثاني: أنه المطر، قاله الجمهور، قال امرؤ القيس: [الطويل]

فَــدَمْــعُــهُــمَــا وَدْقٌ وَسَــحٌّ وَدِيــمَــةٌ ... وَسَــكْــبٌ وَتَــوْكَــافٌ وَتَــنْــهَــمِــلَانِ

وقال عامر بن جوين الطائي: [المتقارب]

فَــلَا مُــزْنَــةٌ وَدَقَــتْ وَدْقَــهَــا ... وَلَا أَرْضَ أَبْــقَــلَ إِبْــقَــالَــهَــا

﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ أي: بالمطر. ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ يعني: بلادهم، وأراضيهم، وزروعهم. ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بنزول المطر، فيفرحون، ويؤملون الخصب بسببه.

﴿ٱللَّهُ﴾: علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم؛ الذي إذا دعي به؛ أجاب، وإذا سئل به؛ أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به؛ لتخلف شروط الإجابة؛ التي أعظمها أكل الحلال. ولم يسم به أحد سواه، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: هل أحد تسمى الله غير الله؟ وقد ذكر في القرآن الكريم في ألفين وثلاثمئة وستين موضعاً.

«ترى» ماضيه: رَأَى، وقياس المضارع تَرْأَيُ، وقد تركت العرب الهمز في مضارعه لكثرته في كلامهم، وربما احتاجت إلى همزه، فهمزته كما في قول سراقة بن مرداس البارقي، وهو الشاهد رقم [٥٠٤] من كتابنا فتح القريب المجيب: [الوافر]

أُرِي عَــيْــنَــيَّ مَــا لَــمْ تَــرْأَيَــاهُ ... كِــلَانَــا عَــالِــمٌ بِــالــتُّــرَّهَــاتِ

وربما جاء ماضيه بغير همز، وبه قرأ نافع في ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ و﴿أَرَءَيْتَ﴾: (أَرَايْتَكُمْ) (أَرَايْتَ) بدون همز وقال الشاعر: [الخفيف]

صَــاحِ هَــلْ رَيْــتَ أَوْ سَــمِــعْــتَ بِــرَاعٍ ... رَدَّ فِي الــضَّــرْعِ مَــا قَــرَى فِي الْــحِــلَابِ؟

وإذا أمرت منه على الأصل قلت: ارْءَ، وعلى الحذف: رهْ بهاء السكت، وقل في إعلال ترى: أصله: تَرْأَيُ قلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وحذفت الهمزة بعد إلقاء حركتها على الراء للتخفيف.

﴿أَصَابَ﴾: يحتمل معاني كثيرة، تقول: أصاب السهم، يصيب: لم يخطئ هدفه، وأصاب الرجل في قوله، أو في رأيه: أتى بالصواب، وأصاب فلاناً البلاء، يصيبه: وقع عليه، وأصابهم المطر في هذه الآية: نزل عليهم. هذا؛ وأصاب: قصد، وأراد، قال تعالى في سورة (ص)

رقم [٣٦]: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ قاله مجاهد. والعرب تقول: أصاب الصواب وأخطأ الجواب. قاله ابن الأعرابي، وقال الشاعر: [المتقارب]

أَصَابَ الكَلامَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فأخطا الْجَوَابَ لَدَى الْمُفْصِلِ

أي: أراد الكلام، والمضارع: يصيب، وإعلاله مثل: يقيمون في الآية رقم [٣] من سورة (النمل).

هذا؛ ويشاء: ماضيه: شاء فلم يرد له أمر، ولا لـ: أراد فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف، وأصل شاء: شَيِئَ على فَعِلَ بكسر العين، بدليل: شئت شيئاً، وقد قلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وقد كثر حذف مفعوله، وحذف مفعول: أراد؛ حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشيء المستغرب، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ وقال الشاعر الخزيمي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَماً لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقيد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد «لو» وليس كذلك.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿يُرْسِلُ﴾: فعل مضارع والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد. ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَتُثِيرُ﴾: الفاء: حرف عطف. (تثير): فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هي» يعود إلى الرياح، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿سَحَابًا﴾: مفعول به. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال، عامله ما بعده. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله تعالى، ومفعوله محذوف؛ إذ التقدير: كيف يشاء بسطه. والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، التقدير: فيبسطه في السماء في الحالة التي يشاؤها، وجملة: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ معطوفة على جملة: (يبسطه...) إلخ لا محل لها أيضاً. ﴿فَتَرَى﴾: الفاء: حرف عطف. (ترى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْوَدْقَ﴾: مفعول به. ﴿يَخْرُجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الودق. ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الودق، والجملة الفعلية: ﴿فَتَرَى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿فَإِذَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. ﴿إِذَآ﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان... إلخ. ﴿أَصَابَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، الجملة الفعلية بعدها

صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذين، أو: ناساً يشاؤهم. ﴿مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَن﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَصَابَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿إِذَا﴾: كلمة دالة على المفاجأة، وهي رابطة لجواب (إذا) الشرطية قبلها، وانظر الآية رقم [٢٥]. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وهو أولى من عطفه على ما قبله.

تنبيه: جاء في مغني اللبيب ما نصه: وتستعمل كيف على وجهين: أحدهما: أن تكون شرطاً، فيقتضي فعلين متفقي اللفظ، والمعنى: غير مجزومين، نحو: كيف تصنعُ أصنعُ، ولا يجوز كيف تجلسُ أذهبُ باتفاق، ولا كيف تجلسْ أجلسْ بالجزم عند البصريين إلا قطرباً لمخالفتها لأدوات الشرط بوجوب موافقة جوابها لشرطها كما مرَّ. وقيل: يجوز مطلقاً، وإليه ذهب قطرب، والكوفيون. وقيل: يجوز بشرط اقترانها بـ: «ما» قالوا: ومن ورودها شرطاً: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾. ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾. ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ وجوابها في ذلك كله محذوف لدلالة ما قبلها، وهذا يشكل على إطلاقهم: أن جوابها يجب مماثلته لشرطها.

وقد استدرك بعض المعلقين على المغني، فقال: أجاب بعضهم بأنه يمكن أن يقدر الجواب موافقاً للشرط بأن يقدر الجواب فعل مشيئة متعلق بالفعل السابق، وهو دال عليه؛ لأن الفعل الاختياري، يستلزم المشيئة، والأصل: كيف يشاء أمراً يشاءُ التصوير في الأرحام، كيف يشاء أمراً يشاء الإنفاق. كيف يشاء أمراً يشاء بسطه. غاية الأمر: أن متعلق الفعلين مختلف، وهذا جواب بعيد؛ لأنهم قالوا: لدلالة ما قبلها؛ لأن المتبادر: أنه دال على الجواب، وعلى دفع الإشكال، فيكون ما قبلها دالاً على متعلق جوابها، لا على نفس جوابها، وقد علمت دفع هذا بأن الفعل الاختياري، وهو الفعل الواقع قبلها يستلزم المشيئة، وهو الجواب المحذوف.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ أي: المطر. ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل نزول المطر، وهذا من باب التكرير، والتوكيد لما قبلهما، ومعنى التوكيد فيهما: الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول، وبَعْدُ، فاستحكم بأسهم، وتمادى إبلاسهم، فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك. وقيل: الضمير للمطر أو للسَّحاب، أو الإرسال، والمعتمد الأول. ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: لآيسين من رحمة الله تعالى مكتئبين، قد ظهر الحزن عليهم، لاحتباس المطر عنهم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢].

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الحال. (إن): مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها. وفسرها الجلال تبعاً للبغوي بـ: «قد» ولا وجه له، ويدل للأول اللام في: ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾، فإنها الفارقة. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وخُفِّفَتْ إنَّ فَقَلَّ الْعَمَلُ وَتَلْزَمُ اللامُ إذَا مَا تُهْمَلُ

﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مِن قَبْلِ﴾: جار ومجرور، متعلقان بـ: (مبلسين): ﴿أَن يُنَزَّلَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وهما في تأويل مصدر في محل جر بإضافة: ﴿قَبْلِ﴾ إليه، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى المطر المفهوم من ﴿ٱلْوَدْقَ﴾. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: توكيد لما قبلهما هذا على اعتبار الضمير عائداً على المطر. وقيل: عائد على السحاب، أو على الريح، أو على الكسف، فيكونان متعلقين بالفعل: ﴿يُنَزَّلَ﴾ على هذه الاعتبارات، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: اللام: هي الفارقة بين النفي، والإثبات، أي: اعتبار (إنْ) مخففة كما رأيت. (مبلسين): خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: (إن كانوا...) إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر. وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱنظُرْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ويعم كل إنسان يعقل من بني آدم، فيكون المعنى: انظروا نظر استبصار، واستدلال، لا نظر عمىً، وإهمال. أي: انظروا على أن من قدر على ذلك قادر على إحيائكم وبعثكم بعد موتكم. ﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: أثر المطر المعبر عنه بالرحمة كيف يتسبب عنه النبات، والأشجار، وأنواع الثمار. وهذا ما يسمى بالمجاز المرسل علاقته الحالية. هذا؛ ويقرأ: (أثر) بالإفراد وبالجمع أيضاً.

﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: يبسها، وجدبها؛ إذ موتها حين تكون يابسة لا نبات فيها شبيهة بالميت، وإحياؤها يكون بنزول المطر عليها، والفاعل يعود إلى (الله)، ويقرأ الفعل بالتاء على عود الفاعل إلى رحمة الله. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: القادر على إحياء الأرض بعد موتها. ﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: لقادر على إحياء الأموات من البشر يوم القيامة، فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى، كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية. هذا؛ ومن المحتمل أن يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتت، وتبددت من جنسها في بعض الأعوام السالفة انتهى. بيضاوي. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لا يعجزه شيء؛ لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على سواء، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفاء الفصيحة إن أردت اتصال الكلام بسابقه؛ (انظر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، وواقعاً؛ فانظر. . .إلخ، والكلام لا محل له على الاعتبارين. ﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿ءَاثَٰرِ﴾ مضاف، و﴿رَحْمَتِ﴾ مضاف إليه، و﴿رَحْمَتِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال، عامله ما بعده. ﴿يُحْىِ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله)، أو إلى المطر المفهوم مما تقدم، أو تقديره: «هي» يعود إلى: ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾، انظر الشرح. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿مَوْتِهَآ﴾ مضاف إليه، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَيْفَ يُحْىِ...﴾ إلخ في محل نصب حال، التقدير: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ محيية للأرض بعد موتها، أو هي في محل نصب مفعول به لـ: (انظر) المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. هذا؛ ويجوز اعتبار الجملة في محل جر بدل من: ﴿ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾، فيكون التقدير: فانظر إلى آثار رحمة الله كيفية إحياء الأرض بعد موتها، ومثله ما نسب للفرزدق: [الطويل]

إلى اللهِ أَشْكُو بِالْمَدِينَةِ حَاجَةً ... وَبِالشَّامِ أُخْرَى كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟!

وهذا هو الشاهد رقم [٣٧٣] من كتابنا فتح القريب المجيب. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم: ﴿إِنَّ﴾، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَمُحْىِ﴾: اللام: هي المزحلقة. (محيي): خبر: ﴿إِنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وهو مضاف، و﴿ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة أيضاً لا محل لها.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ أي: الدبور العقيم. ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾: فرأوا أثر رحمة الله؛ لأن رحمة الله هي الغيث، وأثرها النبات، فالضمير المنصوب يعود إلى النبات. وقيل: يعود إلى الريح، والريح تذكر كما رأيت في الآية رقم [٤٦] واصفرارها عقمها. وقيل: يعود إلى السحاب، وإذا كان مصفراً لا يمطر. والأول هو المعتمد.

﴿لَّظَلُّواْ﴾ أي: ليظلُّنَّ، وحسن وقوع الماضي في موضع المستقبل؛ لما في الكلام من معنى المجازاة، والمجازاة لا تكون إلا في المستقبل. قاله الخليل، وغيره، ومعنى: (ظلوا) بقوا، وثبتوا على كفرهم، فليس المراد التوقيت في النهار، بل المراد من الفعل الاستمرار، كما في قوله تعالى: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ وهو يفيد: أنه بمعنى المستقبل، وهو مفاد كلام ابن هشام في المغني. هذا؛ وظلوا: أصله ظللوا، فسكنت اللام الأولى بعد إسقاط حركتها، وأدغمت في الثانية، وذلك كراهة أن يجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد في كلمة واحدة، وهذا يطَّرِد في كل مضعف، مثل: مدُّوا، وشدُّوا، فإذا اتصل به ضمير متحرك؛ وجب الفك، مثل قولك: ظللت ومددنا، وشددن، وتقول: ظللت أفعل ذلك، وظللت أفعله، وظلت أفعل ذلك وظلت أفعله: إذا كنت تفعله نهاراً، وقد قرئ قوله تعالى في سورة (الواقعة): ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ بقراءاتٍ ثلاث.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم، وعدم تدبرهم، وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم، وسوء رأيهم، فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على الله، ويلتجئوا إليه بالاستغفار؛ إذا احتبس القطر عنهم، ولا ييأسوا من رحمته، وأن يبادروا إلى الشكر، والاستدامة بالطاعة؛ إذا أصابهم برحمته، ولم يفرطوا في الاستبشار، وأن يصبروا على بلائه؛ إذا ضرب زروعهم بالاصفرار، ولا يكفروا نعمه. انتهى. ولكنهم عكسوا الأمر، وأبوا ما يجديهم، وأتوا ما يرديهم.

الإعراب: ﴿وَلَئِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(نا): فاعله. ﴿رِيحًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَرَأَوْهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (رأوه): فعل ماض، مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مُصْفَرًّا﴾: حال من الضمير المنصوب، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَّظَلُّواْ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (ظلوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له. والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَكْفُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: (ظلوا)، وجملة: ﴿لَّظَلُّواْ...﴾ إلخ جواب القسم المدلول عليه باللام الموطئة، وجواب الشرط محذوف؛ لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط، وقسم فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَاحْـذِفْ لَـدَى اجْـتِـمَـاعِ شَـرْطٍ وَقَـسَـمْ ... جَـوَابَ مَـا أَخَّـرْتَ فَـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

والقسم، وجوابه، والشرط أيضاً كله كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾ إلخ: أي: وضحت الحجج يا محمد! لكنهم لإلفهم تقليد الأسلاف في الكفر ماتت عقولهم، وعميت بصائرهم، فلا يتهيأ لك إسماعهم، وهدايتهم، وهذا رد على القدرية. انتهى. قرطبي. وقال الجمل: تعليل لمحذوف، أي: لا تجزع، ولا تحزن على عدم إيمانهم، فإنهم موتى صم عمي، ومن كان كذلك لا يهتدي. انتهى.

وأقول: الخطاب للنبي ﷺ، ويعم كل عاقل من بني آدم، والمعنى: لما كان الكفار لا يفهمون ما يسمعون، ولا به ينتفعون؛ شبهوا بالموتى، وهم أحياء صحاح الحواس، وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون، وبالعمي حيث يضلون الطريق، ولا يقدر أحد أن ينتزع ذلك عنهم، ويجعلهم هداة بصراء إلا الله تعالى، ثم أكد حال الصم بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾؛ لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبراً؛ كان أبعد عن إدراك صوته، وإذا كان مقبلاً، وإن لم يسمع الكلام؛ تفطن منه بواسطة الحركات شيئاً.

هذا؛ وأقول أيضاً: إن الله تعالى قال عن الكافرين في سورة (البقرة): ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ وهم لم يكونوا في الحقيقة كذلك، ولكن المعنى: هم صم عن سماع الحق، وهم خرس عن النطق بالحق، وهم عمي عن طريق الحق، فلا يهتدون. وهذا تكرر في القرآن الكريم، وآية (الأعراف) رقم [١٧٨] ذكرت: أن لهم قلوباً؛ ولكن لا يفقهون بها، وأن لهم أعيناً؛ ولكن لا يبصرون بها طريق الخير، والهدى، وأن لهم آذاناً؛ ولكن لا يسمعون بها الحق سماع قبول، وتدبر. هذا؛ والموتى جمع ميت، ويجمع على: أموات أيضاً، وكلاهما جمع تكسير، ويجمع جمع سلامة أيضاً: ميتون، قال تعالى لحبيبه وصفيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وانظر الآية رقم [١٩] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء: حرف تعليل، وتفريع. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُسْمِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت». ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: «الدعاء»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إن)، والتي بعدها معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: (إنك...) إلخ تعليل لمحذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿تُسْمِعُ﴾. ﴿وَلَّوْاْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿مُدْبِرِينَ﴾: حال من واو

الجماعة، وهي حال مؤكدة منصوبة، علامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، واعتبار ﴿إِذَا﴾ شرطية بعيد، ولا يؤيده المعنى، وينبغي أن تعلم: أنَّ الآية الكريمة قد ذكرت بحروفها كاملة في الآية رقم [٨٠] من سورة (النمل).

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَنتَ﴾: يا محمد. ﴿بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ أي: عمى البصيرة، لا عمى البصر، والمعنى: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى، وأعمى قلبه عن الإيمان. سماهم الله عمياً؛ لفقدهم المقصود الحقيقي من الإبصار. ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: لا تسمع سماع قبول وتدبر إلا من يؤمن، ويصدق بالقرآن: أنه منزل من عند الله تعالى. ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مخلصون. من قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: جعله خالصاً سالماً لله تعالى؛ أي: لا رياء فيه، ولا حب محمدة، وسمعة، وقد راعى معنى ﴿مَن﴾ حيث جمع الضمير، وراعى لفظها بفاعل يؤمن.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال، أو حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿بِهَٰدِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (هادي): خبر (ما)، مجرور لفظاً منصوب محلاً، وهو مضاف، و﴿ٱلْعُمْىِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (هادي)، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل: ﴿تُسْمِعُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف بمعنى «ما». ﴿تُسْمِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والمفعول الأول محذوف، التقدير: ما تسمع الدعاء إلا مَنْ. ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى: ﴿مَن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾ لا محل لها. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ونا: ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿إِن تُسْمِعُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَهُم﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّسْلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. هذا؛ والآية مذكورة بحروفها كاملة برقم [٨١] من سورة (النمل).

﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ أي: بدأكم، وأنشأكم من ضعف، كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾. وقيل: من ماء ذي ضعف، وهو النطفة، والمعبر عنها بكثير من الآيات: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ وقيل: هو إشارة إلى أحوال الإنسان المختلفة، كان جنيناً، ثم طفلاً مولوداً، ومفطوماً، فهذه أحوال غاية الضعف. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ أي: حال الشباب، وبلوغ الأشد. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ أي: بياض الشعر الأسود، ويحصل أوله في الغالب في السنة الثالثة والأربعين، وهو أول سن الاكتهال، والأخذ في النقص بالفعل بعد الخمسين إلى أن يزيد النقص في الثالثة والستين، وهو أول سن الشيخوخة، ويقوى الضعف إلى ما شاء الله تعالى. انتهى. جمل نقلاً عن الخطيب.

قال تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ ومثله في الآية رقم [٧٠] من سورة (النحل). ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: من ضعف، وقوة، وشيبة، وشبيبة. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بتدبيره أمور خلقه. ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾: القادر المقتدر على تغيير أحوال خلقه، وهذا الترديد في الأحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير، وخذ هذين البيتين رحم الله قائلهما: [البسيط]

مـا أنـتَ إلَّا كـزرعٍ عـنـدَ خـضْـرَتِـهِ ... لـكـلِّ شـيءٍ مِـنَ الآفـاتِ مَـقْـصُـودُ

فـإن سـلِـمْـتَ مِـن الآفـاتِ أجْـمـعِـهَـا ... فـأنـتَ مِـنْ بـعـدِ ذا لا بـدَّ مـحـصـودُ

هذا؛ ويقرأ بفتح الضاد في جميعها، وقرئ بالضم، وهو أقوى. قال الفراء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم. قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قرأتها على رسول الله ﷺ ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾ فأقرأني (مِنْ ضُعْف) وهما لغتان كالعَقْر، والعُقْر. وقيل: الضعف بالفتح في الرأي، وبالضم في الجسد، ومنه الحديث في الرجل الذي كان يُخدع في البيوع: «أنه يَبتاعُ وفي عقدتِهِ ضَعف» أي: في رأيه، ونظره في مصالح نفسه.

هذا؛ والشيبة، والشيب: بياض الشعر، والمشيب: عبارة عن الحيوان في زمان تكون قوته فيه غير غريزية، أما الشباب فهو الزمن الذي تكون فيه حرارة الحيوان الغريزية مشبوبة؛ أي: قوية مشتعلة. هذا قول الأصمعي، وقال الجوهري: الشيب، والمشيب بمعنى واحد.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿خَلَقَكُم﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾: جار ومجرور متعلقان

بمحذوف حال من الكاف على حد قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من قوة، كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً، و﴿بَعْدِ﴾ مضاف، و﴿ضَعْفٍ﴾ مضاف إليه. ﴿قُوَّةً﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً، وإعرابها مثلها. ﴿يَخْلُقُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يخلق الذي، أو: شيئاً يشاؤه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من فاعل: ﴿جَعَلَ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من فاعل يشاء المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: تقوم القيامة، وانظر الآية رقم [١٤]. ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: يحلفون. وانظر التعبير عن الكافرين بالمجرمين، ونحوه في الآية رقم [١٢]. هذا؛ وسمي الحلف: قسماً؛ لأنه يكون عند انقسام الناس إلى مصدق، ومكذب، وهو رباعي كما ترى، فهمزته تثبت في الماضي، والأمر، وتحذف في المضارع مع ضم حرف المضارعة، كما رأيت مثله كثيراً، وأما «قسم» الثلاثي، فإنه بمعنى: جزَّأ، أو فرَّق، فمضارعه بفتح حرف المضارعة، وهمزته في الأمر همزة وصل، تسقط في درج الكلام، وتثبت في أوله.

﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: وأرادوا لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث، وقال الرسول ﷺ: **«ما بينَ فَنَاءِ الدنيا إلى وقتِ البعثِ أربعونَ»**. قالوا: لا نعلم، أهي أربعون سنة، أو أربعون ألف سنة؟! وذلك وقت يفنون فيه، وينقطع عذابهم، وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له، أو ينسون، أو يكذبون، أو يخمنون، وعلى القول الأول، وهو أنهم أرادوا لبثهم في الدنيا، فيكون كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾. وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ رقم [٤٥] من سورة (يونس)، ومثلها من سورة الأحقاف رقم [٣٥] والأولى من سورة النازعات.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كانوا يكذبون في الدنيا، فكذلك يكذبون في الآخرة، وقد زعم جماعة من أهل النظر: أن القيامة لا يجوز أن يكون فيها كذب لما هم فيه، والقرآن يدل على

غير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كما صُرفوا عن الحق في قَسَمهم: أنهم ما لبثوا غير ساعة، كذلك كانوا يُصرفون عن الحق في الدنيا، وقال عزَّ وجلَّ في سورة (المجادلة): ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ وقال جل ذكره في سورة (الأنعام): ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟﴾ الآية رقم [٢٣] و[٢٤]، انتهى. قرطبي بتصرف. والقائل: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ هم الملائكة، والأنبياء، والمؤمنون، وانظر شرح ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ في الآية رقم [٦١] من سورة (العنكبوت)، ولا تنس ما كانوا يقولونه في الدنيا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ الآية رقم [٢٩] من سورة (الأنعام)، ومثلها في سورة (المؤمنون) رقم [٣٧].

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿يُقْسِمُ﴾ الآتي، وجملة: ﴿تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿يُقْسِمُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، ومثلها في إعرابها الآية رقم [١٢]. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَبِثُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب القسم: ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ لا محل لها. ﴿غَيْرَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿غَيْرَ﴾: مضاف، و﴿سَاعَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. و(ذا): اسم مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: كانوا يؤفكون في الدنيا إفكاً مثل إفكهم يوم القيامة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾: هم الملائكة، والأنبياء، والمؤمنون من هذه الأمة. وقيل: جميع المؤمنين من الأمم. ولا بأس. ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ، أو في حكم الله، وقضائه. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾: ردوا بذلك ما قاله الكافرون، وحلفوا عليه. ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: الذي كنتم تنكرونه، ولا تؤمنون به. ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أنه حق؛ لتفريطكم في طلب الحق، واتباعه. هذا؛ وأصل

﴿أُوتُوا﴾: «أُوتِيُوا» فاستثقلت الضمة على الياء، فحذفت، فالتقى ساكنان: الياء، والواو، فحذفت الياء، وبقيت الواو، فصار: «أُوتِوْا» ثم قلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو.

هذا؛ والإيمان الصحيح: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان. ولما سئل الرسول ﷺ عن الإيمان قال: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى**». والإيمان يزيد، وينقص على المعتمد، كما رأيت في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال) وله شعب كثيرة هي سبع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله... وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وهو بفتح الهمزة جمع: يمين بمعنى الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾، واليمين أيضاً: اليد اليمنى، وتجمع أيضاً على: أيمان، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم، ولا يجمع بالمعنى الأول؛ لأنه مصدر.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿أُوتُوا﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على الضم، والواو نائب فاعله. وهو المفعول الأول، وهو العائد. ﴿الْعِلْمَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَالْإِيمَانَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿لَبِثْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِي كِتَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال، التقدير: محسوبة في علم الله وتقديره، و﴿كِتَابِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَى يَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿الْبَعْثِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿لَقَدْ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه كلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿يُقْسِمُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿فَهَذَا﴾: الفاء: واقعة في جواب شرط مقدر، التقدير: إن كنتم منكرين البعث؛ فهذا يومه. قاله القرطبي، وقاله الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي. الهاء: حرف تنبيه لا محل له، ينبه به المخاطب على ما يساق من الكلام. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (يوم): خبره. و﴿يَوْمُ﴾ مضاف، و﴿الْبَعْثِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: (هذا يوم البعث) في محل جزم جواب الشرط الذي رأيت تقديره، والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَكِنَّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لكنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كُنْتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل نصب خبر: (كان)، وجملة: ﴿كُنْتُمْ...﴾

إلخ في محل رفع خبر (لكن)، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم قامت الساعة، وحلف المشركون كاذبين، ورد عليهم الملائكة والمؤمنون، وبينوا كذبهم. ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: يقرأ الفعل بالتاء، والياء؛ لأن الفاعل هو (معذرة) وهو مؤنث مجازي، وما كان منه يجوز تأنيث فعله، وتذكيره، والمعذرة: الاعتذار، فهي مصدر ميمي، من: عذره رفع عنه اللوم، والمؤاخذة، والذنب، أو قبل عذره.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُدْعَوْن إلى ما يقتضي إعتابهم؛ أي: إزالة عتبهم من التوبة، والطاعة، كما دُعُوا إليه في الدنيا؛ حيث ندبهم الله في كثير من الآيات إلى التوبة، والطاعة، وحضَّهم في كثير من الآيات على الاستغفار، والإيمان به. من قولهم: اسْتَعْتَبني فلان، فأعْتَبْتُهُ؛ أي: استرضاني فأرضيته. وجملة القول: لا يقال لهم يوم القيامة: أرضوا ربكم بتوبة، وطاعة، ومثله قوله تعالى في الآية رقم [٣٥] من سورة (الجاثية): ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ وقال تعالى في سورة (النحل) رقم [٨٤]: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ وقال تعالى في سورة (فصلت) رقم [٢٤]: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ وخذ قول أبي الأسود، وهو الشاهد [٩٦٠] من كتابنا «فتح القريب المجيب»: [المتقارب]

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ... وَلَا ذَاكِرِ اللهَ إِلَّا قَلِيلَا

هذا؛ والاستعتاب: طلب العتاب. والمعتبة: هي الغلظة، والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره، والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة، والغضب، ويرجع إلى الرضا عنه، وإذا لم يطلب العتاب من خصمه دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه، قال النابغة الذبياني: [الطويل]

فَإِنْ كُنْتُ مَظْلُوماً فَعَبْداً ظَلَمْتَهُ ... وَإِنْ كُنْتَ ذَا عُتْبى فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ

هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (غافر) رقم [٥٢]: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾. وفي المصباح المنير: عتب عليه عَتْباً من باب: ضرب، وقتل، ومعتباً أيضاً: لامه في سخط، فهو عاتب، وعتَّاب مبالغة، وبه سمي، ومنه عتَّاب بن أسيد الصحابي ـ رضي الله عنه ـ وعاتبه معاتبةً، وعتاباً. قال الخليل: حقيقة العتاب: مخاطبة الإدلال، ومذاكرة الموجدة. وأعتبني: الهمزة للسلب؛ أي أزال الشكوى، والعتاب. واستعتب: طلب الإعتاب، والعتبى: الاسم من الإعتاب. انتهى. جمل.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِناً؛ فَلعلَّه يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**». رواه البخاري، ومسلم. هذا؛ والاستعتاب بمعنى الاسترضاء. قال الشاعر: [الكامل]

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أنْ تُقَتَّلَ عامِرٌ ... يومَ النِّسارِ فأُعْتِبُوا بالصَّيْلَمِ

كيف جعلهم غضاباً: ثم قال: فأعتبوا؛ أي: أزيل غضبهم بالسيف.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات، وغير معتبين في بعضها؟ قلت: أما كونهم غير مُسْتَعْتَبِين؛ فهذا معناه. أي: ما تقدم، وأما كونهم غير مُعْتَبِينَ؛ فمعناه: أنهم غير راضين بما هم فيه، فشبهت حالهم بحال قوم جُنِيَ عليهم، فهم عاتبون على الجاني، غير راضين عنه، فإن يستعتبوا الله، أي يسألوه إزالة ما هم فيه، فما هم من المجابين إلى إزالته. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (يومئذ): ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و(إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، وإذ هذه مضافة لجملة محذوفة، انظر تقديرها في الشرح. ﴿لَّا﴾: نافية: ﴿يَنفَعُ﴾: فعل مضارع. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ظَلَمُوا﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾: فاعل ينفع، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال؛ فلست مفنداً، والحالية مقدرة في ذلك اليوم الذي يرون فيه ما يرون من أهوال.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ...﴾ إلخ أي: ولقد وصفنا لهم كل صفة، كأنها مثل في غرابتها، وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن، كصفة المبعوثين يوم القيامة، وقصتهم، وما يقولون، وما يقال لهم، وما لا ينفع من اعتذارهم، ولا يسمع من استعتابهم، ولكنهم لقسوة قلوبهم، ومج أسماعهم حديث الآخرة؛ إذا جئتهم بآية من آيات القرآن؛ قالوا: جئتنا بزور وباطل. انتهى. كشاف.

قال الخازن: فإن قلت: ما معنى توحيد الخطاب في قوله: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم﴾ والجمع في قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ قلت: فيه لطيفة، وهي: أن الله تعالى قال: ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل. ويمكن أن يقال: معناه: إنكم كلكم أيها الرسل مبطلون. انتهى. أقول: والأولى اعتبار الخطاب في الأول موجهاً إلى النبي ﷺ، وفي الثاني موجهاً له وللمؤمنين معه. هذا؛ و﴿مُبْطِلُونَ﴾ اسم فاعل من: أبطل الرباعي، وانظر الآية رقم [٥٢] من سورة (العنكبوت).

هذا؛ و(قرآن) مشتق من: قريت الماء في الحوض: إذا جمعته، فكأنه قد جمع فيه الحكم، والمواعظ، والآداب، والقصص، والفروض، وجميع الأحكام، وكملت فيه جميع الفوائد الهادية إلى طرق الرشاد. هذا؛ وهو في اللغة مصدر بمعنى الجمع، يقال: قرأت الشيء قرآناً: إذا جمعته، وبمعنى: القراءة، يقال: قرأت الكتاب قراءة، وقرآناً. ثم نقل إلى هذا المجموع المقروء، المنزل على الرسول ﷺ، المنقول عنه بالتواتر، فيما بين الدفتين، وهو المراد هنا، ويحرم على المحدث حدثاً أكبر، قراءته، وحمله، ومسه، وعلى المحدث حدثاً أصغر حمله ومسه، ولا يمنع من قراءته عن ظهر قلب، قال تعالى في تقديسه، وتعظيمه. ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ضَرَبْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِي هَٰذَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿ضَرَبْنَا﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو ضعيف معنىً، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿مِن كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿ضَرَبْنَا﴾ أيضاً، وهما في محل المفعول به، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿مَثَلٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: (لقد ضربنا...) إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له وانظر الآية رقم [٢٣] من سورة (السجدة). ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله. (إن): حرف شرط جازم. ﴿جِئْتَهُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط، غير ظرفي. ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (يقولن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوٓا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مُبْطِلُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَّيَقُولَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، وجواب الشرط محذوف، لدلالة جواب القسم عليه، انظر الآية رقم [٥١].

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾

الشرح أي: يطبع الله على قلوب الكافرين طبعاً مثل ذلك الطبع الذي يطبعه الله على قلوب الجاهلين. ومعنى طبع الله: منع الألطاف؛ التي تنشرح لها الصدور؛ حتى تقبل الحق، وإنما يمنعها الله مَنْ علم: أنها لا تجدي عليه، ولا تغني فتيلاً، كما يمنع الواعظ الموعظة مَنْ يتبين له: أن الموعظة تلغو، ولا تنجع فيه، فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم، وركوب الصدأ، والرين عليها، فكأنه قال: كذلك تقسو، وتصدأ قلوب الجهلة؛ حتى يسموا المحقين مبطلين، وهم أعرف خلق الله في تلك الصفة. انتهى. كشاف.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يطلبون العلم، ويصرون على خرافات اعتقدوها، فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق، ويوجب تكذيب المحق. انتهى. بيضاوي.

هذا؛ ومعنى ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: ختم عليها؛ إذ الطبع في الأصل الختم، وهو التأثير في الطين، ونحوه، فاستعير هنا لعدم فهم القلوب ما يلقى عليها، وإذا طبع على قلب الإنسان؛ فلا تؤثر فيه حينئذ الموعظة، ولا تجدي معه النصيحة، قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. والطبع: السجية، والخلق الذي طبع عليه الإنسان، والطبيعة مثله، وجمع الأول: طباع، وجمع الثاني: طبائع.

هذا؛ والطبع: تدنس العرض، وتلطخه. يقال: طبع السيف: إذا دخله الجرب من شدة الصدأ، وطبع الرجل فهو طبع: إذا أتى عيباً، يقال: نعوذ بالله من طمع يدني إلى طبع، أي: إلى دنس، قال ثابت بن قطنة: [البسيط]

لا خيْرَ في طَمَعٍ يُدْنِي إلى طَبَعٍ   وَغُفَّةٌ من قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيني

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، انظر تقدير الكلام في الشرح، وانظر الآية رقم [٥٦]. ﴿يَطْبَعُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿قُلُوبِ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾

الشرح: ﴿فَٱصْبِرْ﴾: على أذاهم، وعداوتهم. والخطاب للنبي ﷺ. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بنصرك على أعدائك، وإظهار دينك على الدين كله. ﴿حَقٌّ﴾: ثابت، ومحقق، لا بد من تنفيذه،

وإنجازه والوفاء به. (ولا يستخفنك): لا يحملنك على الطيش، والخفة، والقلق، أو الجهل. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: لا يؤمنون بالبعث، والحساب، والمجازاة في يوم القيامة على الأعمال، إن خيراً؛ فخير، وإن شراً؛ فشر، فهم كافرون شاكون ضالون، لا يستغرب منهم ذلك. هذا؛ وقرئ بتخفيف النون، كما يقرأ بالقاف، فيكون المعنى لا يفتننك، فيملكوك، ويكونوا أحق بك من المؤمنين، وهذا على سبيل الفرض، والتقدير، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَٱصْبِرْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: إذا علمت حالهم، وتبين لك كفرهم، وضلالهم فاصبر. (اصبر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والمتعلق محذوف. انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ «إذا»، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿وَعْدَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقٌّ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، أو الخفيفة في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ صلة الموصول، وجملة: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (اصبر...) إلخ لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم، والحمد لله رب العالمين.

انتهت سورة الروم، شرحاً وإعراباً، بحمد الله وتوفيقه

والحمد لله رب العالمين.

سورة لقمان

سورة (لقمان)، وهي مكية غير آيتين قال قتادة: أولهما: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ...﴾ إلى آخر الآيتين. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: غير ثلاث آيات، أولهن: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ إلخ. وهي أربع وثلاثون آية، وخمسمئة، وثمان وأربعون كلمة، وألفان ومئة وعشرة أحرف. انتهى. قرطبي، وخازن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿الٓمٓ﴾: انظر سورة (الروم). ﴿تِلْكَ﴾: الإشارة إلى ما تضمنته السورة الكريمة من آيات القرآن، وإنما أدخل اللام على اسم الإشارة هنا، وفي كثير من الآيات، وهي للبعد، والسورة الكريمة؛ بل القرآن كله في متناول اليد، وذلك للإيذان بعلو شأنه، وكونه في الغاية القصوى من الفضل، والشرف، وعلو المكانة، فكأنه بسبب ذلك بعيد كل البعد. وانظر شرح ﴿ءَايَٰتُ﴾ في الآية رقم [٢٠] من سورة (الروم). ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: المحكم؛ أي: لا خلل فيه، ولا تناقض. وقيل: ذو الحكمة. وقيل: الحاكم. أو وصفه الله بالحكيم؛ لاشتماله على الحكم. أو لأنه كلام حكيم. أو محكم آياته لم ينسخ منها شيء. هذا؛ وقد وصفه الله بالمبين في أول سورة (الشعراء)، وفي أول سورة (النمل)، وفي أول سورة (القصص) وهو بمعنى: الظاهر إعجازه، وصحته، وما فيه من الأحكام، والمبين للحق من الباطل، والحلال، والحرام، وقصص الأنبياء، ونبوة محمد ﷺ، وغير ذلك. وقيل: ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ بمعنى: المحكوم فيه؛ أي: حكم الله فيه بالعدل، والإحسان، وبالنهي عن الفحشاء. والمنكر، وبالجنة لمن أطاعه، وبالنار لمن عصاه.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾: جمع: محسن، وهو الذي يعمل الحسنات التي ذكرها في الآية التالية، ووصف الله المحسنين في سورة (الذاريات) بقوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ ءَاتَاهُمْ﴾ لذا؛ فالقول: إن المحسنين هم الذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال، ثم خص منهم القائمين بهذه الأعمال الثلاثة بفضل الاعتداد بها، فهو أولى بالاعتبار، وفي قول الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام: «**الإحسانُ أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». هذا؛ وقد قال الله تعالى في أول سورة

(النمل): ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وتخصيص المؤمنين، والمحسنين بالذكر؛ وهم جميعاً بمعنى واحد؛ لأنهم هم المهتدون، والمنتفعون بآيات القرآن الكريم، فعملوا بتعاليمه، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، فكانوا جديرين بكون القرآن هدًى، ورحمةً، وبشارةً لهم برضا الله، ورضوانه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿الٓمٓ﴾: انظر إعرابه في أول سورة (الروم). ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، وأجيز اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هذه تلك؛ فتكون ﴿ءَايَٰتُ﴾ بدلاً من اسم الإشارة، والأول أقوى معنًى، وأصح إعراباً. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ءَايَٰتُ﴾: خبر المبتدأ، أو بدل من اسم الإشارة. و﴿ءَايَٰتُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: صفة ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، والجملة الاسمية: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو: ﴿الٓمٓ﴾ على الوجه الثاني من وجهي الرفع كما رأيت، والرابط: اسم الإشارة على اعتبار الإشارة عائدة على ﴿الٓمٓ﴾ وهي مستأنفة على بقية الأوجه فيه.

﴿هُدًى﴾: يجوز في محله النصب على الحال من: ﴿ءَايَٰتُ﴾. أي: هداية، ورحمة، والعامل اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل، ويجوز في محله الجر على أنه بدل من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ بدل اشتمال، كما يجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف التقدير: هي هدى، أو على البدل من: ﴿ءَايَٰتُ﴾، أو على أنه خبر بعد خبر، وعلامة النصب، أو الجر، أو الرفع مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَرَحْمَةً﴾: الواو: حرف عطف. (رحمة): معطوفة على ما قبله، وينبغي أن تعلم أنه قرئ برفعه، ونصبه، ولم يقرأ بجره، لذا فالبدلية من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ ضعيفة، تنبه لهذا. ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بأحد الاسمين على التنازع، أو بمحذوف صفة لأحدهما، وحذفت صفة الثاني.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يؤدونها في أوقاتها، ويحافظون على طهارتها، ويتمون ركوعها، وسجودها، وخشوعها، ومن لم يؤدها على الوجه الأكمل يقال عنه: صلى، ولا يقال: أقام الصلاة. هذا؛ والصلاة في اللغة: الدعاء، والتضرع، وهي في الشرع: أقوال، وأفعال مخصوصة، مبتدأة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، ولها شروط، وأركان، ومبطلات، ومكروهات، ومندوبات مذكورة في الفقه الإسلامي، والصلاة من العبد معناها: التضرع، والدعاء، ومن الملائكة على العبد معناها: الاستغفار، وطلب الرحمة له، ومن الله على عباده معناها الرحمة وإنزال البركات، وقد جمعت الأنواع الثلاثة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأما ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فهي في اللغة: النماء، والتطهير. وفي الشرع: اسم لمال مخصوص يدفع لأشخاص معلومين مذكورين في الآية رقم [٦٠] من سورة (التوبة)، وقد خص الله الصلاة، والزكاة بالذكر؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، وشرعت لذكر الله، و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أفضل العبادات المالية، وفرضت للفقير، ومجموعهما التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. وانظر الصلاة التي تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، والتي لا تنهاه في الآية رقم [٤٥] من سورة (العنكبوت).

﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ﴾: المراد بالآخرة: الحياة الثانية التي تكون بعد الموت، ثم بعد البعث، ثم بعد الحساب، والجزاء، ودخول الجنة، والخلود فيها، أو دخول النار، والخلود فيها.

تنبيه: قال زاده: ولما كان إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة مما يتكرر، ويتجدد في أوقاتهما؛ أتى بهما فعلين، ولما كان الإيقان بالآخرة أمراً ثابتاً مطلوباً دوامه؛ أتى به جملة اسمية، وجعل خبرها مضارعاً للدلالة على: أن إتقانهم مستمر على سبيل التجدد. انتهى. جمل. هذا؛ ولا تنس: أن هذه الآية مذكورة بحروفها كاملة في الآية رقم [٣] من سورة (النمل) والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وهو الموفق، والمعين.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: يجوز فيه أن يكون في محل جر على الاتباع للمحسنين على البدلية، أو على الوصفية، وأن يكون في محل نصب على أنه مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني. وأن يكون في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، وهو مبني على الفتح في محل جر، أو في محل نصب، أو في محل رفع. ﴿يُقِيمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع...إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿هُمْ﴾: ضمير فصل لا محل له من الإعراب، أو هو توكيد للمبتدأ، وجملة: ﴿يُوقِنُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وأجيز عطفها على جملة الصلة، كما أجيز اعتبارها مستأنفة، ومعترضة في آخر الكلام، ولا محل لها على جميع الاعتبارات.

﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

الشرح: ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾: الإشارة إلى المحسنين الذين وصفوا في الآية السابقة بالأعمال المجيدة، والصفات الحميدة. ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾: على هداية، وتوفيق. ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ للقيام بالأعمال المذكورة. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالجنة، الناجون من النار، فهو اسم فاعل من: أفلح الرجل: فاز ببغيته، ومراده. وأصله: «مُؤَفْلِح» حذفت الهمزة منه كما رأيت مثله في الآية رقم [٣] من

سورة (النمل) وغيرها، وتكرار اسم الإشارة لإظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم، وأنهم جديرون بذلك الفضل: الذي خصهم الله به، ومنحهم إياه، ومثل هذه الآية في (البقرة) رقم [٥].

الإعراب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، التقدير: كائنون على هدى ونحوه، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿هُدًى﴾، أو بمحذوف صفة له، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿ٱلَّذِينَ﴾. . .إلخ مبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، وهو وجه ضعيف فيما يظهر. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ مثل سابقه. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له من الإعراب. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ ثانياً، و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر المبتدأ الأول، وعلى الوجهين فالجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ معطوفة على سابقتها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: نحو السمر بالأساطير، والأحاديث التي لا أصل لها، والتحدث بالخرافات، والمضاحيك، وفضول الكلام، وما لا ينبغي من القول، والفعل، ونحو الغناء، وتعلم الموسيقى، وما أشبه ذلك. وفي الجملة هو كل باطل ألهى عن طاعة الله، ومنع من الخير.

وقيل: نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلدة، وكان يتجر إلى فارس، فيشتري كتب الأعاجم، فيحدث بها قريشاً، ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد، وثمود، فأنا أحدثكم بأحاديث رستم، وبهرام، والأكاسرة، وملوك الحيرة، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن. وقيل: كان يشتري المغنيات، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، فيقول: أطعميه، واسقيه، وغنيه. ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة، والصيام، وأن تقاتل بين يديه.

وقيل: هو شراء القينات، والمغنين. فيكون معنى الآية: ومن الناس من يشتري ذات لهو، أو ذا لهو الحديث. وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال

رسول الله ﷺ: «**لا يحلُّ تعليمُ المغنياتِ، ولا بيعُهُنَّ، وأثمانهُنَّ حرامٌ**». وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ إلخ «**وما مِنْ رجلٍ يرفعُ صوتَهُ بالغناءِ إلا بعث الله لهُ شيطانَيْنِ: أحدهُمَا عَلى هذا المنكبِ، والآخرُ على هذا المنكِبِ، فلا يزالانِ يضربانِهِ بأرجلهما حتى يكون هوَ الّذِي يسكتُ**». أخرجه الترمذي.

وهذا لفظه عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَبِيعُوا الْقَيْنَاتِ المغنِّيَاتِ، ولا تشتروهُنَّ، ولا تعلِّمُوهُنَّ، وَلَا خَيْرَ في تجارةٍ فيهنَّ، وثَمَنهُنَّ حرامٌ**». وفي مثل هذا نزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ...﴾ إلخ. معنى ﴿يَشْتَرِي﴾: يستبدل، ويختار الغناء، والمزامير، والمعازف على القرآن. وقال أبو الصهباء: سألت ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن هذه الآية، فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو (يردِّدها ثلاث مرات). هذا؛ وقيل: الغناء منفدة للمال، مسخطة للرب، مفسدة للقلب.

هذا؛ والإضافة معناها التبيين على حد قولهم: باب ساج، وخاتم حديد، فيكون المعنى: ومن الناس من يشتري اللهو من الحديث، والمراد بالحديث: الحديث المنكر. ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى مِنْ التبعيضية كأنه قيل: ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دين الإسلام، وعن سماع القرآن. وقرئ بضم الياء، فيكون المعنى ليضل غيره. وقرئ بفتح الياء، فيكون المعنى: ليثبت على ضلاله. وفي اشتراء لهو الحديث استعارة تصريحية واضحة، لا خفاء فيها.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: بحال ما يشتريه، وما يجره عليه من الوبال، أو بالتجارة؛ لأن شأن التاجر أن يشتري من أجل الربح، وهو خاسر في تجارته، قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ أي: وما كانوا مهتدين للتجارة، بصراء فيها. ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: يقرأ الفعل بالرفع، والنصب، ويقرأ بسكون الزاي والهمز، وبضم الزاي والهمز، وبضم الزاي بلا همز، وهو بجميع قراءاته مصدر: هزأ، يهزأ، هُزْءاً من باب: فتح، ويأتي من باب: تعب. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: شديد، يهينهم لإهانتهم الحق باستئثارهم الباطل.

تنبيه: (مَنْ) مفردٌ لفظاً، جمعٌ معنىً، روعي لفظها، أولاً في ثلاثة ضمائر «يَشتري، ويضلُّ، ويتخذُ» وروعي معناها ثانياً في موضعين، وهما: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ ثم رجع إلى مراعاة اللفظ في خمسة ضمائر، وهي في الآية التالية.

هذا؛ وجمع الحديث: أحاديث شذوذاً، انظر جمع الباطل في الآية رقم [٥٢] من سورة (العنكبوت) فهو مثله، وأصل ﴿مُّهِينٌ﴾ «مُهْيِن» فهو اسم فاعل مِنْ أهان الرباعي، فقل في إعلاله: نقلت كسرة الياء إلى الهاء قبلها بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ومثله قل في إعلال ﴿مُّبِينٌ﴾.

الإعراب: ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف استئناف. (من الناس): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. وقيل: إن الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمبتدأ محذوف، التقدير: وفريق كائن من الناس، على حد قوله تعالى: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾. والأصح: أن مضمون الجار، والمجرور مبتدأ، و(مَنْ) هي الخبر؛ لأن (مِنْ) الجارة دالة على التبعيض، أي: وبعض الناس، وجمع الضمير في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ يؤيد ذلك، وانظر تفصيل ذلك وشرحه في الآية رقم [١٠] من سورة (العنكبوت)، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَشْتَرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾ وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها. ﴿لَهْوَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ مضاف إليه. ﴿لِيُضِلَّ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، ومفعوله محذوف على قراءته بضم الياء، وهو لازم على قراءته بفتحها، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَشْتَرِي﴾. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿بِغَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل: ﴿يَشْتَرِي﴾ المستتر، و(غير) مضاف، و﴿عِلْمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾: الواو: حرف عطف. (يتخذها): بالرفع معطوف على ﴿يَشْتَرِي﴾، وبالنصب معطوف على يضل، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾ أيضاً، وأجاز أبو البقاء: الرفع على إضمار مبتدأ، فتكون الجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل: ﴿يَشْتَرِي﴾، وفيه ضعف كما ترى. و(ها): مفعوله الأول. ﴿هُزُوًا﴾: مفعوله الثاني. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مُّهِينٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾: آيات القرآن. ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: أعرض عن تدبرها متكبراً رافعاً نفسه عن الإصغاء لآيات القرآن. ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها، وهو سامع. ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: الوقر بفتح الواو: الصمم في الأذن. والوقر بكسر الواو: حمل البغل، والحمار. والوقار: الحلم، والرزانة، والتعقل، وهو أيضاً: العظمة، والهيبة، والمهابة. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أعلمه: أن العذاب يحيق به لا محالة.

هذا؛ والبشارة عبارة عن الخبر السار؛ الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به، ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه، كان كذلك الحزن والغم يظهر أثرهما على الوجه، وهو الكمودة، التي تعلو الوجه عند حصول الغم، والحزن. فثبت بهذا: أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار، والخبر المحزن، فصح قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ولكن قد تستعمل البشارة بالشر، وبما يسوء على سبيل التهكم والاستهزاء كما في هذه الآية، وهو كثير في القرآن الكريم.

هذا؛ وولّى، ومثله تَوَلَّى يكونان بمعنى الإعراض، والإدبار عن الشيء بالجسم، ويستعملان في الإعراض عن الأمور الاعتقادية اتساعاً، وانظر شرح (يسمع) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الروم). هذا؛ و﴿عَذَابٌ﴾. اسم مصدر، لا مصدر؛ لأن المصدر: تعذيب؛ لأن فعله: عذب، يعذب بتشديد الذال فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، مثل: عطاء، وسلام، ونبات لأعطى، وسلم، وأنبت، و﴿أَلِيمٌ﴾ بكسر اللام اسم فاعل بمعنى: موجع،وقال سليمان الجمل: بفتح اللام على طريق الإسناد المجازي، حيث أسند الألم للعذاب، وهو في الحقيقة إنما يسند إلى الشخص المعذب، فهو على حد: جَدَّ جَدُّه. انتهى. بتصرف.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿تُتْلَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: نائب فاعل، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تُتْلَىٰ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿وَلَّىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: حال من الفاعل المستتر، وجملة: ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ جواب (إذا)، لا محل لها. و:(إذا) ومدخولها كلام معطوف على الجملة الاسمية: (من الناس...) إلخ لا محل له مثلها.

﴿كَأَن﴾: حرف مشبه بالفعل، مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف، التقدير: كأنه. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسْمَعْهَا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿كَأَن﴾، والجملة الاسمية في محل نصب حال ثانية من فاعل: ﴿وَلَّىٰ﴾ المستتر، والرابط ضمير الشأن المحذوف وفاعل يسمع المستتر. ﴿كَأَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِىٓ أُذُنَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَأَنَّ﴾ تقدم على اسمها، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَقْرًا﴾: اسمها مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال ثالثة من فاعل ولى، أو بدل مما قبلها، أو هي حال من فاعل ﴿يَسْمَعْهَا﴾، أو هي تفسير لما قبلها، وجوز الزمخشري وتبعه البيضاوي اعتبار جملتي التشبيه

استئنافيتين. ﴿فَبَشِّرْهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (بشره): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً منه فبشره، والجملة الشرطية هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِعَذَابٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة (عذاب).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

الشرح: لما ذكر الله مآل المكذب بآيات الله؛ الذي يتخذها هزواً؛ ذَكر عاقبة المؤمن بها، والعامل بتعاليمها. وهذا من باب المقابلة التي جرت سنة الله في كتابه أن يأتي بها، فإنه ـ تعالت حكمته، وتمت كلمته ـ لا يذكر التكذيب من الكافرين، والمنافقين؛ إلا ويذكر التصديق من المؤمنين، ولا يذكر الإيمان؛ إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة؛ إلا ويذكر النار، ولا يذكر الرحمة؛ إلا ويذكر السخط؛ ليكون المؤمن راغباً راهباً، خائفاً راجياً. هذا؛ والمراد بـ: ﴿جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ نعيم الجنات، فعكس للمبالغة. بيضاوي. هذا؛ و﴿جَنَّٰتُ﴾ جمع: جنة، وهي في الأصل: البستان الكثير الأشجار. وسميت الجنة بذلك؛ لأنها تجن، أي: تستر من يدخل فيها لكثرة أشجارها، وكثافتها، وينبغي أن يلاحظ: أن هذا الوعد للذكور والإناث الصالحات، وإن كان الكلام بصيغة جمع الذكور، فيمكن أن يكون من باب تغليب الذكور على الإناث، كما يمكن أن تكون الإناث ملحقة بالذكور إلحاقاً، وهناك آيات كثيرة تثني على المؤمنات الصالحات، وتبشرهن بجنة عرضها الأرض والسموات، وآية الأحزاب رقم [٣٥] قرنت النساء بالرجال بالمدح والثناء بعشر صفات. ووعد الجميع بالأجر العظيم، والثواب الكبير.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. (عملوا): فعل ماض مبني على الضم، لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جَنَّٰتُ﴾: مبتدأ مؤخر؛ و﴿جَنَّٰتُ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّعِيمِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ﴾: ماكثون في تلك الجنات، أي: المؤمنون، والمؤمنات، لا يفنون، ولا يخرجون، ولا يهرمون. روى مسلم عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال

رسول الله ﷺ: «**أَهْلُ الْجَنَّة يَأْكلُونَ، ويَشْرَبُونَ، ولا يَبولونَ، ولا يَتَغوَّطونَ، ولا يَمْتَخِطونَ، ولا يَبْزقونَ، يُلْهَمُوَن الْحَمْدَ والتسبيحَ، كما يُلْهَمون النفَسَ، طعامُهُمْ جُشَاءٌ، ورشحُهُمْ كَرَشْحِ الْمِسْكِ**».

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان، الأول لنفسه، والثاني لغيره؛ لأن قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ وعد، وليس كل وعد حقاً، و﴿حَقًّا﴾ يدل على معنى الثبوت، والدوام، فأكد به معنىً لِوعْد، ومُؤَكِّدُهما الجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلبه شيء، ولا يعجزه، يقدر على الشيء، وضده، فيعطي النعيم من يستحقه، ويعطي البؤس من يستحقه، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة، وهو الذي يضع الأمور مواضعها. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من الضمير المجرور محلاً باللام منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿وَعْدَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: وعد وعداً، و﴿وَعْدَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقًّا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف أيضاً، وانظر الشرح. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: خبران للمبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة؛ والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: في هذه الرؤية قولان: أحدهما: أن الرؤية ترجع إلى السموات، والمعنى: وأنتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها، يعني: ليس تحتها دعامة تدعمها، ولا من فوقها علاقة تمسكها. قال إياس بن معاوية ـ رحمه الله تعالى ـ: السماء مقبية على الأرض مثل القبة، وهذا قول الحسن وقتادة، وجمهور المفسرين، وإحدى الروايتين عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ والقول الثاني: أن الرؤية ترجع إلى العمد، والمعنى: أن لها عمداً، ولكن لا ترونها أنتم. والأول أصح. وهذا على أن السموات مكونة من أجرام، وأما ما يقوله العلم الحديث من أن السموات السبع طبقات هوائية، تختلف كل طبقة عما فوقها، وعما تحتها، فنكل علمه إلى الله تعالى.

﴿وَأَلْقَىٰ﴾: وخلق، وجعل. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثابتة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي الجبال الشامخات من أوتاد الأرض، وهي سبعة عشر جبلاً منها: قاف،

وأبو قبيس، والجودي، ولبنان، وطور سينين، وطور سيناء. أخرجه ابن جرير كما في «المبهمات» للسيوطي. وأضيف: أن ﴿عَمَدٍ﴾ جمع عمود، وهو ما يقوم عليه البيت، وجمعه في القلة: أعْمِدة، وفي الكثرة: عَمَد بفتحتين، وعُمُد، وبهما قرئ قوله تعالى ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ وعمود القوم: سيدهم. في القاموس: عَمَد جمع: عمود، وعِماد أيضاً. هذا؛ والعماد: الأبنية الرفيعة، ومنه قوله تعالى ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾. ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: تتحرك، وتضطرب، والمَيدَان: الاضطراب يميناً، وشمالاً، ومادت الأغصان: تمايلت، وماد الرجل: تبختر، وتمايل كبراً، وغطرسة. و﴿رَوَاسِيَ﴾ جمع: راسية، فالأرض ترسو بالجبال، أي: تثبت، وتستقر. فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَمَّا خلقَ اللهُ الأرضَ جعلَتْ تميدُ، وتَكَفَّأُ، فأرساهَا بالجبال فَاستَقَرَّتْ، فعجبتِ الْملائكةُ مِنْ شِدَّةِ الجبالِ، فَقَالُوا: يا رَبَّنَا هَلْ خلقْتَ خلقاً أَشَدَّ مِنَ الجبالِ؟ قال: نعمْ الحديد، قالوا: فهل خلقتَ خلقاً أَشَدَّ مِنَ الْحديدِ؟ قال: النار، قالوا: فهلْ خلقْتَ خلْقاً أَشَدَّ مِنَ النارِ؟ قال: الماء، قالُوا: فَهلْ خَلقْتَ خلْقاً أشدَّ مِنَ الماءِ؟ قال: الريح. قالوا: فهل خلقتَ خلقاً أشدَّ مِنَ الريح، قال: ابنَ آدَمَ إذا تصدق بصدقةٍ بيمينِهِ، فأَخْفَاهَا مِنْ شِمَالِهِ»**. رواه الترمذي، وقال: حديث غريب.

﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: خلق، وفرق، ونشر. ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: تشمل كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان، وحيوان، وطير، وهوام. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾: انظر الآية رقم [٢٤] من سورة (الروم). ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾: في الأرض. ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: من كل صنف كثير المنفعة. ولا تنس الالتفات في الآية من الغيبة إلى التكلم، وانظر فوائده في الآية رقم [٣٤] من سورة (الروم)، ومثل هذه الآية في الالتفات قوله تعالى في سورة (طه) رقم [٥٣]: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾، وقوله تعالى في سورة (النمل) رقم [٦٠]: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾، وقوله تعالى في سورة فاطر رقم [٢٧]: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في ختام الآية التي نحن بصدد شرحها: وكأنه جلت قدرته، وتعالت حكمته استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة، وحكمته التي هي كمال العلم، ومهد به قاعدة التوحيد، وقررها بقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ...﴾ إلخ.

هذا؛ وزوج في هذه الآية بمعنى: الصنف، والنوع، كما رأيت، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ والزوج: القرين قال تعالى في سورة (الصافات): ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي قرناءهم من الشياطين. والزوج: ضد الفرد، وكل واحد منهما يسمى زوجاً أيضاً، يقال للاثنين: هما زوجان، وهما زوج، كما يقال: هما سيان، وهما سواء، قال تعالى في سورة

(هود) رقم [٤٠]: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: من كل نوع ذكراً، وأنثى، وقال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٤٣]: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ والمعنى: ثمانية أفراد، وأخيراً فزوج يطلق على الرجل والمرأة، والقرينة تبين الذكر، والأنثى، ويقال لها أيضاً: زوجة، وحذف التاء منها أفصح إلا في الفرائض، فإنها بالتاء أفصح؛ لتوضيح الوارث.

أما ﴿كَرِيمٍ﴾ فهو كثير المنافع، والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله، وهو صفة لكل ما يرضي في بابه، يقال: وجه كريم؛ أي: مرضيٌّ في حسنه، وجماله، وكتاب كريم: مرضي في معانيه وفوائده، ونبات كريم فيما يتعلق به من المنافع، وقس على ذلك الإنسان، والحيوان، والمكان، وانظر الآية رقم [٢٩] من سورة (النمل).

الإعراب: ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿بِغَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: خالية من عمد، و(غير) مضاف، و﴿عَمَدٍ﴾ مضاف إليه. ﴿تَرَوْنَهَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿عَمَدٍ﴾ على اعتبار الضمير المنصوب راجعاً إليها، أو هي في محل نصب حال من ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على اعتباره راجعاً إليها. وقيل: مستأنفة، وهو ضعيف، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَلْقَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (ألقى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رَوَٰسِىَ﴾: مفعول به، وهو صفة لموصوف محذوف، انظر الشرح. ﴿أَن تَمِيدَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ»، والفاعل يعود إلى (الأرض) تقديره: «هي»: و﴿أَن تَمِيدَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافته لمصدر محذوف، يقع مفعولاً لأجله، التقدير: كراهية ميدها بكم، وهذا عند البصريين، وهو عند الكوفيين في محل جر بحرف محذوف، التقدير: لئلا تميد بكم، ومثل هذه الآية قول عمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة: رقم [٩٧]: [الوافر]

نَـزَلْـتُـمْ مَـنْـزِلَ الأضـيـافِ مِـنَّـا ... فَـعَـجَّـلْـنَـا الْـقِـرى أَنْ تَـشْـتِـمُـونَـا

وهذا هو الشاهد رقم [٤٨] من كتابنا فتح القريب المجيب.

﴿بِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَبَثَّ﴾: الواو: حرف عطف. (بث): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان به أيضاً، وهما في محل نصب مفعول به. قال الجمل: ﴿مِن﴾ زائدة. انتهى. وعليه: فـ: ﴿كُلِّ﴾ مفعول

صريح. والأقوى تعليقهما بمحذوف صفة لموصوف محذوف، التقدير: وبث فيها حيوانات من كل دابة. و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿دَابَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أنزلنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ماء، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً»، وجملة: ﴿وَأَنزَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ، أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين، وانظر مثل هذا الالتفات في الآيات التي ذكرتها لك في الشرح. (أنبتنا): فعل، وفاعل. ﴿فِيهَا مِن كُلِّ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما ويجوز أن يكون: ﴿مِن كُلِّ﴾ متعلقين بمحذوف صفة لموصوف محذوف، التقدير: نباتاً من كل، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿زَوْجٍ﴾ مضاف إليه. ﴿كَرِيمٍ﴾: صفة: ﴿زَوْجٍ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا﴾ أي: ما ذكر من السموات والأرض، وما تعلق بهما من الأمور المعدودة. ﴿خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: مخلوق الله. ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: فأروني الذي خلقته آلهتكم؛ حتى استحقوا العبادة منكم، وحتى أشركتموهم مع الله في التقديس والتعظيم. ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: إضراب عن تبكيتهم، وتقريعهم إلى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر، ووضع الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على أنهم ظالمون بإشراكهم مع الله ما لا يضر، ولا ينفع.

هذا؛ والضلال مصدر: ضل بمعنى: كفر وأشرك بالله، وخرج عن جادة الحق، والصواب، وهو ضد: اهتدى، واستقام، ويأتي ضَلَّ بمعنى: غاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وضل الشيء: ضاع وهلك، وضل: أخطأ في رأيه، ولولا هذا المعنى؛ لكفر أولاد يعقوب بقولهم في حضرته: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ وقولهم في غيبته: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وضل: تحير، وهو أقرب ما يفسر به قوله تعالى لحبيبه محمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾. هذا؛ وأضل، يضل غيره من الرباعي، ومصدره الإضلال فهو متعد، والثلاثي لازم، وانظر رقم [١٠] من سورة (السجدة).

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَلْقُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَرُونِي﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان هذا خلق الله؛ فأروني. . .إلخ. (أروني): فعل أمر مبني على

حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعوله الأول، وهو معلق عن الثاني، والثالث لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿مَاذَا﴾: (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: ما الذي خلقه الذين، والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني والثالث. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) مفعولاً مقدماً لـ: ﴿خَلَقَ﴾ و(ذا) زائدة، كما أجيز اعتبار ﴿مَاذَا﴾ اسماً مركباً مبنياً على السكون في محل رفع مبتدأ، خبره الجملة الفعلية بعده، أو في محل نصب مفعولاً به مقدماً للفعل ﴿خَلَقَ﴾، وعليه فالجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد المفعولين؛ وأجاز مكي اعتبار (ما) اسماً موصولاً بمعنى: الذي في محل نصب مفعول به لـ: (أروني)، واعتبار: (ذا) زائدة، والجملة الفعلية صلة (ما)، والعائد محذوف، التقدير: فأروني الأشياء التي خلقها الذين من دونه، وهو قول ضعيف تفرد به ـ رحمه الله تعالى ـ. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بَلِ﴾: حرف إضراب، وانتقال. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿ضَلَٰلٍ﴾. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿فَأَرُونِي...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾: هو ابن باعوراء بن ناحور، بن تارح، وهو آزر أبو إبراهيم، كذا نسبه محمد بن إسحاق. وقيل: هو لقمان بن عنقاء، بن سرون، وكان نوبياً من أهل أيلة. ذكره السهيلي. وقال وهب: هو ابن أخت أيوب النبي. وقال مقاتل: ذكر: أنه كان ابن خالة أيوب، وقال الزمخشري. هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب، أو ابن خالته. وقيل: كان من أولاد آزر، عاش ألف سنة، وأدركه داود عليه الصلاة والسلام، وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوى، فقيل له: لم تركت الفتوى؟ فقال: ألا أكتفي إذْ كُفِيتُ. وقال الواقدي: كان قاضياً في بني إسرائيل، وأكثر الأقاويل: أنه كان حكيماً، ولم يكن نبياً. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لقمان لم يكن نبياً، ولا ملكاً، ولكن كان راعياً أسود، فرزقه الله العتق، ورضي قوله، ووصيته، فقص أمره في القرآن؛ لتمسكوا بوصيته.

وقال عكرمة، والشعبي: كان نبياً. وقيل: خُيِّر بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة. وعن ابن المسيب: كان أسود من سودان مصر خياطاً. وعن مجاهد: كان عبداً أسود غليظ الشفتين،

متشقق القدمين. وقيل: كان نجاراً. وقيل: كان راعياً. وقيل: كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة. وروي عنه: أن قال لرجل ينظر إليه: إن كنت تراني غليظ الشفتين، فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض.

وروي: أن رجلاً وقف عليه في مجلس وهو يعلِّمُ الناس الحكمة. فقال له: ألست عبد بني فلان؟ قال: نعم، قال: ألست كنت ترعى معي في مكان كذا؟ قال: بلى، قال: ما بلغ بك ما أرى، ويراه الناس من العلم، والحكمة؟ قال: بفضل الله علي وصدقي في الحديث، وأداء الأمانة، وصمتي عما لا يعنيني.

وروي من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم يكن لقمانُ نبياً، ولكن كان عبداً كثيرَ التفكرِ، حسنَ اليقينِ، أحبَّ الله تعالى فأحبَّهُ، فمنَّ عليه بالحكمةِ، وخيَّرهُ في أن يجعله خليفةً يحكم بالحق، فقال: يا رب! إن خيرتني قبلت العافية، وتركت البلاء، وإن عزمت علي فسمعاً، وطاعةً، فإنك ستعصمني**». ذكره ابن عطية. وزاد الثعلبي: «**فقالت له الملائكة بصوت لا يراهم: لم يا لقمان؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه المظلوم من كل مكان، إن يُعن فبالْحَرى أنْ ينجوَ، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً فذلك خيرٌ من أن يكون فيها شريفاً، ومَنْ يختر الدنيا على الآخرة؛ تفته الدنيا، ولا يصب الآخرة. فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومةً، فأعطي الحكمة، فانتبه يتكلم بها**».

ثم نودي داود بعده فقبل الخلافة، ولم يشرط ما اشترطه لقمان، فهوى في الخطيئة غير مرة، كل ذلك يعفو الله عنه. وكان لقمان يؤازره في حكمته، فقال له داود: طوبى لك يا لقمان، أُعْطِيت الحكمة، وصُرف عنك البلاء، وأُعْطِيَ دَاودُ الخلافة، وابْتُلِيَ بالبلاء، والفتنة.

قال له سيده ذات يوم: اذبح لي شاة، وائتني بأطيب مضغتين فيها. فأتاه باللسان، والقلب، ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام، وأن يخرج أخبث مضغتين في الشاة الأخرى، فأتاه باللسان، والقلب، فسأله عن ذلك، فقال: هما أطيب ما فيها؛ إذا طابا، وهما أخبث ما فيها؛ إذا خَبُثَا. وقد قال سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق: «**أَلَا وإنَّ في الجسدِ مُضْغَةً إِذَا صلُحَتْ صَلُحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسدَ الجسدُ كلُّهُ أَلَا وهِيَ القَلْبُ**». رواه البخاري ومسلم.

وجاء في اللسان أحاديث شهيرة كثيرة، صحيحة، مذكورة في كتاب الترغيب والترهيب، خذ منها ما يلي: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ وشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخلَ الْجَنَّةَ**». رواه الترمذي وحسنه. انتهى. قرطبي وكشاف وغيرهما بتصرف.

هذا؛ وأما الحكمة؛ فهي الصواب في المعتقدات، والفقه في الدين، والعقل، والعمل. وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: والحكمة في عرف العلماء: استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها.

وقال أبو بكر بن دريد: الحكمة: كل كلمة وعظتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح.

﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ أي: آتيناه الحكمة، وقلنا له: اشكر، وانظر الإعراب، وانظر الشكر لغة، واصطلاحاً في الآية رقم [٢٥] الآتية، والمعنى: اشكر نعمة الله عليك. ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾ أي: النعمة وأدى حق الله فيها. ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: يرجع نفع ذلك إلى نفسه، لا إلى غيره، حيث يستوجب بشكره تمام النعمة، ودوامها، والمزيد منها، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. والشكر: قيد النعمة الموجودة، وبه تنال النعمة المفقودة. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: جحد النعمة، ولم يقم بشكرها. ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ أي: عن العباد، وعن شكرهم. ﴿حَمِيدٌ﴾: حقيق بالحمد، وإن لم يحمد، أو: محمود، نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال. وفي سورة (النمل) رقم [٤٠]: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وقد سمى الله سبحانه وتعالى جحود النعمة كفراً؛ لأن معنى الكفر اللغوي: الستر، والتغطية، كما رأيت في الآية رقم [٣٤] من سورة (الروم) أما الفعل: شكر، يشكر، فيتعدى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرته وشكرت له، كما تقول: نصحته، ونصحت له.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لُقْمَٰنَ﴾: مفعول به أول. ﴿الْحِكْمَةَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم، وجوابه: كلام مستأنف لا محل له. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٣] من سورة (السجدة). ﴿أَنِ﴾: حرف صلة على تقدير: قلنا له: اشكر، وهي مفسرة على تضمين الحكمة معنى القول، ومصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بحرف تعليل التقدير: لإتيان لقمان الحكمة، أو بحرف دال على السببية، أي بأن اشكر. ﴿اشْكُرْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف كما رأيت، أو هي مفسرة، لا محل لها، أو هي بعد تأويلها بمصدر تعليل للكلام السابق. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَشْكُرْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، وفاعله يعود إلى: (مَنْ). ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿يَشْكُرُ﴾: فعل مضارع، وفاعله يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿لِنَفْسِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو

المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَن﴾: مثل سابقه. ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم (إن). ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: خبران لـ: (إن)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط. هذا؛ وإن اعتبرت الجواب محذوفاً، تقديره: ومن كفر فلا يحزنك كفره، أو فلا يضرك كفره، فالجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ...﴾ إلخ تعليل للنفي، والمعنى: يؤيده، وبقية الإعراب مثل سابقه، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن كَفَرَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾: واسمه: ثاران. وقيل: أشكم. وقيل: أنعم. وقيل: ماتان. ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾: ينصحه ويرشده، والفعل مثال واوي، أصله: وعظ، يَوْعِظُ، مثل وعد، يوعد، حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها، وهما الفتحة، والكسرة، والأمر منه: عِظ، مثل: عِد، وزِنْ، والأصل: اوْعظ، واوْعد، واوْزن، فحذفت الهمزة، والواو.

﴿يَٰبُنَيَّ﴾: تصغير ابن، تصغير: إشفاق، وإرفاق، لا تصغير تحقير، فأصل ابن: بَنَوٌ فلما صغر؛ صار: بُنَيْوٌ، فلما اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، ثم ألحقت به ياء المتكلم، فاجتمع ثلاث ياءات، فحذفت الثانية منهن؛ التي هي لام الكلمة، ولم تحذف الأولى؛ لأنها ياء التصغير، وقد أتي بها لغرض خاص، ولم تحذف الثالثة؛ التي هي ياء المتكلم؛ لأنها كلمة برأسها. هذا؛ وقرئ بإسكان الياء، وكسرها، وفتحها في هذه الآية، وفيما يأتي.

﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾: قال القشيري: إن ابنه، وامرأته كانا كافرين، فما زال يعظهما؛ حتى أسلما، وذلك لأن أعلى مراتب الإنسان أن يكون كاملاً في نفسه مكملاً لغيره، فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ إشارة إلى الكمال، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ...﴾ إلخ إشارة إلى التكميل لغيره، وبدأ بالأقرب إليه، وهو ابنه، وبدأ في وعظه بالأهم، وهو المنع من الشرك.

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾: لأن التسوية بين من يستحق العبادة، وبين من لا يستحقها ظلم عظيم؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها. هذا؛ وقد بينت لك فيما سبق: أن الشرك أنواع منوعة، فأعظمها: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، ومنها: الرياء، ومنها: أن يعتقد الإنسان تأثير مؤثر في هذا الكون مع الله، من جلب نفع، أو ضر، وغير ذلك، فعن يزيد بن خالد الجهني

- رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر مطر نزل بالليل، فلما انصرف؛ أقبل على الناس، فقال: «**هل تَدْرُونَ مَاذا قال رَبُّكُم اللَّيْلَةَ؟**». قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلم، قال: قال: «**أصبحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ، فأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بفضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بالكَوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بالكوكبِ، كَافِرٌ بِي**». رواه مسلم.

تنبيه: ذكر الله في هذه الآية، والآيات التالية بعض الحكم، والوصايا التي أوصى بها لقمان - عليه الصلاة والسلام - ابنه. وفي الخطيب، فرجع الابن إليه، وأسلم، ثم قال له: يا بني! اتخذ تقوى الله تعالى تجارة؛ يأتِكَ الربحُ من غيرِ بضاعةٍ. يا بني احضر الجنائز، ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكر الآخرة، والعرس يشهيك الدنيا، يا بني! لا تكن أعجز من هذا الديك، الذي يصوت بالأسحار، وأنت نائم على فراشك، يا بني! لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة، يا بني! لا ترغب في ود الجاهل، فيرى أنك ترضى عمله، يا بني! اتق الله، ولا تُرِ الناس: أنك تخشى الله؛ ليكرموك بذلك، وقلبك فاجر، يا بني! ما ندمت على الصمت قطُّ، فإن الكلام إذا كان من فضة؛ كان السكوت من ذهب، يا بني! اعتزل الشرَّ، كما يعتزلك، فإنَّ الشر للشر خلق، يا بني عليك بمجالسة العلماء، واستمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل المطر. يابني! من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمُّه، ونقل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.

يا بني لا ترسل رسولك جاهلاً، فإن لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك، يا بني لا تنكح أمة غيرك، فتورِثَ بنيك حزناً طويلاً، يا بني! يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم، يا بني! اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يُذْكَرُ فيه اللهُ عز وجل، فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعْك علمك، وإن تك غبياً يعلموك، وإن يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصبْك معهم، يا بني! لا تجلس في المجلس الذي لا يُذْكَرُ الله فيه، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعْك علمك، وإن تكن غبياً يزيدوك غباوةً، وإن يطلع الله عليهم بسخط يصبْك معهم.

يا بني! لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء، يا بني! إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بالله، وشراعها التوكل على الله، لعلك تنجو، يا بني! إني حملت الجندل والحديد، فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارة كلها، فلم أذق أشد من مرارة الفقر، يا بني! كن كمن لا يبتغي محمدة الناس، ولا يكسب مذمتهم، فنفسه منهم في غنى، والناس منه في راحة، يا بني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.

يا بني! لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم. يا بني! إذا أردت أن تؤاخِيَ رجلاً فأغضبْه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه، وإلا فاحذره. يا بني! إنك منذ نزلتَ إلى الدنيا؛ استدبرْتَها،

واستقبلْتَ الآخرة، فدارٌ أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترتحل. يا بني! عود لسانك أن يقول: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا ترد. يا بني! إيَّاك والدَّيْنَ فإنه ذل في النهار، وهمٌّ في الليل، يا بني! ارج الله رجاء لا يجرِّئك على معصيته، وخف الله خوفاً، لا يؤيسك من رحمته. انتهى. جمل، ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: وإنما أكثرت من ذلك لعل الله ينفعني، ومن طالعه بذلك، واقتصرت على هذا القدر، وإلا فمواعظه لابنه لو أراد شخص الإكثار منها؛ لجعل منها مجلدات.

ومن قصص الأنبياء للثعلبي: يا بني لا تضع بِرَّك إلا عند راعيه، كما ليس بين الكبش والذئب مودة فليس بين البار والفاجر خلة، ومن يحب المراء؛ يشتم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن يصاحب قرين السوء؛ لا يسلم، ومن لا يملك لسانه؛ يندم، يا بني! لا تطلب من الأمر مُدْبِراً، ولا ترفض منه مقبلاً، فإن ذلك يقل الرأي، ويزري بالعقل. . .إلخ، وهذا قطرة من بحر.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المقدر، وجملة: ﴿قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يَعِظُهُۥ﴾: فعل مضارع، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى الضمير العائد بدوره إلى لقمان عليه السلام، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هو يعظه) في محل نصب حال من ﴿لُقْمَٰنُ﴾ والرابط: الواو، والضمير. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بسكون الإدغام، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَا تُشْرِكْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان به، والجملتان الندائية والفعلية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: (اذكر إذ قال. . .) إلخ معطوفة على جواب القسم، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلشِّرْكَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَظُلْمٌ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى المزحلقة. (ظلم): خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية تعليل للنهي لا محل لها، وهي من مقول لقمان، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: هذه الآية، والآية التالية معترضتان في تضاعيف وصية لقمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ لابنه تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك، وغيره، فكأنه قال: وقد

وصينا بمثل ما وصى به، وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك، مع أنهما تِلْوُ الباري في استحقاق التعظيم، والطاعة، لا يجوز أن يطاعا في الإشراك، والمعاصي. الآيتان نزلتا في حق سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ لما أسلم، وأن أمه حمنة قد حلفت ألا تأكل. انظر تفصيل ذلك في الآية رقم [٨] من سورة (العنكبوت) ففيها الكفاية، فإن ما هنا، وهناك نزل فيه، رضي الله عنه.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفاً على ضعف، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: شدةً بعد شدة. وقيل: إن المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف، والتعب، والمشقة، وذلك؛ لأن الحمل ضعف، والطلق ضعف، والوضع ضعف، والرضاعة ضعف. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الأحقاف) رقم [١٥]: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾. وفي هاتين الآيتين تنويه بشأن الأم، وأن حقها أعظم من حق الأب، وأنها تستحق من الطاعة، والإكرام، والخدمة، والاحترام أكثر مما يستحقه الأب، وذلك لما قاسته من الآلام بسبب الولادة، ولما هي مجبولة عليه من الضعف الخلقي، والجسدي، ولاسيما إذا بلغت من العمر عتياً، وقد لفت النبي ﷺ نظر المسلم المؤمن إلى هذا، وذلك فيما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتي؟ قالَ: **«أُمُّكَ»**، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: **«أمُّكَ»**. قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **«أُمُّكَ»**. قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: **«أَبوكَ»** رواه البخاري ومسلم، وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي أَشْتَهِي الجهادَ، ولَا أقدِرُ عَلَيْهِ! قالَ: **«هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ؟»**. قَالَ: أُمِّي، قَالَ: **«قَابِلِ الله في بِرِّهَا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ؛ فَأَنْتَ حَاجٌّ، وَمُعْتَمِرٌ، وَمُجَاهِدٌ»**. رواه الطبراني في الصغير، والأوسط، وأبو يعلى. فالرسول ﷺ قد جعل للأم ثلاث مراتب، وللأب واحدة، وهو ما يفهم من مغزى الآيتين الكريمتين.

هذا؛ وقرأ عيسى الثقفي: (وَهَناً على وَهَنٍ) بفتح الهاء فيهما، ورويت عن أبي عمرٍو، وهما بمعنًى واحد، قال قعنب بن أم صاحب: [البسيط]

هَلْ لِلْعَواذِلِ مِنْ نَاهٍ فَيَزْجُرَهَا؟ إِنَّ العَوَاذِلَ فيها الأَيْنُ والْوَهَنُ

هذا؛ ويأتي: وَهَنَ، يَهِنُ، مثل: ضرَب، يضرب، ووَهُنَ، يَوْهَنُ، مثل: كَرُمَ، يَكْرُمُ، ووهِن، يهِن، مثل: حسِب، يحسِب، وورِثَ، يَرِث. ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ أي: فطامه في انقضاء عامين، وهي مدة الرضاع، التي ذكرها الله في آية البقرة رقم [٢٣٣]. ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾. وهذه هي المدة التي يتعلق بها تحريم الرضاع، ولا تحريم بعدها. هذا؛ وانظر ما ذكرته في سورة (الأحقاف) رقم [١٥] فهو مرتبط في هذه الآية، وهو جيد جداً جداً؛ إن شاء الله تعالى.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾: فقد قرن الله شكره بشكر الوالدين؛ لأن للوالدين صورة التربية الظاهرة، والله هو الموجد، والمربي في الحقيقة؛ لذا جعل الشكر بينه وبين الوالدين، ثم فرق، فقال: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع، والمآب؛ أي: إن نعمة الوالدين على الوالد مختصة بالدنيا، ونعمتي وإفضالي عليك في الدنيا، والآخرة. وقيل: لما أمر الله بشكره، وشكر الوالدين؛ قال: الجزاء عليَّ وقت المصير إليَّ.

قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس؛ فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس؛ فقد شكرهما. انتهى. أقول: إن كانت الصلاة قد نهته عن الفحشاء، والمنكر، وأما إذا اتخذ الصلاة عادة، ولم تنهه؛ فأي شكر لله يكون فيها؟! وهذا هو الغالب على المصلين في هذا العصر.

ومن القرطبي في تفسير سورة (النور) قال: وفي حديث: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ ثَلَاثٍ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ رحمتِهِ يَوْمَ القيامَةِ، مَنْ قَالَ: أُطِيعُ الله، وَلَا أطيعُ الرَّسُولَ، والله تَعَالَى يقول:** ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ **ومَنْ قال: أُقِيمُ الصلاةَ، ولَا أُوتِي الزَّكاةَ، والله تعالى يقول:** ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **ومنْ فَرَّقَ بيْنَ شكر اللهِ وشكرِ وَالِدَيْهِ، والله عز وجل يقول:** ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾». والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾: الواو: واو الاعتراض. (وصينا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى تغليباً، وحذفت النون للإضافة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿حَمَلَتْهُ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والهاء مفعول به. ﴿أُمُّهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَهْنًا﴾: حال من ﴿أُمُّهُۥ﴾ أي: ذات وهن، أو هو مفعول مطلق، تقديره: تهن وهناً، وهذه الجملة في محل نصب حال، أو هو منصوب بنزع الخافض، التقدير: على وهنٍ أو بوهن، أو هو صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: حملاً وهناً، وجملة: ﴿حَمَلَتْهُ...﴾ إلخ معترضة لا محل لها، وفيها معنى التعليل للوصية. ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾: الواو: حرف عطف، أو اعتراض آخر، ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿فِي عَامَيْنِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وعلامة الجر الياء... إلخ، والجملة الاسمية معترضة أيضاً لا محل لها. ﴿أَنِ﴾: مفسرة؛ لأن (وصينا) متضمن معنى القول دون حروفه. وقيل: مصدرية. ﴿ٱشْكُرْ﴾: فعل أمر، وفاعله تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار: ﴿أَنِ﴾ تفسيرية، وعلى اعتبار ﴿أَنِ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأنِ اشكرْ، أو بأنِ اشكرْ، وهو أقوى من سابقه. كما

أجيز اعتبار المصدر في محل جر بدل اشتمال من: (والديه)، وأجاز الزجاج اعتبار المصدر مفعولاً به ثانياً لـ: (وصينا) والتفسير أقوى من كل هذه الوجوه، وما بين التفسير والمفسر جملتان معترضتان لا محل لهما. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿ٱشْكُرْ﴾. (لوالديك): جار ومجرور متعلقان معطوفان على: ﴿لِي﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، أو تعليل للأمر، وفيها معنى التقوية له، ولا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾: وإن حملاك على أن تشرك بي، وألحَّا عليك في ذلك. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨] من سورة (العنكبوت) من الفرق بين ما هنا، وهناك. ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: بأنه يستحق العبادة مع الله، تقليداً للأبوين المشركين. ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: فيما يأمران به، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: بالمعروف، وهو البر، والصلة، والعشرة الجميلة اللطيفة. والآية دليل واضح على حسن معاشرة الأبوين إذا كانا كافرين، وحثٌّ على صلتهما بما يمكن من المال إن كانا فقيرين.

فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ، قالت: قدمتْ عليَّ أمي؛ وهي مشركةٌ في عهد رسول الله ﷺ. قلت: يا رسول الله! قدمتْ عليَّ أمي، وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «**نعم صلي أمَّكِ**». رواه البخاري، ومسلم، ومعنى: راغبة، أي: طامعة فيما عندي، تسألني الإحسان إليها. وفي روايةٍ أخرى راغمة، أي: كارهة للإسلام، واسم أمها قتيلة بنت عبد العزى، طلقها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قبل الهجرة لكفرها، وإبائها الإسلام، أما أم عائشة ـ رضي الله عنهما ـ فهي قديمة الإسلام، واسمها زينب الفِرَاسِيَّةُ، وتكنى أم رومان ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ أي: اتبع دين من رجع إلي بالإسلام والتوبة، فقد حكى النقاش وغيره: أن المأمور سعد، والذي أناب إلى الله: أبو بكر. وقال: إن أبا بكر لما أسلم أتاه سعد، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان، وطلحة، وسعيد، والزبير، فقالوا: آمنت بهذا الرجل، وصدقته؟! قال: نعم إنه صادق، فآمنوا به! ثم ذهب بهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر، ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: يوم القيامة ترجعون إلي. ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾: فأخبركم جميعاً. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بما عملتم في الدنيا من أعمال، فأجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿جَاهَدَاكَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، وألف الاثنين فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر، والمصدر المؤول من ﴿أَن تُشْرِكَ﴾: في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿تُشْرِكَ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. وهي نكرة موصوفة. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، ويجيز بعضهم تعليقهما بمحذوف حال من: ﴿عِلْمٌ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿عِلْمٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، والجملة الفعلية: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء.

﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية. ﴿تُطِعْهُمَا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله. ﴿وَصَاحِبْهُمَا﴾: الواو: حرف عطف. (صاحبهما): فعل أمر، والفاعل تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جزم مثلها. ﴿مَعْرُوفًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: صحاباً معروفاً. وقيل: منصوب على نزع الخافض، التقدير: بمعروف، والناصب له عند الكوفيين النزع، وعند البصريين الفعل. ﴿وَٱتَّبِعْ﴾: فعل أمر، والفاعل تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿سَبِيلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿أَنَابَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَنْ﴾، تقديره: «هو» وهو العائد. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَنْ﴾، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. (أنبئكم): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به.

﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالياء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: فأنبئكم بالذي، أو بشيء كنتم تعلمونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فأنبئكم بعملكم، وهو أضعف من الاعتبارين السابقين. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمها. ﴿تَعْمَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، كما رأيت تقديره، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية ﴿فَأُنَبِّئُكُم...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها مثلها. هذا؛ وقد ذكرت لك: أن هاتين الآيتين معترضتان في تضاعيف وصية لقمان لابنه، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: إن الخصلة من فعل الخير، أو من فعل الشر، إن تك مثلاً في الصغر كحبة خردل. وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: أي لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه، والمعتمد الأول؛ لقوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٤٧]: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

هذا؛ والخردل نبات له حب صغير جدّاً أسود، واحدته: خردلة، يقال: إن الحس لا يدرك لها ثقلاً؛ إذ لا ترجح ميزاناً. هذا؛ ويقال: خردل الطعام: أكل خياره، وخردل اللحم: قطع أعضاءه قطعاً صغاراً. هذا؛ ويقرأ برفع (مثقالُ) على اعتبار ﴿تَكُ﴾ فعلاً تاماً، وتأنيث الفعل على هذا؛ لأن مثقال اكتسب التأنيث من المضاف إليه، وهو ﴿حَبَّةٍ﴾ ومثل ذلك قول الأعشى: [الطويل]

وَتَشْرَقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتَهُ ... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

وهذا هو الشاهد رقم [٩٠٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة الماء منها. وقيل: خلق الله الأرض على حوت، وهو النون، والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك. وقيل: على ظهر ثور، وهو على صخرة، وهي التي ذكر لقمان، ليست في الأرض، ولا في السماء، فلذلك

قال تعالى: ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والصخرة على متن الريح، والريح على القدرة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وما أحسن قول البيضاوي: في أخفى مكان، وأحرزه، كجوف صخرة، أو أعلاها كمُحَدَّب السموات، أو أسفله كمقعَّرِ الأرض. هذا؛ وقرئ: (فَتَكِن) بكسر الكاف، من: وَكَن الطائر: إذا استقر في وكنته.

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: يحضرها يوم القيامة ويحاسب عليها، وهذا على اعتبار ضمير ﴿إِنَّهَآ﴾ مقصود به الفعلة الحسنة، أو السيئة، وأما على اعتباره مقصوداً به رزق الإنسان؛ فيكون المعنى: لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع؛ جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه، ويكون محصله: لا تهتم للرزق؛ حتى تشتغل به عن أداء الفرائض، وعن اتباع سبيل من أناب إليَّ. ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «**لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ، ما يُقَدَّرْ يَكُنْ، وَمَا تُرْزَقْ يَأْتِكَ**». والأحاديث النبوية في هذا الباب مشهورة مسطورة في كتاب: الترغيب والترهيب، وغيره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: يصل علمه إلى كل خفي. ﴿خَبِيرٌ﴾: عالم بكنهه، أو: هو لطيف باستخراج الحبة خبير بمستقرها، أو: هو لطيف باستخراج النبات من الأرض رزقاً للعباد، والحيوان، خبير بالتدابير الظاهرة، والباطنة، وخبير بحاجات العباد، وفاقتهم، وخبير بما في قلوب العباد إذا نزل بهم الضر، وخبير بمصالح عباده.

ومعنى الآية: له جل شأنه، وتعالت حكمته الإحاطة بجميع الأشياء: صغيرها، وكبيرها. قيل: إن هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان لابنه، فانشقت مرارة ابنه من هيبتها، وعظمتها فمات. والله أعلم.

هذا؛ وإن الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ...﴾ إلخ يعود إلى غير مذكور، وهو مفهوم يدل عليه المقام، والحال المشاهدة، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (هود): ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾، وقوله تعالى في سورة (القيامة): ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي بلغت الروح التراقي، وأيضاً قوله تعالى في سورة (الواقعة): ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي: بلغت الروح الحلقوم، ومثل هذه الآيات قول بشار بن برد: [الطويل]

إِذَا مَا أَعَرْنَا سَيِّداً مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَا مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

إِذَا ما غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً هَتَكْنَا حجابَ الشمسِ أوْ قَطَرت دمَا

والبيتان هما الشاهد رقم [١٩٠] من كتابنا فتح رب البرية.

أما ﴿تَكُ﴾، فأصله: تكون، فلما دخل الجازم صار: إنْ تكُونْ، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، فصار «إنْ تَكُنْ» ثم حذفت النون للتخفيف، ولكثرة الاستعمال. وهذا الحذف جائز

وغير لازم، وله شروط: أن يكون مضارعاً ناقصاً من «كان»، وأن يكون مجزوماً بالسكون، وأن لا يكون بعده ساكن، وأن لا يتصل به ضمير، كما في الآية الكريمة، وغيرها كثير، وهو وارد في الكلام العربي شعراً، ونثراً، ولا تحذف النون عند فقد أحد الشروط، إلا في ضرورة الشعر، كما في قول الشاعر: [الطويل]

إذَا لَمْ تَكُ الْحَاجَاتُ مِنْ هِمَّةِ الْفَتَى فَلَيْسَ بِمُغْنٍ عنْكَ عَقْدُ الرَّتَائِمِ

وقول الخنجر بن صخر الأسدي: [الطويل]

فَإنْ لَمْ تَكُ الْمِرْآةُ أَبْدَتْ وِسَامَةً فَقَدْ أَبْدَتِ الْمِرْآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ

هذا؛ وقرئ شاذاً قوله تعالى في سورة (البينة): (لَمْ يَكُ الذينَ كفروا من أهل الكتاب. . .) إلخ، ولم تحذف النون في قول أبي الأسود الدؤلي ـ رحمه الله تعالى ـ؛ لجريانه على القاعدة: [الطويل]

دَعِ الْخَمْرَ تَشْرَبْهَا الْغُوَاةُ فَإنَّنِي رَأَيْتُ أَخَاهَا مُجْزِئاً بِمَكَانِهَا

فَإلَّا يَكُنْهَا، أوْ تَكُنْهُ فَإنَّهُ أَخُوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلِبَانِهَا

الإعراب: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾: انظر الآية رقم [١٣]. ﴿إِنَّهَآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(ها): اسمها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَكُ﴾: فعل مضارع ناقص، فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف، واسمه محذوف، كما رأيت في الشرح. ﴿مِثْقَالَ﴾: خبر: ﴿تَكُ﴾، وعلى قراءته بالرفع فهو فاعل، والفعل ﴿تَكُ﴾ تام، اكتفى به، وعلى الاعتبارين فالجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، و﴿مِثْقَالَ﴾: مضاف، و﴿حَبَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿حَبَّةٍ﴾. ﴿فَتَكُن﴾: الفاء: حرف عطف. (تكن): فعل مضارع ناقص معطوف على (تك) مجزوم مثله، واسمه، أو فاعله مستتر تقديره: «هي» يعود إلى: ﴿حَبَّةٍ﴾. ﴿فِى صَخْرَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (تكن) على تمامه، وبمحذوف خبره على نقصانه، وما بعدهما معطوفان عليهما بـ: ﴿أَوْ﴾ العاطفة. ﴿يَأْتِ﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل ﴿يَأْتِ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهَآ...﴾ إلخ مع الجملة الندائية قبلها كلتاهما في محل نصب مقول القول؛ لأنهما من مقول لقمان لابنه. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: خبران لها، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول أيضاً، وهي معترضة؛ إن كانت من قول الله تعالى.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾

الشرح: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: تكميلاً لنفسك؛ أي: إذا قمت بها على الوجه الأكمل من المحافظة على طهارتها وأدائها في أوقاتها، والمحافظة على إتمام شروطها، وأركانها، وآدابها؛ فإنها تكون سبباً لتأديبك، وتهذيبك، وقربك من ربك. ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: وهو ما استحسنه الشرع، وأجمعت العقول السليمة على حسنه. ﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: وهو ما استقبحه الشرع، وأجمعت العقول السليمة على قبحه، وكذلك الفطرة السليمة تنفر منه، وتأباه. ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾: يجوز أن يكون عاماً في كل ما يصيبه من المحن، والمتاعب في نفسه، وولده وماله، وأن يكون خاصاً بما يصيبه فيما يأمر به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أذى مَنْ يدعوهم إلى الخير، وينهاهم عن الشر.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى: إقام الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على أنواع البلاء. ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي: مما عزمه الله، وأمر به. وقطعه قطع إيجاب وإلزام. ومنه قول الرسول ﷺ: «**لا صِيامَ لِمَنْ لَمْ يَعْزِمِ الصيامَ من الليل**». أي: لم يقطعه ويجزم به بالنية، ومنه قول الرسول ﷺ: «**إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يحب أن يؤخذ بعزائمه**». وقولهم: عزمة من عزمات ربنا. ومنه: عزمات الملوك، وذلك أن يقول الملك لمن تحت يده: عزمت عليك إلا فعلت كذا؛ إذا قال ذلك؛ لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله، ولا مندوحة في تركه. وحقيقته: أنه من تسمية المفعول بالمصدر، وأصله من معزومات الأمور، أي: مقطوعاتها، ومفروضاتها. ويجوز أن يكون مصدراً في معنى الفاعل، أصله من: عازمات الأمور، من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ كقولك: جد الأمر، وصدق القتال. وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات، وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم، وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن، سابقة القدم على ما سواها، موصىً بها في الأديان كلها. انتهى. كشاف بتصرف.

هذا؛ والفعل الثلاثي المبدوء بالهمزة: «أخَذَ، وأمَر، وأكَلَ» تحذف منه في الأمر الهمزة الأصلية، وهي همزة قطع، وهمزة الوصل التي يتوصل بها إلى النطق بالساكن، فتقول: خذ، ومر، وكل، وإنما تحذف الهمزتان تخفيفاً لاجتماع الضمات، وقد قالوا: أُؤْمُر، وأُؤْخذ، فاستعمل على الأصل، ومنه: «اؤْمُر» في هذه الآية، وفي الآية رقم [١٣٢] من سورة (طه)، والآية رقم [١٤٤] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾: انظر الآية رقم [١٣]. ﴿أَقِمِ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به. ﴿وَأۡمُرۡ﴾: الواو: حرف عطف. (أؤمر): فعل أمر، وفاعله

تقديره: «أنت». ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱنْهَ﴾: الواو: حرف عطف. (إنه): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. (اصبر): فعل أمر، وفاعله: (أنت). ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَصَابَكَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَآ﴾، وهو العائد، أو الرابط، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَآ﴾، أو صفتها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿مِنْ عَزْمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾، و﴿عَزْمِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْأُمُورِ﴾ مضاف إليه. هذا؛ والآية كلها من مقول لقمان لابنه، أي: فهي في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تمله عنهم، ولا تولهم صفحة وجهك، كما يفعله المتكبرون، من: الصعر، وهو داء يعتري البعير، فيلوي منه عنقه. وقرئ: (ولا تُصَاعِر) (ولا تُصْعِر)، والمعنى: واحد، ومنه قول عمرو بن حُنَيٍّ التغلبي: [الطويل]

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتُقَوَّمَا

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح، وهو الخيلاء، والكبر، والبطر، وقرئ: ﴿مَرَحًا﴾ بفتح الراء وكسرها، والأول أبلغ، فإن قولك: جاء زيد ركضاً، أبلغ من قولك: جاء زيد راكضاً. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: يفخر على الناس، ويعدد عليهم مناقبه تطاولاً، وتكبراً، ومعنى عدم محبة الله للمتكبر: سخطه وغضبه عليه، وإبعاده من رحمته، وعفوه، ورضوانه. ولا تنس: أن هذا يشمل الذكر، والأنثى، وإن كان المخاطب به الذكر وحده.

تنبيه: في الآية الكريمة مسألة بيانية لم يتعرض لها المفسرون البتة، وهي ما إذا وقعت «كُلُّ» في حيز النفي كان النفي موجهاً إلى الشُّمول خاصة، وأفاد بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الأفراد، كقولك: «ما جاء كلُّ القوم، ولم آخذ كُلَّ الدراهم، وَكُلَّ الدَّرَاهِم لَمْ آخُذْ» وإن وقع النفي في حيزها اقتضى السلب عن كل فرد، كقول النبي ﷺ لما قال له ذو اليدين: أنسيت، أم قصرت الصلاة يا رسول الله؟! «كُلُّ ذَٰلِكَ لَمْ يَكُنْ». وقد يشكل على قولهم في القسم الأول، قوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، وقوله تعالى في سورة (ن): ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

مَّهِينٍ﴾، وما في الآية التي نحن بصدد شرحها، حيث وقعت ﴿كُلَّ﴾ في حيز النفي فتفيد أن المنفي الشمول، وأن البعض ثابت له المحبة من الله.

والجواب عن الآيات: أن دلالة المفهوم إنما يعول عليها عند عدم المعارض، وهو هنا موجود؛ إذ دل الدليل، وهو الإجماع على تحريم الاختيال، والفخر، والحلف، والكفر مطلقاً. ومستند هذا الإجماع الأحاديث الشريفة الكثيرة. هذا؛ ويعبر عما تقدم بـ: سَلْب العموم، وعموم السلب.

هذا؛ وفي الآية الكريمة نهي عن الكبر، والتكبر، والفخر، والتفاخر، والخيلاء، وقد نهى الله عنه في كثير من الآيات القرآنية، وبين أنه يكون سبباً في صرف العبد المتكبر عن قبول الحق، واتباع الهوى، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. والرسول ﷺ شدد النكير على المتكبرين، وتوعدهم بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده ـ رضي الله عنهم ـ عن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ الْمتكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إلى سِجْنٍ في جَهَنَّمَ، يقالُ له: بُولَسُ، تعلوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ، طِينَةِ الْخَبَالِ**». رواه النسائي والترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». فقال رجلٌ: إنَّ الرجلَ يُحِبُّ أن يكون ثَوْبُهُ حسناً، وَنَعْلُهُ حَسَناً، قال: «**إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**». رواه مسلم والترمذي.

هذا؛ وإن الكبر ليس سببه الغنى، وعلو المنصب، والجاه، أو قوة الجسم، وغير ذلك، وإنما هو من شيم النفوس الخبيثة، والطبائع الوضيعة الدنيئة، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**إيَّاكُمْ والكِبْرَ، فإنَّ الْكِبْرَ يَكُونُ في الرَّجُلِ، وَإِنَّ عَلَيْهِ الْعَبَاءَةَ**». رواه الطبراني في الأوسط.

لذا لا يتكبر إلا ناقص العقل، أو ناقص الدين، أو الحقير الدنيء فيحاول أن يكمل نقصه عن طريق الكبرياء، والتظاهر بالعظمة، ورحم الله من يقول: [الكامل]

مَلأى السَّنَابِلِ تَنْحَنِي بِتَواضُعٍ وَالْفَارِغَاتُ رُؤُوسُهُنَّ شَوَامِخُ

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخُرْءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ الله أذهبَ عنكمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهَلِيَّة، وفخرَهَا بالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مؤمِنٌ تَقِيٌّ، وفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كلُّهم بَنُو آدَمَ، وآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**». رواه الترمذي. وخذ قول الشاعر: [الطويل]

تَوَاضَعْ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لاحَ لِنَاظِرٍ عَلَى صَفَحَاتِ المَاءِ، وَهْوَ رَفِيعُ

وَلَا تَـكُ كَـالـدُّخَّـانِ يَـعْـلُـو بِـنَـفْـسِـهِ إِلَـى طَـبَـقَـاتِ الْـجَـوِّ، وهْـوَ وضـيـع

وقال آخر: [الكامل]

إنْ شِـئْـتَ أَنْ تَـبْـنِـي بِـنَـاءً شَـامِـخـاً يَـلْـزَمْ لِـذَا الْـبُـنْـيَـانِ أُسٌّ شَـامِـخُ

إِنَّ الْـبِـنَـاءَ هُـوَ الْـكَـمَـالُ وَأُسُّـهُ الـصَّـ ـخْـرِيُّ فَـهْـوَ الاتِّـضَـاعُ الْـبَـاذِخُ

وقال آخر: [الطويل]

تَـوَاضَـعْ إِذَا مَـا نِـلْـتَ فـي الـنَّـاسِ رِفْـعَـةً فَـإِنَّ رفـيـعَ الـقـومِ مَـنْ يـتـواضـعُ

وقال آخر: [الطويل]

تـواضَـعْ إذا مـا كَـانَ قَـدْرُكَ عَـالِـيـاً فـإِنَّ اتِّـضَـاعَ الْـمَـرْءِ مِـنْ شِـيَـمِ الْـعَـقْـلِ

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا تصعر): فعل مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿خَدَّكَ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا تمش): فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَرَحًا﴾: مفعول مطلق، أو صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: ولا تمش في الأرض مشياً مرحاً، أو هو حال من الفاعل المستتر على حذف المضاف، التقدير: ذا مرح. وقيل: مفعول لأجله، ولا وجه له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿مُخْتَالٍ﴾ صفة لموصوف محذوف. ﴿فَخُورٍ﴾: صفة ثانية له؛ إذ التقدير: لا يحب كل إنسان مختال فخور، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للنهي، والآية الكريمة بكاملها من مقول لقمان، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: قال القرطبي: لما نهى لقمان ابنه عن الخلق الذميم؛ رسم له الخلق الكريم، الذي ينبغي أن يستعمله فقال: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: توسط فيه بين الإسراع، والبطء، أي: لا تدبّ دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**سُرْعَةُ الْمَشْيِ تُذْهِبُ بَهَاءَ الْوَجْهِ**». فأمَّا ما روي: أنه ﷺ كان إذا مشى؛ أسرع، وقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ في عمر رضي الله عنه: «**كَانَ إِذَا مَشَى؛ أَسْرَعَ، وَإِذَا ضَرَبَ؛ أَوْجَعَ**». فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن

دبيب المتماوت، المظهر الضعف، والزهد كذباً، ورياءً، ونفاقاً، فالإسراع منهي عنه؛ لأنه من الخيلاء، والتأني، والتباطؤ منهي عنه؛ لأن فيه إظهار الضعف تزهداً، وكلا الطرفين مذموم؛ بل ليكن المشي بين السكينة، والوقار. هذا؛ وقرئ بقطع همزة: (أَقْصِدْ) من: أقصد الرامي: إذا سدد سهمه نحو الرمية، قال الأخطل التغلبي: [الطويل]

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَقْصَدْتَنِي إِذْ رَمَيْتَنِي ... بِسَهْمِكَ فَالرَّامِي يَصِيدُ وَلَا يَدْرِي

﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾: أي أنقص منه، وأقصر، ولا تتكلف رفع صوتك، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف، ويؤذي، والمراد بذلك كله التواضع، وقد قال عمر ـ رضي الله عنه ـ لأبي محذورة سمُرة بنِ مِعْيَر المؤذن، وقد رفع صوته بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مُرَيْطَاؤُك، أي ما بين السرة إلى الركبة. هذا؛ ويستثنى الخطيب؛ إذا صعد المنبر، فإنه يحق له أن يرفع صوته ما أمكنه، فإنه أوقع أثراً في القلوب، وأردع، وأزجر عن المعاصي، والمنكرات. ودليلنا ما يلي: فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وعَلَا صوْتُهُ، واشْتَدَّ غَضَبُهُ، كَأَنَّهُ مُنذِرُ جَيْشٍ، يَقُول. «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**». ويَقُولُ: «**بُعِثْت أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ: السَّبَّابَةِ، وَالوُسْطى... إلخ**». رواه مسلم، وابن ماجه، وغيره، ويستثنى أيضاً المظلوم في حقه، المهضوم في عمله، فإنه يحق له أن يجهر ويرفع صوته؛ بل وينطق بالكلام السوء حتى يصل إلى حقه، ويدفع الظلم عن نفسه. دليلنا قوله تعالى في الآية رقم [١٤٨] من سورة (النساء): ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾: أقبحها، وأوحشها. ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾: لأن أوله زفير، وآخره شهيق كصوت أهل النار، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا سمِعْتُمْ نهيقَ الحمير فتعوذُوا بالله مِنَ الشيطانِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَاناً**». وقد روي: أنه ما صاح حمار، ولا نبح كلب إلا أن يرى شيطاناً، وما صاح ديك إلا أن يرى ملكاً. وقال سفيان الثوري: صياح كل شيء تسبيح إلا نهيق الحمار. وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على أن رفع الصوت في غاية الكراهة، ويؤيده ما روي: أن النبي ﷺ كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت، ويكره أن يكون مجهور الصوت، وقد كانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير، فمن كان منهم أشد صوتاً كان أعز، ومن كان أخفض صوتاً كان أذل، حتى قال شاعرهم: [المتقارب]

جَهِيرُ الْكَلَامِ، جَهِيرُ الْعُطَاسْ ... جَهِيرُ الرِّوَاءِ جَهِيرُ النَّعَمْ

وَيَعْدُو عَلَى الأَيْنِ عَدْوَ الظَّلِيمِ ... وَيَعْلُو الرِّجَالَ بِخَلْقٍ عَمَمْ

الرواء: المنظر الحسن. النَّعم: الإبل. الأين: التعب. الظليم: الذكر من النعام. بخلق عمم: أي: خلق تام. هذا؛ وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوت الحمار، ثم إخراجه مخرج

الاستعارة مبالغة شديدة. وتوحيد الصوت مع كونه مضافاً إلى الجمع؛ لأن المراد تفضيل الجنس في النكير، دون الآحاد، أو لأنه مصدر في الأصل، والمصدر يدل على الكثرة، وأيضاً يستعمل للمفرد مثل قولك: شاهدٌ عدْلٌ، وللجمع مثل قولك: شهودٌ عَدْلٌ. . . إلخ.

هذا؛ والحمير جمع: حمار، وهو معروف يكون وحشياً، ويكون أهلياً، وأنثاه: أتان، ويقال: حمارة أيضاً، ويجمع على: حمِير، وحمُر، وحمُور، وحُمُرات، وكلها للكثرة، ويجمع جمع قلة على: أحمرة، قال الراعي النميري، أو القتَّال الكلابي: [البسيط]

هُــنَّ الْــحَــرَائِــرُ لَا رَبَّــاتُ أَحْــمِــرَةٍ سُــود الْـمَـحَـاجِـرِ، لَا يَـقْـرَأْنَ بِـالـسُّـوَرِ

والحمار الأهلي يوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات التي مشى فيها، ولو مرة واحدة، وبحدة السمع، وللناس في مدحه، وذمه أقوال متباينة، وقد أطال الدَّميري الكلام فيه.

هذا؛ وقال الزمخشري: فإن قلت: لم وحد صوت الحمير ولم يجمع؟ قلت: ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع، وإنما المراد: أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس، فوجب توحيده. انتهى. كشاف. وقال القرطبي: ووحد الصوت؛ لأنه مصدر، والمصدر يدل على الكثرة فلا يثنى، ولا يجمع. ولا تنس: أن في الكلام استعارة تصريحية حيث شبه بعض الناس بالحمير.

خاتمة: قال وهب: تكلم لقمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ باثني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم، وقضاياهم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣] وفي الخطيب ما نصه: وعن عبد الله بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ أن لقمان قدم من سفر، فلقيه غلامه في الطريق، فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات، قال: الحمد لله ملكت أمري. قال: فما فعلت أمي؟ قال: ماتت، قال: ذهب همي. قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت. قال: جُدِّدَ فراشي. قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت، قال: سُتِرَتْ عورتي. قال: ما فعل أخي، قال: مات، قال: انقطع ظهري. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿وَٱقْصِدْ﴾: الواو: حرف عطف. (اقصد): فعل أمر؛ وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِى مَشْيِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. (اغضض): فعل أمر، وفاعله: أنت. ﴿مِن صَوْتِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. هذا؛ ويجوز عند الأخفش اعتبار ﴿مِن﴾ زائدة في الإيجاب، ويؤيده قوله تعالى في سورة (الحجرات): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَنكَرَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَصَوْتُ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى المزحلقة، أو المزحلفة. (صوت): خبر ﴿إِنَّ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَمِيرِ﴾ مضاف إليه، والجملة

الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها، والآية بكاملها معطوفة على ما قبلها، وهي في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول لقمان على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ...﴾ إلخ: ذكر الله نعمه على بني آدم، وأنه سَخر لهم ما في السموات من شمس وقمر وملائكة تحوطهم، وتحرسهم، وتجر إليهم منافعهم، وأيضاً: النجوم، والسحاب، وغير ذلك، وما في الأرض من البحار، والأنهار، والجبال، والأشجار، والمعادن، والدواب على اختلاف أجناسها، وتفاوت منافعها.

﴿وَأَسْبَغَ﴾ أي: أتم، وأكمل. قال تعالى لداود: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي: دروعاً تامات كاملات، وقرئ: (أَصْبَغَ) بالصاد على إبدالها من السين؛ لأن حروف الاستعلاء، تجتذب السين من سفلها إلى علوها، فتردها صاداً. ﴿نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾: محسوسة، ومعقولة، ما تعرفونه، وما لا تعرفونه. هذا؛ وقرئ: (نعمة) بالإفراد، وهو يدل على الكثرة، كقوله تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ قال النبي ﷺ لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقد سأله عن هذه الآية: «**الظَّاهِرَةُ الإِسْلامُ، وَمَا حَسُنَ مِنْ خُلُقِكَ، والْبَاطِنَةُ ما سُتِرَ عَلَيْكَ مِنْ سَيِّئِ عَمَلِكَ**».

وقيل: الظاهرة: تسوية الأعضاء وحسن الصورة، والباطنة: الاعتقاد بالقلب. وقيل: الظاهرة: الرزق، والباطنة: حسن الخلق. وقيل: الظاهرة: تخفيف الشرائع، والباطنة: الشفاعة. وقيل: الظاهرة ظهور الإسلام، والنصر على الأعداء، والباطنة: الإمداد بالملائكة. وقيل: الظاهرة: اتباع الرسول، والباطنة: محبته. انتهى. خازن. وقريب منه في الكشاف، وتفسير القرطبي.

وأجل هذه النعم على وجه الإطلاق نعمة الإيمان لمن هداه الله، ووفقه للعمل بمقتضاه. وينبغي أن تعلم: أن الإنسان مهما عمل من الصالحات، وعبد الله تعالى لا يوفي حق أصغر هذه النعم، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يُخرَجُ لِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثلاثةُ دَواوِينَ: ديوانٌ فيهِ العملُ الصالحُ، وديوانٌ فيه ذنوبُهُ، وديوانٌ فيه النِّعَمُ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ، فيقولُ اللهُ عز وجل لأصغر نعمة (أحسبه قال: في ديوان النعم): خذِي ثَمَنَكِ مِنْ عملِهِ الصالِحِ، فتستوعبُ عملَهُ الصَّالِحَ، ثم تنحّىٰ، وتقول: وعزَّتك ما استوفيت! وتبقى الذنوب والنِّعم؛ وقد ذهب العمل الصالح، فإِذَا أرادَ اللهُ أَنْ يرْحَمَ عَبْدَهُ، قال: يا عبدِي! قدْ ضاعفْتُ لَكَ حسناتِكَ، وتجاوزتُ عنْ سيِّئَاتِكَ، (أحسِبهُ قالَ: ووهبْتُ لكَ نِعَمِي)**». رواه البزار. هذا؛ وحديث الذي عبد الله خمسمئة

سنة برأس جبل، وقال الله له: ادخل الجنة برحمتي، فقال: بل بعملي مشهور مسطور في كتاب الترغيب والترهيب، وغيره.

فائدة: النِّعمة: بكسر النون: واحدة النعم، والنَّعمة بفتح النون: التَّنَعُّمُ، والترفه، ولذا قيل: كم ذِي نِعْمَةٍ لا نَعْمَةَ لهُ، أي: كم ذي مالٍ لا تَنعُّمَ لَهُ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: نزلت في النضر بن الحارث، وأُبَيِّ بن خلف، وأمية بن خلف، وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله، وفي صفاته. وخصوص السبب لا يمنع التعميم، ففي كل زمان، ومكان يوجد مجادلون في الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، وما أكثرهم في هذا الزمن! ولا تنس: أن هذا الكلام مذكور بحروفه في الآية رقم [٨] من سورة (الحج). ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي: لا سند له في جداله، وليس معه بيان من الله، وليس هو على بينة من أمره. ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أي: وليس معه كتاب من الله ينير له طريقه، بل هو يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَوْا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَخَّرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله، تقديره: «هو». ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة: ﴿مَّا﴾، وجملة: ﴿سَخَّرَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول: ﴿تَرَوْا۟﴾، وهو بصري كما هو ظاهر. وقيل: الرؤية قلبية، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَسْبَغَ﴾: الواو: حرف عطف. (أسبغ): فعل ماض، الفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿نِعَمَهُۥ﴾: مفعول به. ﴿ظَٰهِرَةً﴾: حال من ﴿نِعَمَهُۥ﴾ وعلى قراءة الإفراد، فهو صفة (نعمة). ﴿وَبَاطِنَةً﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَأَسْبَغَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿سَخَّرَ لَكُم...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: الواو: حرف استئناف. (من الناس): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. وقيل: إن الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمبتدأ محذوف، التقدير: وفريق كائن من الناس. على حد قوله تعالى: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ومنا فريق دون ذلك، والأصح: أن مضمون

الجار والمجرور مبتدأ، و﴿مَن﴾ هي الخبر؛ لأن (مِنَ) الجارة دالة على التبعيض، أي: وبعض الناس، وانظر تفصيل ذلك في الآية رقم [١٠] من سورة (العنكبوت). ﴿يُجَٰدِلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾ تقديره: «هو». ﴿فِي ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِغَيۡرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أي: ملتبساً بغير علم. و(غير) مضاف، و﴿عِلۡمٖ﴾ مضاف إليه. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿هُدٗى﴾: معطوف على (علم) مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي أيضاً. ﴿كِتَٰبٖ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مُّنِيرٖ﴾: صفة ﴿كِتَٰبٖ﴾، وجملة: ﴿يُجَٰدِلُ...﴾ إلخ في محل رفع صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: للناس الكفار، والقائل لهم هو النبي ﷺ، أو أحد المؤمنين الصادقين. ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: من التوحيد، وتحليل الطيبات، وتحريم الخبائث، وإنما عدل عن الخطاب مع الكفار للنداء على ضلالهم، كأنه التفت إلى العقلاء من المؤمنين الصادقين، وقال لهم: انظروا إلى هؤلاء الحمقى بماذا يجيبون؟!.

﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ أي: من عبادة الأصنام، وتحريم السوائب، والبحائر، والوصائل، والحوامي، وتحريم بعض الزروع. . . إلخ، فإنهم كانوا خيراً منا، وأعلم وأعقل، فرد الله عليهم هنا بقوله: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ...﴾ إلخ: أي: أيتبعون آباءهم، ولو كان الشيطان يدعوهم جميعاً إلى ما فيه هلاكهم، ودخولهم جهنم، وبئس المصير. هذا؛ وفي آية (البقرة) رقم [١٧٠]: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ أي لا يفهمون، ولا يفقهون شيئاً، ولا يهتدون إلى الحق، والصواب، وبإبدال: ﴿مَا وَجَدۡنَا﴾ هنا بـ: ﴿مَآ أَلۡفَيۡنَا﴾ هناك.

هذا؛ و﴿ٱلسَّعِيرِ﴾: النار الشديدة الاستعار؛ أي: الاحتراق، وهي واد من أودية جهنم، أو دركة من دركات النار، وطبقاتها، والسُّعَيْر كزُبَيْر بصيغة المصغر: اسم صنم لبني عنزة، قال رشيد بن رميض العنزي: [الوافر]

حَلَفْتُ بِمَائِرَاتٍ حَوْلَ عَوْضٍ ... وَأَنْصَابٍ تُرِكْنَ لَدَى السُّعَيْرِ

ف: «عوض» عندهم صنم صغير، والسعير: صنم كبير، وخرج ابن أبي حلاس الكلبي على ناقته، فمرت به على ذلك الصنم، وقد ذبحت عنده قبيلة عنزة، فنفرت ناقته من الصنم، فأنشأ يقول: [الكامل]

نَفَرَتْ قَلُوصي مِنْ عَتَائِرَ صُرِّعَتْ حَوْلَ السُّعَيْرِ يَزُورُهُ ابْنَا يَقْدُمِ
وجموع يَذْكُرَ مهطعين جَنَابَهُ مَا إنْ يُحِيرُ إِلَيْهِمُ بِتَكَلُّمِ

قال أبو المنذر: «يقدم» و«يذكر» ابنا عنزة، فرأى هؤلاء يطوفون حول السُّعَيْرِ، انتهى. بغدادي.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿اتَّبِعُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: اتبعوا الذي، أو: شيئاً أنزله الله، وجملة: ﴿اتَّبِعُواْ...﴾ إلخ في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾ وهذا على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه» وهذا لا غبار عليه. وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: هو، يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وقيل قول. وقيل: الجار والمجرور في محل رفع نائب فاعل. والمعتمد الأول، وأيده ابن هشام في المغني حيث قال: إن الجملة التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات، ولهذا تقع مبتدأ، نحو: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلا بالله كَنْزٌ مِنْ كنوزِ الْجنةِ» ونحو: «زَعَمُوا: مَطِيَّةُ الْكَذِبِ» وجملة: ﴿قِيلَ لَهُمُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح.

﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿نَتَّبِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿وَجَدْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول. ﴿ءَابَآءَنَآ﴾: مفعول به أول، ونا: ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (على)، وجملة: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، وإذا ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿أَوَلَوْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الواو: حرف عطف. (لو) حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿يَدْعُوهُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى الشيطان، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَىٰ عَذَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿عَذَابِ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّعِيرِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿يَدْعُوهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، تقديره: لا تبعوه. هذا؛ وقال الجمل تبعاً للزمخشري: إن الجملة في محل نصب حال، وهذا يعني: أن (لو) وصلية، ولا تحتاج إلى جواب. . .، ويكون تقدير الكلام: أيتبعونه، ولو كان الشيطان يدعوهم؟! أي: في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب. وهذا هو المعتمد. هذا؛ ومثل هذه الآية في تركيبها، وإعرابها الآية رقم [١٧٠] من سورة (البقرة) ورقم [١٠٤] من سورة (المائدة)، ورقم [٤٣] من سورة الزمر.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بأن أقبل بكليته عليه، وفوض أمره إليه، وأخلص عبادته، وقَصْدَه إليه. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في علمه؛ لأن العبادة من غير إحسان، ولا معرفة القلب لا تنفع، وفي حديث جبريل عليه الصلاة والسلام، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال الرسول ﷺ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾: تمسك، فالسين، والتاء ليستا للطلب. ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: العروة في الأصل موضع شدِّ اليد، وأصل المادة تدل على التعلق، ومنه: عروته؛ إذا ألممت به متعلقاً به، واعتراه الهم: تعلق به. والوثقى: تأنيث الأوثق، وهي للتفضيل، كفضلى تأنيث الأفضل. وفي الآية الكريمة تمثيل حال المتوكل على الله بحال من أراد أن يتدلى من شاهق، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين، مأمون انقطاعه. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: صائرة إليه، فيجازي عليها، والمراد: أعمال العباد، مردها، ومصيرها إلى الله تعالى. هذا؛ وفي سورة (البقرة) قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾. أي لا انقطاع لها، فيكون المعنى: اعتصم بالعهد الأوثق، الذي لا يخلف عليه، ولا يخاف انقطاعه، ويرتقي بسببه إلى أعلى المراتب، وأسمى الغايات. هذا؛ وفي الآيتين استعارة تمثيلية، وتفصيلها ما ذكرته آنفاً. وقيل: هو تشبيه تمثيلي لذكر طرف التشبيه. هذا؛ وعاقبة كل شيء: نتيجته، وآخره. وقال القرطبي: فإن قلت: ما له عُدِّي: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هنا بـ: ﴿إِلَىٰ﴾، وقد عُدِّي باللام

في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ الآية رقم [١١٢] من سورة (البقرة) قلت: معناه مع اللام: أنه جعل وجهه، وهو ذاته، ونفسه سالماً لله؛ أي: خالصاً له. ومعناه مع ﴿إِلَى﴾ راجع إلى أنه سلم إليه نفسه، كما يسلم المتاع إلى الرجل؛ إذا دفع إليه، والمراد: التوكل عليه، والتفويض إليه. انتهى. ومثله في الكشاف.

هذا؛ وإنما خص الوجه بالذكر؛ لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة، وفيه أكثر الحواس، ولأنه موضع السجود، ومظهر آثار الخشوع، والخضوع، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُسْلِمْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿وَجْهَهُۥٓ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مُحْسِنٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير، وهو أولى من اعتبار الجملة معترضة. ﴿فَقَدِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (من). ﴿بِٱلْعُرْوَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْوُثْقَىٰٓ﴾: صفة العروة مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يُسْلِمْ...﴾ إلخ معطوفة على (إذا) ومدخولها في الآية السابقة، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَإِلَى﴾: الواو: حرف استئناف. (إلى الله): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلْأُمُورِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾: فإنه لا يضرك في الدنيا، والآخرة. ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾: فنخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، ونجازيهم عليها، فصار المعنى: لا يهمنك كفر من كفر، وكيده للإسلام، ومحاربته لك، وإيذاؤه لأصحابك، فإن الله عز وجل دافع كيده في نحره، ومنتقم منه، ومعاقبه على عمله. هذا؛ وقرئ

الفعل: (يحزن) بفتح الياء من الثلاثي، وبضمها من الرباعي، والأول من باب دخل، وقتل، قال اليزيدي ـ رحمه الله تعالى ـ: «حزنه» لغة قريش، و«أحزنه» لغة تميم. انتهى. وهو متعد على اللغتين، مثل سلكه، وأسلكه. هذا؛ وحزن بكسر الزاي، من باب: فرح، وطرب لازم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: إن الله عليم بما في صدور عباده من نية حسنة، أو نية خبيثة، فيفعل بهم على حسب ما تكنه صدورهم من غدر، وخيانة، وتبييت للشر، وغير ذلك. هذا؛ وانظر شرح النبأ في الآية رقم [٣] من سورة (القصص). هذا؛ وقد أفرد الضمير بقوله: ﴿كُفْرُهُ﴾ مراعاة للفظ (مَنْ)، وجمعه بالضمير المنصوب مراعاة لمعناها.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض، مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، ومتعلقه محذوف. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية جازمة. ﴿يَحْزُنكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والكاف مفعول به. ﴿كُفْرُهُ﴾: فاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط... إلخ، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية السابقة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَنُنَبِّئُهُم﴾: الفاء: حرف عطف. (ننبئهم): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن» والهاء مفعول به. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ننبئهم بالذي، أو بشيء عملوه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملهم، والجملة الفعلية: ننبئهم بعملهم معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبرها. ﴿بِذَاتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾، و(ذات) مضاف، و﴿الصُّدُورِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: نمهلهم؛ ليتمتعوا بنعيم الدنيا إلى انقضاء آجالهم. هذا؛ والتمتع بالشيء: التلذذ به، والانتفاع بفوائده، ومثله الاستمتاع، والاسم: المتعة، فهنيئاً لمن تمتع، واستمتع بالمباح الحلال، وويل، ثم ويل لمن تمتع، واستمتع بالحرام. هذا؛ والمتعة

بكسر الميم، وضمها: اسم للتمتيع، والزاد القليل، وما يتمتع به من الصيد والطعام؛ ومتعة المرأة ما وصلت به بعد الطلاق من نحو القميص، والإزار، والملحفة، قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ هذا؛ والتمتع بالمرأة إلى أجل معلوم بيَّنت فساده في أول سورة (المؤمنون).

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾: نلجئهم، ونردهم. ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد. شبه إلزامهم التعذيب، وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء؛ الذي لا يقدر على الانفكاك منه، وهي استعارة مكنية هذا؛ والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة، والمراد الشدة، والثقل على المعذب. هذا؛ وقد قال تعالى في الآية رقم [١٢٦] من سورة (البقرة): ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

الإعراب: ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل المستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، أي: تمتيعاً قليلاً، أو صفة زمان محذوف؛ أي: نمتعهم زماناً قليلاً، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمسؤول منهم أهل مكة. ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: ذكر الله من آثار قدرته، ودلائل عظمته خلق السموات والأرض، وخصهما بالذكر هنا وفي كثير من الآيات؛ لأنها أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وجمع السموات دون الأرض، وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار، والحركات، وقدمها لشرفها، وعلو مكانها، وتقدم وجودها، ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية كما في الأرض، وأيضاً: لأنها كالذكر، فنزول المطر من السماء على الأرض، كنزول المني من الذكر في رحم المرأة؛ لأن الأرض تنبت، وتخضر بالمطر.

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود. ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات، والأرض هو الله وحده، وأنه يجب أن يكون له الحمد، والشكر، وأن لا يعبد معه أحد غيره. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن ذلك يلزم، وإذا نبهوا عليه؛ لم ينتبهوا، وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لا يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حد التكليف، أو لأنه يقام مقام الكل، وانظر الآية رقم [٦] من سورة (الروم). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (إن): حرف شرط جازم. ﴿سَأَلْتَهُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والهاء مفعوله الأول، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَّنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَّنْ﴾. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. (الأرض): معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَّنْ خَلَقَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان للفعل: (سأل). ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (يقولن): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة، المدلول عليها بالضمة في محل رفع فاعل، ونون التوكيد حرف لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: الله خلقهن، أو هو فاعل لفعل محذوف، التقدير: خلقهن الله، ويرجحه التصريح به في قوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٩]: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾، والجملة على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ جواب القسم المقدر، المدلول عليه باللام الموطئة، وحذف جواب الشرط، لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم، فالجواب للسابق منهما»، والكلام: ﴿وَلَئِن...﴾ إلخ كله مستأنف لا محل له، وقال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت». ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة وهي في محل نصب مقول القول.

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خلقاً، وملكاً، وعبيداً، لا يستحق العبادة فيهما غيره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ أي: عن العباد، وعن حمدهم، وشكرهم. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد وإن لم يحمد، أو محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال، وبلسان المقال أيضاً، وانظر الآية رقم [١٥] من سورة (فاطر).

الإعراب: ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، لا محل له. ﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: خبران لـ: ﴿إِنَّ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ و﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ خبرين له؛ فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: لما احتج الله بما احتج به على المشركين؛ بين: أن معاني كلامه سبحانه لا تنفد، وأنها لا نهاية لها. وقال القفال: لما ذكر: أنه سخر لهم ما في السموات، وما في الأرض، وأنه أسبغ عليهم النعم؛ نبه على أن الأشجار لو كانت أقلاماً، والبحار مداداً، فكتب بها عجائب صنع الله الدالة على قدرته، ووحدانيته؛ لم تنفد تلك العجائب.

وقال أبو جعفر النحاس: فقد تبين: أن الكلمات هاهنا يراد بها العلم، وحقائق الأشياء؛ لأنه عز وجل علم قبل أن يخلق الخلق ما هو خالق في السموات والأرض من كل شيء، وعلم ما فيه من مثاقيل الذر، وعلم الأجناس كلها وما فيها من شعرة وعضو، وما في الشجرة من ورقة، وما فيها من ضروب الخلق، وما يتصرف فيه من ضروب الطعم واللون، فلو سمى كل دابة وحدها، وسمى أجزاءها على ما علم من قليلها، وكثيرها، وما تحولت عليه من الأحوال، وما زاد فيها في كل زمان، ثم كتب البيان على كل واحد منها ما أحاط الله جل ثناؤه به منها، ثم كان البحر مداداً لذلك البيان الذي بين الله تبارك وتعالى عن تلك الأشياء يمده من بعده سبعة أبحر؛ لكان البيان عن تلك الأشياء أكثر. انتهى. قرطبي بتصرف.

والمعنى: الإجمالي للآية: ولو أن أشجار الأرض أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكتبت بتلك الأقلام، وبذلك المداد كلمات الله، لما نفدت كلماته، ونفدت الأقلام، والمداد، كقوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [١٠٩]: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ انظر شرحها هناك، والآيتان نزلتا بسبب واحد. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. انظر الآية رقم [٩].

تنبيه: وإنما ذكر «شجرة» على التوحيد؛ لأنه أريد تفصيل الشجر، وتقصيها شجرة شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجر، ولا واحدة إلا وقد بُرِيَتْ أقلاماً، وأوثر «الكلماتُ» وهي جمع

قلة على الكلم وهي جمع كثرة؛ لأن معناه: أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار، فكيف بكلِمِهِ. انتهى. نسفي.

خاتمة: نزلت الآية الكريمة جواباً لليهود حين سألوا رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ رقم [٨٥] من سورة (الإسراء) فقالوا له: نحن مختصون بهذا الخطاب؟ فقال: «بل نحن وأنتم». فقالوا: ما أعجب شأنك! ساعة تقول: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ الآية رقم [٢٦٩] من سورة (البقرة)، وساعة تقول: هذا، فنزل: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ إلخ وما قالوه دليل على سوء فهمهم؛ لأن الحكمة الإنسانية أن يعلم العبد من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية؛ بل ما ينتظم به معاشه، ومعاده ـ وهو بالإضافة إلى معلومات الله تعالى؛ التي لا نهاية لها قليل ـ ينال به خير الدارين، وهو بالإضافة إليه كثير. انتهى. وانظر شرح الآيتين في محلهما.

الإعراب: ﴿وَلَوۡ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم (أنَّ). ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وهو عائد الموصول، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في (ما). ﴿أَقۡلَٰمٞ﴾: خبر: (أن)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأول مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، تقديره: ولو حصل، أو وقع كون ما في الأرض... إلخ، وهذا الفعل شرط (لو) عند المبرد. وقال سيبويه: هو في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف، التقدير: ولو كون ما في الأرض من شجرة أقلاماً حاصل، وقول المبرد هو المرجح؛ لأن «لو» لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر على قول المبرد وفاعله المؤول جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَٱلۡبَحۡرُ﴾: الواو: حرف عطف. (البحر): يقرأ بنصبه عطفاً على (ما)، التقدير: ولو أن البحر يمده، ويقرأ برفعه عطفاً على محل (أن) واسمها؛ إذ محلهما الرفع على الفاعلية، أو على الابتداء كما رأيت، أو هو مبتدأ، والجملة بعده خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المستتر في متعلق الصلة، والرابط: الواو فقط على حد قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ وما أشبه ذلك من الأحوال، التي حكمها حكم الظرف. ﴿يَمُدُّهُۥ﴾: فعل مضارع، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مما بعدهما، وهو أقوى معنىً، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿سَبۡعَةُ﴾: فاعل: (يمد)، و﴿سَبۡعَةُ﴾ مضاف، و﴿أَبۡحُرٖ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر «أنَّ» على نصب (البَحْرَ)، وفي محل رفع خبره على الاعتبارات الأخرى. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿نَفِدَتۡ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿كَلِمَٰتُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿مَّا

نَفِدَتْ كَلِمَتُ ٱللَّهِ﴾ جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية لا محل لها على الاعتبارين.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: قال الضحاك ـ رحمه الله تعالى ـ: المعنى: ما ابتداء خلقكم جميعاً إلا كخلق نفس واحدة، وما بعثكم يوم القيامة إلا كبعث نفس واحدة. انتهى. أي: فحذف هذا المقدر للعلم به، والمعنى: سواء في قدرته القليل، والكثير، فلا يشغله شأن عن شأن؛ لأنه يقول للقليل والكثير: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، فلا يصعب عليه ما يصعب على العباد، وخلقه للعالم كخلقه لنفس واحدة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾: لقول المشركين: إنه لا بعث. ﴿بَصِيرٌ﴾: بأعمالهم، فيجازيهم عليها.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت الآية في أُبَيِّ بن خلف، وأَبِي الأسود؛ ومُنَبِّه ونبيه ابْنَي الحجاج بن السباق، قالوا للنبي ﷺ: إن الله تعالى قد خلقنا أطواراً: نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم عظاماً، ثم تقول: إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة.

الإعراب: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿خَلْقُكُمْ﴾: مبتدأ حذف خبره لدلالة ما بعده عليه، كما رأيت في الشرح، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف؛ إذ التقدير: ما خلقي إياكم، فيكون في الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو صلة لتأكيد النفي. ﴿بَعْثُكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. . .إلخ، مثل سابقه. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿كَنَفْسٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ الثاني، ويجوز أن يكونا متعلقين بمحذوف خبر ﴿خَلْقُكُمْ﴾ فيكون الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه. وعلى الأول فالحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، كما يجوز اعتبار الكاف اسماً بمعنى: مثل، فهي الخبر، وتكون مضافة، و(نفس) مضاف إليه. ﴿وَٰحِدَةٍ﴾: صفة نفس. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾: خبران لها، والجملة الاسمية مستأنفة، أو تعليلية، أو معترضة في آخر الكلام، لا محل لها على جميع هذا الاعتبارات.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾: ألم تنظر نظر تبصر، واعتبار، وتدبر، واستبصار. ﴿يُولِجُ﴾: يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، أي: يزيد من هذا في ذاك، ومن ذاك في هذا.

أو بسبب أنه خالق الليل والنهار، ومصرفهما، فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير، والشر. هذا؛ و﴿يُولِجُ﴾ من: أولج الرباعي، أصله: يُؤَوْلِجُ حذفت الهمزة منه حملاً على المبدوء بالهمزة: أُؤَوْلِجُ للتخفيف، ومصدره: الإيلاج، وأما الثلاثي فهو: ولج، يلج، وأصله: يَوْلِجُ، حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها، وهما: الياء، والكسرة، مثل: وعد، يعد، ووزن، يزن، ومصدره: الولوج. والمراد بإيلاج الليل في النهار، وبالعكس بأن يزيد كل منهما بما نقص من الآخر، كما هو ظاهر في طول الليل، وقصره، تبعاً لفصول السنة، قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ رقم [٤٤] من سورة (النور).

وقيل: المراد بالإيلاج: أنه سبحانه وتعالى يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار، وذلك بغيبوبة الشمس، ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: لا يخفى عليه شيء مما يقع في الليل، والنهار. كما لا يخفى عليه شيء من أعمالكم كانت صغيرة، أو كبيرة. هذا؛ والمراد بالأجل المسمى: يومُ القيامةِ؛ لأن جريان الشمس، والقمر لا ينقطع إلا حينئذ، ودل أيضاً بالليل، والنهار، وتعاقبهما، وزيادتهما، ونقصانهما، وجري النيرين في فلكيهما ـ كلٌّ ذلك على تقديرٍ وحساب ـ وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته، وحكمته.

فإن قلت: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ و﴿يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع، ضيق العطن، ولكنَّ المعنيين أعني: الانتهاء والاختصاص كل منهما ملائم لصحة الغرض؛ لأن قولك: يجري إلى أجل مسمى معناه: يبلغه، وينتهي إليه، وقولك: يجري لأجل مسمى تريد: يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمًّى، ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختصٌّ بآخر الشهر، فكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ غَيْرُ نابٍ به مَوْضِعُهُ. انتهى. كشاف.

هذا؛ وتعاطف الجمل مع اختلافها بالمضارعية، والماضوية لا غبار عليه هنا؛ لأن ما تتحدث عنه هذه الجمل واقع في الماضي، وفي الحال، وفي المستقبل؛ بل هو مستمر حتى نهاية الدنيا، لا ينكره إلا مكابر. وقيل: عبر بـ: ﴿يُولِجُ﴾ لأن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد كل حين، فعبر عنه بالمضارع المتجدد حيناً بعد حين، وأما تسخير النيرين؛ فهو أمر ثابت لا يتجدد، فعبر عنه بالماضي المفيد ذلك. هذا؛ ويطلق على الليل، والنهار اسم الجديدين. قالت الخنساء، رضي الله عنها: [البسيط]

إنَّ الْـجَـدِيـدَيْـنِ فـي طـولِ اخـتـلافِـهِـمَـا لا يَـفْـسُـدَانِ ولـكِـنْ يـفْـسُـدُ الـنـاسُ

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف

والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُولِجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول به. ﴿فِي ٱلنَّهَارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يُولِجُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول (ترى)، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمۡ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وجملة: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ معطوفة أيضاً عليها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، جوز الابتداء به الإضافة المقدرة. ﴿يَجۡرِيٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿كُلٌّ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة ﴿أَجَلٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جرِّه كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الاسمية: ﴿كُلٌّ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الشمس، والقمر، والرابط: الضمير المقدر، أو هي معترضة بين المتعاطفين.

﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم (أن). ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَبِيرٌ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء. والجملة الفعلية صلة: (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، إذ التقدير: بالذي، أو: بشيء تعملونه. ﴿خَبِيرٌ﴾: خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب معطوف على المصدر المؤول السابق، فهو في محل نصب مثله. هذا؛ وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿خَبِيرٌ﴾ بعدهما، التقدير: خبير بعملكم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى الذي ذكر من سعة العلم، وشمول القدرة، وعجائب الصنع، واختصاص الباري بها. وقيل: المعنى فَعَلَ اللهُ تعالى ذلك لتعلموا، وتقروا بأن الله هو الحق بسبب: أن الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته، فهو الحق، ودينه حقٌّ، وعبادته حق، والمؤمنون يستحقون منه النصر بحكم وعده الحق. ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: ما يعبدون من سواه. ﴿ٱلۡبَٰطِلُ﴾: أي المعدوم في حد ذاته. والمراد: الأصنام؛ التي يعبدونها من دون الله، فإنها لا استحقاق لها في العبادة، والتقديس، والتعظيم. وقيل: المراد: الشياطين. ولا وجه له.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ أي: العالي على كل شيء، والعالي عن الأشباه، والأنداد، المقدس عما يقوله الظالمون من الصفات؛ التي لا تليق بجلاله. ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: الموصوف بالعظمة والجلال، وكبر الشأن. وقيل: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: ذو الكبرياء. والكبرياء. عبارة عن كمال الذات، أي له الوجود المطلق أبداً، وأزلاً، فهو الأول القديم، والآخر الباقي بعد فناء خلقه؛ بل بعد فناء الزمان، والمكان.

هذا؛ و﴿ٱلْحَقُّ﴾ ضد الباطل، قال الراغب: أصل الحق المطابقة، والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حُقِّه لدورانه على الاستقامة. الحق يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك قيل في الله تعالى: هو الحق، وللموجود بحسب مقتضى الحكمة، ولذلك يقال: فعل الله كله حقٌّ، نحو: الموت، والحساب. . .إلخ. وللاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه. نحو اعتقاد زيد في الجنة حق. وللفعل، والقول الواقعين بحسب ما يجب، وقدر ما يجب في الوقت الذي يجب، نحو: قولك حقٌّ، وفعلك حق، ويقال: أحْقَقْتُ ذا، أي أَثْبَتُّه حقاً، أو حكمت بكونه حقاً، انتهى. بغدادي. هذا؛ وانظر شرح الباطل في الآية رقم [٥٢] من سورة (العنكبوت).

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وقد رأيت في الشرح اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّ﴾: الباء: حرف جر. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم (أن). ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو توكيد لاسم: (أن) على المحل. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبر: (أن). هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ والحق خبره، وتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، أو هما متعلقان بالفعل الذي رأيت تقديره في الشرح، وعلى الوجهين فالجملة مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب اسم (أن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: وأن الذي، أو: أن شيئاً يدعونه. ﴿مِن دُونِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف الواقع مفعولاً به، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في (ما)، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: خبر: (أن)، وفي سورة (الحج): ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ والمصدر المؤول من: (أنَّ) واسمها وخبرها معطوف على المصدر المؤول السابق فهو في محل جر مثله. ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: يجوز فيه ما جاز بسابقه، وباقي الإعراب مثل: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ والمصدر المؤول من: (أن) واسمها، وخبرها معطوف على ما قبله أيضاً، وينبغي أن تعلم: أن الآية مذكورة بحروفها في سورة (الحج) برقم [٦٢].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تنظر: نظر تبصر، واعتبار، لا نظر إهمال، واستهتار. ﴿أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾: أن السفن والمراكب البحرية على جميع أنواعها، وتفاوت مراتبها. ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾: تسير. ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: بإحسانه، وكرمه في تهيئة أسبابه، من هبوب الريح، وغير ذلك، وهو استشهاد آخر على باهر قدرته، وكمال حكمته وشمول إحسانه وكرمه، وبره، وإفضاله. ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ من دلائل قدرته، ووحدانيته، وعجائب صنعه. قال النقاش: الآيات: ما يرزقهم الله من البحر بسبب السفن. وقال الحسن: مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكر. ﴿لَأَيَٰتٍ﴾: لدلائل واضحات، وبينات باهرات على قدرته وعظمته. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: على المصائب، والمتاعب، والمشاق، وعلى التفكر في صنع الله، وما ذرأ، وبرأ في هذا الكون الواسع المترامي الأطراف. ﴿شَكُورٍ﴾: يعرف النعم، ويتعرف فضل مانحها، أو لكل مؤمن، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر. هذا؛ و﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ صيغتا مبالغة، كما هو ظاهر. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: انظر الآية رقم [٢٩]. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْفُلْكَ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾. ﴿تَجْرِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر، تقديره: «هي» يعود إلى الفلك، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد المفعول به على اعتبار (ترى) بصرياً، وسد مسد مفعوليه على اعتباره قلبياً، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِنِعْمَتِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿تَجْرِى﴾، أو في محل نصب حال من فاعله، التقدير: تجري في البحر مصحوبة بنعمة، و(نعمة) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، ومتعلقه محذوف، التقدير: بنعمة الله عليكم. ﴿لِيُرِيَكُم﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ تقديره: «هو»، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، و«أنْ» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿تَجْرِى﴾، أو هما متعلقان بفعل محذوف، يدل عليه المقام، تقديره: فعل ذلك؛ ليريكم. ﴿مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَأَيَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه

جمع مؤنث سالم. ﴿لِّكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة آيات، و(كل) مضاف، و﴿صَبَّارٍ﴾ مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف. ﴿شَكُورٍ﴾: صفة ثانية؛ إذ التقدير: لكل شخص، أو لكل إنسان صبار شكور. وهو يشمل الذكر، والأنثى. وصيغتا المبالغة صالحة لهما، كما هو معلوم، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وانظر مثل هذه الجملة في الآية رقم [١٩] من سورة (سبأ).

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾: علاهم، وغطاهم. ﴿مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: مرتفع كالجبال، و(الظلل) جمع: ظلة، وهي السحابة الكبيرة، شبه الموج بها لكبرها وارتفاعها، قال النابغة في وصف بحر: [الوافر]

يُمَاشِيهِنَّ أَخْضَرُ ذُو ظِلَالٍ عَلَى حَافَاتِهِ فِلَقُ الدِّنَانِ

وإنما شبه الموج ـ وهو واحد ـ بالظلل، وهو جمع؛ لأن الموج يأتي شيئاً بعد شيء، ويركب بعضه بعضاً كالظلل. وقيل: هو بمعنى الجمع، وإنما لم يجمع؛ لأنه مصدر، وأصله من الحركة، والازدحام.

﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: تركوا الأصنام؛ التي يعبدونها، ولجؤوا إلى الله بالتضرع، والدعاء، حالة كونهم كائنين في صورة مَنْ أخلص دينه من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلا الله، ولا يدعون سواه، لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو، وإنما لجؤوا إلى الله لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى، والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد. ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ أي: إلى الأرض اليابسة، وأمنوا من الغرق.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مُوفٍ بما عاهد عليه الله في البحر. وقال الحسن: «مقتصد» مؤمن، متمسك بالتوحيد، والطاعة. وقال الزمخشري: متوسط في الكفر، والظلم، خفض من غلوائه، وانزجر بعض الانزجار. وقال الخازن: وقيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل، وذلك: أنه هرب عام الفتح إلى البحر، فجاءهم ريح عاصف، فقال عكرمة ـ رضي الله عنه ـ: لئن أنجانا من هذه لأرجعن إلى محمد ﷺ، ولأضعن يده في يدي! فسكتت الريح، ورجع عكرمة إلى مكة، وأسلم، وحسن إسلامه، رضي الله عنه.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾: وما يكفر بدلائل قدرتنا. ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدار، والختر: أسوأ الغدر، ومنه قولهم: إنك لا تمد لنا شبراً من غدر؛ إلا مددنا لك باعاً من خَتْرٍ. قال عمرو بن معديكرب رضي الله عنه: [الوافر]

فَــإِنَّــكَ لَــوْ رَأَيْــتَ أَبَــا عُــمَــيْــرٍ مَــلأْتَ يَــدَيْــكَ مِــنْ غَــدْرٍ وَخَــتْــرِ

يريد الشاعر المبالغة في وصف غدر أبي عمير. روي: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً عدَّ بأصابع يده اليمنى: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، والله أكبرُ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، وبأصابع يده اليسرى: اللهمَّ اغفرْ لي، وارْحمني، واهدني، وارزقني، واجْبُرْني، فقال له رسول الله ﷺ: «**مَلأْتَ يَدَيْكَ خَيْراً**». فعلى القياس، من عد معايب أحد بأصابع يديه ملأ يديه شراً، فكأن الشاعر ينبه: أن في أبي عمير عشراً من الأخلاق الذميمة.

وقال الأعشى: [البسيط]

بِــالأَبْــلَــقِ الْــفَــرْدِ مِــنْ تَــيْــمَــاءَ مَــنْــزِلُــهُ حِــصْــنٌ حَــصِــيــنٌ وَجَــارٌ غَــيْــرُ خَــتَّــارِ

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا) انظر الآية رقم [٢١]. ﴿غَشِيَهُم﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿مَّوْجٌ﴾: فاعله. ﴿كَالظُّلَلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿مَّوْجٌ﴾، وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى: مثل فهي الصفة، وتكون مضافة، و(الظلل) مضاف إليه، وجملة: ﴿غَشِيَهُم...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿دَعَوُا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، وجملة: ﴿دَعَوُا اللَّهَ﴾ جواب (إذا) لا محل لها من الإعراب، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿مُخْلِصِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُخْلِصِينَ﴾. ﴿الدِّينَ﴾: مفعوله.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿نَجَّاهُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهَ﴾، تقديره: «هو»، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿فَمِنْهُم﴾: الفاء: واقعة في جواب: (لما). (منهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾: مبتدأ مؤخر، هذا هو الظاهر. وأرى: أن مضمون الجار والمجرور مبتدأ، و﴿مُّقْتَصِدٌ﴾ هو الخبر؛ لأن مِنْ الجارة دالة على التبعيض؛ أي: بعضهم مقتصد، والجملة الاسمية جواب: (لما) لا محل لها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠] من سورة (العنكبوت).

هذا؛ وقال ابن هشام في «المغني»: وقال جماعة منهم ابن مالك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: إن الجملة الاسمية: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ جواب (لما)، والظاهر: أن الجواب جملة فعلية محذوفة، أي: انقسموا قسمين: فمنهم مقتصد، ومنهم غير ذلك. ويؤيد هذا: أن جواب (لما) لا يقترن بالفاء. انتهى. بتصرف. وعليه فالفاء حرف عطف، وتفريع.

و(لما) ومدخولها معطوف على (إذا) ومدخولها، أو هو مستأنف لا محل له على الوجهين. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَجْحَدُ﴾: فعل مضارع. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿خَتَّارٍ﴾ مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف. ﴿كَفُورٍ﴾: صفة ثانية؛ إذ التقدير: إلا كل شخص، أو إنسان ختار، كفور. وهو يشمل الذكر، والأنثى، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا يَجْحَدُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والحالية ضعيفة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: هذا النداء يشمل المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح. ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: خافوه، واعبدوه. ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا﴾: احذروا يوماً، وخافوا عقابه، وأهواله، والمراد به يوم القيامة بلا ريب. ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾: لا يقضي، وقرئ: (لا يُجْزِئُ) من: أجزأ: إذا أغنى ونفع. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾: بمعنى غير قاض، وغير مغن عن والده شيئاً في ذلك اليوم الطويل زمانه، العظيم أهواله، القريب أوانه.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: لا خلف فيه قطعاً؛ بل إن ما وعد به عباده من الخير لا بد وأن يقع، وأن ما توعدهم به من الشر فهو بالخيار، لا يسأل عما يفعل، فإن شاء عفا، وإن شاء عاقب. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: فلا تخدعنكم بزخارفها، وزينتها، ولا تشغلنكم عن طاعة الله تعالى بحطامها الفاني ومتاعها الزائل. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي: الشيطان بأن يرجّيكم التوبة، ويؤملكم المغفرة، فيجرّئكم على المعاصي، ويسوف لكم بالتوبة.

هذا؛ و﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين: الشيطان كما رأيت، وهو الذي يغر الخلق، ويمنيهم الأماني الكاذبة، قال تعالى في سورة (النساء) رقم [١٢٠]: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾. هذا؛ وقرئ بضم الغين، كأنه مصدر: غَرَّ، يَغُرُّ غُرُوراً: خدعه، وأطمعه في الباطل. قال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ هو أن يعمل بالمعصية، ويتمنى المغفرة.

أما ﴿جَازٍ﴾، فأصله: «جازيٌ» بكسرة على الياء علامة للجر، أو بضمة على الياء علامة للرفع، وبتنوين الصرف، لكن استثقلت الكسرة، أو الضمة على الياء بعد كسرة، فسكنت الياء، فالتقى ساكنان: الياء، والتنوين، فحذفت الياء لعلة الالتقاء، وبقيت الزاي مكسورة على ما كانت عليه قبل الإعلال، فقيل: ﴿جَازٍ﴾ بالكسر، وإنما لم يقل بالرفع؛ لأن الياء محذوفة لعلة الالتقاء، فهي كالثابتة فتمنع الرفع للزاي، وهكذا قل في إعلال كل اسم منقوص مجرد من أل والإضافة، سواء أكان ثلاثياً، أم رباعياً؟

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: قيل: إن معنى الآية: أن الله تعالى ذكر شخصين في غاية الشفقة، والمحبة، وهما الوالد، والولد، فنبه بالأعلى على الأدنى، وبالأدنى على الأعلى، فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقته عليه، والولد يجزي عن والده لما له عليه من حق التربية وغيرها، فإذا كان يوم القيامة، فكل إنسان يقول: نفسي نفسي، ولا يهتم بقريب، ولا بعيد، كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كل امرئ تهمه نفسه.

وقال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: قوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وارد على طريق من التوكيد، لم يرد عليه ما هو معطوف عليه؛ قلت: الأمر كذلك؛ لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله: ﴿هُوَ﴾ وقوله: ﴿مَوْلُودٌ﴾. والسبب في مجيئه على هذا السنن: أن الخطاب للمؤمنين، وعُلْيَتهُمْ قُبِض آباؤهم على الكفر، وعلى الدين الجاهلي، فأريد حسم أطماعهم، وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة، وأن يشفعوا لهم، وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً، فلذلك جيء به على الطريق الآكد. ومعنى التوكيد في لفظ المولود: أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه؛ لم تقبل شفاعته؛ فضلاً عن أن يشفع لمن فوقه من أجداده؛ لأن الولد يقع على الولد، وولد الولد، بخلاف المولود، فإنه لمن ولد منك. انتهى.

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ: «**لا يَمُوتُ لأحَدٍ مِنَ المسلمين ثَلاثَةٌ مِنَ الولَدِ، فَتمسَّهُ النارُ إلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ**». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومالك عن أبي هريرة، رضي الله عنه. وفي رواية: «**مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ إلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ**». هذا؛ والْقَسَم هو مضمون، وفحوى قوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٧١]: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. وقال ﷺ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ**». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي عن عائشة رضي الله عنها؛ قيل له: المعنى بهذه الآية: أنه لا يحمل والد ذنب ولده، ولا مولود ذنب والده، ولا يؤاخذ أحدهما عن الآخر. والمعنى بالأخبار ـ أي: بالأحاديث ـ: أن ثواب الصبر على الموت، والإحسان إلى البنات يحجب العبد عن النار، ويكون الولد سابقاً له إلى

الجنة. انتهى. بتصرف كبير. أقول: والأحاديث التي ترغب الآباء، والأمهات في تربية الأولاد، والصبر على موتهم كثيرة مسطورة في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وغيره.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو، أو: أنادي. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ: (يا)، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: بعضهم يعرب هذا وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل: إن الاسم الواقع بعد «أي»، وبعد اسم الإشارة، إن كان مشتقاً؛ فهو نعت، وإن كان جامداً ـ كما هنا ـ فهو بدل، أو عطف بيان، والمتبوع ـ أعني: «أي» ـ منصوب محلاً، فكذا التابع، أعني: الناس، وأمثاله، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الاتباع اللفظية. . . إلخ، وانظر الآية رقم [١] من سورة الأحزاب. ففيها بحث جيد.

﴿ٱتَّقُوا۟﴾: فعل أمر، مبني على حذف النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. ﴿رَبَّكُمْ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محلِّ جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية لا محل لها كالجملة الندائية قبلها؛ لأنهما ابتدائيتان.

﴿وَٱخْشَوْا۟﴾: الواو: حرف عطف. (اخشوا): فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿يَوْمًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَجْزِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿وَالِدٌ﴾: فاعله. ﴿عَن وَلَدِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿يَوْمًا﴾، ورابط الصفة محذوف، التقدير: يوماً لا يجزي فيه والد عن ولده. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو هي صلة لتأكيد النفي. ﴿مَوْلُودٌ﴾: يجوز فيه وجهان: أحدهما أنه معطوف على ﴿وَالِدٌ﴾، وثانيهما: أنه مبتدأ جاز الابتداء به؛ لأنه في سياق النفي. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿جَازٍ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل رفع صفة: ﴿مَوْلُودٌ﴾، أو هي في محل رفع خبره، وعليه؛ فالجملة الاسمية: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، وهي في محل نصب صفة مثلها. ﴿عَن وَالِدِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿جَازٍ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به لـ: ﴿جَازٍ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿وَعْدَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقٌّ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، أو تعليل للنفي،

لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك، ـ أي ما ذكر ـ حاصلاً، وواقعاً. ﴿فَلَا...﴾ إلخ. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَغُرَّنَّكُمُ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والنون حرف لا محل له، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿الْحَيَوٰةُ﴾: فاعله. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة ﴿الْحَيَوٰةُ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والجملة: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وإعرابها مثلها أيضاً، ولا خفاء فيه. تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: روي: أن رجلاً من قبيلة محارب، اسمه: الحارث بن عمرو، بن حارثة، بن حفصة من أهل البادية أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أخبرني عن الساعة متى قيامها؟ وإني قد ألفيت حياتي في الأرض، وقد أبطأت عنا السماء؛ فمتى تمطر؟ وأخبرني عن امرأتي؛ فقد اشتملت ما في بطنها، أذكر، أم أنثى؟ وإني علمت ما عملت أمسِ، فما أعمل غداً؟ وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت؟ فنزلت الآية الكريمة.

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتِحُ الغيبِ خَمْسٌ، لَا يعلمُهَا إِلَّا اللهُ تعالى، لا يَعْلَمُ أحدٌ ما يكونُ في غَدٍ إِلَّا اللهُ، ولا يعلمُ أَحَدٌ ما يَكُونُ في الأَرْحَامِ إِلَّا اللهُ، وَلَا تعلمُ نفسٌ ماذاَ تَكْسِبُ غداً، ولا تدري نفسٌ بِأَيِّ أرْضٍ تَمُوتُ، ولا يَدْرِي أحدٌ متَى يَأْتِي الْمَطَرُ**». وفي رواية أخرى: «**لا يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلا اللهُ، ولا يعلمُ ما في غدٍ إِلَّا اللهُ، ولا يعلمُ متَى يأتي المطرُ أحدٌ إِلَّا اللهُ، ولا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إلا اللهُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى السَّاعة إِلَّا اللهُ**». أخرجه البخاري.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «**من ادَّعى علم هذه الخمسة فقد كذب، إياكم والكهانة، فإن الكهانة تدعو إلى الشرك، والشرك وأهله في النار**». وروي: أن المنصور العباسي أهمه معرفة مدة عمره، فرأى في منامه كأن خيالاً أخرج يده من البحر، وأشار إليه بالأصابع الخمس، وكان سأله عن مدة عمره، فاستفتى العلماء في ذلك. فتأولوها بخمس سنين وبخمسة أشهر، وبخمسة أيام، حتى قال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: تأويلها أن مفاتح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله، وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: علم وقت قيامها، وانظر شرح ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ في الآية رقم [١٤] من سورة (الروم). ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ أي: المطر في وقته المقدر له، والمكان المعيَّن له، لا يتجاوزه، من غير تقديم، ولا تأخير. وسمي المطر: غيثاً؛ لأنه يغيث الناس، فيزيل همهم، ويفرج كربهم، ويطلق مجازاً على الجواد الكريم، قال ذو الرمة في مدح بلال بن أبي بردة الأشعري: [الوافر]

سَمِعْتُ النَاسَ ينتجعونَ غَيْثاً فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعي بِلالا

فقد جعله أجود من الغيث، وأنفع. وصيدح: اسم ناقته. وللزمخشري قوله: [البسيط]

لَا تَحْسَبُوا أَنَّ في سِرْبالِهِ رَجُلاً فَفِيهِ غيْثٌ وَلَيْثٌ مُسْبِلٌ مُشْبِل

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾: أذكر، أم أنثى، تام أم ناقص، أسود، أو أبيض، صبيح أم قبيح. وفي سورة (الرعد) رقم [٩]: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ والأرحام جمع: رحم، وهو مستودع الجنين في بطن الأنثى الحبلى من الإنسان، والحيوان. هذا؛ والرحم: القرابة من جهة الأب، أو الأم، قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: من خير، أو شر، وربما تعزم على شيء، وتفعل خلافه. ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: ليس أحد يعلم أين مدفنه من الأرض في بر، أو بحر في سهل، أو جبل، وكل إنسان يساق إلى الأرض التي قدر الله فيها موته، كما يساق إلى الأرض التي قدر الله فيها دفنه، وربما أقام الإنسان بأرض، وحدثته نفسه بالإقامة الدائمة فيها، وضربت، أوتادها، وقالت: لا أبرحها، وأقبر فيها، فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها، ولا حدثتها به ظنونها.

روي: أن ملك الموت ـ عليه السلام ـ مر على سليمان، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه، ويديم النظر إليه، فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت، فقال: كأنه يريدني، وسأل سليمان أن يحمله على الريح، ويلقيه ببلاد الهند، ففعل، ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري إليه تعجباً منه؛ لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند، وهو عندك! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: يعلم الأشياء كلها. ﴿خَبِيرٌ﴾: يعلم بواطنها، كما يعلم ظواهرها. ﴿غَدًا﴾: المراد به: اليوم الذي بعد يومك على الأثر، وأصله: غَدَوٌ، فحذفت منه الواو لغير علة تصريفية، وهو ما يسمى الحذف اعتباطاً، وقد ردها لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في قوله: [الطويل]

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلُهَا بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وَغَدْواً بَلاقِع

تنبيه: أقول: إن ما اخترع من أشياء، وما اكتشف من أمور، وما يتحدثون عنه من مغيبات، مثل نزول المطر، وغير ذلك، إنما هو قائم على التجربة، والحدس، والتخمين، كثيراً ما يخطئ، وقد يصيب، فيبقى من مكنون علم غيب الله تعالى.

تنبيه: جعل العلم لله، والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل، والحيلة، فيكون المعنى أن النفس لا تعرف أين تموت، وماذا تكسب غداً، وإن أعملت حيلها في معرفة ما يلصق بها، ويختص بها، ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه، وعاقبته، فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما؛ كان من معرفة ما عداهما أبعد.

تنبيه: قرأ أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: (بأيَّةِ أَرْضٍ تَمُوتُ) وقرأ الباقون: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ﴾ قال الفراء: اكتفى بتأنيث الأرض من تأنيث: (أي). وقيل: أراد بالأرض المكان فذكر، قال عامر بن جوين الطائي: [المتقارب]

فَـلَا مُـزْنَـةٌ وَدَقَـتْ وَدْقَـهَـا ... وَلَا أَرْضَ أَبْـقَـلَ إِبْـقَـالَـهَـا

وقال الأخفش: يجوز مررت بجارية أيَّ جارية، وأية جارية. وشبه سيبويه تأنيث (أي) بتأنيث كل في قولهم: كُلَّتُهُنَّ. انتهى. قرطبي: أقول: وإنما جاء ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ﴾ لأن أرضاً مؤنث مجازي، والمؤنث المجازي يجوز تذكيره، وتأنيثه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عِندَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿عِلْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَيُنَزِّلُ﴾: الواو: حرف عطف. (ينزل): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله، تقديره: «هو». ﴿ٱلْغَيْثَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَيَعْلَمُ﴾: الواو: حرف عطف. (يعلم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾ أيضاً. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿تَدْرِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. وهو معلق عن العمل لفظاً. ﴿نَفْسٌ﴾: فاعله. ﴿مَّاذَا﴾: (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: ما الذي تكسبه غداً. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَّاذَا﴾ اسماً مركباً فلك فيه وجهان: أحدهما: اعتباره مبتدأ، والجملة الفعلية بعده خبره، والرابط محذوف. والثاني: اعتباره مبنياً على السكون في محل نصب مفعول به مقدماً، والجملة: ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ﴾ على جميع الاعتبارات في محل نصب سدت مسد مفعولي الفعل ﴿تَدْرِى﴾، وهذه الجملة مستأنفة، لا محل لها. ﴿غَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿بِأَيِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿تَمُوتُ﴾ بعدهما، و(أي) اسم استفهام علق الفعل:

﴿تَدْرِى﴾ عن العمل لفظاً، و(أي) مضافاً، و﴿أَرْضٍ﴾ مضاف إليه. ﴿تَمُوتُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿نَفْسٌ﴾ والجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد مفعولي ﴿تَدْرِى﴾ المعلق عن العمل لفظاً، وجملة: ﴿وَمَا تَدْرِى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: خبران لها، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

انتهت سورة (لقمان) بحمد الله، وتوفيقه

والحمد لله رب العالمين.

سورة السجدة

سورة (السجدة)، وهي مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة؛ وهي قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ...﴾ إلخ. قاله الكلبي، ومقاتل. وقال غيرهما: إلا خمس آيات من قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾. وهي ثلاثون آية، وثلاثمئة وثمانون كلمة، وألف وخمسمئة وثمانية عشر حرفاً. وفي الصحيح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾.

أعوذُ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

الشرح: أعوذ: أتحصن، وأعتصم، وأستجير، وألتجئ. وعاذ فلان بفلان: لجأ إليه، واعتصم به. قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وفي الحديث الشريف: «**عُذْت بمعاذٍ**» ومن أمثال العرب: «ذَلِيلٌ عَاذَ بِقَرْمَلَةٍ» والقرملة: شجرة معروفة. ومعنى هذا المثل: أن الذليل قد لجأ إلى غير ملجأ، واعتصم بما لا يعصم، فهو ضد الحديث الذي ذكرته. وأصله: أعْوُذُ على وزن: أَنْصُرُ، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح، أولى بالحركة من حرف العلة. فنقلت حركة الواو إلى العين بعد سلب سكونها، فصار: أَعُوذُ.

(الله): علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به؛ أجاب، وإذا سئل به؛ أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به؛ لتخلف شروط الإجابة؛ التي أعظمها أكل الحلال.

الشيطان: اسم يطلق على عدو الله إبليس، وقد يطلق على كل نفس عاتية خبيثة، خارجة عن الصراط المستقيم من الإنس، والجن، والحيوان، وما أكثر الشياطين بهذا المعنى من بني آدم! قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ الآية رقم [١١٢] من سورة (الأنعام)، وما أجدرك أن تنظر شرحها هناك.

قال الرسول ﷺ لأبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! تَعَوَّذْ بالله مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ**». قال: أَوَ للإنسِ شَيَاطِينُ؟ قال: «**نَعَمْ**». ولا تنس: أن لكل واحد من الإنس شيطاناً بدليل قول النبي ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**أَجَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟**». قالت: أَوَلي شيطانٌ؟ قال: «**ما مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَلَهُ شيطانٌ**». قالت: وأنتَ يا رسول اللهِ؟ قال: «**وَأَنَا؛ إِلَّا أَنَّني أَعَانَني اللهُ عَلَيْهِ فَأَسْلم، فَلَا يأمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ**». بفتح الميم من الإسلام، وبضمها من السلامة.

هذا؛ والشيطان مأخوذ من: شطن إذا بعد. وقيل: مأخوذ من: شاط: إذا احترق، فعلى الأول هو مصروف؛ لأن النون أصلية، وعلى الثاني هو غير مصروف لزيادة الألف والنون، وشطن من باب: قعد، وشاط من باب ضرب. (الرجيم): فعيل بمعنى مفعول، أي: إنه مرجوم باللعن، وطرد عن الخير، وعن رحمة الله تعالى. وقيل: هو فعيل بمعنى فاعل، أي: يرجم غيره بالإغواء، والوسوسة.

بعد هذا لا يخفى عليك المعنى لهذه الجملة، وقد يعبر عن الجملة بكاملها بكلمة الاستعاذة على طريقة النحت، والنحت في الكلام: تركيب كلمة من كلمتين فأكثر، نحو البسملة، والحوقلة مِنْ: «**لَا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله العليِّ العظيم**». والاسترجاع من: «**إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**». والفذلكة من قولك: «**فَذَلِكَ كَذَا وكَذَا**». وهلمَّ جَرًّا.

قال الخازن: ومن لطائف الاستعاذة أن قوله: (أعوذ بالله. . .) إلخ إقرار من العبد بالعجز، والضعف، واعتراف من العبد بقدرة الباري عزَّ وجلَّ، وأنه الغني القادر على دفع جميع المضرات، والآفات، واعتراف من العبد أيضاً بأن الشيطان عدو مبين، ففي الاستعاذة لجوء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى. والله أعلم. انتهى.

الإعراب: (أعوذ): فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنا». (بالله): جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وإن علقتهما بمحذوف حال من الفاعل المستتر؛ فلا بأس، ويكون التقدير: أعوذ مستجيراً بالله. (من الشيطان): متعلقان بالفعل قبلهما. (الرجيم): صفة الشيطان مجرور مثله، ويجوز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، ونصبه على أنه مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أذم، وهذان الوجهان على القطع عن الإتباع، وجملة: (أعوذ. . .) إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشرح: (اسم): اختلفوا في اشتقاقه، فقال البصريون: أصله: سَمَوٌ، من السُّمُوِّ، وهو العلو والارتفاع، فاسم الشيء: ما علاه حتى ظهر به، وعلا عليه، فكأنه علا على معناه، وصار علماً له، فحذفت لامه، وعوض عنها همزة الوصل في أوله. وقال الكوفيون: أصله: وَسَمٌ من السِّمَة، وهي العلامة، فكأنه علامة لمسماه، حذفت فاؤه، وعوض عنها همزة الوصل. وحجة البصريين: أنه لو كان اشتقاقه من السِّمة؛ لكان تصغيره وُسَيْم، وجمعه، أوسام؛ لأن التصغير، والتكسير يردان الأشياء إلى أصولها، وقد أجمعوا على أن تصغيره سُمَيٌّ، وجمعه: أسماء، وأَسَام.

وقد حذفت الألف من: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ...﴾ للخفة، ولكثرة الاستعمال، وأثبتت في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ لقلة الاستعمال. هذا؛ واسم: أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون، فإذا نطقوا بها مبتدئين، زادوا همزة الوصل في أولها، تفادياً للابتداء بالساكن، عِلْماً بأن هذه الهمزة تسقط في وصل الكلام وإن كتبت، وهذه الأسماء هي: ابْن، وابْنَة، وابْنُم، وامْرِئ، وامْرأة، واسْم، واسْت، واثْنين، واثْنتين، وايْمُن.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمان. وقيل: صفتان مأخوذتان من الرحمة، وهما في حقه سبحانه وتعالى بمعنى المحسن، أو مريد الإحسان، لكن الأول بمعنى المحسن بجلائل النعم، والثاني بمعنى المحسن بدقائق النعم، وإنما جمع بينهما في البسملة، إشارة إلى أنه ينبغي أن يطلب منه تعالى النعم الحقيرة، كما ينبغي أن يطلب منه النعم العظيمة، وقد يوصف بالرحيم المخلوقون، وأما الرحمن فلا يوصف به إلا الله تعالى ومن وصف به مسيلمة الكذاب فقد تعنَّتَ حيث قال فيه: [البسيط]

وَأَنْتَ غَيْثُ الْوَرَى لا زِلْتَ رَحْمَانَا

بعد هذا ينبغي أن تعلم: أن البسملة آية من سورة الفاتحة، وآية من كل سورة ما عدا براءة عند الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ ولا تعد آية في كل ذلك عند مالك، وأبي حنيفة ـ رحمهما الله تعالى ـ وإنما هي للفصل بين كل سورتين، وأحمد ـ رحمه الله تعالى ـ يعدها آية من أول سورة الفاتحة، ولا يعدها آية في غيرها. ومبحث ذلك مبسوط في كتب الفقه.

وأخيراً ينبغي أن تعلم: أن النبي ﷺ ندبنا إلى افتتاح جميع أمورنا بالبسملة تيمناً، وتبركاً، فقد روى الخطيب في كتاب الجامع عنه ﷺ: أنه قال: «**كُلُّ أمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرحيم، فَهُوَ أَبْتَرُ**». وفي رواية: فهو أقطع، والمعنى: قليل البركة، أو معدومها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿بِسْمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف، تقديره: أقرأ، أو أتلو؛ إذا أراد الشخص القراءة، وقس على ذلك جميع الأعمال التي يقوم بها المسلم، ويسمي الله عليها، فمثلاً الآكل، والشارب، والقائم، والقاعد، تقدير المحذوف عنده: آكل، أو أشرب... إلخ، وتقدير المحذوف «فعلاً» مذهب الكوفيين، وهم: يقدرونه مؤخراً ليفيد معنى الاختصاص، وأما البصريون فإنهم يقدرون المحذوف «اسماً» والتقدير عندهم: ابتدائي كائن بسم. وقال المرحوم سليمان الجمل: والأحسن أن يقدر متعلق الجار هنا: قولوا؛ لأن المقام مقام تعليم، وهذا الكلام صادر عن حضرة الرب تعالى. انتهى. و(اسم) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: بدل من لفظ الجلالة. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: بدل ثان من لفظ الجلالة، وهذا على اعتبارهما اسمين من أسماء الله الحسنى، وهو المعتمد. وقيل: هما صفتان للفظ الجلالة. هذا؛ ويجوز

في العربية رفعهما على أنهما خبران لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الرحمن الرحيم، كما يجوز نصبهما على أنهما مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أمدح، ونحوه. وهذان الوجهان على القطع، أعني به قطع النعت عن المنعوت، وجملة: البسملة على الوجهين ابتدائية لا محل لها.

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

﴿الٓمٓ﴾: انظر شرحها، وإعرابها في، أول سورة (الروم).

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: القرآن الكريم الموجود بين أيدينا، المتلو بألسنتنا، المحفوظ في صدورنا، المنزل على قلب نبينا ﷺ. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه. ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: إنه منزل من رب العالمين الذي أنشأهم من العدم، وأحسن خلقهم، وصوَّرهم، فأحسن تصويرهم، وربَّاهم، فأحسن تربيتهم، وغذَّاهم، فأحسن تغذيتهم. . .إلخ.

تنبيه: يرد هنا سؤال، وهو: إن الله تعالى قد نفى الريب والشك عن كتابه الذي أنزله على نبيه ﷺ على سبيل الاستغراق، وقد ارتاب فيه كثيرون في الماضي، وفي الحاضر.

والجواب: أن المنفي كونه متعلَّقاً للريب، ومَظِنةً له؛ لأنه من وضوح الدلالة، وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لعاقل أن يرتاب فيه، لا أن أحداً لا يرتاب، ومن ارتاب فيه، أو في بعضه فالريب حصل له من فهمه السقيم، وعقله العقيم، وخذ قول المتنبي: [الوافر]

وكَمْ مِنْ عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
وَلَكِنْ تأخذُ الآذانُ منه ... على قَدَرِ الْقَرِيحَةِ والْفُهومِ

ورحم الله البوصيري إذ يقول: [البسيط]

قَدْ تُنكِرُ العيْنُ ضَوْءَ الشمْسِ مِنْ رَمَدٍ ... ويُنْكِرُ الفمُ طعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ

ورحم الله أحمد شوقي إذ يقول: [الوافر]

وَمَا ضَرَّ الوُرُودَ وما عليها ... إذَا الْمَزْكومُ لَم يَطْعَمْ شَذَاهَا

وما أحسن قول بعضهم: [البسيط]

عابَ الكلامَ أناسٌ لا خلاقَ لهُمْ ... وما عليْهِ إذَا عابوهُ مِنْ ضَرَرِ
مَا ضَرَّ شمسَ الضحى في الأُفْقِ طَالِعَةً ... أَنْ لا يَرَى ضوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرِ

وخذ قول أبي الطيب المتنبي أيضاً: [الوافر]

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرّاً بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

هذا؛ وتقول: رابني هذا الأمر، وأوقعني في ريبة، أي في شك. وحقيقة الريبة: قلق النفس، واضطرابها. قال الرسول ﷺ: «**دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**». أخرجه الترمذي والنسائي عن الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، ـ رضي الله عنهما ـ.

الإعراب: ﴿تَنزِيلُ﴾: فيه، أوجه خمسة: أحدها: أنه خبر عن ﴿الٓمٓ﴾ لأن ﴿الٓمٓ﴾ يراد به السورة، وبعض القرآن، و﴿تَنزِيلُ﴾ بمعنى مُنَزَّل، والجملة من قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حال من الكتاب، والعامل فيها ﴿تَنزِيلُ﴾؛ لأنه مصدر، و﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلق به أيضاً، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في ﴿فِيهِ﴾ لوقوعه خبراً، والعامل فيه الظرف، أو الاستقرار.

الثاني: أن يكون ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبره، و﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حالاً من الضمير ﴿فِيهِ﴾، ولا يجوز حينئذ أن يتعلق بـ: ﴿تَنزِيلُ﴾؛ لأن المصدر قد أخبر عنه، فلا يعمل، ومن يتسع في الجار، لا يبالي بذلك.

الثالث: أن يكون ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ أيضاً، و﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خبره، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: حالاً، أو معترضاً.

الرابع: أن يكون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ و﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خبرين لـ: ﴿تَنزِيلُ﴾.

الخامس: أن يكون ﴿تَنزِيلُ﴾ خبر مبتدأ مضمر، التقدير: هذا تنزيل، أو: الْمَتْلُوُّ تنزيل، أو: هذه الحروف تنزيل، ودلت ﴿الٓمٓ﴾ على ذكر الحروف، وكذلك: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وكذلك ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فتكون كل جملة مستقلة برأسها، ويجوز أن تكونا حالين من تنزيل، وأن تكون: ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي الحال، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ معترض. انتهى. جمل نقلاً عن السمين بتصرف مني، وهو ملخص ما في العكبري، والكشاف، والبيضاوي، وما قاله مكي والنسفي... إلخ.

و﴿تَنزِيلُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿رَيْبَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر ﴿لَا﴾، والجملة الاسمية رأيت ما فيها من أوجه. ﴿مِن رَّبِّ﴾: انظر ما يجوز في تعليقهما من أوجه، و﴿رَّبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: هذه «أم» المنقطعة، التي تقدر بـ: «بل» و«ألف الاستفهام»؛ إذ التقدير: بل أيقولون افتراه، وهي تدل على الخروج من حديث إلى حديث، فإن الله عزَّ وجلَّ

أثبت: أنه تنزيل من رب العالمين، وأن ذلك مما لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ أي: افتعله واختلقه محمد ﷺ. ﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: هذا تقرير له، وتثبيت أنه منزل من عند الله. ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا﴾: هم قريش قاله قتادة، كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ.

وقال الخازن: المراد بـ: ﴿قَوۡمٗا﴾ العرب؛ لأنهم كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى، ومحمد ﷺ. وأعتمد الأول؛ لأن دعوة قريش دعوة العرب عامة لما لها من زعامة على العرب قاطبة، وجميع العرب ينظرون إليها نظرة إجلال، وتقدير، واحترام لشرف نسبها، وحرمة البيت الموجود في بلدها، ولا تنس الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الآية، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦] من سورة (يسٓ) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

والنذير: هو المبشر على عمل الخير خيراً، والمخوف من عمل الشر، وموعد عليه شراً. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ أي: إلى طريق الحق، والصواب، فيصدقونك ويؤمنون بالقرآن المنزل عليك. هذا؛ والترجي في هذه الآية، وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج، ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أو الترجي معتبر من جهته ﷺ، أي: لتنذرهم راجياً لاهتدائهم.

الإعراب: ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف بمعنى «بل» الإضرابية الإبطالية. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية مع مقولها مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى الرسول ﷺ، وإن لم يتقدم له ذكر، وهو مفهوم يدل عليه المقام، وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (لقمان)، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بَلۡ﴾: حرف عطف وإضراب انتقالي. وقيل: إبطالي أيضاً. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلۡحَقُّ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لِتُنذِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ثانية من ﴿ٱلۡحَقُّ﴾، أو هما متعلقان بفعل محذوف، التقدير: أنزله للإنذار، وعلى الأول لا يوقف على ﴿رَّبِّكَ﴾ وعلى الثاني يوقف، وتكون الجملة الفعلية المقدرة

مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، التقدير: لتنذر به قوماً. وقدره السمين: لتنذر قوماً العقاب. ﴿مَّآ﴾: نافية. ﴿أَتَىٰهُم﴾: فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف للتعذر، والهاء مفعول به. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّذِيرٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿قَوْمًا﴾. ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نَّذِيرٍ﴾، أو بمحذوف صفة له، وأجيز تعليقهما بالفعل ﴿أَتَىٰهُم﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَّآ﴾ موصولة صفة للمفعول الثاني المحذوف، التقدير: لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك، وعليه فـ: ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ متعلقان بالفعل ﴿أَتَىٰهُم﴾ أي: أتاهم على لسان نذير من قبلك وبواسطته، وكذلك قوله تعالى في سورة (يس) رقم [٦]: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ فـ ﴿مَّآ﴾ مفعول في الموضعين، و﴿أُنذِرَ﴾ متعد إلى اثنين، قال تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿يَهْتَدُونَ﴾ في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية تعليل للإنذار، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال، التقدير: لتنذرهم راجياً اهتداءهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: انظر الآية رقم [٢٥] من سورة (لقمان). ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: لم يقل بينهن؛ لأنه أراد بين الصنفين، أو النوعين، أو الشيئين كقول القطامي: [الوافر]

أَلَـمْ يَـحْـزُنْـكَ أَنَّ حِـبَـالَ قَـيْـسٍ وَتَـغْـلِـبَ قَـدْ تَـبَـايَـنَـتَـا انْـقِـطَـاعَـا

أراد: وحبال تغلب، فثنّى، والحبالُ جمعٌ، فثناهما؛ لأنه أراد الشيئين، أو النوعين. أو لأنه ثناهما على تأويلهما بالجماعة، وتثنية الجمع جائزة على تأويل الجماعتين، قال الشاعر يذم عاملاً على الصدقات: [البسيط]

سَـعَـى عِـقَـالاً فَـلَـمْ يَـتْـرُكْ لَـنَـا سَـبَـداً فَـكَـيْـفَ لَـوْ قَـدْ سَـعَـى عَـمْـرٌو عِـقَـالَـيْـنِ؟
لَأَصْـبَـحَ الـنَّـاسُ أَوْبَـاداً وَلَـمْ يَـجِـدُوا عِـنْـدَ الـتَّـفَـرُّقِ فِـي الْـهَـيْـجَـا جِـمَـالَـيْـنِ

فقد ثنى: جمال، الذي هو جمع: جمل. والعقال صدقة عام، والسبد: المال القليل، واللبد: المال الكثير. وأوباداً: هلكى جمع: وَبْد، فهو يقول: صار عمرو عاملاً على الصدقات في سنة واحدة، فظلم، وأخذ أموال الناس بغير حق حتى لم يبق لنا إلا شيء قليل من المال، فكيف يكون حالنا، أو: كيف يبقى لأحد شيء لو صار عمرو عاملاً في زكاة عامين؟! ثم أقسم،

فقال: والله لو صار عاملاً سنتين؛ لصارت القبيلة هَلْكى، فلا يكون لهم عند التفرق في الحرب جمالان، فيختل أمر الغزوات.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: في ستة أوقات، أو في مقدار ستة أيام، فإن اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس إلى غروبها لم يكن حينئذ، وفي خلق الأشياء مُدَرَّجاً مع القدرة على خلقها دفعة، دليل للاختيار، واعتبار للنظار، وحث على التأني في الأمور. هذا؛ وما ذكر من أن الله ابتدأ الخلق يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة عصراً، فخلق الأرض في يومين: الأحد، والاثنين، وما بينهما في يومين: الثلاثاء، والأربعاء، والسموات في يومين: الخميس، والجمعة، كل ذلك لم يثبت وإن أسنده القرطبي في سورة (غافر) إلى عبد الله بن سلام، رضي الله عنه. قاتل الله اليهود، فإنهم يقولون: استراح ربنا يوم السبت، فلذا اختاروه للراحة، والعبادة.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: استولى، ولا يجوز تفسيره باستقر، وثبت، فيكون الله من صفات الحوادث، وهذا التأويل ينبغي أن يقال في كل ما يوهم وصفاً لا يليق به تعالى، والمنقول عن جعفر الصادق، والحسن، وأبي حنيفة، ومالك ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: أن الاستواء معلوم، والتكييف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والجحود له كفر، والسؤال عنه بدعة. وهو مثل قول الإمام علي كرم الله وجهه: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيْرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدْعَةٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى كانَ، وَلَا مَكَانَ، فَهُوَ عَلَى ما كانَ قَبْلَ خلْقِ الْمَكانِ، لَمْ يَتَغَيَّرْ عَمَّا كَانَ». وهذا مذهب الخلف، والسلف يقولون: استوى استواءً يليق به.

﴿ٱلْعَرْشِ﴾: قال الراغب في كتابه: «مفردات القرآن»: وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم، لا بالحقيقة، وليس هو كما تذهب إليه أوهام العامة، فإنه لو كان كذلك؛ لكان حاملاً له، تعالى الله عن ذلك. انتهى. وقد قال سليمان الجمل: وأما المراد به هنا: فهو الجسم النوراني، المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها. وانظر ما ذكرته في آية الكرسي رقم [٢٥٥] من سورة (البقرة): والصحيح: أن العرش غير الكرسي.

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: ما لكم إذا جاوزتم رضا الله أحد ينصركم، ويشفع لكم. أو: ما لكم سواه ولي، ولا شفيع؛ بل هو الذي يتولى مصالحكم، وينصركم في مواطن نصركم، على أن الشفيع متجوز به للناصر، فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي، ولا ناصر، انتهى. بيضاوي.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون بمواعظ الله، وتتفكرون في صنعه، وقدرته، وما ذرأ، أو برأ في هذا الكون المترامي الأطراف.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى:

﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (ما) الموصولة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿فِى سِتَّةِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿خَلَقَ﴾، و﴿سِتَّةِ﴾ مضاف، و﴿أَيَّامٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. هذا؛ ويجيز بعضهم تعليقهما بمحذوف حال من ﴿وَلِيٍّ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ ويجيز بعضهم اعتبار (ما) نافية حجازية تقدم خبرها ـ وهو متعلق الجار والمجرور ـ على الاسم، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿شَفِيعٍ﴾: معطوف على لفظ ﴿وَلِيٍّ﴾. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف يقتضيه المقام. (لا): نافية. ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معترضة في آخر الكلام.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾

الشرح: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يدبر الله أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها، نازلة آثارها إلى الأرض. روى عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن سابط، قال: يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل، صلوات الله عليهم أجمعين. فأما جبريل؛ فموكل بالريح، والجنود. وأما ميكائيل؛ فموكل بالقطر، والماء. وأما ملك الموت؛ فموكل بقبض الأرواح. وأما إسرافيل؛ فهو ينزل بالأمر عليهم. ومعنى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقضيه، ويقدره وحده، لا يشركه في تدبير خلقه أحد. وقيل: معناه: أنه سبحانه وتعالى

يدبر أحوال الخلق، وأحوال السموات والأرض، فلا يحدث حدث في العالم العلوي، ولا في العالم السفلي إلا بإرادته، وتدبيره، وقضائه، وحكمته، وقد قيل: إن العرش موضع التدبير، كما أن ما دون العرش موضع التفصيل، قال الله تعالى في سورة (الرعد) الآية رقم [٢]: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ وما دون السموات موضع التصريف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ وما ذكر من التدبير، والتفصيل، والتصريف إنما هو في مدة الدنيا، وهي سبعة آلاف سنة كما ورد من عدة طرق، والنبي ﷺ بعث في الألف السادس، ودلت الآثار على: أن مدة أمته ﷺ، تزيد على ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمئة سنة. انتهى. جمل نقلاً من كتاب للسيوطي، سماه: الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف.

أقول: ومدة الدنيا على ما ذكر إنما هي بالنسبة لخلق آدم عليه الصلاة والسلام، وأما بالنسبة لخلق الدنيا قبل آدم فلا يعلم ذلك إلا الله، وتذكر الاكتشافات الحديثة عن موجودات حية من آلاف السنين؛ بل من ملايين السنين، وقد ذكرت لك في سورة (الحجر) أنه ذكر قبل خلق آدم، أوادم.

وذكرت لك في سورة (الرعد) رقم [٢] معنى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقضيه ويقدره وحده، لا يشركه في تدبير خلقه أحد. أو المعنى أنه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق، وأحوال ملكوت السموات والأرض، فلا يحدث حدث في العالم العلوي، ولا في العالم السفلي إلا بإرادته، وتدبيره، وقضائه، وحكمته.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: اختلف في فاعل يعرج: قال يحيى بن سلام: هو جبريل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحي. وقال النقاش: هو الملك الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض. وقيل: إنها أخبار أهل الأرض تصعد إليه مع حملتها من الملائكة؛ قاله ابن شجرة. وعلى هذه الأقوال فالضمير يعود إلى الملك، ولم يجر له ذكر؛ لأنه مفهوم من المعنى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٦] من سورة (لقمان) كما اختلف في الضمير بقوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ فقيل: يعود إلى السماء على لغة من يُذَكِّرها، أو على مكان الملك الذي يرجع إليه، أو على اسم الله تعالى، والمراد: إلى الموضع الذي أقره فيه، وإذا رجع إلى الله؛ فقد رجع إلى السماء؛ أي: إلى سدرة المنتهى، فإنه إليها يرتفع ما يصعد به من الأرض، ومنها ينزل ما يهبط به إليها؛ ثبت معنى ذلك في صحيح مسلم. انتهى. قرطبي.

﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: مما تحسبون من أيام الدنيا، وهذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة من سني العالم، وليس بيوم يستوعب نهاراً بين ليلتين؛ لأن ذلك ليس عند الله، والعرب تعبر عن مدة العمر باليوم.

هذا؛ وقال تعالى هنا: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ مشكل مع قوله تعالى في سورة (المعارج): ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. وقد تكلم العلماء في ذلك، فقيل: إن يوم القيامة فيه أيام، فمنه ما مقداره ألف سنة، ومنه ما مقداره خمسون ألف سنة. وقيل: هو أوقات مختلفة، فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة، ثم ينقل إلى جنس آخر، مدته خمسون ألف سنة، ومن شواهد التعبير باليوم عن المدة قول الشاعر: [البسيط]

يومان يومُ مُقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداءِ تأويبُ

وقيل: مواقف القيامة خمسون موقفاً، كل موقف ألف سنة، فمعنى ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي: مقدار وقت، أو موقف من مواقف يوم القيامة. انتهى. قرطبي.

وقال الخازن: أراد بقوله: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ مدة المسافة بين الأرض، وسدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام، يقول: يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا. وقيل: كلها في القيامة، فيكون على بعضهم مثل ألف سنة، وعلى بعضهم خمسين ألف سنة، وهذا في حال الكفار، وأما على المؤمنين فدون ذلك، كما جاء في الحديث «إنَّهُ يكونُ عَلَى المؤمِنِ كقدَر صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ صَلَّاهَا في الدنيا». قال إبراهيم التميمي: لا يكون على المؤمنين إلا كما يكون ما بين الظهر، والعصر. وقيل: يحتمل أن يكون هذا إخباراً عن شدته، وهوله، ومشقته. انتهى. وانظر سورة المعارج رقم [٤] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿يُدَبِّرُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو». انظر مرجعه في الشرح. ﴿ٱلْأَمْرَ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الأمر؛ أي: نازلاً من السماء. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ: «نازلاً» أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَعْرُجُ﴾: فعل مضارع، وانظر مرجع الضمير في الشرح. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِي يَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿يَعْرُجُ﴾ المستتر، وجملة: ﴿يَعْرُجُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿مِقْدَارُهُۥٓ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾، والضمير في محل جر بالإضافة. ﴿أَلْفَ﴾: خبر: ﴿كَانَ﴾ وهو مضاف، و﴿سَنَةٍ﴾: مضاف إليه. وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل جر صفة ﴿يَوْمٍ﴾. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَلْفَ﴾، أو بمحذوف صفة ﴿سَنَةٍ﴾، و(ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ: (من)، وجملة: ﴿تَعُدُّونَ﴾ ويقرأ بالياء صلة: (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو: من شيء تعدونه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: يعلم سبحانه ما غاب عن أبصار عباده، وما يشاهدونه بحواسهم، فلا يغيب عن علمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم. فنبه سبحانه على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه فيه أحد من خلقه. هذا؛ وقال القرطبي: ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى: أنا، وفي الكلام معنى التهديد، والوعيد؛ أي: أخلصوا أفعالكم، وأقوالكم فإني أجازي عليها. انتهى. وقال الخازن: يعني الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والأرض هو عالم الغيب والشهادة. انتهى. هذا؛ وأرى: أن الإشارة إلى ما تقدم بيانه، وأن هناك مضافاً محذوفاً، التقدير: ذلك فعل عالم الغيب، والشهادة. فلما حذف المضاف، أقيم المضاف إليه مقامه. هذا؛ وانظر شرح: ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ في الآية رقم [٣] من سورة (سبأ).

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عَٰلِمُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: معطوف على: ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ على لفظه. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر ثان للمبتدأ. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: خبر ثالث له، وقد رأيت في البسملة أنه يجوز في العربية قطعهما على إضمار مبتدأ، أو على إضمار فعل، تقديره: أعني. هذا؛ وقرئ شاذاً بجر الأسماء الثلاثة على البدلية من الضمير المجرور محلاً بـ: ﴿إِلَيْهِ﴾، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: خلقه موفراً عليه ما يلزم له، ويليق به على وفق الحكمة، والمصلحة، وقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أتقنه، وأحكمه. وقيل: المعنى: عَلِم كيف يخلق كل شيء. وقيل: خلق كل حيوان على صورة، فلم يخلق البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في صورته، حسن في شكله، وكل عضو مقدر على ما يصلح به معاشه. وقيل: المعنى ألهم خلقه ما يحتاجون إليه، وعلمهم إياه. وقيل: معناه: أحسن إلى كل خلقه. انتهى. خازن.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾: يعني: آدم. ﴿مِن طِينٍ﴾ أي: من تراب الأرض، وفي سورة (الحجر) رقم [٢٦]: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ انظر شرح هذه الآية هناك، فإنه جيد، ومعنى: ﴿مِن طِينٍ﴾ أي: إن الأصل آدم، وهو من طين. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: أي:

من طين خالص، فأما ولده؛ فهو من طين ومني. وخلق الإنسان من تراب يكثر ذكره في القرآن الكريم، وشرحته في محاله، فلا حاجة إلى ذكره هنا.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر رابع للمبتدأ: ﴿ذَٰلِكَ﴾، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: «هو» الذي. أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أمدح، ونحوه. ﴿أَحۡسَنَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، تقديره: «هو» وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿شَىۡءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿خَلَقَهُۥ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ أيضاً، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿كُلَّ﴾، أو في محل جر صفة: ﴿شَىۡءٍ﴾، وهذا على قراءة الفعل بفتح اللام، وأما على قراءته بسكون اللام؛ فهو بدل من كل، أو هو مفعول أول، والمفعول الثاني ﴿كُلَّ﴾ تقدم عليه، وهذا على تضمين ﴿أَحۡسَنَ﴾ معنى: عَرَّف، وألهم، أو هو مفعول ثان، و﴿كُلَّ﴾ مفعول أول على تضمين الفعل معنى: أعطى، والبدلية بدل اشتمال على اعتبار الضمير عائداً على ﴿كُلَّ شَىۡءٍ﴾ وهذا هو المشهور المتداول، أو هو بدل كل من ﴿كُلَّ﴾ على اعتبار الضمير عائداً على (الله) تعالى، وأجاز مكي اعتباره مصدراً مثل: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ و﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ وليس بشيء يعتد به. ﴿وَبَدَأَ﴾: الواو: حرف عطف. (بدأ): فعل ماض، والفاعل يعود إلى الذي أيضاً. ﴿خَلۡقَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: وبدأ خلقَه الإنسان. ﴿مِن طِينٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال من ﴿خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ أو بالمصدر، والمعنى: عليه أقوى. تأمل. والجملة الاسمية: هو الذي، أو الفعلية: أمدح الذي: مستأنفة على الاعتبارين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾: ذرية آدم، سميت بذلك؛ لأنها تنسل منه، أي: تنفصل من سلالة. ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: ممتهن مبتذل. هذا؛ والسلالة: الخلاصة؛ لأنها تسل من بين الكدر. وقيل: إنما سمي التراب الذي خلق منه آدم: سلالة؛ لأنه سل من كل تربة. وقيل: السلالة المراد بها: ابن آدم. قاله ابن عباس، وغيره. وعلى هذا؛ فالسلالة: صفوة الماء، يعني: المني، فالنطفة سلالة، والولد سليل، وسلالة، عنى به الماء يسل من الظهر سلاً، قال حسان بن ثابت، رضي الله عنه: [الطويل]

فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيمِ غَضَنْفَراً ... سُلالَةَ فَرْجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينِ

وقالت هند بنت النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ في مدح نفسها، وذمِّ الحجاج الذي تزوجها في قصة مشهورة، وفي كتب الأدب مسطورة: [الطويل]

وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ

فَإِنْ وَلَدَتْ مُهْراً فَلِلَّهِ دَرُّهَا وَإِنْ وَلَدَتْ بَغْلاً فَجَاءَ بِهِ الْبَغْلُ

هذا؛ وخذ قوله تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، وخذ قوله تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [١٢] وما بعدها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾. وانظر شرح هذه الآيات في محالها، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو»، يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾. ﴿نَسْلَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿نَسْلَهُۥ﴾. ﴿مِّن مَّآءٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿سُلَٰلَةٍ﴾. ﴿مَّهِينٍ﴾: صفة ﴿مَّآءٍ﴾، وجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾: قومه، وأحسن خلقه، كما قال تعالى في سورة (الانفطار): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾، وقال تعالى في سورة التين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾: دل بإضافة الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب، لا يعلم كنهه إلا هو، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية رقم [٨٥] من سورة (الإسراء) كأنه قال: ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به، وبمعرفته، وفي الإضافة إلى ذاته تشريف، وتعظيم، وإن له شأناً، ولهذا من عرف نفسه، فقد عرف ربه.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾: خلق، وأوجد وأنشأ. ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: لتحسوا بها ما نصب الله في هذا الكون من الآيات. ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القلوب؛ لتتفكروا فيها في صنع الله، وما ذرأ، وما برأ، وخص الحواس الثلاث بالذكر؛ لأنها يتعلق بها من المنافع الدينية، والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها، قال تعالى في سورة (النحل) رقم [٧٨]: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذا؛ وقد وحَّد سبحانه السمع في هذه الآية وأمثالها دون الأبصار، والأفئدة؛ لأمن اللبس، ولأنه في الأصل مصدر، يقال: سمعت الشيء، سماعاً،

وسمعاً، والمصدر لا يجمع؛ لأنه اسم جنس يقع على القليل، والكثير، فلا يحتاج فيه إلى تثنية، أو جمع. وقيل: وحَّد السمع؛ لأن مدركاته نوع واحد، وهو الصوت، ومدركات البصر والقلب مختلفة، والأفئدة جمع فؤاد، وهو القلب.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكركم قليل على نعم هذه الجوارح؛ التي خلقها الله لكم، وهي أساس منفعتكم في هذه الدنيا. وإنما كان شكركم قليلاً؛ لأنكم لم تعرفوا عظم هذه النعم، ووضعتموها في غير مواضعها؛ لأنكم لم تعملوا، وتستخدموا أبصاركم، وأسماعكم في آيات الله، وأفعاله، ولم تستدلوا بقلوبكم على نعم الله وأفضاله. وفيه تنبيه على أن من لم يستعمل هذه الجوارح فيما خلقت له، فهو بمنزلة عادمها، لقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ الآية رقم [٢٦] من سورة (الأحقاف). هذا وحقيقة الشكر: صرف كل نعمة لما خلقت له، واستخدامها في طاعة الله عز وجل، والفعل: شكر يتعدى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرت زيداً، وشكرت له، كما تقول: نصحته، ونصحت له. هذا؛ ولا تنس الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، فإن الأول مراد به آدم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ والثاني مراد به ذريته في كل زمان، ومكان.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿سَوَّىٰهُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ تعالى، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿وَنَفَخَ﴾: الواو: حرف عطف. (نفخ): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿مِن رُّوحِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَنَفَخَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. (جعل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله أيضاً. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: مفعول به، وما بعده معطوف عليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: لقد ذكر ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ في مغني اللبيب في هذه الجملة، وأمثالها إعراباً، فأنا أنقله لك باختصار، فقال: ﴿مَّا﴾ محتملة لثلاثة، أوجه:

أحدها: الزيادة، فتكون لمجرد تقوية الكلام، فتكون حرفاً باتفاق، و﴿قَلِيلًا﴾ بمعنى النفي، وإما لإفادة التقليل، مثلها في: «أَكَلْتُ أَكْلاً مَا» وعلى هذا يكون تقليلاً بعد تقليل.

الثاني: النفي، و﴿قَلِيلًا﴾ نعت لمصدر محذوف، أو لظرف محذوف؛ أي: شكراً قليلاً، أو زماناً قليلاً.

الثالث: أن تكون مصدرية، وهي وصلتها فاعل بـ: ﴿قَلِيلًا﴾، وقليلاً حال معمول لمحذوف، وعليه يكون المعنى، أي: شكروا، فأخروا قليلاً شكرهم. أجازه ابن الحاجب، ورجح معناه على غيره. انتهى. بتصرف كبير.

ولم يذكر إعراب قليلاً على الوجه الأول، وذكر سليمان الجمل الوجه الأول، واعتبر ﴿قَلِيلًا﴾ نعتاً لمصدر محذوف، مثل اعتباره في الوجه الثاني، وذكر أبو البقاء الوجه الثاني، وقال: التقدير: فما يشكرون قليلاً، ولا كثيراً، وجملة: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ مستأنفة، أو تعليلية لا محل لها على الاعتبارين. وهذا الإعراب مأخوذ من إعراب ابن هشام لقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وهي الآية رقم [٨٨] من سورة (البقرة).

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: كفار مكة. ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: صرنا تراباً، وذهبنا مختلطين بتراب الأرض، ولا نتميز منه، كما يضل الماء في اللبن، والعرب تقول للشيء غلب عليه غيره، حتى خفي فيه أثره: قد ضل، قال الأخطل التغلبي: [الكامل]

كُنْتَ الْقَذَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزبِدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلَالَا

أي: هلك، واختفى أثره. وقال قطرب: معنى: ﴿ضَلَلْنَا﴾: غبنا في الأرض. وأنشد قول النابغة الذبياني: [الطويل]

فَآبَ مُضِلُّوه بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ

هذا؛ وقرئ: (ضلِلْنا) بكسر اللام، والأولى لغة نجد، وهي الفصيحة، والثانية لغة أهل العالية، قاله الجوهري. وانظر الآية رقم [١١] من سورة (لقمان)، ورقم [٥٠] من سورة (سبأ) وقرئ شاذاً: (صَلَلنا) بالصاد، أي أنتنا، وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال النحاس: ولا يعرف في اللغة: صللنا، ولكن يقال: صلَّ اللحم، وأصلَّ، وَخَمَّ، وَأَخَمَّ: إذا أنتن، قال الحطيئة: [السريع]

ذَاكَ فَتًى يَبْذُل ذَا قِدْرِهِ لا يُفْسِدُ اللَّحْمَ لَدَيْهِ الصُّلُول

﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾: أي أنبعث، أو يجدد خلقنا بعد أن نصير مختلطين بالتراب. ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾: جاحدون، لما ذكر كفرهم بالبعث؛ أضرب عنه إلى ما هو أبلغ، وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة من حساب، وجزاء، وجنة، ونار، لا بالبعث وحده، وأنهم لا يلقون الله تعالى، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: (قالوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَءِذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب

بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب، وهذا عند سيبويه. ﴿ضَلَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح، وجواب (إذا) محذوف دل عليه الجملة الآتية، التقدير: أئذا ضللنا في الأرض؛ نبعث، ولا يجوز أن يعمل فيها ﴿جَدِيدٍۭ﴾؛ لأن ما بعد «إنَّ» لا يعمل فيما قبلها، وينبغي أن تعلم أن (إذا) هنا ظرف مجرد عن الشرطية، فإن تقدير الكلام: أنبعث إذا. . .إلخ وهذا قول غير سيبويه، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿أَءِنَّا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿لَفِى﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى هنا: المزحلقة. (في خلق): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: (إن). ﴿جَدِيدٍۭ﴾: صفة ﴿خَلْقٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿أَءِنَّا...﴾ إلخ مؤكدة لما قبلها، والاستفهام فيها مبالغة في الإنكار، وبدون الاستفهام فيها حصل الإنكار بالأولى، وهذه مرتبطة فيها، فالإنكار بالأولى، إنكار فيها أيضاً، وجملة: (قالوا. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب إبطالي. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِلِقَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَٰفِرُونَ﴾ بعدهما، و(لقاء): مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: (هم. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمقول لهم: كفار قريش، ويعم كل واحد من بني آدم. ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾: يقبض أرواحكم من أجسادكم، من: تَوَفَّي العدد، والشيء: إذا استوفاه، وقبضه جميعاً، يقال: توفَّاه الله؛ أي: استوفى روحه، ثم قبضه، وتوفَّيتُ مالي من فلان؛ أي: استوفيته.

﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾: واسمه: عزرائيل، ومعناه: عبد الله، وتصرفه كله بأمر الله تعالى، وبخلقه، واختراعه. هذا؛ وقد قال تعالى هنا: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾، وقال في سورة (الأنعام) رقم [٦١]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾، وقال في سورة (الزمر) رقم [٤٢]: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، وقال في سورة (الأنفال) رقم [٥٠]: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ والجمع بين هذه الآيات، وما أذكره من أحاديث: أن ملك الموت يقبض، وله أعوان يعالجون، والله تعالى يزهق الروح، لكنه لما كان ملك الموت متولي ذلك بالوساطة، والمباشرة أضيف التوفي إليه. انتهى. قرطبي بتصرف. وذكر

لك في سورة (الأنعام) أن المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى، فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه، ولملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده، فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه.

بقي شيء آخر ينبغي أن تعلمه، وهو: هل يقبض ملك الموت أرواح جميع الخلائق؟ والجواب: نعم يتوفى أرواح جميع الخلائق حتى البرغوث، والبعوضة. وخذ ما يلي: روى جعفر بن محمد عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «**أرْفُق بصاحبي، فإنه مؤمِنٌ**». فقال ملك الموت ـ عليه السلام ـ: «يا محمد! طب نفساً، وقَرَّ عيناً، فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم: أن ما من أهل بيت مَدَر، ولا شعر، في بر، ولا بحر، إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات؛ حتى لأنا أعرف بصغيرهم، وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمد! لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك؛ حتى يكون الله هو الآمر بقبضها». قال جعفر بن علي: بلغني: أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة. ذكره الماوردي.

وعن سليمان بن مُهير الكلابي، قال: حضرت مالك بن أنس، رضي الله عنه، فأتاه رجل، فسأله: أبا عبد الله! البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ قال: فأطرق مالك طويلاً، ثم قال: ألها نفس؟ قال: نعم، قال: ملك الموت يقبض أرواحها؛ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

وروى مجاهد: أن الدنيا بين يدي ملك الموت كالطست بين يدي الإنسان، يأخذ من حيث شاء.

وروي: أن ملك الموت لما وكله الله تعالى بقبض الأرواح، قال: رب جعلتني أُذْكَر بسوء، ويَشْتِمُني ابْنُ آدَمَ. فقال الله تعالى له: إني أجعل للموت عللاً، وأسباباً من الأمراض، والأسقام ينسبون الموت إليها، فلا يذكرك أحد إلا بخير. وقد ذكر: أنه يدعو الأرواح فتجيئه، ويقبضها، ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة، أو العذاب. انتهى. قرطبي بتصرف كبير مني.

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: إن لملك الموت حربة، تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهي تتصفح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة، وقال له: الآن تنزل بك سكرات الموت. انتهى. خازن، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب.

بقي شيء آخر، وهو: أنه قد يرد سؤال، كيف يستطيع عزرائيل قبض أرواح الألوف من المخلوقات في لحظة واحدة من الزمان، والجواب عن ذلك: كما يمكن إطفاء الألوف من المصابيح الكهربائية في لحظة واحدة يستطيع عزرائيل قبض أرواح الألوف؛ بل الملايين من المخلوقات في لحظة واحدة بما منحه الله من قوة، وتسلط على أرواح المخلوقات.

﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: وكل بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم، فلا يغفل عنكم، ولا شغل له إلا ذلك؛ إذا جاء أجل أحدكم لا يقدم لحظة، ولا يؤخر لحظة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي: تصيرون إلى ربكم يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم، إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿مَّلَكُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿ٱلْمَوْتِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾. ﴿وُكِّلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ولكل من يتأتّى منه الرؤية. ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: هم الذين قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في موقفهم بين يدي ربهم يوم القيامة، قد نكسوا رؤوسهم حياءً، وخجلاً. والتعبير بالماضي المستفاد من: ﴿إِذِ﴾، إنما هو لتحقق وقوع ما يذكر في هذه الآية يوم القيامة.

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ أي: يقولون أبصرنا ما وعدتنا حقاً، وقد كنا مكذبين به في الدنيا. ﴿وَسَمِعْنَا﴾: يعني منك تصديق ما أتتنا به رسلك. وقيل: المعنى: أبصرنا معاصينا، وسمعنا ما قيل فيها. ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ أي: إلى الدنيا. ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي: نؤمن بك، ونصدق رسلك، ونعمل بطاعتك. ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: بالبعث، والحساب. ومثل قولهم هذا قولهم في سورة (المؤمنون): ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ وقد أكذبهم الله تعالى بقوله في سورة (الأنعام): ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ وبالجملة فقد أبصروا حين لا ينفعهم البصر، وسمعوا حين لا ينفعهم السمع.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿تَرَىٰٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والمفعول محذوف. تقديره: المجرمين، وقد أغنى عنه المبتدأ. ﴿إِذِ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: مبتدأ مرفوع. . . إلخ. ﴿نَاكِسُواْ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿نَاكِسُواْ﴾ مضاف، و﴿رُءُوسِهِمْ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿نَاكِسُواْ﴾، وقيل: متعلق بمحذوف حال،ولا وجه له، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وجملة: ﴿تَرَىٰٓ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، تقديره: لرأيت أمراً فظيعاً. هذا؛ وأجيز اعتبار (لو) للتمني، فلا تحتاج إلى جواب حينئذ، والأول أقوى معنى. و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿رَبَّنَآ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَبْصَرْنَا﴾: فعل، وفاعل، والمفعول به محذوف، والجملة الفعلية مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، يقع حالاً من واو الجماعة، التقدير: قائلين: ربنا أبصرنا، وجملة: (سمعنا) مع المفعول المحذوف أيضاً معطوفة على ما قبلها ويجوز عدم تقدير مفعول للفعلين، فيكون المعنى: صرنا ممن يبصر، ويسمع. ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منا؛ فارجعنا. (ارْجِعْنَا): فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: أنت، و: (نا) مفعول به والجملة الفعلية من جملة مقول القول المحذوف. ﴿نَعْمَلْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وجزمه عند الجمهور بشرطٍ محذوف، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «نحن». ﴿صَٰلِحًا﴾: صفة لمفعول به محذوف، التقدير: نعمل عملاً صالحاً. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿مُوقِنُونَ﴾: خبر (إن) مرفوع. . . إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ تعليل للطلب، وهي من جملة مقول القول المحذوف، والجملة الشرطية المقدرة: «إذا كان. . .» إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾: يقول الله: لو شئت؛ لهديت الناس جميعاً، فلم يختلف منهم أحد. قال النحاس: في معناه قولان: أحدهما: أنه في الدنيا. والآخر: أن سياق الكلام يدل على أنه في الآخرة؛ أي: لو شئنا؛ لرددناهم إلى الدنيا، والمحنة، كما سألوا. ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي...﴾ إلخ أي: حق القول مني لأعذبن من عصاني بنار جهنم، وعلم الله تبارك وتعالى أنه لو ردهم؛ لعادوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾. هذا؛ وقدر ابن هشام الكلام في المغني كما يلي: ولكن لم أشأ ذلك، فحق القول مني.

وهذه الهداية معناها خلق المعرفة في القلب. وتأويل المعتزلة: ـ ولو شئنا لأكرهناهم على الهداية بإظهار الآيات الهائلة، لكن لا يحسن منه فعله؛ لأنه ينقض الغرض الْمُجْرى بالتكليف إليه، وهو الثواب الذي لا يُستحق إلا بما يفعله المكلف باختياره ـ باطلٌ، ولا وجه له.

وقالت الإمامية في تأويلها: إنه يجوز أن يريد هداها إلى طريق الجنة في الآخرة، ولم يعاقب أحداً، لكن حق القول منه أن يملأ جهنم، فلا يجب على الله تعالى عندنا هداية الكل إليها؛ قالوا: بل الواجب هداية المعصومين، فأما من له ذنب؛ فجائز هدايته إلى النار جزاءً على أفعاله. وفي جواز ذلك منع لقطعهم على أن المراد: هداها إلى الإيمان، وقد تكلم العلماء عليهم في هذين التأويلين بما فيه كفاية في أصول الدين، وأقرب ما لهم في الجواب أن يقال: فقد بطل عندنا، وعندكم أن يهديهم الله سبحانه على طريق الإلجاء، والإجبار، والإكراه، فصار يؤدي ذلك إلى مذهب الجبرية، وهو مذهب رَذْلٌ عندنا، وعندكم؛ فلم يبق إلا أن المهتدين من المؤمنين، إنما هداهم الله تعالى إلى الإيمان والطاعة على طريق الاختيار؛ حتى يصح التكليف، فمن شاء آمن، وأطاع اختياراً لا جبراً، قال تعالى في سورة التكوير رقم [٢٨]: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، وقال في سورة الإنسان رقم [٢٩]: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾. ثم عقب هاتين الآيتين في السورتين المذكورتين بقوله جل شأنه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فوقع إيمان المؤمنين بمشيئتهم، ونفى أن يشاؤوا إلا أن يشاء الله، ولهذا أفرطت الجبرية لما رأوا أن هدايتهم إلى الإيمان معذوقٌ (مُعَلَّقٌ) بمشيئة الله تعالى، فقالوا: الخلق مجبورون في طاعتهم كلها، التفاتاً منهم إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾. وفرّطت القدرية لما رأوا أن هدايتهم إلى الإيمان معذوق بمشيئة العباد، فقالوا: الخلق خالقون لأفعالهم، التفاتاً منهم إلى قوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾.

ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد، وهو مذهب بين مذهبي المجبرة، والقدرية، وخير الأمور، أوسطها، وذلك: أن أهل الحق قالوا: نحن نفرق بين ما اضطررنا إليه وبين ما اخترناه، وهو أنا

ندرك تفرقة بين حركة الارتعاش، الواقعة في يد الإنسان بغير محاولته، وإرادته ولا مقرونة بقدرته، وبين حركة الاختيار؛ إذا حرك يده حركة مماثلة لحركة الارتعاش، ومن لا يفرق بين الحركتين: حركة الارتعاش، وحركة الاختيار، وهما موجودتان في ذاته، ومحسوستان في يده بمشاهدته، وإدراك حاسته؛ فهو معتوه في عقله، ومختل في حسه، وخارج من حزب العقلاء، وهذا هو الحق المبين وهو طريق بين طريقي الإفراط، والتفريط، قال الشاعر: [الطويل]

ولا تغْلُ في شَيْءٍ مِنَ الأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

وبهذا الاعتبار اختار أهل النظر من العلماء أن سَمَّوْا هذه المنزلة بين المنزلتين كسباً، وأخذوا هذه التسمية من كتاب الله العزيز، وهو قوله سبحانه في آخر سورة (البقرة): ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ انتهى. قرطبي بحروفه بتصرف بسيط. ومعنى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أيْ: من عصاتهما، وقدم الجن؛ لأن المقام مقام تحقير، ولأن أكثر أهل جهنم منهم فيما قيل، وفي تخصيص الجن، والإنس بالذكر إشارة إلى أنه تعالى قد عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم.

هذا؛ وخذ قوله تعالى في الآية رقم [١١٢] من سورة (الأنعام): ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، ورقم [١٠٧] منها ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾، وخذ قوله تعالى في الآية رقم [١٨] من سورة (الأعراف) لإبليس: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وقوله له في الآية رقم [٨٥] من سورة (ص): ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وقوله تعالى في الآية رقم [١١٩] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ انظر شرح الآيات في محالها.

تنبيه: قال الله تعالى في الآية رقم [٢٧] من سورة (الحجر): ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾، وقال في سورة (الرحمن) رقم [١٥]: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ فقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الجان: أبو الجن، كما أن آدم أبو البشر. وقال قتادة: هو إبليس. وقيل: الجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين. هذا؛ والجنة بكسر الجيم، والجن بمعنى واحد، وفيهم مسلمون، وكافرون، يأكلون، ويشربون، ويَحْيَوْن، ويموتون، ويتوالدون كبني آدم. وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون، ولا يموتون إلا إذا مات أبوهم إبليس. والأصح: أن الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار، سُمُّوا جنًّا لِتَواريهم، واستتارهم عن الأعين من قولهم: جنَّ الليل إذا ستر بظلمته كل شيء. والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر، والجن منهم المؤمن، ومنهم الكافر، والجن أجسام نارية لطيفة، قادرة على التشكل في الغالب بأشكال مخيفة قبيحة من حية، ونحوها، وهم يَرَوْنَنا، ولا نراهم. قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٢٧]: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ والملائكة مثلهم في هذا، ولكنهم يتشكلون بأشكال حسنة عكس الجن، وهم مخلوقون من نور.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شِئْنَا﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَآتَيْنَا﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (آتينا): فعل، وفاعل. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به أول، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾ مضاف إليه. ﴿هُدَاهَا﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَآتَيْنَا...﴾ إلخ جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَكِنْ﴾: الواو: حرف عطف وقيل: واو الحال، ولا وجه له البتة. (لكن): حرف استدراك لا محل له. ﴿حَقَّ﴾: فعل ماض. ﴿الْقَوْلُ﴾: فاعله. ﴿مِنِّي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿حَقَّ﴾، أو بالقول، ومعنى ﴿حَقَّ﴾ وجب فهو بمعنى القسم. وقيل: متعلقان بمحذوف، ولا وجه له قطعاً. ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المفهوم من الجملة الفعلية قبلها. (أملأن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له: والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنا». ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَالنَّاسِ﴾: معطوف على ﴿الْجِنَّةِ﴾. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لـ: ﴿الْجِنَّةِ﴾ و(الناس) فهو مجرور مثلهما، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المفهوم من الجملة الفعلية السابقة، والكلام: ﴿وَلَكِنْ...﴾ إلخ معطوف على (لو) ومدخولها لا محل له مثله. هذا؛ وقدر ابن هشام الكلام: ولكن لم أشأ ذلك؛ فحق القول مني.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾

الشرح: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: فيه قولان: أحدهما: أنه من النسيان؛ الذي لا ذكر معه، أي: لم يعملوا لهذا اليوم، فكانوا بمنزلة الناسين. والآخر: أنه بمعنى تركتم، وكذا: ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ فالأول بمعنى: تركتم الإيمان بالبعث في هذا اليوم، والثاني بمعنى: تركناكم من الخير. قاله السدي. وقال مجاهد: تركناكم في العذاب ترك المنسي. والكلام مقول قول محذوف: يقوله الله، أو الملائكة..

ومعنى الآية: فذوقوا العذاب المخلد في جهنم، وما فيه من نكس الرؤوس، والخزي، والغم بسبب نسيان اللقاء، وذوقوا العذاب المخلد بسبب ما عملتم من الشرك، والمعاصي، والكبائر الموبقة. وانظر الذوق، وما قيل فيه في الآية رقم [٥٥] من سورة (العنكبوت).

وجملة القول: إنهم غفلوا عن الإيمان بالله، واليوم الآخر، أو تركوا أوامره؛ حتى صاروا بمنزلة الناسين له، فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسيِّين من ثوابه، ورحمته، فخرج على مزاوجة الكلام، فهو كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾، ومثل هذا يسمى في فن البلاغة مشاكلة، وقال تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٣٠]: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾، وقال في سورة (النمل) رقم [٥٠]: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾، والمكر معناه الخبث والخداع والاحتيال، والكيد، والتدبير الحرام، وهو مستحيل في حقه تعالى، وإنما هو بمعنى المجازاة، والمعاقبة، وذلك كثير في كتاب الله تعالى.

هذا؛ و(النسيان) مصدر: نسيت الشيء، أنساه، وهو مشترك بين معنيين: أحدهما: ترك الشيء عن ذهول، وغفلة، والثاني: عن تعمد، وقصد، وقد رأيت في الشرح القولين فيه.

الإعراب: ﴿فَذُوقُواْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ذوقوا): فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذا الفعل، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على السكون المقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضمة التي جيء بها لمناسبة واو الجماعة، وقل مثله في نحو قولك: «كُلَا، واشْرَبَا» والمانع من ظهور السكون، الفتح الذي جيء به لمناسبة ألف الاثنين، التي هي فاعله، وأيضاً قولك: «ذوقي، وكلي» والمانع من السكون اشتغال المحل بالكسرة التي جيء بها لمناسبة ياء المخاطبة، التي هي فاعله. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما) مصدرية. ﴿نَسِيتُمۡ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله. ﴿لِقَآءَ﴾: مفعول به لـ: ﴿نَسِيتُمۡ﴾، ومفعول (ذوقوا) محذوف، التقدير: فذوقوا العذاب، ويجوز على مذهب الكوفيين أن يكون ﴿لِقَآءَ﴾ مفعول (ذوقوا) على إعمال الأول، كما يجوز أن يكون مفعول (ذوقوا). ﴿هَٰذَآ﴾ أي: هذا العذاب، وهو ضعيف معنى، و﴿لِقَآءَ﴾ مضاف، و﴿يَوۡمِكُمۡ﴾ مضاف إليه، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿يَوۡمِكُمۡ﴾ على المعتمد، والهاء حرف تنبيه لا محل له. و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: بنسيانكم لقاء يومكم هذا، وجملة: ﴿فَذُوقُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف؛ إذ التقدير: فتقول الملائكة لهم: ذوقوا... إلخ، والجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿نَسِينَٰكُمۡۖ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ تعليل للأمر، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ﴾ مثل سابقه، و﴿عَذَابَ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡخُلۡدِ﴾ مضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و: (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى

الأولين: مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو: بشيء كنتم تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بسبب عملكم الكفر، والمعاصي والموبقات. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة (تعملون) في محل نصب خبره، وجملة: (ذوقوا عذاب الخلد...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذه تسلية للنبي ﷺ؛ أي: إنهم لإلفهم الكفر لا يؤمنون بك، إنما يؤمن بك وبالقرآن المتدبرون له، والمتعظون به، وهم الذين إذا قرئ عليهم القرآن خروا سجداً. انتهى.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: آيات القرآن. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾: وعظوا بها، وخوِّفوا من عقاب الله، أو بشِّروا برحمة الله. ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾: وقعوا على الأرض ساجدين لله خوفاً من عذابه وعقابه، أو سقطوا على وجوههم تعظيماً لأمر الله، وشكراً لنعمه، وفي سورة (الإسراء) ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ رقم [١٠٧]، وفي رقم [١٠٩]: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: نزهوه، وحمدوه، فخلطوا التسبيح بالحمد، فقالوا في جميع حركاتهم، وسكناتهم وفي جميع أحوالهم: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**». رواه الستة ما عدا أبا داود. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان، والطاعة، كما استكبر أهل مكة عن ذلك.

تنبيه: هذه الآية هي العاشرة عند الشافعي، والتاسعة عند أبي حنيفة رحمهما الله تعالى من الآيات الأربع عشرة التي يسن السجود عند قراءتها للقارئ، والسامع، والمستمع، والدليل على ذلك هو سجود النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «**أن النبي ﷺ كان يقرأُ القرآنَ، فيقرأُ سورةً فيها سجدةٌ، فَيَسْجُدُ، ونسجُدُ معه حتَّى ما يجدَ بعضُنا موضعاً لمكان جبهتِهِ في غَيْرِ وقتِ صلاةٍ**». متفق عليه. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرأَ ابْنُ آدم السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشيطانُ يَبْكِي، ويَقُولُ: يا وَيْلَتَا! أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بالسجودِ، فسجدَ، فلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بالسجودِ، فأبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**». رواه مسلم.

هذا؛ وشروط السجدة هي شروط الصلاة، وتزيد عند الشافعي بأنها تحتاج إلى نية كنية الصلاة، وسلام كسلام الصلاة، وهي فورية عند الشافعي، وعلى التراخي عند أبي حنيفة، لذا إذا كان القارئ، والسامع لا يستطيع السجود لعدم طهارته، أو لعدم قدرته على السجود لمانع يمنعه منه يكفيه أن يقول: «سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولَا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكْبَرُ» أربع مرات وهذا عند الشافعي. وأما عند أبي حنيفة، فيقضيها عند التمكن من فعلها، ولو بعد أيام، وإذا كانت في الصلاة فلا تؤدى إلا بالسجود لها عند الشافعي، وعند أبي حنيفة تؤدى بركوع الصلاة؛ إذا نواها معه.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿ذُكِّرُوا۟﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿خَرُّوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم، الذي جيء به لمناسبة واو الجماعة، ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل. ﴿سُجَّدًا﴾: حال بمعنى: ساجدين، وجملة: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ جواب: ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها صلة الموصول، وجملة: ﴿وَسَبَّحُوا۟﴾ معطوفة على جواب: ﴿إِذَا﴾ لا محل لها مثلها. ﴿بِحَمْدِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(حمد) مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿تَتَجَافَىٰ﴾: ترتفع وتتنحَّىٰ. ﴿جُنُوبُهُمْ﴾: جمع جنب، وهو صفحة الإنسان التي ينام عليها في الغالب، وقد ينام مستلقياً على ظهره. ﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾: جمع مضجع، وهي مواضع

النوم، ويحتمل عن وقت الاضطجاع، ولكنه مجاز. والحقيقة أولى، ومنه قول عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

أَتَــانَــا رَسُــولُ اللهِ يَــتْــلُــو كِــتَــابَــهُ كَمَـا لَاحَ مَشْهُورٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ

أرانـا الْـهُـدى بَـعْـدَ الْـعَـمـى فَـقـلُـوبُـنَـا بِــهِ مُــوقِــنَــاتٌ أَنَّ مَــا قَــالَ واقِــعُ

يَـبِـيـتُ يُـجَـافِـي جَـنْـبَـهُ عَـنْ فِـرَاشِـهِ إِذَا اسْتُثْقِلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: داعين الله خوفاً من سخطه، وطمعاً في رحمته. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: المال في وجوه الخير. قيل: المراد: الزكاة المفروضة. وقيل: التطوع زيادة على الزكاة المفروضة، وهذا القول أمدح.

هذا؛ وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأجلها أربعة أقوال: أحدها: التنفل بالليل، قاله الجمهور من المفسرين، وعليه أكثر الناس، وهو الذي فيه المدح. الثاني: أن المراد به صلاة العشاء. الثالث: أن المراد التنفل ما بين المغرب، والعشاء. الرابع: أن المراد صلاة العشاء، والصبح في جماعة. والأول أقوى الأربعة، وها أنذا أذكر أحاديث شريفة ترغب في الأربعة:

أولاً: بالنسبة للتنفل في الليل انظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٨ و٧٩] من سورة (الإسراء)، وما ذكرته في الآية رقم [٦٤] من سورة (الفرقان) وخذ ما يلي:

فعن أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ: أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا جمَعَ اللهُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ يومَ القيامةِ؛ جاءَ مُنادٍ، فنادَى بِصَوْتٍ تَسْمَعُهُ الخلائقُ كُلُّهُمْ: سيعلمُ أهلُ الجمعِ الْيَوْمَ مَنْ أَوْلَى الناسِ بالكرمِ، لِيَقُمِ الذينَ كانَتْ تتجافى جنوبُهُمْ عنِ المضاجعِ، فيقومون؛ وهمْ قليلٌ. ثُمَّ يُنادي الثانية: ستعلمونَ اليومَ مَنْ أولى الناسِ بالْكَرَمِ، لِيَقُمِ الَّذِينَ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ، وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذكرِ اللهِ، فيقومونَ. ثُمَّ يُنادي الثالثةَ: ستعلَمُونَ الْيَوْمَ مَنْ أولَى الناسِ بالكرَمِ، لِيَقُمِ الحامدونَ للهِ عَلَى كل حالٍ في السرَّاءِ، والضرَّاءِ، فيقومونَ؛ وهمْ قليلٌ. فيُسَرَّحونَ جَميعاً إلَى الجنةِ، ثُمَّ يحاسب سائِرُ الناس**».

وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكُمْ بقيامِ اللَّيْلِ، فإنه دَأْبُ الصالِحينَ قبلكُمْ، وَمَقْرُبَةٌ لكُمْ إلى ربكُمْ، ومكْفَرَةٌ للسيِّئاتِ، ومنهاةٌ عنِ الإِثْمِ، ومطردَةٌ للداءِ عنِ الجسدِ**». رواه الطبراني. وفي رواية أخرى قريبة منها، رواها الترمذي عن أبي أمامة الباهلي، رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحِمَ اللهُ رجلاً قامَ مِنَ الليلِ، فصلَّى، وأيقظَ امرأتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نضحَ في وَجْهِها الماءَ. ورحِمَ اللهُ امرأةً قامتْ مِنَ الليلِ،**

فصَلَّتْ، وأيقظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نضحَتْ في وجهِهِ الْمَاءَ». رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهما، والحاكم.

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ في اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لا يوافِقُهَا رجلٌ مُسْلِمٌ يسَأَلُ الله خيْراً مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا؛ والآخِرةِ إِلَّا أعْطَاهُ إِيَّاهُ، وذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**». رواه مسلم.

وقد ذكر: أن أبا ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ وقف يوماً عند الكعبة في حجة حجها، أو عمرة اعتمرها، فاكتنفه الناس، فقال لهم: لو أن أحدكم أراد سفراً، أليس يعد زاداً؟ فقالوا: بلى! فقال: سفر يوم القيامة أبعد مما تريدون، فخذوا ما يصلحكم. فقالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يوماً شديداً حره ليوم النشور، وصلوا في الليل لوحشة القبور. انتهى. زيني دحلان.

ثانياً: بالنسبة للتنفل ما بين المغرب، والعشاء فخذ ما يلي: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى بعدَ المغربِ سِتَّ رَكَعَاتٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فيما بَيْنَهُنَّ؛ عُدِلْنَ بعبادَةِ ثِنْتَيْ عشرةَ سَنَةً**». رواه ابن ماجه، وابن خزيمة، والترمذي، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**من صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ عِشْرِينَ رَكْعَةً بَنَى الله له بَيْتاً في الْجَنَّةِ**». وفي رواية أخرى: «**مَنْ ركعَ عشْرَ ركَعاتٍ بيْنَ المغربِ والعشاءِ؛ بُني لهُ قصْر في الجنة**». فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إذاً تكثرُ قصورُنا، وبُيُوتنا يا رسول اللهِ؟! فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُ أكبرُ، وأفضَلُ**»، أو قال: «أطْيَبُ». وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: صلاة الأوابين الخلوة التي بين المغرب، والعشاء حتى يثوب الناس إلى الصلاة. وكان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يصلي في تلك الساعة، ويقول: صلاة الغفلة بين المغرب والعشاء.

ثالثاً: بالنسبة لصلاة العشاء والصبح في جماعة؛ فخذ ما يلي: فعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ في جماعةٍ؛ فكَأَنَّمَا قامَ نِصفَ الليْلِ. ومَنْ صَلَّى الصُّبْحَ في جماعةٍ؛ فكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**». رواه مالك، ومسلم، ورواه أبو داود، والترمذي مع اختلاف في بعض ألفاظه. وفي حق المتقاعسين عن هاتين الصلاتين في الجماعة يقول الرسول ﷺ: «**إنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى المنافقِينَ صلاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الفجرِ في الْجَمَاعَةِ، وَلَوْ يعلَمُونَ ما فِيهِمَا؛ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً... إلخ**». أخرج الحديث بطوله البخاري، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فائدة، وطرفة: ـ تتعلق بالأبيات السابقة فخذها ـ كما يلي: أخرج ابن عساكر عن الهيثم بن عدي قال: ذكروا: أن عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ ابتاع جارية، وكتم ذلك عن امرأته، وقد بلغها. فقالت له ذات يوم، وبلغها: أنه كان عندها: إنه بلغني عنك أنك ابتعت جارية، فقال

لها: ما فعلت، قالت: بلى! وقد بلغني أنك كنت عندها اليوم، ولا أحسبك إلا جنباً، فإن كنت صادقاً؛ فاقرأ آيات من القرآن، فقال: [الوافر]

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَا
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الماءِ طَافٍ وفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَا
وتَحْمِلُهُ مَلائِكَةٌ كِرامٌ مَلائِكَةُ الإِلهِ مُقَرَّبِينَا

قالت: أما إذا قرأت القرآن؛ فإني قد عرفت: أنه مكذوب عليك. قال: فافتقدته ذات ليلة، فلم تجده على فراشها، فلم تزل تطلبه حتى رأته في ناحية الدار، فقالت: الآن صدَّقْتُ ما بلغني، فجحدها فقالت: اقرأ آياتٍ من القرآن؛ إن كنت صادقاً، فقال: [الطويل]

أَتَانَا رسولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ .... الأبيات الثلاثة

فحدث رسول الله ﷺ بذلك، فضحك حتى رَدَّ يده على فيه، وقال: هذا لعمري من معاريض الكلام، يغفر الله لك يا بن رواحة! إن خيارَكمْ خيرُكُمْ لِنِسَائِهِ، فأخبرني ما الذي ردت عليك، حيث قلت ما قلت؟ قال: قالت لي: أما إذا قرأت القرآن فإني أتهم ظني، وأصدقك، فقال رسول الله ﷺ: لقد وجدتها ذات فقه في الدين. انتهى. سيوطي شرح شواهد المغني.

الإعراب: ﴿تَتَجَافَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿جُنُوبُهُمْ﴾: فاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿رَبَّهُمْ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿خَوْفًا﴾: مفعول لأجله، أو هو حال على حذف المضاف، التقدير: ذوي خوف، وذوي طمع، وأجيز اعتباره مفعولاً مطلقاً لعامل مقدر، وهو ضعيف، وجملة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال ثانية من واو الجماعة، أو هي حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، فتكون حالاً متداخلة، واستئنافها ضعيف. ﴿وَمِمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (مما): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ(من). ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية صلة: (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي، أو من شيء رزقناهم إياه؛ لأن الفعل رزق ينصب مفعولين، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (من)، التقدير: من رزقنا إياهم المال. ﴿يُنفِقُونَ﴾: فعل مضارع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يَدْعُونَ...﴾ إلخ.

﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾

الشرح: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم﴾ أي: للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويقرأ الفعل: ﴿أُخۡفِيَ﴾ بقراءات كثيرة. ﴿مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ أي: مما تقر به عيونهم، يحتمل أن تكون من القرار، وهو: السكون والهدوء، ويحتمل أن تكون من القر، وهو الأشهر، والقرُّ: البرد؛ لأن العرب تتأذى بالحر، وتستريح إلى البرد، وأيضاً: فإن دمع السرور بارد، ودمع الحزن ساخن، فمن هذا يقال: أقر الله عينك، وأسخن الله عين العدو، قال الشاعر: [الطويل]

فَكَمْ سَخِنَتْ بِالأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرةٌ وَقَرَّتْ عُيُونٌ دَمْعُهَا الْيَوْمَ سَاكِبُ

وضعَّف ناس هذا، وقالوا: الدمع كله حار، فمعنى «أقر الله عينه» أي: سكن الله عينه بالنظر إلى من يحبه حتى تقر، وتسكن، وإذا أريد بهذه الجملة الدعاء؛ فيكون المعنى: أقر الله عينه، أي: أسكنها بالموت، فيكون الفعل من الأضداد، وفلان قرة عيني، أي: تسكن نفسي بقربه، قالت ميسون بنت بحدل الكلبية: [الوافر]

ولُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

وقد وحد ﴿قُرَّةِ﴾؛ لأنه مصدر، والمصدر يصلح للمفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر والمؤنث، وإنما قال: ﴿أَعۡيُنٖ﴾ وهو جمع قلة بخلاف عيون، وهو جمع كثرة؛ لأنه أراد أعين المؤمنين المخلصين، والمتقين الخاشعين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: جوزوا جزاء عظيماً بسبب ما عملوا من الطاعات، فأخفى أولئك أعمالهم من أعين الناس، فأخفى الله جزاءهم، فلا يعلم مقداره ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وفي معنى هذه الآية قال النبي ﷺ: «**قال اللهُ عز وجلَّ: أعددْتُ لِعبادِي الصالحينَ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ، ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خطَر عَلى قلْبِ بَشَرٍ**». ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ إلى قوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. خرجه الصحيح من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه. انتهى. قرطبي، وأسنده الخازن إلى أبي هريرة، رضي الله عنه، وقال: متفق عليه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: في التوراة مكتوب: «**عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضاجِعِ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**». وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الأَمْرُ في هذا أَجَلُّ وأعظَمُ مِنْ أَنْ يُعرفَ تَفْسِيرُهُ.

وعن أبي عبيدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ: إنه مكتوب في التوراة: لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم

يخطر على قلب بشر، ولا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، قال: ونحن نقرؤها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ...﴾ إلخ.

هذا؛ وقال الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: والمراد: لا تعلم نفس ما أخفي لهم علماً تفصيلياً، وإلا فنحن نعلم ما أعد الله للمؤمنين إجمالاً من حيث: إنه غرف في الجنة، وقصور، وأشجار، وأنهار، وملابس، ومآكل، وحور عين، وغير ذلك. انتهى. أقول: وهذا تحدث عنه القرآن في كثير من السور. هذا؛ وذكرت في سورة (الزخرف) رقم [٧١] بحثاً جيداً يتعلق ببلاغة القرآن، وفصاحته مع مقارنته بكلام الرسول ﷺ؛ الذي هو أفصح البشر على الإطلاق.

هذا؛ و﴿أَعْيُنٍ﴾ جمع: عين، وهو جمع قلة كما رأيت، وجمع الكثرة: عيون، وأعيان، والثاني غير مشهور، وقليل الاستعمال، والمراد هنا: الأعين الباصرة، وتطلق العين على الماء الخارج من الأرض، وعلى الجاسوس، كما في قولك: بث الأمير عيونه في المدينة، أي: جواسيسه، كما تطلق على ذات الشخص، كما في قولك: جاء محمود عينه، وعين الشيء: خياره، وتطلق على النقد من ذهب، وغيره، وإليك قول الشاعر: [البسيط]

وَاسْتَخْدَمُوا الْعَيْنَ مِنِّي وَهْيَ جَارِيَةٌ وَقَدْ سَمَحْتُ بِهَا أَيَّامَ وَصْلِهِمُو

فالمراد بالعين: ذاته. والمراد بجارية: عينه التي تجري بالدمع، والمراد بقوله: بها نقد الذهب، وهذا يسمى في فن البديع استخداماً. وتطلق على المطر الهاطل من السحاب، قال عنترة: [الكامل]

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ

هذا؛ وأعيان القوم: أشرافهم، وبنو الأعيان: الإخوة ومِنَ الأبوين.

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (لا): نافية. ﴿تَعْلَمُ﴾: فعل مضارع. ﴿نَفْسٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿مَّآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أُخْفِىَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَّآ﴾، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّآ﴾، أو صفتها. هذا؛ ويقرأ الفعل ببنائه للمعلوم على أن الفاعل يعود إلى: (الله)، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّآ﴾ أوصفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: فلم تعلم نفس الذي، أو: شيئاً أخفاه الله لهم، ويقرأ الفعل بصيغة المضارع: (نخفي) وعليه فالفاعل تقديره: «نحن»، والجملة صلة... إلخ، والتقدير: فلا تعلم نفس الذي، أو شيئاً نخفيه لهم، كما يقرأ بصيغة المضارع المبني للمجهول (ما يُخفى) هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَّآ﴾ استفهامية مبتدأ، والجملة الفعلية في محل رفع خبره، وذلك على اعتبار الفعل ماضياً، وفي محل نصب مفعول به مقدم على اعتبار الفعل مضارعاً، والجملة على الاعتبارين في محل نصب سدت مسد مفعول ﴿تَعْلَمُ﴾ المعلق عن العمل لفظاً بسبب ﴿مَّآ﴾

الاستفهامية. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن قُرَّةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل، أو من ﴿مَّآ﴾ نفسها، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم فيها، و﴿قُرَّةِ﴾ مضاف، و﴿أَعْيُنٍ﴾ مضاف إليه. ﴿جَزَآءً﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف، تقديره: جوزوا جزاء، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الضمير المجرور باللام، كما يجوز اعتبار ﴿جَزَآءً﴾ حالاً منه على تأويله بـ: مجازين، وأجيز اعتباره مفعولاً لأجله. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿جَزَآءً﴾، أو بالفعل المقدر، و: ﴿مَّآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية على مثال ما رأيت في الآية رقم [١٤] قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ أي: كامل الإيمان بالله، ورسوله، وكتابه، واليوم الآخر، والملائكة، راضياً بقضاء الله وقدره، مؤدياً لله ما أوجب عليه، منتهياً عما نهاه عنه. ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾: خارجاً عن الإيمان، مقصراً بواجبات الله، مرتكباً ما نهى الله عنه. ﴿لَّا يَسْتَوُونَ﴾: لا يكونون عند الله بمنزلة ودرجة واحدة، والمراد: جنس المؤمنين، وجنس الفاسقين، ولم يرد مؤمناً واحداً، ولا فاسقاً واحداً، ومعنى الآية مثل قوله تعالى في سورة (الجاثية) رقم [٢١]: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً...﴾ إلخ، وأيضاً قوله تعالى في سورة (ن) رقم [٣٥]: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ وينبغي أن تعلم: أن الفعل (يستوي) من الأفعال التي لا يكتفى فيها بواحد، فلو قلت: استوى زيد لم يصح، فمن ثَمَّ لزم العطف على الفاعل، أو تعدده، كما في الآية الكريمة.

هذا؛ وقد نزلت الآية في علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ والوليد بن عقبة بن أبي معيط، كان بينهما تنازع، وكلام في شيء، فقال الوليد لعلي: اسكت فإنك صبي، وأنا شيخ، والله إني أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة! فقال له علي ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ: اسكت! فإنك فاسق، فأنزل الله هذه الآية. هذا؛ ولا غرابة في إطلاق الفسق على الوليد، فقد صرحت آية (الحجرات) رقم [٦] بفسقه، وذلك لما تعرفه هناك من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن، ويحتمل أن تطلق الشريعة ذلك عليه؛ لأنه كان على طرف من الإيمان، وهو الذي شرب الخمر في زمن عثمان رضي الله عنه، وصلى الصبح بالناس، ثم التفت، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟ ونحو هذا مما يطول ذكره.

هذا؛ والفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله بارتكاب المعاصي، وله ثلاث درجات: الأولى: التغابي وهو أن يرتكب الكبيرة أحياناً مستقبحاً إياها. والثانية: الانهماك، وهو: أن يعتاد ارتكابها، غير مبال بها. والثالثة: الجحود، وهو أن يرتكبها مستصوباً إياها، فإذا شارف

هذا المقام، وتخطى خططه؛ خلع ربقة الإيمان من عنقه، ولابس الكفر، وما دام في درجة التغابي، أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق؛ الذي هو مسمى الإيمان. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام داخلة على مقدر محذوف، أي: أفبعد ما بينهما من التفاوت والتباين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه، كالفاسق الذي ذكرت أحواله. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود. الفاء: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى (من)، وهو العائد. ﴿مُؤْمِنًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية صلة: (من)، لا محل لها. ﴿كَمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وإن اعتبرت الكاف اسماً فهي الخبر، وتكون مضافة، و(من) اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَانَ فَاسِقًا﴾ صلة (من)، لا محل لها، والكلام ﴿أَفَمَن...﴾ إلخ مستأنف لا محل له. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَسْتَوُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية ومتعلقه محذوف، التقدير: لا يستوون في المآل، أو عند الله: مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: نوع من الجنات تأوي إليها أرواح المؤمنين. ﴿نُزُلًۢا﴾: هو ما يعد للنازل؛ أي: للضيف من طعام، وشراب، وإكرام. قال أبو السعد الضبي: [الطويل]

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ بَالْجَيْشِ ضَافَنَا … جَعَلْنَا الْقَنَا والْمُرهَفَاتِ لَهُ نُزُلَا

هذا؛ وأجيز اعتباره أن يكون جمع: نازل، كما قال الأعشى في معلقته رقم [٦٧]: [البسيط]

إِنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا … أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

ولا وجه له البتة. ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب أعمالهم، وليس المراد السبب الحقيقي، حتى يخالف نص الحديث الشريف، وفحوى هذا: أن نص الآية وغيرها كثير مثلها يفيد: أن دخول الجنة بسبب الأعمال الصالحة، والرسول ﷺ يقول: «**لَنْ يُدْخِلَ أحداً عَمَلُهُ الجنَّةَ**». قالُوا: ولا أنت يا رسولَ اللهِ، قَالَ: «**وَلَا أَنَـا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَني اللهُ بفضْلِهِ، ورَحْمَتِهِ، فَسَدِّدُوا، وقَارِبُوا. . .إلخ**». أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وقد قال تعالى في سورة (الأعراف) الآية رقم [٤٣]: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ومثلها في الزخرف رقم [٧٢].

والجمع بين هذه الآيات، والحديث الشريف بأنَّ محمل آية (الأعراف) وآية (الزخرف) على أن منازل الجنة إنما تنال بالأعمال؛ لأن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال، وأن

محمل الحديث على أصل دخول الجنة. فإن قيل: آية (السجدة) التي الكلام فيها صريحة في أن دخول الجنة أيضاً بالأعمال؛ أجيب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث الشريف، والتقدير: ادخلوا منازل الجنة، وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد أصل الدخول. أو المراد: ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم، وتفضله عليكم؛ لأن اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخولها حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته، وفضله، لا إله إلا هو له الملك، وله الحمد. انتهى. حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة.

الإعراب: ﴿أَمَّا﴾: انظر الآية رقم [١٥] من سورة (الروم). ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنُواْ﴾ فعل، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. (عملوا): ماض، وفاعله. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَلَهُمۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿أَمَّا﴾. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جَنَّٰتُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة مفرعة عما قبلها، لا محل لها. ﴿نُزُلَۢا﴾: حال من: ﴿جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ أي: حالة كونها مهيأة ومعدة لهم، كما يعد ما يحصل به الإكرام للضيف.

﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نُزُلَۢا﴾، أو بمحذوف صفة له، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص، مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُواْ...﴾ إلخ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو: بشيء كانوا يعملونه، وعلى اعتبار: (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملهم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾

الشرح: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ أي: خرجوا عن طاعة الله تعالى، وارتكبوا المعاصي، والمنكرات. ﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾: مقرهم، وملجؤهم، ومصيرهم النار. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ أي: إذا دفعهم لهب النار إلى أعلاها، ردوا إلى موضعهم فيها؛ لأنهم يطمعون

بالخروج منها، ولا خروج. قيل: إن جهنم لتجيش بهم، فتلقيهم إلى أعلاها، فيريدون الخروج منها، فتضربهم الملائكة الزبانية بمقامع الحديد، فيهوون فيها سبعين خريفاً. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: القائل هو الله، أو الملائكة. ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: لا تقرون به، ولا تصدقونه. هذا؛ وانظر التقسيم، والمقابلة في الآية رقم [١٥] من سورة (الروم)، وأخيراً فالتعبير بالأفعال الماضية عن شيء مستقبل إنما هو لتحقق وقوعه، وهذا التعبير مستعمل في القرآن الكريم بكثرة، وانظر (الذوق) في الآية رقم [٥٥] من سورة (العنكبوت).

تنبيه: ﴿ٱلَّذِى﴾ يقع هنا صفة لـ: ﴿عَذَابَ﴾، وجوز أبو البقاء أن يكون صفة لـ: ﴿ٱلنَّارِ﴾ قال: وذكر على معنى الجحيم، أو الحريق، قال ذلك هنا، وقال في سورة (سبأ) رقم [٤٢]: ﴿ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ فذكَّر الوصف، والضمير هنا، نظراً للمضاف، وهو العذاب، وأنَّثهما في سورة (سبأ) نظراً للمضاف إليه، وهو ﴿ٱلنَّارُ﴾. وخص ما هنا بالتذكير؛ لأن ﴿ٱلنَّارِ﴾ وقعت موقع ضميرها، لتقدم ذكره، والضمير لا يوصف، فناسب التذكير، وفي سورة (سبأ) لم يتقدم ذكر «النار» ولا ضميرها فناسب التأنيث، انتهى. جمل نقلاً من كرخي. وانظر ما ذكرته في آية (سبأ).

الإعراب: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ﴾: الفاء: واقعة في جواب (أما). (مأواهم): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلنَّارُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿كُلَّمَآ﴾: (كل): ظرفية متعلقة بجوابها؛ إذ هي تحتاج إلى جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. (ما): مصدرية توقيتية. ﴿أَرَادُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب واستقبال. ﴿يَخْرُجُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، و(ما) والفعل أراد في تأويل مصدر في محل جر بإضافة (كل) إليه، التقدير: كل وقت إرادة، وهذا التقدير، وهذه الإضافة هما اللذان سببا الظرفية لـ: (كل). وقيل: (ما) نكرة موصوفة، والجملة الفعلية بعدها صفة لها، وهي بمعنى: وقت أيضاً. ﴿مِنْهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أُعِيدُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ جواب: ﴿كُلَّمَآ﴾ لا محل لها، و﴿كُلَّمَآ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

(قيل): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ذُوقُواْ﴾: فعل أمر للإهانة مبني على حذف النون، والواو فاعل، والألف للتفريق. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في

محل نصب صفة: ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، وجملة: «تكذبون به» في محل نصب خبر: (كان). وجملة: ﴿كُنتُم...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. وجملة: ﴿ذُوقُواْ...﴾ إلخ في محل رفع نائب فاعل: (قيل)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١] من سورة (لقمان)، وجملة: ﴿وَقِيلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ لا محل لها مثلها.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: عذاب الدنيا، يريد ما محنوا به من الجدب سبع سنين، والقتل، والأسر. وقال ابن عباس، وغيره: العذاب الأدنى: مصائب الدنيا، وأسقامها مما يُبْتَلى به العبيد حتى يتوبوا، فعلى الأول هو خاص بأهل مكة، وعلى الثاني هو عام في جميع الناس إلى يوم القيامة، وهو الأولى، ولكن الناس في هذه الأيام، وما قبلها لا يتعظون بما ينزل بهم من أنواع البلاء؛ بل هم مستمرون في غيهم، ولا يرتدعون ولا ينزجرون؛ ولم يعلموا أن ما ينزل بهم من أنواع البلاء إنما هو بسبب أعمالهم السيئة. وخذ ما يلي:

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خمسُ خِصَالٍ إذا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ـ وأعوذُ بالله أن تُدْرِكُوهُنَّ ـ: لَمْ تظْهَرِ الفَاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطُّ؛ حتَّى يُعْلِنُوا بِهَا؛ إِلَّا فَشَا فِيهِم الطاعون، والأوجاعُ التي لم تكنْ مَضَتْ في أسلافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكيَالَ، والميزانَ؛ إِلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ، وَشدَّةِ الْمَؤُونَةِ، وجَوْرِ السلطان عليهم. وَلَمْ يمنعوا زكاة أمْوَالِهِمْ؛ إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. ولَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وعهدَ رسُولِهِ؛ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عليهِمْ عَدُوّاً من غيْرِهِمْ، فأخذُوا بعْضَ ما فِي أَيْدِيهِمْ، ومَا لَمْ تحْكُمْ أَئِمتُهُم بكتابِ اللهِ، وَيَتَخيَّرُوا فِيمَا أَنْزَلَ الله إِلَّا جعلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**». رواه ابن ماجه، والحاكم، والبيهقي. هذا؛ و﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هنا بمعنى الأصغر، أو: الأقرب، و﴿دُونَ﴾ بمعنى: قبل هنا.

والعجب العجاب: أن كل إنسان يتألم لما أصاب المسلمين من ذل، وهوان، ويعترف: أن ما أصاب المسلمين في هذه الأيام إنما هو بسبب المعاصي، والمنكرات، والخروج عن طاعة الله. وأعجب من ذلك: أن كل واحد ينظر إلى أعمال غيره السيئة، ويتحرق غيظاً، ويندب الإسلام لما هدم من تعاليمه، ولكنه غارق في الظلم، والمعاصي، وخائض في الباطل إلى حافة الأذقان، ولا ينظر إلى سوء أعماله، وقبيح أفعاله، ورحم الله الكميت؛ إذ يقول: [الطويل]

كَلَامُ النَّبِيِّينَ الْهُدَاةِ كَلَامُنَا ... وَأَفْعَالَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ نَفْعَلُ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لعل من بقي منهم يتوبون من الكفر، ويرجعون عن غيهم، وضلالهم، وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٣].

الإعراب: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله. والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (نذيقنهم): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: «نحن». ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾: صفة ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ مجرورة مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿دُونَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من ﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾، و﴿دُونَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْأَكْبَرِ﴾: صفة العذاب، وجملة: (لنذيقنهم...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه، وجملة: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فيها معنى التعليل لإذاقتهم العذاب.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ إلخ: قال الجمل: هذا بيان إجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالإعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود، والتسبيح، وكلمة ﴿ثُمَّ﴾ لاستبعاد الإعراض عنها عقلاً مع غاية وضوحها، وإرشادها إلى سعادة الدارين. انتهى. نقلاً من أبي السعود.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم. ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بآيات القرآن. وقيل: ذكر بدلائل وحدانيته، وإنعامه عليه، فلم يتفكر فيها، ولم ينتفع بما فيها. ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾: مستكبراً كأن في أذنيه وقراً، وثم لاستبعاد الإعراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها، وإنارتها، وإرشادها إلى سواء السبيل، والفوز بالسعادة العظمى، بعد التذكير بها مستبعد في العقل، كما تقول لصاحبك: وجدت منك تلك الفرصة، ثم لم تنتهزها! استبعاداً لتركه الانتهاز، ومثله: «ثم» في بيت الحماسة وهو لجعفر بن علبة الحارثي. [الطويل]

وَلَا يَكْشِفُ الْغَمَّاءَ إِلَّا ابنُ حُرَّةٍ ... يَرَى غَمَراتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

فإنه استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها، أي: لا يكشف الخصلة الشديدة إلا رجل كريم يرى غمرات الموت، ثم يتوسطها ولا يعدل عنها، وإنما قال: ابن حرة؛ ليثير حميته، وشجاعته، وإقدامه. ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾: لم يقل: منه؛ لأنه إذا جعله أعظم من كل ظالم، ثم وعد المجرمين عامة بالانتقام منهم، فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام، ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة. انتهى. نسفي.

بعد هذا خذ آية الكهف رقم [٥٧] فإنها أبلغ في الزجر، وآلم في التقريع، والتوبيخ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾.

الإعراب: ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِمَّن﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَظْلَمُ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿ذُكِّرَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: (مِنْ)، وهو العائد، أو الرابط. ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(آيات) مضاف، و﴿رَبِّهِۦ﴾ مضاف إليه. والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية: ﴿ذُكِّرَ...﴾ إلخ صلة: (مَنْ) أو صفتها، وجملة: ﴿أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ معطوفة عليها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُنتَقِمُونَ﴾: خبر: (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة. ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾: في ريب، وشك. ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾: من لقاء كتاب موسى، ومعناه: إنا آتينا موسى ـ عليه السلام ـ مثل ما آتيناك من الكتاب، ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي، فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله، ولقيت نظيره، كقوله تعالى في سورة (يونس) رقم [٩٤]: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَۚ﴾.

أو المعنى: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب. أو المعنى: فلا تكن في شك من لقائك موسى، عليك يا محمد، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وهذا اللقاء كان في ليلة الإسراء والمعراج. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فعنه ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**رأيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسى رَجُلاً آدَمَ طِوالاً جَعْداً، كَأَنَّهُ من رِجَالِ شَنُوءَةَ، ورَأَيْتُ عِيسى رَجُلاً مربُوعاً، مَرْبُوعَ الخلقِ إلى الْحُمْرَةِ، وإلى البياضِ، سبْطَ الشعرِ، ورأيتُ مالكاً خازنَ النارِ، والدجَّالَ في آياتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إيَّاهُ**». متفق عليه. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾: في هذا الضمير وجهان، كما في سابقه: أحدهما:

جعلنا الكتاب. قاله الحسن، والثاني: جعلنا موسى. قاله قتادة. هذا؛ وقيل: الضمير يعود إلى ملك الموت لتقدم ذكره. وقيل: يعود على الرجوع المفهوم من قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾. وقيل: يعود على ما يفهم من سياق الكلام مما ابتلي به موسى من البلاء، والامتحان؛ أي: لا بد أن تلقى ما لقي موسى من قومه. وهذه أقوال ضعيفة ذكرتها للتنبيه على ضعفها، وأظهرها: أن الضمير إما لموسى، وإما للكتاب. انتهى. جمل نقلاً عن السمين بتصرف مني.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم يعتبرها حرف استئناف، ويعتبر: أن الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف واو القسم، والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو: وأقسم والله. اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف، وبعضهم يقول: موطئة للقسم، والموطئة معناها: المؤذنة، وهذه اللام إنما تدخل على «إن» الشرطية لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر) افهم هذا؛ واحفظه، فإنه جيد. فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به، وبقاء حرف القسم. فالجواب: أنه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور، مثل قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾. ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ وغير ذلك فإن التقدير: ورب الضحى! ورب السماء!. . . إلخ، والدليل: التصريح به في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٣] من سورة (الذاريات)، وحذف المقسم به ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾ إلخ الآية رقم [٧١] من سورة (مريم). وأظهر منه في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية رقم [٧٣] من سورة (المائدة)، فالواو في الآيتين حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف بلا ريب. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿آتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مُوسَى﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية (لقد آتينا. . .) إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم، وجوابه كلام مستأنف، لا محل له.

﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً؛ فلا. . . إلخ. (لا): ناهية. ﴿تَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لا)، واسمه ضمير مستتر فيه تقديره: أنت. ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿تَكُن﴾. ﴿مِّن لِّقَائِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مِرْيَةٍ﴾، أو بمحذوف صفة لها، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. وقيل: من إضافة المصدر

لفاعله، وجملة: ﴿فَلَا تَكُن...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء؛ لأنها معترضة بين الجملتين المتعاطفتين. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾: الواو: حرف عطف. (جعلناه): فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿هُدًى﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿لِّبَنِىٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿هُدًى﴾، أو بمحذوف صفة له، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(بني) مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (قد آتينا...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: قادة يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات، و﴿أَئِمَّةً﴾: جمع: إمام، سمي بذلك؛ لأنه يؤتم به في الأفعال، فهنيئاً لمن كان إماماً في الخير! وويل لمن كان إماماً في الشر! قال تعالى في حق فرعون، وأشياعه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ...﴾ إلخ الآية رقم [٤١] من سورة (القصص).

هذا؛ ويقال: أئمة، وأيِمَّة، والثاني جائز عربية لا قراءة، وشرحه: أنَّ أصله «أَأْمِمَة» ولكن لما اجتمع المثلان، وهما الميمان، أدغمت الأولى في الثانية، ونقلت حركتها على الهمزة، فصار أئمة بهمزتين، فأبدل من الهمزة المكسورة ياء كراهة اجتماع الهمزتين.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون الناس إلى التوحيد، وعبادة الإله الحميد المجيد بما أنزلنا عليهم من الوحي المتضمن للأمر، والنهي. ثم قيل: المراد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقيل: المراد: الفقهاء، والعلماء من بني إسرائيل الذين جاؤوا بعد موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ومعنى بأمرنا بتوفيقنا إياهم لما نأمرهم به.

﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾: على طاعة الله، وعلى البلاء؛ الذي أصابهم، يقرأ بفتح اللام، وتشديد الميم، ويقرأ بكسر اللام، وتخفيف الميم. ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾: المراد بالآيات: التوراة، أو ما تضمنته من الأحكام، ومعنى ﴿يُوقِنُونَ﴾: يؤمنون إيماناً صادقاً، ويعلمون علماً يقيناً، لا يخالجه شك.

وأخيراً: أما الصبر: فهو حبس النفس عن الجزع عند المصيبة، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، وهو مر المذاق، يكاد لا يطاق، إلا أنه حلو العواقب، يفوز صاحبه بأسنى المطالب، كما قال القائل: [البسيط]

الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ لكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

وبالجملة فنفع الصبر مشهور، والحض عليه في الكتاب، والسنة مقرر مسطور، وهو على ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر على المعصية، وصبر على البلاء. ولا تنس: أن من أسماء الله تعالى: الصبور، وفسر بالذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. هذا؛ وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلباً لمرضاته، وهذا هو الصبر المحمود، وهو أن يكون الإنسان صابراً لوجه الله تعالى، راضياً بما نزل به من الله، طالباً بذلك الصبر ثواب الله تعالى، محتسباً أجره على الله، فهذا هو الصبر الذي يدخل صاحبه رضوان الله، وأما إذا صبر الإنسان؛ ليقال: ما أكمل صبره! وما أشد قوته على تحمل النوائب! أو يصبر؛ لئلا يعاب على الجزع، أو يصبر؛ لئلا تشمت به الأعداء، فهذا كله مذموم، لا ينيل صاحبه الدرجات العلى، والمقام الرفيع عند الله، وقد يعرضه لشديد غضب الله، ونقمته.

ثم اعلم: أن الصبر ذكر في القرآن الكريم في خمسة وتسعين موضعاً، ومن أجمعها آية (البقرة) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ...﴾ إلخ الآية رقم [١٥٥] وما بعدها من سورة (البقرة)، ومن آنقها قوله تعالى في سورة (ص) في حق أيوب ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ قرن هاء الصبر بنون العظمة، ومن أبهجها قوله تعالى في سورة (الرعد): ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾، وقال: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾، وقال: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾. فقالوا: الصبر الجميل هو الذي لا شكاية معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذية معه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠] من سورة (الزمر).

الإعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَئِمَّةً﴾ كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليه صار حالاً» وقيل: الجار والمجرور مفعول به ثان تقدم على الأول، وهو غير وجيه. ﴿أَئِمَّةً﴾: مفعول به. ﴿يَهْدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿أَئِمَّةً﴾. ﴿بِأَمْرِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين متعلق بالفعل: ﴿يَهْدُونَ﴾، وقال الجمل: وجوابها محذوف دل عليه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾، أو هو نفسه الجواب، والتقدير: ولما صبروا؛ جعلنا منهم أئمة، وأرىٰ أن لا جواب لها.

هذا؛ وعلى قراءة كسر اللام، فاللام حرف جر، و(ما): مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر باللام، التقدير: لصبرهم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَهْدُونَ﴾، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَكَانُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (كانوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يُوقِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: (كان)، وجملة: ﴿وَكَانُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿صَبَرُوا۟﴾ على الاعتبارين فيها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ...﴾ إلخ: أي يقضي، ويحكم بين المؤمنين، والكافرين، فيجازي كلاً بما يستحق. وقيل: المعنى يميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل. ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: من أمر الدين، وأمر الواحد القهار، والخطاب في الآية للنبي ﷺ، ويعم كل عاقل من بني آدم، وقول الله تعالى في الآية رقم [١٤] من سورة (الروم) ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ يوضح معنى هذه الآية، وأمثالها.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة، أوجه: أحدها: كونه ضمير فصل لا محل له من الإعراب. وثانيها: كونه توكيداً لاسم: ﴿إِنَّ﴾ على المحل، وعليهما فالجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. وثالثها: كونه مبتدأ، والجملة الفعلية في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿يَفْصِلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر، تقديره: هو يعود إلى: ﴿رَبَّكَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، أو في محل رفع خبر المبتدأ، الذي هو الضمير، كما رأيت. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله أيضاً، وقيل: متعلق بمحذوف حال ولا وجه له قطعاً. و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿فِيمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَفْصِلُ﴾ أيضاً، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ(في). ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بـ(في).

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ...﴾ إلخ : أي : أولم يتبين لأهل مكة خبر من أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم؛ إذا سافروا، وخرجوا في التجارة لطلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية، والقرون الخالية خاوية من أهلها، كقوم عاد، وثمود، وقوم لوط، أفلا يخافون أن يحل بهم ما حل بالمكذبين قبلهم من الهلاك، والانتقام. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ : لدلالات واضحة، وبراهين ساطعة على قدرتنا، ووحدانيتنا. ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ : سماع قبول، وسماع تدبر، واتعاظ.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾ : الهمزة : حرف استفهام توبيخي. الواو : عاطفة على محذوف، تقديره : أغفلوا، ولم يتبين لهم. (لم) : حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَهْدِ﴾ : فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. وفي الفاعل أقوال كثيرة، قال ابن هشام في مغنيه بعد أن رد قول ابن عصفور : إن ﴿كَمْ﴾ فاعل : مردود بأن ﴿كَمْ﴾ لها الصدر، فقال : وإنما الفاعل ضمير اسم الله تعالى، أو ضمير العلم، أو الهدى المدلول عليهما بالفعل، أو جملة : ﴿أَهْلَكْنَا﴾ على القول بأن الفاعل يكون جملة، وجوز أبو البقاء كونه ضمير الإهلاك المفهوم من الجملة، وليس هذا من المواطن التي يعود الضمير فيها على المتأخر. انتهى.

هذا؛ واعتبر الجلال الفاعل المصدر المأخوذ من : ﴿أَهْلَكْنَا﴾ واعتذر عن ذلك بقوله : وما ذكر من أخذ إهلاك مِنْ فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه. ﴿لَهُمْ﴾ : جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَمْ﴾ : خبرية بمعنى : كثير مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. هذا؛ ويقرأ الفعل : (نهد) بالنون، فيكون الفاعل مستتراً وجوباً تقديره : «نحن». ﴿أَهْلَكْنَا﴾ : فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به للفعل ﴿يَهْدِ﴾ وقد علق عن العمل فيها لفظاً بسبب ﴿كَمْ﴾؛ لأنها تعلق خلافاً لأكثرهم. قاله ابن هشام في المغني. أو في محل رفع فاعل على حسب ما رأيت في الفاعل. ﴿مِن قَبْلِهِم﴾ : جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من : ﴿الْقُرُونِ﴾، وهو أولى، وأقوى. ﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾ : متعلقان بمحذوف حال من : ﴿كَمْ﴾، و(من) بيان لما أبهم فيها. وقيل : متعلقان بمحذوف صفة تمييز ﴿كَمْ﴾ المحذوف، فإن التقدير : كم قرناً من القرون أهلكنا. ﴿يَمْشُونَ﴾ : فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من : ﴿الْقُرُونِ﴾ فهي حال متداخلة. ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ : جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، ومثل هذه الآية الآية رقم [١٢٨] من سورة (طه).

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَآيَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم (إن) مؤخر منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَسْمَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي: أولم ينظروا، ويتفكروا بدلائل قدرتنا، ووحدانيتنا من ذلك: ﴿أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ﴾ أي: بواسطة السحاب المسخر بين السماء والأرض، ثم بواسطة الرياح التي تسوق السحاب. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ أي: الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، وقال الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي: حيث قالوا: التي جرز نباتها، أي: قطع، وأزيل، لا التي لا تُنبت كالسباخ بدليل الجملة الآتية. هذا؛ وإذا رجعنا إلى قوله تعالى في الآية رقم [٨] من سورة (الكهف): ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ لعرفنا: أن المعنى هناك التي لا تنبت شيئاً، وبالجملة: فإن المعنى: هي التي لا تنبت، أو: التي أُكل نباتها، وهو ما في القاموس المحيط، وجمعها: أجراز، ويقال: سنة جُرُز، وسنون أجراز؛ أي: لا مطر فيها، وتكون فيها جدوبة، ويبس، وشدة، قال ذو الرمة يصف إبلاً: [الطويل]

طَوَى النَّحْزُ والأَجْرَازُ مَا فِي بُطُونِهَا فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ

والجروز: المرأة الأكول، قال الراجز: [الرجز]

إِنَّ الْعَجُوزَ خَبَّةً جَرُوزَا تَأْكُلُ كُلَّ لَيْلَةٍ قَفِيزَا

ويستشهد بهذا البيت على نصب «إنَّ» لاسمها وخبرها. ورجل جروز: إذا كان لا يبقي شيئاً إلا أكله، قال الراجز: [الرجز]

خَبٌّ جَرُوزٌ وإِذَا جَاعَ بَكَى ويأكلُ التَمْرَ وَلَا يُلْقِي النَّوى

هذا؛ والْجَرْز، والْجَرَز، والجُرُز بمعنى واحد. وبالجملة فإن معنى الجرُوز هي: التي لا تنبت، أو التي أكل نباتها، وهو ما في «القاموس المحيط». هذا؛ وجرزه الزمان: اجتاحه، قال تبع: [الكامل]

لَا تَسْقِنِي بِيَدَيْكَ إِنْ لَمْ أَلْقَهَا جُرُزاً كَأَنَّ أَشَاءَهَا مَجْرُوزُ

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ أي: بالماء. ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ﴾ أي: تأكل مواشيهم من الزرع، كالتبن، والقصل، والورق، وبعض الحبوب المخصوصة بها. ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ أي: يأكلون منه كالحبوب التي يعتادها الإنسان، وأنواع الخضار، ومختلف أنواع الفواكه، والثمار، وقدم الأنعام؛ لأن انتفاعها مقصور على النبات، ولأن أكلها منه مقدم؛ لأنها تأكله قبل أن يثمر، ويخرج سنبله، وختمت الآيات هنا بقوله: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ لأن الزرع مرئي، وختمت الآية السابقة بقوله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ لأن ما قبله مسموع، أو ترقياً من الأدنى إلى الأعلى في الاتعاظ مبالغة في التذكير، ودفع العذر. انتهى. جمل نقلاً من الشهاب. ومعنى: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ فيستدلون به على كمال قدرته، وفضله وكرمه وجوده.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الواو: حرف استئناف، أو هي حرف عطف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿نَسُوقُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْمَآءَ﴾: مفعول به. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْجُرُزِ﴾: صفة: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، وجملة: ﴿نَسُوقُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول الفعل قبله، وجملة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟...﴾ إلخ مستأنفة، أو معطوفة على جملة ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ...﴾ إلخ لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَنُخْرِجُ﴾: الفاء: حرف عطف. (نخرج): فعل مضارع، والفاعل تقديره: «نحن». ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿زَرْعًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ معطوفة على جملة: ﴿نَسُوقُ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿تَأْكُلُ﴾: فعل مضارع. ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنْعَٰمُهُمْ﴾: فاعل، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (أنفسهم): معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿تَأْكُلُ...﴾ إلخ في محل نصب صفة زرعاً. ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ إعرابها مثل إعراب: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ إفراداً، وجملاً، ومحلاً.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: الكفار. ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ أي: النصر، أو الفصل بالحكومة. وقيل: المراد به: فتح مكة. وقال مجاهد: المراد به يوم القيامة، وهو الأصح، حيث يروى: أن المؤمنين قالوا للمشركين: سيحكم الله عز وجل بيننا يوم القيامة، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء. فقال الكفار على سبيل التهزيء: متى يوم الفتح؟ وقيل: كان المسلمون يقولون: إن الله

سيفتح لنا على المشركين، ويفصل بيننا وبينهم، وكان أهل مكة إذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً، واستهزاءً: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾ أي: النصر، والفصل في الحكومة. وفي كثير من السور قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ وهو قريب من معنى هذه الآية، ومعنى: ﴿صَٰدِقِينَ﴾ أي: فيما تعدوننا به، وإنما جاء بلفظ الجمع؛ لأن كل أمة قالت لرسولها كذلك، أو المعنى: إن كنت صادقاً أنت، وأتباعك يا محمد!.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يقولون): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلۡفَتۡحُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنتم صادقين فيما تقولون؛ فائتونا به. والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: (يقولون...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلۡ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ...﴾ إلخ: أي يوم القيامة، وهو يوم الفصل بين المؤمنين، وأعدائهم، ويوم نصرهم عليهم، أو: يوم بدر، أو: يوم فتح مكة. ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ...﴾ إلخ: وهذا الكلام لا ينطبق جواباً على سؤالهم ظاهراً، ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالاً منهم على وجه التكذيب، والاستهزاء؛ أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم، فقيل لهم: لا تستعجلوا به، ولا تستهزئوا، فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم، وآمنتم، فلا ينفعكم الإيمان، أو استنظرتم في إدراك العذاب، فلم تنظروا. ومن فسره بيوم الفتح، أو بيوم بدر؛ فهو يريد المقتولين منهم، فإنهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل، كما لم ينفع فرعون إيمانه عند الغرق. انتهى. نسفي. هذا؛ ولما فتحت مكة هرب قوم من بني كنانة، فلحقهم خالد بن الوليد، رضي الله عنه، فأظهروا الإسلام، فلم يقبله منهم خالد، وقتلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ﴾.

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿يَوۡمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، وأجاز الفراء رفعه على الابتداء، ولا وجه له؛ لأنه لم يقرأ برفعه، ولا مسوغ

لبنائه على الفتح، ولأنه لا يوجد رابط في الجملة الفعلية الآتية التي تقع خبراً عنه، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْفَتْحِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنفَعُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِيمَٰنُهُمْ﴾: فاعل ﴿يَنفَعُ﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية: ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُنظَرُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . . .إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: هذا أمر للنبي ﷺ، ومعناه: أعرض عن سفههم، ولا تجبهم، إلا بما أمرت به، ولا تبال بتكذيبهم. وقيل: إن هذا منسوخ بآية السيف بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ الآية رقم [٥] من سورة (براءة). ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ أي: موعدي لك بالنصر عليهم. ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: ينتظرون بك حوادث الزمن. هذا؛ وقرئ بفتح الظاء، فيكون معناه: أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم، أو أن الملائكة ينتظرونه، ويكثر ذكر مثل هذه الجملة في سور القرآن، مثل قوله تعالى في سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام رقم [١٠٢] ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾، وفي سورة (الأنعام) رقم [١٥٨]: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وكثير غيرها، وفي هذا المعنى، وهو كثير أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾.

خاتمة: فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ...﴾، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ...﴾. أخرجه الترمذي، وقال طاووس: «**تَفْضُلَان عنْ كُلِّ سورةٍ في القرآنِ بِسبعِين حَسَنَةً**». أخرجه الترمذي، وعن النبي ﷺ: «**مَنْ قرأ** ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ...﴾ **في بيتِهِ؛ لَمْ يَدْخُلِ الشيطانُ بَيتَهُ ثلاثَةَ أيَّامٍ**». والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَعْرِضْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (أعرض): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً؛ فأعرض عنهم. وهذا الكلام مستأنف،

لا محل له، وجملة: ﴿وَٱنتَظِرْ...﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿مُّنتَظِرُونَ﴾: خبر: (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (السجدة)، بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب، وهي مدنية بالاتفاق، وهي ثلاث وسبعون آية، وألف ومئتان وثمانون كلمة، وخمسة آلاف، وسبعمئة، وتسعون حرفاً. انتهى. خازن، وسميت سورة الأحزاب؛ لأن المشركين تحزبوا على المؤمنين من جميع الجهات، كما ستعرفه مفصلاً بعونه تعالى.

نزلت السورة الكريمة بشأن غزوة الأحزاب الشهيرة بغزوة الخندق، وبيان خبث بني قريظة، الذين نقضوا عهد رسول الله ﷺ، وبيان عقاب الله، وانتقامه منهم، وكشفت النقاب عن خبث المنافقين، وإيذائهم رسول الله ﷺ، وطعنهم فيه وفي مناكحته.

وكانت هذه السورة تعدل سورة (البقرة)، وكانت فيها آية الرجم، ولفظها: «الشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا، فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نكالاً مِنَ اللهِ، والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ». ذكره أبو بكر الأنباري عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ وهذا يحمله أهل العلم على أن الله تعالى رفع من هذه السورة ما يزيد على ما في أيدينا منها، وأن آية الرجم المذكورة رفع لفظها، وحكمها باق إلى يوم القيامة.

فعن عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضي الله عنهما ـ قالت: كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله ﷺ مئتي آية، فلما كُتب المصحف لم يُقْدَرْ منها إلا على ما هي الآن. وقال أبو بكر بن الأنباري: فمعنى هذا من قول أم المؤمنين عائشة: أن الله رفع إليه من سورة الأحزاب ما يزيد على ما عندنا، انتهى. وهذا؛ وجه من وجوه النسخ التي ذكرتها في الآية رقم [١٠٦] من سورة (البقرة)، وهذا الوجه مما نسخ لفظه، وبقي حكمه.

وروي عن زِرِّ بن حبيش قال: قال لي أُبَيُّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: كم تعدون سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً وسبعين آية، قال: فوالذي يحلف به أُبَيُّ بن كعب أن كانت لتعدل سورة (البقرة)، أو أطول، ولقد قرأنا منها آية الرجم: «الشيخُ والشيخةُ...» إلخ أراد أُبَيٌّ: أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن، وأما ما يحكى من أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة، فأكلتها الداجن، فمن تأليفات الملاحدة، والروافض.

هذا؛ والمراد بالشيخ: الرجل المتزوج، وبالشيخة: المرأة المتزوجة، وإن كانا في سن قبل العشرين سنة، ولقد روي: أن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ خطب على المنبر، فقال: أيها الناس إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه كتاباً هادياً للناس، بشيراً، ونذيراً، وكان فيما أنزل عليه: «الشيخُ والشيخةُ... إلخ» فقرأناها، ووعيناها، ثم قال: إني خشيت أن يطول بالناس زمان، فيقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق لمن زنى، وقد أحصن.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: يقرأ بالهمز: «يا أيها النبيء» ومعناه: يا أيها المخبر عنا، المأمون على أسرارنا، المبلغ خطابنا إلى أحبابنا، وإنما لم يقل: يا محمد، كما قال: يا آدم، يا نوح، يا موسى... إلخ تشريفاً له، وتنويهاً بفضله. وتصريحه باسمه في قوله جل ذكره: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله. انتهى. نسفي. وينبغي أن تعلم: أن الله لم يناد نبيه ﷺ بلفظ الرسول إلا في سورة (المائدة) رقم [٤١ و٦٧]. ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: اثبت على تقوى الله، ودم عليه، وازدد منه، فهو باب لا يدرك مداه. ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾: فيما يطلبون منك، ففيه توهين للدين، وضعف لشوكة المسلمين، فإياك أن تساعدهم، أو تستجيب لهم بشيء أبداً، واحترس منهم، فإنهم أعداء الله، وأعداؤك، وأعداء المؤمنين.

فقد روي: أن الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور السلمي، وذلك: أنهم قدموا المدينة، فنزلوا على عبد الله بن أُبَيٍّ ابنِ سَلول، رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده الفاروق ـ رضي الله عنه ـ: ارفض ذكر آلهتنا: اللات، والعزى، ومناة ـ أي: لا تذمها ـ وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، ونَدَعُك وربك. فشق ذلك على النبي ﷺ، فقال الفاروق ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! ائذن لي في قتلهم، فقال النبي ﷺ: إني أعطيتهم الأمان، فقال الفاروق: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ أن يخرجوا من المدينة، فنزلت الآية. وفي هذا دليل قاطع على أنه يجوز لعن كافر معين. هذا؛ وإن هذا النص لا يدل على وقوع الذنب من الرسول ﷺ، وإنما هو خطاب للأمة توجه إلى القائد، والزعيم في صورة الخطاب له ﷺ، والمراد به أمته، والدليل أن المقصود بالخطاب هو الأمة، لا شخص الرسول: أن الله ختم الآيات الكريمة بصيغة الجمع حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بخلقه قبل أن يخلقهم، فهو يعلم مكر الماكرين، وخبث الخبيثين من الكافرين، والمنافقين. ﴿حَكِيمٗا﴾: فيما دبر لهم، والحكيم: هو الذي يضع الأمور في مواضعها، فأوامر الله كلها حكم، ونواهيه وزواجره كلها حكم، وما يتذكر إلا أولو الألباب.

هذا؛ و﴿كَانَ﴾ في القرآن الكريم تأتي على أوجه: تأتي بمعنى الأزل، والأبد، وبمعنى المضي المنقطع، وهو الأصل في معناها، وبمعنى الحال، وبمعنى الاستقبال، وبمعنى «صار»

وبمعنى: «حضر» أو «وجد» وترد للتأكيد، وهي الزائدة، وهي هنا بمعنى الاستمرار، فليست على بابها من المضي، وإن المعنى: كان، ولم يزل كائناً إلى يوم القيامة، وإلى أبد الآبدين في الدنيا والآخرة.

هذا؛ والنبي يقرأ بالهمز وبدونه كما رأيت، وهو مأخوذ من النبأ، وهو الخبر. وقيل: بل هو مأخوذ من النَّبْوَة، وهي الارتفاع لأن رتبة النبي ارتفعت عن رتب الخلق. هذا؛ والنبي غير الرسول بدليل عطفه عليه في قوله تعالى في سورة (الحج) رقم [٥٢]: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ إلخ. وقيل: هو أعم منه؛ لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، أما تعريفهما فالرسول: ذكر حر من بني آدم، سليم عن منفر طبعاً، أوحي إليه بشرع يعمل به، ويؤمر بتبليغه، فإن لم يؤمر بالتبليغ؛ فهو نبي، وليس رسولاً، فنبينا ﷺ صار نبياً بنزول سورة اقرأ عليه، وبعد ستة أشهر من نزولها صار رسولاً بنزول سورة (المدثر) عليه.

هذا؛ ويروى: أن أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ سأل رسول الله ﷺ عن عدد الأنبياء، فقال: «**مئة ألف، وأربعة وعشرون ألفاً**». قال: كم عدد الرسل منهم؟ قال: «**ثلاثمئة وثلاثة عشر، أولهم آدم، وآخرهم نبيكم محمد عليه السلام**». أخرجه الإمام أحمد، وفي بعض ألفاظه اختلاف بسيط. هذا؛ وأربعة منهم من العرب: هم: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد ﷺ. وإسماعيل مستعرب لسكناه مكة مع قبيلة جرهم، وتزوجه منهم بامرأتين. والمذكور من الرسل في القرآن بأسمائهم خمسة وعشرون، ومعرفتهم بأسمائهم واجبة على كل مسلم ومسلمة من المكلفين، وأعني بمعرفتهم: أنه لو عرض اسم رسول على مسلم، فيجب عليه أن يعرف: أهو من المرسلين أم لا؟ هذا؛ وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ في سورة (النساء) رقم [١٦٤]: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾، وقال تعالى في سورة (غافر) رقم [٧٨]: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾.

هذا؛ وقد ذكر في آيات (الأنعام) رقم [٨٣] وما بعدها ثمانية عشر رسولاً بأسمائهم من غير ترتيب لا بحسب الزمان، ولا بحسب الفضل؛ لأن الواو العاطفة لا تقتضي الترتيب، وبقي سبعة لم يذكروا في سورة (الأنعام) وقد ذكروا في غيرها، وهم: إدريس، وشعيب، وصالح، وهود، وذو الكفل، وهو ابن أيوب؛ الذي ذكر في سورة (الأنبياء)، ومحمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم، فهؤلاء الخمسة والعشرون رسولاً هم الذين يجب الإيمان بهم، ومعرفتهم تفصيلاً، وقد نظموا في قول بعضهم: [البسيط]

حَتْمٌ عَلَى كُلِّ ذِي التَّكْلِيفِ مَعْرِفَةٌ ... بِأَنْبِيَاءٍ عَلَى التَّفْصِيلِ قَدْ عُلِمُوا
فِي تِلْكَ حُجَّتُنَا منهمْ ثَمانِيَةٌ ... مِنْ بعدِ عشرٍ، ويبْقى سبعةٌ، وهمُو
إدريسُ هودٌ شعيبٌ صالحٌ وكذَا ... ذُو الكفلِ آدَمُ بالمختارِ قَدْ خُتِمُوا

ويعني بقوله في: (تلك حجتنا) آيات الأنعام المذكورة. وينبغي أن تعلم: أن هؤلاء الرسل ليسوا بدرجة واحدة من الفضل؛ بل أرفعهم درجة، وأعلاهم منزلة، أولو العزم منهم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد. وسيد الجميع، وأفضل الخلق قاطبة محمد صلى الله عليهم جميعاً، وسلم تسليماً. والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تجوز عليهم الأعراض البشرية؛ لأنهم من البشر، فهم يأكلون، ويشربون، ويصحون، ويمرضون، وينكحون النساء، ويمشون في الأسواق، وتعتريهم الأعراض البشرية، من ضعف، وشيخوخة، وموت، إلا أنهم يمتازون بخصائص، ويتصفون بصفات عظيمة جليلة، هي بالنسبة لهم من ألزم اللوازم، وهي ما يلي: الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة، والعصمة من المعاصي قبل النبوة، وبعدها، والسلامة من العيوب المنفرة.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو، أو: أنادي. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ: (يا)، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾: بعضهم يعرب هذا وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل: أن الاسم الواقع بعد أي، وبعد اسم الإشارة إن كان مشتقاً؛ فهو نعت، وإن كان جامداً؛ فهو بدل، أو عطف بيان، والمتبوع أعني «أي» منصوباً محلاً، فكذا التابع، أعني ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾، وأمثاله، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الاتباع اللفظية، وإنما أتبعت ضمة البناء مع أنها لا تتبع؛ لأنها وإن كانت ضمة بناء؛ لكنها عارضة، فأشبهت ضمة الإعراب، فلذا جاز إتباعها. أفاده الصبان؛ لأنه قال: والمتجه وفاقاً لبعضهم أن ضمة التابع إتباع، لا إعراب، ولا بناء. وقيل: إن رفع التابع المذكور إعراب، واستشكل بعدم المقتضي للرفع، وأجيب بأن العامل يقدر من لفظ عامل المتبوع مبنياً للمجهول، نحو: يدعى، وهو مع ما فيه من التكليف، يؤدي إلى قطع المتبوع. وقيل: إن رفع التابع المذكور بناء؛ لأن المنادى في الحقيقة هو المحلى بأل، ولكن لما لم يمكن إدخال حرف النداء عليه توصلوا إلى ندائه بأي، أي مع قرنها بحرف التنبيه، ورده بعضهم بأن المراعى في الإعراب اللفظ، وأن الأول منادًى؛ والثاني تابع له، والإعراب السائد الآن أن تقول: مرفوع تبعاً للفظ. انتهى. جرجاوي.

هذا؛ والأخفش يعتبر «أياً» في مثل هذه الآية موصولة، و﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ خبراً لمحذوف، والجملة الاسمية صلة، وعائد، التقدير: يا من هو النبي، على أنه قد حذف العائد حذفاً لازماً كما في قول امرئ القيس: [الطويل]

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ لَكَ مِنْهُمَا ... وَلَا سِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

وهذا هو الشاهد، رقم [٢٤٢] من كتابنا فتح القريب المجيب، وما قاله الأخفش لا يعتد به عند جمهرة النحاة. ﴿ٱتَّقِ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها

دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُطِعِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله). ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: خبران لـ: ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للأمر والنهي مؤكدة لمضمون وجوب الامتثال، أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾

الشرح: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن، وما فيه من الأحكام، والحث على التقوى، والثبات على الطاعة، وترك طاعة الكافرين، والمنافقين فيما يطلبون منك يا محمد!. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: وإنما جمع الضمير؛ لأن المراد النبي ﷺ، وأصحابه. هذا؛ ويقرأ الفعل المضارع بالياء، فيكون المراد: الكافرين، والمنافقين الذين طلبوا منه ﷺ ما ذكرته في الآية السابقة. هذا؛ وفي الآية الكريمة التفات، فعلى القراءة الأولى بالخطاب يكون الالتفات من المفرد إلى الجمع، وعلى القراءة الثانية يكون الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، التي هي بالجمع أيضاً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱتَّبِعْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتبع): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل العائد إلى: ﴿مَا﴾، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيها، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى الله. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَبِيرًا﴾ بعدهما، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو: بشيءٍ تعملونه، وعلى

اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم. ﴿خَبِيرًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها تعليل للأمر، وتأكيد لموجبه.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أسند أمرك إلى الله، وكله إلى تدبيره، فهو الذي يمنعك من الناس، ويحفظك من إيذائهم. والخطاب للنبي ﷺ، وأمته تبع له في كل ما تقدم، والتوكل: تفويض الرجل الأمر إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه، وضره. وقالوا: المتوكل من أن إذا دهمه أمر، لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله، فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصه منها؛ لم يخرج عن حد التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله، وإنما هو من تعاطي الأسباب في دفع المحنة.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: حافظاً، وراعياً، ومعتمداً عليه في المهمات، وملجأ في النوائب، والأزمات. هذا؛ والفعل: (كفى) في هذه الآية ونحوها فهو بمعنى: اكتف، فالباء زائدة في الفاعل عند الجمهور، وهو لازم لا ينصب المفعول به، ومضارعه مثله، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ الآية رقم [٥٣] من سورة (فصلت)، وأما إذا كان بمعنى: جزى، وأغنى؛ فيكون متعدياً لمفعول واحد، وإذا كان بمعنى: وقى؛ فإنه يكون متعدياً لمفعولين، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ رقم [٢٥] الآتية.

الإعراب: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: الواو: حرف عطف. (توكل): فعل أمر، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَكَفَىٰ﴾: الواو: واو الحال. (كفى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (الله): فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿وَكِيلًا﴾: تمييز. وقيل: حال، والأول أقوى، والجملة الفعلية: ﴿وَكَفَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، وإعادة الاسم الكريم بلفظه، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: فقد نفى الله في هذه الآية ثلاثة أمور؛ فخذها بما يلي:

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾: نزلت هذه الجملة في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان. وكان يقول: إن لي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما هزم الله المشركين يوم بدر؛ انهزم أبو معمر فيهم، فلقيه أبو سفيان، وإحدى نعليه في يده، والأخرى في رجله، فقال: يا أبا معمر ما حال الناس؟ فقال: انهزموا، فقال: فما بال إحدى نعليك في يدك، والأخرى في رجلك؟ فقال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي. فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان؛ لما نسي نعله في يده.

وعن أبي ظبيان، قال: قلنا لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أرأيت قول الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾: ما عنى بذلك؟ فقال: قام رسول الله ﷺ يوماً يصلي، فخطر خَطْرَةً، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون أن له قلبين، قلباً معكم، وقلباً معهم! فأنزل الله ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ...﴾ إلخ أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن. هذا؛ والخطر: الوسوسة التي تحصل للإنسان في صلاته. انتهى. خازن. هذا؛ ولا يمكن أن يكون لواحد قلبان: يحب بواحد ويبغض بآخر. بمعنى: أنه يجمع بين الضدين، ومن هذا الباب قول الشاعر: [الكامل]

لَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ عِشْتُ بِواحِدٍ وَتَرَكْتُ قَلْباً فِي هَوَاكِ يُعَذَّبُ

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: وصورة الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي. وقد كان هذا طلاقاً في الجاهلية، وفي صدر الإسلام، وسيأتي حكمه، وكفارته وما يترتب عليه في سورة (المجادلة) إن شاء الله تعالى.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي: الذين تتبنونهم أبناءكم حقيقة، وذلك: أن الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل كالابن المولود، يدعوه إليه الناس، ويرث منه بعد وفاته، وقد نزلت هذه الجملة في نفي تبني النبي ﷺ زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وكان زيد ـ رضي الله عنه ـ فيما روي عن أنس بن مالك وغيره مسبياً من الشام سبته خيل من تهامة، وهو طفل صغير ابن ست سنوات، أو أكثر، وكان مع أمه في زيارة لأخواله، وأبوه وعمه سيدا قومهما، فالذي سباه باعه في مكة على أنه عبد، فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة ـ رضي الله عنها ـ فلما تزوج النبي ﷺ خديجة، وهبته له، ثم إن أباه وعمه قد علما: أنه في مكة عند محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فأتيا بمال كثير ليفدياه به، فقال لهما النبي ﷺ: «خيراه، فإن اختاركما؛ فهو لكما دون فداء»، وذلك قبل المبعث، فاختار الرق مع رسول الله ﷺ على حريته وقومه، فغضب أبوه وعمه، وقالا: يا زيد تختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك، وعمك؟! قال لهم: نعم. فأراد النبي الكريم أن يطيب خاطرهما، وأن يجبر قلبهما، فقال لهما: هو حرٌّ. ولم يكتف بذلك؛ بل أعلن تبنيه لزيد، وقال: يا معشر قريش! أشهدكم: أنه ابني، يرثني،

وأرثه، ويعقل عني، وأعقل عنه، وكان هذا على عادة الجاهلية، فرضي بذلك أبوه، وعمه، وقرَّا عيناً، وانصرفا. وكان أبوه لما سبي يدور الشام، ويقول: [الطويل]

بكيتُ على زيدٍ ولمْ أدرِ ما فعلْ ... أحيٌّ فيُرْجى أمْ أتى دونه الأَجَلْ؟

فواللهِ لا أدري وإِني لسائلٌ ... أغالكَ بعدي السهلُ أمْ غالكَ الجبلْ؟

فيا ليْتَ شعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرَ، أَوْبَةٌ؟ ... فَحَسْبِي مِنَ الدنيَا رُجُوعُكَ لِي بَجَلْ

تُذكِّرنيه الشمسُ عند طلوعها ... وتَعْرِضُ ذكراهُ إذا غَرْبُهَا أفَلْ

وَإِنْ هبَّتِ الأرياحُ هيَّجْنَ ذكرَهُ ... فَيَا طُولَ ما حُزْني عليْهِ ومَا وَجَلْ

سأُعمِلُ نصَّ العيسِ في الأرض جاهداً ... وَلَا أسْأَمُ التطوافَ، أو تسأَمَ الإِبِلْ

حيَاتِيَ، أو تَأْتي عليَّ منيتي ... فكلُّ امْرِئٍ فانٍ وإنْ غرَّهُ الأَمَلْ

وسيأتي من ذكره، وفضله، وشرفه في الآية [٣٦] ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ و﴿أَدْعِيَآءَكُمْ﴾ جمع: دَعِي، وهو الولد المتبنَّى من أبناء الغير، قال في اللسان: والداعي: المنسوب إلى غير أبيه، قال الشاعر المسلم يفتخر بإسلامه: [الوافر]

دَعِيُّ الْقَوْمِ يَنْصُرُ مُدَّعيهِ ... لِيُلْحِقَهُ بذِي النَّسَبِ الصَّمِيمِ

أَبِي الإِسلامُ لا أَبَ لِي سِوَاهُ ... إِذَا افتَخَرُوا بِقَيْسٍ، أَوْ تَمِيمِ

هذا؛ وقد ادعى معاوية بن أبي سفيان زياد بن سمية أخاً له، وألحقه بأبيه، قال بعض الشعراء يهجوه: [الوافر]

أَلَا أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حرْبٍ ... مُغْلَغَلَةً عَنِ الرَّجُلِ اليمانِ

أتغضبُ أنْ يقالَ: أَبوكَ عَفٌّ ... وترْضَى أن يقالَ: أبوكَ زَانِ

هذا؛ والخليع في الجاهلية كان بالعكس، وهو الذي خلعه أهله، وطردوه، وتبرؤوا منه لخبثه، فكان الرجل يأتي بابنه في الموسم، ويقول: ألا إني قد خلعت ابني هذا، فإن جر جريرة، أي جنى جناية لم أضمن، وإن جُرَّ عليه، أي جُنِيَ عليه لم أطلب، فلا يؤخذ بجرائره. قال امرؤ القيس في معلقته: [الطويل]

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٍ قطعْتُهُ ... بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعَيَّلِ

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ أي: إن قولكم للزوجة: هي أم، وللدعي: هو ابن قول تقولونه بأفواهكم، لا حقيقة له؛ إذ الابن لا يكون إلا بالولادة، وكذا الأم لا تكون إلا بالولادة أيضاً،

وأيضاً لا يكون للإنسان إلا قلب واحد. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ما هو حق ظاهره، وباطنه. ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: يرشد، ويوفق إلى سبيل الهدى، والرشاد.

ومعنى الآية الكريمة: أنه تعالى كما لم يجعل للإنسان قلبين؛ لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما فعلاً من أفعال القلوب، فأحدهما فضلة غير محتاج إليه، وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك، فذلك يؤدي إلى اتصاف الإنسان بكونه مريداً كارهاً، عالماً ظاناً، موقناً شاكاً في حالة واحدة، لم يحكم الله، ولم يرض أيضاً أن تكون المرأة الواحدة أمّاً لرجل زوجاً له؛ لأن الأم مخدومة، والمرأة خادمة وبينهما منافاة، كذلك لم يحكم الله أن يكون الرجل الواحد دعِيّاً لرجل، وَابْناً لهُ؛ لأن البنوة أصالة في النسب، والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً، وغير أصيل. انتهى. نسفي بتصرف.

هذا؛ والقلب قطعة صغيرة على هيئة الصَّنَوْبَرة، خلقها الله في الآدمي، وجعلها محلاً للعلم، فيحصي به العبد من العلوم ما لا يسع في أسفار، يكتبه الله بالخط الإلهي، ويضبطه فيه بالحفظ الرباني، حتى يحصيه، ولا ينسى منه شيئاً، وهو بين لَمَّتَيْنِ: لَمَّة من المَلك، وَلَمَّة من الشيطان، كما قال النبي ﷺ. خرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، وقد مضى في الآية رقم [٢٦٧] من سورة (البقرة) وهو محل الخطرات، والوساوس، ومكان الكفر، والإيمان، وموضع الإصرار، والإنابة، وموضع الانزعاج، والطمأنينة. والمعنى في الآية: أنه لا يجتمع في القلب الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والإنابة والإصرار، وهذا نفي لكل ما توهمه أحد في ذلك من حقيقة، أو مجاز. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

هذا؛ و﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ جمع: أم، والقياس أن يكون جمعها: «أُمَّات» قال الزمخشري: والهاء مزيدة في: أُمَّات، كما زيدت في: أراق، فقيل: أهراق، وشذت زيادتها في الواحدة في قول قصي الجد الرابع للنبي ﷺ: [الرجز]

أُمَّهَتِي خِنْدَفُ والْيَاسُ أَبِي عِنْدَ تَنَادِيهِمْ بِهَالٍ وَهَبِ

وقال ابن عصفور في الممتع: أما أُمَّهة، فمنهم من يجعل الهاء زائدة فيه، ومنهم من يجعلها أصلية، فالذي يجعلها زائدة، يستدل على ذلك بأنها في معنى الأم، وأورد بيت قصي، إلا أن الفرق بين أُمَّهة، وأم: أن أمَّهة تقع في الغالب على من يعقل، وقد تستعمل فيما لا يعقل، وذلك قليل جداً، نحو قول السفاح بن بكير: [السريع]

قَوَّالُ مَعْرُوفٍ وفَعَّالُهُ عَقَّارُ مَثْنَى أُمَّهَاتِ الرِّبَاع

وأم يقع في الغالب على ما لا يعقل، وقد يقع على العاقل، نحو قول جرير: [الوافر]

لَقَدْ وَلَدَ الأُخَيْطِلَ أُمُّ سوءٍ عَلَى بَابِ اسْتِهَا صُلُبٌ وشَامُ

ومما يدل أيضاً على زيادة الهاء في أمَّهة قولهم: أم بينة الأمومة بغير هاء، ولو كانت أصلية لثبتت في المصدر، والذي يجعلها أصلية يستدل على ذلك بما حكاه صاحب العين من قولهم: تأمَّهت أماً، فتأمَّهْتُ تفعَّلْتُ بمنزلة: تنبهت، مع أن زيادة الهاء قليلة جداً، فمهما أمكن جعلها أصلية؛ كان ذلك أولى فيها. والصحيح: أنها زائدة؛ لأن الأمومة حكاها أئمة اللغة، وأما تأمَّهت فانفرد بها صاحب العين، وكثيراً ما يأتي في كتاب العين ما لا ينبغي أن يؤخذ به لكثرة اضطرابه، وخلله. انتهى. بعد هذا فالأم تعم من ولدتْكَ، أَوْ وَلَدَتْ مَنْ ولدك؛ وإن علتْ. ويقرأ: (أُمَّهات) بضم الهمزة وفتح الميم، وهي قراءة العامة، ويقرأ بكسر الهمزة وفتح الميم، وبكسرهما معاً.

الإعراب: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿لِرَجُلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَلْبَيْنِ﴾: مفعول به مجرور لفظاً، منصوب محلاً. ﴿فِى جَوْفِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿جَعَلَ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفة: ﴿قَلْبَيْنِ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وقد اكتفى الفعل بمفعول واحد؛ لأنه بمعنى خلق، بخلاف ما بعده فإنه بمعنى: صير. وقيل: ﴿لِرَجُلٍ﴾ في محل المفعول الثاني، ولا وجه له. (ما): نافية. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿أَزْوَٰجَكُمُ﴾: مفعول به أول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّٰٓـِٔى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿أَزْوَٰجَكُمُ﴾. ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿مِنْهُنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أُمَّهَٰتِكُمْۚ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والكاف في محل جر بالإضافة؛ وجملة: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ معطوفة أيضاً، وإعرابها لا خفاء فيه.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم علامة جمع الذكور. ﴿قَوْلُكُم﴾: خبر المبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِأَفْوَٰهِكُمْۖ﴾: متعلقان بالمصدر قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به، أو هو صفة لمفعول مطلق محذوف، أي: يقول القول الحق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: منصوب بنزع الخافض، أو هو مفعول به

ثان، والمفعول الأول محذوف اختصاراً؛ إذ التقدير: يهدي من يشاء السبيل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿يَقُولُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ أي: انسبوهم لآبائهم الحقيقيين. فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فرفع الله حكم التبني، ومنع من إطلاق لفظه، وأرشد بقوله إلى أن الأولى، والأعدل أن يُنسب الرجل إلى أبيه نسباً. وقال النحاس: هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التبني، وهو من نسخ السنة بالقرآن، فأمر أن يدعوا من دعوا إلى أبيه المعروف، فإن لم يكن له أب معروف؛ نسبوه إلى ولائه، فإن لم يكن له ولاء معروف؛ قال له: يا أخي. يعني: في الدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. هذا؛ والضمير يعود إلى مصدر الفعل المتقدم، مثل قوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ أي: فإن لم تعلموا لهم آباءً تنسبونهم إليهم. ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، وأولياؤكم في الدين، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، ويا أخي ويا مولاي، يريد الأخوة في الدين، والولاية فيه.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ أي: لو نسي أحدكم فنسب إنساناً إلى أبيه من التبني، أو أخطأ في ذلك، وهو أن يسبق لسانه إلى ذلك من غير قصد؛ فلا إثم، ولا مؤاخذة. وكذلك لو دعوت رجلاً إلى غير أبيه، وأنت ترى: أنه أبوه؛ فليس عليك بأس. قاله قتادة. ولا يجري هذا المجرى من غلب عليه اسم التبني كالحال في المقداد بن عمرو، فإنه كان غلب عليه نسب التبني، فلا يكاد يعرف إلا بالمقداد بن الأسود، فإن الأسود بن عبد يغوث كان قد تبناه في الجاهلية، وعرف به، فلما نزلت الآية قال المقداد ـ رضي الله عنه ـ: أنا ابن عمرو، ومع ذلك بقي الإطلاق عليه، ومثله كثير، وذلك بخلاف الحال في زيد بن حارثة، فإنه لا يجوز أن يقال فيه زيد بن محمد، فإن قاله أحد متعمداً؛ عصى، وإن قاله نسياناً، أو خطأ؛ فلا إثم عليه بدليل نص الآية التي نحن بصدد شرحها، ومن هذا القبيل ما يقوله الأستاذ لتلميذه، وصاحب العمل لعامله: يا بنيَّ، فإن كان على سبيل التكريم، أو الرحمة والشفقة؛ فلا إثم عليه، وإن كان يقصد غير ذلك فحرام عليه أن يستعمل هذا اللفظ لمعنى من المعاني المعوجة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: لما سلف منكم، وحصل قبل النهي. ﴿رَّحِيمًا﴾: لا يؤاخذكم بالخطأ، ولا يقبل التوبة من المتعمد، فعن سعد بن أبي وقاص، وأبي بكرة ـ رضي الله عنهما ـ كلاهما يقول: سمِعَتْهُ أذناي، ووعاه قلبي محمداً ﷺ يقول: «**مَنِ ادَّعَى إلى غَيْرِ أبيهِ، وهُوَ يَعْلَمُ: أنهُ غيْرُ أبيهِ، فالجنةُ عليهِ حَرَامٌ**». رواه مسلم، وغيره. فمحمداً بدل من الضمير المنصوب. وفي حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعى لِغَيْرِ أَبِيهِ، وهُوَ يَعْلَمُهُ؛ إِلَّا كَفَرَ**».

الإعراب: ﴿ٱدْعُوهُمْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِآبَآئِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿أَقْسَطُ﴾، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَعْلَمُوٓاْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وهو فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَابَآءَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إخوانكم): خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهم إخوانكم، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من (إخوانكم)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾: معطوف على ما قبله مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿وَلَيْسَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر (ليس) تقدم على اسمها. ﴿جُنَاحٌ﴾: اسم (ليس) مؤخر. ﴿فِيمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿جُنَاحٌ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (في)، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بـ: (في)، وجملة: ﴿وَلَيْسَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدارك مهمل لا عمل له. ﴿مَّا﴾: معطوفة على ما قبلها، أو هي مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: الذي تعمدته قلوبكم تؤاخذون به. ﴿تَعَمَّدَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿قُلُوبُكُمْ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط

محذوف، انظر تقديره، والجملة الاسمية على اعتبار ﴿مَّآ﴾ مبتدأ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الفعلية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ مستأنفة، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال، وهو ضعيف معنى.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: في الأمور كلها، فإنه لا يأمرهم، ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم، ونجاحهم؛ بخلافها؛ فإنها في كثير من الأحيان تأمر بالشر، وبما فيه مضرة لصاحبها ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ فلذلك أطلق، فيجب عليهم أن يكون أحبَّ إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ فيهم من أمرها، وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها. روي: أن النبي ﷺ أراد غزوة تبوك، فأمر الناس بالخروج، فقال ناس: نستأذن آباءنا وأمهاتنا، فنزلت الآية الكريمة، وفي معنى طاعة الرسول ﷺ وشفقته على أمته جاء ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما مَثَلِي ومثلُ أمتي كمثل رجلٍ اسْتَوْقَدَ ناراً، فجعلت الدَّوابُّ، والْفراشُ يَقَعْنَ فِيهِ، وَأَنَا آخِذٌ بحُجَزِكُمْ، وأنتم تَقَحَّمُونَ فِيهِ**». وعن جابر مثله، وقال: «**وأنتم تفلَّتُونَ فِيهِ**». أخرج الحديث مسلم، وهذا مثل لاجتهاد نبينا، وحبيبنا ﷺ في نجاتنا، وحرصه على تخلصنا من الهلكات التي بين أيدينا، فهو أولى بنا من أنفسنا، ولجهلنا بقدر ذلك، وغلبة شهواتنا علينا، وظفر عدونا اللعين بنا؛ صرنا أحقر من الفِراش، وأذل من الفَراش، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!.

وقيل: معنى: ﴿أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: برعايتهم، والذود عنهم، ومساعدة ضعيفهم، ومعاونة فقيرهم. ويفسر هذا؛ ويؤيده ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما مِنْ مؤمنٍ إلَّا وأَنَا أوْلَى الناسِ بِهِ في الدُّنْيَا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم**: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ **فأيما مؤمن تركَ مالاً، فَلْترِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، ومَنْ ترك دَيْناً، أو ضياعاً؛ فليأْتِني، فَأَنَا مَوْلَاهُ**». أخرجه مسلم.

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين؛ أي: في وجوب التعظيم، والمبرة، والإجلال، وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن ـ رضي الله تعالى عنهن ـ بخلاف الأمهات، وهذه الأمومة لا توجب الميراث كأمومة التبني، وجاز تزويج بناتهن، ولا يجعلن أخوات الناس. وأمَّا النظر إليهن، والخلوة بهن؛ فإنه حرام في حقهن، كما في حق

الأجانب، ولا يقال لبناتهن: هن أخوات المؤمنين، ولا لأخواتهن، وإخوانهن هن خالات المؤمنين، وهم أخوالهم. وهن أمهات المؤمنين بما ذكرت من وجوب التعظيم، ويجب على نساء المؤمنين إجلالهن وتعظيمهن أيضاً، ولكن لا يقال: أمهات المؤمنات بدليل ما روي عن مسروق: أن امرأة قالت لعائشة: يا أُمَّهْ، فقالت: لسْتُ لك بأم، إنما أنا أم رجالكم، فبان بذلك أن معنى الأمومة إنما هو تحريم نكاحهن تعظيماً لمقام النبوة، وتشريفاً لصاحب الرسالة ﷺ. وانظر الآية رقم [٢٨] الآتية، وما بعدها. هذا؛ وهو تشبيه بليغ، ووجه الشبه متعدد، وهو ما ذكرته مفصلاً.

﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ أي: ذوو القرابات. ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي: في الميراث، وكانوا يتوارثون بالهجرة، والتآخي فيما بينهم، فكان الرسول ﷺ قد آخى بين المهاجرين والأنصار، فقد جعل مع كل أنصاري مهاجر، فكان الأنصاري يعطف على أخيه المهاجري عطف الأب على ابنه، والأخ على أخيه، وإذا مات أحدهما؛ ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت الآية: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. وهذه الجملة مذكورة بحروفها في الآية الأخيرة من سورة (الأنفال). وقيل في معنى الآية: لا توارث بين المسلم، والكافر، ولا بين المهاجر، وغير المهاجر، وقد ذكرت ذلك في الآية رقم [٧٢] من سورة (الأنفال) وجملة القول: إن هذه الآية ناسخة للتوارث بالأخوة الإسلامية، والهجرة، وصار التوارث بآيات النساء المبينة ذلك، وقد استدل بهذه الآية على توريث ذوي الأرحام، وهو مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ.

والمراد بـ: ﴿كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾: اللوح المحفوظ. وقيل: المراد: القرآن الكريم. وقيل: المراد: حكم الله، وقضاؤه. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ أي: الذين آخى رسول الله ﷺ فيما بينهم، فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة، والهجرة، وصارت الموارثة بينهم بالقرابة. ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم﴾: يريد الإحسان في الحياة، والوصية عند الموت، وذلك: أن الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف، والإخاء، والهجرة؛ أباح أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله. وقيل: معناه: إلا أن توصوا إلى قرابتكم بشيء، وإن كانوا من غير أهل الإيمان، والهجرة.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، أو في القرآن. وقيل: في التوراة. والمراد بالإشارة ما ذكر في الآيتين. ﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوباً مثبتاً. هذا؛ ومعنى: (أولو) أصحاب، ولا واحد له من لفظه، وإنما واحده: «ذو» المضاف إن كان مرفوعاً، و«ذا» المضاف إن كان منصوباً، و«ذي» المضاف إن كان مجروراً.

الإعراب: ﴿ٱلنَّبِىُّ﴾: مبتدأ. ﴿أَوْلَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وهو أفعل تفضيل، ففاعله مستتر، تقديره: «هو». ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: كلاهما متعلقان بـ: ﴿أَوْلَىٰ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مستأنفة، أو

ابتدائية، لا محل لها على الاعتبارين، والجملة الاسمية: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، والهاء فيهما ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَأُوْلُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (أولو): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(أولو) مضاف، و﴿ٱلْأَرْحَامِ﴾ مضاف إليه. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلَىٰ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ: (أولو) وإن اعتبرت بعضهم بدلاً من: (أولو) فـ ﴿أَوْلَىٰ﴾ يكون خبره. ﴿بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَوْلَىٰ﴾، و﴿كِتَٰبِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، وأجيز تعليق ﴿فِى كِتَٰبِ﴾ بمحذوف حال من الضمير في ﴿أَوْلَىٰ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بـ (أولو الأرحام)، فينتصب على التبيين، أي أعني، أو هما متعلقان بـ: ﴿أَوْلَىٰ﴾. فمعنى الأول: وأولو الأرحام من المؤمنين، أولى بالميراث من الأجانب. وعلى الثاني: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾، أولى ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الأجانب. انتهى. أبو البقاء، ومثله عن السمين. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿أَن تَفْعَلُوٓاْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَفْعَلُوٓاْ﴾ في محل نصب على الاستثناء المنقطع؛ لأنه من غير الجنس، وهو مستثنى من معنى الكلام السابق. ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ: ﴿مَّعْرُوفًا﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَّعْرُوفًا﴾: مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿وَأُوْلُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم: ﴿كَانَ﴾، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مَسْطُورًا﴾: خبر: ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها كالخاتمة لما ذكر من الأحكام، وفيها معنى التوكيد له.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ أي: عهدهم على الوفاء بما حمّلوا من أداء الرسالة، وأن يبشر بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضاً، وأنْ يسدوا النصيحة لمن أرسلوا إليهم. ﴿وَمِنكَ﴾: فهو من عطف الخاص على العام، والخطاب للنبي ﷺ، وقدم على نوح وعلى من بعده؛ لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء؛ لأنهم أولو العزم، وأصحاب الشرائع، فلما كان ﷺ أفضل هؤلاء؛ قدم عليهم، ولولا ذلك؛ لقدم من قدم زمانه. وهذا يشير إلى الحديث الشريف: «**كُنْتُ أَوَّلَهم في الْخلْقِ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ**». هذا؛ ومعنى «في الخلق»: في الذكر.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ أي: عهداً وثيقاً عظيماً على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة، وأن يصدق بعضهم بعضاً. والميثاق: هو اليمين بالله تعالى، فالميثاق الثاني تأكيد للميثاق الأول باليمين. وقيل: الأول هو الإقرار بالله تعالى، والثاني في أمر النبوة، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ الآية رقم [٨١] من سورة (آل عمران). هذا؛ وفي الآية استعارة مكنية؛ حيث شبه الميثاق بجرم محسوس، واستعار له شيئاً من صفات الأجرام، وهو الغلظ؛ للتنويه بعظم الميثاق، وشدته، ومثل الآية قول أبي ذؤيب الهذلي: [الكامل]

وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارَها ألْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

هذا؛ والميثاق: العهد. وقيل: عهد الله إلى خلقه ثلاثة: الأول: العهد الذي أخذه على جميع ذرية آدم في قديم الأزل بأن يقروا بربوبيته، ويعترفوا بألوهيته، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ...﴾ إلخ الآية رقم [١٧٢] من سورة (الأعراف). والعهد الثاني خص به النبيين، والمرسلين بأن يبلغوا الرسالة، ويقيموا الدين، وهو المذكور في هذه الآية. والعهد الثالث: خص به العلماء من كل أمة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ الآية رقم [١٨٧] من سورة (آل عمران)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣] من سورة (الشورى) تجد ما يسرك. هذا؛ و﴿مِيثَٰقَ﴾ أصله: مِوْثاق، قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، ومثله قل في: ميعاد، وميزان.

الإعراب: (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو ظرف لهذا المقدر، وأجاز السمين عطفه على محل ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيكون متعلقاً بـ: ﴿مَسْطُورًا﴾ معنًى، التقدير: كان هذا الحكم مسطوراً في الكتاب، وقت أخذنا. . . ﴿أَخَذْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَخَذْنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. (منك): جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما؛ إذ التقدير: وأخذنا منك. ﴿وَمِن نُّوحٍ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: معطوف على ﴿نُّوحٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾: معطوفان أيضاً، وعلامة الجر فيهما الكسرة المقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱبْنِ﴾: صفة عيسى، أو بدل منه، و﴿ٱبْنِ﴾ مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث المعنوي، وجملة: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: معطوفة على سابقتها، فهي في محل جر مثلها، ومؤكدة لها.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾: فيه أربعة، أوجه:

أحدها: ليسأل الأنبياء عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم؛ حكاه النقاش. وفي هذا تنبيه على أنه إذا كان الأنبياء يُسألون، فكيف مَن سواهم؟!

الثاني: ليسأل الأنبياء عما أجابهم به قومهم، حكاه علي بن عيسى.

الثالث: ليسأل الأنبياء عليهم السلام عن الوفاء بالميثاق، الذي أخذه عليهم. حكاه ابن شجرة.

الرابع: ليسأل الأفواه الصادقة عن القلوب المخلصة، كما في قوله تعالى في الآية رقم [٦] من سورة (الأعراف): ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. وقيل: فائدة سؤالهم: توبيخ الكفار، كما يقول الله لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. انتهى. قرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى الله، و«أنْ» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: فعلنا ذلك؛ ليسأل الله الأنبياء يوم القيامة عما قالوه لقومهم. وقيل: متعلقان بـ: ﴿أَخَذْنَا﴾، والأول أقوى. ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: مفعول به. ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَعَدَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أعد): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً. ﴿لِلْكَـٰفِرِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به. ﴿أَلِيمًا﴾: صفة، وجملة: ﴿وَأَعَدَّ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَخَذْنَا...﴾ إلخ من جهة أن بعثة الرسل، وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين، أو هي معطوفة على ما دل عليه ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ كأن قال: فأثاب المؤمنين، وأعد للكافرين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: وهي ما امتن الله به عليهم من خيبة المشركين من كفار قريش، وحلفائهم من قبائل غطفان، وفزارة، وقبائل اليهود الذين تحالفوا، وتعاقدوا على استئصال المسلمين في المدينة المنورة. ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: يعني: القبائل المذكورة الذين تحزبوا على عداوة رسول الله ﷺ، وحربه. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾: يعني: الصَّبا،

وهي الآتية من الجهة الشرقية، وقد قيل فيها: الصبا ريح، فيها روح، ما هبت على محزون؛ إلا ذهب حزنه. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**». متفق عليه، والدَّبور: الريح الآتية من جهة المغرب.

فبعث الله على قريش في تلك الليلة ريحاً باردةً عاتيةً، فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الخيم؛ التي أقاموها، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض. ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: هم الملائكة الذين ألقوا الرعب في قلوب المشركين، وكبروا في جوانب عسكرهم، حتى كان سيد كل خباء، يقول: يا بني فلان هلُمَّ إليَّ! فإذا اجتمعوا إليه، قال لهم: النجاء النجاء؛ لما بعث الله عليهم من الرعب، فقال طُلَيحة بن خُوَيْلد الأسدي: أما محمد فقد بدأكم بالسحر، فالنجاء فالنجاء! فانهزموا من غير قتال، ويقرأ: ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ بالخطاب للمسلمين المجاهدين، ويقرأ بالياء، أي لم يرها المشركون، فيكون التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: رائياً ما تعملون من حفر الخندق، ومصابرتكم الكفار في الجهاد. ويقرأ بالياء، أي: الله بصير بما يعمل المشركون من التحزب، والكيد، والمحاربة، ويكون من جملة الالتفات، وخذ ما يلي:

غزوة الخندق سميت بذلك لحفر الخندق، وتحصن المسلمين داخله، وتسمى: غزوة الأحزاب، سميت بذلك لتحزب قبائل العرب، واليهود من قريش، وتحالفهم معها على استئصال المسلمين في المدينة، ومحو الإسلام. قال موسى بن عقبة: كانت سنة أربع للهجرة، وقال ابن إسحاق: كانت سنة خمس، وبذلك جزم أهل المغازي، ومال البخاري إلى قول موسى بن عقبة، وصادفت شهر آذار سنة ٦٢٧م.

وسببها: أنه لما وقع إجلاء بني النضير من المدينة المنورة، واستولى المسلمون على دورهم، وأملاكهم ـ انظر مطلع سورة الحشر ـ ذهب جمع منهم، وعلى رأسهم حيي بن أخطب من خيبر؛ حتى قدموا مكة المكرمة، ونزلوا على قريش، وحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا نكون معكم عليه حتى نستأصله! فقال أبو سفيان: مرحباً، وأهلاً، وأحب الناس إلينا من أعاننا على حرب محمد، وعداوته! ثم قال لهم أبو سفيان: يا معشر اليهود! إنكم أهل الكتاب الأول، فأخبرونا: أنحن على الحق، أم محمد؟ فقالوا: بل أنتم على الحق، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ...﴾ إلخ الآية رقم [٥٠] من سورة (النساء) وما بعدها.

هذا؛ وفي موقف اليهود من قريش، وتفضيلهم وثنيتهم على محمد ﷺ، يقول الدكتور إسرائيل ولغنسون في كتابه: «تاريخ اليهود في بلاد العرب»: كان من واجب هؤلاء اليهود أن لا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش، وأن لا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي، ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم؛ لأن بني إسرائيل الذين

كانوا منذ عدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين، والذين نكبوا نكبات لا تحصى: من تقتيل، واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد في عصور شتى من أدوار التاريخ كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم، وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين؛ هذا فضلاً عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام، إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم، ويناقضون تعاليم التوراة؛ التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام، والوقوف منهم موقف الخصومة. انتهى. الدرويش.

فلما قالوا ذلك لقريش؛ سرهم، ونشطوا لحرب الرسول ﷺ، ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان، وقيس بن عيلان، وندبوهم لحرب النبي ﷺ، فأجابوهم، وخرجت قريش، وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان، وقائدهم عيينة بن حصن الفزاري، ولما تهيأ الجميع للخروج؛ ذهب ركب قبيلة خزاعة في أربع ليال حتى أخبروا الرسول ﷺ بما أجمعوا عليه، ولا يبعد أن يكون العباس ـ رضي الله عنه ـ قد بعث من قبله رسولاً إلى المدينة يخبر النبي بذلك.

فشرع في حفر الخندق بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه، فإنه قال: يا رسول الله! إنا كنا بفارس إذ حُوصِرنا؛ خندقْنَا علينا، فعمل فيه النبي ﷺ والمسلمون؛ حتى أحكموه، وكان النبي يقطع لكل عشرة رجال أربعين ذراعاً، ومكثوا في حفره خمسة عشر يوماً. وقيل: أربعة وعشرين. وقيل: شهراً، فلما فرغوا من حفره؛ أقبلت قريش بجموعها، وحلفائها، وجملتهم اثنا عشر ألف مقاتل، فنزلوا حول المدينة، والخندق بينهم وبين المسلمين، فلما رآه المشركون؛ قالوا: هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها. وأخذوا يترامون ويتراشقون مع المسلمين بالنبل، ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوماً، وقيل أربعة وعشرين يوماً، واشتد الخوف على المسلمين.

ثم إن نعيم بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ من غطفان جاء ليلاً إلى النبي ﷺ، وقال له: إني أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له الرسول ﷺ: «**إنما أنت رجل واحد، ابق مع قومك، وخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة**». فخرج ـ رضي الله عنه ـ حتى أتى بني قريظة؛ الذين نقضوا العهد مع الرسول ﷺ، وانضموا إلى قريش وحلفائها، وكان نديماً لهم في الجاهلية، فقال لهم: يا بني قريظة! قد عرفتم وُدِّي إياكم، ونصحي لكم! قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم. فقال: إن قريشاً، وغطفان جاؤوا لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدكم، به أموالكم، وأولادكم، ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً، وغطفان أموالهم، وأبناؤهم، ونساؤهم بغيره، إن رأوا نهزة، وغنيمة؛ أصابوها، وإن كان غير ذلك؛ لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين هذا الرجل، والرجل ببلدكم، لا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم؛ حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً؛ حتى تناجزوه! قالوا: لقد أشرت برأي، ونصح.

ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان، ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي إياكم، وفراقي محمداً، فقد بلغني أمرٌ رأيت حقاً عليَّ أن أبلغكم نصحاً لكم، فاكتموا عليَّ! قالوا: نفعل. قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم، وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش، وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم؟ فأرسل إليهم أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رُهُناً من رجالكم؛ فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان! أنتم أهلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهمونني، قالوا: صدقت! قال: فاكتموا عليَّ! قالوا: نفعل، فقال لهم: مثل ما قال لقريش، وحذرهم مثل ما حذرهم. ثم إن أبا سفيان، ومن على شاكلته أرسلوا إلى بني قريظة يقولون لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف، والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا، وبينه، فأرسلوا إليهم: لا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا؛ حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل، ولا طاقة لنا بذلك من محمد. فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة، قالت قريش، وغطفان: تَعْلَمُنَّ والله إن الذي حدثكم به نُعَيْم بن مسعود لَحَقٌّ! فأرسلوا إلى بني قريظة، والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا! فإن كنتم تريدون القتال؛ فاخرجوا، فقاتلوا. فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لَحَقٌّ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة؛ انتهزوها، وإن كان غير ذلك؛ شمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم، وبين الرجل في بلدكم. فأرسلوا إلى قريش، وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً! فأَبَوْا عليهم، وخذل الله عزَّ وجلَّ بينهم. رضي الله عنك، وأرضاك يا نعيم بن مسعود!

ثم بعث الله الرياح في ليلة شاتية، شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح آنيتهم. فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح، وجنود الله بهم، فقال: يا معشر قريش! إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع، والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا، فإني مرتحل. ورجعوا خائبين، كما قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا...﴾ إلخ. وانظر شرح الآيات آية آية؛ يتضح لك ذلك أكثر، فأكثر. والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ: (يا)، و(ها): حرف تنبيه، لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدل من: (أيها)، أو عطف بيان

عليه، وجملة: ﴿ءَامَنُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿اذْكُرُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿نِعْمَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نِعْمَةَ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿نِعْمَةَ﴾، أو هو متعلق بالفعل ﴿اذْكُرُوا﴾ على أنه بدل اشتمال من ﴿نِعْمَةَ﴾، ومثله قوله تعالى: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً﴾ في الآية رقم [١٠٣] من سورة (آل عمران). ﴿جَاءَتْكُمْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والكاف مفعول به. ﴿جُنُودٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها. (أرسلنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رِيحًا﴾: مفعول به. ﴿وَجُنُودًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَوْهَا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والفعل بصري، فاكتفى بمفعول واحد، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: (جنودا)، وجملة: ﴿فَأَرْسَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾: اسمها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَصِيرًا﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها، صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بصيراً بعملكم. ﴿بَصِيرًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها، فتكون في محل جر أيضاً. هذا؛ ويقرأ الفعل: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالياء، فيكون في الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة، وهو مما يرجح الاستئناف.

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)﴾

الشرح: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: الخطاب للمسلمين الصادقين، وضمير الغيبة للمشركين: قريش، وحلفائها. والمراد بالجائين من فوق ـ أي: من أعلى الوادي من جهة المشرق ـ: بنو غطفان، وبنو أسد، وبنو فزارة. والمراد بالجائين من أسفل ـ أي: من أسفل الوادي من جهة المغرب ـ: قريش وجاء أبو الأعور السلمي، ومعه حيي بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة؛ الذين نقضوا العهد، والميثاق مع النبي ﷺ. هذا؛ والفعل: «جاء» يستعمل متعدياً إذا كان بمعنى: وصل، وبلغ، كما هنا، ولازماً: إذا كان بمعنى: حضر، وأقبل، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: مالت عن مستوى نظرها حيرة، وشخوصاً، فلم تلتفت إلا إلى عدوها دهشاً من شدة الهول. ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي: زالت عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحناجر، وهي الحلاقيم، واحدها: حنجرة، وذلك من شدة الخوف، فإن الرئة تنتفخ من شدة الروع، فترتفع إلى رأس الحنجرة، وهي منتهى الحلقوم، مدخل الطعام، والشراب. وقيل: إنه مثل يضرب من شدة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر، وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة. ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ أي: الأنواع المختلفة من الظن، فظن المؤمنون الصادقون، الثبت القلوب: أن الله منجز وعده في إعلاء دينه، وظن الضعاف الإيمان، والمنافقون: أن المسلمين يُستأصلون. والآيات التالية تقص علينا ما تفوهوا به من كلام، وما ظهر منهم من نفاق.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: بدل من ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ...﴾ إلخ. ﴿جَآءُوكُم﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، والكاف في محل جر بالإضافة. (من أسفل): معطوفان على ما قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للصفة ووزن أفعل. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَسْفَلَ﴾. ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): معطوف على ما قبله. ﴿زَاغَتِ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها، وجملة: ﴿وَبَلَغَتِ...﴾ إلخ معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها. ﴿وَتَظُنُّونَ﴾: الواو: حرف عطف. (تظنون): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾: مفعول به، أو هو مفعول مطلق على اعتباره جمع الظن، والألف للإطلاق، وجملة: ﴿وَتَظُنُّونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها، والمضارع بمعنى الماضي، كما هو ظاهر؛ ليتناسب المتعاطفان.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: امتحنوا، واختبروا؛ ليتبين المخلص من المنافق، وكان هذا الابتلاء بالخوف، والقتال، والجوع، والبرد، والمحاصرة، والنزال. ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي: حركوا تحريكاً عظيماً. قال الزجاج: كل مصدر من المضاعف على فعلال يجوز فيه الكسر، والفتح، نحو قلقلته قِلقالاً وقَلقالاً، وزلزلوا زِلزالاً وزَلزالاً، والكسر أجود؛ لأن غير المضاعف على الكسر، نحو: دحرجته دِحراجاً.

الإعراب: ﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية، أو على المكانية ـ وهو أقوى ـ متعلق بالفعل بعده، وأجيز تعليقه بـ: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾، وعليه فالوقف على آخره، وعلى الأول فالوقف على ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾، وهو الأقوى. واللام للبعد، والكاف حرف

خطاب، لا محل له. ﴿ٱبْتُلِيَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: نائب فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿زِلْزَالًا﴾: مفعول مطلق. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة له.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك، وضعف اعتقاد، فهو يمرض قلوبهم، أي: يضعفها، وذلك بضعف الإيمان فيها، والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن، فيخرجه عن الاعتدال اللائق به، ويوجب الخلل في أفعاله، وقد يؤدي إلى الموت، واستعير هنا لما في قلوبهم من الجهل، وفساد العقيدة. ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾: إلا وعداً باطلاً، وذلك: أن طُعمة بن أبيرق، ومعتِّب بن قشير، وجماعة من المنافقين، قالوا: يعدنا محمد كنوز كسرى، وقيصر، ولا يجرؤ أحدنا أن يخرج للغائط، وإنما قالوا ذلك حينما سمعوا: أن النبي ﷺ وعدهم ذلك عند ضربه الصخرة، وتفتتها، وظهور النار منها، وكانت قد ظهرت في الخندق في الجزء الذي كان يعمل فيه سلمان الفارسي مع جماعة من الصحابة، ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

هذا؛ والغرور الذي يغر ويخدع الإنسان مما لا يدوم؛ بل يضمحل بسرعة. و﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ كل شيء يتمتع به الإنسان في دنياه، ويتلذذ به من طعام، وشراب، ولباس، ومسكن، وولد، وزوجة... إلخ، وانظر ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين في الآية رقم [٣٣] من سورة (لقمان).

وأما ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فهو جمع: منافق، وسمي المنافق منافقاً أخذاً من نافقاء اليربوع، وهو جحره؛ الذي يقيم فيه، فإنه يجعل له بابين، يدخل من أحدهما، ويخرج من الآخر، فكذلك المنافق يدخل مع المؤمنين بقوله: أنا مؤمن، ويدخل مع الكفار بقوله: أنا كافر. هذا؛ وقد يتصف مؤمن بصفات المنافقين، فيكذب، ويخلف الوعد، ويخون في الأمانة، ويفجر في الخصومة، وما أكثرهم في هذا الزمن، فهذا يقال له: نفاق العمل، وأمَّا الأول؛ فيقال له: نفاق العقيدة، لأنه يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، وهو أخبث من الكفر، وعقابه أشدُّ منه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وقد حذر الرسول ﷺ من نفاق العمل والاتصاف به؛ لأنه يجر إلى نفاق العقيدة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«آيَةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتِمنَ خَانَ، وإنْ صامَ، وصلَّى، وحجَّ، واعتمرَ، وقال: إني مسلمٌ»**. أخرج بعضه البخاري، وبعضه مسلم، وأخرجه أبو يعلى من حديث أنس رضي الله عنه.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): معطوف على سابقه. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: فاعله مرفوع... إلخ. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: (إذ) إليها. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع معطوف على ما قبله. ﴿فِى قُلُوبِهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿وَعَدَنَا﴾: فعل ماض، و(نا): مفعول به أول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾: معطوف عليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿غُرُورًا﴾: مفعول به ثان، وقيل: صفة مفعول مطلق محذوف وهو ضعيف معنى. وجملة: ﴿مَّا وَعَدَنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: من المنافقين، والمراد بـ: ﴿طَّآئِفَةٌ﴾ عبد الله بن أبي وأصحابه. وقال القرطبي: هو أوس بن قيظي، والد عرابة بن أوس؛ الذي انتهى إليه الكرم في المدينة في زمن التابعين، وهو الذي يقول في الشماخ: [الوافر]

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

هذا؛ والطائفة: الجماعة من الناس، لا واحد لها من لفظها، مثل: فريق، ورهط، ونفر... إلخ، وجمعها: طوائف، وقد يطلق لفظ: طائفة على الواحد، وعلى الاثنين، مثل قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٦٦]: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾: هي المدينة المنورة، وسماها رسول الله طيبة، وطابة. وقال أبو عبيدة: يثرب: اسم أرض، والمدينة ناحية منها. وقال السهيلي: وسميت يثرب لأن الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن مهلائيل، بن عوض بن عملاق بن لاوذ بن إرم. وبنو عميل هم الذين سكنوا الجحفة، فأجحفت بهم السيول فيها، وبها سميت الجحفة، قال امرؤ القيس: [الطويل]

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ، وأهلُهَا بِيَثْرِبَ أَدْنى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي

وقد نهى النبي ﷺ أن تسمى بهذا الاسم لما فيه من التثريب، وهو التقريع، والتوبيخ، كما في قوله تعالى حكاية عن قول يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، وقد قال المنافقون: يا أهل يثرب مخالفة لما نهى عنه النبي ﷺ. ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: يقرأ بضم الميم وفتحها على أنه مصدر ميمي، أو اسم مكان بمعنى الإقامة، وأصله: «مُقْوَم» فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها، ثم قل: تحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت ألفاً.

﴿فَٱرۡجِعُواْۚ﴾ أي: إلى منازلكم هاربين. وقيل المعنى: لا مقام لكم على دين محمد ﷺ فارجعوا إلى الشرك، وسلموا؛ لتسلموا، ويروى: أن يهود بني قريظة قالوا لعبد الله بن أبي ابن سلول، وأصحابه من المنافقين: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه، فارجعوا إلى المدينة، فإنا مع القوم، فأنتم آمنون. ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ أي: في الرجوع إلى منازلهم بالمدينة، وهم بنو حارثة بن الحارث. وقيل: هو أوس بن قيظي، وجماعة من قومه.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ أي: غير حصينة، وهي ما يلي العدو، ويخشى عليها من السراق. وقرئ: (عَوِرة) بكسر الواو، يعني: قصيرة الجدران فيها خلل، تقول العرب: دار فلان عَوِرة إذا لم تكن حصينة. وقد أعور الفارس: إذا بدا فيه خلل للضرب، والطعن. قال الشاعر: [الطويل]

مَتَى تلْقَهُمْ لَمْ تلقَ في البيتِ مُعْوِراً ... ولا الضيْفَ مفجوعاً ولا الجارَ مُرْمِلَا

﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ﴾: تكذيب لهم، وردٌّ عليهم فيما ذكروه، وادَّعوه. ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا﴾ أي: ما يريدون إلا الهرب من الحرب، أو من الدين. هذا؛ وحكى النقاش: أن هذه الآية نزلت في قبيلتين من الأنصار: بني حارثة، وبني سلمة، وهموا أن يتركوا مراكزهم يوم الخندق، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا﴾. ويرده: أن هذا حصل في غزوة أحد، انظر الآية رقم [١٢٢] من سورة (آل عمران). وقال السدي: الذي استأذنه منهم رجلان من الأنصار: أوس بن قيظي، وأبو عرابة بن أوس. قال الضحاك: ورجع ثمانون رجلاً بغير إذن.

الإعراب: ﴿وَإِذۡ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): معطوف على ما قبله، وقال مكي: العامل فيه، وفي سابقه فعل مضمر، تقديره: واذكر يا محمد إذ يقول، وإذ قالت، وعليه فالظرف مفعول به، أو هو مفعول فيه لهذا المقدر، وقد مر معنا كثير مثله. ﴿قَالَت﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿طَّآئِفَةٞ﴾: فاعله. ﴿مِّنۡهُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿طَّآئِفَةٞ﴾، وجملة: ﴿قَالَت...﴾ إلخ في محل جر بإضافة: (إذ) إليها. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (أهل): منادى، وهو مضاف، و﴿يَثۡرِبَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿مُقَامَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾ والجملة الاسمية، والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول. ﴿فَٱرۡجِعُواْۚ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، وواقعاً؛ فارجعوا. و(ارجعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومتعلقه محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر، والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول.

﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ﴾: الواو: حرف عطف. (يستأذن): فعل مضارع. ﴿فَرِيقٞ﴾: فاعل. ﴿مِّنۡهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿فَرِيقٞ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾: مفعول به، وجملة:

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قَالَت...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿بُيُوتَنَا﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿عَوْرَةٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ مفسرة للفعل: (يستأذن)، أو هي في محل نصب حال من ﴿فَرِيقٌ﴾ جوز مجيء الحال منه، وهو نكرة وصفه بالجار والمجرور، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من ﴿ٱلنَّبِىَّ﴾ فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط محذوفاً، التقدير: قائلين له: إن بيوتنا عورة. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿هِىَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿بِعَوْرَةٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (عورة): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا هِىَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من بيوتنا، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿يُرِيدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِرَارًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة؛ فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط الضمير فقط، وتكون حالاً متداخلة من وجه واحد من الأوجه التي رأيتها في محل جملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ أي: لو دخلت جيوش المشركين الذين هاجموا المدينة بيوت هؤلاء المنافقين، أو دخلوا شوارع المدينة. ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: من نواحيها، وجوانبها. ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: طلب من المنافقين الفتنة، أي الردة عن الإسلام، والرجعة إلى الكفر، ومقاتلة المسلمين. ﴿لَـَٔاتَوْهَا﴾: لجاؤوها، وفعلوها بسرعة. ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾ أي: وما توقفوا عن إجابة من طلب منهم الفتنة. ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ أي: وقتاً قليلاً ريثما يكون السؤال، والجواب من غير توقف. أو المعنى: ما لبثوا في المدينة بعد ارتدادهم إلا يسيراً فإن الله يهلكهم. هذا؛ وقرئ الفعل: (لآتوها) بالمدِّ؛ أي: لأعطوها بسرعة لمن يطلبها منهم. والمعنى: أنهم يتعللون باعورار بيوتهم؛ ليفروا عن نصرة رسول الله ﷺ، والمؤمنين، وعن مصافة الأحزاب؛ الذين ملؤوا قلوبهم رعباً، وخوفاً. وهؤلاء الأحزاب كما هم لو دخلوا أرضهم، وديارهم، وعرضوا عليهم الكفر، وقالوا لهم: انقلبوا على المسلمين؛ لسارعوا إليه، وما ذلك إلا لبغضهم الإسلام، وحبهم للكفر، وذلك لما جبلوا عليهم من النفاق، والمداهنة.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿دُخِلَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هي» يعود إلى المدينة، أو إلى بيوتهم حسبما رأيت في الشرح. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿دُخِلَتْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿سُئِلُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿الْفِتْنَةَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَآتَوْهَا﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (آتوها): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿تَلَبَّثُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والحالية ممكنة، ويؤيدها المعنى من واو الجماعة، فيكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿يَسِيرًا﴾: صفة مفعول مطلق، التقدير: إلا لبثاً يسيراً، أو صفة زمان محذوف، التقدير: إلا زمناً يسيراً.

﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل غزوة الخندق، وبعد غزوة بدر. قال قتادة: وذلك: أنهم غابوا عن بدر، ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة، والنصر، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن. وقال يزيد بن رومان: هم بنو حارثة، همُّوا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم. انتهى. قرطبي، ومعنى ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَۚ﴾: لا يعطون ظهورهم للأعداء منهزمين، والأدبار جمع: دبر، بضم الدال مع ضم الباء وسكونها، وهو الظهر، قال تعالى في سورة (القمر): ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ وهو أيضاً ضد القبل، والأدبار بمعنى، أواخر الأشياء، قال تعالى في سورة (ق): ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ بمعنى أعقاب الصلاة، وأواخرها. هذا؛ والإدبار بكسر الهمزة: ضد الإقبال. ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ أي: إن العبد سيسأل يوم القيامة عن العهد الذي يعطيه على نفسه لله وللناس، قال تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٣٤]: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار، والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم

يعتبرها حرف استئناف، ويعتبر الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف. ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف واو القسم، والمقسم به، ويصير التقدير: والله أقسم، أو: وأقسم والله. اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف، وبعضهم يقول: موطئة، والموطئة معناها المؤذنة، وهذه اللام، إنما تدخل على: «إن» الشرطية لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر) افهم هذا؛ واحفظه، فإنه جيد. فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به، وبقاء حرف القسم، فالجواب: أنه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ...﴾ إلخ فإن التقدير: ورب الضحى، ورب السماء... إلخ، ويدل على هذا المقدر قوله تعالى في الآية رقم [٢٧] من سورة (الذاريات): ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ...﴾ إلخ. وأوضح من ذلك قوله تعالى في الآية رقم [٧١] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ فإن التقدير: فوعزتي وجلالي ما أحَدٌ مِنْكُمْ إلا واردها. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

(قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿عَـٰهَدُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، وجملة: ﴿عَـٰهَدُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب خبر (كان). ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُوَلُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾: مفعول به ثان، والأول محذوف، التقدير: لا يولون العدو الأدبار، والجملة الفعلية جواب ﴿عَـٰهَدُوا۟﴾؛ لأنه بمعنى القسم، وجملة: (لقد...) إلخ جواب القسم المقدر، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿عَهْدُ﴾: اسم (كان) وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿مَسْـُٔولًا﴾: خبر كان، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُل﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: من حضر أجله مات، أو قتل فلا ينفع الفرار؛ لأنه لا بد لكل إنسان من الموت، إما حتف أنفه، أو يقتل بالسيف في وقت معين سبق به القضاء، وجرى به القلم، وأيضاً لا بد من الموت ولو تحصن الإنسان في القصور الشامخة، أو صعد الجبال العالية، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟

يُدْرِكُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾. ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ أي: في الدنيا بعد فراركم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: المعنى: وإن نفعكم الفرار من الحرب، والقتال مع الرسول ﷺ، فتأخر موتكم لم يكن ذلك التأخير، والتمتيع في الدنيا إلا قليلاً، وهو مدة انقضاء آجالكم.

الإعراب: ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، تقديره: «أنت». ﴿لَّن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يَنفَعَكُمُ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَّن﴾، والكاف مفعول به. ﴿ٱلْفِرَارُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿فَرَرْتُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مِّنَ ٱلْمَوْتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَوِ﴾: حرف عطف. ﴿ٱلْقَتْلِ﴾: معطوف على ما قبله، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو ظاهر، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿وَإِذًا﴾: الواو: حرف عطف. (إذاً): حرف جواب وجزاء. ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، و﴿لَّا﴾: نافية. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق، أي تمتيعاً قليلاً، أو صفة زمان محذوف، أي: زماناً قليلاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

هذا؛ وقدر الجلال في الآية رقم [٧٣] من سورة (الإسراء) «لو» محذوفة، فيكون التقدير هنا: لو فعلتم الفرار؛ لا تمتعون إلا قليلاً. قال الجمل معلقاً على قول الجلال هناك: (إذاً) حرف جواب، وجزاء يقدر: بـ: «لو» الشرطية كما فعل الشارح، وعبارة السمين: (إذاً) حرف جواب، وجزاء، ولهذا تقع أداة الشرط موقعها، وقوله: ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ﴾ أي: في سورة (الإسراء): جواب قسم محذوف، تقديره: والله لاتخذوك... إلخ.

هذا؛ وقال ابن هشام في مغنيه: والأكثر أن تكون جواباً لـ: «إن»، أو «لو» مقدرتين، أو ظاهرتين، فالأول كقول كثير عزة: [الطويل]

لَئِنْ جَادَ لي عَبْدُ العزيزِ بِمِثْلِهَا ... وأمْكَنَنِي مِنْهَا، إِذاً لا أُقِيلُهَا

وهذا هو الشاهد رقم [١٩] من كتابنا فتح القريب المجيب. وقول قريط بن أنيف: [البسيط]

لَوْ كنتُ مِنْ مازنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي ... بَنُو اللَّقِيطةِ مِنْ ذُهْلِ بنِ شَيْبَانَا

إذاً لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ الْحَفِيظَةِ، إنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا

وهذا هو الشاهد رقم [٢٠] من الكتاب المذكور. هذا؛ وقال الفراء: حيث جاءت بعدها اللام، فقبلها «لو» مقدرة؛ إن لم تكن ظاهرة، وهذا هو القول الفصل انتهى. أقول: وهو يريد لام التوكيد، ولا النافية مثلها. هذا؛ ويبقى الكلام المقدر، والمذكور في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: أمر للنبي ﷺ. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: يمنعكم من الله. ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾: في أنفسكم من قتل، أو غيره. ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي: إطالة عمر في عافية وسلامة. ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: ينفعهم. ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: يدفع الضر عنهم. ولا تنس الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة، ولا عصمة إلا من السوء؟! قلت: معناه: أو يصيبكم بسوء، إن أراد بكم رحمة، فاختصر الكلام، وقال الشاعر: [مجزوء الكامل]

ورأيْتُ زوجَكِ في الْوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحا

أو: حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع، وانظر ما أذكره في الآية رقم [٩] من سورة (الحشر) إن شاء الله تعالى. هذا؛ والولي: هو الذي يتولى شؤون غيره، والنصير: المعين، والمساعد، والفرق بينهما: أن الولي قد يضعف عن النصرة، والمعاونة، والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور، فبينهما عموم، وخصوص من وجه. هذا؛ والولي لله: العارف بالله تعالى على حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المعرض عن الانهماك في اللذات، والشهوات. وفيه وجهان: أحدهما: أنه فعيل بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح، فعلى هذا: هو من يتولى الله رعايته، وحفظه، فلا يكله إلى غيره، ونفسه لحظة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. والوجه الثاني: أنه فعيل مبالغة من فاعل، كرحيم، وعليم، بمعنى راحم، وعالم، فعلى هذا: هو من يتولى عبادة الله تعالى، من غير أن يتخللها عصيان، أو فتور. وكلا المعنيين شرط في الولاية، فمن شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض؛ فليس بولي؛ بل هو مغرور مخادع. ذكره الإمام أبو القاسم القشيري، وغيره من أئمة الطريقة ـ رحمهم الله تعالى ـ. انتهى. مِن شرح ألفاظ الزبد للشيخ أحمد بن حجازي الفشني ـ رحمه الله تعالى ـ. هذا؛ وربنا يقول في الحديث القدسي: «**من عادى لي ولياً؛ فقد آذنْتُهُ بالحربِ**».

أما الإرادة: فهي نزوع النفس، وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه. ويقال للقوة؛ التي هي مبدأ النزوع، والأول مع الفعل، والثاني قبله، وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به، ولذا اختلف في معنى إرادته سبحانه وتعالى، فقيل: إرادته لأفعاله: أنه غير ساه، ولا مكره، ولأفعال غيره أمره بها، فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته. وقيل: علمه باشتمال

الأمر على النظام الأكمل، والوجه الأصلح، وهذا الأخير هو المقبول؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر. هذا؛ ولم يَرِدْ لفعل الإرادة، ولا لفعل المشيئة أمر فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف، وقد كثر حذف مفعول هذين الفعلين حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشيء المستغرب، مثل هذه الآية. وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ وقال الشاعر الخزيمي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَماً لَبَكَيْتُهُ عليهِ، ولكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقيد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد «لو» وليس كذلك.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع خبر. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة: ﴿ذَا﴾ أو بدل منها، وجوز أن يكون: ﴿مَن ذَا﴾ اسماً مركباً مبنياً على السكون في محل رفع مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى﴾ خبره. ﴿يَعْصِمُكُم﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والكاف مفعول به. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَرَادَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿بِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سُوٓءًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَرَادَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف، وجملة: ﴿أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَجِدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بـ: ﴿وَلِيًّا﴾ أو ﴿نَصِيرًا﴾ على التنازع، أو بمحذوف حال من أحدهما، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مِّن دُونِ﴾: متعلقان بما تعلق به: ﴿لَهُم﴾. وأجيز اعتبار ﴿لَهُم﴾ مفعولاً ثانياً، وهو وجه ضعيف. ﴿وَلِيًّا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿نَصِيرًا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَلَا يَجِدُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي: المثبطين الناس عن رسول الله ﷺ، وهم عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه المنافقون. هذا؛ والتعويق: المنع، والصرف، وهو للمبالغة. ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ من ساكني المدينة. ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي: ارجعوا إلينا، ودعوا محمداً ﷺ، فلا تشهدوا

معه الحرب، فإنا نخاف عليكم الهلاك، وما محمد، وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحماً؛ لالتهمهم أبو سفيان، وأصحابه! دعوا الرجل؛ فإنه هالك!.

والآية نزلت في المنافقين بلا ريب، وذلك: أن اليهود أرسلوا إليهم حين أقبلت قريش بحلفائها، وحاصروا المدينة المنورة، وقالوا لهم: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان، ومن معه، فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرة؛ لم يستبقوا منكم أحداً، وإنا نشفق عليكم، فأنتم جيراننا، وإخواننا هلموا إلينا! فأقبل عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول، وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم، ويخوفونهم بأبي سفيان، ومن معه، وقالوا لهم ما تقدم، فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً، واحتساباً. ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾: ولا يحضرون القتال. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا زماناً، أو إتياناً قليلاً. وقيل: إلا رياءً، ومداراةً للمؤمنين. والبأس: الحرب.

﴿هَلُمَّ﴾: اسم فعل أمر، بمعنى: احضروا. وفيه لغتان: لغة أهل الحجاز، ولغة بني تميم، فأما لغة الحجاز، وبها جاء التنزيل، فإنها بصيغة واحدة للمفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، نحو: هلمَّ يا زيد، هلمَّ يا زيدان، هلمَّ يا زيدون، هلمَّ يا هندان، هلمَّ يا هندات، وهي على هذه اللغة: اسم فعل أمر لعدم تغيرها، والتزمت العرب فيها فتح الميم على هذه اللغة، وهي حركة بناء، بنيت على الفتح تخفيفاً. وأما لغة بني تميم، وقد نسبها الليث إلى بني سعد، فتلحقها الضمائر، كما تلحق سائر الأفعال، فيقال: هلمَّا يا زيدان، هَلُمُّوا يا زيدون، هلمِّي يا هندُ، هلْمُمْنَ يا هنداتُ. وقال الفراء: يقال هلُمِّينَ يا نسوة، وهي على هذه اللغة فعل صريح لا يتصرف. هذا قول الجمهور، وقد خالف بعضهم في فعليتها على هذه اللغة، وليس بشيء، فالتزمت العرب فيها أيضاً على لغة بني تميم فتح الميم؛ إذا كانت مسندة لضمير الواحد المذكر، ولم يجيزوا فيها ما أجازوه في: ردَّ، وشدَّ، من الضم، والكسر. انتهى. جمل نقلاً عن السمين، ومثله في قطر الندى، ولكنه أخصر.

هذا؛ وأصله عند البصريين: هَالُمَّ مِنْ: لَمَّ إذا قصد، حذفت الألف لتقدير السكون في اللام، فإنه الأصل، وعند الكوفيين أصله: هَلْ أُمَّ، فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام، وهو بعيد؛ لأن هل لا تدخل على الأمر، ويكون متعدياً كما في آية الأنعام رقم [١٥٠]: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ...﴾ إلخ ولازماً، كما في الآية التي بين أيدينا: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ والأولى بمعنى: أحضروهم من الرباعي، وهنا بمعنى: احضروا من الثلاثي، أو بمعنى: تعالَوْا. وكلام الزمخشري هنا مؤذن بأنه متعدٍ أيضاً، وحذف مفعوله، فإنه قال: هَلُمُّوا إلينا، أي: قربوا أنفسكم إلينا. وأخيراً أقول: وهو جامد على الاعتبارين، لا يأتي منه مضارع، أو اسم مضارع، ولا ماض، ولا اسمه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق هنا. ومفيد للتكثير. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر

سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾، أو بمحذوف حال من فاعله المستتر، وجملة: ﴿قَدْ يَعْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (القائلين): معطوف على ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾، وفاعله مستتر فيه أيضاً. ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: متعلقان بـ: (القائلين)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَلُمَّ﴾: اسم فعل أمر مبني على الفتح، والفاعل مستتر فيه، وانظر الشرح. ﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿هَلُمَّ﴾، وجملة: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: واو الحال. (لا): نافية. ﴿يَأْتُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿ٱلْبَأْسَ﴾: مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، أو صفة زمان محذوف، انظر الشرح، وجملة: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المستتر في: ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ وما بعده، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها، والأول أقوى.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: بخلاء عليكم بالمعاونة، والمساعدة، أو: بالنفقة في سبيل الله، أو: بالغنيمة، أي: فإنهم يطالبون بها بإلحاح، ولا يعفون عن شيء منها، و﴿أَشِحَّةً﴾: جمع شحيح، وهو شديد البخل، مثل رغيف، وأرغفة، ولكن نقلت حركة الحاء الأولى إلى الشين، وأدغمت في الحاء الثانية، وأصله: أشْحِحَة، وهو جمع لا ينقاس؛ إذ قياس فعيل الوصف الذي عينه، ولامه من واد واحد أن يجمع على: أفعلاء، نحو خليل، وأخلاء، وظنين، وأظناء، وضنين، وأضناء، وقد سمع أشحاء، وهو القياس. ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ أي: من قتال العدو؛ إذا أقبل، أو من النبي ﷺ؛ إذا غلب أعداءه، فإنهم يخافون أن يبطش بهم بعد فراغه من أعدائه.

﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: في تلك الحالة حالة الخوف. ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ أي: في أحداقهم من شدة الخوف، وشدة الجبن، والهلع. ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: تدور أعينهم كدوران عين الذي قرب من الموت، وغشيته أسبابه فإنه يذهب عقله، ويشخص بصره، فلا يطرف، وذلك من شدة سكرات الموت. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ أي: زال الخوف عنهم، وأمنوا، وحيزت الغنائم، وقسمت. ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: رموْكم، وتناولوكم بألسنة ذربة حادة تفعل كفعل الحديد. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: عضوكم، وتناولوكم بالطعن، والغيبة. وقيل: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا! أعطونا! فإنا شهدنا معكم

القتال، فلستم بأحق بالغنيمة منا، فهم عند الغنيمة أشجع قوم! وعند الحرب أجبن قوم! وفي قوله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ استعارة مكنية حيث شبه اللسان بالسيف، ثم حذف المشبه به، واستعار شيئاً من خصائصه، وهو الضرب المعبر عنه بـ: ﴿سَلَقُوكُم﴾.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: يشاحون المؤمنين، ويخاصمونهم عند الغنيمة، قاله يحيى بن سلام. وقيل: أشحة على المال أن ينفقوه في سبيل الله؛ قاله السدي. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ أي: لم يؤمنوا حقيقة الإيمان، وإن نطقوه بألسنتهم، ولكنه لم يدخل سويداء قلوبهم. والإشارة إلى المنافقين الذين تتحدث الآيات السابقة عنهم. ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أبطل ثواب أعمالهم؛ التي كانوا يأتون بها مع المسلمين، من إنفاق بعض المال رياء، وحضور القتال خوفاً من توبيخ المسلمين لهم، وتقريعهم إياهم. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: وكان إحباط أعمالهم على الله هيناً. وقيل: كان نفاقهم على الله هيناً، وسهلاً.

قال الزمخشري: كل شيء على الله يسير، فما معنى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾؟ قلت: معناه: أن أعمالهم حقيقة بالإحباط، تدعو إليه الدواعي، ولا يصرف عنه صارف. هذا؛ وقد بين الله في سورة (النور) وفي سورة (الفرقان) أن أعمال الكفار الصالحة في نظرهم، إنما هي كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، وهي هباء منثور لا قيمة لها عند الله، ولا تنفع أصحابهم شيئاً، والنفاق أشد كفراً، كما صرحت به الآيات الكثيرة. هذا؛ وقال أبو السعود: (أحبط أعمالهم): أظهر بطلانها؛ إذ ليس لهم أعمال صحيحة حتى تحبط، أو المراد: أبطل تصنعهم، ونفاقهم فلم يبق مستتبعاً لمنفعة دنيوية أصلاً. انتهى.

هذا؛ وفي المصباح المنير: حبط العمل، يحبط من باب: تعب حبْطاً بالسكون، وحبوطاً: فسد، وهدر، وحبط، يحبط من باب ضرب لغة، وقرئ بها في الشواذ، وحَبِط دم فلان حَبَطاً من باب: تعب: هدر، وأحبطت العمل، والدم ـ بالألف ـ: أهدرته. وفي المختار: والحبَط ـ بفتحتين ـ: أن تأكل الماشية، فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها، ولا يخرج عنها ما فيها. وقيل: هو أن ينتفخ بطنها عن أكل الذرق، وهو الحندوق. وفي الحديث: «**إنَّ مِمَّا ينبتُ الربيعُ ما يَقْتلُ حبَطاً، أوْ يُلِمُّ**». انتهى. واسم هذا الداء: حباط. والفعل: حبط لازم، ويتعدى بالهمزة، كما رأيت في الآية.

الإعراب: ﴿أَشِحَّةً﴾: حال من فاعل: ﴿يَأْتُونَ﴾، أو من الضمير المستتر في ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾، أو هو منصوب على الذم بفعل محذوف، والمعتمد الأول. هذا؛ ويقرأ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم أشحة. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك مبني على السكون في محل نصب، وجملة: ﴿جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به،

والجملة الفعلية جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الضمير فقط. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿تَدُورُ﴾: فعل مضارع. ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾: فاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، وهي حال متداخلة. ﴿كَالَّذِى﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، أي: ينظرون إليك نظراً مثل نظر الذي يغشى عليه. أو التقدير: تدور أعينهم دوراناً مثل دوران عين الذي يغشى عليه. فبعد الكاف محذوفان، وهما: دوران، وعين، وعليه ابن هشام في المغني. ﴿يُغْشَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور في محل نائب فاعل. وقيل: نائب الفاعل ضمير مصدر الفعل، التقدير: ويغشى الغشيان المعهود. وعليه: فالجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وانظر الآية رقم [٥٤] من سورة (سبأ)، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وتعليقهما بمحذوف حال من الضمير المجرور بـ (على) غير مستبعد.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾: إعراب هذه الكلمات مثل إعراب ما قبلها، جملة، وإفراداً. ﴿سَلَقُوكُم﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية جواب: (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿بِأَلْسِنَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿حِدَادٍ﴾: صفة (ألسنة). ﴿أَشِحَّةً﴾: حال من واو الجماعة. ﴿عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَشِحَّةً﴾. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُؤْمِنُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة الجزم حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَحْبَطَ﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. (أحبط): ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم (كان)، فهو اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يَسِيرًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهو أقوى من عطفها على ما قبلها. وقيل: في محل نصب حال، وليس بشيء.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿يَحْسَبُونَ﴾: يظنون. ﴿ٱلْأَحْزَابَ﴾ أي: قريشاً، وغطفان، واليهود. ﴿لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ أي: لم يرجعوا خائبين بدون ظفر بالمسلمين، ولكنهم جبنوا هم، وانهزموا، ففروا إلى داخل المدينة، والمراد: المنافقون المذكورون في الآية رقم [١٢] وما بعدها. هذا؛ والأحزاب جمع: حزب، وهو في اللغة أصحاب الرجل الذين يكونون معه على مثل رأيه، وهم القوم الذين يجتمعون لأمر حَزَبَه، يعني: أهمه، ونزل به. أما الفعل «حسب» فهو من باب: تعب في لغة جميع العرب إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس. وقد قرئ المضارع بفتح السين وكسرها، والمصدر: الحِسبان بكسر الحاء، وحسبت المال حسباً، من باب: قتل بمعنى: أحصيته عدداً.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ أي: يرجعوا إليهم للقتال بعد أن ولوا الأدبار. ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي: تمنوا أنهم خارجون إلى البادية، ومقيمون بين الأعراب، وذلك لشدة جبنهم، وخوفهم. ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ أي: يسألون كل قادم من جهة المدينة عن أخباركم، وما جرى لكم مع أعدائكم. ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ أي: موجودين في المدينة معكم. ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا قتالاً قليلاً، أو: إلا زماناً قليلاً.

﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾: جمع أعرابي، وهو من يسكن البادية، وهو ما في «القاموس». وقيل: الأعراب: اسم جنس، وأعرابي نسبة إلى الأعراب. انتهى. مختار الصحاح. هذا؛ والعرب: أهل الأمصار، وهو أيضاً اسم جنس، والنسبة إليهم عربي. فالأعرابي على الأول مفرد: الأعراب، ونسبة إليهم، والعربي على الثاني مفرد: العرب، ونسبة إلى العرب.

الإعراب: ﴿يَحْسَبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلْأَحْزَابَ﴾: مفعول به أول. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَذْهَبُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان، وجملة: ﴿يَحْسَبُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، ويجوز أن تكون في محل نصب حال من أحد الضمائر المتقدمة؛ إذا صح المعنى، ولو بعد العامل. أفاده أبو البقاء. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَأْتِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يَوَدُّوا۟﴾: جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف

النون. . . إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْ﴾: حرف مصدري. ﴿أَنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿بَادُونَ﴾: خبر: (أن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَادُونَ﴾، و: (أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، التقدير: لو ثبت: أنهم بادون، و(لو) والفعل المقدر بـ: «ثبت» في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به لـ: ﴿يَوَدُّواْ﴾. وجملة: ﴿يَوَدُّواْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء ولا بـ «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾: مضارع وفاعله، ومفعوله الأول محذوف، تقديره: الناس ونحوه. ﴿عَنْ أَنبَآئِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَسْـَٔلُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة في ﴿يَوَدُّواْ﴾ وأجيز اعتبارها مستأنفة، والأول أقوى.

﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: (كان)، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿قَٰتَلُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، أو صفة زمان محذوف، انظر الشرح، وجملة: ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ...﴾ إلخ جواب: (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. وقيل: في محل نصب حال. ولا وجه له؛ لأن «لو» لتعليق الشرط في المستقبل، كما هو مشهور فيها.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة صالحة، أي: اقتدوا به اقتداءً حسناً، وهو أن تنصروا دين الله، وتؤازروا رسوله، ولا تتخلوا عنه في الحرب، وتصبروا على ما يصيبكم، كما فعل هو؛ إذ قد كسرت رباعيته، وشج وجهه، وقتل عمه في غزوة أحد، وأوذي بضروب الأذى فصبر، وواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا مثله، واستنوا بسنته. ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: يرجو رحمته، ومثله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ أي: عذابه، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾. ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾: هو آخر يوم من أيام الدنيا، فيه الحشر، والنشر، والميزان، والصراط، إلى دخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار. ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: ذكراً كثيراً بقلبه، وبلسانه في جميع المواطن على السراء، والضراء، والشدة، والرخاء. وقرن بالرجاء

كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة، فإن المؤتسي بالرسول ﷺ كذلك. هذا؛ و«الرجاء» في الأصل: الأمل في الشيء، والطماعية فيه، قال الشاعر: [الوافر]

أَتَــرْجُــو أُمَّــةٌ قَــتَــلَــتْ حُــسَــيْــنــاً شَــفَــاعَــةَ جــدِّهِ يَــوْمَ الْــحِــسَــابِ؟

وقد يأتي الرجاء بمعنى الخوف، وبه فسر قوله تعالى في سورة (العنكبوت): ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾. . .إلخ وغيرها كثير، وهي لغة تهامة، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في صفة عسال؛ أي: الذي يقطف عسل النحل: [الطويل]

إِذَا لَـسَـعَـتْـهُ الـدَّبْـر لَـمْ يَـرْجُ لَـسْـعَـهـا وَخَـالَـفَـهَـا فِـي بَـيْـتِ نُـوبٍ عَـوَاسِـلُ

وقال بعض العلماء: لا يقع الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد؛ أي النفي، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾. وقال بعضهم: بل يقع في كل موضع دل عليه المعنى، وهو المعتمد.

الإعراب: ﴿لَّقَدْ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله، ونحوه. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِي رَسُولِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، و﴿رَسُولِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أُسْوَةٌ﴾: اسم كان مؤخر. ﴿حَسَنَةٌ﴾: صفة ﴿أُسْوَةٌ﴾، وجملة: ﴿لَّقَدْ...﴾ إلخ ابتدائية، أو هي جواب القسم المقدر، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿لِّمَن﴾: جار ومجرور بدل من ﴿لَكُمْ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ﴿حَسَنَةٌ﴾ وهو المعتمد عند البصريين؛ لأنهم لا يجيزون إبدال الغائب من المخاطب، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى (من)، وهو العائد، أو الرابط. ﴿يَرْجُواْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَٱلْيَوْمَ﴾: معطوف عليه. ﴿ٱلْأَخِرَ﴾: صفة: (اليوم) وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ صلة (مَنْ)، أو صفتها، وما تقدم مذكور بحروفه في سورة (الممتحنة) رقم [٦]. (ذكر): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: (مَنْ) أيضاً. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم أيضاً. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، وجملة: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ معطوفة على جملة ﴿كَانَ...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ أي: قريشاً، وحلفاءها، وقد نزلوا حول المدينة، وعسكروا. ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: يريد قوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن

﴿تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ...﴾ إلخ، وقول النبي ﷺ: «**سيَشْتَدُّ الأمْرُ باجتماع الأحْزابِ عليكم، والعاقبةُ لكمْ عليهِمْ**». وكان قد قال لهم أيضاً: «**إنهم سائرون إليكمْ بعدَ تِسْعٍ، أو عَشْرٍ**». قاله قتادة.

﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: روى كثير بن عبد الله، بن عمرو المزني عن أبيه، عن جده، قال: خطب رسول الله ﷺ عام جاءت الأحزاب، فقال: «**أخبرني جبريل ـ عليه السلام ـ أن أمتي ظاهرة عليها ـ يعني على قصور الحيرة، ومدائن كسرى ـ فأبشروا بالنصر!**». فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله، موعد صادق؛ إذ وُعدنا بالنصر بعد الحصر. فطلعت الأحزاب، فقال المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾. وقولهم هذا في مقابلة قول المنافقين: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾. وقولهم: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ ليس إشارة إلى ما وقع، فإنهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع، وإنما هو إشارة إلى البشارة في جميع ما وعد، مثل فتح مكة، وفتح بلاد الروم، وبلاد فارس.

﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ أي: البلاء، أو شدة الخطب، أو الذي رأوه من مجيء الأحزاب، أو الوعد، أو الصدق. ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾: بالله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾: لحكمه، وإرادته. هذا؛ والفعل «زاد» ضد: نقص، يكون لازماً، كقولك: زاد المال درهماً، ويكون متعدياً لمفعولين، كما في الآية الكريمة، وقولك: زاد الله خالداً خيراً، بمعنى جزاه الله خيراً، وأما قولك: زاد المال درهماً، والبر مداً، فدرهماً ومداً تمييز، ومثله قل في «نقص» فمن المتعدِّي لمفعولين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾.

تنبيه: في إعادة الاسمين وتكريرهما التعظيم، والتكريم، ولأنه لو أعادهما مضمرين، لجمع بين اسم الله تعالى، واسم رسوله في لفظة واحدة، فكان يقول: وصدَقا، والنبي ﷺ قد كره ذلك، ورد على من قاله، حيث قال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما؛ فقد غوى» فقال له: «**بئس خطيب القوم أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله؛ فقد غوى**». قصداً إلى تعظيم الله، وعليه استشكل بعضهم قوله ﷺ: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وجدَ حلاوةَ الإيمانِ أَنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ، أَحَبَّ إليه مما سِوَاهُمَا.. إلخ**». الحديث رواه أنس بن مالك، رضي الله عنه، فقد جمع بينهما في ضمير واحد، وأجيب بأن النبي ﷺ أعرف بقدر الله منا، فليس لنا أن نقول كما يقول. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو حرف استئناف. (لما): حرف وجود عند سيبويه. وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى حين عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿رَءَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿ٱلْأَحْزَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً، وابتدائية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً. ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محلَّ له. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿وَعَدَنَا﴾: ماض، و(نا): مفعوله الأول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط، وهو المفعول الثاني محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو: شيء وعدنا الله إياه، أو به، وجملة: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿زَادَهُمْ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به أول، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى «الوعد»، أو إلى «الصدق»، أو إلى «البلاء»، أو إلى «الرؤية»، وإنما ذكِّر لأن تأنيثها غير حقيقي، وكل ذلك مفهوم مما قبله، وقرأ ابن أبي عبلة: (ومازادوهم) بضمير الجمع، ويعود للأحزاب. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿إِيمَٰنًا﴾: مفعول به ثان. (تسليماً): معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَمَا زَادَهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾: من الثبات مع الرسول ﷺ، والمقاتلة لإعلاء الدين، وهم رجال من الصحابة نذروا: أنهم إن أدركوا حرباً مع رسول الله؛ ثبتوا، وقاتلوا حتى يستشهدوا، وكانوا تخلفوا عن غزوة بدر الكبرى، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: غاب عمي أنس بن النضر ـ رضي الله عنه ـ عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ثانية لَيَرينَّ اللهُ ما أصنع! فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني: أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن مالك، فقال: يا أبا عمرو أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة، أجده دون أحد! فقاتل؛ حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة، وطعنة، ورمية، فقالت عمتي الرُّبَيِّعُ بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾ إلخ.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: وَفَى نذره بأن قاتل؛ حتى قتل، كحمزة، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، وغيرهم، رضوان الله عليهم. والنحب: النذر، استعير للموت؛ لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان، قال لبيد رضي الله عنه: [الطويل]

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنَحْبٌ فَيُقْضى أَمْ ضَلالٌ وباطِلُ؟

وقال القرطبي: النحب: النذر، والعهد، والموت، والحاجة، والمدة. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أي: من بقي من المؤمنين ينتظر أحد الأمرين: إما الشهادة، وإما النصر على الأعداء. ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ أي: وفوا بعهودهم، ولم ينقضوها، ولم يغيروا شيئاً مما عاهدوا الله، ورسوله عليه.

عن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ قال: «هاجرْنَا مع رسول الله ﷺ نلتمسُ وَجْهَ اللهِ، فوقعَ أجْرُنَا عَلَى اللهِ، فمِنَّا منْ ماتَ، ولَمْ يأكلْ مِنْ أجرِهِ شَيْئاً، مِنْهُمْ مصعبُ بن عمير، قُتِل يومَ أحد، وترك نَمِرَةً، وكنا إذا غطَّينا بها رأسَهُ؛ بَدَتْ رِجلاهُ، وإذا غَطَّينَا بها رِجلَيْهِ بَدا رأسُهُ، فأمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ ونجعلَ على رِجْلَيْهِ من الإذخر. ومنا من أيْنَعَتْ لَهُ ثمرتُهُ، فهو يَهْدِبُها» متفق عليه. النمرة: كساء ملون من صوف، وقوله: «منا من أينعت له ثمرته»، أي: أدركت ونضجت له ثمرته، وهذه استعارة لما فتح الله عليهم من الدنيا، وقوله: يَهْدِبُها؛ أي: يجتنيها، ويقطعها.

تنبيه: الشهداء على ثلاثة أنواع: شهيد الدنيا، وشهيد الآخرة، وشهيد الدنيا والآخرة، فالأول: من قاتل للسمعة، والشهرة، أو للمغنم، أو كان غير كامل الإيمان، فهذا تجري عليه أحكام الشهيد في الدنيا، فلا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه؛ بل يلف بثيابه، وبدمه، ويدفن في الأرض إن عثر على جثته، أو على شيء منها. أما شهيد الآخرة فقط، فهو ما رواه الطبراني عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا تَعدُّونَ الشهيدَ فيكمْ؟**». قلنا: يا رسول الله من قُتِل في سبيل الله، قال: «**إنَّ شهداءَ أمتي إذاً لَقليل، مَنْ قُتِلَ في سبيلِ اللهِ فهوَ شهيدٌ، والمتردِّي شهيدٌ، والنفساءُ شهيدٌ، والغريقُ شهيدٌ، والسِّلُّ شَهِيدٌ، والحريقُ شَهيدٌ، والغريقُ شهيدٌ**». هذا؛ وورد في أحاديث كثيرة: «**المبطونُ شهيدٌ، والميتُ بالطاعون شهيدٌ**». وعن سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قُتِلَ دُون مالِهِ فهو شهيدٌ، ومَنْ قتِلَ دون دمِهِ فهو شهيدٌ، ومن قتِلَ دون دينه فهو شهيدٌ، ومَنْ قتِلَ دونَ أهلِهِ فهو شهيدٌ**». رواه أبو داود، وغيره. أما شهيد الدنيا، والآخرة؛ فهو مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله، تجري عليه أحكام الشهادة في الدنيا، وفي الآخرة في أعلى عليين، وفي آية البقرة رقم [١٥٤]، وفي آية آل عمران رقم [١٦٩] بيّن الله مقام الشهداء المخلصين، وما أعده لهم من الأجر العظيم، والثواب العميم.

الإعراب: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿رِجَالٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿صَدَقُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق، والجملة

الفعلية في محل رفع صفة ﴿رِجَالٌ﴾. ﴿مَا﴾: مصدرية، وتؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: صدقوا عهدهم مع الله. واعتبار (ما) موصولة فلا بأس به، وتكون الجملة بعدها صلتها. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَمِنْهُم﴾: الفاء: حرف استئناف وتفريع. (منهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿قَضَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَّن﴾، وهو العائد، أو الرابط. ﴿نَحْبَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّن﴾، أو صفتها هذا هو الإعراب الظاهر، والأصح: أن مضمون الجار والمجرور (منهم): مبتدأ، و﴿مَّن﴾ هي الخبر؛ لأن (مِنْ) الجارة دالة على التبعيض، أي: فبعض المؤمنين، وجمع الضمير يؤيد ذلك، ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ، يرشدك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ من الآية رقم [١١٠] من سورة (آل عمران)، فعطف (أكثرهم) على (منهم) يؤيد: أن معناه بعضهم. وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِنْهُمْ لُيُوثٌ لَا تُرَامُ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمِشْتَ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ

حيث قابل لفظ (منهم) بما هو مبتدأ، أعني: لفظة: «بعضهم» وهذا مما يدل على أن مضمون «منهم» مبتدأ. هذا؛ و«ليوث» جمع: ليث، وهو الأسد. «لا ترام»: لا تقصد. «قمشت»: جمعت من هنا، وهناك؛ والمراد: رذالة الناس، والقمش: الرديء من كل شيء، والجملة الاسمية: (منهم...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. وجملة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. وإعرابها مثلها بلا فارق. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿بَدَّلُوا۟﴾: ماض والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، التقدير: وما بدلوا العهد. ﴿تَبْدِيلًا﴾: مفعول مطلق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: أمر الله بالجهاد؛ ليثيب المؤمنين الصادقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: الذين أخلفوا الله ما وعدوه، وبما كانوا يكذبون. ﴿إِن شَآءَ﴾ أي: إن شاء أن يعذبهم؛ أي: لم يوفقهم للتوبة، وإن لم يشأ أن يعذبهم؛ وفقهم للتوبة قبل موتهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: انظر الآية رقم [١].

الإعراب: ﴿لِّيَجْزِىَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وقال أبو البقاء: لام العاقبة. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿بِصِدْقِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، أي: أمر الله بالجهاد ليجزي... إلخ. وقال أبو البقاء: متعلقان بـ (صدق) أو بـ: ﴿زَادَهُمْ﴾، أو بـ (ما بدلوا)، والمعنى: على الأول أقوى. ﴿وَيُعَذِّبَ﴾: فعل مضارع معطوف على ما قبله، منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والمفعول محذوف، وجواب الشرط محذوف أيضاً، التقدير: إن شاء تعذيبهم؛ عذبهم. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يَتُوبَ﴾: مضارع معطوف على ما قبله منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وحذف شرط آخر، لدلالة الأول عليه انظر الشرح. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [١]. والجملة الشرطية معترضة بين الفعلين المتعاطفين.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قريشاً، وحلفاءهم. ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ أي: لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا من القضاء على الإسلام، والمسلمين في المدينة المنورة؛ بل رجعوا خائبين. ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾: ظفراً بالمسلمين، وسماه الله خيراً بزعمهم، وقصدهم. ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾: بالملائكة، والرياح؛ التي أرسلها عليهم، كما رأيت في الآية رقم [١٠]. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ أي: صنع ما يريد، وهو غالب على أمره، ولا يحول شيء دون تنفيذ مراده.

تنبيه: قرئ قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٢٤]: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقرئ: (الظالمون) قال الفراء: معنى القراءتين واحد؛ لأن ما نلته فقد نالَك، وما نالك فقد نلته.

خاتمة: وفي صحيحي البخاري، ومسلم: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب، فقال: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب، اللهم اهزمهم، وانصرنا عليهم، وزلزلهم**». وقام ﷺ في الناس، فقال: «**يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتم العدو؛ فاصبروا، واعلموا: أن الجنة تحت ظلال السيوف**». أي: السبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله، ودعا ﷺ بقوله: «**يا صريخ المكروبين، يا مجيب المضطرين، اكشف همي، وغمي، وكربي، فإنك ترى ما نزل بي، وبأصحابي**». وقال له المسلمون: هل من

شيء نقوله، فقد بلغت الروح الحناجر، قال: «**نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا**». فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فبشره: أن الله يرسل عليهم ريحاً، وجنوداً، وأعلم ﷺ أصحابه، وصار يرفع يديه، ويقول: «**شكراً شكراً، كما رحمتني، ورحمت أصحابي**».

وجاء: أنه ﷺ كان قد دعا يوم الإثنين والثلاثاء، ويوم الأربعاء، واستجيب له ذلك اليوم الذي هو يوم الأربعاء، بين الظهر والعصر، فعرف السرور في وجهه. ومن ثَمَّ كان جابر يدعو في مهماته في ذلك اليوم في ذلك الوقت، ويتحرى ذلك اليوم. وأما الأحاديث التي وردت بذم يوم الأربعاء، فمحمولة على آخر أربعاء في الشهر؛ فإنه روي: أن فرعون قد ولد في ذلك اليوم، وادعى الربوبية فيه، وأهلكه الله فيه، وهو اليوم الذي ابتلي فيه أيوب على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. انتهى. زيني دحلان بتصرف.

هذا؛ ويوم الأربعاء هو اليوم الأول والآخر من الأيام الثمانية التي أرسل الله فيها الرياح على قوم عاد، وسماها الله في سورة (فصلت) رقم [١٦] أياماً نحساتٍ، وقال في سورة (القمر) عن يوم الأربعاء: ﴿يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ فإن قيل: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر، فكيف يستجاب فيه الدعاء، والنبي ﷺ قد دعا فيه كما رأيت، واستجيب له فيه؟! والجواب والله أعلم: أنه نحس على الفجار، والمفسدين، كما كانت الأيام النحسات المذكورة في سورة (فصلت) نحسات على الكفار من قوم عاد، لا على نبيهم، والمؤمنين منهم. وإذا كان كذلك؛ لم يبعد أن يمهل الله الظالم من أول يوم الأربعاء، إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار، ولم يحدث توبة، ورجعة؛ استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحساً على الظالم، ودعاء النبي ﷺ إنما كان على الكفار. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَرَدَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (رد): فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَرَدَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل (رد)، وهما مفعوله الثاني، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الاسم الموصول وهو أقوى، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، أو من إضافة اسم المفعول لنائب فاعله. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَنَالُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة فهي حال ثانية، أو متداخلة، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَكَفَى﴾ الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (كفى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلْقِتَالَ﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَكَفَى...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (رد الله...)

إلخ، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿قَوِيًّا﴾: خبر أول. ﴿عَزِيزًا﴾: خبر ثان، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: عاونوا قريشاً، وحلفاءها من غطفان، وغيرها. ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: وهم بنو قريظة. ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ أي: حصونهم، واحدها: صِيصَة، قال عبد بني الحسحاس: [الطويل]

فأَصْبَحتِ الثِّيرانُ صَرْعَى وَأَصْبَحَتْ نِسَاءُ تَمِيمٍ يَبْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا

ومنه قيل لشوكة الحائك؛ التي يُسوي بها السَّدَاةَ واللُّحْمة: صيصة. قال دريد بن الصمة: [الطويل]

فَجِئْتُ إِلَيْهِ والرِّماحُ تنوشُهُ كوقعِ الصَّياصِي في النسيج الْمُمَدَّدِ

ومنه: صيصة الديك التي في رجله. وصياصي البقر: قرونها؛ لأنها تمتنع بها، وربما كانت تركب في الرماح مكان الأسنة، ويقال: جذَّ الله صِئْصِئه؛ أي: أصله. ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: الخوف. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: يعني الرجال، يقال: كانوا ستمئة. ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: يعني: النساء، والذراري. يقال: كانوا سبعمئة وخمسين.

روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب، ورجع المسلمون إلى المدينة، ووضعوا سلاحهم. أتى على فرسه الحيزوم، والغبار على وجه الفرس، وعلى السرج، فقال: ما هذا يا جبريل؟! قال: من متابعة قريش، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه الفرس، وعن سرجه. فقال: يا رسول الله! إن الملائكة لم تضع السلاح، إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إليهم، فإن الله دَاقهمْ دقَّ البيض على الصفا، وإنهم لكم طعمة. فأذَّن في الناس: أن من كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، فما صلى كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء الآخرة، لقول الرسول ﷺ.

فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة؛ حتى جهدهم الحصار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «تنزلون على حكمي؟» فأبوا، فقال: «على حكم سعد بن معاذ؟» فرضوا به، فقال سعد رضي الله عنه: حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم ونساؤهم، فكبر النبي ﷺ وقال: «**لقدْ حَكَمْتَ فِيهِم بحكمِ اللهِ مِنْ فَوقِ سَبْعَةِ أرقعة**». ثم استنزلهم، وخندق في سوق المدينة خندقاً، وقدمهم،

فضرب أعناقهم. انتهى. من الكشاف باختصار. هذا؛ وقد ذكرت لك في الآية رقم [٢٧] من سورة (الأنفال) قصة أبي لبابة، وهي متعلقة بقصة بني قريظة.

الإعراب: ﴿وَأَنزَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (أنزل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله) تعالى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿ظَٰهَرُوهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِّنْ أَهْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف إليه. ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: متعلقان بالفعل (أنزل)، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَأَنزَلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (ردَّ. . .) إلخ لا محل لها مثلها. (قذف): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلرُّعْبَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَقَذَفَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فَرِيقًا﴾: مفعول به مقدم. ﴿تَقْتُلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية مفسرة لقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بل ومقررة لها، والتي بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ ولأصحابه. ﴿أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾: ضمير الغيبة يعود إلى بني قريظة. روي: أن النبي ﷺ جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقالت الأنصار في ذلك، فقال: إنكم في منازلكم. وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أما تخمس، كما خمست يوم بدر؟ قال: «لا إنما جُعِلَتْ هذه لي طعمة دون النَّاس»، قال: رضينا بما صنع الله، ورسوله. ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾: عن الحسن البصري قال: هي فارس، والروم. وعن قتادة قال: كنا نتحدث أنها مكة. وعن مقاتل: هي خيبر. وعن عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. وهذا ضعيف كما ترى، وما ذكر قبله فقد تحقق الثاني والثالث في عهد الرسول ﷺ، وتحقق الأول في عهد الفاروق، رضي الله عنه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾: فيه توجيهان: أحدهما: على ما أراده بعباده من نقمة، أو عفو قدير. والثاني: على ما أراد أن يفتحه من الحصون، والقرى قدير؛ قاله النقاش. والأول قاله محمد بن إسحاق. وقدير وقادر: لا ترد قدرته، ولا يجوز عليه العجز تعالى الله عن ذلك.

هذا؛ وانظر شرح (الدار) في الآية رقم [٣٧] من سورة (القصص) أما الأموال؛ فإنه جمع: مال، قال ابن الأثير: المال في الأصل يطلق على ما يملك من الذهب، والفضة، ثم أطلق على

كل ما يقتنى، ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها أكثر أموالهم. وقال الجوهري: ذكر بعضهم: أن المال يؤنث، وأنشد لحسان رضي الله عنه: [البسيط]

الْمَالُ تُزْرِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ ... وَقَدْ تُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ

وعن الفضل الضبي: المال عند العرب: الصامت، والناطق، فالصامت: الذهب، والفضة، والجواهر. والناطق: هو البعير، والبقرة، والشاة، فإذا قلت عن حضري: كثر ماله؛ فهو الصامت، وإذا قلت عن بدوي: كثر ماله؛ فالمراد الناطق، والنشب: المال الثابت، كالضياع، ونحوها، فلا يقال للمنقول من المال المذكور آنفاً، قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي، رضي الله عنه: [البسيط]

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

هذا؛ وقد قال الرسول ﷺ: «**مَنْ تَواضَعَ لِغَنِيٍّ لِغِناهُ؛ فقدْ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ**». وإنما كان كذلك؛ لأن الإيمان متعلق لثلاثة أشياء: المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، فإذا تواضع بلسانه، وأعضائه، فقد ذهب الثلثان، فلو انضم إليه القلب ذهب الكل، وإن لم ينضم؛ فهو النفاق.

الإعراب: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (أورثكم): ماض، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو»، والكاف مفعول به أول. ﴿أَرْضَهُمْ﴾: مفعول به ثان. ﴿وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والهاء في الثلاثة ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَرْضًا﴾: معطوفة أيضاً. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَطَـُٔوهَا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: (أرضاً)، وجملة: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (ردَّ...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿قَدِيرًا﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿قَدِيرًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة. لا محل لها من الإعراب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: السعة، والتنعم، والترفه فيها. ﴿وَزِينَتَهَا﴾: زخارفها، وبهجتها. ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾: أعطيكن المتعة، وهي قدر من المال، وهذه المتعة سنة إن كان الزوج قد أعطاها جميع حقوقها، فيسن أن يزيدها هذه المتعة تطيباً لخاطر المرأة المطلقة؛ لأنها مفجوعة بالطلاق، وهذه المتعة واجبة على الزوج إن طلقها قبل الدخول بها، وبعد العقد عليها، ولم يسم لها مهراً، وهذا القدر المالي يكثر، ويقل

نظراً لحال الزوج المطلق، قال تعالى في الآية رقم [٢٣٦] من سورة (البقرة): ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي: أطلقكن طلاقاً حسناً، وذلك بأن يكون سنياً، وهو: أن يقع في طهر غير مجامع فيه، وأيضاً مع إعطاء المرأة جميع حقوقها، لا كما يفعله فساق هذا الزمان الذين يؤذون المرأة، ويضارونها حتى يحملوها على التنازل عن كل حقوقها، أو بعضها.

(تعالين): قال ابن هشام في قطر الندى: وأما هاتِ، وتعالَ، فعدهما جماعة من النحويين في أسماء الأفعال، والصواب: أنهما فعلا أمر، بدليل أنهما دالان على الطلب، وتلحقهما ياء المخاطبة، فتقول: هاتي، وتعالَيْ. واعلم أن آخر (هاتِ) مكسور أبداً، إلا إذا كان لجماعة المذكرين، فإنه يضم، وأن آخر (تعال) مفتوح في جميع أَحواله من غير استثناء، تقول: تعالَ يا زيدُ، وتعالَيْ يا هندُ، وتعالَيَا يا هندانِ، أو يا زيدانِ، وتعالَوْا يا زيدون، وتعالَيْنَ يا هنداتُ، كل ذلك بالفتح، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ...﴾ إلخ، وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ...﴾ إلخ، ومن ثَمَّ لحنوا أبا فراس الحمداني بقوله: [الطويل]

أَيَا جَارَتَا ما أنصفَ الدهرُ بَيْنَنَا تَعَالِي أُقَاسِمْكَ الهمومَ تَعَالِي

وأقول: إن الفعلين «هاتِ، وتعال» ملازمان للأمرية، فلا يأتي منهما مضارع، ولا ماض، وهما بمعنى: «أَحْضِرُوا، أو احْضُرُوا» فالأول متعد، وهو من الرباعي، والثاني لازم، وهو من الثلاثي، وأما تعالَى يتعالَى؛ فهما بمعنى: تعاظَمَ، يتعاظَمُ، أو بمعنى: تنزه، يتنزه. وقل في إعلال: (تعالوا): أصله تَعَالَوُوا، ثم تعالَيُوا، فحذفت الضمة التي على الياء للثقل، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء، وبقيت الواو؛ لأنها ضمير، وبقيت الفتحة على اللام لتدل على الألف المحذوفة.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ انظر الآية رقم [١] ففيها الكفاية. ﴿قُل﴾: فعل أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت». ﴿لِّأَزْوَٰجِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُنَّ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿تُرِدْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون، والنون فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان). ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، وبعضهم يعتبره مضافاً إليه، ولا وجه له ألبتة. ﴿وَزِينَتَهَا﴾: معطوف على ما قبله، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كُنتُنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (تعالين): فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعله. ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف،

والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿وَأُسَرِّحۡكُنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أسرحكن): معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله، والجملتان لا محل لهما؛ لأن الأولى لم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. هذا؛ وقرئ الفعلان بالرفع على الاستئناف. ﴿سَرَاحٗا﴾: مفعول مطلق، وهو اسم مصدر لأن المصدر «تسريح». ﴿جَمِيلٗا﴾: صفة: ﴿سَرَاحٗا﴾، وجملة: (تعالين...) إلخ في محل جزم جواب الشرط، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مبتدأة، مثل الجملة الندائية قبلها.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾

الشرح: ففي هذه الآية وعد من العزيز القدير لنساء النبي ﷺ بأنهن إن أعرضن عن الحياة الدنيا وزينتها، وفضلن الآخرة عليها، وأردن طاعة الله، ورضين بالرسول ﷺ، وقنعن بما يقدم لهن من طعام، وكساء، ومسكن بأن الله أعد لهن في الآخرة الأجر العظيم، والخير العميم. وتنكيره في الآية دليل على أنه لا يعرف قدره، ولا يحيط بكنهه عقل ولا سمع ولا بصر، قال تعالى في ثواب المؤمنين الصادقين: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ سورة (السجدة) رقم [١٧].

هذا؛ وسبب نزول الآيتين الكريمتين: أن نساء النبي ﷺ سألنه من عرض الدنيا شيئاً، وطلبن منه زيادة في النفقة، وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فهجرهن النبي ﷺ، وآلى أن لا يقربهن شهراً، ولم يخرج إلى أصحابه، فقالوا: ما شأنه؟ وكانوا يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: لأعلمن لكم شأنه. قال: فدخلت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا سول الله! أطلقتهن؟ قال: «**لا**». قلت: يا رسول الله! إني دخلت المسجد، والمسلمون يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، أفأنزل، فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: «**نعم، إن شئت**». فقمت على باب المسجد، وناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ الآية رقم [٨٣] من سورة (النساء)، فكنت أنا استنبطت هذا الأمر، وأنزل الله آية التخيير انتهى. خازن. ولم يذكر هذا غيره، ولم يذكر في تفسير الآية هناك.

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: دخل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه، لم يؤذن لأحد منهم، فأذن لأبي بكر، فدخل، ثم أقبل عمر ـ رضي الله عنه ـ فاستأذن، فأذن له، فوجد رسول الله ﷺ جالساً ساكتاً، وحوله نساؤه،

فقال لأبي بكر: لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، وهي زوجته، فضحك رسول الله ﷺ، فقال: «**هن حولي، كما ترى يسألنني النفقة**». فقام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى عائشة، فوجأ عنقها، وقام عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى حفصة، فوجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده! قلن: والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده.

ثم اعتزلهن شهراً، أو تسعاً وعشرين، حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل﴾ إلى قوله تعالى ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: فبدأ بعائشة، فقال: «**يا عائشة! إني أريد أن أعرض عليك أمراً، أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك**». قالت: وما هو يا رسول الله؟! فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله، ورسوله، والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت! قال: «**لا تسألُني امرأةٌ منهنَّ إلَّا أخبرتها، إنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْني مُعَنِّتاً، ولا مُتَعَنِّتاً، ولكنْ بَعَثَني معلِّماً مُيَسِّراً**». أخرجه مسلم، ولما قالت عائشة ما تقدم رؤي الفرح في وجهه ﷺ.

قال العلماء: وأما أمر النبي ﷺ عائشة أن تشاور أبويها؛ لأنه كان يحبها، وكان يخاف أن يحملها فرط الشباب على أن تختار فراقه، ويعلم من أبويها: أنهما لا يشيران عليها بفراقه. هذا؛ ولما أخبر النبي ﷺ نساءه بذلك تابعن عائشة على اختيارها الله، ورسوله، والدار الآخرة. فشكر الله اختيارهن، وكافأهن على ذلك حيث قصر نبيه عليهن، وحجر عليه التزوج بغيرهن حيث قال جل ذكره: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ...﴾ إلخ الآية رقم [٥٢] الآتية.

تنبيه: اختلف العلماء في هذا الخيار، هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار، أم لا؟ فذهب الحسن، وقتادة، وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق، وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا؛ فارقهن، لقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور، وأنه قال لعائشة رضي الله عنها: لا تعجلي؛ حتى تستشيري أبويك، وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور، وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق، ولو اخترن أنفسهن؛ كان طلاقاً.

التفريع على حكم الآية: اختلف أهل العلم في حكم التخيير، فقال عمر، وابن مسعود، وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ: إذا خير الرجل امرأته، فاختارت زوجها لا يقع شيء، وإن اختارت نفسها؛ يقع طلقة واحدة، وهو قول عمر بن عبد العزيز، وابن أبي ليلى، وسفيان، والشافعي، وأصحاب الرأي، إلا أن أصحاب الرأي يقع عندهم طلقة بائنة؛ إذا اختارت نفسها، وعند الآخرين رجعية، وأكثر أهل العلم على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء.

فعن مسروق ـ رحمه الله تعالى ـ، قال: ما أبالي خيرت امرأتي واحدة، أو مئةً، أو ألفاً بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة، رضي الله عنها، فقالت: خيرنا رسول الله ﷺ، فما كان طلاقاً. وفي رواية: فاخترناه، فلم يعدَّ ذلك شيئاً.

تنبيه: كان تحت رسول الله ﷺ يوم حصل التخيير تسع نسوة: خمس من قريش، وهن: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، واسمها: رملة، وأم سلمة، واسمها: هند بنت أبي أمية المخزومية، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية، وأربع غير قرشيات، وهن: زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وقد نظم ذلك بعضهم فقال: [الطويل]

تُوفِّي رسُولُ اللهِ عنْ تِسْعِ نِسوةٍ ... إليهنَّ تُعْزَى المكرماتُ وتُنْسَبُ
فعائشةٌ مَيْمُونَةٌ وصفِيَّةٌ ... وحفصَةُ تتلُوهُنَّ هِنْدٌ وزَيْنَبُ
جُوَيْرِيَةٌ مَعْ رَمْلَةٍ، ثُمَّ سودةٌ ... ثلاثٌ وستٌّ ذكْرُهُنَّ مُهَذَّبُ

هذا، ولا يخفى عليك تزويجه بأم المؤمنين الأولى، وهي خديجة الكبرى، رضي الله عنها. وتزوج ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث من بني هلال، وكانت تسمى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم، وقد توفيت في حياته مثل خديجة، وتزوج ريحانة بنت زيد، وكانت من سبي بني النضير، أعتقها، وتزوجها؛ وماتت في حياته، أما مارية القبطيَّة رضي الله عنها فقد كانت جارية تسرَّى بها، وولدت منه إبراهيم، وبقيت بعده، وقد عقد ﷺ على كثير، ولم يدخل بهن.

الإعراب: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ انظر الآية السابقة، فالإعراب فيها شبيه بهذا. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿أَعَدَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنكُنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (المحسنات)، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿أَجْرًا﴾: مفعول به. ﴿عَظِيمًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿أَعَدَّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: (إن الله...) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها، و(إنْ) ومدخولها معطوف على ما قبله فهو في محل نصب مقول القول مثله.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعصية ظاهرة. قيل: هو كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ أي: على سبيل الفرض والتقدير، لا أنَّ منهن من أتت. أو تأتي بفاحشة، فإن الله تعالى قد صان أزواج الأنبياء عن فاحشة، وإن لم يصنهن عن الكفر، كالذي كان من امرأة نوح، وامرأة لوط، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. وهذا

دليل واضح على أن فاحشة الزنى تنفر منها العقول السليمة، وتأباها الكرامة الإنسانية، لذا يجوز للمسلم أن يتزوج امرأة كافرة، ولا يجبرها على الإسلام، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٥] من سورة (المائدة) ولا يجوز له أن يقرَّ امرأة زانية في بيته وقد سماه الرسول ﷺ الدَّيُّوث، وحرَّم عليه دخول الجنة.

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثةٌ حَرَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وتعالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدمِنُ الخمرِ، والعاقُّ لوالديْه، والدَّيُّوثُ؛ الَّذِي يُقِرُّ الْخُبْثَ في أَهْلِهِ**». رواه الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد بالفاحشة: النشوز، وسوء الخلق، أي: والترفع، وعدم الخضوع لإرادة النبي ﷺ، وهذا هو الذي أعتمده، وأنزه نساءه ﷺ عن فاحشة الزنى فحاشاهن، كيف لا؟ وقد أنزل الله قرآناً برَّأ به عائشة مما رماها، وقذفها به المنافقون، انظر الآية رقم [١١] من سورة (النور) وما بعدها.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ أي: مثلين، وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن، كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة، وذلك؛ لأن نسبة النبي ﷺ إلى غيره من الرجال، كنسبة السادات إلى العبيد، لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فكذلك أزواجه بالنسبة إلى غيرهن كنسبة الحرة إلى الأمة، وقد اكتسبن هذا الشرف، وهذا الفضل من اقترانهن بسيد الخلق قاطبة. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾: أي تضعيف العذاب لهن. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾: سهلاً هيناً.

هذا؛ ويقرأ: (يضعَّف) بتشديد العين، ويقرأ: (نضعف) بالنون، كما يقرأ ﴿يَأۡتِ﴾ بالياء والتاء، وكلها سبعية، والمضاعفة: المكاثرة، وضعف الشيء بكسر الضاد وسكون العين: مثله، وضعفاه: مثلاه، وأضعافه: أمثاله. هذا هو الأصل في الضعف، ثم استعمل في المثل، وما زاد، وليس للزيادة حد، فيقال: هذا ضعف هذا، أي: مثله، أو مثلاه، أو ثلاثة أمثاله، وهكذا. ويقال: أضعفت الشيء، وضعفته، وضاعفته، فمعناه: ضممت إليه مثله فصاعداً. وقال بعضهم: ضاعفت أبلغ من ضعَّفْت، ولذا قرأ أكثرهم في هذه الآية: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾، وفي الآية رقم [٦٩] من سورة (الفرقان) ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ﴾، وفي الآية رقم [٣٩] من سورة (النساء): ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾. هذا؛ وللضَّعف بفتح الضاد، والضِّعف بكسرها، والضُّعف بضمها معان نظمها بعضهم بقوله: [الرجز]

فـي الـرأيِ والْـعَـقْـلِ يـكـونُ الـضَّـعْـفُ والْـوَهـنُ فـي الْـجـسْـمِ، فَـذَاكَ الـضُّـعْـفُ
زِيـادةُ الْـمِـثْـلِ كَـذَا والـضِّـعْـفُ جـمـعُ ضَـعـيـفٍ وَهـوَ شَـاكـي الـضُّـرِّ

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (نساء): منادى، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّبِيِّ﴾ مضاف إليه. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَأۡتِ﴾: فعل

مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، تقديره: «هو». ﴿مِنكُنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر العائد إلى: ﴿مَن﴾، و(مِنْ) بيان لما أبهم فيها، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿بِفَٰحِشَةٍ﴾: متعلقان بالفعل: (يأتي). ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾: صفة: (فاحشة). ﴿يُضَٰعَفۡ﴾: مضارع مبني للمجهول جواب الشرط مجزوم. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾: نائب فاعل. ﴿ضِعۡفَيۡنِۚ﴾: مفعول مطلق منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿يُضَٰعَفۡ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء ولا بـ «إذا» الفجائية، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. والجملة الاسمية: ﴿مَن...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مبتدأة مثل الجملة الندائية قبلها. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٩].

﴿۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحًا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ الجزء ٢٢

الشرح: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: يطع، ويخضع؛ إذ القنوت: الخضوع، والطاعة، وطاعة الرسول إنما هي من طاعة الله. ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحًا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾: مرة على الطاعة، ومرة على طلبهن رضا النبي ﷺ. ﴿وَأَعۡتَدۡنَا﴾: هيأنا. ﴿رِزۡقًا كَرِيمًا﴾: واسعاً، والمراد به الجنة، وما فيها من النعيم المقيم لا ينتهي عدده، ولا ينقطع مدده، صافٍ عن كدِّ الاكتساب، وخوف الحساب، لا منة فيه، ولا عذاب.

وإنما خص الله تعالى نساء النبي ﷺ بتضعيف العقوبة على الذنب، والمثوبة على الطاعة لأمرين: أما الأول: فلأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب ما لا يشاهده غيرهن، ولأن في معصيتهن إيذاء لرسول الله ﷺ، وذنب من آذى رسول الله ﷺ أعظم من ذنب غيره، وأما الثاني: فلأنهن أشرف من سائر النساء لقربهن من رسول الله ﷺ، فكانت الطاعة منهن أشرف كما أن المعصية منهن أقبح. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

بعد هذا ينبغي أن تعلم: أن الأعمال يضاعف ثوابها إن كانت صالحة، ويضاعف عقابها إن كانت سيئة، بالنسبة للأشخاص العاملين، وبالنسبة للزمان، وبالنسبة للمكان، فكلما علت منزلة العبد عند ربه، وارتفعت مكانته عنده، يضاعف له ثواب عمله الصالح، ويضاعف له عقاب عمله السيئ، وما ذكر في الآيتين دليلٌ واضح على ذلك. والعمل الصالح في شهر رمضان، وغيره من

الأوقات الفاضلة يضاعف ثوابه أضعافاً مضاعفة، والعمل السيئ، يضاعف عقابه أضعافاً مضاعفة، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية رقم [٣٦] من سورة (التوبة) ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ لفت نظر إلى ما ذكرت، والمكان المفضل كذلك، فالصلاة في المسجد يضاعف ثوابها، والمعصية يضاعف عقابها فيه.

فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصَّلاةُ في المسجدِ الحرامِ بمئَةِ ألفِ صَلَاةٍ، والصلاةُ بمسْجِدي بِأَلْفِ صَلاةٍ، والصَّلَاةُ في بيْتِ الْمَقْدِسِ بخمسمئَةِ صَلَاةٍ**». رواه الطبراني، وإذا فعل العبد معصية في أحد المساجد الثلاثة يضاعف عقابه، كما يضاعف الثواب له. افهم هذا، واحفظه فقلَّ من يتعرض له، ويلفت النظر إليه، والله ولي التوفيق، والحمد له على كل حال.

الإعراب: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: انظر إعراب: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ في الآية السابقة فهو مثله بلا فارق. ﴿وَتَعْمَلْ﴾: الواو: حرف عطف. (تعمل): معطوف على فعل الشرط: ﴿يَقْنُتْ﴾ فهو مجزوم مثله، والفاعل مستتر تقديره: «هي»، ويقرأ بالياء على معنى (مَنْ). ﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به، أو هو صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: تعمل عملاً صالحاً. ﴿نُّؤْتِهَآ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و(ها): مفعول به أول. ﴿أَجْرَهَا﴾: مفعول به ثان، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: نائب مفعول مطلق، أو هو ظرف زمان فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ)، يقال فيه ما قيل بسابقه. (أعتدنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول به. ﴿كَرِيمًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿وَأَعْتَدْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة ﴿نُّؤْتِهَآ...﴾ إلخ لا محل لها.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: في الفضل، والشرف، والمنزلة، وعلو المكانة؛ بل أنتن أرفع من غيركن بكثير، كيف لا؟ وقد اعتبركن الله أمهات للمؤمنين في الاحترام، والتكريم، والتعظيم. ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ أي: إن خفتن الله، وراقبتُنَّه، فإن التقوى هي المقام الأكرم، والأجل عند الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾. ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: إذا كلمتن الرجال من وراء حجاب فلا تجئن بقولكنَّ خاضعاً، أي: ليناً خنثاً مثل كلام المريبات، ولا يمنع خصوص السبب التعميم؛ بل يعم كل امرأة مسلمة. هذا؛ وينبغي للمرأة

المسلمة الكاملة إذا عرفت من صوتها اللِّين والنعومة أن تضع في فمها إصبعها، أو غيرها ليخرج صوتها خشناً جافاً. ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: ريبة، وفجور، وفسوق. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: يوجبه الدين، والإسلام عند الحاجة إليه ببيان من غير لين، وتخنث.

هذا؛ و(نساء) اسم جمع لا واحد له من لفظه لأن مفرده: امرأة، وجمعها في القلة: نسوة، وفي الكثرة: نساء، وتجمع أيضاً على نسوان، ونسون، ونسْنِين، وهذه الجموع كلها مأخوذة من النسيان الذي رأيته في الآية رقم [١٤] من سورة (السجدة) فهي مطبوعة عليه، إما إهمالاً، وإما كذباً، ويقال لكل واحد من هذه الجموع: اسم جمع، لا واحد له من لفظه. أما المرأة فهي مأخوذة من: المرء، وهو الرجل، فلذا سميت بذلك، والأم الأولى حواء سميت بذلك؛ لأنها مأخوذة من: حي، وهو آدم، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام.

﴿لَسْتُنَّ﴾: حذفت عينه لالتقاء الساكنين: الياء، والسين؛ إذ أصله: لَيِس بكسر الياء، ثم سكنت الياء للتخفيف، ولم تقلب ألفاً على القياس؛ لأن التخفيف بالتسكين في الجامد أسهل من القلب، فلما اتصل بضمير رفع متحرك؛ سكنت العين، فالتقى ساكنان: الياء، والسين، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، فصار: ﴿لَسْتُنَّ﴾، وانظر شرح (القول) في الآية رقم [٨٥] من سورة (النمل)، وشرح ﴿أَحَدٍ﴾ في الآية رقم [٢٨] من سورة (العنكبوت).

﴿ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: ماض من: «التقوى» وهي حفظ النفس من العذاب الأخروي بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ لأن أصل المادة من الوقاية، وهي: الحفظ، والتحرز من المهالك في الدنيا والآخرة، وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة). وأصل: اتقى «إِوْتَقَى» قلبت الواو تاء، وأدغمت التاء في التاء، مثل: اتصل، أصله: «اوْتَصَلَ»... إلخ.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (نساء): منادى، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّبِىِّ﴾ مضاف إليه. ﴿لَسْتُنَّ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء ضمير متصل في محل رفع اسمها، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿كَأَحَدٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: (ليس)، وإن اعتبرت الكاف اسماً، فهي الخبر، وتكون مضافة، و(أحد) مضاف إليه. ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: (أحد)، وجملة: ﴿لَسْتُنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿إِنِ﴾: حرف شرط جازم. ﴿ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والنون حرف دال على جماعة الإناث، ومفعوله محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَخْضَعْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، التي هي فاعله، وهو في محل جزم بـ (لا) الناهية. ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط.

هذا؛ وقيل: الجواب محذوف دل عليه ما قبله، وجملة: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ مستأنفة، ولا وجه له. ﴿فَيَطْمَعَ﴾: الفاء: للسببية. (يطمع): فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول، مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿فِى قَلْبِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مَرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. هذا؛ وإن اعتبرت الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صلة الموصول؛ فـ: ﴿مَرَضٌ﴾ يكون فاعلاً بمتعلق الجار والمجرور، التقدير: الذي استقر في قلبه مرض، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: فلا يكن منكن خضوع بالقول، فطمع واقع من الذي في قلبه مرض. هذا؛ ويقرأ الفعل بكسر العين على اعتباره معطوفاً بالجزم على المجزوم بـ: (لا) الناهية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَقُلْنَ﴾: الواو: حرف عطف. (قلن): فعل أمر مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة التي هي فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة جواب الشرط. ﴿قَوْلًا﴾: مفعول مطلق. ﴿مَّعْرُوفًا﴾: صفة ﴿قَوْلًا﴾.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾: يقرأ بكسر القاف، وفتحها، أما الأولى فتحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من الْوَقَار، تقول: وقَرَ، يَقِرُ، وقاراً؛ أي: سكن، والأمر: قِرْ، وللنساء: قِرْنَ، مثل: عِدْنَ. والثاني: وهو قول المبرد أن يكون من القرار، تقول: قَرَرْت بالمكان، أقِرُّ. والأصل: أقْرِرْن بكسر الراء الأولى، فحذفت الراء الأولى تخفيفاً؛ ونقلوا حركتها إلى القاف، واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف. وأما على قراءة الفعل بفتح القاف، يقال: قرِرْت في المكان: إذا أقمت فيه أقَرُّ من باب: حمِد، يَحْمَد، والأصل اقررن بفتح الراء الأولى، فحذفت لثقل التضعيف، وألقيت حركتها على القاف، فتقول: قَرْنَ.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: القديمة، والأصل: ولا تتبرجن، فحذفت إحدى التاءين، والتبرج: التبختر في المشي، أو إظهار الزينة، والتقدير: ولا تبرجن تبرجاً مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى، وهي: الزمان الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، أو ما بين آدم، ونوح عليهما السلام، أو زمن داود، وسليمان. والجاهلية الأخرى: ما بين عيسى، ومحمد، عليهما الصلاة والسلام. أو الجاهلية الأولى: جاهلية الكفر قبل الإسلام. والجاهلية الأخرى: جاهلية الفسوق، والفجور في الإسلام. ويعضده قول النبي ﷺ لأبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ

«**إنَّ فيكَ جاهليةٌ!**» قال: جاهليةُ كُفْرٍ، أو إسلام؟ قال: «**جاهليةُ كُفْرٍ**». ولا تنس الجاهلية السائدة في هذه الأيام بين المسلمين.

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: خصهما الله بالذكر، والأمر، ثم عمم بجميع الطاعات تفضيلاً لهما، وتنويهاً بعلو شأنهما، ولأن مَنْ واظب عليهما؛ جرتاه إلى كل خير، كيف لا وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾. وقال جل ذكره لنبيه ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾. وانظر الآية رقم [٤] من سورة (لقمان) تجد ما يسرك. ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: قرن الله طاعته بطاعة نبيه، وهو دليل صريح على أن من لم يطع الرسول؛ لم يطع الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، وقال جل ذكره: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: الذنب المدنس لعرضكم، وشرفكم، والإثم الذي نهى الله عنه. ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: قال الزجاج: قيل: يراد به نساءُ النبي ﷺ. وقيل: يراد به نساؤه، وأهله الذين هم أهل بيته، وانظر الآية التالية. ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾: من المعاصي. ﴿تَطْهِيرًا﴾: مصدر مؤكد، وفيه بيان: أنه إنما نهاهن، وأمرهن، ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله ﷺ المآثم، وليتصونوا عنها بالتقوى، واستعار للذنوب الرجس، وللتقوى الطهر؛ لأن عرض المقترف للقبائح يتلوث بها، كما يتلوث بدنه بالأرجاس، وأما المحسنات؛ فالعرض منهن نقي، كالثوب الطاهر. وفيه تنفير لأولي الألباب عن المناهي، وترغيب لهم في الأوامر من الطاعات. انتهى. نسفي.

الإعراب: ﴿وَقَرْنَ﴾: الواو: حرف عطف. (قرن): فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَبَرَّجْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، التي هي فاعله، وهو في محل جزم بـ (لا) الناهية، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿تَبَرُّجَ﴾: مفعول مطلق، مبين للنوع، وهو مضاف، و﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: صفة ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. (آتين): فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعله. ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ...﴾ إلخ: قال الجمل في حاشيته عند قوله تعالى في الآية [٨] من سورة (الصف): ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟...﴾ إلخ: في هذه اللام، أوجه: أحدها أنها مزيدة في مفعول الإرادة، قال الزمخشري: أصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة (التوبة) الآية رقم [٣٢]:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ...﴾ إلخ وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة توكيداً له لما فيها من معنى الإرادة، وقال ابن عطية: واللام في ﴿لِيُطْفِئُواْ﴾ لام مؤكدة دخلت على المفعول؛ لأن التقدير: يريدون أن يطفئوا. الثاني: أنها لام العلة، والمفعول محذوف، أي: يريدون إبطال القرآن، أو رفع الإسلام، أو هلاك الرسول ليطفئوا. الثالث: أنها بمعنى «أن» الناصبة، وأنها ناصبة للفعل بنفسها. قال الفراء: العرب تجعل لام كي في موضع «أن» في أراد، وأمر، وإليه ذهب الكسائي أيضاً. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ومثل هذه الآية قوله تعالى في الآية رقم [٢٦] من سورة (النساء): ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾، والآية رقم [٧١] من سورة (الأنعام) ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ومثل ذلك قول كُثَيِّر عزة بصيغة التصغير: [الطويل]

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وهو الشاهد رقم [٢٩٤] من كتابنا: فتح القريب المجيب. ﴿عَنكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلرِّجْسَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَهْلَ﴾: منادى بأداة نداء محذوفة. وقال بعضهم: منصوب على الاختصاص بفعل محذوف، وهو ضعيف لوقوعه بعد ضمير الخطاب، وإنما الأكثر أن يقع الاختصاص بعد ضمير التكلم، كقول النبي ﷺ: «**نَحْنُ معاشِرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ**». و﴿أَهْلَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْبَيْتِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾: معطوف على: (يذهب)، والفاعل يعود إلى الله تعالى، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿تَطْهِيرًا﴾: مفعول مطلق مؤكد لعامله.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: الخطاب لنساء النبي ﷺ، وهو تذكير لهن بما أنعم الله عليهن؛ حيث جعلهن أهل بيت النبوة، ومهبط الوحي، وما شاهدن من آثار الوحي، مما يوجب قوة الإيمان، والحرص على الطاعة، ويبعث على القيام بما كلفن به، والإعراض عما نهين عنه. ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: آيات القرآن. ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: السنة المطهرة، التي تكفلت بشرح معاني القرآن. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾: لطيفاً بأهل طاعته، وأوليائه، عالماً بغوامض الأشياء، وخبيراً بالتدابير الظاهرة، والباطنة، وخبيراً بحاجات العباد، وأحوالهم، ومصالحهم، وخبيراً بأعمال العباد، ونياتهم.

هذا؛ وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت من هم؟ فقال عطاء، وعكرمة، وابن عباس، وسعيد بن جبير ـ رضوان الله عليهم ـ: هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وذهب أبو سعيد الخدري، وجماعة من التابعين،

منهم: مجاهد، وقتادة، وغيرهم إلى أنهم: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ...﴾ إلخ ولو كان للنساء خاصة لقال: «عنكنَّ، ويطهركنَّ» إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل، كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي: امرأتك، ونساؤك. فيقول: هم بخير، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾. الآية رقم [٧٣] من سورة (هود).

والذي يظهر من الآية: أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج، وغيرهم، وإنما قال: (يطهركم) لأن رسول الله ﷺ، وعلياً، وحسناً، وحُسَيْناً كانوا فيهم، وإذا اجتمع المذكر، والمؤنث؛ غُلِّب المذكر، فاقتضت الآية: أن الزوجات من أهل البيت؛ لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن، يدل عليه سياق الكلام. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

وخذ ما يلي: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة، وعليه مرط مُرَحَّل من شعر أسود، فجلس، فأتت فاطمة، فأدخلها فيه، ثم جاء عليٌّ فأدخله فيه، ثم جاء الحسن، فأدخله فيه، ثم جاء الحسين، فأدخله فيه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. أخرجه مسلم. المرط: الكساء، والمرحل: بالحاء المنقوش عليه صور الرحال، وبالجيم: المنقوش عليه صور الرجال.

وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إن هذه الآية نزلت في بيتي، فدعا رسول الله ﷺ علياً، وفاطمةَ، وحسناً، وحسيناً، فدخل معهم تحت كساء خيبري، وقال: «**هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً**». فقالت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «**أنتِ علَى مكَانِكِ، أنتِ على خيْرٍ، أنتِ مِنْ أزْواجِ النبيِّ**». أخرجه الترمذي. هذا؛ وبعد وفاة أزواج النبي ﷺ ثبت لقب «أهل البيت» على أولاد فاطمة، رضي الله عنها.

الإعراب: ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾: الواو: حرف عطف. (اذكرن): فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُتْلَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَا﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، لا محل لها. ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿مِنْ ءَايَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر، و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾ و﴿ءَايَٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿وَٱذْكُرْنَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿لَطِيفًا﴾: خبر أول. ﴿خَبِيرًا﴾: خبر ثان، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: روي: أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله! ذكر الله الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة! فأنزل الله هذه الآية. وروي أن أم عُمارة الأنصارية ـ رضي الله عنها ـ قالت: أتيت النبي ﷺ، فقلت: ما لي أرى كل شيء إلى الرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء؟! فنزلت الآية أخرجه الترمذي. وروي: أنه لما نزل في نساء النبي ﷺ الآيات السابقة قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء. فنزلت الآية، وهذا أولى بالاعتبار، فذكر الله لهن عشر مراتب مع الرجال، فمدحن بها معهم.

الأولى: الإسلام، وهو: الاستسلام الظاهر لما أمر الله به، وحث عليه رسوله ﷺ، وعرف من الدين بالضرورة.

الثانية: الإيمان، وهو التصديق بما جاء به رسول الله ﷺ، وعرف من الدين بالضرورة.

فإن قلت: لم عطف الإيمان على الإسلام؛ مع أنهما متحدان شرعاً؟ فالجواب: ليسا بمتحدين مطلقاً؛ بل متحدان ما صَدَقًا لا مفهوماً، أخذاً من الفرق بين الإسلام، والإيمان الشرعيين؛ إذ الإسلام الشرعي هو التلفظ بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي ﷺ، والإيمان الشرعي عكس ذلك، ويكفي في العطف المقتضي للاختلاف اختلافهما مفهوماً، وإن اتحدا ما صَدَقًا، وفي اتحادهما يقول الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

وبعبارة، أوضح: قد يوجد إسلام، ولا يوجد إيمان. ودليل هذا: أن الإسلام هو النطق بالشهادتين والانقياد الظاهري بالجوارح، وذلك يكون بأداء الصلاة، وغيرها من أعمال الإسلام، أما الإيمان فمحله القلب، وهو الاعتقاد الجازم بوجود أمور أجاب عنها الرسول ﷺ حينما سأله جبريل الأمين ـ عليه السلام ـ عن الإيمان، فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء، والقدر: خيره، وشره من الله تعالى**». ولذا رد الله دعوى أقوام الإيمان بقوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ...﴾ إلخ الآية رقم [١٤] من سورة (الحجرات)، ثم بين حقيقة الإيمان، وحقيقة المؤمنين الصادقين في الآية التالية لها رقم [١٥] بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ وجملة القول: إن بينهما عموماً،

وخصوصاً من وجه، فقد يوجد إسلام، ولا يوجد إيمان، وأما الإيمان فلا يمكن وجوده إلا بوجود الإسلام، فالإسلام قد يوجد عند المنافقين؛ الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وأما الإيمان فلا يوجد إلا عند المسلمين المؤمنين الصادقين في إيمانهم؛ الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾. جعلنا الله منهم، ووفقنا للسير على طريقتهم.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: والمطيعين، والمطيعات. هذا؛ والقنوت: الطاعة، والخضوع، والدعاء، والتذلل بين يدي الله تعالى. ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ أي: في الأقوال، والأعمال، والنيات، وقد حث النبي ﷺ على الصدق، وحذر من الكذب، فقال: «**عليْكُمْ بالصِّدْقِ، فإنَّ الصدقَ يَهْدِي إلى الْبِرِّ، والْبِرُّ يَهْدِي إلى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرجُلُ يَصْدُقُ، ويتحرَّى الصدقَ؛ حتى يُكْتَبَ عندَ اللهِ صِدِّيقاً، وَإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فإن الْكَذِبَ يَهْدِي إلى الفجورِ، والفجورُ يَهْدِي إلى النارِ، وما يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ، وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عندَ اللهِ كذَّاباً**». رواه البخاري، ومسلم عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه. واعتبر الكذب من علامات النفاق؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**آيَةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أخلفَ، وإِذَا اؤتمن خَانَ**». رواه البخاري، ومسلم، وزاد مسلم في رواية له: «**وإن صلى، وصام، وحج، واعتمر. وقال: إني مسلم**».

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾: على الطاعات، وعن المعاصي، وعلى أنواع البلاء، كما رأيت في الآية رقم [٢٤] من سورة (السجدة).

﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ أي: في الصلاة، فهو لبها، وجوهرها. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ أي: مخبتون أذلاء متواضعون. هذا؛ والخشوع في الصلاة يكون في القلب وفي الجوارح، أما خشوع القلب: فهو الخوف من الله، وحضوره معه حينما يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وملاحظة: أنه بين يديه تعالى في جميع حركاته، وسكناته. وأما خشوع الجوارح؛ فعدم الالتفات في الصلاة، وعدم رفع البصر إلى السماء، وعدم العبث بشيء من جسده، وثيابه، فقد روي: أن النبي ﷺ أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: «**لَوْ خَشَعَ قلْبُ هَذَا؛ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ**». ذكره البغوي بغير سند، وانظر ما ذكرته في صدر سورة (المؤمنون) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ أي: المنفقين، والمنفقات المال فرضاً، وتطوعاً كلما دعاهم داع إلى بذل المال.

﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ أي: شهر رمضان، وما ندب الرسول ﷺ إلى صومه، كصوم الاثنين، والخميس من كل أسبوع، والعشر الأول من ذي الحجة، وغير ذلك مما ورد الترغيب في صومه.

﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ﴾: عما لا يحل، من الزنى، وغيره. ﴿وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾: فروجهن عما لا يحل، من الزنى وغيره.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ أي: الله كثيراً، وهذا يفيد: أن كل عبادة لها أول، ولها آخر إلا الذكر فإنه لا يقف عند حد، وخذ ما يلي:

عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ، والْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَن تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟!**». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «**ذِكْرُ اللهِ**». قال معاذُ بْنُ جبلٍ: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ. رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَي الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجةً لا تَبْغِيهِ حُوْباً في نفسِهَا، وَمَالِهِ**». رواه الطبراني، وهذا قليل من كثير مما ورد في فضائل الذكر. وانظر الآيتين رقم [٤١ و٤٢] الآتيتين.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾: فيه تغليب الذكور على الإناث، وحذف مقابلة لدلالة الأول عليه، التقدير: أعد الله لهم ولهن. ﴿مَّغۡفِرَةٗ﴾: لما اقترفوا من الذنوب الصغائر؛ لأن ما ذكر من الصفات يكفرها، أما الكبائر؛ فلا بد لغفرانها من التوبة النصوح المقترنة بشروطها. ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: التنكير يدل على أن هذا الأجر لا يدرك كنهه أحد، ولا يحيط به علم مخلوق.

فائدة: قال عطاء بن أبي رباح ـ رضي الله عنه ـ: من فوض أمره إلى الله؛ فهو داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾. ومن أقر بأن الله ربه، ومحمداً رسوله، ولم يخالف قلبه لسانه؛ فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾. ومن أطاع الله في الفرض، والرسول في السنة، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾. ومن صان قوله عن الكذب؛ فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾. ومن صبر على الطاعة، وعن المعصية، وعلى الرزية، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾. ومَن صلَّى، فلم يعرف مَنْ على يمينه، ومن على شماله، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ﴾. ومن تصدَّق في كل أسبوع بدرهم؛ فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ﴾. ومَن صام في كل شهر أيام البيض، وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾. ومَن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾. ومَن صلى الصلوات الخمس بحقوقها، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾. انتهى. خازن، ولا تنس: أن «أل» في هذه الأسماء بمعنى:

«الذي» فإن التقدير: والذين يديمون التصدق، والذين يديمون الصيام، والذين يتصدقون، والذين يصومون، والذين يحافظون. . . إلخ.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وفاعله مستتر فيه، وما بعد هذين الاسمين معطوف عليهما، والإعراب مثلهما بلا فارق، وحذف متعلق بعض هذه الأسماء لدلالة المقام عليه. ﴿فُرُوجَهُمْ﴾: مفعول به عامله ما قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وحذف مفعول (الحافظات) لدلالة الأول عليه. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم عامله ما قبله. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: ذكراً كثيراً، وحذف ما بعد (الذاكرات) لدلالة ما قبله عليه. ﴿أَعَدَّ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّغْفِرَةً﴾ مفعول به. ﴿وَأَجْرًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿عَظِيمًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: ما صح، وهذا التعبير: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ ونحوهما معناه: الحظر والمنع، فتجيء لحظر الشيء، والحكم بأنه لا يجوز كما في هذه الآية، وربما كان امتناع ذلك الشيء عقلاً، كقوله تعالى في سورة (النمل): ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ﴾ الآية رقم [٦٠]. وربما كان العلم بامتناعه شرعاً، كقوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٧٩]: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾، وقوله تعالى في سورة (الشورى) رقم [٥١]: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ وربما كان في المندوبات، كما تقول: ما كان لك يا فلان أن تترك صلاة الصبح، والعشاء في الجماعة، ونحو ذلك.

﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ أي: قضى رسول الله ﷺ، وذُكِر الله لتعظيم أمره، والإشعار بأن قضاءه قضاء الله، فهو مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾. ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾: أن يختاروا من أمرهم ما شاؤوا؛ بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه، واختيارهم تلواً لاختياره. هذا؛ والفعل ﴿يَكُونَ﴾ يقرأ بالياء، والتاء؛ لأن الخيرة مؤنث مجازي، يجوز فيه التذكير، والتأنيث، والخيرة من: التخير، كالطيرة من: التطير، يستعمل بمعنى المصدر. وهو التخير؛ وبمعنى المتخيَّر، كقولهم: محمد خيرة الله من خلقه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٨] من سورة (القصص) تجد ما

يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ وجمع الضمير في ﴿لَهُمُ﴾ وإن كان حقه أن يوحد، أو يثنى؛ لأن المذكورَيْنِ وَقَعَا تحت النفي، فَعَمَّا كل مؤمن، ومؤمنة، فرجع الضمير إلى المعنى، لا إلى اللفظ.

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يخالف، أوامرهما فيما أمرا به، أو يخالف نهيهما عما نهيا عنه. ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾: فإن كان العصيان عصيان رد، وامتناع عن القبول؛ فهو ضلال، وكفر، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر، واعتقاد الوجوب؛ فهو ضلال خطأ، وفسق. وانظر شرح: ﴿ضَلَّ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (لقمان).

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في زينب بنت جحش الأسدية، وأخيها عبد الله بن جحش، وأمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وذلك: أن النبي ﷺ خطبها لمولاه زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ الذي حدثتك عنه في الآية رقم [٤] وكانت قد ظنت: أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، فرضيت، فلما علمت: أنه يخطبها لزيد بن حارثة؛ أبت، وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله! فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة، وفيها حدة، وكذلك كره أخوها ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يعني: عبد الله بن جحش ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني: أخته زينب ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ يعني: نكاح زيد لزينب. فلما سمعت زينب بذلك وأخوها؛ رضِيَا، وسلَّمَا، وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ، فأنكحها زيداً، ودخل بها، وساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير، وستين درهماً، وخماراً، ودرعاً، وملحفةً، وخمسين مداً من طعام، وثلاثين صاعاً من تمر. انتهى. خازن.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: في هذه الآية دليل؛ بل نص في أن الكفاءة لا تعتبر في الأحساب، وإنما تعتبر في الأديان، خلافاً لمالك، والشافعي، والمغيرة، وسحنون، وذلك: أن الموالي تزوجت في قريش، تزوج زيد زينب بنت جحش، وتزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير، وزوج أبو حذيفة سالماً من فاطمة بنت الوليد بن عتبة، وتزوج بلال أخت عبد الرحمن بن عوف. انتهى.

والمعتمد: أن الكفاءة تعتبر في الأحساب أيضاً؛ لأن المرأة إذا تزوجت دونها في الحسب، فإنها تترفع على الزوج، ولا تخضع لأوامره، ولا تستجيب لمطالبه، والآية التالية توضح ذلك، أما الزوج إذا تزوج دونه في الحسب برضاه، فلا غضاضة، ولكن الأفضل أن يتزوج مثله لأن الولد يفتخر بأخواله، كما هو معلوم لدى كل إنسان.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِمُؤْمِنٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مجرد عن الشرط، مبني على السكون في محل نصب متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، التقدير: وما كان مستقراً لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله كونه خيرة له في أمره. ويجوز أن

تكون: ﴿إِذَا﴾ شرطية، ويكون جوابها محذوفاً مدلولاً عليه بالنفي المتقدم. ﴿قَضَى﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: اسم يكون مؤخر. ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الخيرة، و﴿أَن يَكُونَ...﴾ إلخ في تأويل مصدر في محل رفع اسم (كان) مؤخر، وجملة: (ما كان...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَعْصِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى (من). ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (رسوله): معطوف على ما قبله. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿ضَلَٰلًا﴾: مفعول مطلق. ﴿مُّبِينًا﴾: صفة له، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٣٠].

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾: الخطاب للنبي ﷺ. ﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: المراد بضمير الغيبة: زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ أنعم الله عليه بالإسلام الذي هو أجل النعم. ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: بالإعتاق والتبني، فهو متقلب بنعمة الله ونعمة رسوله. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: زينب، ولا تطلقها، وذلك حين أتى النبي ﷺ، وقال له: إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال له: «**مالك؟ أرابك منها شيء؟**». قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعاظم عليّ بشرفها، وتؤذيني بلسانها، فقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: فلا تطلقها. ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: فلا تذمها بنسبتها إلى الكبر، وأذى الزوج.

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: تخفي في نفسك نكاح زينب إن طلقها زيد، وهو الذي يريد الله إظهاره للناس لحكمة يعلمها جلت قدرته ظهرت فيما بعد، وهي إبطال عادة التبني التي كانت شائعة في الجاهلية وصدر الإسلام. ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي: تخاف من لوم الناس وعلى الأخص

المنافقين، وتعييرهم، حيث يقولون: تزوج محمد امرأة ابنه زيد. ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ أي: تخافه وتستحيي منه، فهو أحق بالخوف، والحياء منه. فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لَوْ كتمَ رسولُ اللهِ ﷺ شَيْئاً مِمَّا أُوحِيَ إليهِ؛ لكتم هذه الآية. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ أي: حاجته منها، ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها، وطابت نفسه منها، وطلقها، وانقضت عدتها. وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها. ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾: وقرئ: (زوجتكها).

تنبيه: قال الله تعالى هنا مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾، وقال في الآية رقم [١٣] من سورة (التوبة) مخاطباً المؤمنين: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقال في الآية رقم [٤٤] من سورة (المائدة): ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ والخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، وهو المراد منه بخشية عباد الله المؤمنين المتكررة في القرآن الكريم. هذا؛ والماضي خشِيَ، والمصدر: خشية، والرجل خَشْيَانُ والمرأة خَشْيا، وهذا المكان أخشى من ذلك، أي: أشد خوفاً. هذا؛ وقد يأتي الفعل: «خشي» بمعنى: «علم» القلبية، قال الشاعر: [الكامل]

وَلَقَدْ خشِيتُ بِأَنَّ مَنْ تَبِعَ الْهُدى ... سَكَنَ الْجِنَانَ مَعَ النَّبِيِّ محمَّدِ

قالوا: معناه: علمت، وقوله تعالى في سورة (الكهف): ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ قال الأخفش: معناه: كرهنا، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

روي: أنها لما اعتدت، قال رسول الله ﷺ لزيد: «**ما أجد أحداً، أوثق في نفسي منك! اخطب عليَّ زينب**». قال زيد ـ رضي الله عنه ـ: فانطلقت، وقلت: يا زينب! أبشري! إن رسول الله ﷺ يخطبك، ففرحت، وتزوجها، ودخل بها، وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها، ذبح شاة، وأطعم الناس الخبز، واللحم حتى امتد النهار. وقال أنس رضي الله عنه: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ، تقول: زوجكن آباؤكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات. وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدِلُّ عليك بثلاث، ما من امرأة من نسائك تَدِلُّ بهن: جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله في السماء، وإن السفير جبريل عليه السلام، لذا فإن النبي ﷺ، لما قرأ عليه جبريل عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ قال: قبلت، فلم يَحْتَجْ عليه الصلاة والسلام إلى وليٍّ من جهة زينب يتولى إيجاب العقد، ولم يحضر شهوداً على ذلك.

﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾: إثم ومؤاخذة. ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾: جمع دِعي، وهو الابن المتبنى. ﴿إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾: قضاء الوطر: إدراك الحاجة، وبلوغ المراد منه. ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: أمره الذي يريده. ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: ماضياً ونافذاً، كالذي أراده من زواج النبي ﷺ بزينب، رضي الله عنها، والحكمة كانت إبطال عادة التبني؛ التي كانت شائعة في الجاهلية.

تنبيه: قال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي ـ رضي الله عنه ـ: كان يقال: زيد بن محمد؛ حتى نزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ فقال زيد: أنا زيد بن حارثة، وحرم عليه أنْ يقول: أنا زيد بن محمد. فلما نُزِع عنه هذا الشرف، وهذا الفخر، وعلم الله وحشته من ذلك، شرفه بخصوصية لم يكن يخص بها أحداً من أصحاب النبي ﷺ، وهي أنه سماه في القرآن، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ يعني: من زينب، ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم؛ حتى صار قرآناً يتلى في المحاريب؛ نَوَّهَ به غاية التنويه، فكان في هذا تأنيس له، وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ له.

ألا ترى إلى قول أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ حين قال له النبي ﷺ: إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا، فبكى، وقال: أوذكرت هنالك؟ وكان بكاؤه من الفرح حين أُخْبِرَ: أن الله تعالى ذكره، فكيف بمن صار اسمه قرآناً يُتْلَى مخلداً لا يبيد، يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن، وأهل الجنة كذلك أبداً، لا يزال على ألسنة المؤمنين، كما لم يزل مذكوراً على الخصوص عند رب العالمين؛ إذ القرآن كلام الله القديم، وهو باق لا يبيد؟! فاسم زيد في هذه الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة، تذكره في التلاوة السفرة الكرام البررة، وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين إلا لنبي من الأنبياء، ولزيد بن حارثة تعويضاً من الله تعالى مما نزع منه، وزاد في الآية أن قال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: بالإيمان؛ فدل على أنه من أهل الجنة، علم ذلك قبل أن يموت، وهذه فضيلة أخرى. انتهى. قرطبي.

تنبيه: وهنا يحلو لبعض ضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض أن يثيروا الشبهات حول زواج النبي ﷺ بزينب ـ رضي الله عنها ـ فقد زعموا: أن النبي ﷺ رأى زينب، فأحبها ثم كتمْ هذا الحب، ثم بعد ذلك أظهره، ورغب في زواجها، فطلقها زيد، وتزوجها رسول الله ﷺ. وزعموا: أن العتاب في الآية كان لكتمان حبه لها.

وكذبوا، وافتروا: أن النبي ﷺ مر ببيت زيد، وهو غائب، فرأى زينب، فوقع منها في قلبه شيء، فقال: سبحان مقلب القلوب، فسمعت زينب تلك التسبيحة، فنقلتها إلى زيد، فوقع في قلبه أن يطلقها؛ حتى يتزوجها الرسول إلى غير ذلك من المزاعم الباطلة التي تلقفها المستشرقون ومن على شاكلتهم من المسلمين المزيفين، وخذ ما يلي:

روي عن علي بن الحسين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: أنه قال: أعلم الله نبيه ﷺ: أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه، وقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ عاتبه الله، وقال له: أخبرتك: أني مزوجكها. ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، فالذي أخفاه الرسول ليس هو الحب، وإنما أخفى ما أوحى الله إليه من أمر الزواج بها لحكمة عظيمة، هي إبطال عادة التبني. ومحمد ﷺ كان يعرف زينب من الصغر؛ لأنها ابنة عمه،

وهي لا تحتجب عنه فمن كان يمنعه منها، وكيف يقدِّم إنسان امرأة لشخص وهي بكر حتى إذا تزوجها وصارت ثيباً؛ رغب فيها. انتهى.

ولكن الحق: أن هذا الزواج كان امتحاناً في أوله لزينب وأخيها؛ حيث أُكْرِهَا على قبول زيد، وفي النهاية كان امتحاناً قاسياً للنبي ﷺ حيث يؤمر به، ويعلم نهايته، وزينب تحت مولاه زيد. والحكمة هي ما ذكرته من إبطال عادة التبني، وهكذا تبطل مزاعم المفترين على عصمة الرسول ﷺ. والله ولي التوفيق.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. وقيل: حرف عطف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر وقت. . .إلخ، وأجيز اعتباره ظرفاً لهذا المقدر. ﴿تَقُولُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت». ﴿لِلَّذِيٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنْعَمَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. (أنعمت): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْـهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَمْسِكْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، تقديره: أنت. ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. هذا؛ وقال ابن هشام في مغنيه: في تعليق الجار والمجرور في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ الآية رقم [٢٦٠] من سورة (البقرة)، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ﴾ الآية رقم [٢٥] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، وهذا كله يتخرج على التعلق بمحذوف، كما قيل في اللام في سقياً لك، وإما على حذف مضاف، التقدير: أمسك على نفسك زوجك، وذلك؛ لأنه لا يتعدى فعل المضمر المستتر إلى ضميره المتصل إلا في باب: «ظن». وانظر ما ذكرته في الشاهد رقم [٢٥٧] من كتابنا فتح القريب المجيب، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وجملة: ﴿أَمْسِكْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿تَقُولُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها، وجملة: اذكر وقت. . .إلخ المقدرة مستأنفة، لا محل لها. ﴿زَوْجَكَ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

﴿وَٱتَّقِ﴾: الواو: حرف عطف. (اتق): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿وَتُخْفِى﴾: الواو: واو الحال. (تخفي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِى نَفْسِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿مُبْدِيهِ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه،

والجملة الاسمية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالإضافة، وجملة: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وأنت تخفي. . .إلخ، والجملة الاسمية هذه في محل نصب حال من تاء الفاعل، أو من فاعل: ﴿تَقُولُ﴾ المستتر، والرابط: الواو. هذا؛ وإنما قدرت مبتدأ محذوفاً قبل جملة: ﴿وَتُخْفِي...﴾ إلخ لأن الجملة المضارعية الواقعة حالاً، لا تقترن بالواو. قال ابن مالك: [الرجز]

وَذَاتُ بَدْءٍ بِمُضَارِعٍ ثَبَتْ حَوَتْ ضَمِيراً، ومِنَ الواوِ خَلَتْ

وَذَاتُ واو بَعْدَهَا انْوِ مُبْتَدَا لَهُ الْمُضَارِعَ اجْعَلَنَّ مسندَا

﴿وَتَخْشَى﴾: الواو: حرف عطف. (تخشى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿النَّاسَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَاللَّهُ﴾: الواو: واو الحال. (الله): مبتدأ. ﴿أَحَقُّ﴾: خبره. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَخْشَاهُ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن»، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أحق بخشيتك، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿أَحَقُّ﴾. هذا؛ وجوز اعتبار المصدر المؤول في محل رفع بدل اشتمال من المبتدأ، كما جوز اعتباره مبتدأ ثانياً مؤخراً، و﴿أَحَقُّ﴾ خبره مقدماً، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، أو هي حال من فاعل: (تخشى)، فتكون حالاً متداخلة، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فسلت مفنداً.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٢٢]. ﴿قَضَى﴾: فعل ماض، مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿زَيْدٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿وَطَرًا﴾ كان صفة له، فلمَّا قدم عليه؛ صار حالاً، وجملة: ﴿قَضَى...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾: فعل ماض مبني على السكون، و(نا): فاعله، والكاف مفعوله الأول، و(ها): مفعوله الثاني، والجملة الفعلية جواب: (لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿لِكَيْ﴾: اللام: حرف تعليل وجر. (كي): حرف مصدري، ونصب. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: (كي). ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿يَكُونَ﴾ مقدم. ﴿حَرَجٌ﴾: اسم: ﴿يَكُونَ﴾ مؤخر. ﴿فِي أَزْوَاجِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿حَرَجٌ﴾، و﴿أَزْوَاجِ﴾ مضاف، و﴿أَدْعِيَائِهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون

في محل نصب متعلق بالفعل ﴿يَكُونَ﴾. ﴿قَضَوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِنْهُنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿وَطَرًا﴾ على نحو ما رأيت آنفاً، والنون حرف دال على جماعة الإناث، و(كي) والفعل ﴿يَكُونَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿أَمْرُ﴾: اسم: (كان)، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿مَفْعُولًا﴾: خبر: (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وقال الزمخشري: معترضة في آخر الكلام، ولا محل لها أيضاً.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾: محمد ﷺ. ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾: من إثم، ومؤاخذة. ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: في الذي أحله الله له من زواجه بزينب، رضي الله عنها، وغيرها من النساء اللاتي مر ذكرهن، وعددهن. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾: هذا رد لكل معترض على النبي ﷺ فيما أحل الله له، وهو إعلام بأن النكاح، ونحوه من المباحات سنة قديمة في الأنبياء، أن ينالوا ما أحله الله لهم، فقد كان لداود مئة امرأة حرة، وثلاثمئة سُرِّية، ولسليمان ثلاثمئة امرأة حرة وسبعمئة سُرِّية، و﴿سُنَّةَ﴾ هنا بمعنى: الطريقة، والعادة المتبعة، والمراد بالذين خلوا: الأنبياء الذين مضوا قبل نبينا، عليه، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ أي: قضاءً مقضياً، وحكماً مبتوتاً: أن لا حرج على أحد فيما أحل له.

هذا؛ ولقد أحسن الدكتور محمد علي الصابوني جزاه الله خيراً الرد على من انتقد الرسول ﷺ فيما أحل الله له من التزوج بالنساء في رسالته: «شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ» وبين: أن زواجه بكل واحدة كان لحكمة سامية. وأضيف: أن زواجه بأكثر من أربع نسوة، وجمعهن عنده هو من خصوصياته ﷺ، فقد اختصه الله بأمور فيها ترفيه له، واختصه الله بأمور فيها تشديد عليه لرفع مقامه، وتكثير ثوابه، وعلو درجاته، انظر الآية رقم [٥٠] الآتية.

هذا؛ ومن أهم ما يدحض انتقاد المستشرقين، والملحدين في كل زمان، ومكان زواج الرسول ﷺ بأكثر من أربع أمران: أولهما: أن الرسول ﷺ لم يتزوج أكثر من أربع إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة؛ أي بعد أن جاوز الخمسين من عمره؛ وثانيهما: أن جميع زوجاته الطاهرات ثيبات ما عدا السيدة عائشة، رضي الله عنها، فهي الوحيدة التي تزوجها في حالة الصبا، والبكارة.

الإعراب: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿حَرَجٍ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿فِيمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿حَرَجٍ﴾، وجملة: ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد: الضمير المجرور محلاً باللام، وجملة: ﴿مَّا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿سُنَّةَ﴾: مفعول مطلق مؤكد للكلام قبله، كأنه قيل: سن الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين، كقولهم: تراباً، وجندلاً. و﴿سُنَّةَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فِي ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾. ﴿خَلَوْاْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة، لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، ونية معناه. ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية السابقة. إفراداً، وجملة، مع ملاحظة: أن ﴿مَّقْدُورًا﴾ صفة: ﴿قَدَرًا﴾ مراد به التأكيد، كظِلٍ ظليلٍ، ولَيْلٍ أَلْيَلَ.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: يبلغون فرائض الله، وسننه، وأوامره، ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم. هذا؛ وقرئ «رسالته» بالإفراد. ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾: ويخافونه. ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾: ولا يخافون أحداً من الناس ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تعالى. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: محاسباً لأعمال خلقه، وحافظاً لأعمالهم صغيرها، وكبيرها، سرها، وجهرها.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة، أو بدل من: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في الآية السابقة، أو في محل نصب على المدح بفعل محذوف، تقديره: أمدح، أو أعني ونحو ذلك، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين. ﴿يُبَلِّغُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿رِسَٰلَٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾: وهذه الجملة معطوفة أيضاً على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿ٱللَّهَ﴾: بدل من: ﴿أَحَدًا﴾، والاستثناء ضعيف. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ في الآية رقم [٣] بلا فارق بينهما.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أي: على الحقيقة، فيثبت بينه وبين الرسول ﷺ ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة، وغيرها، والمراد: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ البالغين، والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ، وأولاده ﷺ القاسم، وهو أول أولاده، وبه يكنى، وعبد الله، وكان يلقب بـ: الطيب، والطاهر. وقيل: الطيب، والطاهر غير عبد الله المذكور، ولدا في بطن واحدة قبل البعثة. وإبراهيم ماتوا قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، ولو بلغوا كانوا رجاله، لا رجال أصحابه.

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾: وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير، والتعظيم له عليهم، ووجوب الشفقة، والنصيحة لهم عليه، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء، والأبناء، وزيد بن حارثة واحد من رجالكم، الذين ليسوا بأولاده حقيقة، فكان حكمه حكمكم، والادعاء، والتبني من باب الاختصاص، والتقريب لا غير.

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: بفتح التاء وهي قراءة عاصم وحده بمعنى: أنهم به ختموا، فهو كالخاتَم، والطابَع لهم، وقرأ الجمهور بكسر التاء بمعنى: أنه ختمهم، أي: جاء آخرهم. وقيل: الخاتَم، والخاتِم لغتان، مثل: طابَع، وطابِع، ودانَق ودانِق، وطابَق من اللحم، وطابِق هذا؛ وقال بعضهم: هو فعل مثل: قاتل بمعنى: ختمهم.

تنبيه: قال ابن عطية ـ رحمه الله تعالى ـ: هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة، خلفاً، وسلفاً، متلقاة على العموم التام، مقتضية نصاً: أنه لا نبي بعده ﷺ، وما ذكره القاضي أبو الطيب في كتابه المسمى بـ: «الهداية» من تجويز الاحتمال في ألفاظ هذه الآية ضعيف، وما ذكره الغزالي في هذه الآية، وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بـ: «الاقتصاد» إلحاد عندي، وتطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد ﷺ النبوة، فالحذر الحذر منه، والله الهادي برحمته. انتهى. قرطبي. أقول: وقد ادعى خبيث النبوة في عصرنا الحديث في باكستان، ولا تزال جماعة تقول بنبوته. هدانا الله وإياهم طريق الحق، والصواب.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد: لو لم أختم به النبيين؛ لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً. وعنه ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً. انتهى. خازن ويعجبني في هذا المقام قول حسان ـ رضي الله عنه ـ مخاطباً النبي ﷺ حين توفي إبراهيم ابنه معزياً له: [الطويل]

مَضى وهْو مَحْمُودُ الْعواقبِ لَمْ يُشَبْ ... بِعَيْبٍ وَلَمْ يُذْمَمْ بقَوْلٍ وَلَا فِعْلِ

رَأَى أَنَّهُ إِنْ عَاشَ سَاوَاكَ لِلْعُلَا ... فَآثَرَ أَنْ تَبْقى وحيداً بلَا مِثْلِ

وخذ ما يلي: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ مَثَلِي ومثَل الأنبياء مِنْ قبلي، كمثلِ رجلٍ بنَى بَيْتاً، فأحْسَنَهُ، وأجْملَهُ، إلَّا مَوْضِعَ لبنَةٍ في زاويةٍ مِن زواياه، فجعلَ الناسُ يطوفون به، ويتعجبون لهُ، ويقولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبنَةُ، فأَنَا اللَّبنَةُ، وأنا خاتمُ النبيينَ»**. متفق عليه. وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ نحوه. وقد خرجه له مسلم. وعن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لي خمسةُ أسْمَاءٍ: أنا محمدٌ، وأنا أحْمَدُ، وأنَا الماحي؛ الَّذِي يَمْحُو اللهُ الكفر بي، وأنَا الحاشِرُ؛ الَّذِي يُحْشَرُ الناسُ على قدَمِي، وأنا العاقبُ؛ الَّذي لَا نَبيَّ بَعْدِي»**. متفق عليه.

بقي أن تعلم: أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، وهو نبي مرسل، كما هو مشهور ومعلوم، ولكنه حين ينزل يكون عاملاً بشريعة محمد ﷺ، ومصلياً إلى قبلته، كأنه بعض أمته، فلا يجيء بشريعة جديدة. وينبغي أن تعلم: أن الآية نزلت حين تزوج الرسول زينب، وقال الناس: تزوج محمد امرأة ابنه زيد.

الإعراب: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿مُحَمَّدٌ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿أَبَآ﴾: خبرها منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿أَبَآ﴾ مضاف، و﴿أَحَدٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَحَدٍ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿مَّا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك، مخفف من الثقيلة، مهمل لا عمل له. ﴿رَّسُولَ﴾: خبر لـ: «كان» محذوفة، التقدير: ولكن كان رسول الله. هذا؛ ويقرأ بتشديد النون على أنها عاملة، و﴿رَّسُولَ﴾ اسمها، وخبرها محذوف، التقدير: من عرفتموه. كما يقرأ برفع (رسولُ) على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ولكن هو رسول الله، و﴿رَّسُولَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَخَاتَمَ﴾: معطوف على ﴿رَّسُولَ﴾ على رفعه، ونصبه، وعلى اعتباره فعلاً؛ ففاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: «كان» المقدرة، و(خاتم) مضاف، و﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مضاف إليه، وجملة: «وكان رسول الله...» إلخ المقدرة معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها على جميع الاعتبارات فيها.

﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمًا﴾ بعدهما، و(كل) مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾

الشرح: أمر الله في هذه الآية عباده المؤمنين بأن يذكروه، ويشكروه، ويكثروا من ذلك على

ما أنعم الله به عليهم، وجعل تعالى ذلك دون حد؛ لسهولته على العبد. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه، إلا مغلباً على عقله، وأمرهم به في الأحوال كلها، فقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ يعني: بالليل، والنهار، في البر، والبحر، في الصحة، والمرض، في السر، والعلانية. وقيل: الذكر الكثير: هو أن لا ينساه أبداً، وخذ ما يلي:

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَكْثِرُوا ذكرَ اللهِ حَتَّى يقولُوا: مَجْنُونٌ**». رواه أحمد، والحاكم، وغيرهما. وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ؛ وَالَّذي لا يذكرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحيِّ، والميِّتِ**». رواه البخاري، ومسلم، وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ واضعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ؛ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ؛ التقمَ قَلْبَهُ**». رواه البيهقي، وغيره. والأحاديث المرغبة في الذكر أكثر من أن تحصى، وانظر الآية رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [١]. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والمتعلق محذوف. ﴿ٱذْكُرُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿ذِكْرًا﴾: مفعول مطلق. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة له.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: معناه: إذا ذكرتموه ينبغي أن يكون ذكركم إياه على وجه التعظيم والتقديس، والتنزيه عن كل سوء. ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: أول النهار، وآخره، وخُصَّا بالذكر؛ لأن ملائكة الليل، وملائكة النهار يجتمعون في هذين الوقتين، وإنما اختص التسبيح بالذكر من بين أنواع الذكر؛ لبيان فضله على سائر الأذكار، كما اختص جبريل، وميكائيل بالذكر من بين الملائكة لبيان فضلهما؛ لأن معنى التسبيح: تنزيه ذاته تعالى عما لا يجوز عليه من الصفات. وجاز أن يراد بالذكر، والتسبيح وإكثارهما تكثير الطاعات، والعبادات فإنها من جملة الذكر، ثم خص من ذلك التسبيح ﴿بُكْرَةً﴾، وهي صلاة الفجر. ﴿وَأَصِيلًا﴾، وهي صلاة الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء لمزيد الاهتمام بشأن الصلاة.

تنبيه: جاء لفظ التسبيح في القرآن الكريم بالماضي أحياناً، وبالمضارع أحياناً، وبالأمر أحياناً، وبالمصدر أحياناً أخرى، استيعاباً لهذه المادة من جميع جهاتها، وألفاظها، وهي أربع:

المصدر، والماضي، والمضارع، والأمر، وهذا الفعل بألفاظه الأربعة، قد عُدِّي باللام تارةً، مثل قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، وقوله جلت حكمته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ...﴾ إلخ وبنفسه أخرى، مثل قوله تعالى شأنه: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾، وقوله جلت قدرته: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ وأصله التعدي بنفسه؛ لأن معنى سبَّحته: بعدته من السوء، منقول من: سبح: إذا ذهب، وبعُدَ، فاللام إما أن تكون مثل: نصحته، ونصحت له، وشكرته، وشكرت له، وإما أن يراد بـ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ اكتسب التسبيح لأجل الله، ولوجهه خالصاً.

هذا؛ وقد حثنا الرسول ﷺ على الإكثار من التسبيح، وغيره من أنواع الذكر. وخذ ما يلي: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرياضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا**». قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ! ما رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**الْمَسَاجِدُ**». قُلْتُ: وما الرَّتْعُ؟ قال: «**سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ، ولا إِلَهَ إلا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ**». رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِيتُ إبراهيمَ عليه السلامُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فقالَ: يا محمدُ! أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السلامَ، وأَخْبِرْهُمْ: أَنَّ الْجَنَّةَ طيبةُ التربةِ عذْبَةُ الماءِ، وأنها قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ**». رواه الترمذي، والطبراني، وهذه الكلمات يقولهن الطاهر، والمحدث، والجنب، والحائض، والنفساء، وينبغي أن لا يلفظهن في الأماكن القذرة، وفي حالة كشف العورة. هذا؛ والتسبيح يأتي بمعنى الدعاء، قال جرير: [الطويل]

فَلَا تَنْسَ تَسْبِيحَ الضُّحَى إِنَّ يُوسَفاً ... دَعَا رَبَّهُ فَاخْتَارَهُ حِينَ سَبَّحَا

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٧] من سورة (الروم)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٥]. ولا تنس: أن الله تعالى قال في الآية رقم [٤٤] من سورة (الإسراء): ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

هذا؛ وقد قابل الله بين الأصيل، والبكرة هنا، وأيضاً في الآية رقم [٥] من سورة (الفرقان) وقابل بينه وبين الغدو في الآية رقم [٣٦] من سورة (النور)، وفي (الرعد) رقم [١٥]، وأيضاً في الآية رقم [٢٠٥] من سورة (الأعراف) وقابل العشي بالإبكار في الآية رقم [٤١] من سورة (آل عمران) وقابله بالغداة في الآية رقم [٥٢] من سورة (الأنعام) وأيضاً في الآية رقم [٢٨] من سورة (الكهف) وقابل الغدو بالعشي في الآية رقم [٤٦] من سورة (غافر). هذا؛ والبكرة، والغداة، والغدو: النصف الأول من النهار، والأصيل، والعشي: النصف الآخر من النهار، مع الاختلاف في تحديد كل منهما.

والأصيل: الوقت بين العصر، والمغرب على الراجح، ويجمع على: آصال، وعلى: أصائل، وأُصُل، وأُصلان. وقيل: الآصال جمع أُصُل، والأُصُل جمع: أصيل، ثم أصائل جمع الجمع، قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

لَعَمْرِي لأنتَ الْبَيْتُ أكْرَمُ أهْلِهِ وَأَقْعَدُ فِي أَفْيَائِهِ بالأَصَائِلِ

هذا؛ ويطلق الأصيل على الشعَاع الممتدِّ من الشمس إلى الماء مثل الحبال، ويشبه لون أشعته في الماء لون الذهب.

هذا؛ وإنما خص هذين الوقتين بالذكر؛ لأن الإنسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الموت، فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم، وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر؛ ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل، وأما وقت الأصيل، وهو أخر النهار، فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم، الذي هو أخو الموت، فيستحب له أن يستقبله بالذكر؛ لأنه حالة تشبه الموت، ولعله لا يقوم من تلك النومة، فيكون موته على ذكر الله عز وجل. فعن جويرية أم المؤمنين ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ خرج من عندها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**». قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أربعَ كلِمَاتٍ ثلاث مرات، لَو وُزِنَتْ بما قُلْتِ مُنْذُ اليومَ، لَوَزنَتْهُنَّ سبحانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رضاءَ نفسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدادَ كلِمَاتِهِ**». أخرجه مسلم، ويروى بروايات كثيرة أيضاً.

وقد اختلفت في إعراب: «عدد، رضاء، زنة، مداد» فقال السيوطي: هي منصوبة على الظرف بتقدير: قدَر عدد، قَدَرَ رضَاء. . . إلخ، وقد نص سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ على أن من المصادر التي تنصب على الظرف قولهم: زنة الجبال. . . إلخ. وقيل: تعرب على المفعولية المطلقة لفعل محذوف. وقيل: منصوبة بنزع الخافض، التقدير: كعدد خلقه، ومثل رضاء نفسه، ومثل زنة عرشه، ومثل مداد كلماته.

الإعراب: ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: الواو: حرف عطف. (سبحوه): فعل أمر، وفاعله، ومفعوله. ﴿بُكْرَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿وَأَصِيلًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها؛ لا محل لها مثلها.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ﴾ رقم [٥٦] الآتية؛ قال المهاجرون، والأنصار: هذا لك يا محمد يا رسول الله، وليس لنا فيه شيء، فأنزل الله هذه الآية. انتهى. وهذه النعمة من أجل النعم على هذه الأمة، ودليل على فضيلتها على سائر الأمم، وقد قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ إلخ الآية رقم [١١٠] من سورة (آل عمران). والصلاة من الله على العبد هي رحمته له، وبركته لديه، وصلاة الملائكة دعاؤهم للمؤمنين، واستغفارهم لهم، كما قال تعالى في الآية رقم [٧] من سورة (غافر).

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: ظلمات الكفر. ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: نور الإيمان. هذا؛ والظلمات جمع: ظلمة، وهي الكفر، والنفاق، والجهل، ونحو ذلك. وأيضاً جمعت لتعدد فنون الضلال، والمعاصي، ولم يجمع النور؛ لأن الإيمان واحد لا يتعدد. هذا؛ وإن في الكلام استعارة، حيث استعير لفظ الظلمات للكفر، وما يلحق به، والجامع فيهما عدم الاهتداء. واستعير لفظ النور للإيمان بجامع الاهتداء في كل منهما.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾: فهو اعتناء بصلاح أمرهم، وظهور شرفهم، وبشارة لجميع المؤمنين، وإشارة إلى أن قوله: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ غير مختص بالسامعين وقت نزول الوحي؛ بل هو عام لجميع المؤمنين. هذا؛ والملائكة أجسام نورانية، لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة حسنة، لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا ينامون، ولا يموتون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، يلهمون التسبيح، كما يلهمون النفس، ولا يوصفون بذكورة، ولا بأنوثة، فمن وصفهم بذكورة فسق، ومن وصفهم بأنوثة كفر، وهم كثيرون، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، حيث قال جل ذكره: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يقومون بأعمال مختلفة، كلٌّ فيما وكل إليه من أعمال. ورؤساؤهم عشرة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، ورقيب، وعتيد، ومنكر، ونكير، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار، عليهم ألف صلاة، وألف سلام، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١] من سورة (فاطر).

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿يُصَلِّي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة فيها معنى التعليل للكلام السابق. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (ملائكته): معطوف على فاعل ﴿يُصَلِّي﴾ المستتر، وجاز ذلك للفصل بالجار والمجرور، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُصَلِّي﴾ أيضاً. ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل: (يخرج). ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص، واسمه مستتر يعود إلى (الله) أيضاً. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿رَحِيمًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، وقال الجمل نقلاً عن أبي السعود: اعتراض مقرر لمضمون ما قبله، أي: كان بكافة المؤمنين الذين أنتم من زمرتهم رحيماً.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾: تحية المؤمنين بعضهم لبعض، أو هذه التحية من الله لهم، أو هي من الملائكة لهم، كما قال تعالى في سورة (الرعد): ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ...﴾ إلخ. ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي: يوم يلقون الله عند الموت، أو عند الخروج من القبر، أو عند دخول الجنة. وقيل: يوم يلقون مَلَك الموت، وقد ورد: أنه لا يقبض روح مؤمن، ومؤمنة إلا سلم عليه، وعليها. روي عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه، لا يقبض روحه حتى يسلم عليه. ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: يقولون: سلامة لنا ولكم من عذاب الله، أو يقول الله أو الملائكة لهم حسبما رأيت، و﴿سَلَٰمٌ﴾ اسم مصدر مثل (عذاب) في الآية رقم [٧] من سورة (لقمان). ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة، وما فيها من النعيم المقيم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٨] من سورة (يس).

هذا؛ والتحية: مصدر «حيَّاه» الله بتشديد الياء، وأصل معناه: الدعاء له بالحياة، ثم عم في كل كلام يلقيه بعض الناس على بعض بقصد الدعاء، كقولهم: أبيت اللعن، و: أنعموا صباحاً، أو مساءً، أو نحو ذلك، ثم خصته الشريعة الإسلامية بكلام معين، وهو قول القائل: السلام عليكم.

الإعراب: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، أو لمفعوله، حسبما رأيت في الشرح. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالمصدر (تحية). وقيل: متعلق بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿يَلْقَوْنَهُۥ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿سَلَٰمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر في المؤمنين، والرابط: الضمير فقط، والأول أقوى. ﴿وَأَعَدَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (أعد): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَجْرًا﴾: مفعول به. ﴿كَرِيمًا﴾: صفة: ﴿أَجْرًا﴾، والجملة الفعلية: ﴿وَأَعَدَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير: «قد» قبلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾: على من بعثت إليهم بتصديقهم، وتكذيبهم، ونجاتهم وضلالهم؛ لتترقب أحوالهم، وتشاهد أعمالهم، وتتحمل الشهادة على ما صدر عنهم،

تؤديها يوم القيامة أداءً مقبولاً فيما لهم، وفيما عليهم، والآية الكريمة رقم [٤١] من سورة (النساء): ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ توضح هذا المعنى. ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أي: للمؤمنين برحمة الله، وبالجنة. ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: مخوفاً للعصاة، والمكذبين، والفاسقين، والظالمين من النار، وعذاب الخلد فيها.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: انظر الآية رقم [١] ففيها الكفاية. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿شَٰهِدًا﴾: مفعول به ثان. وقيل: هي حال من الكاف، وهي حال مقارنة؛ إن كان المراد مراقبة أحوالهم في الدنيا، واعتبرها بعضهم مقدرة منتظرة بأن حمل الشهادة على شهادته عليهم في الآخرة؛ بأن يشهد عليهم بما حصل منهم في الدنيا من تصديق، وتكذيب، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم لهم، والحال المقدرة مثل قولك: مررت برجل معه صقر صائداً به؛ أي: مقدراً به الصيد غداً.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما نزلت هذه الآية؛ دعا رسول الله ﷺ علياً ومعاذاً ـ رضي الله عنهما ـ فبعثهما إلى اليمن، وقال: «**اذهبا فبشِّرا، ولا تُنفِّرا، ويسِّرا، ولا تُعسِّرا، فإنه قد أنزل الله عليّ**». وقرأ الآية.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى دين الله، وتوحيده، ومحاربة الكفر، وأهله. ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بأمره. قال الزمخشري: لم يُرِدْ حقيقة الإذن، وإنما جعل الإذن مستعاراً للتسهيل، والتيسير؛ لأن الدخول في حق المالك متعذر، فإذا صودف الإذن تسهل، وتيسر، فلما كان الإذن تسهيلاً لما تعذر من ذلك؛ وضع موضعه، وذلك: أن دعاء أهل الشرك، والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة، والتعذر، فقيل: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ للإيذان بأن الأمر صعب، لا يتأتى ولا يستطاع؛ إلا إذا سهله الله، ويسره، ومنه قولهم في الشحيح: إنه غير مأذون له في الإنفاق؛ أي غير مسهل له الإنفاق، لكونه شاقاً عليه داخلاً في حكم التعذر. انتهى. كشاف.

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: هذا استعارة للنور الذي يتضمنه شرع محمد ﷺ. وقيل: ﴿وَسِرَاجًا﴾ أي: هادياً من ظلم الضلالة، ووصفه بالإنارة؛ لأن من السُّرُج ما لا يضيء إذا قَلَّ زيته، ودقت فتيلته. وفي كلام بعضهم: ثلاثة تُضْني: رسول بطيء، وسراج لا يضيء، ومائدة ينتظر لها من يجيء. وسماه الله: سراجاً، ولم يسمه: شمساً مع أن الشمس أشد إضاءة من السراج وأنور؛ لأنه لا يمكن أن يؤخذ من نور الشمس شيء بخلاف نور السراج، فإنه يؤخذ منه أنوار كثيرة. وما

أحسن قول النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: أو المعنى: ﴿شَٰهِدًا﴾ بوحدانيتنا، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ برحمتنا، ﴿وَنَذِيرًا﴾ بنقمتنا، ﴿وَدَاعِيًا﴾ إلى عبادتنا، ﴿وَسِرَاجًا﴾ وحجةً ظاهرةً لحضرتنا.

الإعراب: ﴿وَدَاعِيًا﴾: معطوف على ما قبله، وفي الكل ضمير مستتر هو فاعله. ﴿إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾: كلاهما متعلقان بـ: (داعياً)، وقيل: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ متعلقان بمحذوف حال من لفظ الجلالة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَسِرَاجًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مُّنِيرًا﴾: صفة له.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلخ: الخطاب للنبي ﷺ، وهو معطوف على محذوف، التقدير: فراقب أحوال أمتك، وبشر... إلخ. ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾: ثواباً عظيماً، قال ابن عطية: قال لنا أُبَيّ رضي الله عنه: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى؛ لأن الله عز وجل قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلاً كبيراً، وقد بين الله تعالى الفضل الكبير في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ فالآية في هذه السورة خبر، والتي في (الشورى) رقم [٢٢] تفسير لها.

الإعراب: ﴿وَبَشِّرِ﴾: الواو: حرف عطف. (بشر): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، تقديره: «أنت». ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿بِأَنَّ﴾: الباء: حرف جر. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (أنَّ) تقدم على اسمها. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَجْرًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿فَضْلًا﴾: اسم: (أنَّ) مؤخر. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة له: و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَبَشِّرِ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة التي رأيت تقديرها.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: لا تطعهم فيما يشيرون عليك من المداهنة في الدين، ولا تمالئهم، والمراد بالكافرين: أبو سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وأبو الأعور السلمي، فقد قالوا: يا محمد! لا تذكر آلهتنا بسوء؛ نتبعك. والمراد بالمنافقين: عبد الله بن

أُبَيٍّ، وعبد الله بن سعد، وطعمة بن أبيرق، حَثُّوا النبي ﷺ على إجابة المشركين فيما طلبوا بحجَّة المصالحة، والموادعة، وهذا كان بعد غزوة أحد، انظر الآية رقم [٦٨] الآتية.

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ أي: أعرض عن إيذائهم مجازاة على إذايتهم إياك، فأمره الله ـ تبارك، وتعالى ـ بترك معاقبتهم، والصفح عن زللهم. فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين، وناسخه آية السيف. أو المعنى: أعرض عن أقوالهم، وما يؤذونك، ولا تشتغل به: فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل. وهذا تأويل مجاهد، والآية منسوخة بآية السيف. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: انظر الآية رقم [٣] ففيها الكفاية.

أما (دَعْ)، فهو بمعنى: أعرض، واترك، والمستعمل من هذه المادة المضارع، والأمر فقط، ومثله «ذَرْ» ومضارعه: يذر، فكلا المادتين ناقص التصرف، وهما بمعنى الترك، والإعراض، وقد سمع سماعاً نادراً الماضي منهما، فقالوا: ودَعَ ووذَرَ بوزْنِ وَضَعَ، إلا أن ذلك شاذ في الاستعمال؛ لأن العرب كلهم إلا قليلاً منهم أميت هذا الماضي من لغاتهم، وليس المعنى أنهم لم يتكلموا به ألبتة؛ بل تكلموا به دهراً، ثم أماتوه بإهمالهم استعماله، فلما جمع العلماء ما وصل إليهم من لغات العرب؛ وجدوه مماتاً إلا ما سمع منه سماعاً نادراً، فقد قرئ قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ بالتخفيف، وقال الرسول ﷺ: «**دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ**». وسمع منه المصدر في قوله عليه الصلاة والسلام: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عنْ ودْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أوْ لأحرِقَنَّ عليهِمْ بُيُوتَهُمْ**». أي: عن تركهم إياها. وسمع منه: اسم الفاعل، واسم المفعول في أبيات من الشعر، قال خفاف بن ندبة: [الطويل]

إِذَا مَا اسْتَحَمَّتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمَائِهِ جَرَى وَهُوَ مَودوعٌ ووادِعُ مُصَدق

هذا رأي أكثر النحاة، وقال محب الدين الخطيب، شارح شواهد الكشاف: فقد رويت هذه الكلمة، أي: (دَعْ) عن أفصح العرب، يقصد النبي ﷺ، ونقلت عن طريق القراء، فكيف تكون إماتة؟ وقد جاء الماضي في بعض الأشعار، وما هذه سبيله، فيجوز القول بقلة الاستعمال، ولا يجوز القول بالإماتة، وأضيف: أن كثيراً من النحاة يقولون في ماضي: «عِمْ ويَعِمُ» ما قيل في ماضي «دَعْ، وذَرْ».

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُطِعِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا)، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ معطوف على ما قبله. ﴿وَدَعْ﴾: الواو: حرف عطف. (دع): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت».

﴿أَذَىٰهُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، أو لمفعوله حسبما رأيت في الشرح. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...﴾ إلخ. انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٣] إفراداً وجملاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٤٩﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: تزوجتموهن. هذا؛ والنكاح لغةً: الضم، وشرعاً: عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ: إنكاح، أو تزويج، وهو حقيقة في العقد مجاز في الوطء على الأصح عندنا معاشر الشافعية، وهو عند السادة الحنفية في الأصل الوطء، وتسمية العقد نكاحاً لملابسته له؛ من حيث إنه طريق إليه، كتسمية الخمر إثماً؛ لأنها سببه. قال الشاعر: [الوافر]

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي ... كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ

قالوا: ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد؛ لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به، ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة، والمماسة، والقربان، والتغشي والإتيان.

﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: تجامعوهن. والخلوة الصحيحة مثل الجماع عند الحنفية لها كل أحكامه. وفي الآية دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله رتب الطلاق على النكاح، حتى لو قال لامرأة أجنبية: إذا نكحتك؛ فأنت طالق. أو قال: كل امرأة أنكحها فهي طالق. فنكح لا يقع الطلاق، وهو المعتمد. هذا؛ وتخصيص المؤمنات بالذكر دون الكتابيات، مع أن الحكم عام فيهن تنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة يتخيرها لنطفته، وأن يبتعد عن نكاح الكافرات، والفاسقات، والفاجرات، وأن يستنكف أن يُدخِل تحت لحاف واحد غير الصالحة، والعفيفة، وما ذكر في سورة (المائدة) رقم [٥] فائدته بيان ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من أهل الكتاب.

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ أي: فلا يجب لكم عليهن عدة إذا وقع الطلاق قبل الدخول بهن. وانظر العُدَد في سورة (الطلاق). هذا؛ وإسناد الفاعل إلى الذكور يدل على أن العدة حق للأزواج على النساء، سواء أكانت بالأقراء، أو بالأشهر. هذا؛ ويقرأ الفعل: ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ بتخفيف الدال، وفسر على أنه من الاعتداء، وهو بتشديد الدال بمعنى: تستوفونها وتحسبونها.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: أعطوهن المتعة، وهذه المتعة واجبة على المطلق؛ إذا لم يكن قد سمى لها مهراً، وهي سنة إذا سمى لها مهراً، ولها نصف المهر، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٨] بشأن القدر المالي الذي يعطى للمطلقة. ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي: أخرجوهن من بيوتكم من

غير إضرار بهن، ولا منع حق لهن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ﴾ وانظر الآية رقم [٢٨] علماً بأن طلاق غير المدخول بها، لا يوصف بسني، ولا ببدعي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ: (يا)، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدلاً من لفظ (أيها) وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١]، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿نَكَحْتُمُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية ابتدائية هنا لا محل لها، لاقتران جواب ﴿إِذَا﴾ بالفاء، ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وهو ما ذكره ابن هشام في المغني. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جمع الإناث، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مِن قَبْلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب، واستقبال. ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والنون علامة جمع الإناث، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿قَبْلِ﴾ إليه.

﴿فَمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (ما): نافية. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من ﴿عِدَّةٍ﴾، ولا يجيز سيبويه مجيء الحال من المبتدأ، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿عِدَّةٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية جواب: ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، وجملة: ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ صفة ﴿عِدَّةٍ﴾، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف مثل الجملة الندائية، لا محل له. ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفاء الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (متعوهن): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء، وما بعدها معطوفة عليها. ﴿سَرَاحًا﴾: مفعول مطلق. ﴿جَمِيلًا﴾: صفة له.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)﴾

الشرح: روى السدي عن أبي صالح، عن أم هانئ بنت أبي طالب ـ رضي الله عنها ـ قالت: خطبني رسول الله ﷺ، فاعتذرت إليه، فعذرني، ثم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ...﴾ إلخ ثم قالت: فلم أكن أحل له؛ لأني لم أهاجر، كنت من الطلقاء. خرجه أبو عيسى الترمذي. وقال القرطبي: لما خير رسول الله ﷺ نساءه فاخترنه، حَرُم عليه التزوج بغيرهن، والاستبدال بهن، مكافأةً لهن على فعلهن، وأنزل الآية بعد التالية، ثم نسخ هذا التحريم، فأباح له أن يتزوج بمن شاء من النساء عليهن، وأنزل هذه الآية، وهي وإن كانت متقدمة في التلاوة، فهي متأخرة النزول. ويدل على صحته ما خرجه الترمذي عن عطاء قال: قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما مات رسول الله ﷺ، حتى أحل الله تعالى له النساء. قال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن؛ لأن المهر مقابل للانتفاع بالبضع بشرط إجراء العقد بين الزوجين بشروطه، وتوفر أركانه. ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أي: من السراري. ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: رده الله عليك من الكفار من النساء بالمأخوذ على وجه القهر، والغلبة، مثل صفية، وريحانة؛ اللتين كانتا من اليهود.

﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: فهذا شرط لحل قريباته له ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾. ولا تنس أن الله جلت قدرته قد ذكر العم فرداً والعمات جمعاً. وكذلك الخال، والخالات؛ لأن العم، والخال في الإطلاق اسم جنس كالشاعر، والراجز، وليس كذلك العمة، والخالة، فجاء الكلام بغاية البيان لرفع الإشكال، وهذا معنى دقيق، فتأملوه، قاله ابن العربي. انتهى. قرطبي بتصرف كبير مني.

وقال الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد سئل كثير عن حكمة إفراد العم، والخال دون العمة، والخالة، حتى إن السبكي صنف جزءاً فيه، سماه: بذل الهمة في إفراد العم، وجمع العمة. وقد رأيت لهم فيه كلمات كلها ضعيفة، كقول الرازي: إن العم والخال على زنة المصدر، والمصدر يستوي فيه المفرد، والجمع، بخلاف العمة، والخالة. وقيل: إنهما يعمان إذا أضيفا، والعمة والخالة لا يعمان لتاء الوحدة انتهى. نقلاً من الشهاب.

﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾: ولقد اختلف في اسم الواهبة نفسها، فقيل: هي أم شريك الأنصارية، اسمها غُزَيَّة. وقيل: غُزَيْلة. وقيل: ليلى بنت حكيم. وقيل: هي ميمونة بنت الحارث الهلالية حين خطبها رسول الله ﷺ، فجاءها الخاطب، وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ. وقيل: هي أم شريك العامرية. وقيل: هي زينب بنت خزيمة أم المساكين. وقيل: هي خولة بنت حكيم. والله تعالى أعلم. هذا؛ وتقييد الواهبة نفسها بمؤمنة دليل واضح على أن الكافرة لا تحل له، وبهذا يتميز النبي ﷺ علينا، حيث لا يحل له نكاح الكافرة، ويحل لنا؛ لأن ما كان من جانب الفضائل، والكرامة فحظه فيه أوفر، وما كان من جانب النقائص فجانبه عنها أطهر. انتهى. قرطبي عن إمام الحرمين بتصرف مني.

﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾: يطلب نكاحها، ويرغب فيه. وقيل: نكح، واستنكح بمعنى واحد، مثل: أجاب، واستجاب، وعجل، واستعجل. قال النابغة: [الطويل]

وهمْ قتلُوا الطائيَّ بالحِجْرِ عنوةً أَبَا جابرٍ واستَنْكَحُوا أُمَّ جابِرِ

وأعاد لفظ (النبي)، فأظهر في مقام الإضمار تفخيماً له، وتقريراً لاستحقاقه الكرامة لرسالته. ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾: بمعنى خلوصاً فهو مصدر مثل: العافية، والعاقبة، والكاذبة، واستعمال الفاعل، والفاعلة في المصادر كثير، ولا تنس الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إيذان بأن الهبة في النكاح من خصوصيات النبي ﷺ، ولا يصح بلفظ الهبة لغيره من أمته، وعليه مذهب الشافعي.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾: حين إجراء العقد بين الزوجين من شروط، ووجوب المهر بالوطء؛ حيث لم يسم، والقسم بين الزوجات، ووجوب المعاشرة بالمعروف... إلخ. ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: من الإيماء، والسراري؛ حيث وسع الله الأمر فيهن. ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أي: ضيق في دينك؛ حيث اختصصناك بالتنزيه، واختيار ما هو أولى وأفضل، وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات، وزدنا لك الواهبة نفسها. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: لما يعسر التحرز عنه. ﴿رَّحِيمًا﴾: بالتوسعة في مظان الحرج، وتفسير الحرج بالضيق هنا، وقد فسرته بالمؤاخذة، والإثم في الآية رقم [٣٨] والأول ذكرته في تفسير قوله تعالى في الآية رقم [٧٨] من سورة (الحج): ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

تنبيه: خص الله تعالى رسوله ﷺ في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض، والتحريم، والتحليل مزية على الأمة، وهبت له، ومرتبة خص بها، ففرضت عليه أشياء لم تفرض على غيره، وحرمت عليه أفعال لم تحرم على غيره، وحللت له أشياء لم تحلل لأحد من أمته، منها ما هو متفق عليه، ومنها ما هو مختلف فيه.

فأما ما فُرض عليه فتسعة: الأول: التهجد في الليل، والمنصوص: أنه كان واجباً عليه، ثم نسخ كما رأيت في الآية رقم [٧٩] من سورة (الإسراء). الثاني: صلاة الضحىٰ. الثالث: صلاة الأضحى. الرابع: الوتر. الخامس: السواك. السادس: قضاء دين من مات معسراً من المسلمين. السابع: مشاورة ذوي الأحلام في غير الشرائع. الثامن: تخيير النساء. التاسع: إذا عمل عملاً؛ أثبته، وكان يجب عليه إذا رأى منكراً؛ أنكره وأظهره؛ لأن إقراره لغيره على ذلك يدل على جوازه.

وأما ما حرم الله عليه ﷺ فجملته عشرة: الأول: تحريم الزكاة عليه، وعلى آله. الثاني: صدقة التطوع عليه، وفي آله تفصيل باختلاف. الثالث: خائنة الأعين، وهو أن يظهر خلاف ما يضمر. الرابع: حرم الله عليه إذا لبس لأمته أن يخلعها عنه، أو يحكم الله بينه وبين محاربه، الخامس: الأكل متكئاً. السادس: أكل الأطعمة الكريهة الرائحة، مثل: البصل، وغيره. السابع: التبدل بأزواجه، كما ستعرفه في الآية التالية. الثامن: نكاح امرأة تكره صحبته. التاسع: نكاح الحرة الكتابية. العاشر: نكاح الأمة، ولو مسلمة.

وأما ما أحل له ﷺ فجملته ستة عشر: الأول: صفي المغنم. الثاني: الاستبداد بخمس الخمس، أو الخمس. الثالث: الوصال في الصوم. الرابع: الزيادة على أربع نسوة. الخامس: النكاح بلفظ الهبة. السادس: النكاح بغير ولي. السابع: النكاح بغير صداق. الثامن: نكاحه في حالة الإحرام. التاسع: سقوط القسم عنه بين الزوجات. وسيأتي في الآية التالية. العاشر: إذا وقع بصره على امرأة وجب على زوجها طلاقها، وحل له نكاحها «وهذا ضعيف غير مسلم». الحادي عشر: أنه أعتق صفية، وجعل عتقها صداقها. الثاني عشر: دخوله مكة بغير إحرام. الثالث عشر: القتال بمكة. الرابع عشر: أنه لا يورث. وإنما ذكر هذا في قسم التحليل؛ لأن الرجل إذا قارب الموت بالمرض، زال عنه أكثر ملكه، ولم يبق له إلا الثلث خالصاً، وبقي ملك النبي ﷺ على ما تقرر بيانه في سورة (مريم). الخامس عشر: بقاء زوجيته من بعد موته. السادس عشر: إذا طلق امرأة تبقى حرمته عليها، فلا تُنكح، وأبيح له عليه الصلاة، والسلام أخذ الطعام، والشراب من الجائع، والعطشان، وإن كان من هو معه يخاف الهلاك على نفسه، لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وعلى كل أحد من المسلمين أن يقي النبي ﷺ بنفسه.

وأبيح له أن يحمي لنفسه، وأكرمه الله بتحليل الغنائم، وجعلت الأرض له مسجداً، وطهوراً، وكان من الأنبياء من لا تصح صلاتهم إلا في المسجد، ونصر بالرعب، فكان العدو يخافه من مسيرة شهر، وبعث إلى الخلق كافة، وجعلت معجزاته كمعجزات الأنبياء قبله، وزيادة. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَحْلَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ). ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَزْوَٰجَكَ﴾: مفعول به، والكاف

ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿ٱلَّٰتِيٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة أزواجك. ﴿ءَاتَيۡتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث، وجملة: ﴿ءَاتَيۡتَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ﴿أَزۡوَٰجَكَ﴾. ﴿مَلَكَتۡ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث لا محل لها. ﴿يَمِينُكَ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: والتي ملكتها يمينك. ﴿مِمَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و(من): بيان لما أبهم في (ما)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: من الذي أفاءه الله عليك.

﴿وَبَنَاتِ﴾: الواو: حرف عطف. (بنات): معطوف على أزواجك منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم، و(بنات) مضاف، و﴿عَمِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ كل هذا معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله. ﴿ٱلَّٰتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿خَٰلَٰتِكَ﴾. ﴿هَاجَرۡنَ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والنون فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مَعَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱمۡرَأَةً﴾: معطوف على ﴿أَزۡوَٰجَكَ﴾ أيضاً. ﴿مُّؤۡمِنَةً﴾: صفة: (امرأة). هذا؛ وقيل: إن (امرأة) مفعول به لفعل محذوف، التقدير: ونحل لك امرأة لأن الكلام بمعنى المستقبل بخلاف الأول.

﴿إِن وَهَبَتۡ...﴾ إلخ: توالى شرطان، ولم يذكر جواب لأحدهما، ومثلها الآية رقم [٣٤] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وهي ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ...﴾ إلخ وخذ ما قاله أبو البقاء ـ رحمه الله تعالى ـ: حكم الشرط إذا دخل على الشرط أن يكون الشرط الثاني والجواب جواباً للشرط الأول، كقولك: إنْ أتيْتَنِي، إنْ كَلَّمْتَنِي أَكَرَمْتُكَ. فقولك: إنْ كلمتني أكرمتك جواب إنْ أتيتني، وإذا كان كذلك صار الشرط الأول في الذكر مؤخراً في المعنى، حتى لَوْ أتاه، ثم كلمه لم يجب الإكرام، ولكن إن كلمه ثم أتاه؛ وجب إكرامه، وعلة ذلك: أن الجواب صار معوقاً للشرط الثاني، وقد جاء في القرآن منه قوله تعالى: ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا...﴾ إلخ.

وأضيف ما قاله سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: وإن زاد على شرطين «أي: حكمه حكم الشرطين» وعلى هذا يترتب الحكم، مثاله: أن يقول لعبده: إنْ كلمتَ زيداً، إنْ دخلْتَ الدارَ، إنْ أَكَلْتَ الخبزَ، فأنتَ حرٌّ، فجواب الثالث: «أنْتَ حُرٌّ» والثالث، وجوابه جواب للثاني،

والثاني، وجوابه جواب للأول. فإنْ كلمَ، ثم دخلَ، ثُمَّ أكلَ؛ لمْ يعتقْ، لكن إن أكل، ثم دخل، ثم كلم؛ عتق لما ذكر. انتهى.

أما ابن هشام فقد قال في المغني: ذكروا: أنه إذا اعترض شرط على آخر، نحو «إنْ أكلْتِ، إن شربْتِ فأنتِ طالِقٌ» فإن الجواب المذكور للسابق منهما، وجواب الثاني مدلول عليه بالشرط الأول، وجوابه، كما قالوا في الجواب المتأخر عن الشرط، والقسم، ولهذا قال محققو الفقهاء في المثال المذكور: إنها لا تطلق حتى تقدم المؤخر وتؤخر المقدم، وذلك لأن التقدير حينئذ: إن شربت، فإن أكلت فأنت طالق. وقد أشار إلى ذلك ابن الوردي ـ رحمه الله تعالى ـ في البهجة بقوله: [الرجز]

وَطَالِقٌ إنْ كَلَّمَتِ إنْ دَخَلْتِ ... إنْ أَوَّلاً بَعْدَ أَخِيرٍ فَعَلْتِ

وهذا كله حسن، لكنهم جعلوا منه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ...﴾ إلخ وفيه نظر؛ إذ لم يتوالَ شرطان وبعدهما جواب كما في المثال، وكما في قول الشاعر: وهو الشاهد رقم [١٠٤١] من كتابنا فتح القريب المجيب: [البسيط]

إنْ تَسْتَغِيثُوا بِنَا إنْ تُذْعَرُوا؛ تَجِدُوا ... مِنَّا مَعَاقِلَ عِزٍّ زَانَهَا كَرَمُ

وقول ابن دريد في مقصورته: وهو الشاهد رقم [١٠٤٢] من كتابنا المذكور: [الرجز]

فَإنْ عَثَرْتُ بَعْدَهَا إنْ وَأَلَتْ ... نَفْسِي مِنَ هَاتَا فَقُولَا لَا لَعَا

إذ الآية الكريمة لم يذكر فيها جواب، وإنما تقدم على الشرطين ما هو جواب في المعنى للشرط الأول، فينبغي أن يقدر إلى جانبه، ويكون الأصل: إن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم، وأما أن يقدر الجواب بعدهما، ثم يقدر بعد ذلك مقدماً إلى جانب الشرط الأول؛ فلا وجه له. والله أعلم. انتهى. أقول: ما قاله أبو البقاء وما قاله ابن هشام مؤداه واحد، وإن اختلف التعبير بينهما. وأخيراً أذكر أنه قرئ بفتح همزة: (أنْ وهبت) وخذ الإعراب على القراءتين.

(أن): حرف مصدري، ونصب. ﴿وَهَبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفعل يعود إلى امرأة مؤمنة. ﴿نَفْسَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿لِلنَّبِيِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(أن) والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل نصب بدلاً من (امرأة مؤمنة). وقيل: في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أحللنا لك امرأة مؤمنة لهبتها نفسها لك، وأما على كسر همزة: ﴿إِنْ﴾ فهي حرف شرط جازم. ﴿وَهَبَتْ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف، التقدير: إن وهبت... فهي حل له، والجملة الشرطية في محل نصب صفة ثانية لـ: (امرأة) وإعراب ما بعدها مثلها، التقدير: إن أراد النبي أن يستنكحها؛ فهي خالصة له، والجملة الشرطية هذه في محل نصب حال؛ لأن الحال قيد، كما أن الشرط

الثاني قيد للأول؛ أي: فكأنه قال: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها؛ وأنت تريد أن تستنكحها؛ لأن إرادته هي قبول الهبة، وما به تتم.

﴿خَالِصَةً﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف، التقدير: خلصت لك خالصة، ومجيء المصدر على هذه الزنة وارد، كالعاقبة، والكاذبة. وفاعله محذوف، التقدير: خالصاً لك نكاحها؛ وفي السمين: وفيه أوجه: أحدها: أنه منصوب على الحال من فاعل: ﴿وَهَبَتْ﴾ المستتر؛ أي: حال كونها خالصة لك دون غيرك. الثاني: أنها حال من امرأة؛ لأنها وصفت، فخصصت، وهو بمعنى الأول، وإليه ذهب الزجاج. الثالث: أنها نعت مصدر مقدر، أي: هبة خالصة، فنصبها بـ: ﴿وَهَبَتْ﴾. الرابع: أنها مصدر مؤكد كوعد الله. انتهى. جمل. ﴿لَّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَالِصَةً﴾. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بها أيضاً. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه... إلخ.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَلِمْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، واكتفى الفعل بمفعول واحد؛ لأنه من المعرفة. ﴿فَرَضْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: قد علمنا الذي، أو: شيئاً فرضناه. ﴿عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ متعلقان بمحذوف حال، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ﴿أَزْوَٰجِهِمْ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: وفي الذي ملكته أيمانهم. وجملة: ﴿قَدْ عَلِمْنَا...﴾ إلخ معترضة بين ﴿خَالِصَةً﴾ وما يتعلق بها، وهي مقررة لمضمون ما قبلها من خلوص الإحلال له، ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه، تكرمة له، وتوسعاً عليه ﷺ. ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [٣٧]، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿خَالِصَةً﴾. وقيل: متعلقان بـ: ﴿أَحْلَلْنَا﴾. وقيل: متعلقان بـ: ﴿فَرَضْنَا﴾ والمعتمد الأول، وجملة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾: تؤخر. يقرأ بالهمزة وبدونه. ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾: تضم. فالمعنى: أنت يا محمد مخير بشأن نسائك، تترك مضاجعة من تشاء منهن، وتضاجع من

تشاء، أو تطلق من تشاء، وتمسك من تشاء منهن، أو لا تقسم لأيتهن شئت، وتقسم لمن شئت، أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك، وتتزوج من شئت. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: كان النبي ﷺ إذا خطب امرأة؛ لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها، وهذا قسمة جامعة لما هو الغرض؛ لأنه إما أن يطلق، وإما أن يمسك، فإذا أمسك ضاجع، أو ترك، وقسم، أو لم يقسم، وإذا طلق، وعزل، فإما أن يخلي المعزولة، لا يبتغيها، أو يبتغيها.

روي: أنه أرجى منهن سودة، وجويرية، وصفية، وميمونة، وأم حبيبة، فكان يقسم لهن ما شاء، كما شاء، وكانت ممن آوى إليه عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب رضي الله عنهن. أرجى خمساً وآوى أربعاً، وكان ﷺ مع أن الله قد أطلق له الحرية في معاملة أزواجه، كان يشدد على نفسه في رعاية التسوية بينهن تطييباً لقلوبهن. وكان يقول: اللهم هذه قدرتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك، ولا أملك، يعني: قلبه؛ لأنه كان يميل إلى عائشة أكثر من غيرها. وروي: أن سودة ـ رضي الله عنها ـ حين أحست بميله إلى عائشة، وضعف رغبته فيها؛ فإنها وهبت ليلتها لعائشة، وقالت له: أمسكني، ولا تطلقني؛ حتى أحشر في زمرة نسائك.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ أي: طلبتها للمبيت معك. ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ أي: هجرتها، وابتعدت عنها مدة. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي: لا إثم، ولا مؤاخذة عليك في طلبها، ورجوعك عليها. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ﴾ أي: ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى رضاهن، وأطيب لأنفسهن، وأقل لحزنهن إذا علمن: أن ذلك من الله تعالى. ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي: بما أعطيتهن من تقريب، وإرجاء، وعزل، وإيواء؛ لأنه حكم كلهن فيه سواء، ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً، وتكرماً منك، وإن رجحت بعضهن على بعض علمن: أنه بحكم الله، لا اعتراض لواحدة منهن عليك، فتطمئن نفوسهن، ويهدأ بالهن.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: من الميل لبعضهن. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بما في ضمائركم. ﴿حَلِيمًا﴾: لا يعاجل بالعقوبة. هذا؛ وانظر شرح: (شاء) في الآية رقم [٤٨] من سورة (الروم)، وشرح: (العين) في الآية رقم [١٧] من سورة (السجدة)، وشرح: ﴿قُرَّةِ﴾ في الآية رقم [١٧] منها. هذا؛ والفعل: ﴿يَحْزَنَّ﴾ في هذه الآية من باب: فرح، وطرب فهو لازم، ويأتي من باب: دخل، وقتل، فيكون متعدياً. كما يكون متعدياً إذا أتى من الرباعي.

الإعراب: ﴿تُرْجِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، أو ظاهرة على الهمزة، والفاعل ضمير مستتر، تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة ﴿تَشَآءُ﴾: صلته، والعائد محذوف، التقدير: التي تشاؤها. ﴿مِنْهُنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، و(من) بيان لما أبهم في (من) والنون علامة جمع الإناث، وإعراب الجملة التالية مثلها، والعائد والمتعلق

محذوفان، التقدير: وتؤوي إليك التي تشاؤها منهن. والجملة معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

﴿وَمَنِ﴾: الواو: حرف استئناف. (مَن): اسم شرط مبني على السكون في محل نصب مفعول به للفعل بعده، أو هو في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱبْتَغَيْتَ﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف على اعتبار (مَنْ) مبتدأ. ﴿مِمَّنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، أو من (مَنْ)، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿عَزَلْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: من التي عزلتها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿جُنَاحَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (لا)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [٣٠]. هذا؛ وإن اعتبرت: (من) موصولة؛ فهي مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، والجملة الاسمية: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في محل رفع خبره؛ وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَن تَقَرَّ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ ويقرأ بالبناء للمعلوم، وللمجهول. ﴿أَعْيُنُهُنَّ﴾: فاعل، أو نائب فاعل، ويقرأ: (تُقِرَّ) ونصب (أعينهن) على أنه مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث، و﴿أَن تَقَرَّ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: إلى إقرار أعينهن، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿أَدْنَىٰٓ﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَحْزَنَّ﴾: فعل مضارع مبني على السكون، ونون النسوة فاعله، والفعل معطوف على ما قبله، فهو منصوب محلاً، و(يرضين): مثله محلاً، وإعراباً، لذا فالتقدير: ذلك أقرب إلى إقرار أعينهن، وأقرب إلى قلة حزنهن، وأقرب إلى رضاهن جميعاً. ﴿بِمَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿ءَاتَيْتَهُنَّ﴾: فعل، وفاعل ومفعوله الأول، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الفعلية صلة: (ما)، والعائد محذوف، وهو المفعول الثاني، التقدير: ويرضين بالذي آتيتهن إياه. ﴿كُلُّهُنَّ﴾: توكيد لنون النسوة بقوله: (يرضين)، وقرئ شاذاً بنصبه على أنه توكيد لـ: (هُنَّ) والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون

في محل نصب مفعول به. ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾: يقرأ الفعل بالياء، والتاء؛ لأنه جمع تكسير، يجوز تذكيره، وتأنيثه، وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ كان مع الفصل أجوز. ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من بعد التسع اللاتي اخترنك المذكورات في الآية رقم [٢٩]. ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ أي: بأن تطلق إحداهن، وتتزوج بدلها، أو تطلقهن جميعاً، وتتزوج غيرهن، وهذا تكريم لهن، ومكافأة على اختيارهن الله، ورسوله، كما رأيت في الآية رقم [٢٩] أيضاً. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ أي: حسن المبتدلات الجُدُد. أي: فليس لك أن تطلق أحداً من نسائك، وتنكح بدلها أخرى، ولو أعجبك جمالها. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لما استشهد بمؤتة، أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها، فنهي عن ذلك. وقيل: هذا الحجر عليه ﷺ حتى لو ماتت واحدة منهن؛ لا يحل له نكاح أخرى. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: فهي استثناء ممن حرم عليه من النساء بعد اللاتي اخترن الله، ورسوله، والدار الآخرة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ملك مارية القبطية ـ رضي الله عنها ـ بعد نزول هذه الآية، وكانت قد أهداها له المقوقس ملك مصر، وذلك حين بعث إليه الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة ـ رضي الله عنه ـ بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، صورته: «**بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط**». و﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [٦٤] من سورة (آل عمران)، فلما وصل إليه الكتاب قرأه، ثم جعله في حُق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم كتب جوابه في كتاب صورتُهُ: «إلى محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما فيه، وما تدعو إليه، وعلمت: أن نبياً قد بقي، وما كنت أظن أنه يخرج إلا بالشام، وقد أكرمت رسولك (أي: فإنه قد دفع لحاطب مئة دينار، وخمسة أثواب) وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم (أي: وهما مارية، وسيرين ـ رضي الله عنهما ـ) وبغلة للركوب، وثياب، كذا

وكذا». ولم يسلم، وأهدى إليه جارية ثالثة، وخِصِيّاً، يقال له: مابور، والبغلة هي الدلدل، وكانت شهباء، وفرساً هو: اللزاز، فأسرج، وألجم، وهو فرسه الميمون، وأهدى إليه عسلاً من عسل بنها. انتهى. من الجمل نقلاً عن السيرة الحلبية بتصرف مني كبير.

والمشهور: أنه بعث إليه طبيباً أيضاً، ولما وصل إليه الطبيب، قال النبي ﷺ: «**لا حاجة لنا به، نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع**». وقد ولدت مارية ـ رضي الله عنها ـ إبراهيم عليه السلام، وقد توفي قبل تمام حولين له، وأما سيرين فقد زوجها لأحد أصحابه، فولدت له محمد بن سيرين، وهو من كبار التابعين، وأخيراً: فقد كان كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس في السنة السادسة للهجرة، وهي السنة التي راسل فيها الملوك؛ الذين كانوا في حياته ﷺ. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ أي: حافظاً مهيمناً، فتحفظوا جهدكم، ولا تتخطوا ما حد لكم. وهو تهديد، وتحذير عن مجاوزة حدود الله، وتخطي حلاله إلى حرامه. وبقي أن تعرف هل نسخ هذا الحجر على رسول الله ﷺ، أو بقي إلى آخر حياته؟ فقيل: بقي، والأصح: أنه نسخ، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء، وروى الطحاوي عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء من شاء، إلا ذات محرم، وذلك قوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ...﴾ إلخ الآية السابقة.

قال النحاس: وهذا؛ ـ والله أعلم ـ أولى ما قيل في الآية، وهو وقول عائشة واحد في النسخ، وقد عارض بعض فقهاء الكوفة، فقال: محال أن تنسخ الآية السابقة هذه الآية، وهي قبلها في المصحف الذي أجمع عليه المسلمون. ورجح قول من قال: نسخت بالسُّنَّة. قال النحاس: وهذه المعارضة لا تلزم، وقائلها غالط؛ لأن القرآن بمنزلة سورة واحدة، ويبين لك أن اعتراض هذا المعترض لا يلزم؛ لأن الآية رقم [٢٤٠] من سورة (البقرة) قد نسخت بالآية رقم [٢٣٤] وهي بعدها، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم.

الإعراب: ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَحِلُّ﴾: فعل مضارع. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾ وهو أولى، وبني ﴿بَعْدُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا نية. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿أَن تَبَدَّلَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، والمصدر المؤول في محل رفع معطوف على ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾ التقدير: ولا يحل لك التبدل. ﴿بِهِنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَزْوَٰجٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. وقيل: شرطية، ولا وجه له؛ لأنها لا جواب لها، وأيضاً لا تجتمع الشرطية، والحالية. ﴿أَعْجَبَكَ﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به. ﴿حُسْنُهُنَّ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل ﴿تَبَدَّلَ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع بدل من: ﴿النِّسَاءُ﴾، أو في محل نصب على الاستثناء، والأول هو المختار، وأجيز اعتباره مستثنى من (الأزواج)، أو في محل جر بدلاً من لفظه، أو في محل نصب بدلاً من: (هُنَّ) على المحل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: إلا الذي ملكته يمينك. هذا؛ وأجاز مكي اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية، تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب على الاستثناء، أو في محل رفع بدلاً من النساء على حسب ما رأيت فيما تقدم. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾: اسمها. ﴿عَلَى كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿رَّقِيبًا﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿رَّقِيبًا﴾: خبر: (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)﴾

الشرح: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي: إلا وقت أن يؤذن لكم، أو: إلا مأذوناً لكم. ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾: غير منتظرين نضجه وإدراكه. ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ﴾: إلى الطعام، وأذن لكم في الدخول؛ فادخلوا غير مؤاخذ عليكم. ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾: فاخرجوا، وتفرقوا، ولا تمكثوا. والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ، فيدخلون، ويقعدون منتظرين لإدراكه وهذا قبل أن تنزل آية الحجاب كما ستعرفه.

﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي: لحديث بعضكم بعضاً، أو لحديث أهل البيت بالتسمع له، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون، فنهوا عن ذلك. ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ أي: القعود في البيت للتحدث بعد الطعام. ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾: لتضييق المنزل عليه، وعلى أهله، واشتغاله فيما لا يعنيه. ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أي: أن يخرجكم. ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يستحيي من

إخراجكم الذي هو الحق، ولا ينبغي أن يستحيا منه. ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال؛ قيل: ﴿لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ﴾، أي لا يمنع منه، ولا يتركه ترك الحيي منكم. هذا أدب أدب الله به الثقلاء، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم، وقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾: وإذا سألتم نساء النبي ﷺ شيئاً مما ينتفع به. ﴿فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي: من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء النبي ﷺ منتقبة كانت، أو غير منتقبة.

هذا؛ وفيما تقدم المطابقة بين قوله: ادخلوا، وانتشروا، وبين الإيجاب والسلب في قوله تعالى: ﴿فَيَسْتَحْيِ مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ﴾ وهذا من المحسنات البديعية.

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: من خواطر الشيطان، وعوارض الفتن، وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يحب ضرب الحجاب عليهن، ويود أن ينزل فيه، وقال: يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت. وذكر أن بعضهم قال: أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ...﴾ إلخ. ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ أي: ذنباً عظيماً، وهذا من إعلام تعظيم الله لرسوله ﷺ، وإيجاب حرمته حياً، وميتاً، وإعلامه بذلك مما طيب نفسه، وسر قلبه، واستفرغ شكره، فإن من الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح غيره بعده، وانظر شرح: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ في الآية رقم [٣٦].

وإنما حرمن على غيره ﷺ؛ لأنه حي في قبره، ورعاية لشرفه، ولأنهن أزواجه في الجنة، ولأنهن أمهات المؤمنين، ولأن المرأة في الجنة مع آخر أزواجها، ويرد على قوله: لأنه حي في قبره بقية الأنبياء، فإن أزواجهم يجوز لغيرهم من الأنبياء التزوج بهن مع أنهم أحياء في قبورهم، وكذا الشهداء يجوز لغيرهم التزوج بنسائهم مع أنهم أحياء، فالأولى الاقتصار على التعاليل اللاتي بعده، ونساء باقي الأنبياء يحرمن على غير الأنبياء.

تنبيه: قال أكثر المفسرين: نزلت الآية الكريمة في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله ﷺ. روى الشيخان عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش حين أصبح النبي ﷺ بها عروساً، فدعا القوم، فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا، وبقي رهط عند النبي ﷺ، فأطالوا المكث فقام رسول الله ﷺ فخرج، وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ ثم ظن: أنهم قد خرجوا، فرجع، ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب؛ فإذا هم جلوس، لم يقوموا، فرجع، ورجعت معه؛

حتى إذا بلغ حجرة عائشة، وظن أنهم قد خرجوا، رجع، ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا، فدخل النبي ﷺ، وأرخى بيني، وبينه الستر، وأنزل الله آية الحجاب.

وروى الشيخان عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول، والغائط، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي عشاءً، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة! حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله تعالى آية الحجاب، وهذه الآية من جملة الآيات الأربع عشرة التي نزلت موافقة لرأي عمر رضي الله عنه، وقد بينتها في محالها.

هذا؛ والقائل: أننهى أن نكلم بنات عمنا... إلخ هو طلحة بن عبيد الله التيمي قريب أبي بكر، رضي الله عنه وليس هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فحاشاه من هذا القول، وإنما القائل غيره، وقد وافق الاسم الاسم، والنسبة النسبة، واسم الأب اسم الأب موافقة. قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وندم هذا الرجل على ما حدَّث به نفسه، فمشى إلى مكة على رجليه. وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله، وأعتق رقيقاً، فكفر الله عنه. انتهى. قرطبي.

هذا؛ والحياء بالنسبة للإنسان: هو انقباض النفس من الشيء، وتركه خوفاً من اللوم، وهو ملكة تمنع الإنسان من ارتكاب الرذائل، والحياء خير ما يتحلى به إنسان، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْحَيَاءُ والإيمانُ قُرِنا جميعاً، فإذا رُفِعَ أَحَدُهُمَا، رُفِعَ الآخَرُ**». وإذا ذهب الحياء من الإنسان؛ فقد ذهب منه كل خير، كما قال القائل: [الوافر]

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي	وَلَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَأَبِيكَ ما فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ	وَلَا الدُّنْيَا إذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

هذا؛ والحياء في حق الله تعالى المراد منه: الترك اللازم للانقباض، كما ورد في قول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كريمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رفع الرجل يدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً خَائِبَتَيْنِ**». رواه أبو داود، والترمذي عن سلمان الفارسي، رضي الله عنه. فالمراد منه: أنه سبحانه يعطي، ولا يمنع.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾ انظر الآية رقم [٤٩]. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا﴾: ناهية، جازمة. ﴿تَدْخُلُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بُيُوتَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب عندهم انتصاب المفعول

به على السعة، بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في: «دخلت المدينةَ، ونزلت البلدَ، وسكنت الشامَ». و﴿بُيُوتَ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّبِيِّ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب، واستقبال. ﴿يُؤْذَنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل. ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأن والفعل المضارع في تأويل مصدر، وفيه أوجه:

أحدها: أنه في محل نصب حال تقديره: إلا مأذوناً لكم. الثاني: أنه على إسقاط باء السببية تقديره: إلا بسبب الإذن لكم، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، التقدير: إلا مصحوبين بإذن، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾ أي: بسببه، الثالث: أنه منصوب على الظرفية؛ أي: إلا وقت الإذن لكم، وهذا يعني: أنه مستثنى من عموم الأحوال، أي: لا تدخلوا بيوت النبي في وقت من الأوقات إلا وقت الإذن لكم. ﴿غَيْرَ﴾: حال من الكاف، أو من الواو، و﴿غَيْرَ﴾ مضاف، و﴿نَٰظِرِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنَىٰهُ﴾: مفعول به لـ: ﴿نَٰظِرِينَ﴾؛ لأنه اسم فاعل منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وقرئ بجر (غير) صفة لطعام، فيكون جارياً على غير من هو له بلا إبراز الضمير، وهو غير جائز عند البصريين؛ إذ من حق ضمير ﴿غَيْرَ﴾ ما هو له عندهم أن يبرز إلى اللفظ، فيقال: إلى طعام غير ناظرين إناه أنتم، كقولك: هندٌ زيدٌ ضاربتُهُ هِيَ، وجملة: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟...﴾ إلخ لا محل لها مثل الجملة الندائية قبلها.

﴿وَلَٰكِنْ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل، لا عمل له. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٤٩]. ﴿دُعِيتُمْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون. والتاء نائب فاعله، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿فَٱدْخُلُوا۟﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (ادخلوا): فعل أمر مبني على حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، وجملة: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ ﴿فَإِذَا﴾ ومدخولها معطوف على ما قبله، لا محل له مثله، وإعرابه مثله أيضاً. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾: معطوف على ﴿نَٰظِرِينَ﴾ فهو مجرور مثله، وأجيز اعتباره معطوفاً على ﴿غَيْرَ﴾ فيكون منصوباً، كما أجيز اعتباره حالاً مقدرة من محذوف، التقدير: لا تدخلوا، أو: لا تمكثوا مستأنسين، وفاعله مستتر فيه. ﴿لِحَدِيثٍ﴾: جار ومجرور متعلقان به.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض

ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى اسم الإشارة. ﴿يُؤْذِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل، والفاعل يعود إلى اسم الإشارة. ﴿ٱلنَّبِىَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ زائدة؛ فجملة: ﴿يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ تكون خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ...﴾ إلخ تعليل لما قبلها، لا محل لها. ﴿فَيَسْتَحْىِۦ﴾: الفاء: حرف عطف. ﴿يَسْتَحْىِۦ﴾: فعل مضارع مرفوع...إلخ، وهو يقرأ بياء واحدة، وبياءين، ومثله ما بعده، والفاعل يعود إلى النبي، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والرابط في الأولى رابط في الثانية. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما وهو على تقدير مضاف؛ إذ الأصل: فيستحيي من إخراجكم. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: واو الحال. (الله): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَحْىِۦ﴾: مضارع مرفوع...إلخ، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل يستحيي الأول، والرابط الضمير فقط.

﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٤٩]. ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به أول، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿مَتَٰعًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (اسألوهن): فعل أمر، وفاعله، ومفعوله الأول، والثاني محذوف، التقدير: فاسألوهن إياه، والجملة الفعلية جواب (إذا)، لا محل لها. ﴿مِن وَرَآءِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿وَرَآءِ﴾ مضاف، و﴿حِجَابٍ﴾ مضاف إليه، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿أَطْهَرُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِقُلُوبِكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَطْهَرُ﴾. (قلوبهن): معطوف على ما قبله، والكاف والهاء ضميران متصلان في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، والمصدر المؤول من ﴿أَن تُؤْذُوا۟﴾ في محل رفع اسمها مؤخر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿رَسُولَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَنكِحُوٓا۟﴾ معطوف على سابقه، فهو في محل رفع مثله. ﴿أَزْوَٰجَهُۥ﴾: مفعول به.

والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَزۡوَٰجَهُۥ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَبَدًاۚ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: اسم إشارة اسم: ﴿إِنَّ﴾. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿كَانَ﴾ ماض ناقص. واسمه يعود إلى ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿عَظِيمًا﴾ بعده، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَظِيمًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا﴾: تظهروا، وتجهروا بشيء على ألسنتكم، كنكاح أزواج النبي ﷺ. ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ في صدوركم، أي: لا تجهروا به. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ وكائن وما يزال كائناً أبد الآبدين ﴿عَلِيمًا﴾ بكل شيء. وفحواه: أن الله جلت قدرته، وتعالت حكمته عالم بما بدا، وما خفي، وما كان، وما لم يكن، لا يخفى عليه ماض تَقَضَّى، ولا مستقبل يأتي. وهذا على العموم تمدح به، وهو أهل المدح، والحمد، والمراد به هنا: التوبيخ، والوعيد لمن تقدم التعريض به في الآية السابقة، مِمَّن أشير إليه بقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ ومن أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ فقيل لهم في هذه الآية: إن الله تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة، وما تبدونه منها، فيجازيكم عليها، ولا تنس المطابقة بين قوله: ﴿تُبۡدُواْ﴾ (وتخفوا) وهي من المحسنات البديعية.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تُبۡدُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿شَيۡـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿تُخۡفُوهُ﴾: فعل مضارع معطوف على ما قبله مجزوم مثله، والواو فاعله، والهاء مفعول به. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمًا﴾ بعدهما، و(كل): مضاف، و﴿شَيۡءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمًا﴾: خبر: ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، وجملة: (إن...) إلخ في محل جزم جواب الشرط. هذا؛ وعند التأمل يتبين لك أن جواب الشرط محذوف، التقدير: فهو يجازيكم به، وعليه فالجملة الاسمية: (إن الله...) إلخ تعليلية لا محل لها، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ أي: لا إثم، ولا حرج على أزواج الرسول ﷺ. ﴿فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ...﴾ إلخ: أي: في رؤية، وكلام آبائهن لهن. . .إلخ، فالكلام على حذف المضاف. روي: أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء، والأبناء، والإخوان: يا رسول الله! أونكلمهن أيضاً من وراء الحجاب؟ فنزل: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾. هذا؛ وقد ذكر تعالى في هذه الآية من يحل للمرأة البروز له، ولم يذكر الأعمام، والأخوال مع كونهم من المحارم، وأولادهم ليسوا من المحارم باتفاق جميع المسلمين؛ لأن مناكحتهم صحيحة لا حرج فيها، لم يذكرهم الله؛ لأنهم يجرون مجرى الوالدين، في معنى الإخوان، أو لأن الأحوط أن يتسترن عنهم حذراً من أن يصفوهن لأولادهم. قال الزجاج: هذا؛ وقد ذكر الله في هذه الآية بعض المحارم وذكر الجميع في الآية رقم [٢٣] من سورة (النساء)، والآية رقم [٣١] من سورة (النور)، فهذه الآية توسطت بين الآيتين.

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات من أهل دينهنَّ، المراد أنه يجوز للمرأة المسلمة أن تنظر إلى بدن المرأة المسلمة ما عدا ما بين السرة والركبة، فلا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتعرى من ثيابها عند الذمية، أو الوثنية؛ لأنها ليست من المؤمنات، ولأنها أجنبية في الدين، فكانت أبعد من الرجل الذي يحل نكاحه، وقد كتب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى أبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات، وذلك لئلا تصف الكافرة جسد المسلمة لزوجها الكافر، أو غيره من أقاربها. ولا يفوتني أن أذكر أنه تقدم الطبيبة الكافرة في معالجة المرأة المسلمة على الطبيب المسلم، ولو كان عدلاً، ولكن المسلمين في هذه الأيام قد انحرفوا عن الصراط المستقيم، فتراهم يقدمون الطبيب الكافر على الطبيب المسلم؛ بل وعلى الطبيبة المسلمة، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ﴾ أي: من العبيد، والإماء، بمعنى: أنه يجوز للمرأة المسلمة أن تكشف من بدنها ما عدا ما بين السرة والركبة لمن تملكه من العبيد، ولا أطيل الكلام في ذلك؛ لأن الرق لم يعد موجوداً في الدنيا.

وينبغي أن تعلم: أن هذه الأحكام ليست مقصورة على نساء النبي ﷺ؛ بل تعم جميع المسلمات المؤمنات، ولذا عممته كما ترى.

هذا؛ و(آباء) جمع: أب، وأصله: أَبَوٌ، فجمعه آباءٌ. و(أبناء) جمع: ابن، وأصله: بَنَوٌ، فجمعه: أبناءٌ. و(نساء) أصله: نسايٌ، فقل في إعلال الثلاثة: تحركت الواو، والياء، وانفتح ما

قبلهما، فقلبتا ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة. هذا؛ ولقد سئلت عما يلي: همزة المصدر استغفار ونحوه همزة وصل، فإذا جمع استغفارات، ونحوه تبقى الهمزة همزة وصل وهمزة «ابن» همزة وصل، فلما جمع «أبناء» صارت همزة قطع فما الفرق بينهما؟ فالجواب: إن همزة المصدر أصلية، وأما همزة «ابن» فليست أصلية إذ أصله «بَنَوٌ» كما رأيت، فالهمزة فيه بدل من حرف علة أصلي، فلما جمع على «أبناء» فهذه الهمزة همزة أفعال، وليست همزة: ابن، كما قد يتوهم.

أما ﴿شَيْءٍ﴾ فهو في اللغة عبارة عن كل موجود، إما حساً كالأجسام، وإما حكماً كالأقوال، نحو قلت: شيئاً، وجمع الشيء: أشياء غير منصرف، واختلف في علته اختلافاً كبيراً، والأقرب ما حكي عن الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ أن وزنه: شيآء وزان: حمراء، فاستثقل وجود همزتين في تقدير الاجتماع، فنقلت الأولى إلى أول الكلمة، فبقيت: لفعاء، كما قلبوا أدؤراً، فقالوا: آدر، وشبهه، وجمع الأشياء: أشايا.

تنبيه: وقعت «ما» على العبيد والإماء، وهم عاقلون، وهي لغير العاقل، كما هو معروف، وإنما وقعت عليهم؛ لأنهم كانوا يُباعون، ويُشْتَرُون كالبهائم، كما وقعت على النساء الحرائر في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ...﴾ إلخ الآية رقم [٣] من سورة (النساء) لأنهن ناقصات عقل، ولأنهن بسبب دفع المهر لهن يشبهن الإماء، وانظر (اتقى) في الآية رقم [٣٢].

الإعراب: ﴿لَّا﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿جُنَاحَ﴾: اسم ﴿لَّا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَّا﴾. ﴿فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾: متعلقان بـ: ﴿جُنَاحَ﴾؛ لأنه مصدر. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو غير وجيه. هذا؛ وإن علقت عليهن بـ: ﴿جُنَاحَ﴾ فهما متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَّا﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث، وما بعده معطوف عليه. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو زائدة لتأكيد النفي. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: والذي ملكته أيمانكم. ﴿وَٱتَّقِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (اتقين): فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فامتثلن ما أمرتن به، واتقين الله في أن يراكن غير هؤلاء. والفاء المقدرة يظهر: أنها الفصيحة، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً؛ فامتثلن. . . إلخ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ...﴾ إلخ انظر إعراب مثلها في الآية السابقة، وهي مستأنفة، أو معترضة، لا محل لها على الاعتبارين، والجملة الاسمية: ﴿لَّا جُنَاحَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

الشرح: هذه الآية شرّف الله بها رسوله ﷺ في حياته، وبعد موته، وأظهر بها منزلته عنده تعالى، والصلاة من الله عليه ﷺ: رحمته ورضوانه، ومن الملائكة: الدعاء والاستغفار، ومن الأمة: الدعاء، والتعظيم لأمره. انتهى. قرطبي. فإن قيل: إذا صلى الله، وملائكته عليه فأيُّ حاجة به إلى صلاتنا؟ أجيب بأن الصلاة عليه ليست لحاجته إليها، وإلا فلا حاجة به إلى صلاة الملائكة أيضاً، وإنما القصد بها تعظيمه ﷺ، وعود فائدتها علينا بالثواب، والقرب منه ﷺ. انتهى. نقلاً عن الخطيب.

قال الإمام: ولم تؤكد الصلاة ـ أي: بمصدر ـ كما أكد السلام؛ لأنها مؤكدة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ...﴾ إلخ. وقيل: إنه من الاحتباك، فحذف (عليه) من أحدهما، والمصدر من الآخر. هذا؛ وتجوز الصلاة على غيره تبعاً له، وتكره استقلالاً؛ لأنه في العرف صار شعاراً لذكر الرسل، ولذلك كره أن يقال: إن محمداً عز وجل، وإن كان عزيزاً جليلاً.

هذا؛ وقد اختلف في الصلاة على النبي ﷺ: أواجبة، أو مندوبة؟ ومن قال في الوجوب اختلفوا في حال وجوبها، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره، ومن قول النبي ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بأبخَلِ الناسِ؟**». قالوا: بلَى يا رسول اللهِ! قال: «**مَنْ ذُكِرْتُ عنده فلم يصَلِّ عليَّ، فذلِكَ أبخلُ الناسِ**». رواه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة عن أبي ذر الغفاريِّ، رضي الله عنه.

ومنهم من قال: تجب في العمر مرة. ومنهم من قال: تجب في كل مجلس مرة، وإن تكرر ذكره، ومنهم من قال: تجب في كل صلاة في التشهد الأخير، وهو مذهب الشافعي، وإحدى الروايتين عن أحمد، ومن قول الشافعي، رضي الله عنه: [البسيط]

يَا آلَ بَيتِ رسولِ اللهِ حبكمُ ... فرضٌ مِنَ اللهِ في القرآنِ أنزلَهُ

يكفيكمُ من عَظِيمِ الفخرِ أنكمُ ... مَنْ لَمْ يصَلِّ عليكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

كما اختلف في صفة الصلاة عليه ﷺ. وخذ ما يلي: عن كعب بن عجرة ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة؟ فقال: «**قل: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميد مجيد**».

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ؛ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قال، فقالوا له: فعلِّمْنَا! قال: قولوا:

«اللهم اجعل صلواتِك، ورحمتك، وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير، ورسول الرحمة. اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون، والآخرون. اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

أما فضل الصلاة عليه ﷺ، فهو مما لا ريب فيه، وقد ورد في بيانه أحاديث كثيرة، خذ منها ما يلي: فعن أبي بردة بن نيار ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صلى عَليَّ مِنْ أمتي صلاةً مخلِصاً مِنْ قلبِهِ؛ صلَّى اللهُ عليه بها عشرَ صلواتٍ، ورفعَهُ بهَا عَشْرَ درجاتٍ، وكَتَبَ له بها عشرَ حَسَنَاتٍ، ومحا عنه عشرَ سَيِّئَاتٍ**». رواه النسائي، والطبراني. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ للهِ ملائكةً سيَّاحِين يُبَلِّغوني عنْ أمَّتِي السَّلامَ**». رواه النسائي. وعن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَليَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تبلغني**». رواه الطبراني. وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أوْلَى النَّاسِ بي يومَ القيامةِ أَكْثَرُهُمْ صَلَاةً عَلَيَّ**». رواه الترمذي.

هذا؛ وقال سهل بن عبد الله: الصلاة على محمد ﷺ أفضل العبادات؛ لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته، ثم أمر بها المؤمنين، وسائر العبادات ليس كذلك. وقال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يسأل الله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الله تعالى يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يرد ما بينهما. وروى سعيد بن المسيب عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: الدعاء يحجب دون السماء حتى يُصَلَّى على النبي ﷺ، فإذا جاءت الصلاة على النبي ﷺ رُفِعَ الدعاء. وقال النبي ﷺ: «**مَنْ صلَّى عليَّ في كتابٍ لم تزلِ الْملَائِكَةُ يصلُّون عَلَيْهِ، مَا دامَ اسْمِي في ذَلِكَ الْكِتَابِ**». يا رب لك الحمد على نعمتك.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يُصَلُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. وقيل: الجملة في محل رفع خبر: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ على رفعه، وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين، فيكون التقدير: إن الله يصلي على النبي، وإن ملائكته يصلون على النبي. ويكون قد حذف متعلق أحد الفعلين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ انظر الآية رقم [٥٣] والمحال عليها. ﴿صَلُّواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها مثل الجملة الندائية قبلها؛ لأنها مثلها ابتدائية، وجملة: ﴿وَسَلِّمُواْ...﴾ إلخ معطوفة عليها،

وإعرابها مثلها، وانظر ما ذكرته في الشرح من الاحتباك، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، أو مستأنفة.

هذا؛ ويقرأ برفع: (ملائكته): فالكسائي يعطفه على اسم: ﴿إِنَّ﴾ باعتباره مبتدأ قبل دخولها عليه، والجمهور على أنه مبتدأ خبره محذوف، أو خبره المذكور بعده، وخبر: ﴿إِنَّ﴾ هو المحذوف، وجملة المبتدأ، والخبر معطوفة على جملة: ﴿إِنَّ﴾ واسمها، وخبرها، وبعض البصريين يقول بقول الكسائي؛ لأنهم لم يشترطوا المحرز، وهو قول الكوفيين عامة الذين لا يشترطون المحرز أيضاً، ولكن شرط الفراء لصحة الرفع قبل مجيء الخبر خفاء إعراب الاسم لئلا يتنافر اللفظ، ولم يشترطه الكسائي. وقول الجمهور هو المعتمد، وهو أن خبر: ﴿إِنَّ﴾ محذوف، وجملة: ﴿يُصَلُّونَ﴾ خبر: (ملائكته). ولا يصح أن تكون خبر: ﴿إِنَّ﴾ لعدم الموافقة بالإفراد، والجمع، ومثل الآية الكريمة قول الشاعر: [الطويل]

خَلِيلَيَّ هَلْ طِبٌّ فإنِّي وأَنْتُما ... وَإِنْ لَمْ تَبُوحَا بالْهَوى دَنِفَانِ

وهو الشاهد رقم [٨٥٧] من كتابنا فتح القريب المجيب، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٩] من سورة (المائدة) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: اختلف العلماء في إذاية الله تعالى بماذا تكون؟ فقال الجمهور من العلماء: معناه بالكفر ونسبة الصاحبة، والولد، والشريك إليه، ووصفه بما لا يليق به، كقول اليهود لعنهم الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ الآية رقم [٦٤] من سورة (المائدة)، وكقول النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾. وقول المشركين: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه. فقد أخرج البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: كذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، ولمْ يكنْ لهُ، وشتمني، وَلَمْ يكنْ لَهُ ذلك؛ فَأَمَّا تكذيبُهُ إيَّايَ؛ فقولُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي؛ كَمَا بَدَأَنِي! ولَيْسَ أولُ الخلقِ بأهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إعادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ؛ فقولُهُ: اتَّخذ اللهُ ولداً. وأنا الأحدُ الصمدُ، الذي لمْ يلِدْ، ولمْ يُولَدْ، ولم يكنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**». وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: «**يُؤْذِيني ابنُ آدم، يسب الدَّهْرَ، وأنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ**».

معنى هذا الحديث: أنه كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذموا الدهر، ويسبوه عند النوازل، لاعتقادهم: أن الذي يصيبهم من أفعال الدهر، فقال الله تعالى: «أنا الدهر» أي: أنا

الذي أحل بهم النوازل، وأنا فاعل لذلك الذي تنسبونه إلى الدهر في زعمكم. وقيل: معنى يؤذون الله: يلحدون في أسمائه، وصفاته. وقيل: هم أصحاب التصاوير. وقد قال رسول الله ﷺ: **«لعَنَ اللهُ الْمُصوِّرِينَ»**. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قالَ اللهُ عز وجل: وَمَنْ أظلمُ مِمَّنْ ذهبَ يخلُقُ كخلْقي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ ليخلُقُوا حبةً، أو شعيرةً»**. متفق عليه. وقيل: هو على حذف مضاف، التقدير: يؤذون أولياء الله. كما روي عن النبي ﷺ، قال: قال الله تعالى: **«مَنْ آذَى لي ولياً؛ فقدْ آذَنْتُهُ بالْحَرب»**. وقال تعالى: **«مَنْ أَهَانَ لِي وَلِياً؛ فقدْ بارزَني بالمحاربة»**. ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى، وارتكاب معاصيه، ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم؛ لأن الله تعالى منزه عن أن يلحقه أذىً من أحد.

وأما إذاية رسول الله ﷺ، فهي كل ما يؤذيه من الأقوال، والأفعال أيضاً، أما قولهم: فساحر، شاعر، كاهن، مجنون. وأما فعلهم: فكسْرُ رباعِيَتِه، وشَجُّ وجهِهِ يومَ أُحُدٍ، وهذا ما كان منهم في المدينة، وأما فعلهم بمكة؛ فكثير، منه: إلقاء السلى على ظهره ﷺ وهو ساجد، إلى غير ذلك. وفي هذه الأيام كل من يدعي محبة الرسول، ولا يهتدي بهديه، ولا يعمل بسنته؛ فهو مؤذ للرسول ﷺ.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محلِّ نصب اسمها. ﴿يُؤْذُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَعَنَهُمُ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الوجهين. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: معطوف على ما قبله. وجملة: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ معطوفة على جملة: ﴿لَعَنَهُمُ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: قيل: إن الآية الكريمة نزلت في علي ـ رضي الله عنه، وكرم الله وجهه ـ كان بعض المنافقين يؤذونه، ويسمعونه كلاماً يؤذيه. وقيل: نزلت في شأن عائشة، رضي الله عنها. وقيل: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء؛ إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيتبعون المرأة، فإن سكتت تبعوها، وإن زجرتهم انتهوْا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة؛ لأن زِيَّ الكل كان واحداً، تخرج الحرة

والأمة في درع، وخمار، فشكين ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية، ثم نهى الرسول ﷺ الحرائر أن يتشبهن بالإماء، وهو ما في الآية التالية.

وقد ميز الله تعالى بين أذاه، وأذى الرسول، وأذى المؤمنين، فجعل الأول كفراً، والثاني كبيرة، وأطلق إيذاء الله ورسوله، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات؛ لأن إيذاء الله، ورسوله لا يكون إلا بغير حق أبداً، وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات، فمنه بحق ومنه بغير حق، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [١١٢]: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية بعده صلته. ﴿وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿بِغَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بإضافة: (غير) إليها، واعتبارها موصولة، أو مصدرية فيه ضعف، والجملة الفعلية بعدها صفتها، والرابط: محذوف؛ إذ التقدير: بغير شيء اكتسبوه. ﴿فَقَدِ﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ٱحْتَمَلُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بُهْتَـٰنًا﴾: مفعول به. ﴿وَإِثْمًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مُّبِينًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، وزيدت الفاء في الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: (الذين...) إلخ معطوفة على الجملة الاسمية (إن...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾: انظر الآية رقم [٢٩]. ﴿وَبَنَاتِكَ﴾: الأربع، وكلهن من خديجة، رضي الله عنها. وهن: زينب، رضي الله عنها، وهي أكبر بناته ﷺ تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع، واسمه: لقيط. وقيل: هاشم. وتوفيت سنة ثمان من الهجرة. ورقية خطبها قبل النبوة عتبة بن أبي لهب، فلما بعث رسول الله ﷺ، وأنزل الله عليه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ...﴾ إلخ أمره أبوه بالإعراض عنها، فتزوجها عثمان، رضي الله عنه، وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين، وولدت منه غلاماً، سماه: عبد الله وبه يكنى، وتوفيت ورسول الله ﷺ كان في غزوة بدر، فلم يشهد دفنها. والثالثة أم كلثوم، رضي الله عنها، خطبها قبل النبوة عتيبة أخو عتبة بن أبي لهب، ثم أمره أبوه أن يعرض عنها للسبب

المذكور في أمر رقية، رضي الله عنها، فتزوجها عثمان رضي الله عنه، بعد وفاة رقية، رضي الله عنها. وبذلك سُمِّي ذا النورين، وتوفيت في حياة أبيها ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة، والرابعة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وُلِدت؛ وقريش تبني الكعبة قبل النبوة بخمس سنين.

﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: هذا تعميم بعد تخصيص. ﴿يُدْنِينَ﴾: يرخين، ويغطين وجوههن وأبدانهن. ﴿عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: جمع: جلباب، وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع، والخمار. وقيل: هو الملحفة، وكل ما يستتر به من كساء وغيره. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: أولى وأجدر بأن يعرفن، فلا يتعرض لهنَّ. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: لما سلف منهن من التفريط. ﴿رَّحِيمًا﴾: بتعليمهن آداب الإسلام.

تنبيه: أشارت الآية الكريمة إلى لطيفة دقيقة، وهي أن الدعوة لا تثمر إلا إذا بدأ الداعي بها في نفسه، وأهله، وهذا هو السر في البدء بالحجاب الشرعي بنساء الرسول ﷺ وبناته، قال أبو الأسود الدؤلي ـ رحمه الله تعالى ـ من قصيدة مشهورة: [الكامل]

يـا أيُّـهَـا الـرجُـلُ الْـمُـعَـلِّـمُ غَـيْـرَهُ ... هَـلَّا لِـنَـفْـسِـكَ كَـانَ ذَا الـتَّـعْـلِـيـمُ
ابـدأ بـنـفـسِـكَ فـانـهـهَـا عـنْ غَـيِّـهَـا ... فَـإِذَا انْـتَـهـتْ عـنـه فـأَنْـتَ حَـكِـيـمُ

وقد أجمعت الأمة على أن المراد بما في الآية الكريمة أن تغطي النساء وجوههن، وأبدانهنَّ؛ لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه وحده، ولأن الوجه هو موضع الفتنة كما هو معروف لدى كل عاقل. ولا تنس: أن البيئة تختلف بين الريف، والبدو، والمدينة، فلكلٍّ اعتباره.

ولما كانت عادة العربيات التبذل، وكن يكشفن وجوههن، كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن، أمر الله رسوله ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن؛ إذا أردن الخروج إلى حوائجهن، وكن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكنف، فإذا لبسن الجلابيب؛ وقع الفرق بينهن وبين الإماء، فتعرف الحرائر بسترهن، فيكف عن معارضتهن من كان عزباً، أو شاباً، وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية، تتبرز للحاجة، فيتعرض لها بعض الفجار يظن: أنها أمة، فتصيح به فيذهب، فشكوْا ذلك إلى النبي ﷺ، ونزلت الآية بسبب ذلك، وهذه الآية تسمى: آية الحجاب.

في الآية الكريمة أمر الله سبحانه جميع النساء بالستر، وأن ذلك لا يكون إلا بما لا يصف جلدها إلا إذا كانت مع زوجها، فلها أن تلبس ما شاءت؛ لأن له أن يستمتع بها كيف شاء. ثبت: أن النبي ﷺ استيقظ ليلة، فقال: سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا فتح من الخزائن من يُوقِظ صواحبَ الْحُجر؟ رُبَّ كاسِيةٍ في الدنيا، عاريةٌ في الآخرة.

وذكر أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ رقة الثياب للنساء، فقال: «الكاسِياتُ الْعَارِيَاتُ الْمُتَنَعِّمَاتُ الشَّقِيَّاتُ». ودخل نسوة من بني تميم على عائشة ـ رضي الله عنها ـ عليهن ثياب رقاق، فقالت: إن كنتنَّ مؤمناتٍ؛ فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتنَّ غَيْرَ مؤمناتٍ فتمتعْنَ بِهِ.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ معهم سِياطٌ كأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا الناس، ونساءٌ كاسياتٌ، عارياتٌ، مُمِيلاتٌ، مائِلاتٌ، رؤوسُهُنَّ كأسنمةِ الْبُخْتِ المائِلةِ، لَا يَدْخلْنَ الْجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِن مسيرةِ كَذَا وكذَا»**. رواه مسلم وغيره.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ دخلت على رسول الله ﷺ، وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها، وقال: **«يا أسماء! إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ، لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُرَى منها إلا هَذَا، وأشارَ إلى وجهِهِ، وَكَفَيِّهِ»**. رواه أبو داود. وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«كُلُّ عَيْنٍ زَانِيةٌ، والمرأةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ بالمجلِسِ كَذَا وكَذَا يعني زانية»**. رواه أبو داود، والترمذي.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ انظر الآية رقم [١]. ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿لِّأَزْوَٰجِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَبَنَاتِكَ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَنِسَآءِ﴾: معطوف أيضاً، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء. . .إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿يُدْنِينَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون، ونون النسوة فاعله، ومحله الجزم من ثلاثة أوجه: أحدها هو جواب ﴿قُل﴾ وتقدير الكلام: إن تقل لهن يدنين، قاله الأخفش، ورده قوم، فقالوا: لأن قول الرسول لهن لا يوجب أن يدنين، وهذا عندي لا يبطل قوله؛ لأنه لم يرد أمر الكافرات؛ بل المؤمنات، كما هو واضح، وإذا قال الرسول ﷺ لهن: ادنين عليكن من جلابيبكن، أدنينها؛ لأنهنَّ مأمورات بامتثال أمره، واجتناب نهيه، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

والوجه الثاني حكي عن المبرد ـ رحمه الله تعالى ـ وهو: أنَّ التقدير: قل لهن: ادنين، يدنين. فـ: ﴿يُدْنِينَ﴾ المصرح به جواب ادنين المحذوف. حكاه جماعة، ولم يتعرضوا لإفساده، وهو فاسد لوجهين: أحدهما: أن جواب الشرط يخالف الشرط، إما في الفعل، وإما في الفاعل، أو فيهما معاً، فأما إذا كان مثله في الفعل، والفاعل؛ فهو خطأ، كقولك: قم تقم، والتقدير: على ما ذكر في هذا الوجه: إنْ يدنين يدنين، والوجه الثاني: أن الأمر المقدر للمواجهة، و﴿يُدْنِينَ﴾ على لفظ الغيبة، وهو خطأ؛ إذا كان الفاعل واحداً.

والوجه الثالث من الأوجه الأولى: أنه مجزوم بلام محذوفة، تقديره: لِيُدْنين، فهو أمر مستأنف، وجاز حذف اللام لدلالة ﴿قُل﴾ على الأمر. وهذا الإعراب هو الموافق لما ذكرته في الآية رقم [٣١] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، بالمقايسة بين ما هنا وهناك، فإن التعبير في الآيتين واحد، ولم يذكر أحد شيئاً في إعراب الآية هنا، وما هناك منقول عن أبي البقاء العكبري، وعن مكي بن أبي طالب القيسي، مع الإشارة إلى ما ذكره ابن هشام في مغنيه، رحم الله الجميع رحمة واسعة، وشملنا ببره وإحسانه. ومثل هذه الآية رقم [٣١] من سورة (النور) بلا فارق، والله ولي التوفيق.

﴿عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له ألبتة. والهاء في الثاني ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والنون فيهما حرف دال على جماعة الإناث، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُعْرَفْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مبني على السكون، ونون النسوة نائب فاعله، وهو في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾، ومتعلقه محذوف، التقدير: أن يعرفن بأنهن حرائر، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿أَدْنَىٰٓ﴾؛ إذ المعنى: فأقرب إلى معرفتهن. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. (لا): نافية. ﴿يُؤْذَيْنَ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه، وتأويله بمصدر؛ إذ التقدير: فعدم إيذائهن بالتعرض لهن، وجملة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: عن نفاقهم. ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه، أو في قلوبهم حب الفجور، والفسوق. ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: هم أناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله ﷺ؛ الذين كان يرسلهم إلى محاربة الكفار، فيقولون: هزموا، أو قتلوا، وجرى عليهم كذا، وكذا، فيكسرون قلوب المؤمنين. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنسلطنك عليهم، أو لنأمرنك بقتالهم. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ أي: في المدينة، بمعنى: لا يقيمون فيها. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: زماناً قصيراً.

تنبيه: يرى أهل التفسير: أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد، يعني أنهم جمعوا هذه الأوصاف الثلاثة، فالواو مقحمة، كما قال الشاعر: [المتقارب]

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهُمَامِ ولَيْثِ الكَتِيبَةِ فِي الْمُزْدَحَمْ

أراد إلى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة. وقيل: الموصوف متغاير، ومتعدد، فكان من المنافقين قوم يرجفون، وقوم يتبعون النساء للريبة، وقوم يشككون المسلمين. هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الإرجاف: التماس الفتنة، والإرجاف: إشاعة الكذب، والباطل للاغتمام به. وقيل: تحريك القلوب. يقال: رجفت الأرض: أي تحركت وتزلزلت، والرجفان: الاضطراب الشديد. قال عنترة من قصيدة يتوعد فيها الربيع بن زياد العبسي: وهذا هو الشاهد رقم [١٥٢] من كتابنا فتح رب البرية. [الوافر]

مَتَى مَا تَلْقَنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُف رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارا

والإرجاف: واحد أراجيف الأخبار. وقد أرجفوا في الشيء: أي: خاضوا فيه. قال العين المنقري يهجو به العجاج، أو رؤبة ابنه: [البسيط]

أَبَا الأَرَاجِيفِ يَابْنَ اللؤمِ تُوعِدُنِي؟ وفِي الْأَرَاجِيفِ خِلْتُ اللؤمُ والخَورُ

هذا؛ والتعبير بـ: ﴿ثُمَّ﴾ ـ وهي للتراخي ـ يفيد: أن الجلاء عن الأوطان، كان أعظم عليهم من كل ما أصيبوا به، فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه، انتهى. كشاف. وفي الآية دليل على أن من كان معك ساكناً بالمدينة، فهو جار لك. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وانظر شرح (المنافق) في الآية رقم [١٢] وشرح: ﴿ثُمَّ﴾ في [١١] من سورة (الروم).

الإعراب: ﴿لَّئِن﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَنتَهِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، وهو في محل جزم فعل الشرط. ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: فاعله مرفوع. . .إلخ، ومتعلقه محذوف، كما رأيت تقديره في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع، معطوف على ما قبله، أو هو صفة له. ﴿فِى قُلُوبِهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. هذا؛ وإن اعتبرت الجار والمجرور ﴿فِى قُلُوبِهِم﴾ متعلقين بمحذوف صلة الموصول، فيكون ﴿مَّرَضٌ﴾ فاعلاً بالجار والمجرور؛ أي: بمتعلقه. ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾: معطوف على ما قبله، أو هو صفة ثانية حسبما رأيت في الشرح حيث قيل بزيادة الواو. ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: متعلقان بـ: (المرجفون). ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (نغرينك): فعل

مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به. ﴿بِهِمْ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر، لا محل لها، وجواب الشرط محذوف على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم؛ فالجواب للسابق منهما» قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ، فَهْوَ مُلْتَزَمْ

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جواب القسم، لا محل لها مثله. ﴿فِيهَآ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له قطعاً. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق، أو صفة زمان محذوف، التقدير: إلا جواراً قليلاً، أو إلا زماناً قليلاً. وقال مكي: حال من الواو، أي: لا يجاورونك إلا في حال قلتهم، وذلتهم.

﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾: مطرودين من رحمة الله تعالى. ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾: وجدوا، قال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. هذا؛ و(الثقف) في الأصل: الحذق في إدراك شيء علماً كان، أو عملاً، فهو يتضمن معنى الغلبة. ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾: هذا خبر، ومعناه الأمر، أي: خذوهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم؛ إذا كانوا مصرين على النفاق، والإرجاف، قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد فعل بهم الطرد، واللعن، فإنه لما نزلت (براءة) جمعوا، فقال النبي ﷺ: يا فلان قم فاخرج، فإنك منافق! يا فلان قم... إلخ، فقام إخوانهم من المسلمين، فأخرجوهم، وطردوهم من المسجد.

الإعراب: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾: منصوب على الذم بفعل محذوف. وقيل: هو حال من واو الجماعة، وهو قول مكي، وأبي البقاء. ورده ابن هشام في المغني بقوله: لأن الصحيح: أنه لا يستثنى بأداة واحدة دون عطفٍ شيئان. وقال الجمل: حال من مقدر حذف هو وعامله، التقدير: ثم يُخْرَجُون ملعونين، ثم قال: وفي السمين قوله: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ حال من فاعل ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾ قاله ابن عطية، والزمخشري، وأبو البقاء. قال ابن عطية: لأنه بمعنى: ينفون منها ملعونين، وقال الزمخشري: دخل حرف الاستثناء على الحال والظرف معاً، كما مر في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ وجوز الزمخشري أن ينتصب على الذم، وجوز ابن عطية أن يكون بدلاً من ﴿قَلِيلًا﴾ على أنه حال كما تقدم تقريره؛ أي: لا يجاورك منهم أحد إلا قليلاً ملعوناً. ويجوز أن يكون منصوباً بـ: ﴿أُخِذُواْ﴾ الذي هو جواب الشرط. وهذا عند الكسائي، والفراء، فإنهما يجيزان تقديم معمول الجواب على أداة الشرط، نحو: خيراً إن تأتني

تصب انتهى. ورده ابن هشام بقوله: ويرده: أن الشرط له الصدر. ﴿أَيْنَمَا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بفعل شرطه على المعتمد، وبعضهم يعلقه بجوابه. وقيل: (ما) زائدة، فيكون مبنياً على الفتح. ﴿ثُقِفُوٓا۟﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها على تعليق الشرط به، وفي محل جر بإضافة ﴿أَيْنَمَا﴾ إليها على اعتبار الشرط متعلقاً بجوابه. ﴿أُخِذُوا۟﴾: جواب الشرط، وإعرابه مثل إعراب سابقه، وجملته لا محل لها؛ لأنها لم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿وَقُتِّلُوا۟﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه ومحله. ﴿تَقْتِيلًا﴾: مفعول مطلق، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: أي سن الله ذلك في الأمم الماضية، وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء، حيث وسعوا في وهنهم وإضعافهم بالإرجاف، ونحوه، أينما وجدوا، وأينما حلوا. وعن مقاتل: يعني كما قتل أهل بدر وأسروا. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: لأنه لا يبدلها، أو لا يقدر أحد أن يبدلها، وذلك لابتنائها على أساس الحكمة التي يدور عليها فلك التشريع، ومثل هذه الآية في معناها ومغزاها قوله تعالى في الآية رقم [٧٧] من سورة الإسراء، وهاكها: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾، ومثلها الآية رقم [٤٣] من سورة (فاطر) انظرها فالبحث فيها جيد جداً.

قال القرطبي: وفي الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه ﷺ حتى مات، والمعروف من أهل الفضل إتمام وعدهم، وتأخير وعيدهم. انتهى. وقد بينت ذلك كثيراً.

هذا؛ والسنة: الشريعة، والطريقة، وهي تكون حسنة إن كانت في الخير، مثل صلاة التراويح عشرين ركعة. وتكون سيئة إن كانت في الشر. وما أكثر السنن السيئة التي ابتدعها الناس في هذا الزمن. وخذ ما يلي: فعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: سأل رجلٌ على عهدِ رسول الله ﷺ، فأمسكَ القومُ، ثم إنَّ رجلاً أعطاهُ، فأعطَى القومُ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ خَيْراً فاسْتُنَّ به، كان له أجْرُهُ، ومِثْلُ أُجورِ مَنْ تبعَهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ من أجورِهِمْ شَيْئاً. وَمَنْ سَنَّ شَرّاً، فاسْتُنَّ بهِ، كانَ عليْهِ وزرُهُ، وَمِثْلُ أوزارِ مَنْ تبعَهُ غَيْرَ منتقصٍ مِنْ أوزارِهِمْ شَيْئاً**». رواه أحمد، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن عمرو بن عوف ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال لبلال بن الحارث يوماً: «**اعْلَمْ يا بِلالُ! قالَ: ما أعلَمُ يا رسول اللهِ؟! قالَ: اعْلَمْ أَنَّ مَنْ أحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنتي قد أُمِيتَتْ بَعْدِي؛**

كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ مَنْ عملَ بهَا مِنْ غير أنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجورِهِمْ شَيْئاً، وَمَن ابْتدعَ بدعةَ ضلالةٍ، لا يرضاها اللهُ، ورسولُهُ؛ كان علَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عمل بهَا، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أوزارِ الناسِ شَيْئاً». رواه الترمذي وابن ماجه.

الإعراب: ﴿سُنَّةَ﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف، أي: سن الله ذلك سنة، و﴿سُنَّةَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فِي ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل المقدر، أو بسنة. ﴿خَلَوۡاْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن قَبۡلُ﴾: متعلقان بما قبلهما، وبني ﴿قَبۡلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنًى، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَلَن﴾: الواو: حرف عطف. وقيل: واو الحال، ولا وجه له قطعاً؛ لأنها تناقض معنى (لن). (لن): حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿تَجِدَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ(لن)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِسُنَّةِ﴾: متعلقان بـ: ﴿تَبۡدِيلٗا﴾، أو بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، و(سنة) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه... إلخ. ﴿تَبۡدِيلٗا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَلَن تَجِدَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ...﴾ إلخ: كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة، استعجالاً على سبيل الهزء، واليهود يسألونه امتحاناً؛ لأن الله تعالى عمَّى وقتها في التوراة، وفي كل كتاب، فأمر رسول الله ﷺ بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكاً، ولا نبياً، ثم بين لرسوله ﷺ: أنها قريبة الوقوع تهديداً للمستعجلين، وإسكاتاً للممتحنين، وهذا السؤال تكرر من المشركين، ومن اليهود، وقوله تعالى في كثير من السور: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ برهان قاطع على ذلك، وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾ (النازعات) رقم [٤٢].

﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾: لا يطلع عليه ملكاً، ولا نبياً؛ لأنه تعالى استأثر به. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٨٧] ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾. هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٤] من سورة (الروم)، والآية رقم [٢٤] من سورة (لقمان) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾: وما يعلمك. ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ أي: في زمان قريب، وقال ﷺ: **«بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**. وأشار إلى السبابة، والوسطى. خرجه أصحاب الصحيح. هذا؛

ولم يؤنث: ﴿قَرِيبًا﴾ مع كونه راجعاً إلى ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ وذلك على تأويلها باليوم، كما قيل في قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٥٦]: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ذُكِّر ﴿قَرِيبٌ﴾ على تأويل الرحمة بالعفو. وذكر الفراء: أنهم التزموا التذكير في: ﴿قَرِيبٌ﴾ إذا لم يرد قرب النِّسَب قصداً للفرق، أي بين المراد بها النِّسَب، والمراد بها غيره. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٢] من سورة (سبأ) عن قرب الساعة، وبعدها عن الماضي.

تنبيه: قال المحققون من العلماء: سبب إخفاء علم الساعة، ووقت قيامها عن العباد؛ ليكونوا دائماً على خوف، وحذر منها؛ لأنهم إذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت؛ كانوا على وجل، وخوف منها، فيكون ذلك أدعى لهم إلى الطاعة، والمسارعة إلى التوبة، وأزجر لهم عن المعصية. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَتقومَنَّ الساعةُ، وقَدْ نَشَرَ الرَّجلانِ ثَوْبَهُما بَيْنَهُما، فلا يَتَبَايَعَانِهِ، ولا يَطْوِيَانِهِ. ولتقومَنَّ الساعةُ، وقَد انصرف الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فلا يَطْعَمُهُ. ولَتقُومَنَّ الساعةُ، وهو يَلِيط حوضَهُ، فلَا يَسْقي فيه، وَلَتَقُومَنَّ الساعَةُ، وقَدْ رفعَ أكْلَتَهُ إلى فِيهِ، فلا يَطْعَمُهَا**». متفق عليه. هذا؛ وقد أخفى الله أموراً أخرى مثل ليلة القدر في شهر رمضان، وساعة الإجابة يوم الجمعة؛ ليجتهد المؤمن، والمؤمنة في ليالي شهر رمضان في العبادة، وليكونا مجتهدين في الدعاء كل يوم الجمعة، وليلته.

هذا؛ والسؤال في هذه الآية سؤال استفتاء، أو هو سؤال تعنت فيما يظهر و«سأل» تارة يكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول، فيتعدى بـ: ﴿عَنِ﴾، كهذه الآية، وقد يكون لاقتضاء مال، ونحوه، فيتعدى لاثنين نحو سألت زيداً مالاً.

هذا؛ و﴿يُدْرِيكَ﴾ ماضيه «درى» بمعنى: علم، فهو من أفعال اليقين، فينصب مفعولين كقول الشاعر: وهذا هو الشاهد رقم [٦] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

دُرِيتَ الْوَفِيَّ الْعَهْدِ يا عمرُو فاغْتَبِطْ ... فإِنَّ اغْتِبَاطاً بالوفاء حميدُ

وهو قليل؛ إذ الكثير المستعمل فيه أن يتعدى إلى واحد بالباء، نحو دَرِيتُ بكذا، فإن دخلت همزة النقل؛ تعدى إلى واحد بنفسه، وإلى واحد بالباء، نحو قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾. قال شيخ الإسلام: ومحل ذلك إذا لم يدخل على الفعل استفهام، وإلا تعدى إلى ثلاثة مفاعيل، نحو قوله تعالى في سورة (القارعة):

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ فالكاف مفعول به أول والجملة الاسمية بعده سدت مسد المفعولين. انتهى.

والذي في الهمع، والمغني ـ قيل: وهو الأوجه ـ: أن الجملة الاسمية سدت مسد المفعول الثاني المتعدىٰ إليه بالحرف، فتكون في محل نصب بإسقاط الجار، كما في: فكرت: أهذا

صحيح، أم لا؟ أي: فكرت بما ذكر. انتهى. جرجاوي. وينبغي أن تعلم: أن الفعل أدري هنا معلق عن العمل لفظاً بوقوع: ﴿لَعَلَّ﴾ بعده، والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في التعليق؛ إلا أن النحويين لم يعدُّوا لعلَّ من المعلقات، والحق مع الكوفيين، وهو ظاهر في هذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ من سورة (عبس)، وقوله جل شأنه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ الآية رقم [١٧] من سورة (الشورى). فإن كان درى بمعنى: ختل، أي: خدع، كان متعدياً إلى واحد بنفسه، مثل: دَرِيتُ الصيد، أي: ختلتُه، وخدعتُه، أي: لا أختل، وإن كانت بمعنى: حكَّ، مثل: درى رأسه بالمدرى، أي: حك رأسه بالمشط؛ فهي كذلك.

الإعراب: ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾: فعل مضارع، والكاف مفعول به. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿عِلْمُهَا﴾: مبتدأ، و(ها): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ. و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُدْرِيكَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى: (ما)، تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَعَلَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: اسم: ﴿لَعَلَّ﴾. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه يعود إلى ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ تقديره: «هي». ﴿قَرِيبًا﴾: خبر (تكون)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل) وجملة: ﴿لَعَلَّ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني للفعل: ﴿يُدْرِيكَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمها. ﴿لَعَنَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَعَدَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أعد): فعل ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سَعِيرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أي: في السعير، وأنث الضمير؛ لأن السعير بمعنى: النار. ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾: يحفظهم من عذاب السعير. ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: يدفع عنهم العذاب. وفي الآية الكريمة رد على مذهب الجهمية الذين يزعمون: أن الجنة، والنار تفنيان. ومعنى: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقيمين، لا يخرجون منها. والأبد: الزمان الطويل الذي ليس له حد، فإذا قلت: لا أكلمك؛ أبداً، فالأبد من وقت التكلم إلى آخر العمر.

تنبيه: قال الإمام الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال قوم: إن عذاب الله للكافرين منقطع وله نهاية، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾، وبأن معصية الظالم متناهية، فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم. والجواب: أن قوله تعالى: ﴿أَحْقَابًا﴾ لا يقتضي: أن له نهاية؛ لأن العرب يعبرون به، وبنحوه عن الدوام، ولا ظلم في ذلك؛ لأن الكافر كان عازماً على الكفر ما دام حياً، فعوقب دائماً، ولم يعاقب بالدائم إلا على دائم، فلم يكن عذابه إلا جزاءً وفاقاً. انتهى. جمل. في سورة (هود) [١٠٨].

الإعراب: ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال مقدرة من الكافرين منصوب... إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَآ﴾: متعلقان به. ﴿أَبَدًاۖ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أيضاً. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَجِدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿وَلِيًّا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو هي صلة لتأكيد النفي. ﴿نَصِيرًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية من الكافرين، أو هي حال من الضمير المستتر بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾، فتكون حالاً متداخلة. هذا؛ والحال بالنسبة للزمان على ثلاثة أقسام: حال مقارنة، وهي الغالبة، نحو قوله تعالى حكاية عن قول امرأة إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ﴾. وحال مقدرة، وهي المستقبلة، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. وحال محكية، وهي الماضية، نحو جاء زيدٌ أمسِ راكباً. وهناك الحال الموطئة، وهي التي تذكر توطئة للصفة بعدها، بمعنى أن المقصود الصفة، وهذا كثير في القرآن الكريم، خذ منه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾. والحال تنقسم إلى قسمين: إما مؤسسة، وإما مؤكدة، فالأولى: هي التي لا يستفاد معناها بدونها، نحو جاء زيدٌ رَاكِباً، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع، والمؤكدة هي التي يستفاد معناها بدونها، وإنما يؤتى بها للتوكيد، وهي ثلاثة أنواع:

١ـ ما يؤتى بها لتوكيد عاملها، وهي التي توافقه مَعْنًى فقط، أو معنًى، ولفظاً، فالأول: نحو قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾. ومنه قوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. والثاني: نحو قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ﴾.

٢ـ ما يؤتى به لتوكيد صاحبها كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ رقم [٩٩] من سورة (يونس).

٣ـ ما يؤتى بها لتوكيد مضمون جملة معقودة من اسمين مَعْرِفتين جامدين، نحو «هوَ الْحَقُّ بَيِّناً، أوْ: صَرِيحاً» وقول سالم بن دارة اليربوعي، وهذا هو الشاهد رقم [٣٨٥] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [البسيط]

أَنَا ابْنُ دارَة مَعْرُوفاً بِهَا نَسَبِي وَهَلْ بِدَارَةَ يَا لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ؟!

وهناك الحال اللازمة في قراءة من قرأ قوله تعالى في سورة (ص) رقم [٢٩]: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ لأن البركة لا تفارقه.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ (٦٦)﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾: تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار، أو: من حال إلى حال، وهذا التقليب تغيير ألوانها بلفح النار، فتسود مرة، وتخضر أخرى، وخصت الوجوه بالذكر؛ لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده، ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن جسم الكافر كله. هذا؛ وقراءة الجمهور ﴿تُقَلَّبُ﴾ بالبناء للمجهول، وقرئ: (نُقَلِّب) بنون، وكسر اللام، ونصب (وُجُوهَهُمْ) وقرئ: (تُقَلِّبُ) بالبناء للمعلوم على اعتبار الفاعل عائداً إلى السعير، وقرأ بعضهم: (تَقَلَّبُ) على معنى: تتقلب، أي بحذف إحدى التاءين، أما ﴿ٱلنَّارِ﴾ فأصلها النَّوَر، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وهي من المؤنث المجازي، وقد تذكر، وتصغيرها نُوَيْرة، والجمع: أَنْوُرٌ، ونيران، ويكنى بها عن جهنم؛ التي سيعذب الله بها الكافرين، والفاسقين من أبناء المسلمين، والفعل: نار ينور، يستعمل لازماً، ومتعدياً؛ إذا بدئ بهمزة التعدية، كما في قولك: أنارت الشمس الكون.

﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾: يقولون هذا حين تقلب وجوههم في النار، فهم يتمنون: أنهم لم يكفروا، فينجون كما نجا المؤمنون، ولكن لا ينفعهم هذا التمني فتيلاً.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿يَقُولُونَ﴾، أو هو متعلق بالفعل: ﴿يَجِدُونَ﴾، أو بـ: ﴿نَصِيرًا﴾، أو هو متعلق بمحذوف تقديره: اذكر. ﴿تُقَلَّبُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿وُجُوهُهُمْ﴾: نائب فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، وعلى قراءة الفعل: (تَقَلَّبُ) بالبناء للمعلوم فـ: ﴿وُجُوهُهُمْ﴾ فاعله، وعلى قراءته بالنون؛ فالفاعل تقديره: «نحن»، وعلى قراءته (تُقَلِّب) فالفاعل يعود إلى السعير، وعلى هذين الوجهين فوجوههم مفعول به، وعلى جميع الاعتبارات فالجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿وُجُوهُهُمْ﴾. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع

مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وهذا على اعتبار الظرف متعلقاً به، وهي في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، أو من ﴿وُجُوهُهُمْ﴾ على الأوجه الأخرى في تعليق الظرف. (يا): حرف تنبيه، واعتبارها أداة نداء؛ والمنادى محذوف ضعيف جداً. (ليتنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أَطَعْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (ليت)، والجملة الفعلية بعدها معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿يَٰلَيْتَنَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: الضعفاء الذين اتبعوا الأقوياء، وهو معطوف على: ﴿يَقُولُونَ﴾، والعدول إلى الماضي، للإشعار بأن قولهم هذا ليس مستمراً، كقولهم السابق؛ بل هو ضرب اعتذار، أرادوا به ضرباً من التشفي بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة. ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾: يعنون بهم: الذين لقنوهم الكفر، والتعبير عنهم بعنوان السيادة، والكبراء؛ لتقوية الاعتذار، وإلا فهم في مقام التحقير، والإهانة. هذا؛ و(سادة) جمع: سيد، أو: سائد على غير قياس، وقرئ: (ساداتنا) على أنه جمع الجمع، وهو غير مقيس.

أما (السبيل) فهو الطريق يذكر ويؤنث بلفظ واحد، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ﴾، ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ والجمع على التأنيث: سبول، وعلى التذكير: سُبُل بضمتين وقد تسكن الباء، كما في: رُسُل، وعُسُر، ويُسُر. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل: رُحْم، وحُلْم، وأُسْد.

فائدة: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ: ونداء الرب قد كثر حذف (يا) النداء منه في القرآن، وعلة ذلك: أن حذف (يا) من نداء الرب تعالى فيه معنى التعظيم له، والتنزيه، وذلك؛ لأن النداء فيه ضرب من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيد! فمعناه: تعالَ زيدُ! أدعوك يا زيدُ! فحذفت (يا) من نداء «الرب» ليزول معنى الأمر وينقص؛ لأن (يا) تؤكده، وتظهر معناه، فكان في حذف (يا) التعظيم، والإجلال، والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في الْقُرآن، والكلام في نداء الرب لذلك المعنى. انتهى.

الإعراب: ﴿وَقَالُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها،

حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَطَعْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿سَادَتَنَا﴾: مفعول به، وعلى القراءة الثانية فعلامة النصب الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَأَضَلُّونَا﴾: فعل ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾: منصوب بنزع الخافض؛ إذ الأصل: عن السبيل، فلما حذف الجار؛ وصل الفعل إليه، فنصبه. والإضلال لا يتعدى إلى مفعولين من غير توسط حرف الجر كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾، والألف فيه وفي: ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ للإطلاق. هذا؛ والآية: ﴿رَبَّنَآ...﴾ إلخ كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: مثلَيْ ما أوتينا منه؛ لأنهم ضلوا، وأضلوا. وقال قتادة: عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة. ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾: هذا؛ ويقرأ: (كثيراً) بالثاء، واختاره أبو حاتم، وأبو عبيد، والنحاس، لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ ففيه معنى التكثير. قال محمد بن أبي السري: رأيت في المنام كأني في مسجد عسقلان، وكأن رجلاً يناظرني، فيمن يبغض أصحاب محمد ﷺ، فقال: «والعنهم لعناً كثيراً»، ثم كررها حتى غاب عني، لا يقولها إلا بالثاء، وقراءة الباء ترجع في المعنى، إلى الثاء؛ لأن ما كبر كان كثيراً عظيم المقدار. هذا؛ وانظر يضاعف في الآية رقم [٣٠]، وانظر كيف يلعن الكفار بعضهم بعضاً في الآية رقم [٢٥] من سورة (العنكبوت).

هذا؛ واللعن: الطرد من رحمة الله تعالى، ولقد كرر الله لعن الكافرين في الآية رقم [١٦١] من سورة (البقرة) كما لعن الظالمين، والكاذبين، والناقضين للعهد، والميثاق في آيات متفرقة، وهو دليل قاطع على أن من مات على كفره، فقد استحق اللعن من الله، والملائكة، والناس أجمعين، وأما الأحياء من الكفار، فقد قال العلماء: لا يجوز لعن كافر معين؛ لأن حاله عند الوفاة لا تعلم، فلعله يؤمن، ويموت على الإيمان؛ وقد قيد الله في آية البقرة إطلاق اللعنة على من مات على الكفر، ويجوز لعن الكفار جملة بدون تعيين، كما في قولك: لعن الله الكافرين، يدل عليه قول النبي ﷺ: **«لعنَ اللهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عليهم الشحومُ، فجمَّلُوها، وباعوهَا»**. وذهب بعضهم إلى جواز لعن إنسان معين من الكفار، بدليل جواز قتاله، وهو الصحيح؛ كيف لا؟ وقد لعن حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أبا سفيان وزوجه هنداً قبل أن يسلما في شعره، ولم ينكر عليه النبي ﷺ، خذ قوله: [الكامل]

لـعَـنَ الإِلـهُ وزوجَـهَـا مَـعَـهَـا هِـنْـدَ الْـهُـنُـودِ طـويـلَـةَ الْـبَـظْـرِ

وقد لعن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ أبا سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، وغيرهم الذين قدموا المدينة المنورة بعد غزوة أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم جماعة من المنافقين، وقالوا للنبي ﷺ: ارفض ذكر آلهتنا بسوء، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشق ذلك على سيد الخلق، وحبيب الحق، فقال الفاروق: يا رسول الله! ائذن لي في قتلهم. فقال: «**إني قد أعطيتهم الأمان**». فقال الفاروق ـ رضي الله عنه ـ: اخرجوا في لعنة الله، وغضبه، ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك. كيف لا؟ وآية (النور) رقم [٧] تأمر المسلم أن يلعن نفسه؛ إن كان من الكاذبين.

وأما العصاة من المسلمين فلا يجوز لعن واحد منهم على التعيين قطعاً، وأما على الإطلاق فيجوز كما في قولك: لعن الله الفاسقين، والفاسقات، والفاسدين، والفاسدات. . . إلخ، لما روي: أن النبي ﷺ، قال: «**لعنَ اللهُ السارقَ يسرقُ البيضةَ، والحبْلَ، فَتُقْطَعُ يَدُهُ**». ولعن رسول الله ﷺ: «**الواشمة، والمستوشمة وآكل الرِّبا، ولعن مَنْ غير منَار الأرض، ومَن انتسب إلى غير أبيه، ومَن عمِل عمل قوم لوط، ومَنْ أتى امرأة في دبرها، وغير ذلك**». وكل هذا في الصحيح من الأحاديث، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿رَبَّنَآ﴾: انظر مثله في الآية السابقة. ﴿ءَاتِهِمْ﴾: فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾. ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (العنهم): فعل دعاء أيضاً، والهاء مفعول به. ﴿لَعْنًا﴾: مفعول مطلق. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة له، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: لما ذكر الله المنافقين والكفار الذين آذوا رسول الله ﷺ والمؤمنين؛ حذر المؤمنين من التعرض للإيذاء، ونهاهم عن التشبه ببني إسرائيل في إذايتهم نبيهم موسى. واختلف الناس فيما أوذي به محمد ﷺ، وموسى عليه السلام، وأذكر ما يلي:

فبنو إسرائيل آذوا موسى كثيراً، وكثيراً، منها: قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، وقولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾، وقولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، وقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾.

ومن إيذائهم له: أنهم اتهموه بقتل أخيه هارون لما مات في التيه، فأمر الله تعالى الملائكة أن تحمله، حتى مروا به على بني إسرائيل، فعرفوا أنه لم يقتله. ومن إيذائهم له أن قارون استأجر بغياً؛ لتقذفه بنفسها على رأس الملأ، فعصمها الله، وبرأ موسى من ذلك، وأهلك قارون. انظر تفصيله في الآية رقم [٨١] من سورة (القصص). ومن إيذائهم له ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول ﷺ قال: «**كان بنو إسرائيلَ يغتسلون عُراةً، ينظرُ بعضُهُمْ إلى بعضٍ، وكان موسى عليه السلام يغتسلُ وحده، فقالوا: والله ما يمنعُ موسى أن يغتسلَ معنا إلا أنه آدر، قال: فذهب مرةً يغتسلُ، فوضع ثوبه على حجرٍ، ففرَّ الحجرُ بثوبِهِ، قال: فجمحَ مُوسَى بأثره، يقول: ثوبي حجرُ! ثوبي حجرُ! حتى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل، فنظروا إليه، وهو من أحسنهم خلقاً، وأعدلهم صورةً وليس به الذي قالوا، فأخذ ثوبه، فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر الضرب، ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً**». أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم مع اختلاف بينهما في ألفاظه.

أما إيذاء المؤمنين لنبيهم ﷺ: منه ما ذكرته لك في الآية رقم [٥٣]، ومنه ما رواه عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مئةً من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناساً من أشراف العرب، وآثرهم في القسمة، فقال رجل من الأنصار: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله! فقلت: والله لأُخْبِرَنَّ رسول الله ﷺ، قال: فأتيته فأخبرته بما قال، فتغير وجهه ﷺ حتى كان كالصِّرْفِ، ثم قال: «**فَمَنْ يعدِلُ إذا لَمْ يعدِلِ اللهُ ورسولُهُ؟!**». ثم قالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ موسى قد أُوذي بأكثرَ مِنْ هذا فصَبَرَ**». متفق عليه.

ويجدر بي أن أذكر: أن كثيراً من المسلمين يؤذون النبي ﷺ في هذه الأيام وهو في قبره حي طري، فالذين لا يأخذون بتعاليمه، ولا يتأدبون بآدابه، ولا يتخلقون بأخلاقه، ولا يتمسكون بسنته؛ بل الذين لا يعرفون شيئاً من ذلك، وهم أبعد ما يكونون عن سنته، فلعمري لا أدري هل نقول عنهم: إنهم منافقون، أم فاسقون، أم فاسدون، أم كافرون؟ فلا ريب أن الذين لا يأخذون بشرعه، ولا يعملون بالكتاب الذي أنزل عليه هم الكافرون.

﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾: ذا قربة، ووجاهة عند الله. والوجيه عند العرب: العظيم القدر، الرفيع المنزلة. ويروى: أنه كان إذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه، فقد كان مستجاب الدعوة.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر الآية رقم [٤٩]. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَكُونُوا۟﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: ﴿لَا﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع اسمها، والألف للتفريق. ﴿كَٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره. هذا؛ وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى: مثل؛ فهي الخبر، وتكون مضافة، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول

مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿ءَاذَوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدرة على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مُوسَىٰ﴾ مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية: ﴿لَا تَكُونُوا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. (برأه الله): فعل ماض، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (من)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي، أو من شيء قالوه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (من) التقدير: فبرأه الله من قولهم. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف عطف. (كان): فعل ماض ناقص، واسمه مستتر يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿وَجِيهًا﴾ بعده، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَجِيهًا﴾: خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: خافوه، وراقبوه في كل أعمالكم، وأقوالكم، وحركاتكم، وسكناتكم. ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: قاصداً إلى الحق. والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل، يقال: سدد السهم نحو الرَّمِيَّة: إذا لم يعدل عن سمتها، كما قالوا: سهم قاصد، وهذا بفتح السين. وهو بكسر السين لكل شيء سددت به شيئاً، وذلك مثل سِداد القارورة، وسِداد الثغر. قال العرجي: [الوافر]

أَضَاعُونِي وأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

وهو على هذا اسم آلة. وهو بضم السين داء في الأنف يمنع تنشم الريح. كذا في القاموس. وقد نظم بعضهم الثلاثة بقوله: [الرجز]

وَالاسْتِقَامَةُ هِيَ السَّدادُ ... وبلغةٌ مِنْ عَيْشٍ السِّدادُ

وجمعُ سُدَّةٍ أَتَى سُدَادُ ... وهيَ زكامٌ مَانِعٌ لِلنَّشْرِ

والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد في القول؛ لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله، والمعنى: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم، والإثابة عليها، ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها. وخذ هذه النبذة من أحاديث سيد الأنام في حفظ اللسان:

فعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قلْتُ: يا رسولَ اللهِ: ما النجاةُ؟ قال: «**أَمْسِكْ عليْكَ لِسَانكَ، وَلْيَسَعْكَ بيْتُكَ، وابكِ عَلَى خطِيئتِكَ**». رواه أبو داود، والترمذي، وعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يضمنْ لي ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وما بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ**». رواه البخاري وغيره. وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَسْتقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُهُ، ولا يستقيمُ قلبُهُ حتى يستقيمَ لسانُهُ، ولا يدخلُ الجنةَ رجلٌ لا يأمَنُ جارُهُ بوائِقَهُ**». رواه الإمام أحمد. وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لقي رسول الله ﷺ أبا ذر، فقال: «**يا أبَا ذَرٍّ! ألا أَدُلُّكَ علَى خصلتَيْنِ هُمَا خفيفتان على الظَّهر، وأثقلُ في الميزان مِنْ غيرهِمَا؟**». قالَ: بلَى يا رسولَ اللهِ! قَالَ: «**عَلَيْكَ بحُسْنِ الخلقِ، وطُولِ الصَّمْتِ، فوالَّذِي نفسي بيَدِهِ، ما عمِلَ الخَلائقُ بِمِثْلِهِمَا!**». رواه الطبراني، وغيره. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلِمةِ ما يَتَبَيَّنُ فيها يزِلُّ بها في النارِ أبْعَدَ ما بيْنَ الْمَشْرِقِ والمغربِ**». رواه الستة إلا أبا داود. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، فإنَّ كَثْرَةَ الكلامِ بِغَيْرِ ذكرِ اللهِ قسْوَةٌ للقلْبِ، وإنَّ أبْعَدَ النَّاسِ من الله تَعَالَى القلبُ القاسِي**». رواه الترمذي والبيهقي، وخذ قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [١١٤]: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

هذا؛ وآفات اللسان تزيد عن العشرين: الكلام فيما لا يعني، فضول الكلام، الخوض في الباطل، المراء، والجدال، التقعر في الكلام، الفحش، السب، اللعن، الغناء المشتمل على الفحش، الشعر المذموم، المزاح الممزوج بالكذب، السخرية بالناس، التنبيه على العيوب، إفشاء السر، الوعد الكاذب، اليمين الفاجرة، الغيبة، النميمة، التكلم بلسانين.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر الآية رقم [٤٩]. ﴿ٱتَّقُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم؛ والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها، والتي بعدها معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿قَوْلًا﴾: مفعول مطلق. ﴿سَدِيدًا﴾: صفة له.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ أي: يوفقكم للأعمال الصالحة، أو يصلحها بالقبول، والإثابة عليها. وقيل: إصلاح الأعمال: التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: يجعلها مكفرة، وممحاة بسبب استقامتكم في القول، والعمل. قال الزمخشري: وهذه الآية

مقررة للتي قبلها، بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله ﷺ، وهذه على الأمر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان؛ ليترادف عليها النهي والأمر، مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام، واتباع الأمر الوعد البليغ، فيقوى الصارف عن الأذى، والداعي إلى تركه.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما أمرا به، وفيما نهيا عنه. ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: يعش في الدنيا حميداً، وفي الآخرة سعيداً، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٤] من سورة (النور) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿يُصْلِحْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، التقدير: إن تقولوا قولاً سديداً يصلح، فلذا الوقف على ﴿سَدِيدًا﴾ غير جيد؛ بل الأحسن الوصل. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين فيها، وجملة: (يغفر لكم ذنوبكم) معطوفة عليها، وإعرابها مثلها، والفاعل بالفعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُطِعِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. (رسوله): معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿فَازَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (من) أيضاً. ﴿فَوْزًا﴾: مفعول مطلق. ﴿عَظِيمًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية: ﴿فَقَدْ فَازَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٣٠]، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أراد بالأمانة: الطاعة والفرائض؛ التي فرضها الله تعالى على عباده، عرضها على السموات، والأرض، والجبال على أنهم إن أدوها؛ أثابهم، وإن ضيعوها؛ عذبهم.

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: الأمانة أداء الصلوات، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وصدق الحديث، وقضاء الدين، والعدل في المكيال. وأشد من هذا كله الودائع. وقيل: هي جميع ما أمروا به، ونهوا عنه. وقيل: هي الصوم، وغسل الجنابة، وما يخفى من الشرائع.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: أول ما خلق الله من الإنسان الفرج، وقال: هذه الأمانة أستودعكها. فالفرج أمانة، والأذنان أمانة، والعين أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له.

وفي رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي أمانات الناس، والوفاء بالعهود، فحق على كل مؤمن ألا يغش مؤمناً، ولا معاهداً في شيء، لا في قليل، ولا في كثير. فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السموات، والأرض، والجبال. وهذا قول جماعة من التابعين، وأكثر السلف، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتنَّ؛ جوزيتنَّ، وإن عصيتنَّ؛ عوقبتن. قلْنَ: لا يا رب نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثواباً، ولا عقاباً. وقلن: ذلك خوفاً، وخشيةً، وتعظيماً لدين الله تعالى؛ لئلا يقوموا بها، لا معصية، ولا مخالفة لأمره. وكان العرض عليهن تخييراً، لا إلزاماً، ولو ألزمهنَّ؛ لم يمتنعْنَ من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله تعالى، مطيعة لأمره، ساجدة له.

قال بعض أهل العلم: ركب الله فيهن العقل، والفهم حين عرض عليهن الأمانة، حتى عقلن الخطاب، وأجبن بما أجبن، كما حكى الله عنهن قولهن: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ الآية رقم [١١] من سورة (فصلت). وقيل: المراد من العرض على السموات، والأرض، والجبال: هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها. والقول الأول هو الأصح، وهو قول العلماء.

﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾ أي: خفن من الأمانة ألا يؤدينها، فيلحقهن العقاب. ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ يعني: آدم، قال الله عزَّ وجلَّ لآدم: إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال، فلم تطقها، فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت؛ جوزيت خيراً، وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ وقال: بين أذني، وعاتقي، قال الله تعالى: أما إذا تحملت، فسأعينك، وأجعل لبصرك حجاباً، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل؛ فأرخ عليه حجابه (المراد به: الجفنان) وأجعل للسانك لحيين، وغلافاً، فإذا خشيت؛ فأغلقه عليه، وأجعل لفرجك لباساً، فلا تكشفه على ما حرمت عليك. قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: فما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر إلى العصر.

هذا؛ وفي الآية استعارة تمثيلية، مثل للأمانة في ضخامتها، وعظمها، وتفخيم شأنها بأنها من الثقل لو عرضت على السموات، والأرض، والجبال ـ وهي من القوة، والشدة بأعلى المنازل والمراتب ـ لأبت عن حملها، وأشفقت منها، وهو تمثيل رائع لتهويل شأن الأمانة. هذا؛ والأمانة مصدر، وحق المصادر أن لا تجمع؛ لأنها كالفعل يدل على القليل والكثير من جنسه، ولكن لما اختلف أنواع الأمانة لوقوعها على الصلاة، والزكاة، والتطهر، والحج، وغير ذلك من العبادات؛ جاز جمعها؛ لأنها لما اختلفت أنواعها؛ شابهت المفعول به، فجمعت كما

يجمع المفعول به، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿ظَلُومًا﴾ لنفسه. ﴿جَهُولًا﴾ بأمر ربه، وما تحمل من الأمانة. وقيل: ﴿ظَلُومًا﴾ حين عصى ربه. ﴿جَهُولًا﴾ لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة؟ وقيل: ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ حيث حمل الأمانة، ولم يف بها، وضمنها، ولم يف بضمانها. انتهى. خازن.

هذا؛ و(جهول) وصف للجنس باعتبار الأغلب، وكون الإنسان ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية، والشهوية الحيوانية. وخذ ما يلي:

فعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثَيْنِ، قدْ رأيتُ أحدَهُمَا، وأنا أنتظرُ الآخَرَ، حدثنا: **أَنَّ الأمانةَ نزلتْ في جَذْرِ قلوبِ الرِّجال، ثمَّ نزلَ القرآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ القرآنِ، وعلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ. ثم حَدَّثنا عن رفْعِ الأمانةِ، فقالَ: يَنَامُ الرَّجلُ النَّوْمَةَ فتُقْبَضُ الأمانةُ مِنْ قَلْبِهِ، فيظَل أثرُهَا مِثْلَ الوَكْتِ، ثم يَنَامُ الرجُلُ النوْمَةَ، فتُقْبَضُ الأَمَانةُ مِنْ قَلْبِهِ، فيظَلُّ أثْرُهَا مِثلَ المجْلِ كجمْرٍ دَحْرَجْتَهُ على رِجْلِكَ، فَنَفِطَ، فتراهُ مُنْتَبِراً، ولَيْسَ فيهِ شَيْءٌ (ثمَّ أَخَذَ حَصَاةً فدحْرَجَهَا على رِجْلِهِ) فيصبحُ النَّاسُ يَتَبايَعُونَ، لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأمانةَ حتَّى يُقَالَ: إِنَّ في بني فُلَانٍ رَجُلاً أميناً، حَتَّى يقالَ للرجلِ: ما أَجْلَدَهُ، ما أَظْرَفَه، ما أَعْقَلَهُ، وَمَا في قلبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خردلٍ من إِيمانٍ، وَلَقَدْ أَتى عَليَّ زمانٌ، وَمَا أبالِي أيكُم بايَعْتُ لئِنْ كَانَ مُسْلِماً؛ لَيَرُدَّنَّهُ عَلَى دِينِهِ، ولِئِنْ كانَ نصْرانياً، أو يَهُودياً؛ لَيَرُدَّنَّهُ على سَاعِيهِ. وَأَمَّا الْيَوْمَ فمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ منكمْ إِلَّا فلاناً وفلاناً**. متفق عليه. انتهى. خازن.

وروى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينما رسول الله ﷺ في مجلس يحدِّثُ القومَ، فجاء أعْرابيٌّ، فقالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فمضَى رسولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فقالَ بعضَ الْقَوْمِ: سمِعَ ما قالَ، فكرِهَ مَا قَالَ. وقال بعضُهُمْ: لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّى إِذَا قَضَى حديثَهُ، قال: «**أين السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**». قَالَ: هَاأَنَا يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانْتَظِر السَّاعةَ**». قالَ: كيْفَ إِضَاعَتُهَا يا رسولَ اللهِ؟! قال: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيْرِ أَهْلِهِ؛ فانتظرِ السَّاعَةَ**».

وعن علي ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ عن النبي ﷺ قال: «كنَّا جلوساً مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، فطلعَ علينا رَجُلٌ مِنْ أهلِ الْعَالِيَةِ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ! أخْبِرْني بأَشَدِّ شَيْءٍ في هَذَا الدِّينِ، وَأَلْيَنِه؟ فقال: «**أَلينه: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ. وأشدُّه يا أَخَا العاليةِ! الأمَانَةُ، إِنَّهُ لا دِينَ لِمَنْ لَا أمانةَ لهُ، ولا صَلَاةَ لَهُ، ولا زكاةَ لَهُ**». رواه البزار.

هذا؛ و(جهول): صيغة مبالغة اسم الفاعل: جاهل، وهو مَنْ يجهل ما يتعلق به من المكروه، والمضرة. ومن حق الحكيم ألّا يقدم على شيء حتى يعلم كيفيته، وحاله، ولا يشتري الحلم بالجهل، ولا الأناة بالطيش، ولا الرفق بالخرق، كما قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

فَإِنْ تَزْعُمِينِي كُنْتُ أَجْهَلُ فِيكُمُو فَإِنِّي شَرَيْتُ الْحِلْمَ بَعْدَكِ بِالْجَهْلِ

وإن لم يكن كذلك؛ يصدق عليه: أنه من أكبر الجهال، والحمار أفضل منه، كما قال الشاعر الحكيم: [البسيط]

فَضْلُ الحمارِ علَى الْجَهُولِ بخَلَّةٍ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ الَّذِي يَدْرِيهَا

إِنَّ الْحِمَارَ إِذَا تَوَهَّمَ لَمْ يَسِرْ وتُعَاوِدُ الجُهَّالُ مَا يُؤْذِيهَا

حقاً إن الحمار أفضل بكثير من الفاسقين الجاهلين: المقامرين، والظالمين، وشاربي الخمر . . . إلخ، ودليل ذلك: أنك لو وضعت الخمر للحمار، والبغل، ونحوهما لا يشربه، بل ينفر منه، ومع ذلك تجد المئات بل الألوف من البشر يشربونها ليلاً، ونهاراً.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿عَرَضْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلْأَمَانَةَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾: معطوفان على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وجملة: ﴿عَرَضْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿فَأَبَيْنَ﴾: الفاء: حرف عطف. (أبين): فعل ماض مبني على السكون، ونون النسوة فاعله. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَحْمِلْنَهَا﴾: فعل مضارع مبني على السكون وهو في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾، ونون النسوة فاعله. و(ها): مفعوله، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ معطوفة على جملة: ﴿عَرَضْنَا...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها، والرابط في الأولى رابط في الثانية، وجملة: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ معطوفة عليها أيضاً، وجملة: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: «ولكن عرضناها على الإنسان، فحملها . . . إلخ» وهذا الكلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾. ﴿ظَلُومًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿جَهُولًا﴾: خبر ثان، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ...﴾ إلخ تعليل لحمل الإنسان للأمانة.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: تعليل لحمل الأمانة، المعنى: عرضنا الأمانة على جميع المخلوقات، ثم قلدناها الإنسان؛ ليظهر شرك المشرك، ونفاق المنافق؛ ليعذبهم الله نتيجة سوء

أعمالهم، ومعتقداتهم، ويظهر إيمان المؤمن، فيثيبه الله. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: للتائبين من ذنوبهم. ﴿رَّحِيمًا﴾: بهم؛ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة. وانظر شرح (كان) في الآية رقم [١]. هذا؛ وفي الآية الكريمة من المحسنات البديعية: المقابلة، والطباق بين: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. وفي ختم السورة الكريمة بهذه الآية من المحسنات البديعية ما يسميه علماء البديع: رد العجز على الصدر؛ لأن السورة الكريمة بدئت في ذم المنافقين، وختمت ببيان سوء عاقبتهم، فحسن الكلام في البدء، والختام. وإنما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي سورة (الفتح) رقم [٦] لأن المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من المشركين؛ ولأن المشرك يمكن أي يحترز منه، ويجاهد؛ لأنه عدو مبين، والمنافق لا يمكن أن يحترز منه، ولا يجاهد، فلهذا كان شره أكثر من شر المشرك، فكان تقديم المنافق أولى. ومن المعلوم: أن المنافقين، والمنافقات كانوا في المدينة، وأن المشركين، والمشركات هم من أهل مكة.

الإعراب: ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: معطوفان على ما قبلهما منصوبان مثلهما، و«أن» المضمرة والفعل: (يعذب) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (حملها). وقيل: متعلقان بالفعل: ﴿عَرَضْنَا﴾. ﴿وَيَتُوبَ﴾: معطوف على يعذب منصوب مثله. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (يتوب). ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: معطوف على ما قبله. وجملة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ مستأنفة، وفيها معنى التوكيد لفحوى الكلام السابق. هذا؛ ويجوز في: ﴿رَّحِيمًا﴾ أن يكون خبراً ثانياً لـ: (كان)، وأجاز مكي اعتباره حالاً من الضمير المستتر في ﴿غَفُورًا﴾، وأجاز اعتباره نعتاً له، وهذا غير مسلم له؛ لأنهما اسمان من أسماء الله الحسنى على المعتمد. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (الأحزاب)، شرحاً وإعراباً، بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله ربِّ العالمين

سورة سبأ

سورة (سبأ) مكية بالإجماع، وهي أربع وخمسون آية، وثمانمئة، وثلاث وثلاثون كلمةً، وألف وخمسمئة واثنا عشر حرفاً. انتهى. خازن. وسميت سورة (سبأ) لأن الله تعالى ذكر فيها قصة سبأ، كما ستعرفه مفصلاً بعونه تعالى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ①﴾

الشرح: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معناه: أن كل نعمة، فهو الحقيق بأن يحمد، ويثنى عليه من أجلها. ولما قال: الحمد لله؛ وصف ملكه، فقال: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً. ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: كما له الحمد في الدنيا؛ إذ النعم في الدارين منه جلت قدرته؛ غير أن الحمد في الدنيا واجب؛ لأنها دار تكليف، وفي الآخرة غير واجب لعدم التكليف، لذا فإن في الكلام حذفاً، التقدير: وله الحمد في الدنيا. وهذا الحذف لدلالة الآخرة عليها، وإنما يحمده أهل الجنة سروراً بالنعيم، وتلذذاً بما نالوا من الأجر العظيم؛ حيث يقولون بعد دخولهم الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ...﴾ إلخ الآية رقم [٧٤] من سورة (الزمر)، ويقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ الآية رقم [٣٤] من سورة (فاطر). هذا؛ والآخرة: الحياة الثانية الأبدية، التي تكون بعد الموت، ثم البعث، والنشور، والحساب، والجزاء، وهي في الجنة لمن آمن وعمل صالحاً، أو في النار لمن كفر، وعمل سيئاً. ورحم الله من يقول: [البسيط]

الْـمَـوْتُ بَـابٌ وَكُـلُّ الـنَّـاسِ دَاخِـلُـهُ ... فَـلَـيْـتَ شِـعْـرِي بَـعْـدَ الْـبَـابِ مَـا الـدَّارُ؟

ورحم الله من أجابه بقوله: [البسيط]

الـدَّارُ جَـنَّـةُ عَـدْنٍ إِنْ عَـمِـلْـتَ بِـمَـا ... يُـرْضِـي الإِلَـهَ، وَإِنْ خَـالَـفْـتَ فَـالـنَّـارُ

هُـمَـا مَـحَـلَّانِ مَـا لِـلـنـاسِ غَـيْـرُهُـمَـا ... فَـانْـظُـرْ لِـنَـفْـسِـكَ مَـاذَا أَنْـتَ مُـخْـتَـارُ؟

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: بتدبير ما في السماء والأرض، والحكيم في أمره، وتدبير شؤون عباده؛ وهو الحكيم في جميع أفعاله. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بكل ما كان، وما يكون، والخبير بشؤون عباده، وما ببواطنهم، وأسرارهم، وأحوالهم. وفي الآية دليل واضح على أنه سبحانه يحب الحمد والمدح لنفسه؛ لأنه حمد نفسه في هذه الآية، وفي غيرها كثير. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لفظ الجلالة، أو هو بدل منه، ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وأن يكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني، أو أمدح. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، التقدير: له الذي يوجد في السموات، والجملة الاسمية هذه صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله عطف مفرد على مفرد وإعرابه مثله، وإن قدرت: وله ما في الأرض؛ فالعطف يكون عطف جملة اسمية على مثلها. ﴿وَلَهُ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: متعلقان بالحمد؛ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف حال منه على رأي من يجيز مجيء الحال من المبتدأ. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾: خبران للمبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، واعتبارها حالاً من الضمير المجرور محلاً باللام غير مستبعد، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يدخل في الأرض من المطر، والكنوز، والأموات، والدفائن. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: من النبات، والشجر، والعيون، والمعادن، والأموات؛ إذا بعثوا يوم القيامة. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من المطر، والثلج، والبرد، والصواعق والأرزاق، والمقادير، والبركات، والملائكة، والكتب؛ التي أنزلها على الرسل. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: صعد في السماء من الملائكة، وأعمال العباد، والأبخرة، والأدخنة، والغبار، وغير ذلك. ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾: بعباده حيث خلق من الأرض، أو أنزل من السماء ما يحتاجون إليه في معاشهم، وتأمين حاجياتهم. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: للمذنبين، والمقصرين في شكر نعمته مع كثرتها، أو: هو يغفر لهم ذنوبهم في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾.

هذا؛ و﴿يَلِجُ﴾ أصله: يَوْلِج، وماضيه: ولج، فحذفت الواو من مضارعه لوقوعها بين عدوتيها، وهما: الياء، والكسرة في مضارع الغائب، وتحذف من مضارع المتكلم، والمخاطب قياساً عليه، والمصدر: الولوج، وانظر شرح ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ وإعلاله في الآية رقم [٢٤] من سورة (الروم). والفعل: ﴿يَعۡلَمُ﴾ من المعرفة، لا من العلم اليقيني، فلذا اكتفى بمفعول واحد، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦] من سورة (الروم) أيضاً، وينبغي أن تعلم: أن ﴿مَا﴾ في هذه الآية وسابقتها واقعة على العاقل، وغيره، وأصل استعمالها لغير العاقل، ففي استعمالها في الآيتين تغليب غير العاقل على العاقل.

الإعراب: ﴿يَعۡلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَلِجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَا﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يَعۡلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من لفظ الجلالة، أو هي في محل رفع خبر ثالث لـ: (هو) في الآية السابقة، والرابط: الضمير فقط، وجملة: ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها بلا فارق، وأيضاً: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ معطوفة على ما قبله، وأيضاً ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ معطوف على ما قبله، وإعراب ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ مثل إعراب ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ إفراداً، وجملاً.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: المراد: أهل مكة. وقال مقاتل: قال أبو سفيان لكفار مكة: واللات، والعزَّى! لا تأتينا الساعة أبداً، ولا نُبعث. وقيل: استبطؤوا ما وُعِدُوه من قيام الساعة على سبيل اللهو، والاستهزاء، والسخرية. ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾: فهذا رد لكلامهم، وإثبات لما نفوه من إتيان الساعة. وهذه الآية هي الآية الثالثة التي أمر الله بها رسوله ﷺ أن يقسم بربه على وقوع المعاد، والأولى في سورة (يونس) رقم [٥٣]: ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ﴾، والثانية في سورة (التغابن) رقم [٧]: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾. ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾: لا يفوت علمه شيء من الخفيات، وإذا كان كذلك؛ دخل في علمه وقت قيام الساعة، وهي واقعة لا محالة. هذا؛ ويقرأ بجر ﴿عَٰلِمِ﴾ ورفعه. هذا؛ و﴿ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ ما غاب عن الإنسان، ولم تدركه حواسه، قال الشاعر: [الطويل]

وَبِالْغَيْبِ آمَنَّا، وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا ... يُصَلُّونَ لِلأَوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدِ

﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ﴾: لا يغيب عن علمه، ويقرأ بضم الزاي، وكسرها. ﴿مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾: وزن ذرة، وهي النملة الصغيرة، وتقال لكل جزء من أجزاء الهباء المنتشر في الفضاء، وهي لا ترى إلا في ضوء الشمس الداخل إلى مكان مظلم. ﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: من مثقال ذرة. ﴿وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ أي: أكبر منها. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ أي: في اللوح المحفوظ. ﴿مُّبِينٖ﴾ أي: واضح، لا خفاء فيه، وإعلاله مثل إعلال ﴿مُّهِينٌ﴾ في الآية رقم [٦] من سورة (لقمان)، وانظر شرح ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ في الآية رقم [١٤] من سورة (الروم)، وشرح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في الآية رقم [٢٢] منها.

أما ﴿بَلَىٰ﴾؛ فهي إثبات لما نفوه من إتيان الساعة قطعاً، و﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب، كنعمْ، وجيْر، وأجلْ، وإي، إلا أنَّ ﴿بَلَىٰ﴾ جواب لنفي متقدم؛ أي: إبطال، ونقض، وإيجاب له، سواءٌ دخله الاستفهام، أم لا؟ فتكون إيجاباً له، نحو قول القائل: ما قام زيد، فتقول: بلى. أي: قد قام. وقوله: أليس زيدٌ قائماً؟ فتقول: بلى؛ أي: هو قائم. قال تعالى: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو قالوا: نعم لكفروا. وخذ ما يلي:

قال محمد علي الصابوني: ظل الاعتقاد السائد حتى القرن التاسع عشر: أن الذرة هي أصغر جزء يمكن أن يوجد في عنصر من العناصر، وأنها غير قابلة للتجزئة؛ لأنها الجزء الذي لا يتجزأ، وقد مضت قرون على هذا الاعتقاد، ومنذ عشرات السنين الماضية حول العلماء اهتمامهم إلى مشكلة الذرة، فأمكنهم تجزئتها، وتقسيمها، وقد وجدوا أنها تحتوي على الدقائق الآتية: البروتون، النيترون الإلكترون، وبواسطة هذه التجزئة اخترعوا القنبلة الذرية، والقنبلة الهيدروجينية، ونعوذ بالله من قيام الساعة، ومن شر إبليس اللعين، استمع إلى قوله تعالى عند الإخبار عن الذرة: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ...﴾ إلخ.

فكلمة: ﴿أَصۡغَرُ﴾ من الذرة في الآية القرآنية تصريح جلي بإمكان تجزئتها. وفي قوله: ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ بيان بأن خواص الذرات في الأرض هي نفس خواص الذرات الموجودة في الشمس، والنجوم، والكواكب فهل درس محمدٌ ﷺ خواصَّ الذرة، وأمكنه تجزئتها، والوقوف على خواصها في الأرض، والسماء، إنها لدليل قوي على أن القرآن وحي إلهي.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَأۡتِينَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلسَّاعَةُۖ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب في محل نصب مقول القول. ﴿وَرَبِّي﴾: الواو: حرف قسم وجر. (ربي): مقسم به مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء

المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم بربي. ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (تأتينكم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ تقديره: «هي»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، والقسم، وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿عَٰلِمِ﴾: بالجر صفة: (ربي)، أو بدل منه، ويقرأ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو عالم. أو: هو مبتدأ، خبره الجملة بعده، فعلى هذا يوقف على: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، وعلى قراءة الجر لا يوقف، و﴿عَٰلِمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْزُبُ﴾: فعل مضارع. ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان به. ﴿مِثْقَالُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿عَٰلِمِ﴾ وهذا على قراءته بالجر، وهي في محل رفع خبره على قراءته بالرفع، واعتباره مبتدأ، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر فيه، واعتباره خبراً لمبتدأ محذوف. و﴿مِثْقَالُ﴾ مضاف، و﴿ذَرَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ذَرَّةٍ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف حال ولا وجه له. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿لَا﴾: صلة لتأكيد النفي. ﴿ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي أيضاً. ﴿أَصْغَرُ﴾: بالرفع عطفاً على: ﴿مِثْقَالُ﴾، وبالجر عطفاً على ﴿ذَرَّةٍ﴾، ولم يرتض هذا البيضاوي تبعاً للزمخشري؛ بل قال: هو مبتدأ على رفعه، واسم (لا) على اعتبارها نافية للجنس على نصبه. وقال البيضاوي: ولا يجوز عطف المرفوع على ﴿مِثْقَالُ﴾ والمفتوح على ﴿ذَرَّةٍ﴾ بأنه فتح في موضع الجر، لامتناع الصرف؛ لأن الاستثناء يمنعه، اللهم إلا أن يجعل الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ للغيب، وجعل المثبت في اللوح خارجاً عنه لظهوره على المطالعين له، فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطوراً في اللوح. هذا؛ ونقل الجمل عن السمين تجويز ما قاله أبو البقاء، وما قاله البيضاوي.

﴿مِن﴾: حرف جر. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿مِن﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿أَصْغَرُ﴾ على جميع الوجوه المتقدمة في الإعراب، إلا إذا اعتبرناه مبتدأ، أو اسماً لـ: (لا) فالجار والمجرور يتعلقان بمحذوف خبر للمبتدأ، أو لـ: (لا)، وذلك على قول البيضاوي الأول، وحذف مثلها بعد: ﴿أَكْبَرُ﴾. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَكْبَرُ﴾: معطوف على ﴿أَصْغَرُ﴾ على القراءتين. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿أَصْغَرُ﴾ و﴿أَكْبَرُ﴾ على اعتبارهما مبتدأ.

وهما في محل نصب حال على اعتبار ﴿أَصْغَرُ﴾ و﴿أَكْبَرُ﴾ معطوفين على ما قبلهما. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿كِتَٰبٍ﴾.

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٤﴾

الشرح: المعنى: إن الساعة آتية لا ريب فيها؛ ليثيب المؤمنين الصادقين، ويجزي الصالحين على أعمالهم التي عملوها في الدنيا. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة لـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٞ﴾ أي: لذنوبهم. ﴿وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾: في الجنة، وانظر الآية رقم [٣١] من سورة (الأحزاب) ولا تنس الاحتراس، وانظره في الآية رقم [١٥] من سورة (الروم).

الإعراب: ﴿لِّيَجْزِيَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (ربي)، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: (اللام)، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، التقدير: ما يستحقون من مثوبة وأجر. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، تقديره: آمنوا بالله... إلخ، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ﴾: صفة لمفعول محذوف، التقدير: عملوا الأعمال الصالحات، فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسرة في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّغْفِرَةٞ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَرِزْقٞ﴾: معطوف على ﴿مَّغْفِرَةٞ﴾، ﴿كَرِيمٞ﴾ صفة: (رزق).

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: عملوا جاهدين في إبطال أدلتنا، والتكذيب بآياتنا، وتزهيد الناس فيها. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مسابقين، يحسبون: أنهم يفوتوننا، وأننا لا نقدر على بعثهم في الآخرة للحساب، والجزاء، وظنوا: أنا نهملهم. وقرئ: (معجزين) وفسر بمثبطين عن الإيمان مَنْ أراده. هذا؛ وعاجزه: سابقه؛ إذا كان واحد منهما يسعى في طلب إعجاز الآخر عن اللَّحاق به، فإذا سبقه قيل: أعجزه، وعجَّزه؛ ويقرأ (مُعَجِّزين) بتشديد الجيم، ومعنى: ﴿سَعَوۡ﴾: اجتهدوا، وعملوا بجد، واجتهاد. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة إلى: (الذين سعوا...) إلخ. ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾: الرجز: سوء العذاب، وقد قال تعالى في أنواع العذاب الذي حل بفرعون، وقومه: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ...﴾ إلخ الآية رقم [١٣٤] من سورة (الأعراف). وانظر مقابلة الإيمان بالكفر في الآية رقم [٣٨] الآتية.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): معطوف على مثله في الآية السابقة. ﴿سَعَوْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. وفاعله مستتر فيه، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: عقاباً شديداً، وذلك ليقابل المحذوف في الآية السابقة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾. ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿عَذَابٌ﴾. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾، ويقرأ بالجر على أنه صفة ﴿رِّجْزٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾

الشرح: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: يعلم، ويعتقد أولو العلم من الصحابة، ومن تبعهم، وسار على طريقتهم من الأمة، وأيضاً من أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن الكريم. ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ أي: إنه من عند الله. ﴿وَيَهْدِيٓ﴾: يدل، ويقود. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: إلى دين الإسلام؛ الذي هو دين الله. هذا؛ والصراط في الأصل: الطريق، استعير لدين الإسلام في كثير من الآيات، وهو يذكر، ويؤنث، والأول أكثر. و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: القوي الغالب؛ الذي لا يغلب. و﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المحمود بكل لسان، والممجد في كل مكان على كل حال.

الإعراب: ﴿وَيَرَى﴾: الواو: حرف استئناف، والفعل: (يرى) مرفوع. وقيل: بل هو منصوب بالعطف على (يجزي) وعلامة رفعه، أو نصبه ضمة، أو فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة على الاعتبار الأول، لا محل لها، وهي في تأويل مصدر على عطف الفعل على سابقه. ﴿أُوتُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿ٱلْعِلْمَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلَّذِيٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول للفعل: (يرى). ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود إلى (الذي) وهو العائد. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور

متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيه، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، لا محل له. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به ثان. هذا؛ ويقرأ برفعه، فيكون الضمير مبتدأ، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان للفعل (يرى)، والجملة الفعلية: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَيَهْدِىٓ﴾: الواو: حرف عطف. (يهدي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، ومفعوله محذوف، التقدير: ويهدي الناس، والجملة الفعلية معطوفة على ﴿ٱلْحَقَّ﴾، أو على الجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ فهي في محل نصب على الاعتبارين. وقيل: هي مستأنفة. وقيل: هي في محل نصب حال من: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ على تقدير: وهو يهدي. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿صِرَٰطِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: بدل من: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: كفار قريش، قال بعضهم لبعض. ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي: هل نرشدكم إلى رجل يخبركم ويقول لكم: إنكم تبعثون بعد البلى في القبور، وتمزيق لحومكم، وتفريق شعوركم، وتقطيع أوصالكم، يريدون بالرجل: رسول الله ﷺ، وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ علمٌ مشهور في قريش، وكان إخباره بالبعث شائعاً عندهم، ولكنهم نكَّروه بقولهم: ﴿رَجُلٍ﴾ استهزاءً، وسخريةً، فأخرجوه مخرج التحلِّي ببعض الأحاجي، التي يتحاجى بها للضحك، والتلهِّي، متجاهلين به، وبأمره. قاتلهم الله أنى يؤفكون! ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: إنكم تخرجون من قبوركم، وتنشؤون خلقاً جديداً بعد أن تُمَزَّق أجسادكم كل تمزيق، وتفرق عظامكم وأوصالكم كل تفريق، بحيث تصير تراباً، ورفاتاً. هذا؛ و﴿جَدِيدٍ﴾ فعيل بمعنى: فاعل عند البصريين، وبمعنى: مفعول عند الكوفيين، من: جددته، أي قطعته. وعلى الأول يقال: جد الشيء، فهو جاد، وجديد. هذا؛ وانظر شرح الكفر في الآية رقم [٣٤] من سورة (الروم).

الإعراب: (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿نَدُلُّكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿رَجُلٍ﴾ تقديره: «هو»، والكاف مفعول به

أول، والمفعول الثاني المجرور بالحرف محذوف، التقدير: بأنكم تبعثون إذا مزقتم... إلخ، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿رَجُلٍ﴾.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: «تبعثون» الذي تراه مقدراً. ﴿مُزِّقْتُمْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، والتاء نائب فاعله. ﴿كُلَّ﴾: نائب مفعول مطلق، وأجاز الزمخشري اعتباره ظرف مكان، التقدير: كل مكان تمزيق من القبور، وبطون الوحش، والطير، فهو متعلق بالفعل قبله. و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿مُمَزَّقٍ﴾ مضاف إليه، و«أنَّ» المقدرة، واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني.

﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿لَفِى﴾: اللام: هي المزحلقة. (في خلق): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿جَدِيدٍ﴾: صفة ﴿خَلْقٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ فيها معنى التأكيد لما قدرته محذوفاً، أو هي بدل منه، وكسرت الهمزة بسبب لام الابتداء، التي زحلقت إلى الخبر. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿إِذَا﴾ شرطية، وجوابها محذوف، التقدير: إذا مزقتم كل ممزق؛ بعثتم. وعليه فالجملة الشرطية يحتمل أن تكون معمولة لـ: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾؛ لأنه في معنى يقول لكم إذا مزقتم كل ممزق؛ تبعثون، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. ويحتمل أن يكون: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معلقاً لـ: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ ساداً مسد المفعولين، ولولا اللام؛ لفُتِحت (إنَّ) وعلى هذا فجملة الشرط اعتراض. وعلى جميع الاعتبارات؛ فجملة: ﴿مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: يحتمل أن يكون هذا من تمام قول الكافرين أولاً، أي من كلام القائلين: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ...﴾ إلخ، ويحتمل أن يكون من كلام السامع المجيب للقائل: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ كأن القائل لما قال له: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ أجابه، فقال: هو يفتري على الله كذباً... إلخ، و﴿جِنَّةٌۢ﴾ بمعنى: جنون؛ أي: خبل، وذهاب عقل. وهو أيضاً جمع: جني قال تعالى في سورة (الناس): ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وهو بفتح الجيم: الحديقة، ذات الأشجار، وجمعها: جنات، وهو بضم الجيم: كل ما استترت به، وكل ما وقيت به نفسك من السلاح، والرماح، ومنه: المِجن، والمِجنة بكسر الميم فيهما، وهو الترس؛ الذي كان يتخذ للوقاية من ضربات السيوف، والرماح، وخذ قوله تعالى في سورة (المجادلة) وسورة (المنافقون) وهو من باب الاستعارة: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ: هذا جواب عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالإضراب عن شقيه، وإبطالهما، وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال، منادٍ عليهم بسوء حالهم، وبطلان ما قالوا في حقه. كأنه قيل: ليس الأمر كما زعموا؛ بل هم في كمال اختلال العقل، وغاية الضلال عن الفهم، والإدراك؛ الذي هو الجنون حقيقة، وفيما يؤدي إليه ذلك من العذاب، ولذلك يقولون ما يقولون. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود.

هذا؛ والضلال: مصدر: ضل الثلاثي، ومصدر الرباعي: الإضلال، فهو مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضلالاً، أو هو مجاز عقلي على حد: جد جده؛ لأن البعيد في الحقيقة إنما هو الضال؛ لأنه هو الذي يتباعد الطريق، فوصف به فعله، وانظر الآية رقم [١١] من سورة (لقمان).

وأخيراً فالهمزة بقوله: ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ همزة الاستفهام، واستغنى بها عن همزة الوصل، فحذفتها، والأصل «أَأَفْتَرى» فحذفت الألف الثانية؛ لأنها ألف الوصل. فإن قيل: فهلا أتوْا بمدة بعد الألف، فقالوا: آفترى، كقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ...﴾ إلخ قيل له: كان الأصل في هذا «أَأَلله؟» «أَأَلْذَّكَريْنِ» فأبدلوا من الألف الثانية مدة؛ ليفرقوا بين الاستفهام، والخبر، وذلك أنهم لو قالوا: «اللهُ خَيْرٌ؟» بلا مدٍّ لالتبس الاستفهام بالخبر. ولم يحتاجوا إلى هذه المدة في قوله: ﴿أَفْتَرَىٰ﴾. ﴿أَطَّلَعَ﴾ لأن ألف الاستفهام مفتوحة، وألف الخبر مكسورة، وذلك: أنك تقول في الاستفهام «أَطَّلَعَ؟ أَفْتَرى؟ أَصْطَفى؟ أَسْتَغْفَرْتَ؟» بفتح الألف، وتقول في الخبر: «إطلع، إفترى، إصطفى، إستغفرت لهم» بالكسر، فجعلوا الفرق بالفتح والكسر ولم يحتاجوا إلى فرق آخر. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿أَفْتَرَىٰ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (افترى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى ﴿رَجُلٍ﴾. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَفْتَرَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول؛ إن كان من تمام قول الكافرين، ومستأنفة؛ إن كانت من كلام السامع. ﴿أَم﴾: حرف عطف. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جِنَّةٌۢ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿بَلِ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. (الضلال): معطوف على ما قبله. ﴿ٱلْبَعِيدِ﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر تقديره في الشرح.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا...﴾ إلخ: أعلم الله تعالى الكفار: أن الذي قدر على خلق السموات، والأرض، وما فيهن قادر على البعث، وعلى تعجيل العقوبة لهم، فاستدل بقدرته عليهم، وأن السموات والأرض ملكه، وأنهما محيطتان بهم من كل جانب؛ فكيف يأمنون الخسف، والكسف، كما فعل بقارون، وأصحاب الأيكة قوم شعيب، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. والمعنى: أَعُمُوا، فلم ينظروا إلى السماء والأرض، وأنهما حيثما كانوا، وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم، لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما، وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجل، ولم يخافوا أن يخسف الله بهم، أو يسقط عليهم كسفاً؛ لتكذيبهم الآيات، وكفرهم بالرسول ﷺ، وبما جاء به، كما فعل بقارون، وأصحاب الأيكة؟

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: النظر إلى السماء، والأرض، والتفكر فيهما، وما تدلان عليه من قدرة الله تعالى. ﴿لَآيَةً﴾: لدلالة، وعلامة. ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: راجع إلى ربه، مطيع له؛ إذ المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث، والحساب، ومن عقاب من يكفر به. وخص المنيب بالذكر؛ لأنه هو الذي ينتفع بالتفكر في حجج الله، وآياته.

هذا؛ والتعبير عن الأمام، والخلف بقوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ كثير في القرآن الكريم، وإن اختص كل موضع بتفسير حسب مقتضيات الأحوال، واختلافها، فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ في الآية رقم [٢٨] من سورة (الأنبياء) يفسر بغير ما في هذه الآية، وكذلك الآية رقم [١١٠] من سورة (طه) وكلتاهما تخالفان معنى قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية رقم [٦٤] من سورة (مريم) على نبينا، وحبيبنا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. وهكذا، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وليعلم: أن الأفعال «نشأْ، نَخْسِفْ، نسقطْ» تقرأ بالنون، والياء، و﴿كِسَفًا﴾ يقرأ بفتح السين، وسكونها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٨] من سورة (الروم).

الإعراب: ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والفعل بصري، فلذا اكتفى بالجار والمجرور بعده. ﴿إِلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جرٍّ بـ: ﴿إِلَىٰ﴾ والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محلِّ نصب مفعوله. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف

مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): معطوف على ما قبله، وهو في محل جر أيضاً. ﴿خَلْفَهُم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: (ما)، و﴿مِّنَ﴾ بيان لما أبهم في (ما). ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، وجملة: ﴿أَفَلَمْ...﴾ إلخ معطوفة على محذوف، التقدير: أعموا، فلم ينظروا على رأي الزمخشري، ومستأنفة على رأي غيره.

﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿نَّشَأْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن»، أو تقديره: «هو» يعود إلى الله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿نَخْسِفْ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، وفاعله تقديره: «نحن»، أو «هو»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها لم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿بِهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿نُسْقِطْ﴾: معطوف على ما قبله. وفاعله مستتر أيضاً، تقديره: «نحن» أو: «هو». ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كِسَفًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿كِسَفًا﴾، والجملة الشرطية: ﴿إِن نَّشَأْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾، تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَآيَةً﴾: اللام: لام الابتداء. (آية): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿لِّكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (آية)، وكل مضاف، و﴿عَبْدٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مُّنِيبٍ﴾: صفة ﴿عَبْدٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ أي: مزية على سائر الأنبياء، وهو ما ذكر في هاتين الآيتين، أو مزية على سائر الناس، فيدخل فيه النبوة، والزبور، والملك، والصوت الحسن. فقد كان عليه الصلاة والسلام ذا صوت حسن، ووجه حسن، وقد أعطي من حسن الصوت ما يتزاحم الوحوش من الجبال على حسن صوته، وكان الماء الجاري ينقطع عن الجري، وقوفاً لصوته. وحسن الصوت هبة من الله تعالى، وتفضل منه. وقال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: **«لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مزامير آل دَاودَ»**. قال العلماء: المزمار والمزمور: الصوت الحسن، وبه سميت آلة الزمر مزماراً. ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ أي: سبحي معه. قال أبو ميسرة: هو التسبيح بلسان الحبشة، ومعنى تسبيح الجبال: هو أن الله تعالى خلق فيها تسبيحاً، كما خلق الكلام في الشجرة، فَيُسمع منها ما يُسمع من المسبح معجزةً لداود، على

نبينا، وعليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم. وقيل: المعنى سيري معه حيث شاء، من: التأويب الذي هو سير النهار أجمع، وينزل الليل، قال ابن مقبل: [الطويل]

لَحِقْنَا بِحَيٍّ أَوَّبُوا السَّيْرَ بَعْدَ مَا دفعْنَا شُعَاعَ الشمسِ والطرْفُ يجنح

وقرأ الحسن، وقتادة وغيرهما: (أوْبي معه) أي: ارجعي معه، من آب، يؤوب: إذا رجع، أوْباً، وأوْبَةً، وإِيَاباً. وقيل: المعنى تصرفي معه على ما يتصرف عليه داود بالنهار، فكان إذا قرأ الزبور صوتت معه الجبال، وأصغت إليه الطير، فكأنها فعلت ما فعل. وقال وهب بن منبه: المعنى: نوحي معه، والطير تساعده على ذلك، فكان إذا نادى بالنياحة؛ أجابته الجبال بصداها، وعكفت الطير عليه من فوقه. وصريح قوله تعالى في الآية رقم [٧٩] من سورة (الأنبياء): ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾، وصريح قوله تعالى في الآية رقم [١٨] من سورة (ص): ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ يؤيد التسبيح لا غيره. ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ أي: كانت تسبح معه، عليه الصلاة والسلام. قيل: كان إذا وجد فترة في الذكر؛ أمر الجبال، والطير، فسبحت؛ حتى ينشط؛ ويشتاق للتسبيح. وفيه ما فيه من الفخامة، والدلالة على عظم شأنه، وكبرياء سلطانه؛ حيث جعل الله الجبال، والطيور كالعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ مشيئته فيها. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾: أي جعلناه له لَيِّناً، كالطين والعجين، والشمع، يصرفه بيده كيف يشاء، من غير نار، ولا ضرب بمطرقة.

هذا؛ وداود: هو ابن إيشا، وكان في عسكر طالوت، وهو من سبط الملوك، وهو سبط يهوذا بن يعقوب. أما سبط النبوة فهو سبط لاوي بن يعقوب. وقد بارز جالوت، وقتله، كما رأيت في الآية رقم [٢٥١] من سورة (البقرة). فلما قتل جالوت زوجه طالوت بنته، وأشركه معه في الحكم، وقد دام ملك طالوت أربعين سنة، فلما استقل داود بالحكم، وأعطاه الله النبوة، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وذلك بعد موت النبي شمويل، وبعد موت طالوت، ولم يجتمع الملك، والنبوة لغير داود، وابنه سليمان، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. وكانت مدة ملك داود بعد طالوت سبع سنين، وفي عهد داود وقعت حادثة أهل السبت، التي رأيت تفصيلها في الآية رقم [١٦٣] وما بعدها من سورة (الأعراف) وعاش داود مئة سنة، وبينه وبين موسى خمسمئة وتسع وستون سنة. وقيل: وتسع وسبعون، وعاش سليمان تسعاً وخمسين سنة، وبينه وبين مولد نبينا، وحبيبنا عليه، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام نحو ألف وسبعمئة سنة. انتهى. جمل. نقلاً من التحبير للسيوطي.

هذا؛ وقيل: إنه عاش ثلاثاً وخمسين سنة، وملك؛ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فبقي في ملكه أربعين سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع سنين من ملكه.

تنبيه: روي: أن سبب ذلك: أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل لقي مَلَكاً، وداود يظنه إنساناً، وداود متنكر خرج يسأل الناس عن نفسه، وسيرته في بني إسرائيل في خفاء، فقال

داود لذلك الشخص الذي تمثل له: ما قولك في هذا الملك داود؟ فقال له الملك: نِعْمَ العبدُ لولا خلة فيه! قال داود: وما هي؟ قال: يرتزق من بيت المال، ولو أكل من عمل يده لتمت فضائله، فرجع، فدعا الله تعالى أن يعلمه صنعة، ويسهلها عليه، فعلمه صنعة الدروع، كما قال تعالى في الآية رقم [٨٠] من سورة (الأنبياء): ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ...﴾ إلخ فألان له الحديد، فصنع الدروع، فكان يصنع الدرع فيما بين يومه، وليلته يساوي ألف درهم؛ حتى ادَّخر منها كثيراً، وتوسعت معيشة أهل بيته، وكان يتصدق على الفقراء والمساكين، وكان ينفق ثلث المال في مصالح قومه، وهو أول من اتخذ الدروع، وصنعها، وكانت قبل ذلك صفائح.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم، وفضائلهم؛ إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم، والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخَليِّ عنِ الامتنان، إلا للواحد المنان، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ خَيْرَ ما أكلَ المرءُ مِنْ عملِ يدِهِ، وإن نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كانَ يأْكُلُ مِنْ عملِ يَدِهِ**». انتهى. هذا؛ وخذه من الترغيب والترهيب، كما يلي: عن المقدام بن مَعْدِ يكربَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما أكلَ أحدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يأكُلَ مِنْ عَمَلِ يدِهِ، وإنَّ نبيَّ اللهِ داودَ ـ عليه الصلاة، والسلام ـ كانَ يأكلُ مِنْ عملِ يَدِهِ**». رواه البخاري وغيره.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٣] من سورة (السجدة). ﴿دَاوُۥدَ﴾: مفعول به أول. ﴿مِنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿فَضْلًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة؛ إذا تقدم عليها؛ صار حالاً». ﴿فَضْلًا﴾: مفعول به ثان، والكلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا...﴾ إلخ مستأنف لا محل له. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (جبال): منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا). ﴿أَوِّبِى﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، وياء المخاطبة فاعله، والجملة الفعلية والجملة الندائية بدل من: ﴿ءَاتَيْنَا﴾ التقدير: قلنا: يا جبال، أوبي، أو بدل من: ﴿فَضْلًا﴾ التقدير: قلنا: يا جبال، أوبي، انتهى. من الكشاف. وهذا يعني: أن الجملتين في محل نصب مقول القول المقدر، فعلى الأول هو فعل، وعلى الثاني المقدر مصدر، وأرى أن اعتبار الجملتين تفسيراً لـ: ﴿فَضْلًا﴾ جيد، ولا بأس به. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: يقرأ بالنصب، والرفع، فالنصب فيه أربعة أوجه: الأول: هو معطوف على موضع (جبال). والثاني: هو مفعول معه، والواو واو المعية. والثالث: هو معطوف على

﴿فَضْلًا﴾ على معنى: وآتيناه تسبيح الطير. قاله الكسائي. والرابع: هو منصوب بفعل محذوف، التقدير: وسخرنا له الطير. وأما الرفع؛ ففيه وجهان: أحدهما هو معطوف على لفظ (جبال). والثاني: هو معطوف على ياء المخاطبة في ﴿أَوِّبِى﴾، وأغنت (مع) عن توكيد الضمير المتصل بضمير الرفع المنفصل. ﴿وَأَلَنَّا﴾: والواو: حرف عطف. (ألنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْحَدِيدَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ معطوفة على جملة ﴿ءَاتَيْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي: أمرناه بأن اصنع دروعاً سابغات؛ أي: كاملات، واسعات طوالاً، تسحب في الأرض. هذا؛ ويقرأ: (صابغات) بالصاد، ورأيت في الآية السابقة: أنه هو أول من اتخذ الدروع بهذا الشكل. ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: التقدير الذي أُمِرَ به هو في المسمار؛ أي: لا تجعل مسمار الدرع رقيقاً فيَقْلَقُ، أي لا يستقر في مكانه، ولا غليظاً فيفصم الحلق. أو المعنى: اجعل الدرع متوسطة، لا ثقيلة تتعب حاملها، ولا رقيقة خفيفة لا ترد عن صاحبها ضربات السيوف. هذا؛ والسرد: نسج حلق الدروع، ومنه قيل لصانع حلق الدروع: السَّراد، والزرَّاد بإبدال السين زاياً، والسرد: الخرز، ويقال: سرد الحديث، والصوم؛ أي: أتى بهما ولاءً في نسق واحد، ومنه: سرد الكلام. قالت عائشة - رضي الله عنها -: لم يكن النبي ﷺ يسردُ الحديثَ كسردِكُمْ، وكانَ يحدِّثُ الحديثَ لو أراد العادُّ أن يَعُدَّهُ؛ لأحصاهُ. ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾: هذا أمر لداود، وأهل بيته. ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: فأجازيكم به، إن خيراً؛ فخير، وإن شراً فشر. وفي الكلام التفات من خطاب الواحد إلى خطاب الجماعة، كما هو ظاهر.

الإعراب: ﴿أَنِ﴾: مفسرة، أو مصدرية. ﴿ٱعْمَلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾: صفة لمفعول به محذوف، فهو منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ...﴾ إلخ مفسرة للفعل المقدر بـ: أمرنا. وعلى اعتبار ﴿أَنِ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أمرناه بعمل سابغات. ﴿وَقَدِّرْ﴾: الواو: حرف عطف. (قدر): فعل أمر، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿فِى ٱلسَّرْدِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الاعتبارين فيها. (اعملوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به، وهو صفة لموصوف محذوف، التقدير: اعملوا عملاً صالحاً، لذا قيل: صفة لمفعول مطلق محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، و(يا) المتكلم اسمه. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَصِيرٌ﴾ بعدهما، و: (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم. ﴿بَصِيرٌ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح. ويقرأ برفع الريح. ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي: جريها بالغداة، أي في الصباح مسيرة شهر، وجريها بالعشي مسيرة شهر آخر، فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهرين. قيل: كان يغدو من دمشق، فيقيل بإصطخر، وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من إصطخر، فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الأنبياء) الآية رقم [٨١]: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ...﴾ إلخ وقال في سورة (ص) الآية رقم [٣٦]: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

قال وهب بن منبه: كان سليمان عليه السلام؛ إذا خرج إلى مجلسه؛ حلقت عليه الطير، وقام له الإنس، والجن؛ حتى يجلس على سريره، وكان امرأً غزاءً قلَّما يقعد عن الغزو، ولا يسمع بناحية من الأرض بملك إلا أتاه؛ حتى يذله. وكان فيما يزعمون: أنه إذا أراد الغزو؛ أمر بخشب فمدت، ورفع عليها الناس والدواب، وآلة الحرب، فإذا حمل معه ما يريد؛ أمر العاصف من الريح، فمرت تحت الخشب، فاحتملته حتى إذا استقلت به؛ أمر الرخاء، فمرت به شهراً في روحته، وشهراً في غدوته إلى حيث أراد. انتهى. وهذا يعني: أن العاصف للإقلاع، والرخاء للسير بهدوء؛ لئلا يضطرب الناس الذين هم على بساط الريح. قال أحمد محشي الكشاف: وهذا كما ورد وصف عصا موسى تارة بأنها جان، وتارة بأنها ثعبان، والجان الرقيق من الحيات، والثعبان العظيم الجافي منها، ووجه ذلك: أنها جمعت الوصفين، فكانت في خفتها، وفي سرعة حركتها كالجان، وكانت في عظم خلقها كالثعبان، ففي كل واحد من الريح، والعصا على هذا التقرير معجزتان. والله سبحانه، وتعالى أعلم.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: ﴿ٱلْقِطْرِ﴾: النحاس، فعن ابن عباس، وغيره: أسيلت له مسيرة ثلاثة أيام كما يسيل الماء، وكانت بأرض اليمن، ولم يذب النحاس فيما روي لأحد قبله، وكان لا يذوب، ومن وقته ذاب، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله تعالى لسليمان. قال قتادة:

أسال له الله عيناً يستعملها فيما يريد، وقد أسال الله لسليمان النحاس، وأجراه له، كما ألان الحديد لوالده داود، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. وقيل: كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام، وسبب ذوبانه ـ والله أعلم ـ أن الأرض التي فتحت فيها العين مصطهرة بالنار فالنحاس المختلط بصخور تلك الأرض يصهر، ويقذف من فوهة تلك العين سائلاً، فيأتي عُمَّال سليمان، ويأخذونه للانتفاع به في الصناعات، ونحوها مما يحتاج إليه سليمان.

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بأمر ربه. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سخر الله الجن لسليمان، عليه الصلاة والسلام، وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به. ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: ومن يعدل ويخالف الذي أمرناه به من طاعة سليمان. ﴿نُذِقْهُ﴾: من عذاب السعير: قيل: هذا في الآخرة. وقيل: في الدنيا، وذلك: أن الله تعالى وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته.

هذا؛ وقد ذكر في سفر الملوك الأول العمائر التي قام بعملها سليمان، منها: سور أورشليم، وحاصور، ومجد، وجازر، وبيت حوران السفلى، وبعله، وتدمر في البرية، كل ذلك عدا المخازن، ومدن المركبات، ومدن الفرسان، وما بناه في لبنان، وغيرها من سائر مملكته، ومن نظر إلى هذه الأعمال، وفخامتها، وضخامة أحجارها؛ لم يستبعد أن يكون للجن عمل عظيم في ذلك، وخاصة تدمر، وبعض آثارها ماثل إلى اليوم، وقد ذكر النابغة الذبياني تسخير الجن لسليمان في شعره الذي يعتذر به إلى النعمان؛ إذ يقول: [البسيط]

وَلَا أَرَى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ ... وَلَا أُحَاشِي مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الإِلَهُ لَهُ ... قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ

وَخَيِّسِ الْجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ

هذا من قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ باختصار. وهذه الأبيات من معلقة النابغة رقم [٢١] وما بعد. انظرها بشرحنا، وإعرابنا لها.

الإعراب: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾: الواو: حرف عطف. (لسليمان): جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: وسخرنا لسليمان، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون. ﴿ٱلرِّيحَ﴾: مفعول به للفعل المحذوف، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، وعلى قراءة (الريح) بالرفع فهو مبتدأ مؤخر، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿غُدُوُّهَا﴾: مبتدأ، والتقدير: مسير غدوها شهر، ومسير رواحها شهر. و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿شَهْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من:

﴿ٱلرِّيحَ﴾، والرابط: الضمير فقط، وجملة: ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿وَأَسَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أسلنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَيْنَ﴾: مفعول به، و﴿عَيْنَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِطْرِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف عطف. (من الجن): متعلقان بفعل محذوف، التقدير: وسخرنا له من الجن. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به للفعل المقدر. هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور (من الجن) متعلقين بمحذوف خبر مقدم، و﴿مَن﴾: مبتدأ مؤخر على مثال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ والجملة سواء أكانت فعلية، أم اسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿يَعْمَلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿يَدَيْهِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بِإِذْنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿يَعْمَلُ﴾، و(إذن) مضاف، و﴿رَبِّهِۦ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿يَعْمَلُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَزِغْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، وفاعله مستتر فيه، يعود إلى: (من)، تقديره: «هو». ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿يَزِغْ﴾ المستتر. و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿نُذِقْهُ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، وفاعله مستتر، تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. ﴿مِنْ عَذَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿عَذَابِ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّعِيرِ﴾ مضاف إليه. هذا؛ وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ أي: مساجد. وقيل: هي الأبنية المرتفعة، والقصور، والمجالس الشريفة، المصونة عن الابتذال، سميت بذلك؛ لأنها يذب عنها، ويحارب عليها، وكان مما عملوا له بيت المقدس، وذلك: أن داود ـ عليه السلام ـ ابتدأه، ورفعه قامة رجل، فأوحى الله إليه: لم أقض ذلك على يدك، ولكن ابنٌ لك أملكه بعدك اسمه سليمان، أقضي إتمامه على يديه، فلما توفي داود؛ استخلف سليمان، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام، فأراد سليمان إتمام بناء

بيت المقدس، فجمع الجن، والشياطين، وقسم عليهم الأعمال، وخص كل طائفة منهم بعمل، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنهما، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح، وجعلها اثني عشر ربضاً، وأنزل على كل ربض سبطاً من الأسباط.

فلما فرغ من بناء المدينة؛ أخذ في بناء المسجد، فوجه الشياطين فرقاً منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما، ومنهم من يستخرج الجواهر، واليواقيت، والدر الصافي من أماكنها، ومنهم من يأتيه بالمسك، والعنبر، والطيب من أماكنها، فأتي بشيء كثير، لا يحصيه إلا الله تعالى، ثم أحضر الصناع، وأمرهم بنحت تلك الأحجار، وتصييرها ألواحاً، وإصلاح تلك الجواهر، وثقب اليواقيت، واللآلئ، فبني المسجد بالرخام الأبيض، والأصفر، والأخضر، وعمده بأساطين البلور الصافي، وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة، وقصص سقوفه، وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن على وجه الأرض يومئذ أبهى، ولا أنور من ذلك المسجد، فكان يضيء بالظلمة، كالقمر ليلة البدر.

قال تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٨٢]: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، وقال في سورة (ص): ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾.

فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل، وأعلمهم: أنه بناه لله تعالى، وأن كل شيء فيه خالص له، واتخذ ذلك اليوم عيداً، فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: **«أَنَّ سليمانَ بنَ داودَ لَمَّا بنى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سألَ الله عز وجل حكماً يوافقُ حكمَهُ، فأُوتيه، وسألَ الله تعالى مُلْكاً لا ينبغي لأحد مِنْ بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ، لا ينهزُهُ إلا الصلاةُ فِيهِ، إلا أخرجَهُ مِنْ خطيئَتِهِ كيومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**. أخرجه النسائي.

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الصَّلاةُ في الْمسجدِ الحرامِ بمئَةِ أَلْفِ صلَاةٍ، والصلاةُ بمَسْجِدِي بأَلْفِ صَلَاةٍ، والصلَاةُ في بَيْتِ الْمَقْدسِ بخمسمئَةِ صَلَاةٍ»**. رواه الطبراني وبقي بيت المقدس على ما بناه سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ حتى غزاه بختنصر، فخرب المدينة، وهدم المسجد، وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر، وحمله إلى دار ملكه بالعراق. انظر ذلك مفصلاً في الآية رقم [٤] وما بعدها من سورة (الإسراء) تجد أن ذلك كان بسبب فساد بني إسرائيل، وفسقهم، وخروجهم عن طاعة ربهم. و: (تماثيل) جمع: تمثال، قال امرؤ القيس: [الطويل]

وَيَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ ... بِآنِسَةٍ كَأَنَّهَا خَطُّ تِمْثَالِ

والتماثيل: صور للملائكة، والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس، فيعبدوا نحو عبادتهم. وقيل: كانوا يصورون السباع، والطيور، وغيرها. وقيل: كانوا يصورون صور الملائكة، والأنبياء، والصالحين في المساجد ليراها الناس، فيزدادوا عبادة، ويصورون ما ذكر

من نحاس، ورخام، وزجاج. روي: أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه، ونَسْرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط له الأسدان ذراعيهما، وإذا قعد؛ أظله النسران بأجنحتهما، وكان التصوير مباحاً يومئذ؛ أما في شريعتنا؛ فالتصوير حرام. وخذ ما يلي: عن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الذين يصنعون هذه الصُّور يُعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**». رواه البخاري. وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَشَدّ النَّاسِ عَذاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ**». رواه البخاري، ومسلم، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، وَلَيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلَيَخْلُقُوا شَعِيرةً**». رواه البخاري، ومسلم.

كما حرم الإسلام اقتناء الصور، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: واعد رسول الله ﷺ جبريل أن يأتيه، فراثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ على رسول الله ﷺ، فخرج فلقيه جبريل عليه السلام، فشكا إليه، فقال: «**إِنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ**». رواه البخاري. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ، قال: قال جبريل: «**إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ**». رواه البخاري.

﴿وَجِفَانٍ﴾: جمع: جفنة، وهي القصعة؛ التي يوضع فيها الطعام. ﴿كَالْجَوَابِ﴾: جمع: جابية، وهي حفيرة، كالحوض، وقال مجاهد: كحياض الإبل، وكان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل. قال الأعشى: [الطويل]

تَـرُوحُ عَـلَـى آلِ الـمـحـلَّـقِ جَـفْـنَـةٌ ... كـجـابِـيَـةِ الـشَّـيْـخِ الْـعِـرَاقـيِّ تَـفْـهَـقُ

هذا ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع كثرة، وجمع القلة: جفنات، ولذا عيب على حسان ـ رضي الله عنه ـ قوله: [الطويل]

لَـنَـا الْـجَـفَـنَـاتُ الْـغُـرُّ يَـلْـمَـعْـنَ بِـالـضُّـحَـى ... وأسـيـافُـنَـا يَـقْـطُـرْنَ مِـنْ نَـجْـدَةٍ دَمَـا

ويروى: أن الخنساء ـ رضي الله عنها ـ قالت: قللت جفناتك، ولو قلت: الجفان؛ لكان أولى. وقلت: الغر، ولو قلت: البيض؛ لكان أولى. وقلت: يلمعن، ولو قلت: يشرقن؛ لكان أولى، وقلت: بالضحى، ولو قلت: بالدجى؛ لكان أولى، وقلت: أسيافنا، ولو قلت: سيوفنا؛ لكان أولى، وقلت: يقطرن، ولو قلت: يسِلْن؛ لكان أولى، وقلت: دماً؛ ولو قلت: دماءً لكان أولى.

هذا؛ وقال الكسائي: أعظم القصاع الجفنة، ثم القصعة تليها، تشبع العشرة، ثم الصحفة تشبع الخمسة، ثم المئكلة تشبع الرجلين والثلاثة، ثم الصحيفة تشبع الرجل. هذا؛ وحذفت الياء من الجوابي تخفيفاً، وبعضهم يقرأ بإثباتها. ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ أي: ثابتات على أثافيها لا تحمل ولا تحرّك عن أماكنها لعظمها، وكان يصعد إليها بالسلالم، وكذلك كانت قدور عبد الله بن جدعان التيمي في الجاهلية.

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ أي: اعملوا بطاعة الله شكراً على نعمه. روي: أن داود ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ قال: يا رب كيف أطيق شكرك على نعمك، وإلهامي، وقدرتي على شكرك نعمة لك؟! فقال: يا داود الآن عرفتني. هذا؛ وحقيقة الشكر: الاعتراف بالنعمة للمنعم، واستعمالها في طاعته. والكفران استعمالها في المعصية، وقليل من يفعل ذلك؛ لأن الخير أقل من الشر، والطاعة أقل من المعصية بحسب سابق التقدير. قال ثابت البناني: كان داود نبي الله ـ على نبينا، وعليه الصلاة والسلام ـ: قد جزأ ساعات الليل، والنهار على أهله، فلم تكن تأتي ساعة من ليل، أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي. وقد ثبت عن النبي ﷺ: أن داود كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً. ومن المؤكد: أن الصلاة، والصيام، والعبادات كلها هي في نفسها الشكر؛ إذ سدت مسده، ويبين هذا قوله تعالى في الآية رقم [٢٤] من سورة (ص): ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ وهو المراد بقوله الآتي: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ وظاهر القرآن، والسنة: أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان.

﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ أي: الموفق على أداء الشكر بقلبه، ولسانه، وجوارحه في أكثر أوقاته، ومع ذلك لا يوفي حقه؛ لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكراً آخر، إلى ما لا نهاية له، ولذلك قيل: الشكور من يرى عجزه عن الشكر. وسمع الفاروق ـ رضي الله عنه ـ رجلاً يقول: «اللهم اجعلني من القليل»، فقال عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: أردت قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: كل الناس أعلم منك يا عمر! وانظر مثله في الآية رقم [٢٤] من سورة (ص)، وانظر ما ذكرته بشأن الحمد والشكر في الآية [١٥] من سورة (النمل).

الإعراب: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يعملون له الذي، أو: شيئاً يشاؤه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من ﴿ٱلۡجِنِّ﴾، والرابط: الضمير فقط، أو هي مفسرة لجملة (يعمل)، أو هي بدل منها اعتبارات أربعة. ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع. ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: معطوف عليه، وهو مجرور مثله... إلخ. ﴿وَجِفَانٖ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿كَٱلۡجَوَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: (جفان)، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء المحذوفة، أو الثابتة على القراءة

الثانية. هذا؛ وإن اعتبرت الكاف اسماً، فهي صفة جفان، وتكون مضافة، و(الجواب) مضاف إليه، ﴿وَقُدُورٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾: صفة (قدور).

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَالَ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، أو هو مفعول بفعل محذوف، التقدير: أعني آل، و﴿ءَالَ﴾ مضاف، و﴿دَاوُۥدَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿شُكۡرًاۚ﴾: مفعول لأجله، أو هو صفة لمفعول مطلق، التقدير: اعملوا آل داود عملاً شكراً، أو اشكروا شكراً. وقيل: هو حال بمعنى: شاكرين، والكلام: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقلنا: يا آل داود اعملوا. . . إلخ. والجملة الفعلية هذه معطوفة على جملة: ﴿يَعۡمَلُونَ...﴾ إلخ. وقيل: جملة: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، والأول أولى. ﴿وَقَلِيلٞ﴾: الواو: حرف استئناف. (قليل): خبر مقدم. ﴿مِّنۡ عِبَادِيَ﴾: متعلقان بـ: (قليل) لأنه صفة مشبهة. وقيل: متعلقان بمحذوف صفة (قليل) وليس بشيء، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلشَّكُورُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من: ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ فالرابط الواو فقط.

﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾: حكمنا عليه بالموت. قال العلماء: كان سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة، والسنتين، والشهر، والشهرين، فيدخل فيه، ومعه طعامه وشرابه، فدخله المرة التي مات فيها، فأعلمه الله بوقت موته، فقال: اللهم أَخْفِ عن الجن موتي؛ حتى تعلم الإنس: أن الجن لا يعلمون الغيب. وكانت الجن تخبر الإنس بأنهم يعلمونه، فقام في المحراب على عادته يصلي، متكئاً على عصاه قائماً، وكان للمحراب طاقات من بين يديه، ومن خلفه، فكان الجن ينظرون إليه، ويحسبون أنه حي، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطوله منه قبل ذلك، فمكثوا يعملون حولاً كاملاً حتى أكلت الأرضة عصاه، فخر ميتاً، فعلموا بموته. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فشكرت الجن الأرضة، فهم يأتونها بالماء، والطين في جوف الخشب، وقالوا لها: لو كنت تأكلين الطعام والشراب؛ لأتيناك بهما. انتهى. خازن بتصرف. ومثله في الكشاف، والقرطبي، فذلك قوله تعالى:

﴿مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ﴾ أي: ما دل الجن، أو ما دل آل سليمان على موته. ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: الأرضة، وهي دويبة، يقال لها: سرفة، والأَرَض فِعْلُها، فأضيفت إليه، يقال: أرَضت

الخشبة أرَضاً: إذا أكلتها. ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾: يقرأ بتسكين الهمزة تخفيفاً، قال الشاعر في ترك الهمزة: [البسيط]

إِذَا دَبَبْتَ عَلَى الْمِنْسَاةِ مِنْ كِبَرٍ فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنكَ اللَّهْوُ والْغَزَلُ

وقال آخر، فهمز، وفتح: [المتقارب]

ضَرَبْنَا بِمِنسَأَةٍ وجهَهُ فَصَارَ بِذَاكَ مَهِيناً ذَلِيلا

هذا؛ والمنسأة: العصا، من: نسأت البعير: إذا طردته؛ لأنه يطرد بها، فهو اسم آلة، كالمكنسة والمكسحة. ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: سقط على الأرض ميتاً لا حراك به. ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾: علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم، وجلى لهم، وظهر، وانكشف.

﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ أي: لو أنهم كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون؛ لعلموا موت سليمان حيثما وقع ما أقاموا بعد موته حولاً في تسخيرهم بالأعمال الشاقة، وذلك: أن الله عز وجل أعلمه بقرب أجله، فأراد أن يعمي على الجن موته، فدعاهم، فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس فيه باب، فقام يصلي متكئاً على عصاه، فقبض روحه، وهو متكئ عليها، فبقي عليها حتى أكلتها الأرضة، فخر، ثم فتحوا عنه، وأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت يوماً وليلة مقداراً، فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿قَضَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمَوْتَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار: (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿دَلَّهُمْ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿دَآبَّةُ﴾: فاعل: ﴿دَلَّهُمْ﴾، والجملة الفعلية جواب (لما)، لا محل لها، و﴿دَآبَّةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ مضاف إليه. ﴿تَأْكُلُ﴾: فعل مضارع، وفاعله يعود إلى: ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾، تقديره: «هي». ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ في محل نصب حال من ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾، والرابط: الضمير فقط. هذا؛ وأجيز اعتبارها مستأنفة، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): مثل سابقتها. ﴿خَرَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود على (سليمان)، والجملة الفعلية يقال فيها ما قيل بسابقتها. ﴿تَبَيَّنَتِ﴾: فعل ماض، والتاء

للتأنيث. ﴿ٱلْجِنُّ﴾: فاعله، والجملة الفعلية جواب: (لما)، لا محل لها. ﴿أَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه. ﴿لَّوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿ٱلْغَيْبَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَبِثُوا۟﴾: ماض، وفاعله. ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلْمُهِينِ﴾: صفة: ﴿ٱلْعَذَابِ﴾، وجملة: ﴿مَا لَبِثُوا۟...﴾ إلخ جواب ﴿لَّوْ﴾، لا محل لها، و﴿لَّوْ﴾ ومدخولها في محل رفع خبر ﴿أَن﴾، و﴿أَن﴾ واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع بدلاً من: ﴿ٱلْجِنُّ﴾، وقدر أبو البقاء مضافاً محذوفاً، وقال: لأن المعنى تبينت الإنس جهل الجن، وقال: ويجوز أن يكون في موضع نصب، أي تبينت الجن جهلها، وزاد مكي قوله: وقيل: هي في موضع نصب على حذف اللام: أي لأن، والمعتمد الأول. والله أعلم، وأجل، وأكرم. و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له أيضاً.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ أي: علامة دالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقاً خلقهم، ثم فسر الآية فقال تعالى: ﴿جَنَّتَانِ﴾ أي: بستانان. ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي: عن يمين الوادي، وعن شماله، والمراد مجموعتان من البساتين كل واحدة منهما في تقاربها، وتضامها كأنها جنة واحدة، أو المراد: بستاناً كل منهم عن يمين مسكنه، وعن شماله. ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي: من ثمار الجنتين. وقيل: كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها، وتمر بالجنتين، فيمتلئ المكتل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً. وهذا الأمر للإباحة، وليس للوجوب. ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: أرض مأرب، وهي سبأ بلدة طيبة فسيحة، ليست بسبخة، قيل: لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة، ولا ذباب، ولا برغوث، ولا حية، ولا عقرب، ولا قملة، ولا غيرها من الهوام، وكان الرجل يمر ببلدتهم، وفي ثيابه القمل، فيموت القمل من طيب الهواء، وقد فسر عبد الرحمن بن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ الآية التي في مسكنهم بذلك، والجنتان بعض هذه النعم. ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾: قال وهب: أي وربكم إن شكرتم على ما رزقكم غفور لمن شكره.

هذا؛ ويقرأ: (مساكنهم) بالجمع، وهي قراءة العامة؛ لأن لهم مساكن كثيرة، وليس بمسكن واحد، وقرأ حفص موحداً، إلا أنه فتح الكاف. وقرأه يحيى، والأعمش، والكسائي موحداً

كذلك، إلا أنهم كسروا الكاف. قال النحاس: و(مساكن) في هذا أبين؛ لأنه يجمع اللفظ، والمعنى، و(مسكن) بكسر الكاف خارج عن القياس، مثل مسجد، ولا يوجد مثله إلا سماعاً. أما (سبأ) فقد قرأه الجمهور بالصرف، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتح الهمزة، ومنع الصرف، فالأول على أنه اسم رجل، نسب إليه قوم، وعليه قول الشاعر: [البسيط]

الْوَارِدُونَ وتَيْمٌ فِي ذُرا سَبَأٍ قَدْ عَضَّ أعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوامِيسِ

المعنى: الواردون هم، وتيم في ذرا أرض سبأ مغلولين بأغلال من جلد الجواميس، بحيث يعض أعناقهم. ومن لم يصرفه اعتبره اسماً للقبيلة، أو للمدينة، وأنشد للنابغة الجعدي: [المنسرح]

مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

فهو يمدح رجلاً، ويقول: هو من قبيلة سبأ الحاضرين مدينة مأرب؛ الذين بنوا السد دون السيل، فالعرم: هو السد، ومأرب: اسم المدينة. وقيل: اسم قصر. هذا؛ وسبأ: اسم رجل، وهو سبأ بن يَشْجُب، بن يَعْرُب، بن قحطان أخي عدنان. فعن فروة بن مسيك المرادي قال: لما أنزل الله في سبأ ما أنزل، قال رجل: يا رسول الله! وما سبأ؟ أرض، أو امرأة؟ قال: «**ليس بأرض، ولا امرأة، ولكنه رجل ولد له عشرة من العرب، فتَيَامَنَ منهم ستة، وتشاءَمَ منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة. وأما الذين تيامنوا فالأزد، والأشعريون، وحِمْيَر، وكِنْدة، ومَذْحِج، وأَنمار**». فقال رجل: يا رسول الله! وما أنمار؟ قال: «**الذين منهم خثعم، وبجيلة**». أخرجه الترمذي.

تنبيه: قال الليث: البلد: كل موضع من الأرض، عامر، أو غير عامر، خال، أو مسكون، والطائفة منه: بلدة، والجمع: بلاد، زاد غيره: والمفازة تسمى بلدة؛ لكونها مسكن الوحش، والجن، قال الأعشى: [البسيط]

وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٌ لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ

وقال جران العود: [الرجز]

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إِلَّا الْيَعَافِيرُ وَإِلَّا الْعِيسُ

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِسَبَإٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾، تقدم على اسمها. ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وبعضهم يعلقهما بمحذوف حال من ﴿ءَايَةٌ﴾ ولا وجه له؛ لأن الحال تبين هيئة فاعل، أو مفعول. وقال الجمل: في محل نصب حال من (سبأ) ولا بأس به؛ لأنه علم كما

رأيت، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ءَايَةٌ﴾: اسم (كان) مؤخر، وجملة: ﴿لَقَدْ كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، أو جواب القسم المقدر. ﴿جَنَّتَانِ﴾: بدل من ﴿ءَايَةٌ﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الآية جنتان، والجملة الاسمية مفسرة لـ: ﴿ءَايَةٌ﴾، أو هي مستأنفة، لا محل لها، ويقرأ بالنصب: (جنتين) على المدح بفعل محذوف. ﴿عَن يَمِينٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿جَنَّتَانِ﴾. ﴿وَشِمَالٍ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿كُلُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف للتعميم، التقدير: كلوا ما تشاؤون. ﴿مِن رِّزْقِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيه، و﴿رِزْقِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكُمْ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿كُلُوا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، أي: قيل لهم بلسان الحال، أو بلسان المقال من نبي لهم، أو من ملك، وجملة: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول. ﴿بَلْدَةٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة. (رب): خبر لمبتدأ محذوف أيضاً، التقدير: وربكم رب. ﴿غَفُورٌ﴾: صفة (رب)، والجملتان الاسميتان مستأنفتان، لا محل لهما.

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: عن الإيمان، وعن طاعة الله تعالى. قال وهب ـ رحمه الله تعالى ـ: أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً، فدعوهم إلى الله تعالى، وذكروهم نعمه عليهم، وأنذروهم عقابه، فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة، فقولوا لربكم: فليحبس هذه النعمة عنا إن استطاع. فذلك إعراضهم. انتهى. خازن. وقال القشيري: وكان لهم رئيس يلقب بالحمار، وكانوا في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم. وقيل: كان له ولد، فمات، فرفع رأسه إلى السماء، فبزق، وكفر؛ ولهذا يقال: أكفر من حمار. انتهى. قرطبي.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: العرم: الذي لا يطاق. قيل: كان ماء أحمر، أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء. وقيل: العرم: السكر الذي يحبس الماء. وقيل: العرم: الوادي. قال ابن عباس ووهب وغيرهما: كان لهم سد بنته لهم بلقيس، وذلك: أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم، فأمرت بواديهم، فسد بالصخر والقار بين الجبلين، وجعلت لهم ثلاثة أبواب، بعضها فوق بعض، وبنت دونه بركة عظيمة، وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم، يفتحونها؛ إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا عنها؛ سدوها، فإذا جاءهم المطر، اجتمع إليهم

ماء أودية اليمن، فاحتبس السيل من وراء السد، فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرىٰ ماؤه إلى البركة، فكانوا يسقون من الباب الأعلى، ثم من الثاني، ثم من الثالث الأسفل، فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة، فكانت تقسمه بينهم على ذلك.

فبقوا بعدها مدة، فلما طغوا، وكفروا؛ سلط الله عليهم جرذاً يسمى الخلد، فنقب السد من أسفله، فأغرق الله جنانهم، وأخرب أرضهم. وقال وهب: رأوا فيما يزعمون، ويجدون في علمهم: أن الذي يخرب سدهم فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة، فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التفريق، أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء كبيرة إلى هرة من تلك الهرر، فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة، فدخلت في الفرجة، التي كانت عندها، فتوغلت في السد، وحفرت حتى أوهنت المسيل، وهم لا يعلمون بذلك، فلما جاء السيل وجد خللاً، فدخل منه حتى اقتلع السد، وفاض الماء حتى علا أموالهم، فأغرقها، ودفن بيوتهم الرمل، فغرقوا، ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلاً عند العرب، يقولون: ذهبوا أيدي سبأ. وتفرقوا أيادي سبأ. قال كثير عزة: [الطويل]

أَيَادِي سَبَا ـ يَا عَزُّ ـ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ فَلَنْ يَحْلُ لِلْعَيْنَيْنِ بَعْدَكِ مَنْظَرُ

وهذا هو الشاهد رقم [٥٢١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وخذ قول محمد اليمني الملقب بنجم الدين. [الطويل]

ولا تحتقِرْ كيدَ الضعيفِ فرُبَّمَا تموتُ الأفاعي مِنْ سمومِ الْعَقَارِبِ

وقدْ هدَّ قِدْماً عرشَ بلقيسَ هدْهدٌ وخرَّبَ حفرُ الفأرِ سَدَّ مَأْرِبِ

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾: المذكورتين. ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: قيل: هو شجر الأراك، وثمره البرير. وقيل: كل نبت أخذ طعماً من المرارة، حتى لا يمكن أكله فهو خمط. وقيل: هو ثمر شجر، يقال له: فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك، ولا ينتفع به. ﴿وَأَثْلٍ﴾: قيل: هو الطرفاء. وقيل: هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه طولاً، ومنه اتخذ منبر النّبي ﷺ، وللأثل أصول غليظة، يتخذ منه الأبواب، وورقه كورق الطرفاء، الواحدة: أثْلة، والجمع أثَلات. وقيل: هو شجر السَّمُر.

﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾: هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل، وثمره النبق، ولم يكن السدر الذي بدلوه مما ينتفع به؛ بل كان سدراً برياً لا يصلح لشيء. قيل: كان شجرهم من خير الشجر، فصيره الله من شر الشجر بسبب سوء أعمالهم.

هذا؛ وما أبدلهم الله به من الجنتين لا يسمى جنةً، وبستاناً، ولكن لما وقعت الثانية في مقابلة الأولى أطلق عليهما لفظ الجنة للمشاكلة، وازدواج الكلام كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ وقد مر معنا كثير من ذلك، وقد نبهت عليه في محاله. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَعۡرَضُواْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أعرضوا): فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَرۡسَلۡنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (أرسلنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سَيۡلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلۡعَرِمِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. (بدلناهم): ماض، وفاعله، ومفعوله الأول، والجملة الفعلية معطوفة أيضاً على ما قبلها، لا محل لها. ﴿بِجَنَّتَيۡهِمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿جَنَّتَيۡنِ﴾: مفعول به. ﴿ذَوَاتَيۡ﴾: صفة له، وعلامة النصب فيهما الياء. . .إلخ، وحذفت النون من الثاني للإضافة، و﴿ذَوَاتَيۡ﴾ مضاف، و﴿أُكُلٍ﴾ مضاف إليه. ﴿خَمۡطٍ﴾: صفة له، وقرئ بالإضافة، وعدم التنوين. ﴿وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ﴾: معطوفان على ﴿أُكُلٍ﴾. ﴿مِّن سِدۡرٖ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (شيء). ﴿قَلِيلٖ﴾: صفة: ﴿سِدۡرٖ﴾، أو هو صفة ثانية لـ: ﴿سِدۡرٖ﴾، وإن علقت الجار والمجرور بـ: ﴿قَلِيلٖ﴾ فالمعنى يؤيده، ولا يأباه. وقرئ بنصب: (أثل وشيء) عطفاً على جنتين.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ أي: فعلنا بهم ما ذكر من تبديل النعمة بنقمة بسبب كفرهم. ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾: المعنى لا نجازي مثل الجزاء المتقدم إلا من كفر النعمة، ولم يشكرها، وهذا جار مجرى المثل، وهو ما يسمى في علم البلاغة فن التذييل. هذا؛ وقرئ (وهل يجازى) بالبناء للمجهول، ورفع (الكفورُ)، وقرئ: (هل يُجْزِي)، وقرئ: (هل يَجْزِي). وانظر شرح الكفر في الآية رقم [٣٤] من سورة (الروم).

تنبيه: في هذه الآية سؤال ليس في هذه السورة أشد منه، وهو أن يقال: لم خص الله تعالى المجازاة بالكفور، ولم يذكر أصحاب المعاصي؟ فتكلم العلماء في ذلك، فقال قوم: ليس يجازى بهذا الجزاء الذي هو الإهلاك والاستئصال إلا من كفر. وقال مجاهد: ﴿نُجَٰزِيٓ﴾ بمعنى نعاقب، وذلك: أن المؤمن يكفِّر الله عنه سيئاته، والكافر يجازى بكل سوءٍ عمله، فالمؤمن يجزى، ولا يجازى؛ لأنه يثاب. وقال طاوس: هو المناقشة في الحساب، وأما المؤمن فلا يناقش الحساب. وقال قطرب: خلاف هذا، فجعلها في أهل المعاصي غير الكفار، وقال: المعنى على من كفر بالنعم، وعمل بالمعاصي والكبائر. قال النحاس: وأولى ما قيل في هذه الآية، وأجَلّ ما روي فيها أن الحسن قال: مِثلاً بمثل. انتهى. قرطبي باختصار.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان مقدم. أي: جزيناهم ذلك التبديل لا غيره. ﴿جَزَيۡنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول أول. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف

جر. (ما): مصدرية. ﴿كَفَرُوا۟﴾: فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق، و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهَلْ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (هل): حرف استفهام بمعنى النفي. ﴿نُجَٰزِىٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْكَفُورَ﴾: مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، ومثله قراءة (نجزي إلا الكفور)، وأما قراءة (يُجازى) أو (يُجْزَى) فهو مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، و(الكفورُ) نائب فاعله، وعلى قراءة: (يجزي إلا الكفور) فالفاعل يعود إلى: (الله) و(الكفور) مفعول به، والجملة على جميع القراءات لا محل لها، سواء عطفتها، أو استأنفتها.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: المراد بها قرى بلاد الشام وأرضها، والبركة حصلت فيها من كثرة الأنبياء؛ الذين بعثوا فيها، فانتشرت في العالمين شرائعهم، التي هي مبدأ الكمالات، والخيرات الدينية، والدنيوية. وقيل: مباركة لكثرة خصبها، وثمارها، وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء. والبركة: ثبوت الخير، ومنه: برك البعير: إذا لزم مكانه، فلم يبرح. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٥] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ وهناك أحاديث كثيرة في فضل بلاد الشام، والترغيب في سكناها موجودة في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ـ رحمه الله تعالى ـ.

﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ أي: متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها، قيل: كان متجرهم من اليمن إلى الشام، فكانوا يبيتون بقرية، ويقيلون بأخرى، وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد وماء من اليمن إلى الشام. وقيل: كانت القرى أربعة آلاف وسبعمئة قرية متصلة من سبأ إلى الشام. ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: جعلنا السير بين قراهم وبين القرى التي باركنا فيها سيراً مقدراً من منزل إلى منزل، فكان سيرهم في الغدو، والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه، وأشجار. ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ أي: وقلنا لهم: سيروا... إلخ: أي لا تخافون جوعاً ولا عطشاً، ولا عدواً، فبطروا النعمة، وسئموا الراحة، وطغوا، ولم يشكروا على العافية، فقالوا: لو كانت حياتنا أبعد مما هي لكان أجدر أن نشتهيها، وطلبوا الكد، والتعب في الأسفار، وهو ما في الآية التالية.

هذا؛ وقال الجمل: مجموع ما في الآية والتي بعدها معطوف على مجموع ما قبله عطف قصة على قصة، فذكر أولاً ما أنعم به عليهم من الجنتين، ثم تبديلهما بما مر، ثم ذكر هنا ما كان أنعم به عليهم أيضاً قبل هلاكهم بالسيل من جعل بلادهم متواصلة، ثم عاقبهم بجعلها متفاصلة. انتهى. نقلاً من الشهاب. هذا؛ وانظر شرح (بين) في الآية رقم [٣٨] من سورة (الفرقان) وشرح القرية في الآية رقم [٥٦] من سورة (النمل).

الإعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (جعلنا): فعل، وفاعله. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. وقيل: متعلق بمحذوف مفعول به ثان لـ: (جعلنا) وهو ضعيف، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَ﴾: معطوف على ما قبله، و(بين) مضاف، و﴿الْقُرَى﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿الْقُرَى﴾. ﴿بَارَكْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿قُرًى﴾: مفعول به لـ: (جعلنا) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿ظَاهِرَةً﴾: صفة: ﴿قُرًى﴾، وجملة: (جعلنا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، وجملة: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ معطوفة أيضاً على ما قبلها، لا محل لها. ﴿سِيرُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿لَيَالِيَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. ﴿وَأَيَّامًا﴾: معطوف عليه. ﴿آمِنِينَ﴾: حال منصوب... إلخ، وجملة: ﴿سِيرُوا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقلنا لهم: سيروا... إلخ، وهذه معطوفة على ما قبلها.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)﴾

الشرح: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: أشروا النعمة، وملوا العافية، كبني إسرائيل، فطلبوا الكد، والتعب، كما طلب بنو إسرائيل الثوم، والبصل مكان المن، والسلوى، وقالوا: لو كان جنَى جِنانِنا أبعد كان أجدر أن نشتهيه، وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز، ليركبوا الرواحل فيها، ويتزودوا الأزواد، فجعل الله لهم الإجابة. هذا؛ ويقرأ الفعل: ﴿بَاعِدْ﴾ بقراءات كثيرة. ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بكفرهم، وبطرهم، وطغيانهم.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم، وشأنهم تعجباً من أحوالهم، ويقولون: ذهبوا أيدي سبأ، انظر الآية رقم [١٦]. ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: لـمَّا لحقهم ما

لحقهم من الوبال؛ تفرقوا، وتمزقوا. قال الشعبي: فلحقت الأنصار بيثرب، وغسان بالشام، والأزد بعُمَان، وخزاعة بتهامة. انتهى. وكان الذي قدم المدينة عمرو بن عامر، وهو جد الأوس والخزرج، ولحق آل خزيمة بالعراق. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكر من قصة سيل العرم. ﴿لَآيَٰتٍ﴾ أي: لعبر، ودلالات، وعظات. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن المعاصي. فهو صيغة مبالغة. ﴿شَكُورٍ﴾: لله على نعمه، فالمؤمن صابر على البلاء، شاكر للنعماء؛ لأن الإيمان نصفان: نصفه صبر، ونصفه شكر، والمؤمن إذا ابتلي؛ صبر، وإذا أعطي؛ شكر. هذا؛ وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٢٨] من سورة (الروم)، و﴿أَحَادِيثَ﴾ مفرده: حديث، انظر ما ذكرته في شرح (الباطل) في الآية رقم [٥٢] من سورة (العنكبوت). فهو مثله.

الإعراب: ﴿فَقَالُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (قالوا): ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بَٰعِدْ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَسْفَارِنَا﴾ مضاف إليه. و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملتان ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿فَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَظَلَمُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (ظلموا): ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (جعلناهم): ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿أَحَادِيثَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله. ﴿كُلَّ﴾: نائب مفعول مطلق، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿مُمَزَّقٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مُمَزَّقٍ﴾ اسم مكان، فيكون: ﴿كُلَّ﴾ ظرف مكان متعلق بما قبله.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَآيَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّكُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آيات)، و(كل) مضاف، و﴿صَبَّارٍ﴾ مضاف إليه. ﴿شَكُورٍ﴾: صفة ثانية لموصوف محذوف، والصفة الأولى ﴿صَبَّارٍ﴾ إذ التقدير: لكل شخص، أو لكل إنسان صبار شكور، وهو يشمل الذكر، والأنثى بإذن الله تعالى. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وانظر مثل هذه الجملة في الآية رقم [٣١] من سورة (لقمان) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾: فيه أربع قراءات بتخفيف الدال، ورفع ﴿إِبْلِيسُ﴾، ونصب ﴿ظَنَّهُۥ﴾، وقرئ كذلك مع تشديد الدال، وقرئ بتخفيف الدال، ونصب ﴿إِبْلِيسَ﴾، ورفع (ظنُّه)، وقرئ بتخفيف الدال ورفع: ﴿إِبْلِيسُ﴾ و(ظَنُّه)، على أن يكون: (ظَنُّه) بدلاً من ﴿إِبْلِيسُ﴾ بدل الاشتمال. ثم قيل: إن هذا في أهل سبأ خاصة؛ أي: كفروا، وغيروا، وبدلوا بعد أن كانوا مسلمين، إلا قوماً منهم آمنوا برسلهم. وقيل: هذا عام في بني آدم قاطبة؛ أي: صدق إبليس ظنه على الناس كلهم إلا من أطاع الله تعالى، وذلك ما نطق به اللعين حين أبى أن يسجد لآدم، حيث قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ...﴾ إلخ الآية رقم [١٦] من سورة (الأعراف) وما بعدها، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٩] من سورة (الحجر) وما بعدها. وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الآية رقم [٨٢] من سورة (ص) والآية التي بعدها. وقال: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا...﴾ إلخ الآية رقم [١١٨] من سورة (النساء). وقيل: إنه ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة: أنه يجعل فيها من يفسد، ويسفك الدماء، أو سمع من الملائكة ذلك، حيث قالوا ذلك حينما أخبرهم ربهم بقوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهؤلاء هم المؤمنون الذين لم يتبعوه، أو المعنى: إلا فريقاً مِنْ فِرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون، وهذا يعني: أن المراد بعض المؤمنين؛ لأن كثيراً من المؤمنين من يذنب، وينقاد لإبليس في بعض المعاصي.

هذا؛ و﴿إِبْلِيسُ﴾: اسم مأخوذ من: أبلس، يبلس؛ إبلاساً، بمعنى: سكت غماً، وأيس من رحمة الله، وخاب، وخسر. وهو من الملائكة؛ كذا قال علي، وابن عباس، وابن مسعود ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. ولأن الأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، وقال تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾، وقال: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ أي صار من المغرقين. وقيل: الاستثناء منقطع؛ لأنه لم يكن من الملائكة؛ بل كان من الجن بالنص، وهو قول الحسن وقتادة، ولأنه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور، ولأنه أبى وعصى، واستكبر، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، ولا يستكبرون عن عبادته، ولأنه قال الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ ولا نسل للملائكة. وعن الجاحظ: إن الجن، والملائكة جنس واحد، فمن طهر منهم؛ فهو ملك، ومن خبث منهم؛ فهو شيطان، ومن كان بين بين؛ فهو جني. انتهى. وقول الجاحظ مردود بما قاله الحسن، وقتادة، ـ رضي الله عنهما ـ.

هذا؛ وقال ابن كثير وغيره: لما ذكر الله قصة سبأ، وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى، والشيطان؛ أخبر عنهم، وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس، والهوى، وخالف الرشاد، والهدى، فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [١٠] فعلى قراءة التشديد ف: ﴿إِبْلِيسُ﴾ فاعل ﴿صَدَّقَ﴾، و﴿ظَنَّهُۥ﴾ مفعول به، وعلى قراءة التخفيف ف: ﴿ظَنَّهُۥ﴾ منصوب بنزع الخافض، التقدير: صدق إبليس في ظنه، وعلى قراءتهما بالرفع فـ ﴿إِبْلِيسُ﴾ فاعل، و: (ظنُّه) بدل اشتمال منه. ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿فَرِيقًا﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾. ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿فَرِيقًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي: على الذين اتبعوه. ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: من قوة، وتسلط، وحجة، وبرهان، وإنما كان له الوسوسة، والتزيين. قال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: إنه لم يسلَّ عليهم سيفاً، ولا ضربهم بسوط، وإنما وعدهم، ومنَّاهم، فاغتروا. انتهى. وهو صريح قول اللعين لأتباعه يوم القيامة ما أخبرنا به الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ الآية رقم [٢٢] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وانظر شرح ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ في الآية رقم [٣٥] من سورة (الروم).

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: لنرى، ونميز المؤمن من الكافر، والمراد: علم الوقوع، والظهور؛ لأن كل شيء معلوم عند الله تعالى، فهو عالم الغيب، والشهادة. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٤٣]: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾. ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ أي: يشك بيوم القيامة، وما فيه من الحساب، والجزاء، والجنة، والنار. ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾: رقيب، وحافظ لأعمال العباد صغيرها، وكبيرها، سرها، وعلانيتها. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾. وقيل: المعنى: ومع حفظه ضل من ضل من أتباع إبليس، وبحفظه، وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال

من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿سُلْطَٰنٍ﴾: اسم كان مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿كَانَ﴾ زائدة، فتكون الجملة اسمية، والجملة سواء أكانت فعلية، أو اسمية معطوفة على جواب القسم، أو مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِنَعْلَمَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: «نحن»، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، يدل عليه الكلام السابق، التقدير: إنما سلطناه عليهم؛ ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة، والحساب، والجزاء فيحسن عبادة ربه في الدنيا ممن هو منها في شك. أو الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب على الاستثناء؛ إذ المعنى: وما كان له عليهم من سلطان إلا امتحاناً للناس، وابتلاء؛ لنعلم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر يعود إلى: ﴿مَن﴾، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها. ﴿بِالْآخِرَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِمَّنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (نعلم). ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿شَكٍّ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها؛ صار حالاً». ﴿فِي شَكٍّ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في: ﴿مِنْهَا﴾ أي: من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَن﴾، لا محل لها، والعائد: الضمير.

هذا؛ وأجاز أبو البقاء اعتبار ﴿مَن﴾ اسم استفهام، وجملة: ﴿يُؤْمِنُ...﴾ إلخ في محل رفع خبره. وعليه فالجملة الاسمية في محل نصب مفعول به للفعل (نعلم) الذي علق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وهو غير مسلم له. ﴿وَرَبُّكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ربك): مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بحفيظ بعدهما. و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿حَفِيظٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)﴾

الشرح: ﴿قُلِ﴾ أي: قل يا محمد للمشركين. ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ادعوا الذين ادعيتم: أنهم آلهة ليكشفوا عنكم ضراً، أو ليجلبوا لكم نفعاً؛ لعلهم يستجيبون لكم؛ إن

صحت دعواكم: أنهم آلهة من دون الله. ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: من خير، أو شر، أو نفع، أو ضر، وانظر الآية رقم [٣]. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في أمر ما... وذكرهما للعموم العرفي؛ لأنهما يشملان ما في الدنيا، أو لأن آلهتهم بعضها سماوية، كالملائكة، والكواكب. وبعضها أرضية، كالأصنام. أو لأن الأسباب القريبة للخير، والشر، سماوية، وأرضية. انتهى. بيضاوي. ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ أي: للأصنام، وغيرها من المعبودات الباطلة. ﴿فِيهِمَا﴾: في السموات، والأرض. ﴿مِن شِرْكٍ﴾ أي: من شركة لهم مع الله، لا خلقاً، ولا ملكاً، ولا تدبيراً؛ بل هو المنفرد بالإيجاد، والتدبير، والإحياء، والإماتة، فهو الذي يستحق العبادة، وهو الجدير بالتقديس، والتعظيم. ﴿وَمَا لَهُ﴾ أي: لله. ﴿مِنْهُم﴾ أي: من المعبودات الباطلة. ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ أي: معين يعينه على تدبير أمر السموات، والأرض، وتدبير شؤون الخلق.

هذا؛ وإنما جمع الأصنام، والمعبودات الباطلة جمع المذكر السالم؛ لأن الكفار كانوا يخاطبونها مخاطبة العقلاء، فنزلت منزلتهم في الكلام. وهذا كثير في القرآن الكريم، وقد ذكرته في محاله كثيراً. والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل؛ إذا عاملوه معاملته، وأنزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل.

الإعراب: ﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، تقديره: «أنت». ﴿ٱدْعُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، لاتصاله بواو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿زَعَمْتُم﴾: فعل ماض مبني على السكون؛ والتاء فاعله، ومفعولاه محذوفان: حذف الأول لطول الموصول بصلته، والثاني لقيام صفته مقامه، التقدير: زعمتموهم آلهة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِّن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: «آلهة» الذي رأيت تقديره، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿ٱدْعُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمْلِكُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿مِثْقَالَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ذَرَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿ذَرَّةٍ﴾، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وجملة: ﴿لَا يَمْلِكُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وأجيز اعتبارها حالاً، وهو ضعيف. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، ويجيز بعضهم تعليقهما بمحذوف حال من: ﴿شِرْكٍ﴾. ﴿مِن﴾: حرف جر

صلة. ﴿شِرْكٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها أيضاً، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أي: لعظمته، وجلاله، وكبريائه، لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء؛ إلا بعد إذنه له في الشفاعة، كما قال عز وجل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾.

ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ ـ وهو سيد ولد آدم، وأكبر شفيع عند الله تعالى ـ أنه حين يقوم المقام المحمود؛ ليشفع في الخلق كلهم، قال: «**فأسجدُ للهِ تعالى، فيدَعُني ما شاء اللهُ أن يَدَعني، ويفتحُ عليَّ بمحامِدَ لا أحصيها الآنَ، ثمَّ يُقالُ: يا محمدُ! ارفعْ رأسَكَ، وقلْ تُسْمَعْ، وسلْ تُعْطَ، واشفعْ تُشَفَّعْ...**». الحديث بتمامه موجود في كتاب: «الترغيب والترهيب».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّۖ﴾ وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة، وهو: أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، فسمع أهل السموات كلامه؛ أُرْعِدُوا؛ حتى يلْحَقَهُمْ مثلُ الْغَشْي، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال الفزع عنها. وقال ابن عباس، والضحاك، والحسن، وقتادة ـ رضي الله عنهم ـ في قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ...﴾ إلخ يقول: خُلِّيَ عن قلوبِهِمْ الفزع، فإذا كان كذلك؛ سأل بعضهم بعضاً: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ﴾ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم؛ حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا، ولهذا قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّۖ﴾ أي: أخبروا بما قال من غير زيادة، ولا نقصان ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

وقال آخرون: بل معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: المشركين عند الاحتضار، ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا، قالوا: ماذا قال ربكم؟ فقيل لهم: الحق، وأخبروا بما كانوا عنه لاهين في الدنيا. قال مجاهد: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: كُشِفَ عنها الغطاءُ يوم القيامة. وقال الحسن: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: ما

فيها من الشك، والتكذيب. وقال ابن أسلم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: ما فيها من الشك. قال: فزع الشيطان عن قلوبهم، وفارقهم، وأمانيهم، وما كان يضلهم. هذا؛ و(فزع عنه) بالبناء للمعلوم، وبالتشديد: أذهب عنه الفزع، و(الفزع) بفتحتين: الذعر، والمخافة، والإغاثة. وفي كتب اللغة: وفزع عن قلبه: كشف عنه الفزع، فالتضعيف هنا للسلب، كما قال: قردت البعير؛ أي: أزلت عنه قراده.

﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ قال: وهذا في بني آدم ـ هذا عند الموت ـ أقروا حين لا ينفعهم الإقرار. وقد اختار ابن جرير القول الأول: أن الضمير عائد على الملائكة، وهذا هو الحق، الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه، والآثار.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه: عن سفيان، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن نبي الله ﷺ قال: «**إذا قضى اللهُ تعالى الأمْرَ في السماءِ؛ ضربت الملائكةُ بأَجْنِحَتِها خُضْعاناً لقوله، كأنه سلسلةٌ على صَفْوَانٍ، فإذا** ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ﴾ **للذي قال:** ﴿ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ **فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع، هكذا بعضه فوق بعض ـ ووصف سفيان بكفِّه، فحرفها، ونشر بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى مَنْ تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر، أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا، وكذا: كذا، وكذا، فيُصَدَّق بتلك الكلمة التي سمعَ من السماء**». أخرجه البخاريُّ، ورواه أبو داود، والترمذي. وعن النواس بن سِمعان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أرادَ اللهُ تباركَ وتعالى أنْ يُوحِيَ بأمره؛ تكلَّمَ بالوحْيِ، فإِذَا تَكَلَّمَ؛ أخذتِ السمواتِ مِنْهُ رجْفَةٌ، ـ أو قَال: رعدةٌ ـ شديدةٌ من خوفِ الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهلُ السمواتِ؛ صعقوا، وخرُّوا للهِ سجداً، فيكون أولَ مَنْ يرفعُ رأسَهُ جبريلُ عليه الصلاة والسلام، فيكلِّمُهُ من وحيهِ بما أراد، فيمضي به جبريلُ ـ عليه الصلاة، والسلام ـ على الملائكة، كلما مرَّ بسماءٍ يسألهُ ملائكتُهَا: ماذا قال رَبُّنا يا جبريلُ! فيقولُ: قالَ الحقَّ، وهو العلي الكبير. فيقولون كلُّهُمْ مثلَ ما قَالَ جبريلُ، فينتهي جبريلُ بالوحْيِ إلى حيْثُ أمَرهُ اللهُ تعالى مِنَ السماءِ، والأرض**». أخرجه ابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن خزيمة عن النواس بن سمعان مرفوعاً. انتهى. مختصر ابن كثير. ومثله في القرطبي، وزاد القرطبي ما يلي:

وذكر البيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قال: كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي، وكان إذا نزل الوحي؛ سمع له صوت كإمرارِ السلسلةِ على الصَّفْوان، فلا ينزلُ عَلَى أهلِ سماءٍ إلا صَعِقوا، فإذا فزع عن قلوبهم؛ قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلي الكبير، ثم يقول: يكونُ العامَ كذَا، ويكون كذَا، فتسمعُهُ الجنُّ، فيخبرون به الكهنة، والكهنةُ الناسَ، يقولون: يكون العامَ كذَا

وكذًا، فيجدونه كذلِكَ، فلما بعث الله محمداً ﷺ دُحِرُوا بالشهب، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك: هلكَ مَنْ في السماءِ، فجعل صاحب الإِبل ينحر كلَّ يوم بعيراً، وصاحب البقر ينحر كلَّ يوم بقرةً، وصاحب الغنم ينحر كلَّ يوم شاةً، حتى أسرعوا في أموالهم، فقالت ثقيف، وكانت أعقلَ العربِ: أيها الناسُ! أمسكوا على أموالكم، فإنه لم يمت من في السماء، وإن هذا ليس بانتثار، ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هي، والشمس، والقمر، والليل، والنهار؟ قال فقال إبليس: لقد حدث اليوم في الأرض حدث، فائْتوني من تربة كل أرض، فأتَوْه بها، فجعل يشمها، فلما شم تربة مكة؛ قال: من هاهنا جاء الحدث، فنصتوا، فإذا رسول الله ﷺ قد بعث. انتهى.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿تَنفَعُ﴾: مضارع. ﴿ٱلشَّفَـٰعَةُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف لفهمه من المقام. ﴿عِندَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: (لا تنفع...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِمَنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿تَنفَعُ﴾، أو بـ: ﴿ٱلشَّفَـٰعَةُ﴾ قاله أبو البقاء. قال السمين: وفيه نظر؛ لأنه يلزم عليه أحد أمرين: إمَّا زيادة اللام في المفعول في غير موضعها، وإما حذف مفعول ﴿تَنفَعُ﴾، وكلاهما خلاف الأصل. والوجه الثالث الذي اعتمده: أنه استثناء مفرغ من مفعول الشفاعة المقدر؛ أي: لا تنفع الشفاعة لأحد إلا لمن أذن له. انتهى. جمل. ﴿أَذِنَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، ويقرأ الفعل بالبناء للمجهول، فيكون الجار والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ في محل رفع نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة (من) أو صفة لها، إن اعتبرتها نكرة موصوفة. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿فُزِّعَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَاذَا﴾: (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. و(ذا) صلة، لا محل لها، ودليل ذلك نصب ﴿ٱلْحَقَّ﴾ بـ: ﴿قَالُوا۟﴾؛ لأنه جواب للسؤال، وكذلك يجب أن يكون السؤال. هذا؛ وعلى قراءة: (الحقُّ) بالرفع. فـ: (ما): اسم استفهام مبتدأ؛ و(ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول بـ: ﴿قَالُوا۟﴾، وجملة: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾ صلة: (ذا)، لا محل لها، والعائد محذوف، وتقدير الكلام: قالوا: ما الذي قاله ربكم؟ وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ جواب: ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به لفعل محذوف، التقدير: قال الحق. وهذه الجملة في محل نصب

مقول القول، وعلى قراءته بالرفع فهو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: قالوا: مقوله الحق. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

هذا؛ ويعتبر الأخفش ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في مثل هذه الآية جارة لـ: ﴿إِذَا﴾. ورده ابن هشام في المغني. وفحوى كلام الزمخشري يؤيد الأخفش هنا، فإنه قال: فإن قلت: بأي شيء اتصل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾؟ وأي شيء وقعت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية له؟ قلت: بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظاراً، وتوقفاً، وتمهلاً، وفزعاً من الراجين للشفاعة، والشفعاء: هل يؤذن لهم، أو لا يؤذن لهم؟ وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان، وطول من التربص. انتهى. جمل. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْعَلِيُّ﴾: خبر أول. ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ أمره الله تعالى أن يسأل المشركين الذين يأكلون رزق الله، ويعبدون غيره؛ مع أنهم لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب القادر القاهر؛ حيث قال: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: من المطر، والشمس، والقمر، والنجوم، وما فيها من المنافع. و(الأرض) أي: الخارج من الأرض، كالماء والنبات. وهذا تقرير قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: فإن قالوا: لا ندري، أو إن لم يقولوا: إن رازقنا هو الله، فقل أنت: إن رازقكم هو الله؛ إذ لا جواب سواه. وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا، أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام؛ فهم مقِرُّون به في قلوبهم.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ معناه: ما نحن، وأنتم على أمر واحد؛ بل أحد الفريقين مهتد؛ والآخر ضال، وهذا ليس على طريق الشك؛ بل على جهة الإلزام والإنصاف في الحجاج، كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم: أنه صادق، وصاحبه كاذب، فالنبي ﷺ وأصحابه على الهدى بلا شك، ومن خالفه في ضلال مبين، فكذبهم بأحسن من التصريح بالتكذيب، فالمستعار هنا حرف. ويقال في إجرائها: شبَّه مطلق ارتباط بين مهدي، وهدى بمطلق ارتباط بين مستعل، ومستعلى عليه، بجامع التمكن في كلٍّ، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات، ثم استعيرت (على) من جزئي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (ن): ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وخذ قول الشاعر أيضاً: [السريع]

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْماً عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

و«أو» عند البصريين على بابها، وليست للشك؛ لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا إذا لم يرد المخبر أن يبين، وهو عالم بالمعنى. وقال أبو عبيدة، والفراء: هي بمعنى الواو، وتقديره: وإنا على هدى، وأنتم في ضلال مبين. انظر شواهد: «أو» في كتابنا فتح القريب المجيب تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

تنبيه: خولف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى، والضلال؛ لأن صاحب الهدى متمكن منه، كأنه مستعل على فرس جواد، يركضه حيث شاء، والضال متخبط، كأنه ينغمس في ظلام لا يعرف أين توجه، ولا يهتدي إلى طريق السلامة. وفي الكلام استعارة تصريحية واضحة غير خافية. ومن هذه المشكاة قول حسان ـ رضي الله عنه ـ يخاطب أبا سفيان قبل إسلامه: [الوافر]

أتهجوهُ ولستَ لهُ بكفءٍ فشرُّكُمَا لخيرِكُمَا الفِداءُ

ولذلك لما سمعه الناس؛ قالوا: هذا أنصف بيت قالته العرب.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَرْزُقُكُم﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿مَنْ﴾، تقديره: «هو»، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، وخبره محذوف، التقدير: الله يرزقكم. أو التقدير: قل: الله الخالق الرازق للعباد. والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة (قل الله يرزقكم). مستأنفة، لا محل لها، وهي في المعنى والتقدير في محل جزم جواب الشرط، انظر الشرح. ﴿وَإِنَّآ﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿إِيَّاكُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب معطوف على اسم (إنَّ). ﴿لَعَلَىٰ﴾: اللام: هي المزحلقة. (على هدى): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِيَّاكُمْ﴾، وخبر الأول محذوف لدلالة الثاني عليه، وهذا اختيار المبرد، وسيبويه يرى: أن ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾ خبر للأول، وخبر الثاني محذوف، لدلالة الأول عليه. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾: جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿ضَلَٰلٍ﴾.

قال أبو البقاء ـ رحمه الله تعالى ـ: والكلام على المعنى غير الإعراب؛ لأن المعنى: إنا على هدى من غير شك، وأنتم على ضلال من غير شك، ولكن خلطه في اللفظ على عادتهم في نظائره، كقولهم: أخزى الله الكاذب مني، ومنك!

تنبيه: مِنْ حذف الأول لدلالة الثاني عليه قول الشاعر، وهو الشاهد رقم [٨٥٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

خَلِيلَيَّ، هَلْ طِبٌّ فَإِنِّي وَأَنْتُمَا ... وَإِنْ لَمْ تَبُوحَا بِالْهَوى - دَنِفَانِ

ومن حذف الثاني لدلالة الأول عليه قول ضابئ بن الحارث البرجمي، وهو الشاهد رقم [٨٥٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

فَمَنْ يَكُ أَمْسى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أي: اكتسبنا من الذنوب، والآثام، ولا تؤاخذون به. ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: ولا نؤاخذ، ولا نسأل عن عملكم. ومعنى الآية الكريمة: التبري من المشركين، وقطع وشائج القربى، والصلة معهم. فصار المعنى: لستم منا، ولا نحن منكم؛ بل ندعوكم إلى الله تعالى، وإلى توحيده، وإفراد العبادة له، فإن أجبتم؛ فأنتم منا، ونحن منكم، وإن كذبتم؛ فنحن براء منكم، وأنتم براء منا، كما قال تعالى في الآية رقم [٤١] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ففي الآيتين مهادنة، ومتاركة، وهما منسوختان بآية السيف. والخطاب بقوله: ﴿قُلِ﴾ للنبي ﷺ.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله. ﴿عَمَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: لا تسألون عن الذي، أو: عن شيء أجرمناه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: لا تسألون عن إجرامنا، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وما بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين. ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ أي: يوم القيامة يجمع بين الخلائق في صعيد واحد. ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: يحكم

بيننا بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ، وستعلمون يومئذ لمن العزة، والنصرة والسعادة الأبدية. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ الآية رقم [١٤] من سورة (الروم) انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾: الحاكم العادل، الفيصل في القضايا المنغلقة بأن يدخل أهل الحق الجنة، وأهل الباطل، والظلم، والطغيان النار. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بحقائق الأمور، وخفاياها، وهذه الآية كسابقتها منسوخة بآية السيف، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت»، ومتعلقه محذوف. انظر الشرح. ﴿يَجْمَعُ﴾: فعل مضارع. ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿رَبُّنَا﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَفْتَحُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبُّنَا﴾. ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: خبر ثان. والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل: ﴿يَفْتَحُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، والجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

تنبيه: يقال: أجمع الأمر: إذا عزم عليه، والأمر مُجْمَع. ويقال أيضاً: اجمع أمرك، ولا تدعه منتشراً. هذا؛ وقال تعالى حكاية عن قول فرعون، وأشياعه: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾. ولا يقال: أجمع أعوانه، وشركاءه، وإنما يقال: جمع أعوانه، وأصدقاءه، وهذا مبني على قاعدة: «يقال: أجمع في المعاني، وجمع في الأعيان، هذا هو الأكثر والمستعمل». وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر، قال تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾. انظرها برقم [٦٠] من سورة (طه) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، حيث تجدها مؤولة. وقال تعالى في سورة (يونس) حكاية عن قول نوح على نبينا، وحبيبنا، وعليه، وعلى يونس، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف صلاة، وألف سلام: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ وهي مؤولة، فإن التقدير: فأجمعوا أمركم، وادعوا شركاءكم.

تنبيه: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما كنت أدري ما معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أفاتِحْك. تعني: أقاضيك، وهذا قول قتادة، والسدي وابن جريج، وجمهور المفسرين: أن الفاتح هو القاضي، والحاكم، سمي بذلك؛ لأنه يفتح أغلاق الإشكال بين الخصوم، ويفصلها.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين. ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي: عرفوني، واشرحوا لي هذه الأصنام، والأوثان؛ التي جعلتموها آلهة مع الله: هل شاركت في خلق شيء في هذا الكون، فبينوا ما هو؟ وبأي سبب ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة؟ وهو استفسار عن شبههم بعد إلزام الحجة عليهم، زيادة في تبكيتهم. ﴿كَلَّا﴾: ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة. والمعنى: ليس له نظير، ولا شريك، ولا نديد، فارتدعوا عن ما تدعون، وارجعوا عن غيكم، وضلالكم. ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ أي: المنفرد بالإيجاد، والإعدام، والإحياء، والإماتة... إلخ. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي، القادر، القاهر، الغالب على أمره. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في صنعه، وتدبير شؤون خلقه، فلا شريك له في خلقه، تبارك، وتعالى عما يقولون علواً كبيراً. هذا؛ ومعنى قوله: ﴿أَرُونِيَ﴾ وكان يراهم، أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله، وأن يطلعهم على حالة الإشراك به. هذا؛ وأطلق على الأصنام اسم الشركاء لأحد أمرين: أحدهما: أن المشركين يشركونها مع الله في العبادة، والتعظيم، والتقديس. وثانيهما: أنهم كانوا يشركونها في الأموال، والأنعام، والزروع. انظر الآية رقم [١٣٨] من سورة (الأنعام) وما بعدها.

أما القول في ﴿كَلَّا﴾، فإني أنقله لك بحروفه من مغني اللبيب لابن هشام، طيب الله ثراه؛ لتكون على بصيرة من أمرك. قال ـ رحمه الله تعالى ـ: وهي عند سيبويه، والخليل، والزجاج، وأكثر البصريين حرف معناه الردع والزجر، لا معنى لها عندهم إلا ذلك، حتى إنهم يجيزون أبداً الوقف عليها، والابتداء بما بعدها، وحتى قال جماعة منهم: متى سمعت: ﴿كَلَّا﴾ في سورةٍ؛ فاحكم بأنها مكية؛ لأن فيها معنى التهديد، والوعيد، وأكثر ما نزل ذلك بمكة؛ لأن أكثر العتو كان بها. وفيه نظر؛ لأن لزوم المكية إنما يكون عن اختصاص العتوِّ بها، لا عن غلبته؛ ثم لا تمتنع الإشارة إلى عتو سابق، ثم لا يظهر معنى الزجر في ﴿كَلَّا﴾ المسبوقة بنحو قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾، وقوله جل شأنه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

وقولهم: المعنى: انته عن ترك الإيمان بالتصوير في أي صورة ما شاء الله، وبالبعث، وعن العجلة بالقرآن تعسُّف؛ إذ لم يتقدم في الأولين حكاية نفي ذلك عن أحد، ولطول الفصل في الثالثة بين ﴿كَلَّا﴾، وذكر العجلة، وأيضاً فإن أول ما نزل خمس آيات من سورة (العلق)، ثم نزل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾، فجاءت في افتتاح الكلام، والوارد منها في التنزيل ثلاثة وثلاثون موضعاً، كلها في النصف الأخير، «وذلك في خمس عشرة سورة منه، وكلها مكية».

ويرى الكسائي، وأبو حاتم، ومن وافقهما: أن معنى الردع، والزجر ليس مستمراً فيها، فزادوا فيها معنًى ثانياً، يصح أن يوقف دونها، ويبتدأ بها، ثم اختلفوا في تعيين ذلك على ثلاثة أقوال: أحدها للكسائي ومتابعيه، قالوا: تكون بمعنى: حقّاً. والثاني لأبي حاتم، ومتابعيه، قالوا: تكون بمعنى: «أَلَا» الاستفتاحية. والثالث للنضر بن شميل، والفراء ومن وافقهما، قالوا: تكون حرف جواب بمنزلة: إي، ونَعَمْ، وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ فقالوا: معناه: إي والقمر.

وقول أبي حاتم عندي أولى من قولهما؛ لأنه أكثر اطراداً، فإن قول النضر لا يتأتى في آيتي: (المؤمنون) و(الشعراء) على ما سيأتي، وقول الكسائي لا يتأتّى في نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾، وقوله جل شأنه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، لأن «إنَّ» تكسر بعد ألَا الاستفتاحية، ولا تكسر بعد: حقّاً، ولا بعد ما كان بمعناها، ولأن تفسير حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم. وأما قول مكي: إن ﴿كَلَّآ﴾ على رأي الكسائي اسم؛ إذا كانت بمعنى: حقّاً؛ فبعيد؛ لأن اشتراك اللفظ بين الاسمية والحرفية قليل، ومخالف للأصل، ومحوج لتكلف دعوى علة لبنائها، وإلَّا فلمَ لا نُوِّنَتْ؟.

وإذا صلح الموضع للردع، ولغيره جاز الوقف عليها، والابتداء بها على اختلاف التقديرين. والأرجح حملها على الردع؛ لأنه الغالب فيها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ...﴾ إلخ، وقوله جل شأنه: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ...﴾ إلخ.

وقد تتعين للردع، أو الاستفتاح، نحو قوله جل شأنه: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ إلخ؛ لأنها لو كانت بمعنى: حقاً؛ لما كسرت همزة (إنَّ)، ولو كانت بمعنى: نعم لكانت للوعد بالرجوع؛ لأنها بعد الطلب، كما يقال: أكرم فلاناً، فتقول: نَعَمْ، ونحو قوله جل ذكره: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ وذلك لكسر (إنَّ) ولأن نعم بعد الخبر للتصديق، وقد يمتنع كونها للزجر، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ إذ ليس قبلها ما يصح رده. وقول الطبري، وجماعة: إنه لما نزل في عدد خزنة جهنم قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال بعضهم: اكفوني اثنين، وأنا أكفيكم سبعة عشر، فنزل: ﴿كَلَّآ﴾ زاجراً له تعسفٌ؛ لأن الآية لم تتضمن ذلك انتهى.

أقول: ويتلخص من هذا: أن الأكثر في ﴿كَلَّآ﴾ أن تكون حرف ردع، وزجر، وذلك إذا سبقها كلام يستدعي ذلك، ولا ردع في سورة (الانفطار)، ولا في سورة (العلق)، ولا في سورة (المطففين) وما جرى مجراهن، وإنما هي للتنبيه، والاستفتاح، وكم هو واضح! وتكون حرف جواب بمعنى: إي، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ ولا تكون بمعنى: حقّاً، كما بينه ابن

هشام لعدم فتح همزة (إنَّ) بعدها. ونقل الجمل عن السمين للنحويين فيها ستة مذاهب، والمعتمد ما لخصته لك، والوارد منها في القرآن الكريم ثلاثة وثلاثون موضعاً، كلها في النصف الأخير، قال الديربي في تفسيره المنظوم: [الطويل]

وَمَا نَزَلَتْ كَلَّا بِيَثْرِبَ فَاعْلَمَنْ وَلَمْ تَأْتِ فِي الْقُرْآنِ فِي نِصْفِهِ الأَعْلَى

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت»، ومتعلقه محذوف. ﴿أَرُونِيَ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به ثان. ﴿أَلْحَقْتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذين ألحقتموهم به. ﴿شُرَكَآءَ﴾: مفعول به ثالث، أو حال من الضمير المحذوف، العائد على: ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع، وزجر، لا محل له. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ ثان. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، يقول الله تعالى: أرسلناك إلى جميع الخلائق من المكلفين، كقوله تعالى لنبيه ﷺ في الآية رقم [١٥٨] من سورة (الأعراف): ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ قال محمد بن كعب القرظي: يعني إلى الناس عامة. وقال قتادة: أرسل الله محمداً ﷺ إلى العرب، والعجم، فأكرمهم على الله تبارك وتعالى، أطوعهم لله عز وجل. وقال ابن أبي حاتم عن عكرمة، قال: سمعت ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء، وعلى الأنبياء. قالوا: يا بن عباس! فبم فضله على الأنبياء؟ قال - رضي الله عنه -: إن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ وقال للنبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ فأرسله الله تعالى إلى الجن، والإنس. وهذا كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ مِنَ الأنبياءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسيرةَ شهرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسجداً وطهوراً، فأيُّمَا رجلٍ مِنْ أمتي أدركتهُ الصلاةُ؛ فَلْيُصَلِّ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغنائمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لأحدٍ قَبْلِي، وأُعطِيتُ الشفاعةَ، وكان النبي يُبْعَثُ إلى**

قومِهِ خاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى الناسِ عامَّةً». وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعِثْتُ إلى الأحمرِ، والأسودِ**». قال مجاهد: يعني: الجن، والإنس. وقال غيره: يعني العرب، والعجم. والكل صحيح. ﴿بَشِيرًا﴾ أي: لمن آمن بالجنة. ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: لمن كذب، وكفر بالنار. هذا؛ وبين ﴿بَشِيرًا﴾ و(نذيراً) طباق، وهو من المحسنات البديعية. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: انظر الآية رقم [٦] من سورة (الروم) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

(الناس): اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل قوم ورهط. . . إلخ، واحده: إنسان من غير لفظه، وهو يطلق على الإنس، والجن، لكن غلب استعماله في الإنس، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ وأصله: الأناس، حذفت منه الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وحذفها مع لام التعريف كاللازم، لا يكاد يقال: الأناس، وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأصل، ولكن بدون لام التعريف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ الآية رقم [٧١] من سورة (الإسراء). وقيل: إن أصله: النَّوس، ولم يحذف منه شيء، وإنما قلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَافَّةً﴾: **حال** من الكاف، قال أبو البقاء: والهاء زائدة للمبالغة. ﴿لِلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَافَّةً﴾ أي: وما أرسلناك إلا كافاً للناس عن الكفر، والمعاصي. وقيل: هو حال من الناس إلا أنه ضعيف عند الأكثرين؛ لأن صاحب الحال مجرور. ويضعف هنا من وجه آخر، وذلك: أن اللام على هذا تكون بمعنى: إلى؛ إذ المعنى: أرسلناك إلى الناس، ويجوز أن يكون التقدير: من أجل الناس. انتهى. ، واعتبره الزمخشري في الكشاف صفة لمصدر محذوف، التقدير: إلا إرسالةً كافة. وقد رده ابن هشام في المغني أقبح رد. هذا؛ وذكر الجَمَلُ الأقوال الثلاثة. ﴿بَشِيرًا﴾: حال من الكاف. ﴿وَنَذِيرًا﴾: معطوف عليه، والجملة الفعلية: ﴿أَرْسَلْنَاكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَ﴾: اسمها، و﴿أَكْثَرَ﴾ مضاف، و﴿النَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكن)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا...﴾ إلخ: يقول الكافرون بطريق الاستهزاء، والسخرية: متى هذا الوعد؟! يعنون به المبشر به، والمنذر عنه، أو الموعود بقوله تعالى: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ

﴿يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا...﴾ إلخ. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: في ما تبشرون، وفي ما تنذرون. يريدون بذلك النبي ﷺ والمؤمنين، وينبغي أن تعلم: أن هذه الآية تكررت بحروفها في كثير من السور، وفيها تسلية للنبي ﷺ أينما كانت.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يقولون): فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، لدلالة (ما) قبله عليه، التقدير: إن كنتم صادقين؛ فمتى يتحقق صدقكم؟! والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٠﴾

الشرح: ﴿قُل﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الطالبين تعجيل العذاب. ﴿لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ...﴾ إلخ: أي: لكم ميعاد مؤجل، لا يزيد، ولا ينقص، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة، ولا يقدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ أي: ولا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال، ولا التقدم إليه بالاستعجال. ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم: أنهم سألوا عن ذلك؛ وهم منكرون له تعنتاً، لا استرشاداً، فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقاً للسؤال على الإنكار، والتعنت، وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم، فلا يستطيعون تأخراً عنه، ولا تقدماً عليه. انتهى. نسفي. هذا؛ وفي سورة (الأعراف) رقم [٣٤] ومثلها في (يونس) رقم [٤٩] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾.

هذا؛ وميعاد أصله: «مِوْعاد» قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة، وانظر شرح (الساعة) في الآية رقم [١٤] من سورة (الروم) ولا تنس المقابلة، والطباق بين. ﴿تَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ و﴿تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾، وهو من المحسنات البديعية.

الإعراب: ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ومتعلقه محذوف، انظر الشرح. ﴿لَّكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿مِّيعَادُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿يَوۡمٖ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر للمفعول فيه. هذا؛ وقرئ برفع (يوم) على أنه

بدل مما قبله، وقرئ بنصبه منوناً على أنه ظرف له، والجملة الاسمية: ﴿لَّكُم مِّيعَادُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تَسْتَـْٔخِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿عَنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿مِّيعَادُ﴾، أو هي في محل جر صفة ﴿يَوْمٍ﴾ وذلك على حسب عود الضمير. ﴿سَاعَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: أبو جهل الخبيث، ومن على شاكلته، قالوا للنبي ﷺ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ الذي ينزل عليك يا محمد. ﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السابقة: التوراة، والإنجيل، والزبور؛ بل نكفر بالجميع. وقيل: المراد بالذي بين يديه: يوم القيامة، وما يذكر فيه من الحساب، والجزاء. والمعتمد الأول، وليس للقرآن يدان، وإنما هو استعارة لما سبقه من الكتب السماوية المنزلة من عند الله.

وسبب ذلك: أن أهل الكتاب قالوا للمشركين: إن صفة محمد في كتبنا كذا، وكذا، فاسألوه! فلما سألوه أجاب بما قال أهل الكتاب موافقاً لهم، فقال المشركون عندئذ: لا نؤمن بهذا القرآن، ولا بالذي بين يديه، وكانوا قبل ذلك يراجعون أهل الكتاب، ويستشيرونهم في أمر النبي ﷺ، ويحتجون بقولهم، فظهر بذلك تناقضهم، وسفه عقولهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾: محبوسون في موقف الحساب. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: ينتظرون أمره تعالى فيهم، وهم ذليلون وجلون، لا يرتد إليهم طرفهم، وأفئدتهم هواء. والخطاب للنبي ﷺ، ولكل مَنْ يَتَأَتَّى منه الرؤية. ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾: يتراجعون الكلام فيما بينهم، ويلوم بعضهم بعضاً. ويوبخ بعضهم بعضاً على ما اقترفوه من كفر، وهذا بعد أن كانوا في الدنيا متعاونين متناصرين. ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ أي: الذين كانوا فقراء مستضعفين، والذين تبعوا الرؤساء، وانقادوا لهم في الكفر، ومعاندة الحق، وهذا يكون في الآخرة حينما يعاينون العذاب، وغضب الواحد الجبار. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: وهم القادة والرؤساء. ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لولا أنتم تصدونا عن الإيمان؛ لكنا اتبعنا الرسول، وآمنا بما جاءنا به، ولكنكم أغويتمونا وأضللتمونا.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿نُّؤْمِنَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: نحن. ﴿بِهَٰذَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿بِٱلَّذِى﴾: جار ومجرور معطوفان على قوله: ﴿بِهَٰذَا﴾ واسم الإشارة، والاسم الموصول كلاهما مبنيان على السكون في محل جر بحرف الجر. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿يَدَيْهِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء، نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنًى لفظاً، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَن نُّؤْمِنَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿تَرَىٰٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، التقدير: ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم. . . إلخ. ﴿إِذِ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾: مبتدأ وخبر مرفوعان، وعلامة رفعهما الواو نيابة عن الضمة؛ لأنهما جمعا مذكر سالم، والنون فيهما عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة ﴿إِذِ﴾ إليها. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿مَوْقُوفُونَ﴾، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿تَرَىٰٓ إِذِ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب: (لو) محذوف، التقدير: لرأيت أمراً هائلاً وفظيعاً، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿يَرْجِعُ﴾: فعل مضارع. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: فاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿مَوْقُوفُونَ﴾، والرابط: الضمير فقط. ﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يَرْجِعُ﴾. ﴿ٱلْقَوْلَ﴾: مفعول به لـ: ﴿يَرْجِعُ﴾. ﴿يَقُولُ﴾: هذا الفعل بدل من: ﴿يَرْجِعُ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله. وقيل: الجملة مفسرة لجملة: ﴿يَرْجِعُ...﴾ إلخ. ﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿يَقُولُ﴾، وجملة: ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ مع متعلقه المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ، خبره محذوف وجوباً، التقدير: لولا أنتم صددتمونا عن الهدى. بدليل ما بعده. ﴿لَكُنَّا﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَوْلَآ﴾. (كنا): فعل ماض ناقص،

مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ جواب: ﴿لَوْلَآ﴾ لا محل لها، و﴿لَوْلَآ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: عن الإيمان، وهم الرؤساء، والعظماء، والأشراف. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟﴾ أي: الأتباع، الذين تبعوهم، وقلدوهم في الكفر. ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: منعناكم من الإيمان واتباع الرسل؟! فالاستفهام إنكاري، توبيخي بمعنى النفي. ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ أي: الهدى والإيمان، وذلك بدعوة الرسل إليه، والترغيب فيه. ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أي: بل أنتم كفرتم باختياركم بسبب أنكم كنتم مجرمين راسخين في الإجرام.

تنبيه: الآية الكريمة والتي بعدها تتحدثان عن ما يقع من المحاورة بين الرؤساء والأتباع، وبين الأشراف، والضعفاء يوم القيامة، والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق وقوعه؛ لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان، ووجد؛ لتحققه، وهو كثير في القرآن الكريم، وهو فن بلاغي.

تنبيه: المراد بـ: ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: الكافرون، وكثيراً ما يعبر القرآن الكريم عن الكافرين بالظالمين والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، وغير ذلك، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعَّدهم بالعقاب الشديد. وإننا نجد الكثير من المسلمين، يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يتوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، لاسيما من قرأ القرآن منهم، واطلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب.

هذا؛ وصد بمعنى: منع، وصرف، والمضارع: «يصد» بضم الصاد، ويأتي بمعنى: يعرض، ويميل، ومنه قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ ويأتي المضارع بضم الصاد، وكسرها، كما يأتي بمعنى: يضجون فرحاً، وهو بكسر الصاد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ومصدر الأولين: صد، وصدود، ومصدر الأخير: صديد، وقد فك الإدغام هنا على القاعدة: «إذا اتصل بالمضعف ضمير رفع متحرك؛ فك الإدغام».

أما ﴿كُنتُم﴾ فأصله: «كَوَنْتُمْ» فقل في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: «كَانْتُمْ» فالتقى ساكنان: الألف وسكون النون، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار: «كَنْتُمْ» بفتح الكاف، ثم أبدلت الفتحة ضمة لتدل على الواو المحذوفة، فصار: ﴿كُنتُم﴾، وهناك

إعلال آخر، وهو أن تقول: أصل الفعل: «كَوَنَ» فلما اتصل بضمير رفع متحرك، نقل إلى باب: فَعُل، فصار: «كَوُنْتُ» ثم نقلت حركة الواو إلى الكاف قبلها، فصار: «كُونْتُ» فالتقى ساكنان: العين المعتلة، ولام الفعل، فحذفت العين، وهي الواو لالتقائها ساكنة مع النون، فصار: «كُنْتُ» وهكذا قل في إعلال كل فعل أجوف واوي مسندٍ إلى ضمير رفع متحرك، مثل: قلْتُ، وقمْنَا، وقمْنَ... إلخ.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ مع متعلقه المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَنَحۡنُ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (نحن): ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿صَدَدۡنَٰكُمۡ﴾: فعل ماض، و(نا): فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿عَنِ ٱلۡهُدَىٰ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بَعۡدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿صَدَدۡنَٰكُمۡ﴾. وقيل: متعلق بمحذوف حال. و﴿بَعۡدَ﴾ مضاف، و: ﴿إِذۡ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وإنما وقعت ﴿إِذۡ﴾ مضافاً إليها، وإن كانت من الظروف الملازمة للظرفية؛ لأنه يتوسع في الزمان ما لا يتوسع في غيره، فأضيف إليه الزمان. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿إِذۡ﴾ مصدرية بمعنى «أن»، وعليه فتؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بإضافة ﴿بَعۡدَ﴾ إليه. ﴿جَآءَكُم﴾: ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾، تقديره: هو، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿بَلۡ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ. وجملة: ﴿كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول. هذا؛ ومجرمين صفة لموصوف محذوف، التقدير: بل كنتم قوماً مجرمين، بدليل التصريح به في كثير من الآيات، وجملة: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: جاء بالعاطف هنا، ولم يأت به في الآية السابقة لأن الذين استضعفوا ذكر أول كلامهم في الآية رقم [٣١] فجيء بالجواب محذوف

العاطف على طريق الاستئناف، ثم جيء في هذه الآية بكلام آخر للمستضعفين، فعطف على كلامهم الأول. هذا؛ ولا تنس المقابلة، والمطابقة بين ﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ و﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ في هذه الآية، وفي الآيتين السابقتين، وهي من المحسنات البديعية، التي تزيد الكلام حسناً، وجمالاً، وروعةً، وجلالاً.

﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: المكر أصله في لسان العرب: الاحتيال، والخديعة، وقد مكر به، يمكر فهو ماكر، ومكَّار، قال الشاعر: [الطويل]

قَهَرْتُ الْعِدَا لَا مُسْتَعِيناً بِعُصْبَةٍ وَلَكِنْ بِأَنْوَاعِ الْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ

وقال زياد بن يسار: [الطويل]

تَعَلَّمْ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّهَا فَبَالِغْ بِلُطْفٍ في التَّحَيُّلِ وَالْمَكْرِ

وهذا هو الشاهد رقم [١٠٢١] من كتابنا فتح القريب المجيب. قال الأخفش: هو على تقدير: هذا مكر الليل، والنهار. قال النحاس: والمعنى: ـ والله أعلم ـ: بل مكركم في الليل، والنهار. قال قتادة: بل مكركم بالليل والنهار صدنا. فأضيف المكر إلى الليل، والنهار لوقوعه فيهما، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ فأضاف الأجل إلى نفسه، وهذا من قبيل قولك: ليلهُ قائم ونهاره صائم، وقال المبرد مثله، وأنشد لجرير: [الطويل]

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرى وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ

ونظيره قوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إذ المعنى: مُبْصَراً فيه بالضوء؛ لأن النهارَ لا يُبْصِرُ؛ بل يُبْصَرُ فيه. هذا؛ وقرئ: (بل مكرٌ الليلَ والنهارَ) بالتنوين ونصب الظرفين، وقرئ: (بل مكرَ الليلِ والنهارِ) بنصب (مكر) ورفعه، وتشديد الراء، فهي قراءات ثلاث. وانظر الإعراب لإيضاح المعنى، وروي عن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال: المعنى مَرَّ الليلِ، والنهار عليهم، فغفلوا. وقيل: طول السلامة فيهما، كقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾. ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أي: أشباهاً، وأمثالاً، قال محمد بن يزيد: فلان ند فلان؛ أي: مثله، ويقال: نديد، وأنشد: [الوافر]

أَيَا مَنْ تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نِدّاً وَمَا أَنْتُمْ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدُ

والمعنى: أن المستكبرين لما أنكروا بقولهم: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ بأن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين، وأثبتوا ذلك بقولهم: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾: أن ذلك بكسبهم، واختيارهم؛ كَرَّ عليهم المستضعفون بقولهم: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم، كأنهم قالوا: ما كان الإجرام من جهتنا؛ بل من جهة مكركم لنا دائباً ليلاً، ونهاراً، وحملكم إيانا على الشرك، واتخاذ الأنداد.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾: أخفوها فيما بينهم، والمراد: الظالمون المحبوسون يوم القيامة، يندم المستكبرون على ضلالهم، وإضلالهم، ويندم المستضعفون على ضلالهم، واتباعهم المضلين. هذا؛ ويفسر (أسروا) بأظهروا الندامة، وجهروا بها، فهو من الأضداد يكون بمعنى الإخفاء، والإبداء، قال امرؤ القيس: [الطويل]

تَجَاوَزْتُ أحْرَاساً إلَيْهَا ومعْشَراً عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

وقيل: المعنى: تبينت الندامة في أسرار وجوههم. وقيل: الندامة لا تظهر، وإنما تكون في القلب، والذي يظهر ما يتولد عنها. هذا؛ والندم: ضرب من الغم، وهو أن تغتم على ما وقع منك، تتمنى أنه لم يقع، وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام؛ لأنه كلما تذكر المتندَّمَ عليه، راجعه. من: الندام، وهو لزام الشريب، ودوام صحبته. ومن مقلوباته: أدمن الأمر: أدامه، ومدن بالمكان: أقام به. ومنه: المدينة. وقد تراهم يجعلون الهم صاحباً، ونجياً، وسميراً، وضجيعاً، وموصوفاً بأنه لا يفارق صاحبه انتهى. كشاف. ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾: لما عاينوا عذاب النار. هذا؛ وإعلال ﴿رَأَوُاْ﴾ مثل إعلال: ﴿دَعَوُاْ﴾ في الآية رقم [٣٣] من سورة (الروم). ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ﴾: جمع: غُلّ. يقال: في رقبته غل من حديد. ومنه قيل للمرأة السيئة الخلق: غل قَمِل، وأصله أن الغل كان يتخذ من جلد، وعليه شعر فيَقْملَ. والغل، والغلة: حرارة العطش، وكل ذلك بضم الغين، وهو بكسرها بمعنى الحقد، ورحم الله من قال: [البسيط]

يا طَالِبَ العيشِ في أمْنٍ وفي دعةٍ رَغْداً بلَا قَتَر صَفْواً بلَا رَنَقِ
خَلِّصْ فؤَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ الْغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْل الْغُلِّ في الْعُنُقِ

﴿فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: وضعت الأغلال في أعناق الكافرين التابعين والمتبوعين، المستضعفين، والمستكبرين. وانظر شرح الكفر في الآية رقم [٣٤] من سورة (الروم). هذا؛ وإنما صرح بـ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وكان مقتضى القياس أن يقول «في أعناقهم» تنويهاً بذمهم، وإشعاراً بموجب إغلالهم. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يجزون إلا بأعمالهم، كل بحسبه للقادة عذاب بحسبهم، وللأتباع عذاب بحسبهم. هذا؛ وقال التيمي: لو أن غُلًّا من أغلال جهنم وضع على جبل؛ لوهصه حتى يبلغ الماء الأسود.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾: إعراب هذا الكلام مثل إعراب سابقه بلا فارق. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿مَكْرُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلَّيْلِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به، وإضافة المكر إليه، وخبره محذوف، التقدير: بل مكركم سبب ذلك. أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: بل سبب ذلك مكركم. وقيل: هو فاعل بفعل محذوف: التقدير: بل صدنا مكركم بنا في الليل والنهار،

وهذه الأقوال الثلاثة تجري في حالة رفع ﴿مَكْرُ﴾، منوناً، وغير منون، وعلى قراءة التنوين يكون ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ ظرفاً متعلقاً بـ: ﴿مَكۡرُ﴾ أو بمحذوف صفة له، وعلى قراءة: (مَكْرَ) بالنصب، فهو مفعول به لفعل محذوف، أو هو مفعول مطلق لهذا المحذوف، التقدير: تمكرون الإغواء مكر الليل، والنهار. وقيل: هو مصدر مضاف لمرفوعه، ولا وجه له، والجملة على جميع الاعتبارات في محل نصب مقول القول.

﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿مَكۡرُ﴾ على اعتباره مصدراً ميمياً. ﴿تَأۡمُرُونَنَآ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، و(نا): مفعوله الأول. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿نَّكۡفُرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن»، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثانٍ، أو هو منصوب بنزع الخافض، على اعتبار الفعل يتعدى إلى الثاني بحرف الجر. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَنَجۡعَلَ﴾: معطوف على ما قبله، والفاعل تقديره: «نحن». ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿أَندَادٗاۚ﴾: مفعول به أول.

﴿وَأَسَرُّواْ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (أسروا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾: مفعول به. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى: «حين» مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿رَأَوُاْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، وحركت الواو بالضمة دون غيرها ليفرق بين واو الجماعة، والواو الأصلية في نحو قولك: لَوِ اجتهدت؛ لنجحت. وقيل: ضمت لأن الضمة أخف من الكسرة؛ لأنها من جنس الواو. وقيل: حركت بحركة الواو المحذوفة. وقيل: غير ذلك. والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿لَمَّا﴾ إليها. ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: (أسروا. . .) إلخ مستأنفة، أو في محل نصب حال من: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ و: (الذين استكبروا) والرابط: الواو، والضمير، وعلى الاستئناف لا محل لها.

﴿وَجَعَلۡنَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾: مفعول به. ﴿فِيٓ أَعۡنَاقِ﴾: متعلقان بمحذوف مفعول ثان، أو بمحذوف حال من ﴿ٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾، و﴿أَعۡنَاقِ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَفَرُواْۚ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَجَعَلۡنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (أسروا. . .) إلخ على الوجهين المعتبرين فيها، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام بمعنى النفي. ﴿يُجۡزَوۡنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: تحتمل

الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: لا يجزون إلا جزاء الذي، أو: جزاء شيء كانوا يعملونه. وعلى اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: لا يجزون إلا جزاء عملهم، ولا بد من تقدير مضاف محذوف. وفيه ضعف كما ترى. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبره، وجملة: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال. وهو ضعيف. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ...﴾ إلخ: هذا شروع في تسلية النبي ﷺ وبيان له بأن الله تعالى لم يبعث رسولاً في قرية؛ إلا كذبه أغنياؤها، وعظماؤها، واتبعه الفقراء، والمستضعفون؛ سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنته تحويلاً، فقد حكى القرآن عن قوم نوح قولهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ سورة (الأنعام) رقم [١٢٣].

﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: هم أولوا النعمة، والثروة، والرياسة. وقال قتادة: هم جبابرتهم، وقادتهم، ورؤساؤهم في الشر. وترف، يترف: تنعم، وترفه في دنياه، وتمتّع بملاذها. قال تعالى في سورة (الواقعة) في حق أصحاب الشمال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾ أي: لا نؤمن به، ولا نتبعه. وقد افتخر المترفون بكثرة الأموال، والأولاد.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِى قَرْيَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّذِيرٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿قَرْيَةٍ﴾، وهي على تقدير «قد» قبلها، وساغ مجيء الحال من النكرة لتقدم النفي عليها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَـٰفِرُونَ﴾، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿أُرْسِلْتُم﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، والتاء نائب فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿كَـٰفِرُونَ﴾: خبر (إنَّ)

مرفوع. . .إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا بِمَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ أي: قال المترفون للرسل، ولأتباعهم الفقراء المستضعفين: فضلنا عليكم بالأموال، والأولاد، ولو لم يكن ربكم راضياً بما نحن فيه من الدين، والفضل؛ لم يخولنا ذلك. أرادوا: أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم، نظراً إلى أحوالهم في الدنيا، وظنوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله الأموال، والأولاد، والجاه العظيم، والمقام الكريم، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه؛ لما حرمهم متاع الدنيا، ومنعهم من التلذذ بنعيمها، فأبطل الله ظنهم بأن الرزق من فضل الله تعالى يقسمه كيف يشاء، فربما وسَّع على العاصي، وضيَّق على المطيع، وربما عكس، وربما وسع عليهما، أو ضيق عليهما، فلا ينقاس عليهما أمر الثواب في الآخرة.

وفي حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يُعْطِي الدنيا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحبُّ، وَلَا يُعْطِي الدينَ إِلَّا لِمَنْ أحَبَّ، فَمَنْ أعطاهُ الدينَ؛ فقدْ أحَبَّهُ**». رواه الإمام أحمد، وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل لَيَحْمِي عبْدَهُ الْمُؤمِنَ مِنَ الدُّنيَا، وَهُوَ يحبهُ، كمَا تحمُونَ مَرِيضَكُمُ الطعامَ، والشرابَ**». رواه الحاكم.

وما درى هؤلاء الكافرون، والفاسدون، والمجرمون أن ما يعطيهم الله من نعيم الدنيا إنما هو على سبيل الاستدراج. قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾. وقال جل ذكره: ﴿مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾. وقال جل شأنه، وتعالت حكمته: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ من سورة (المؤمنون)، والأولى من سورة (الأعراف)، والثانية من سورة (مريم)، انظر شرح هذه الآيات في محالها؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: لأن من أحسن الله إليه في الدنيا فلا يعذبه في الآخرة، وهذا على فرض، وتقدير الآخرة منهم؛ لأنهم ما كانوا يعتقدون بالبعث، والحساب، والجزاء.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَمْوَٰلًا﴾: تمييز. ﴿وَأَوْلَٰدًا﴾: معطوف عليه. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿نَحْنُ﴾: اسمها. ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (معذبين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول، وجملة: (قالوا. . .) إلخ معطوفة على جملة ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المتفاخرين بكثرة أموالهم، وأولادهم. ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يغني، ويوسع الرزق، ويعطي المال. ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾: التوسيع عليه. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق الرزق، ويقلله على من يشاء من عباده، وله الحكمة التامة البالغة، والحجة القاطعة الدامغة، ولذا قال جل شأنه في الآية رقم [٣٠] من سورة (الإسراء): ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ أي: ذو خبرة بعباده، وبمن يصلحه التوسيع في الرزق، ومن يفسده ذلك، وبمن يصلحه الضيق، والإقتار في الرزق، ومن يهلكه ذلك، وهو ذو بصر، ومعرفة بتدبير عباده، وسياستهم، فمن العباد من لا يصلح له إلا الغنى، ولو أفقره الله؛ لفسد، ومنهم من لا يصلح له إلا الفقر، ولو أغناه؛ لفسد. هذا؛ وبين: ﴿يَبْسُطُ﴾ و(يقدر) مقابلة، ومطابقة وهي من المحسنات البديعية. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: انظر الآية رقم [٦] من سورة (الروم)، ففيها بحث قيم.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّي﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَبْسُطُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّي﴾ تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلرِّزْقَ﴾: مفعول به. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَبْسُطُ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: محذوف؛ إذ التقدير: يبسط الرزق للذي، أو: لشخص يشاؤه. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: الواو: حرف عطف. (يقدر): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّي﴾ ومتعلقه محذوف، تقديره: له. والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ...﴾ إلخ، فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَ﴾: اسم: (لكن)، و﴿أَكْثَرَ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿إِنَّ رَبِّي...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها. وقيل: في محل نصب حال. ولا وجه له، فهو ضعيف. وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ أي: تقربكم عندنا قربى، وترفع مكانتكم عندنا لا في الدنيا، ولا في الآخرة، والزلفى: القربى. والزلفة: القربة. ومعنى الآية: لا تزيدكم الأموال، والأولاد عندنا رفعة، ودرجة، ولا تقربكم تقريباً. هذا؛ وأخبر بـ: (التي) عن الأموال، والأولاد؛ لأن الجمع المكسر عقلاؤه، وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث، والإفراد، والجمع. وقرئ: (بالذي). ويجوز في غير القرآن أن تقول: باللتيْنِ، وباللاتِي، وباللواتي، وباللَّذَيْنِ، وبالذين للأولاد خاصة. هذا؛ وقدم الله ذكر الأموال على الأولاد؛ لأنها أول عدة يفزع إليها عند نزول الخطوب.

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: قال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى: إلا من آمن وعمل صالحاً، فلن يضره ماله، وولده في الدنيا. وروى ليث عن طاوس: أنه كان يقول: اللهم ارزقني الإيمان، والعمل، وجنبني المال، والولد، فإني سمعت فيما أوحيت: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم...﴾ إلخ. ومعنى قول طاوس هذا؛ ـ والله أعلم ـ: اللهم جنبني المال، والولد المطغيين، أو: اللذين لا خير فيهما. فأما المال الصالح، والولد الصالح للرجل الصالح، فنعم هذا، وقد قال رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص: «**نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجُلِ الصَّالِحِ**». واعتبر الرسول ﷺ الولد الصالح من النعم العظيمة، ومن أسباب الخير للإنسان بعد موته وتكثير حسناته بسبب دعاء الولد الصالح له. هذا؛ وفي عطف العمل الصالح على الإيمان في الآية الكريمة وغيرها إيحاء بأن العمل قرين الإيمان، وقد لا يجدي الإيمان بلا عمل، وهو ما أفاده قول الرسول ﷺ: «**الإيمانُ والعملُ قرينَانِ، لا يقبلُ اللهُ أَحَدَهُمَا بدونِ صَاحِبِهِ**». كما أن الإيمان مشروط لقبول العمل الصالح، وهذا يسمى في علم البديع احتراساً، وينبغي أن تعلم: أن الأموال لا تقرب أحداً إلى الله إلا المؤمن الصالح، الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحداً، ولا تنفعه إلا من علمهم الخير، وفقههم في الدين، ودربهم على الصلاح وطاعة الله عز وجل.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾: فالضعف: الزيادة، أي لهم جزاء التضعيف، أي يضعف الله لهم حسناتهم، فيجزي بالحسنة الواحدة عشراً، إلى سبعين، إلى سبعمئة، وانظر الضعف، والتضعيف في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأحزاب). ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ أي: من عذاب الله، وسخطه، وانتقامه، و﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ جمع: غرفة، ويقرأ بفتح الراء، وضمها، وسكونها، وتجمع غرفة على: غرف أيضاً، انظر الآية رقم [٥٨] من سورة (العنكبوت) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. وانظر شرح «المال» في الآية رقم [٢٧] من سورة (الأحزاب). ولا تنس

الالتفات من الغيبة في الآية السابقة، إلى الخطاب في هذه الآية، انظر الالتفات، وفوائده في الآية رقم [٣٤] من سورة (الروم). هذا؛ ولا تنسَ مراعاة لفظ ﴿مَنْ﴾ بإرجاع الفاعل إليها، ومراعاة معناها باسم الإشارة، وما بعده.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس»، أو: هي مهملة لا عمل لها. ﴿أَمْوَٰلُكُمْ﴾: اسم (ما)، أو مبتدأ. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿أَوْلَٰدُكُم﴾: معطوف على ما قبله، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلَّتِي﴾: الباء: حرف جر صلة. (التي): اسم موصول مبني على السكون في محل جر لفظاً، وفي محل نصب محلاً على أنه خبر (ما)، أو على أنه خبر المبتدأ على إهمال (ما). هذا؛ وقال الفراء ـ وهو مذهب أبي إسحاق الزجاج ـ: المعنى: وما أموالكم بالتي تقربكم عندنا، ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى، ثم حذف خبر الأول لدلالة الثاني، وأنشد الفراء قول قيس بن الخطيم الأوسي وهو الشاهد رقم [١٠٥٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [المنسرح]

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى التي، وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عِندَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. وقيل: متعلق بمحذوف حال. ولا وجه له، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿زُلْفَىٰٓ﴾: مفعول مطلق، عامله من غير لفظه، وهو قوله: ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء من كاف الخطاب، وقال الزجاج: بدل منه. وهو غير معتمد. ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَنْ﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. وجملة: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء حرف تفريع، واستئناف. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جَزَآءُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿جَزَآءُ﴾ مضاف، و﴿ٱلضِّعْفِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: (أولئك). هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ خبر، (أولئك)، فالجار والمجرور يكونان متعلقين بـ: ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ بعدهما، والجملة الاسمية: (أولئك...) إلخ لا محل لها؛ لأنها مفرعة ومستأنفة، وهذا الإعراب يجعل هذه غير مرتبطة بما قبلها، لذا فالوجه اعتبار: ﴿مَنْ﴾ شرطاً جازماً، و: ﴿ءَامَنَ﴾ فعل شرطه، وجوابه جملة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ، وخبره: جملتا الشرط، والجواب على المعتمد عند المعاصرين. وهذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَنْ﴾ اسماً موصولاً مبتدأ؛ فالجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، وتكون الفاء زائدة في خبر الموصول؛ لأنه يشبه الشرط في العموم، وعلى الوجهين،

فمضمون الجملة الاسمية: ﴿مَنْ...﴾ إلخ في محل نصب على الاستثناء من مضمون الكلام السابق. هذا؛ وقرئ برفع الاسمين على أن ﴿ٱلضِّعْفِ﴾ بدل من ﴿جَزَآءُ﴾ كما قرئ: (جزاءً الضعفُ) على اعتبار (جزاءً) حالاً، من الضمير المستتر في الخبر المحذوف وهو متعلق: ﴿لَهُمْ﴾ و(الضِّعفُ) مبتدأ، و﴿لَهُمْ﴾ الخبر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (أولئك). ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿جَزَآءُ﴾؛ لأنه مصدر، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو: بشيء عملوه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملهم. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محلِّ رفع مبتدأ. ﴿فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿ءَامِنُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، أو هي معطوفة على ما قبلها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾: في إبطال أدلتنا، وحجتنا، وكتابنا، وذلك بالرد، والطعن فيها. ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾: معاندين، يظنون: أنهم يفوتوننا بأنفسهم، وأننا لا نقدر عليهم، ولا على بعثهم في الآخرة للحساب والجزاء، أو ظنوا أنا نهملهم. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي: في جهنم تحضرهم الزبانية فيها، لا يفلتون منها أبداً.

تنبيه: لما ذكر الله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وما أعد لهم من النعيم المقيم، والخير العميم؛ ذكر الذين كفروا، وما أعد لهم من العذاب الأليم، والعقاب الشديد، وتلك سنة الله في كتابه الكريم، حيث اقتضت حكمته ورحمته، فلا يذكر التصديق من المؤمنين؛ إلا ويذكر التكذيب من الكافرين، ولا يذكر الإيمان؛ إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة؛ إلا ويذكر النار، ولا يذكر الرحمة؛ إلا ويذكر الغضب والسخط؛ ليكون المؤمن راغباً راهباً، راجياً خائفاً. والمراد بعمل الصالحات: الأعمال الصالحات على اختلافها، وتفاوت درجاتها، ومراتبها.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبتدأ. ﴿يَسْعَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب... إلخ، وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُحْضَرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة

رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿أُولَٰئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ والكثير اقتران مثل هذه الجملة بالفاء؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وقد مر معنا كثير منه، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهو أقوى من العطف على ما قبلها.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾: تقدم هذا في الآية [٣٦] مستوفىً ولكن ما في هذه الآية في شخص واحد باعتبار وقتين، وما سبق في حق شخصين، فلا تكرير، ولا تكرار. وقيل: بل هو توكيد. وقيل: كررت الآية لاختلاف القصد؛ فإن القصد بالأول الكفار، والقصد هنا ترغيب المؤمنين في الإنفاق.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم الله به؛ فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبذل، وفي الآخرة بحسن المثوبة وعظم الجزاء، وكريم الثواب، وما في الدنيا يكون عاجلاً، أو آجلاً، كما ثبت في الحديث القدسي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: «**يا عبدي أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**». وقال النبي ﷺ: «**يدُ الله مَلْأى لا تغيضُها نفقةٌ، سَحَّاءُ بالليلِ، والنهار، أرأيْتُمْ ما أنفقَ منْذُ خَلقَ السمَوَاتِ والأرضَ، فإنه لم يَغِضْ ما بيدِهِ، وكان عرْشُهُ على الماءِ، وبيدِهِ الميزانُ يخفضُ، ويرفعُ**». رواه البخاري ومسلم.

وعن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُوكِي فيُوكَأَ عَلَيْكِ**». وفي رواية: «**أَنْفِقِي، أو انفحِي، أو انضحِي، ولا تُحْصِي، فَيُحْصِيَ الله عليكِ، ولا تُوعي، فيوعِيَ اللهَ علَيْكِ**». رواه البخاري، ومسلم. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ يوم يصبحُ العبادُ فيهِ، إلا وملكانِ ينزلانِ، فيقولُ أحدُهُمَا: اللهمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خلفاً، ويقولُ الآخَرُ: اللهم أعْطِ مُمْسِكاً تلَفاً**». أخرجه مسلم. فهذه أحاديثُ صحيحة صريحة، ترغب في إنفاق المال في وجوه الخير، وخذ ما يلي:

روى الدارقطني، وأبو أحمد بن عدي عن عبد الحميد الهلالي: عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ معروفٍ صدقةٌ، ما أنفقَ الرجلُ على نَفْسِهِ، وأهْلِهِ؛ كُتِبَ لهُ صدَقَةٌ، وَمَا وقى بهِ الرجلُ عِرضَهُ؛ فهوَ لهُ صدقةٌ، وما أنفق الرجلُ مِنْ نفقةٍ؛ فعلى اللهِ خَلَفُهَا، إلا مَا كَانَ مِنْ نَفَقَةٍ في بُنْيَانٍ، أو معصيةٍ**». قال عبد الحميد: قلت لابن المنكدر: ما وقى الرجُل به عرْضَهُ؟ قال: يعطي الشاعر وذا اللسان.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: أما ما أنفق في معصية؛ فلا خلاف: أنه غير مثاب عليه، ولا مخلوف له. وأما البنيان فما كان منه ضرورياً، يُكِنُّ الإنسان، ويحفظه؛ فذلك مخلوف عليه، ومأجور ببنيانه، وكذلك حفظ أسرته، وستر عورته، قال النبي ﷺ: **«ليسَ لابْنِ آدَمَ حقٌّ في سِوَى هذِهِ الخصال: بيتٌ يسكنُهُ، وثوبٌ يوارِي عورتَهُ، وجلفُ الخبزِ والماءِ»**. انتهى.

قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: من كان عنده من هذا المال؛ فليقتصد، فإن الرزق مقسوم، ولعل ما قسم له قليل، وهو ينفق نفقة الموسع عليه، فينفق جميع ما في يده، ثم يبقى طول عمره في فقر، ولا يتأولنَّ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ فإن هذا في الآخرة، ومعنى الآية: ما كان من خلف؛ فهو منه. انتهى. خازن.

أقول: المعيار، والميزان القسط قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الآية رقم [٢٩] من سورة (الإسراء)، وقوله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الآية رقم [٦٧] من سورة (الفرقان).

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: خير من يعطي، ويرزق؛ لأن كل ما رزق غيره: من سلطان يرزق جنده، أو سيد يرزق مملوكه، أو رجل يرزق عياله، فهو من رزق الله، أجراه الله على أيدي هؤلاء، وهو الرزاق الحقيقي، الذي لا رازق سواه، وهو خالق الأسباب التي ينتفع بها المرزوق بالرزق. وعن بعضهم: الحمد لله الذي أوجدني، وجعلني ممن يشتهي، فكم من مشته لا يجد، وواجد لا يشتهي، فسبحان مَنْ خزائنه لا تفنى، ولا تتناهى. ومن أخرج من عدم إلى الوجود؛ فهو الرزاق حقيقة، كما قال جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ وينبغي أن تعلم: أنَّ (الرَّزَّاق) صيغة مبالغة لم يسم به أحد غيره تعالى، وأما الرازق؛ فقد يطلق على غيره من العباد مجازاً؛ كما قدمت آنفاً. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٣٦] ما عدا قوله: ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ فهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من مفعول: ﴿يَشَآءُ﴾ المحذوف. و(من) بيان لما أبهم في: (مَنْ) وما عدا قوله: ﴿لَهُۥ﴾ فهما جار ومجرور متعلقان بالفعل: (يقدر)، وجملة: ﴿قُلْ إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿أَنفَقْتُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿مِّن شَيْءٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: (ما)، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يُخْلِفُهُۥ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «هو»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول:

لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) موصولة؛ فهي مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: الذي أنفقتموه، ويكون الجار والمجرور: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ متعلقين بمحذوف حال من الضمير المحذوف، والجملة الاسمية: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾: في محل رفع خبره، ودخلت الفاء على خبر الموصول؛ لأنه يشبه الشرط في العموم، والجملة: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم...﴾ إلخ على جميع الاعتبارات مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، وهو مضاف، و: ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المستتر في: ﴿يُخْلِفُهُۥ﴾، والرابط: الواو، والضمير. وقيل: معطوفة على ما قبلها. وهو ضعيف جداً.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: المستضعفين، والمستكبرين. ويقرأ الفعل بالياء، والنون. والحشر: الجمع، والمراد: بعثهم للحساب، والجزاء. ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ: هذا السؤال للملائكة مضمونه التقريع، والتوبيخ للكفار، وارد على المثل السائر: «إياكِ أَعْني، واسْمَعي يَا جَارَة». ونحوه قوله تعالى في الآية رقم [١١٦] من سورة (المائدة): ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

تنبيه: قال الزمخشري، ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: فالله قد سبق في علمه المسؤول عنه، فما فائدة هذا السؤال؟ قلت: فائدته: أن يجيبوا بما أجابوا به؛ حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم، فيبهتوا، وينخذلوا، وتزيد حسرة الكافرين العابدين للملائكة، وغيرهم في الدنيا، ويكون ذلك نوعاً مما يلحقهم من غضب الله وعقابه، ويغتبط المؤمنون، ويفرحوا بحالهم، وإيمانهم، ونجاتهم من فضيحة أولئك، وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفاً للمكلفين، وفيه كسر بيِّنٌ لقول من يزعم: أنه يضل عباده على الحقيقة، حيث يقول للمعبودين من دونه: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ بأنفسهم، فيتبرؤون من إضلالهم، ويستعيذون بالله أن يكونوا مضلين، ويقولون: أنت تفضلت على هؤلاء وآبائهم من غير سابقةٍ تفضُّلَ جوادٍ كريم، فجعلوا النعمة ـ التي حقها أن تكون سبب الشكر ـ سبب الكفر، ونسيان الذكر، وكان ذلك سبب هلاكهم، فإذا برأت الملائكة، والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال؛ الذي هو عمل الشياطين إليهم، واستعاذوا منه، فهم لربهم الغني العدل أشدُّ تبرئة، وتنزيهاً منه، ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة، والتمتيع بها، وأسندوا نسيان الذكر، والتسبب به للبوار إلى الكفرة، فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ ولو كان هو المضل على الحقيقة؛ لكان الجواب العتيد أن يقولوا: بل أنت أضللتهم. انتهى. كشاف

في سورة (الفرقان) رقم [١٧] وهذا مبني على مذهبه في الاعتزال، وهو أن العبد يخلق أفعال نفسه، وأما مذهب أهل السنة، فإن الله خالق للعبد، ولعمله، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨] من سورة (فاطر).

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (يوم): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو ظرف زمان متعلق به. ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: فعل مضارع، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو»، يعود إلى (الله) أو تقديره: «نحن» على قراءته بالنون، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير المنصوب، وفيها معنى التوكيد. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع، وفاعله تقديره: «هو»، أو: «نحن». ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿إِيَّاكُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، وفيه دليل على جواز تقديم خبر (كان) عليها؛ لأن تقديم معمول الخبر يؤذن بصحة تقديم الخبر. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْبُدُونَ﴾ مع مفعوله المقدم في محل نصب خبر (كان)، وجملة: «كانوا يعبدون إياكم» في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها، وجملة: «اذكر يوم...» إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: قال الملائكة. ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تعاليت، وتقدست، وتنزهت عن أن يكون معك إله. ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: نحن نتولاك بالعبادة، والتقديس، ولا نتولاهم، فبينوا بإثبات موالاة الله، ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم. ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي: الشياطين؛ حيث أطاعوهم في عبادة غير الله. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي التفاسير أن حيًّا يقال لهم: «بنو مليح» من خزاعة كانوا يعبدون الجن، ويزعمون: أن الجن تتراءى لهم، وأنهم ملائكة، وأنهم بنات الله، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا...﴾ إلخ الآية رقم [١٥٨] من سورة (الصافات) انظر شرحها هناك. ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾: الضمير الأول للإنس، أو للمشركين، والأكثر بمعنى الكل، والثاني للجن.

قال الخازن: فإن قلت: قد عبدوا الملائكة، فكيف وجه قوله: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ قلت: أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة، فأطاعوهم في ذلك، فكانت طاعتهم

للشياطين عبادة لهم. وقيل: صوروا لهم صوراً، وقالوا لهم: هذه صور الملائكة، فاعبدوها، فعبدوها. وقيل: كانوا يدخلون في أجواف الأصنام، فيعبدون بعبادتها. انتهى.

الإعراب: ﴿قَالُوا﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿سُبْحَانَكَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله فيكون الفاعل محذوفاً. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿وَلِيُّنَا﴾: خبر المبتدأ، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِن دُونِهِم﴾: متعلقان بـ: (ولي) وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملتان ﴿سُبْحَانَكَ أَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وانتقال. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿أَكْثَرُهُم﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُّؤْمِنُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط، أو هي مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها بدلاً من جملة: ﴿يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ فلست مفنداً، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: ففي يوم الحساب، والجزاء. ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: لا ينفع العابدون، ولا المعبودون بعضهم بعضاً بشفاعة، ولا بنجاة، ولا بدفع هلاك، وعذاب؛ إذ الأمر كله لله الواحد القهار؛ لأن الدار دار جزاء، وهو المجازي وحده. قال أبو السعود في تفسيره: يخاطبون بذلك على رؤوس الأشهاد إظهاراً لعجزهم، وقصورهم عن نفع عابديهم، وإظهاراً لخيبة رجائهم بالكلية. ونسبة عدم النفع، والضر إلى البعض للمبالغة في المقصود، كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة، كنفع العبدة لهم. انتهى.

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: ظلموا أنفسهم بالكفر، فأدْخلوها العذاب الأليم، وسببوا لها العقاب الشديد. ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: قال الجمل: وقع الموصول هنا وصفاً للمضاف إليه، وفي (السجدة) رقم [٢٠] وقع وصفاً للمضاف، فقيل: لأنهم ثمة كانوا ملابسين للعذاب، كما صرح به في النظم، فوصف لهم ما لابسوه، وما هنا عند رؤية النار عقب الحشر، فوصف لهم ما عاينوه. وكونه هنا وصفاً للمضاف على أن تأنيثه مكتسب تكلفٌ. انتهى. نقلاً من الشهاب. وانظر ما ذكرته في آية (السجدة).

الإعراب: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: الفاء: حرف عطف لترتيب الأخبار. (اليوم): ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، ولو رفع لكان مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمْلِكُ﴾: فعل مضارع. ﴿بَعْضُكُمْ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِبَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ويجوز تعليقهما بـ: ﴿نَّفْعًا﴾ بعدهما؛ لأنه مصدر. ﴿نَّفْعًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: صلة لتأكيد النفي. ﴿ضَرًّا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، ولا تنس الالتفات من الغيبة في الآية السابقة إلى الخطاب في هذه الآية. ﴿وَنَقُولُ﴾: الواو: حرف عطف. (نقول): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ظَلَمُواْ﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ذُوقُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، وجملة: ﴿ذُوقُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَنَقُولُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة ﴿لَا يَمْلِكُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿ٱلنَّارِ﴾. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُم...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: وإذا قرئ القرآن على كفار قريش، وتليت آياته واضحات المعاني، بينات الإعجاز، وسمعوها غضة طريةً من لسان رسولنا محمد ﷺ ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾ يريدون النبي ﷺ. ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ أي: يريد أن يصرفكم عن معبودات آبائكم التي هي الحجارة، والأوثان، فاحذروه، وتمسكوا بتلك المعبودات، وعضوا عليها بالنواجذ.

﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾: فهم يريدون أن ما يقرؤه النبي ﷺ من آيات الله البينات، إنما هو مختلق اختلقه النبي من تلقاء نفسه. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: المراد بالحق: نور الإسلام، أو نور القرآن، أو هو نور محمد سيد الأنام. ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: الحق الذي جاءهم. ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: فقد تحيروا، فتارة قالوا: سحر، وتارة قالوا: إفك، ويحتمل أن

يكون منهم من قال: شعر، ومنهم من قال: إفك، وفي تكرير الفعل: (قالوا) والتصريح بذكر الكفرة، وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين، والمقول فيه، وما في ﴿لَمَّا﴾ من المبادهة إلى البت بهذا القول إنكار عظيم له، وتعجيب بليغ منه، وانظر شرح (السحر) في الآية رقم [٣٤] من سورة (الشعراء). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٢٣]. ﴿تُتْلَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: نائب فاعل، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: حال منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿تُتْلَىٰ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة: (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رَجُلٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿رَجُلٌ﴾. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَصُدَّكُمْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿رَجُلٌ﴾، والكاف مفعول به، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿يُرِيدُ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ﴿رَجُلٌ﴾. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿يَعْبُدُ﴾: فعل مضارع. ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾: تنازعه الفعلان قبله، فالأول يطلبه اسماً له، والثاني يطلبه فاعلاً، والثاني أولى عند البصريين لقربه، والأول أولى عند الكوفيين لسبقه، وعلى المذهبين يضمر في أحدهما، والظاهر للآخر، وجملة: ﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها على الاعتبارين الأولين فيها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو: عن شيء كان يعبده آباؤكم، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: يصدكم عن عبادة آبائكم. وجملة: (قالوا: ما هذا...) إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَقَالُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض وفاعله. والألف للتفريق، والجملة الاسمية: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾ في محل نصب مقول القول، وإعرابها مثل إعراب سابقتها. ﴿مُّفْتَرًى﴾: صفة: ﴿إِفْكٌ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها مثلها. ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾

مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لِلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (قال). ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: (قال)، أو هو متعلق بمحذوف حال من (الحق) والمعنى: لا يأباه. ﴿جَآءَهُمْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الحق، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿لَمَّا﴾ إليها. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿هَٰذَآ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّآ﴾ حرف حصر. ﴿سِحْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنْ هَٰذَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وكذا إن اعتبرتها معطوفة على ما قبلها لا محل لها.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ أي: وما أعطيناهم كتباً يقرؤونها فيها برهان على صحة معتقداتهم، وعبادتهم الحجارة، والأوثان، ولا أرسلنا إليهم قبلك يا محمد نذيراً ينذرهم بالعقاب؛ إن لم يشركوا، كما قال الله عز وجل: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ الآية رقم [٣٥] من سورة (الروم)، أو وصفهم الله بأنهم قوم أميون أهل جاهلية، لا ملة لهم، ولا عهد لهم بإنزال كتاب، ولا بعثة رسول، كما قال جل ذكره: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ الآية رقم [٢١] من سورة (الزخرف) فليس لتكذيبهم وجه، ولا متشبث؛ ولا شبهة يتعلقون بها، كما يقول أهل الكتاب، وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتب وشرائع، ومستندون إلى رسول من رسل الله. قال الطبري: أي ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد ﷺ، أي: فكيف يحق لهم معاداته؟ وانظر ما ذكرته في سورة (يس) رقم [٦] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿ءَاتَيْنَٰهُم﴾: فعل ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿كُتُبٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿يَدْرُسُونَهَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿كُتُبٍ﴾ على اللفظ، والجملة الفعلية: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال، وهو وجه ضعيف. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿قَبْلَكَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بما بعده، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّذِيرٍ﴾: مفعول به منصوب مثل: ﴿كُتُبٍ﴾. وجملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذب قبل أهل مكة أقوام، كانوا أشد من هؤلاء بطشاً، وأكثر أموالاً، وأولاداً، وأوسع عيشاً، فأهلكتهم، كقوم فرعون، والنمرود، وكثمود، وعاد، فما أغنى عنهم قوتهم، ولا أموالهم، كما قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الآية رقم [٨] من سورة (الزخرف). ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أي: ما بلغ كفار قريش عشر ما أوتي جبابرة الأمم السابقة من القوة، وعلو المكانة في الدنيا، والنعمة، وطول الأعمار. و(المعشار) كالمرباع، وهما: العشر، والربع.

﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾: وإنما قال: ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ وهو مستغنًى عنه بقوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ لأنه لما كان معنى قوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: وفعل الذين من قبلهم التكذيب، وأقدموا عليه؛ جعل تكذيب الرسل مسبباً عنه، وهو كقول القائل: أقدم فلان على الكفر، فكفر بمحمد ﷺ. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: عقابي للمكذبين الأولين، فليحذر كفار قريش من مثله! أي: فحين كذبوا رسلهم؛ جاءهم إنكاري بالتدمير، والإهلاك، والاستئصال، ولم تغن عنهم قوتهم، ولا أموالهم، ولا أولادهم شيئاً، فما لكفار قريش لا يهتدون، ولا يرتدعون عما هم عليه من الكفر، والعصيان، والطغيان؟! هذا؛ والاستفهام معناه التعجب، ومفاده: التغيير؛ أي: فانظر كيف كان تغييري ما كانوا فيه من النعيم، والرخاء بالعذاب، والهلاك، فكذلك أفعل بالمكذبين من قريش. قال الجوهري: النكير، والإنكار: تغيير المنكر، ولا معنى له هنا. والكلام فيه تهديد، ووعيد.

الإعراب: ﴿وَكَذَّبَ﴾: الواو: حرف عطف. (كذب): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَكَذَّبَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿بَلَغُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿مِعْشَارَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله الأول، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والرابط، أو العائد محذوف، التقدير: معشار الذي، أو: شيء آتيناهموه. ﴿فَكَذَّبُوا۟﴾: الفاء: حرف عطف. (كذبوا): فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿رُسُلِى﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة،

والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِيۖ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: حرف عطف. (كيف): اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾، تقدم عليها، وعلى اسمها. ومفاد الاستفهام الإنكار، والتعجب معاً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿نَكِيرِ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فأهلكتُهم، فكيف كان نكيري؟! وقدر البيضاوي المحذوف بقوله: فحين كذبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير، فكيف كان نكيري؟!

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾: أرشدكم، وأنصح لكم بخصلة واحدة، وأحذركم سوء عاقبة ما أنتم عليه. والخصلة الواحدة هي قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾: ليس المراد بالقيام حقيقته، الذي هو الانتصاب على القدمين؛ بل المراد به النهوض بالهمة، والاعتناء، والاشتغال بالتفكر في أمر محمد ﷺ، وما جاء به، وطلب القرآن من كفار قريش أن يتفكروا في أمره ﷺ مثنى، وفرادى، ففيهما طباق بديع؛ لأن الاثنين يتفكران، ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظر فيه، وأما الواحد فيفكر في نفسه أيضاً بعدل ونَصَفَة، فيقول: هل رأينا في هذا الرجل جنونا، أو جربنا عليه كذباً قط؟ وقد علمتم أن محمداً ﷺ ما به من جنون؛ بل علمتموه أرجح قريش عقلاً، وأرزنهم حلماً، وأحَدَّهم ذهناً، وأرضاهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأزكاهم نفساً، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال، ويمدحون به، وإذا علمتم بذلك؛ كفاكم أن تطالبوه بآية، وإذا جاء بها؛ تبين أنه نبي صادق فيما جاء به. انتهى. خازن. وهذا فحوى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ والتعبير بـ: (صاحبكم) للإيماء إلى أن حال النبي ﷺ مشهور بينهم؛ لأنه تربى في أحضانهم، وترعرع فيما بينهم، ويعرفون خلقه، وصدقه، وأمانته وعفته.. إلخ، ولذلك سماه قومه: الأمين، وانظر شرح: ﴿جِنَّةٍۚ﴾ في الآية رقم [٨].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم...﴾ إلخ: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم، فقال: يا صباحاهْ! فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم: أن العدو يصبحكم، أو يمسيكم، أما كنتم تصدقوني؟!**». قالوا: بلى! قال ﷺ: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تباً لك! ألهذا جمعتنا؟! فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. رواه البخاري. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٤] من سورة (الحجر) و(الشعراء) [٢١٤].

وقال الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرج إلينا رسول الله ﷺ يوماً، فنادى ثلاث مرات، فقال: «**أيها الناسُ تدرُونَ مَا مَثَلي ومَثلكُمْ؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «**إنما مثلي ومثلكمْ مَثَلُ قوم خافوا عدواً يأتيهِمْ، فبعثُوا رجلاً يتراءى لهمْ، فبينما هو كذلك؛ أبصرَ الْعَدُوَّ، فأقبلَ لِيُنذرهُمْ، وخَشِيَ أن يُدْرِكهُ العَدوُّ قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبِهِ، أيُّها الناسُ! أُوتيتم. أيها الناسُ! أوتيتمْ**». ثلاث مرات. هذا؛ وفي قوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ...﴾ إلخ استعارة، حيث استعير لفظ اليدين لما يكون من الأهوال، والشدائد أمام الإنسان يوم القيامة، وفي قوله: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ مقابلة، ومطابقة بينهما، وهذا من المحسنات البديعية.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿أَعِظُكُم﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَقُومُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بدلاً من: (واحدة)، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي قيامكم، أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني قيامكم. ومذهب الزجاج: في محل نصب على نزع الخافض. وأقواها أولها، وقال الزمخشري: عطف بيان على: (واحدة) ورده ابن هشام في المغني بقوله: البيان لا يخالف متبوعه في تعريفه، وتنكيره. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾: حالان من واو الجماعة منصوبان، وعلامة نصبهما فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَتَفَكَّرُواْ﴾: معطوف على: ﴿تَقُومُواْ﴾ منصوب مثله.

﴿مَا﴾: نافية، معلقة للفعل: ﴿تَتَفَكَّرُواْ﴾ عن العمل. ﴿بِصَاحِبِكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿جِنَّةٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، علامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل: تتفكروا، وقال أبو حاتم: الوقف على ﴿تَتَفَكَّرُواْ﴾ والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: ﴿مَا﴾ استفهامية، والمعنى: ثم تتفكروا أي شيء به من آثار الجنون، وعليه فالجار والمجرور: ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ متعلقان بمحذوف حال من: (صاحبكم)، وهو ضعيف معنًى، وتركيباً كما ترى. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَّكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نَذِيرٌ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿نَذِيرٌ﴾، أو صفة أخرى له، أو هو متعلق بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿لَّكُم﴾.

و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿يَدَىْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى صورة، وحذفت النون للإضافة، و﴿يَدَىْ﴾ مضاف، و﴿عَذَابٍ﴾ مضاف إليه. ﴿شَدِيدٍ﴾: صفة: ﴿عَذَابٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنْ هُوَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين. ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: أيُّ شيء سألتكم من أجر على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾: والمراد: نفي السؤال عنه فإنه جعل التنبي مستلزماً لأحد الأمرين: إما الجنون، وإما توقع نفع دنيوي عليه؛ لأنه إما أن يكون لغرض، أو لغيره، وأياً ما كان يلزم أحدهما، ثم نفى كلاً منهما. وقيل: ﴿مَا﴾ موصولة مراد بها: ما سألهم بقوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾، وقوله تعالى: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ واتخاذ السبيل ينفعهم، وقرباه قرباهم. انتهى. بيضاوي.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ما ثوابي، وأجري إلا على الله فهو الذي يثيبني، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: حفيظ مهيمن يعلم: أني لا أطلب الأجر على نصيحتكم، ودعائكم إليه إلا منه، ولا أطمع منكم في شيء.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان مقدم. ﴿سَأَلْتُكُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والكاف مفعول به أول. ﴿مِّنْ أَجْرٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مَا﴾، و﴿مِّنْ﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (هو) مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها. هذا؛ وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ موصولة، فهي مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: الذي سألتكموه. و﴿مِّنْ أَجْرٍ﴾ متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، والجملة الاسمية: (هو لكم) في محل رفع خبر المبتدأ، ودخلت الفاء عليه لأن الموصول يشبه الشرط في العموم.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى (ما). ﴿أَجْرِيَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَهِيدٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿شَهِيدٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة

الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير. والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: القذف، والرمي تصويب السهم، ونحوه بدفع، واعتماد، وقوة، ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾. ومعنى ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يلقيه، وينزله إلى أنبيائه، أو يرمي به الباطل فيدفعه، ويزهقه، كقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ وهو قول ابن عباس. أو: يرمي به إلى أقطار الآفاق، فيكون وعداً بإظهار الإسلام، وإفشائه. وانظر شرح الحق في الآية رقم [٣٠] من سورة (لقمان)، وانظر شرح ﴿يَقْذِفُ﴾ في الآية رقم [٥٣].

﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: صيغة مبالغة: عالم. و﴿الْغُيُوبِ﴾: الأمر الذي غاب، وخفي جداً، وهو يقرأ بتثليث الغين، فالضم، كالشعور، والفتح، كالصبور، والكسر، كالبيوت (بكسر الباء).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبِّي﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَقْذِفُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر فيه، ومفعوله محذوف، التقدير: يقذف الباطل بالحق، أي: يدفعه. ﴿بِالْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أي: ملتبساً بالحق، وأجيز اعتبار الباء زائدة، والحق مفعوله، أو الفعل يضمن معنى: يقضي، ويحكم، فيكون لازماً. ﴿عَلَّامُ﴾: بدل من محل اسم: ﴿إِنَّ﴾، أو صفة له، أو هو بدل من الضمير المستكن بالفعل: ﴿يَقْذِفُ﴾، أو هو خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾، أو هو خبر لمبتدأ محذوف. وقرئ بالنصب على أنه صفة لـ: ﴿رَبِّي﴾، أو بدل منه، أو هو على إضمار: أعني، و﴿عَلَّامُ﴾ مضاف، و﴿الْغُيُوبِ﴾ مضاف إليه، من إضافة مبالغة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿يَقْذِفُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها من الإعراب. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي: الإسلام، والقرآن، وذهب الباطل، واضمحل، ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة؛ جعل

يطعن الصنم منها بعودٍ كان في يده، ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الآية رقم [٨١] من سورة (الإسراء). ويقرأ: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه. أي: لم يبق للباطل مقالة، ولا رياسة، ولا كلمة. وزعم قتادة، والسدي: أن المراد بالباطل هنا: إبليس؛ أي: إنه لا يخلق أحداً، ولا يعيده على ذلك. وهذا؛ وإن كان حقاً، ولكن ليس هو المراد هاهنا، والله أعلم. انتهى. مختصر ابن كثير. وانظر شرح: ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ في العنكبوت [٥٢]. وفي البيضاوي تبعاً للزمخشري: ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: الشرك ذهب بحيث لم يبق له أثر، مأخوذ من هلاك الحي، فإنه إذا هلك لم يبق إبداء ولا إعادة أي: فإنه كناية عن هلاكه، وذهابه، وفي ﴿يُبْدِئُ﴾ و﴿يُعِيدُ﴾ طباق أيضاً. ومنه قول عبيد بن الأبرص: [الرجز]

أأقْفَرَ مِنْ أهلِهِ عُبَيدُ فاليومَ لا يُبْدِي ولا يُعيدُ

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يُبْدِئُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: ما يبدئ الباطل لأهله خيراً. ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾: مثله في حذف المفعول، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾، التقدير: وما يعيد لأهله خيراً. وقيل: الفعلان منزلان منزلة اللازم، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا يُبْدِئُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول. هذا؛ وإن اعتبرتها في محل نصب حال من ﴿ٱلْحَقُّ﴾ فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط الواو فقط. هذا؛ وقيل: (ما) استفهامية مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، التقدير: وأي شيء يبدئ الباطل؟! وهو غير واضح معنى.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين. ﴿إِن ضَلَلْتُ﴾ أي: عن الحق. ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي: وبال ضلالي عليها، فإنه بسببها؛ إذ هي الجاهلة بالذات، والأمارة بالسوء. وذلك: أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: تركتَ دين آبائك، فضللت. وقراءة الجمهور: ﴿ضَلَلْتُ﴾ بفتح اللام، وقرأ يحيى بن وثاب، وغيره بكسر اللام، وفتح الضاد من: «أَضَلُّ». والضلال، والضلالة: ضد الرشاد. وقد ضَلَلْت بفتح اللام، أضِل بكسرها، وهي قراءة حفص في هذه الآية، فهذه لغة نجد، وهي الفصيحة، وأهل العالية يقولون: «ضلِلت، أضَل» بكسر الضاد

فيهما، وانظر شرح (الضلال) في الآية رقم [١١] من سورة (لقمان)، و(السجدة) رقم [١٠]. ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ أي: إلى الحق، والصواب. ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾: من القرآن والحكمة، وإن الاهتداء بهدايته، وتوفيقه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا...﴾ إلخ الآية رقم [١٣] من سورة (السجدة).

وكان قياس التقابل أن يقال: وإن اهتدت، فإنما أهتدي لها، كقوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ الآية رقم [١٥] من سورة (الإسراء) ولكن هما متقابلان معنًى؛ لأن النفس كل ما هو وبال عليها، وضار لها، فهو بها، وبسببها؛ لأنها الأمارة بالسوء، وما لها مما ينفعها؛ فبهداية ربها، وتوفيقه، وهذا حكم عام لكل مكلف، وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه؛ لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة قدره، وسداد طريقته، كان غيره أولى به. انتهى. نسفي. وانظر ما ذكرته في سورة (الشعراء) رقم [٨٠]. ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾: يسمع قول كل ضال، ومهتد. ﴿قَرِيبٌ﴾: مني، ومنكم يجازيني بعملي، ويجازيكم بأعمالكم.

هذا؛ وأصل الوحي: الإشارة السريعة، والوحي: الكتاب المنزل على الرسول المرسل لقومه، مثل موسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين، والوحي أيضاً: الكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك. وتسخير الطير لما خلق له إلهام، والوحي إلى النحل، وتسخيرها لما خلقها الله له إلهام أيضاً، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٨] من سورة (النحل) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿ضَلَلْتُ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنَّمَآ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿أَضِلُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «أنا». ﴿عَلَىٰ نَفْسِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء: ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة: ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تحل محل المفرد عند الدسوقي، وهي في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور. و(إن) ومدخولها في محل نصب مقول القول. و(إن) الثانية ومدخولها كلام معطوف عليه فهو في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿فَبِمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (بما): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فاهتدائي بما. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: فبسبب الذي، أو: شيء يوحيه... إلخ، وعلى اعتبارها مصدرية، تؤول مع ما بعدها

بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فاهتدائي بسبب إيحاء ربي إليَّ، والجملة الاسمية على التقديرين في محل جزم جواب الشرط. ﴿يُوحِىٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿إِلَىَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبِّىٓ﴾: فاعل ﴿يُوحِىٓ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . .إلخ، والياء: في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿سَمِيعٌ﴾: خبر (إن). ﴿قَرِيبٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية تعليل للاهتداء، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ولكل من يتأتَّى منه الرؤية، والتبصر، والاعتبار. ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾: عند الموت، أو عند البعث، والخروج من القبور. وقال السدي: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة، فلم يستطيعوا فراراً، ولا رجوعاً إلى التوبة. وقال سعيد بن جبير: هو الجيش الذي يخسف بهم في البيداء، فيبقى منهم رجل واحد، فيخبر الناس بما لقي أصحابه. فيفزعون، وذلك أن ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها، فإذا دخلوا البيداء خسف بهم، كذا قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -. وهذا يكون في آخر الزمان. والمعتمد الأول، و(لو) و﴿إِذْ﴾ والأفعال التي هي: ﴿فَزِعُوا۟﴾ و(أخذوا) في هذه الآية، و(حيل بينهم) في الآية الأخيرة كلها للمضي، والمراد بها الاستقبال، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٢]. ﴿فَلَا فَوْتَ﴾: فلا مهرب، ولا محيص؛ بل: ولا ملجأ لهم. ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: من الموقف إلى النار، أو أخرجوا من القبور. وقيل: من حيث كانوا، فهم من الله قريب، لا يعجزون الله، ولا يفوتونه.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿تَرَىٰٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف. تقديره: الكافرين، أو المجرمين، أو حالهم. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿فَزِعُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة: ﴿تَرَىٰٓ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، التقدير: لرأيت أمراً فظيعاً، وهولاً عظيماً. وأجيز اعتبار: (لو) للتمني، فلا تحتاج إلى جواب حينئذ، والأول أقوى. و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف مفيد للاعتراض. (لا): نافية للجنس تعمل عمل: «إنَّ». ﴿فَوْتَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: لهم، وحذفه هنا واجب عند بني تميم، وعند الطائيين، وجائز عند الحجازيين. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ إِسْقَاطُ الخَبَرْ ... إِذَا المُرَادُ مَعْ سُقُوطِهِ ظَهَرْ

والجملة الاسمية: «فلا فوت لهم» المقدرة معترضة بين الجملتين المتعاطفتين. ﴿وَأُخِذُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (أخذوا): ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن مَّكَانٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَرِيبٍ﴾: صفة: ﴿مَّكَانٍ﴾، وجملة: ﴿وَأُخِذُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَزِعُوٓاْ﴾ فهي في محل جر مثلها.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: الكفار حين يؤخذون من مكان قريب، ويعاينون العذاب، والانتقام، والسخط، وغضب الواحد القهار. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن، أو بمحمد ﷺ، وذلك لمرور ذكره في قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: من أين لهم تناول الإيمان في الآخرة، وقد كفروا به في حال الدنيا. قال ابن عباس، والضحاك: التناوش: الرجعة؛ أي: يطلبون الرجعة إلى الدنيا؛ ليؤمنوا، وهيهات ذلك! ومنه قول الشاعر: [الوافر]

تَمَنَّى أَنْ تَؤُوبَ إِلَيَّ مَيٌّ ... وَلَيْسَ إِلَى تَنَاوُشِهَا سَبِيلُ

وقيل: التناوش: التناول. قال ابن السكيت: يقال للرجل إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه، ولحيته: ناشه، ينوشه، نوشاً، وأنشد قول ابن حِرِّيث: [الرجز]

فَهِيَ تَنُوشُ الحَوضَ نَوْشاً مِنْ عَلَا ... نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلَا

أي: تتناول ماء الحوض من فوق، وتشرب شرباً كثيراً، وتقطع بذلك الشرب فلوات، فلا تحتاج إلى ماء آخر، فهو يصف إبلاً. وقال عنترة في معلقته رقم [٥١]: [الكامل]

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ... مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ والْمِعْصَمِ

وقرئ: (وَأَنَّى لهمُ التَّنَاؤُشُ) بالهمز، فهو من نأشتُ: إذا تأخرت، وقد نأشتُ الأمرَ، أنأشُهُ، نأشاً: أخرته، ويقال: فعله نئيشاً؛ أي: أخيراً. قال الشاعر: [الطويل]

تَمَنَّى نَئِيشاً أَنَّ يَكُونَ أَطَاعَنِي ... وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورُ

يقول: إن صاحبي تمنى أخيراً أن يكون أطاعني فيما نصحته، وأشرت إليه أولاً، والحال: أنه قد حدثت أمور بعد أمور دلت على رشادي، وصدق رأيي. وقال آخر: [الطويل]

قـعَـدْتَ زمـانـاً عَـنْ طِـلَابِـكَ لِـلْـعُـلَا وَجِـئْـتَ نـئـيـشـاً بَـعْـدَ مـا فـاتَـكَ الْـخَـبَـرْ

وقال الفراء: الهمز، وترك الهمز في التناوش متقارب، مثل ذِمْت الرجل وذَأَمْته أي عِبْتُه. ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: من الآخرة؛ لأن الإيمان في الدنيا، وقد بعد عنهم، وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعدما فات منهم، وبعد عنهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة سهم تناوله من ذراع في الاستحالة، فهو استعارة تمثيلية، أو تشبيه تمثيلي. وما أكثر ما ذكر القرآن عنهم مثل ذلك! كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآية رقم [١٢] من سورة (السجدة)، وقوله تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [١٠٨]. ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾. وغير ذلك كثير.

فإن قيل: كيف قال في كثير من المواضع: إن الآخرة من الدنيا قريبة، وسمى الساعة قريبة، فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ...﴾ إلخ، وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وقال: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾؟ الجواب: إن الماضي كالأمس الدابر، وهو أبعد ما يكون؛ إذ لا وصول إليه، والمستقبل وإن كان بينه، وبين الحاضر سنون؛ فإنه آت، فيوم القيامة؛ الدنيا بعيدة منه؛ لمضيها، ويوم القيامة في الدنيا قريب؛ لإتيانه. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

الإعراب: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل ماض مبني على السكون، و(نا): فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَأَنَّىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (أنى): اسم استفهام بمعنى: كيف، أو: من أين، فهو مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال منه. ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾: مبتدأ مؤخر. هذا؛ وأجيز تعليق ﴿لَهُمُ﴾ بمحذوف خبر: (أنى) على اعتباره مبتدأ. واعتبار ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ فاعلاً بالجار والمجرور، قال السمين: وفيه بعد، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿وَقَالُوٓاْ...﴾ إلخ المعطوفة بدورها على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿مِن مَّكَانٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾. ﴿بَعِيدٍ﴾ صفة: ﴿مَّكَانٍ﴾.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾

الشرح: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ أي: بمحمد ﷺ، أو بالقرآن، أو بالعذاب. بمعنى: لم يصدقوا، ولم يقروا به. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يعاينوا العذاب، أو في الدنيا، أو في أوان التكليف، وطلب الإيمان منهم، فكيف يقبل منهم الإيمان في الآخرة؟ ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾

أي: ويرجمون بالظن، ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول ﷺ من المطاعن، كقولهم: شاعر، كاهن، مجنون. . .إلخ، أو في العذاب من البت على نفيه. ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾: من جانب بعيد من أمره، وهو الشُّبَهُ التي تمحلوها في أمر الرسول ﷺ، وحال الآخرة، كما حكاه من قبل، ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئاً لا يراه. ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾: لا مجال للظن في لحوقه. انتهى. بيضاوي. وهذا استعارة تمثيلية تقريرها: أنه شبه حالهم في ذلك؛ أي: في قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حيث لا ينفعهم الإيمان بحال من رمى شيئاً من مكان بعيد، وهو لا يراه، فإنه لا يتوهم إصابته، ولا لحوقه لخفائه عنه، وغاية بعده. فالباء في ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ بمعنى: في، أي في محل غائب عن نظرهم، أو للملابسة. انتهى. جمل نقلاً من الشهاب، وقوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ مثل قوله تعالى في الآية رقم [٢٢] من سورة (الكهف): ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾. وانظر شرح (كفروا) في الآية رقم [٣٤] من سورة (الروم). وانظر الآية رقم [٣] ورقم [٤٨] من هذه (السورة).

الإعراب: ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَفَرُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، أو من الضمير المجرور محلاً بالباء، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنًى. ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يقذفون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن مَّكَانِۭ﴾: متعلقان به أيضاً. ﴿بَعِيدٍ﴾: صفة: ﴿مَّكَانِۭ﴾، وجملة: ﴿وَيَقْذِفُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ...﴾ إلخ فهي في محل نصب حال مثلها، وساغ ذلك؛ لأنه على حكاية الحال الماضية.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: حيل بينهم، وبين النجاة من العذاب. وقيل: حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من أموالهم، وأهليهم. ومذهب قتادة: أن المعنى: أنهم كانوا يشتهون لما رأوا العذاب أن يقبل منهم أن يطيعوا الله عز وجل، وينتهوا إلى ما يأمرهم به الله، فحيل بينهم، وبين ذلك؛ لأن ذلك إنما كان في الدنيا، وقد زالت في ذلك الوقت. انتهى. قرطبي. وقال ابن كثير: الصحيح: أنه لا منافاة بين القولين، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا، وبين ما طلبوه في الآخرة، فمنعوا منه. انتهى. هذا؛ وإعلال (حيل) مثل إعلال (قيل) انظر الآية رقم [٢١] من سورة (لقمان).

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسل، لما جاءهم بأس الله؛ تمنوا أن لو آمنوا، فلم يقبل منهم، كما قال الله تعالى في الآية رقم [٨٥] من سورة (غافر): ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ هذا؛ والمراد بـ(أشياعهم) أشباههم من كفرة الأمم الماضية، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٢] من سورة (الروم) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ أي: في شك، وريبة، أي: من أمر الرسل، والجنة، والنار، والحساب، والجزاء بعد الموت، يقال: أراب الرجل؛ أي: صار ذا ريبة، فهو مريب. ومن قال: هو من الريب الذي هو الشك، والتهمة؛ قال: يقال شك مريب، كما يقال: عجب عجيب، وشعر شاعر في التأكيد. قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: إياكم والشك، والريبة، فإنه من مات على شك؛ بعث عليه. ومن مات على يقين؛ بعث عليه، وانظر شرح (الريب) في الآية رقم [٢] من سورة (السجدة) تجد ما يسرك. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَحِيلَ﴾: الواو: حرف عطف. (حيل): فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو»، يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، التقدير: وحيل هو؛ أي: الحول، وقال الأخفش: نائب الفاعل هو: (بين) وبني على الفتح لإضافته لمبني، وكان حقه الرفع. ورد ابن هشام عليه في المغني، وأورد قول علقمة الفحل: [الطويل]

وَقَالَتْ مَتَى يُبْخَلْ عَلَيْكَ وَيُعْتَلَلْ ... يَسُؤْكَ وَإِنْ يُكْشَفْ غَرامُك تَدْرَبِ

وهذا هو الشاهد رقم [٩٠٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وقول صخر أخي الخنساء: [الطويل]

أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ ... وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ والنَّزَوَانِ

وهذا هو الشاهد رقم [٩١٠] من كتابنا المذكور، ومثله قول طرفة بن العبد البكري: [الطويل]

فَيَا لَكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ حِيلَ دُونَهَا ... وَمَا كُلُّ مَا يَهْوى امْرُؤٌ هُوَ نَائِلُهْ

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٤٢]: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ...﴾ إلخ، والآية رقم [١٩] من سورة (الأحزاب). ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَ﴾: الواو: حرف عطف. (بين): معطوف على ما قبله، و(بين) مضاف، و﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: وبين الذي، أوشيءٍ يشتهونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: وبين مشتهاهم، وجملة: (حيل...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف يقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: وحيل بينهم، وبين الذي يشتهونه حولاً كائناً مثل الذي.. .إلخ، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم. وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، لا يجوز إلا في مواضع معينة، وليس هذا منها. انتهى. جمل نقلاً عن السمين في غير هذا الموضع. ﴿فُعِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود إلى: ﴿مَا﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: (أشياعهم)، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه على الإضافة لفظاً، لا معنىً.

﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِى شَكٍّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان). ﴿مُّرِيبٍ﴾: صفة: ﴿شَكٍّ﴾، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل للحيلولة بينهم وبين ما يشتهون.

انتهت سورة (سبأ) تفسيراً وإعراباً، بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ فَاطِر

سورة (فاطر) وتسمى سورة الملائكة، وهي مكية بالإجماع، وهي خمس وأربعون آية، وتسعمئة وسبعون كلمة، وثلاثة آلاف ومئة وثلاثون حرفاً، وسميت سورة (فاطر)، لذكر هذا الاسم الجليل، والنعت الجميل في طليعتها؛ لما في هذا الوصف من الدلالة على الإبداع، والاختراع، والإيجاد لا على مثال سبق، ولما فيه من التصوير الدقيق المشير إلى عظمة ذي الجلال، وباهر قدرته، وعجيب صنعه، فهو الذي خلق الملائكة، والسموات، والأرض، وأبدع خلقهم بهذا الخلق العجيب، وقد ورد هذا اللفظ في كثير من آيات القرآن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الثناء الكامل، والذكر الحسن مع التعظيم، والتبجيل لله جل، وعلا، وانظر شرح ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ في الآية رقم [١٥] من سورة (النمل). ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما، ومبتدعهما على غير مثال سبق. هذا؛ والْفَطْر: الشَّق عن الشيء، يقال: فطرته، فانفطر. قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾. ومنه فَطَر نابُ البعير: طلع، فهو بعير فاطر، وتَفَطَّر الشيء: تشقق، وسيف فُطَار، أي: فيه تشقق، قال عنترة: [الوافر]

وَسَيْفِي كَالْعَقِيقَةِ فَهْوَ كِمْعِي ... سِلَاحِي لَا أَفَلَّ، وَلَا فُطَارَا

والفطر: الابتداء، والاختراع. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها. والْفَطْر: حلب الناقة بالسبابة والإبهام. والمراد بذكر السموات، والأرض العالم كله. ونبه بهذا على أنَّ من قدر على الابتداء قادرٌ على الإعادة، وانظر الآية رقم [٢٢] من سورة (الروم)، وقد جمع بعضهم معاني هذه المادة على اختلافها، فقال: [الرجز]

الابْتِدَا والابْتِدَاعُ فَطْر ... والصدعُ والغمْز وَأَمَّا الْفِطْر

فَتَرْكُ صَوْمٍ بَعْضَ كمٍّ فِطر ... ومَا بَدَا مِنْ عِنَبٍ في الشَّجَر

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ أي: إلى الأنبياء، والمراد: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، على نبينا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ﴾ أي: ذوي أجنحة بمعنى: أصحاب. و﴿أُوْلِيٓ﴾: جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده: «ذو» المضاف إذا كان مرفوعاً، و«ذا» المضاف إذا كان منصوباً، و«ذي» المضاف إذا كان مجروراً، ومؤنثه «ذات» انظر الآية رقم [٣٨] الآتية.

﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ أي: جعل الله الملائكة ذوي أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب، ينزلون بها، ويعرجون إلى السماء، أو يسرعون بها نحو ما وَكَّلَهُم الله عليه، ويتصرفون فيه حسب ما أمرهم به. والمعنى: بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أجنحة لعل الثالث يكون وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة، وبعضهم له أربعة، ولعله لم يرد خصوصية الأعداد، ونفي ما زاد عليها؛ لما روي: أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج، وله ستمئة جناح. هذا؛ وينبغي أن تعلم: أن الأعداد: ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ معدولة عن اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، فكل جنس منفرد بعدد، وليس المراد الجمع بين هذه الأعداد، ومثل هذه الآية الآية رقم [٣] من سورة (النساء) فالواو فيهما ليست لمطلق الجمع، وإنما هي لسرد الجنس، وعطف مثله عليه. وقيل: هي بمعنى: «أو». ورده ابن هشام في المغني.

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ أي: إن تفاوتهم في الأجنحة مقتضى مشيئته، ومؤدى حكمته؛ لا أنه أمر تستدعيه ذواتهم. وقيل: الزيادة في الخلق هي: الوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن. عزاه في الكشاف للنبي ﷺ. ثم قال الزمخشري: والآية مطلقة، تتناول كل زيادة في الخلق: من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجَراءة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأت في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ أي: مما يريد أن يخلقه من الزيادة، والنقصان. وتخصيص بعض الأشياء بالتحصيل دون بعض، إنما هو من جهة الإرادة. والمعنى: أن الله تعالى قادر على ما يريد، له الأمر والسلطان، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده، ولا يتأبّى عليه خلق شيء أراده، فقد وصف تعالى نفسه في هذه الآية بصفتين جليلتين، تحمل كل منهما صفة القدرة، وكمال الإنعام:

الأولى: أنه تعالى فاطر السموات، والأرض؛ أي: خالقهما، ومبدعهما من غير مثال يحتذيه، ولا قانون ينتحيه. وفي ذلك دلالة على كمال قدرته، وشمول نعمته، فهو الذي رفع السموات بغير عمد، وجعلها مستوية من غير أَوَد، وزينها بالكواكب، والنجوم، وهو الذي بسط الأرض، وأودعها الأرزاق، والأقوات، وشق فيها البحار، والأنهار، وفجر فيها العيون، والآبار، إلى غير ما هنالك من آثار قدرته العظيمة، وآثار صنعته البديعة، وعبر عن ذلك كله بقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

والثانية: أنه اختار الملائكة؛ ليكونوا رسلاً بينه وبين أنبيائه. وقد أشار إلى طرف من عظمته وكمال قدرته ـ جل، وعلا ـ بأن خلق الملائكة بأشكال عجيبة، وصور غريبة، وأجنحة عديدة، فمنهم من له جناحان، ومنهم له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمئة جناح، ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب، كما هو وصف جبريل، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ومنهم من لا يعلم حقيقة خلقته، وضخامة صورته إلا الله تعالى. انتهى. صفوة التفاسير للصابوني.

وفي الكشاف ـ روي: أن النبي ﷺ سأل جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يتراءى له في صورته، فقال: إنك لن تطيق ذلك. قال: إني أحب أن تفعل. فخرج رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته، فغشي على النبي ﷺ، ثم أفاق، وجبريل ـ عليه السلام ـ مسنده، وإحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال: سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا! فقال جبريل ـ عليه السلام ـ: فكيف لو رأيت إسرافيل؛ له اثنا عشر جناحاً، جناح منها بالمشرق، وجناح بالمغرب، وإنَّ العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله؛ حتى يعود مثل الْوَصْعِ؟! وهو العصفور الصغير. انتهى. كشاف.

هذا؛ ووصف جبريل بأنه له ستمئة جناح أخرجه مسلم عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ. ووصف إسرافيل أخرجه الزهري. انتهى. قرطبي. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ في الآية رقم [٤٣] من سورة (الأحزاب)، وشرح (شيء) في الآية رقم [٥٥] منها. وانظر شرح ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ في أول سورة (سبأ). والله الموفق، والمعين، وبه أستعين، وسترى شيئاً من ذلك في سورة (النجم) إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية ابتدائية، لا محل لها من الإعراب. وقيل: هي في محل نصب مقول القول لقول محذوف، تقديره: قولوا: الحمد لله. وعليه فالجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها. ﴿فَاطِرِ﴾: صفة لفظ الجلالة، ويجوز فيه الرفع على إضمار مبتدأ، والنصب على تقدير فعل قبله، ولم يقرأ بغير الجر. وقال الزمخشري: وقرئ: (الذي فطر السموات، والأرض، وجعل الملائكة). و﴿فَاطِرِ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. واعتبر الإضافة محضة؛ لأن ﴿فَاطِرِ﴾ بمعنى الماضي، والماضي لا يعمل. وقيل: الإضافة غير محضة، فتكون الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿جَاعِلِ﴾: يجوز فيه ما جاز بـ: ﴿فَاطِرِ﴾ من الأوجه، و﴿جَاعِلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ مضاف إليه مثل سابقه. ﴿رُسُلًا﴾: مفعول به ثان، على اعتبار ﴿جَاعِلِ﴾ عاملاً في: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، أو هو مفعول به لفعل محذوف على اعتباره غير عامل، وأجيز اعتباره حالاً من: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ على اعتبار ﴿جَاعِلِ﴾ بمعنى: خالق.

﴿أُوْلِيٓ﴾: صفة رسلاً، وقال أبو البقاء: بدل من (رسل) أو نعت له، منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلِيٓ﴾ مضاف، و﴿أَجْنِحَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مَّثْنَىٰ﴾: صفة لـ: ﴿أَجْنِحَةٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للصفة، والعدل. ﴿وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾: معطوفان على ﴿مَّثْنَىٰ﴾ مجروران مثله. وقيل: ﴿مَّثْنَىٰ﴾ بدل من ﴿أَجْنِحَةٍ﴾ والأول أقوى. ﴿يَزِيدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والمفعول الأول محذوف اقتصاراً، أغنى عنه الجار والمجرور: ﴿فِي ٱلْخَلْقِ﴾ فهما متعلقان به. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي، أو: شيئاً يشاؤه، وجملة: ﴿يَزِيدُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للزيادة، لا محل لها.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾

الشرح: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ﴾ أي: أي شيء يمنحه الله لعباده، ويتفضل به عليهم من خزائن رحمته: من نعمة، وصحة، وأمن، وعلم، وحكمة، ورزق، وإرسال رسل لهداية الخلق، وغير ذلك من صنوف نعمائه، التي لا يحيط بها عدٌّ، فلا يقدر أحد على إمساكه، ومنعه، وحرمان خلق الله منه، فهو المعطي الوهاب، الذي لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ أي: وأيُّ شيء يمنعه، ويحبسه عن خلقه من خيري الدنيا والآخرة فلا يقدر أحد على منحه للعباد بعد أن منعه الله تعالى، وهذه الآية مثل قوله تعالى في الآية رقم [١٧] من سورة (الأنعام): ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومثلها كثير.

فعن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة: **«لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَهُ، لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولهُ الحمدُ، وهُوَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قديرٌ، اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، ولا مُعْطِي لِمَا منعتَ، ولا ينفعُ ذا الْجَدِّ منكَ الْجَدُّ»**. أخرجه البخاري، ومسلم. والجدُّ: الغنى، والحظ، وحسن البخت، وهو بفتح الجيم؛ أي: لا ينفع المبخوت، والغني حظه، وغناه؛ لأنهما من الله تعالى، إنما ينفعه الإخلاص، والعمل بطاعته تعالى. وعن

أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع يقول: **«سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللهمَّ رَبَّنَا لكَ الحمدُ مِلْءَ السمواتِ، ومِلْءَ الأرضِ، ومِلْءَ ما شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بعدُ، اللهم أهْلَ الثناءِ والمجدِ، أَحَقُّ ما قالَ الْعَبْدُ، وكُلُّنَا لكَ عَبْدٌ، اللهمَّ لا مانِعَ لِمَا أعطيْتَ، ولا مُعْطِي لِمَا مَنعْتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ»**.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب على كل شيء. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في صنعه الذي يمسك، ويرسل، ويعطي، ويمنع حسب ما تقتضيه الحكمة إرسالاً، وإمساكاً. وخذ ما يلي: فعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ يرفعه إلى النبي ﷺ: **«لا تزالُ يدُ اللهِ مَبْسوطةً على هذِهِ الأمةِ ما لَمْ يرْفُقْ خيارُهُمْ بشرارِهِمْ، ويعظِّمْ بَرُّهُمْ فاجرَهُمْ، وتُعِنْ قُرَّاؤُهُمْ أمراءَهُمْ عَلَى مَعْصِيَةِ الله، فإذا فَعَلُوا ذَلِكَ؛ نَزَعَ اللهُ يَدَهُ عَنهُمْ»**.

وأخيراً في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ استعارة تمثيلية شبه فيها إرسال النعم بفتح الخزائن للإعطاء، وكذلك حبس النعم بالإمساك، واستعير الفتح للإطلاق، والإمساك للمنع، وأيضاً الطباق، والمقابلة بين ﴿يَفْتَحِ﴾ و: ﴿يُمْسِكْ﴾ وهو من المحسنات البديعية، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿مَّا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم لفعل شرطه. ﴿يَفْتَحِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَّا﴾، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيها، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية بمفردها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿مُمْسِكَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (لا)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ ويجوز في غير القرآن رفع الفعل: «يفتح»، واعتبار: «ما» موصولة مبتدأ، والجملة الفعلية صلتها، وجملة: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾في محل رفع خبرها، وقد مر معنا كثير من هذا. وجملة: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾: معطوفة على ما قبلها، وهي مثلها في إعرابها. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: خبران للمبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾: قال النسفي: وهي التي تقدمت: من بسط الأرض كالمهاد، ورفع السماء بلا عماد، وإرسال الرسل لبيان السبيل، دعوة إليه، وزلفة لديه، والزيادة في الخلق، وفتح أبواب الرزق. والمراد من هذا التذكير: طلب الشكر؛ أي: اشكروا ربكم على نعمه؛ التي أنعم بها عليكم، وهي لا تعد، ولا تحصى. قال الزمخشري: ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط، ولكن به، وبالقلب، وحفظها من الكفران، والغمط، وشكرها بمعرفة حقها، والاعتراف بها، وطاعة موليها، ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه: اذكر أياديَّ عندك! يريد: حفظها، وشكرها، والعمل على موجبها. والخطاب عام للجميع؛ لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد أهل مكة: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ حيث أسكنكم حرمه، ومنعكم من جميع العالم؛ والناس يتخطفون من حولكم. وعنه أيضاً نعمة الله: العافية.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا خالق غير الله سبحانه وتعالى! لا ما تعبدون من الحجارة، والأوثان. قال حميد الطويل: قلت للحسن: من خلق الشر؟ فقال: سبحان الله، هل من خالق غير الله عز وجل؟ خلق الخير والشر. ﴿يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: يرزقكم مما ينبت من الأرض بسبب ما ينزل من السماء من ماء. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: لا رب ولا معبود إلا الله الواحد الأحد. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ أي: فكيف تصرفون بعد هذا البيان، ووضوح البرهان إلى عبادة الحجارة، والأوثان؟ والغرض من ذلك: تذكير الناس بنعم الله تعالى، وإقامة الحجة على المشركين. قال ابن كثير، وغيره: نبه الله تعالى عباده، وأرشدهم إلى الاستدلال على توحيده بوجوب إفراد العبادة له، فكما أنه مستقل بالخلق، والرزق، فكذلك يجب أن يفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام، والأوثان. انتهى. هذا؛ وانظر شرح ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾ في الآية رقم [٦١] من سورة (العنكبوت).

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١] من سورة (الأحزاب). ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿نِعۡمَتَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلَيۡكُمۡۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾، أو بمحذوف حال منه، والجملة الندائية، والفعلية كلتاهما ابتدائيتان، لا محل لهما. ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام إنكاري توبيخي. ﴿مِنۡ﴾: حرف جر صلة. ﴿خَٰلِقٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وفي الخبر قولان: أحدهما: هو جملة ﴿يَرۡزُقُكُم...﴾ إلخ، والثاني: أنه محذوف، تقديره: لكم، ونحوه. ﴿غَيۡرُ﴾:

بالرفع، والجر، والنصب، فالرفع فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه خبر المبتدأ. والثاني: أنه صفة لـ: ﴿خَٰلِقٍ﴾ على الموضع، وخبره أحد وجهين ذكرتهما. والثالث: أنه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية؛ لأن اسم الفاعل قد اعتمد على أداة الاستفهام، فيكون قد سد مسد خبره. وعلى هذا الوجه؛ فجملة ﴿يَرْزُقُكُم...﴾ إلخ إما صفة، أو مستأنفة، ورجح هذا، وأما الجر؛ فهو صفة: ﴿خَٰلِقٍ﴾ على اللفظ، وأما النصب؛ فهو على الاستثناء. وخبر المبتدأ أحد وجهين رأيتهما آنفاً. و﴿غَيْرُ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿يَرْزُقُكُم﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿خَٰلِقٍ﴾، والكاف مفعوله الأول. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. و(الأرض): معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يَرْزُقُكُم...﴾ إلخ رأيت ما فيها من أوجه الإعراب فيما قبلها. ﴿لَآ﴾: نافية: للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم: ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: اعتباره بدلاً من اسم: ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. والثاني: اعتباره بدلاً من: ﴿لَآ﴾ واسمها؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء. والثالث: اعتباره بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف. وهو الأولى، والأقوى، والجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مستأنفة، لا محل لها مسوقة لتقرير النفي المستفاد مما قبلها. ﴿فَأَنَّىٰ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أنى): اسم استفهام مبني على السكون، وفيه معنى التعجب، والإنكار، والتوبيخ في محل نصب حال، عامله ما بعده. ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة. هذا؛ وإن اعتبرت الفاء الفصيحة؛ فلا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً فأنى تؤفكون.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: وإن يكذبك هؤلاء المشركون يا محمد؛ فاصبر، وتأسَّ بمن سبقك من الرسل. ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: رسل ذوو عدد كثير، وأولو آيات بينات، وأهل أعمار طوال، وأصحاب صبر، وعزم، فلك بهم أسوة، فإنهم كذلك جاؤوا أقوامهم بالبينات، وأمروهم بالتوحيد، وعبادة الله تعالى، فكذبوهم، وخالفوهم. وتنكير (رسل) للتعظيم، والإشارة إلى كثرتهم المقتضية زيادة التسلية، والحث على المصابرة. وانظر شرح: «الرسول» في الآية رقم [١] من سورة (الأحزاب). ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: فيجازيك على صبرك، ويجازيهم

على تكذيبك، ومعاداتك. هذا؛ والفعل: «رجع» يكون متعدياً، ولازماً، ويقرأ: ﴿تُرْجَعُ﴾ بالبناء للمجهول من المتعدي، وبالبناء للمعلوم من اللازم.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف: (إن): حرف شرط جازم. ﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير جازم، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فاصبر، فحذف، وأقيم جملة: ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ...﴾ إلخ مقامه استغناء عن المسبب بالسبب. و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف تعليل. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كُذِّبَتْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿رُسُلٌ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها تعليلية. ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿رُسُلٌ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِلَى﴾: الواو: حرف استئناف. (إلى الله): متعلقان بما بعدهما. ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: فعل مضارع، ونائب فاعله، أو: فاعله والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: معطوفة على ما قبلها، والأول أولى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: هذا النداء يشمل المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح، والمحسن، والمسيء. وانظر شرح باقي الكلام في الآية رقم [٣٣] من سورة (لقمان) ففيها الكفاية.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو، أو: أنادي. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: بعضهم يعرب هذا؛ وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل أن الاسم الواقع بعد: «أي» وبعد اسم الإشارة. إن كان مشتقاً فهو نعت، وإن كان جامداً كما هنا فهو بدل، أو عطف بيان، والمتبوع؛ أعني «أي» منصوب محلاً، وكذا التابع، أعني: (الناس) وأمثاله؛ فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الإتباع اللفظية. . .إلخ، وانظر الآية رقم [١] من سورة (الأحزاب).

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. و﴿وَعْدَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقٌّ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك ـ أي ما ذكر ـ حاصلاً، وواقعاً؛ فلا. . .إلخ. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَغُرَّنَّكُمُ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم

بـ: (لا) الناهية، والنون حرف لا محل له، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: فاعله. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وإعرابها مثلها بلا فارق، ولا خفاء فيه.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: بيِّن العداوة، وهي قديمة من عهد آدم على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. فلذا عداوته لا تزول؛ لأنه أخرج أباكم من الجنة. ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه، وكذبوه فيما يغركم، ويخدعكم به، وإذا فعلتم فعلاً؛ فتفطنوا له، فإنه ربما يدخل عليكم فيه الرياء، ويزين لكم القبائح، وكان الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: يا كذاب! يا مفتر! اتق الله، ولا تسب الشيطان في العلانية؛ وأنت صديقه في السر. وقال ابن السماك ـ رحمه الله تعالى ـ: يا عجباً لمن عصا المحسن بعد معرفته بإحسانه، وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته!

﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾: أشياعه وأتباعه. وجمع (حزب): أحزاب، وانظر الآية رقم [٢٠] من سورة (الأحزاب). ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: ليكونوا معه في نار جهنم المعبر عنها بالسعير، وانظر شرح ﴿ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآية رقم [٢١] من سورة (لقمان)، وشرح (الشيطان) في البسملة أول سورة (السجدة)، وشرح: «صاحب» في الآية رقم [١٥] من سورة (العنكبوت).

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَٱتَّخِذُوهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اتخذوه): فعل أمر، مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله الأول. ﴿عَدُوًّا﴾: مفعوله الثاني، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كانت عداوة الشيطان ثابتة، وقديمة؛ فاتخذوه... إلخ. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿يَدْعُوا۟﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾. ﴿حِزْبَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿لِيَكُونُوا۟﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: (يكونوا)، و﴿أَصْحَٰبِ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّعِيرِ﴾ مضاف إليه، و«أن» المضمرة والفعل: (يكونوا) في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يَدْعُوا۟﴾ فهو تعليل من تعليل.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: بالله، وعادوا نبيه. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: دائم، لا يعرف قدره، ولا يوصف هوله. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: انظر الاحتراس في الآية رقم [٣٧] من سورة (سبأ)، ومقابلة الإيمان بالكفر في الآية رقم [٣٨] منها. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم. ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: في الآخرة، وهو الجنة، وما فيها من النعيم المقيم؛ الذي لا ينفد. هذا؛ وفي الآية وعيد لمن أجاب الشيطان، واتبع زخارفه، ووساوسه، ووعد لمن خالفه، وقطع للأماني الفارغة، وبناء الأمر كله على الإيمان والعمل الصالح، وكونهما لا يفترقان.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح، وفي محله ثلاثة أوجه: أحدها: رفعه من وجهين: أقواهما: أن يكون مبتدأ، والجملة الاسمية بعده خبره. والأحسن: أن يكون ﴿لَهُمْ﴾ متعلقين بمحذوف خبره، و﴿عَذَابٌ﴾ فاعل بالجار والمجرور، أي بمتعلقهما، والثاني أنه بدل من واو الجماعة في: ﴿لِيَكُونُوا۟﴾. والثاني: نصبه من أوجه: البدل من ﴿حِزْبَهُۥ﴾، أو: النعت له، أو إضمار فعل كـ: «أَذُمُّ» ونحوه. والثالث: جره من وجهين: النعت، أو البدلية من ﴿أَصْحَٰبِ﴾ وأحسن الوجوه الأول لمطابقة التقسيم، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿شَدِيدٌ﴾: صفة ﴿عَذَابٌ﴾ والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، وانظر ما ذكرته من أوجه الإعراب السابقة. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ما قبله على جميع الاعتبارات فيه، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلته، وجملة: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. وجملة: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: قل فيها ما قلته من أوجه بجملة: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾. ﴿وَأَجْرٌ﴾: معطوف على (مغفرة). ﴿كَبِيرٌ﴾: صفة: (أجر). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت الآية في أبي جهل، ومشركي مكة. وقيل: نزلت في أصحاب الأهواء، والبدع، ومنهم الخوارج، الذين ظهروا في عهد الإمام علي، رضي الله عنه، والذين يستحلون دماء المسلمين، وأموالهم، وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم؛ لأنهم لا يستحلون ما ذكر، ويعتقدون تحريمها، مع ارتكابهم إياها، ومعنى: ﴿زُيِّنَ لَهُۥ﴾: شبه له، وموه عليه قبيح عمله. انتهى. خازن، وغيره.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ أي: أفمن زين له سوء عمله؛ بأن غلب وهمه، وهواه على عقله؛ حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقاً، والقبيح حسناً كمن لم يزين له؛ بل وفق؛ حتى عرف الحق، واستحسن الأعمال الحسنة، واستقبح القبيحة منها على ما هي عليه. فحذف خبر المبتدأ لدلالة الكلام الآتي عليه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: يضل مَنْ شاء إضلاله، فلا ينفعه نزول الآيات، وكثرة المعجزات؛ إن لم يهده الله عز وجل، وذلك؛ لأن الآيات الباهرة، التي ظهرت على يد الرسول ﷺ بلغت في الكثرة، وقوة الدلالة إلى حالة يستحيل فيها أن تصير مشتبهة على عاقل، فطلب آيات أخرى بعد ذلك لا يفيد شيئاً. ويهدي من يشاء هدايته وتوفيقه إلى الإيمان والطاعة. هذا؛ ومصدر الفعل ﴿يُضِلُّ﴾: الإضلال، وهو: خلق فعل الضلال في العبد. والهداية: خلق فعل الاهتداء في العبد. هذا هو الحقيقة عند أهل السنة، وقد يعترض بعض الناس على خلق فعل الضلال في العبد، فيقول: إذاً لا مؤاخذة على العبد، فكيف يعذبه الله؟ والجواب أن معنى خلق الضلال. . .إلخ: تقدير ضلاله، وهذا التقدير مبني على علم الله الأزلي بأن هذا العبد لو ترك وشأنه لم يختر سوى الكفر، والضلال، ولذا قدره الله عليه. هذا بالإضافة إلى اختياره الضلال، بعد أن بين الله لكل واحد الخير، والشر، والحسن، والقبيح، كما قال الله عز وجل: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: بيَّنا له طريق الخير، وطريق الشر.

هذا؛ وقال علماء التوحيد: ليس معنى إضلال الله لفريق من الناس، وهدايته لفريق آخر: أنه تعالى يجبر كُلًّا منهما على الضلالة، والهدى، ولا أنه يكرههم على سلوك سبيلي: الخير، والشر، كَلَّا فإن هذا الإكراه منافٍ للعدل الإلهي؛ بل منافٍ لحكمة التشريع السماوي، ولا يتفق مع نصوص الشريعة المتواترة القاطعة، الدالة على أن العبد له إرادة، واختيار، هما مناط التكليف، والمؤاخذة، وكذلك فهم الصحابة والسلف الصالح. سأل رجل علياً، رضي الله عنه، فقال: أكان مسيرك إلى الشام ـ يعني: لقتال أهلها ـ بقضاء الله، وقدره؟ فقال له: ويحك، لعلك ظننت قضاءً لازماً، وقدراً حاتماً، ولو كان كذلك؛ لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد، والوعيد. إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، فكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السموات، والأرض وما بينهما باطلاً. ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. انتهى. وعلى ضوء هذا يفهم معنى الهداية، والإضلال. انتهى. صابوني.

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾: والمعنى: فلا تهلك نفسك عليهم للتحسر على كفرهم، وضلالهم، وإصرارهم على تكذيبك، ومثل هذه الآية قوله تعالى في الآية رقم [١٧٦] من سورة (آل عمران): ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾، وفي الآية رقم [٦] من سورة (الكهف): ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾، وفي الآية رقم [٣] من سورة

(الشعراء): ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾: هذا الفعل أبلغ من قوله: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ من حيث إن الصنع عمل الإنسان، بعد تدرب فيه، وتروٍّ، وتحري إجادة، ولذلك ذم الله به خواص اليهود في الآية رقم [٦٣] من سورة (المائدة)، بينما ذم عوامهم بقوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ رقم [٦٢] منها.

تنبيه: الفعل ﴿زُيِّنَ﴾ مبني للمجهول، وهو يحتمل أن يكون المزين الله عز وجل، ويحتمل أن يكون المزين هو الشيطان، وقد صرحت الآية رقم [٤] من سورة (النمل) أن المزين هو الله تعالى، بينما صرحت الآية رقم [٢٤] منها بأن المزين هو الشيطان، وفي ذلك قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته؛ أي: في الآية رقم [٤] من سورة (النمل) أي: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ...﴾ إلخ، وأسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ...﴾ إلخ رقم [٢٤] منها؟ قلت: بين الإسنادين فرق، وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله عزَّ وجلَّ مجاز، وله طريقان في علم البيان: أحدهما: أنه من المجاز الذي يسمى استعارة. والثاني: أنه من المجاز الحكمي. فالطريق الأول: أنه لما متعهم بطول العمر، وسعة الرزق، وجعلوا إنعام الله عليهم، وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم، وبطرهم، وإيثارهم الراحة، والترف، ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة، والمشاق المتعبة، فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم، وإليه أشارت الملائكة ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ في قوله تعالى، حكاية عن قولهم: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ الآية رقم [١٨] من سورة (الفرقان).

الطريق الثاني: أن إمهاله الشيطان، وتخليته؛ حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين، فأسند إليه؛ لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات. وقيل: إن الأعمال التي وجب عليهم أن يعملوها زينها الله لهم، فعموا عنها، وضلوا. ويعزى إلى الحسن. انتهى. كشاف. هذا؛ وقد بينت في آية (النمل) رقم [٢٤] أن المزين في الحقيقة هو الله تعالى، وهذا مذهب أهل السنة، وإنما جعل الشيطان آلة بإلقاء الوسوسة في قلوب الكافرين، وليس له قدرة أن يضل، أو يهدي أحداً، وإنما له الوسوسة فقط، فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه؛ حتى يقبل وسوسته. وهذا مبني على أن العبد لا يخلق أفعال نفسه، وإنما يخلقها الله تعالى، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ وما قاله الزمخشري مبني على مذهبه في الاعتزال من أن العبد يخلق أفعال نفسه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿زُيِّنَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سُوٓءُ﴾: نائب فاعله، وهو مضاف، و﴿عَمَلِهِۦ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فَرَءَاهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (رآه):

فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو»، والهاء مفعول به. ﴿حَسَنًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وخبر المبتدأ محذوف تقديره: كمن لم يزين له. . . إلخ، وقد صرح به في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ الآية رقم [١٩] من سورة (الرعد)، والجملة الاسمية معطوفة على جملة محذوفة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. هذا؛ واعتبر بعضهم (مَنْ) اسم شرط، وجواب الشرط محذوف، تقديره: ذهبت نفسك عليهم حسرة. وهو ضعيف، كما ترى.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُضِلُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يضل الذي، أو: شخصاً يشاء إضلاله، وجملة: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وإعرابها مثلها أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٥]. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَذْهَبْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا). ﴿نَفْسُكَ﴾: فاعله، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. هذا؛ ويقرأ بضم التاء وكسر الهاء من الرباعي، ونصب: ﴿نَفْسَكَ﴾ على أنه مفعول به، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿حَسَرَٰتٍ﴾: مفعول لأجله، أو حال. وقيل: مفعول مطلق، وهو ضعيف، كما قيل: تمييز، وهو ضعيف أيضاً، فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية: ﴿فَلَا تَذْهَبْ...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلِيمٌۢ﴾: خبرها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌۢ﴾، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: عليم بالذي، أو: بشيء يصنعونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: عليم بصنعهم. ﴿يَصْنَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ أي: والله تعالى بقدرته هو الذي أرسل الرياح مبشرة بنزول المطر، كما قال تعالى في الآية رقم [٦٣] من سورة (النمل): ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ

رَحْمَتِهِۦ﴾، ومثلها في الآية رقم [٥٧] من سورة (الأعراف)، و(الفرقان) رقم [٤٨]. وقال في (الروم) رقم [٤٦]: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾. هذا؛ وقرئ: (الريح)، ونص الآية هنا مثلها في الآية رقم [٤٨] من سورة (الروم) أيضاً.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: انظر الآية رقم [٤٨] من سورة (الروم) ففيها الكفاية. ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أي: لا نبات فيه، وانظر شرحه في الآية رقم [١٥] من سورة (سبأ). ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطر النازل منه، وذكر السحاب كذكره، أو بالسحاب، فإنه سبب السبب، أو الصائر مطراً. ﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد يبسها، فإن الأرض تكون هامدة، لا نبات فيها، فإذا أراد الله إحياءها بالنبات؛ أنزل عليها المطر، بواسطة نقل السحاب له حيث أراد الله تعالى، كما قال جل ذكره في الآية رقم [٥] من سورة (الحج): ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: مثل إحياء الأرض الموات نشور الأموات في صحة قدرة الله تعالى. روى الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي رُزَيْن العُقَيْلِي، قال: قلت: يا رسولَ اللهِ! كيفَ يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «**أَمَا مَرَرْتَ بوادي أَهْلِكَ مُمْحِلاً، ثَمَّ مررْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِراً؟**». قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**فَكَذلِكَ يُحْيِي الله الْمَوْتَى، وَتِلْكَ آيَتُهُ في خَلْقِهِ**».

هذا؛ وفي هذه الجملة تشبيه التمثيل. ووجه التشبيه من وجوه: أحدها: أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها، كذلك الأعضاء تقبل الحياة. وثانيها: كما أن الريح تجمع القطع السحابية، كذلك تجمع أجزاء الأعضاء، وأبعاض الأشياء. وثالثها: كما أنا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت، كذلك نسوق الروح إلى الجسد الميت. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

تنبيه: قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: لم جاء ﴿فَتُثِيرُ﴾ على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة، الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تُستغرب، أو تهمُّ المخاطب، أو غير ذلك كما قال تأبط شرّاً: [الوافر]

فَمَنْ يـنـكـرْ وجـودَ الـغـول إنـي ... أخـبـرُ عـنْ يَـقِـيـنٍ بَـلْ عِـيـانِ
بـأنـي قـدْ لـقـيـت الـغـول تـهـوي ... بِسَهْبٍ كـالـصـحـيـفـةِ صَحْصَحَانِ
فـأضـربُـهـا بـلَادَهَـشٍ فَـخَـرَّتْ ... صَرِيـعـاً لِـلْـيَـدَيْـنِ وَلِـلْـجِـرَانِ

لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها، ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول، وثباته عند كل شدة، وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر لما كانا من الدلائل

على القدرة الباهرة، قيل: (فسقنا) و(أحيينا) معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص، وأدل عليه. انتهى. وانظر شرح (ميت) في الروم رقم [١٩].

الإعراب: (الله): مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿أَرْسَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿الَّذِي﴾ وهو العائد. ﴿الرِّيَاحَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: (الله الذي. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَتُثِيرُ﴾: الفاء: حرف عطف، وسبب. (تثير): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿الرِّيَاحَ﴾ تقديره: «هي». ﴿سَحَابًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والعائد في الأولى عائد في هذه بسبب العطف. ﴿فَسُقْنَاهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (سقناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿إِلَى بَلَدٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَيِّتٍ﴾: صفة ﴿بَلَدٍ﴾.

(أحيينا): فعل، وفاعل. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿الْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف حال من الأرض، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿مَوْتِهَا﴾ مضاف إليه، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: (أحيينا. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿كَذَلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر، وذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿النُّشُورُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾: الشرف، والمنعة، والمجد، والسيادة. والمعنى: من كان يريد علم العزة التي لا ذلة معها؛ لأن العزة إذا كانت تؤدي إلى ذلة، فإنما هي تعرض للذلة، والعزة التي لا ذل معها لله عز وجل. انتهى. قرطبي. ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: المعنى: من كان يريد العزة، ويرغب فيها؛ فليتعزز بطاعة الله؛ أي: فليطلب العزة من عند الله بطاعته. وذلك: أن الكفار عبدوا الأصنام، وطلبوا التعزز بها، كما قال جل ذكره: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فمن أراد العزة؛ فليقصد بالعزة الله سبحانه، والاعتزاز به، فإنه من اعتز بغير الله؛ أذله الله، ومن اعتز بالله أعزه الله. وقال النبي ﷺ: **«مَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيُطِعِ الْعَزِيزَ»**. ولقد أحسن من قال: [الكامل]

وَإِذَا تَذَلَّلَتِ الرِّقَابُ تَوَاضُعاً ... مِنْهَا إِلَيْكَ فَعِزُّهَا فِي ذُلِّهَا

وانظر الآية رقم [١٥] الآتية، وانظر الآية رقم [١٨٠] من سورة (الصافات) ففيها فضل بيان.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: هذا يتناول الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن. روى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: إذا حدثناكم بحديثٍ أتيناكمْ بتصديق ذلك مِنْ كتابِ الله تعالى: إن العبد المسلم إذا قال: «سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا الله، والله أكبرُ، تبارك الله» أخذهن ملك، فجعلهن تحت جناحه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الله، عز وجل، ثم قرأ عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ وأنشدوا: [الكامل]

لَا تَـرْضَ مِـنْ رَجُـلٍ حَـلَاوَةَ قَـوْلِـهِ   حَـتَّـى يُـزَيِّـنَ مَـا يَـقُـولُ فَـعَـالُ

فَـإِذَا وَزَنْـتَ فَـعَـالَـهُ بِـمَـقَـالِـهِ   فَـتَـوَازَنَـا فَـإِخَـاءُ ذَاكَ جَـمَـالُ

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: المعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب. وفي الحديث الشريف: «**لا يقبلُ اللهُ قولاً إلَّا بعملٍ، ولا يقبلُ قولاً وعملاً إلا بنيةٍ، ولا يقبلُ قولاً وعملاً ونية إلا بإصابة السنّة**». وقال ابن المقفع: قول بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر. وفيه قيل: [الخفيف]

لَا يَـكُـونُ الْـمَـقَـالُ إلَّا بِـفِـعْـلٍ   كُـلُّ قَـوْلٍ بِـلَا فَـعَـالٍ هَـبَـاءُ

إنَّ قَـوْلاً بِـلَا فَـعَـالٍ جَـمِـيـلٍ   وَنِـكَـاحـاً بِـلَا وَلِـيٍّ سَـوَاءُ

هذا؛ وصعود الكلم الطيب والعمل الصالح إلى الله تعالى كناية عن قبولهما عنده، أو المراد: صعود الكتبة بصحيفتهما. قال القرطبي: والظاهر: أن العمل الصالح شرط في قبول القول الطيب، وقد جاء في الآثار: أن العبد إذا قال: لا إله إلا الله بنية صادقة؛ نظرت الملائكة إلى عمله، فإن كان العمل موافقاً لقوله؛ صعدا جميعاً، وإن كان عمله مخالفاً؛ وقف قوله؛ حتى يتوب من عمله. فعلى هذا العملُ الصالح يرفع الكلمَ الطيب إلى الله، وهذا قول ابن عباس، وشهر بن حوشب، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وأبي العالية، والضحاك ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. وعليه فالعمل الصالح هو السبب في رفع الكلم الطيب. هذا؛ وعلى أن الكلم الطيب هو التوحيد، فهو الرافع للعمل الصالح؛ لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان والتوحيد، أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، فالضمير المنصوب يعود على: (العمل الصالح). وروي هذا القول عن شهر بن حوشب. وقيل: الفاعل يعود إلى (الله) أي: إن العمل الصالح يرفعه الله على الكلم الطيب؛ لأن العمل تحقيق الكلم، والعامل أكثر تعباً من القائل. وهذا هو حقيقة الكلام؛ لأن الله هو الرافع، الخافض، والثاني والأول مجاز، ولكنه سائغ جائز.

قال النحاس: القول الأول أولاها، وأصحها؛ لعلو من قال به، وأنه في العربية أولى؛ لأن القراء على رفع العمل، ولو كان المعنى: والعمَل الصالح يرفعه، أو العمل الصالح

يرفعه الكلم الطيب؛ لكان الاختيار نصب العمل، ولا نعلم أحداً قرأه منصوباً، إلا شيئاً روي عن عيسى بن عمر أنه قال: قرأه أناس: (والعملَ الصالحَ يرفعه الله). وقيل: والعمل الصالح يرفع صاحبه، وهو الذي أراد العزة، وعلم أنها تُطلب من الله تعالى. ذكره القشيري. انتهى. قرطبي بتصرف.

أقول: مضمون القول الأول والثاني هو ما ذكرته من الاحتراس كثيراً؛ لأن الإيمان، والعمل الصالح قرينان، لا يقبل الله أحدهما بدون صاحبه. والله الموفق والمعين.

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ...﴾ إلخ: قال ابن عباس، وشهر بن حوشب الأشعري، ومجاهد، وقتادة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: هم المراؤون بأعمالهم؛ أي: يمكرون بالناس، يوهمون: أنهم في طاعة الله تعالى، وهم بغضاء إلى الله عز وجل، يراؤون بأعمالهم، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وقال أبو العالية، وابن أسلم: هم المشركون الذين مكروا بالنبي ﷺ لما اجتمعوا في دار الندوة. والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ أي: يفسد، ويبطل، ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر، والنهى، فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌّ. فالمرائي لا يروج أمره، ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون، فلا يروج ذلك عليهم؛ بل ينكشف لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ وقصر الزمخشري القول على أن المراد بالذين يمكرون السيئات هم مشركو قريش؛ ولذا قال: ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور، دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة، وقتلهم، وأثبتهم في قليب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعاً، وحقق فيهم قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾. انتهى. وانظر المكر في الآية رقم [٣٣] من سورة (سبأ).

هذا؛ ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يهلك، ويضيع، ويفسد، ويبطل. وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هلكى، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مأخوذ من البوار، وهو الهلاك. وقال بعضهم: الواحد: بائر، والجمع: بور، كما يقال: عائذ، وعوذ. وقيل: بوراً: عمياً عن الحق. وفي المصباح: بار الشيء، يبور، بوراً بالضم: هلك، وبار الشيء، بوراً: كسد على الاستعارة؛ لأنه إذا ترك؛ صار غير منتفع به، فأشبه الهالك من هذا الوجه. ورجل بائر: فاسد، لا خير فيه. وفي الأساس: «وفلان له نورُهُ، وعليك بورُه» أي: هلاكه. ونزلت بوار على الكفار، أي: هلاك. ومن المجازات: بارت البياعات: كسدت. وسوق بائرة: لا رواج فيها. وبارت الأيّم: إذا لم يرغب فيها أحد. وكان الرسول ﷺ يتعوذ من بوار الأيّم، وبارت الأرض: إذا لم تزرع، وأرض

بوار، وأرضون بوار. ودار البوار: جهنم، قال تعالى في حق زعماء الكفار: ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ الآية رقم [٢٨] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمه ضمير مستتر فيه، تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿مَن﴾ أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب خبر كان. ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾: مفعول به، وجواب الشرط محذوف تقديره: من كان يريد العزة؛ فليطلبها من الله بطاعته، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان. وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلِلَّهِ﴾: الفاء: حرف تعليل. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْعِزَّةُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿جَمِيعًاۚ﴾: حال من: ﴿ٱلْعِزَّةُ﴾ وجاز ذلك؛ لأن العزة أنواع كثيرة. والجملة الاسمية تعليل للأمر المقدر جواباً للشرط، كما رأيت. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، والتقدير أفاد الاختصاص. ﴿يَصْعَدُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْكَلِمُ﴾: فاعله. ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾: صفة ﴿ٱلْكَلِمُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والاستئناف أقوى. ﴿وَٱلْعَمَلُ﴾: الواو: حرف عطف. (العمل): مبتدأ. ﴿ٱلصَّٰلِحُ﴾: صفة له. ﴿يَرْفَعُهُۥۚ﴾: فعل مضارع، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، أو هو يعود إلى: (العمل الصالح)، أو لله تعالى، انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يَمْكُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به على اعتباره متعدياً بمعنى: يعملون، أو هو صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: يمكرون المكرات السيئات. وقيل: هو مفعول مطلق؛ لأن ﴿يَمْكُرُونَ﴾ بمعنى: يسيئون السيئات، فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿شَدِيدٌۖ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ متعلقين بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿عَذَابٌ﴾ فاعل بالجار والمجرور؛ أي: بمتعلقهما، وعلى كل فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَكْرُ﴾: الواو: حرف عطف. (مكر): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، لا محل له، أو هو مبتدأ، وجملة: ﴿يَبُورُ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، وعلى اعتبار الضمير فصلاً؛ فجملة ﴿يَبُورُ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)﴾

الشرح: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي: خلق أصلكم (وهو آدم) من تراب، وقد صرحت الآيات بسورة (الحجر) وسورة (الرحمن) وغيرهما بذلك. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ وهو المني؛ الذي يصب في رحم المرأة. هذا؛ وذكرت في سورة (الحج) وغيرها أن هذا الخلق من التراب على تأويلين: أحدهما غير مباشر، والثاني مباشر؛ فالأول خلق أبينا آدم من تراب، كما رأيت في سورة (الحجر) رقم [٢٦]. والثاني: كل واحد مِنَّا خلق من التراب، وذلك إذا نظرنا إلى المادة التي يتخلق منها الإنسان، فإنها من الدم بلا ريب، والدم مصدره من الطعام، والشراب، وأنواع الغذاء، وكل ذلك مخرجه من التراب، كما هو معروف. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: وهو المني سمي نطفة لقلته، وفي آية الحج رقم [٥] زيادة: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: ذكراناً، وإناثاً لطفاً منه، ورحمةً أن جعل لكم أزواجاً من جنسكم لتسكنوا إليها، وزوج بعضكم من بعض؛ ليتم البقاء في الدنيا إلى انقضائها، وانظر شرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الروم). ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي: هو عالم بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء، قال تعالى في سورة (الرعد) رقم [٨]: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي: وما يطول عمر أحد من الخلق، فيصبح هرماً، ولا ينقص من عمر أحد، فيموت وهو صغير، أو شاب، إلا وهو مسجل في اللوح المحفوظ، لا يزاد فيما كتب الله، ولا ينقص. وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال في هذه الجملة: المعنى: ليس أحد قضيت له بطول العمر، والحياة، إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له، فإنما ينتهي إلى الكتاب؛ الذي قدرت، لا يزاد عليه. وليس أحد قدرت له بأنه قصير العمر والحياة ببالغ، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ...﴾ إلخ. وقد فسر قول ابن عباس هذا بأن للعبد أجلين: أحدهما ثابت، والثاني معلق على فعل شيء، واستدل له بما رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**». رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، واللفظ له. وقد مر هذا مفصلاً بحمد الله عند قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٩] من سورة (الرعد) فلا حاجة إلى المزيد هنا على ما ذكرته هناك. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما ذكر في هذه الآية من دلائل على قدرته. ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هين

سهل؛ لأنه تعالى لا يفتقر في فعل ذلك إلى معاون، ولا إلى مساعد؛ لأنه إذا أراد شيئاً؛ فإنما يقول له: كن فيكون. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَاللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿خَلَقَكُم﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّن تُرَابٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: مبتدئاً خلقكم من تراب. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿جَعَلَكُمْ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله) والكاف مفعول به أول. ﴿أَزْوَاجًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿تَحْمِلُ﴾: فعل مضارع. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أُنثَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة المقدرة على الألف للتعذر، ويقال: مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الفاعل المستتر في: ﴿جَعَلَكُمْ﴾ فالرابط يكون الواو، والضمير المتصل بـ: (علمه)؛ لأن الجملتين المتعاطفتين كالجملة الواحدة. هذا؛ ومفعول ﴿تَحْمِلُ﴾ محذوف للتعميم.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَضَعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿أُنثَىٰ﴾، ومفعوله محذوف أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿تَضَعُ﴾ المستتر، التقدير: إلا معلومةً بعلمه.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يُعَمَّرُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿مُّعَمَّرٍ﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يُنقَصُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، ويقرأ بالبناء للمعلوم. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿عُمُرِهِۦٓ﴾: نائب فاعل، أو فاعل مرفوع على الاعتبارين، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وهي عائدة على (المعمر) أو على مُعَمَّرٍ آخر. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من عمره، التقدير: إلا مسجلاً ذلك في كتاب. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يَسِيرٌ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل، أو مستأنفة، لا محل لها، والجملة الفعلية قبلها مستأنفة أيضاً، لا محل لها.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢﴾

الشرح: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾: هذا مثل ضربه الله للمؤمن، والكافر. وانظر شرح: ﴿يَسْتَوِي﴾ في الآية رقم [١٩] الآتية. ﴿هَٰذَا عَذْبٌ﴾: حلو. ﴿فُرَاتٌ﴾: شديد العذوبة، قاطع لحرارة العطش لشدة عذوبته. وفي القاموس: فرُت، ككرُم، فروتة: عذب. ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾: سهل انحداره في الحلقوم لعذوبته. ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شديد الملوحة، ولشدة ملوحته فيه مرارة، وفي القاموس: أج الماء أجوجاً بالضم، يأجج، كسمع وضرب، ونصر: إذا اشتدت ملوحته. انتهى.

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا...﴾ إلخ: فهو إما استطراد لبيان صفة ﴿ٱلْبَحْرَانِ﴾ وما فيهما من النعم، والمنافع، وإما تكملة للتمثيل، على معنى: أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد؛ لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات، فكذلك المؤمن، والكافر، وإن اشتركا في بعض الصفات، كالشجاعة، والسخاوة، ونحوهما؛ لا يتساويان في الخاصية العظمى؛ لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود.

هذا؛ وقد عد هذا الكلام من الاستعارة التمثيلية. وهو تركيب استعمل في غير موضعه لعلاقة المشابهة. هذا؛ وأما الاستطراد؛ فهو أن يبني الشاعر، أو الكاتب كلاماً كثيراً على كلام من غير ذلك النوع، يقطع عليه الكلام وهو مراده، دون جميع ما تقدم. ويعود إلى كلامه الأول، وجل ما يأتي تشبيهاً؛ فقد استطرد في الآية إلى ذكر البحرين: المالح، والعذب، وما علق بهما من نعمته، وعطائه، وهو ما يلي في بقية الآية، واعتبر أحمد محشي الكشاف من الاستطراد البديع، قول الشاعر: [الطويل]

إِذَا مَا اتَّقَى اللهَ الفَتَى وَأَطَاعَهُ فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَإِنْ كَانَ مِنْ جَرْمِ

وقول حسان ـ رضي الله عنه ـ في هجاء الحارث بن هشام، وهزيمته يوم بدر: [الكامل]

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّتِي حَدَّثْتِنِي فَنَجَوْتِ مَنْجَى الحَارِثِ بنِ هِشَامِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: كما قال جل ذكره في سورة (الرحمن) رقم [٢٢]: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ لأجل الزينة، والتحلِّي بهما، ولبس الحلية بحسبها، فالخاتم يجعل في الإصبع، والسوار في الذراع، والقلادة في العنق، والْخَلْخَال في الرِّجل. ﴿وَتَرَى﴾: خطاب لكل من

ينظر، ويبصر، ويتفكر، ويعتبر. ﴿ٱلْفُلْكَ﴾: السفن، وانظر شرحه في الآية رقم [١١٩] من سورة (الشعراء). ﴿مَوَاخِرَ﴾: تمخر الماء؛ أي: تشقه بحيزومها، وهو مقدمها المسنم، الذي يشبه جؤجؤ الطير، وهو صدره. ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: بسبب السفر في البواخر، والسفن، ونقل البضائع على متنها من بلد إلى بلد، ومن إقليم إلى إقليم، وذلك في مدة قريبة، وقصيرة، ولو كانت المسافات بعيدة. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الله على فضله، وإنعامه. وقيل: على ما أنجاكم من هوله؛ إذا كنتم في لجته، وانظر شرح: البر والبحر في الآية رقم [٦٤] من سورة (الشعراء).

تنبيه: وقد ذكر الله من منافع البحرين الأكل؛ لأنه أعظم المقصود؛ لأن به قوام البدن، وفي ذكر الطري مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى، وذلك: أن السمك لو كان كله مالحاً لما كان فيه فائدة للإنسان، ووصفه بالطري؛ لأنه أرطب اللحوم، فيسرع إليه الفساد، فيسارع من يصيده إلى أكله.

وثنى بالصيد من البحر، وإخراج الحلية منه، كاللؤلؤ، والمرجان، ونحوهما. وأسند لبس الحلية للرجال، وهي من زينة النساء؛ لأنهن من جملة الرجال، ولأنهن يتزينَّ بها من أجلهم، وثلث بنعمة جريان السفن في البحار؛ لما في ذلك من الفوائد العظيمة، والأرباح الجسيمة، التي يجنيها ابن آدم من ذلك بقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: تطلبوا الأرباح بالتجارة، ثم عقب ذلك بطلب الشكر على إسداء هذه النعم لبني آدم.

هذا؛ و(الحِلية) بكسر الحاء، والجمع: حلى بالقصر، وتضم الحاء، وتكسر، وحلية السيف: زينته. قال ابن فارس: ولا تجمع. وتحلت المرأة: لبست الحلي، أو اتخذته. وحليتها (بالتشديد): ألبستها الحلي، أو اتخذته لها لتلبسه. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (النحل) رقم [١٤]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَسْتَوِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿ٱلْبَحْرَانِ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿عَذْبٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿فُرَاتٌ﴾: صفة له. ﴿سَآئِغٌ﴾: خبر مقدم. ﴿شَرَابُهُۥ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان. هذا؛ وأجيز اعتبار سائغ خبراً ثانياً، فيكون شرابه فاعلاً به، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من: ﴿ٱلْبَحْرَانِ﴾ والرابط: اسم الإشارة، والضمير، وإن كان مفرداً، وصاحب الحال مثنى، فعطف جملة: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ يجعله مثنىً. تأمل. وإن اعتبرت الجملة الأولى مستأنفة؛ فالمعنى لا يأباه،

وهو سائغ، فالجملة الاسمية لا محل لها، والثانية معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿وَمِن﴾: الواو: حرف استئناف. (مِنْ كلٍّ): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والتنوين عوض من المضاف إليه. ﴿تَأْكُلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿لَحْمًا﴾: مفعول به. ﴿طَرِيًّا﴾: صفة له، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿حِلْيَةً﴾. ﴿وَتَرَى﴾: الواو: حرف استئناف. (ترى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿ٱلْفُلْكَ﴾: مفعول به. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما؛ لأنه جمع: ماخرة. ﴿مَوَاخِرَ﴾: حال من الفلك، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِتَبْتَغُوا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿مَوَاخِرَ﴾. ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والضمير يعود إلى الله تعالى. وقيل: يعود إلى البحر. ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لعلكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، وجملة: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية معطوفة على ﴿لِتَبْتَغُوا...﴾ إلخ فهي مفيدة للتعليل مثلها.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ .. لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: انظر الآية رقم [٤٥] الآتية، ففيها الكفاية، والله ولي التوفيق. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أي: هذا الذي من صنعه ما تقرر هو الخالق المدبر، والقادر المقتدر، فهو الحقيق بالعبادة، والتنزيه، والتقديس، وهو العظيم الشأن، الذي له الملك، والسلطان، والتصرف الكامل في هذا الكون الواسع المترامي الأطراف. ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: والذين تعبدون من دون الله من الأوثان، والأصنام لا يملكون شيئاً ولو بمقدار القطمير، وهو القشرة الرقيقة؛ التي تحيط بنواة التمرة. قال المفسرون: وهو مثل يضرب في القلة والحقارة. والأصنام لضعفها، وهوانِ شأنها، وعجزها عن أي تصرف صارت مضرب المثل في حقارتها بأنها لا تملك فتيلاً، ولا قطميراً. ومثل هذه الآية في تحقير الأصنام،

وتصغير شأنها قوله تعالى في الآية رقم [٤١] من سورة (العنكبوت): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. وقوله تعالى في سورة (الحج) رقم [٧٣]: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ...﴾ إلخ.

تنبيه: في نواة التمرة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة: الفتيل، وهو الخيط الذي يكون في شق النواة. والنقير، وهو النقرة الموجودة في ظهرها. وكلاهما ذكر في سورة (النساء) مرتين. والقطمير، وهو اللفافة التي تحيط بالنواة. والثفروق، وهو ما بين القمع، والنواة. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿يُولِجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى (الله). ﴿اللَّيْلَ﴾: مفعول به. ﴿فِي النَّهَارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، أو من مفعول: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ المحذوف العائد على (الله) فلست مفنداً، ويكون الرابط الضمير فقط. وقيل: حال من فاعل: ﴿خَلَقَكُم﴾ وهو بعيد، وجملة: ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ معطوفة عليها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَسَخَّرَ﴾: الواو: حرف عطف. (سخر): ماض، والفاعل يعود إلى الله أيضاً. ﴿الشَّمْسَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، وعلى اعتبار الحالية فـ: «قد» قبلها مقدرة، ﴿وَالْقَمَرَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، وجوز الابتداء به الإضافة المقدرة. ﴿يَجْرِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى: ﴿كُلٌّ﴾. والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿لِأَجَلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة: (أجل) مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الاسمية: ﴿كُلٌّ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ والرابط: الضمير المقدر.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿اللَّهُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿رَبُّكُمْ﴾: خبر ثان، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وإن اعتبرت ﴿رَبُّكُمْ﴾ بدلاً من لفظ الجلالة؛ فلست مفنداً. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿الْمُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان، أو ثالث، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة. ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. وقيل: واو الحال، وهو ضعيف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: والذين تدعونهم. ﴿مِن دُونِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من

الضمير المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَمْلِكُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قِطْمِيرٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. .

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي: إن تستغيثوا بهم في النوائب، وتطلبوا معونتهم في الشدائد؛ ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾: لأنها جمادات لا تبصر، ولا تسمع، ولا تعي ما يقال لها. ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: على الفرض، والتقدير، والتسليم بأنها تسمع؛ ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: ما أجابوكم بشيء، ولا أعانوكم بشيء قطعاً. هذا؛ والسين، والتاء زائدتان في الفعل: (استجاب) لأنه بمعنى: أجاب. قال كعب بن سعد الغنوي في رثاء أخيه: [الطويل]

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

أي: فلم يجبه، وعند التأمل تجد الفعل في الآية تَعَدَّىٰ بواسطة حرف الجر، وفي البيت تعدى بنفسه. والفرق بين الآية، والبيت: أن الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه، وإلى الداعي باللام. ويحذف الدعاء إذا عُدِّي إلى الداعي في الغالب، فيقال: استجاب الله دعاءه، أو استجاب له، ولا يكاد يقال: استجاب الله له دعاءه، وأما البيت فمعناه: لم يستجب دعاءه على حذف المضاف.

وانظر شرح (يسمع) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الروم). ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: يجحدون أنكم عبدتموهم، ويتبرؤون منكم، كما قال تعالى في الآية رقم [٦] من سورة (الأحقاف): ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾. الآيتان من سورة (مريم)، والخطاب لكفار قريش الذين عبدوا الحجارة، والأوثان من دون الله. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور، ومآلها، وما تصير إليه مثل خبير بها. قال قتادة ـ رحمه الله ـ: يعني نفسه تبارك وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محالة، والمخاطب بذلك النبي ﷺ.

وقال النسفي: ولا ينبئك أيها المفتون بأسباب الغرور، كما ينبئك الله الخبير بخبايا الأمور. وتحقيقه: ولا يخبرك بالأمر مخبر، هو مثل خبير عالم به. يريد: أن الخبير بالأمر وحده هو

الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به، والمعنى: أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق؛ لأني خبير بما أخبرت به. انتهى.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَدْعُوهُمْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْمَعُوا﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿دُعَاءَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف عطف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿سَمِعُوا﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف، لدلالة ما قبله عليه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿اسْتَجَابُوا﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب شرط غير جازم. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(لو) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله. ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (يوم): ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و(يوم): مضاف، و﴿الْقِيَامَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿يَكْفُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين بالفاء. ﴿بِشِرْكِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ومفعوله محذوف، التقدير: بشرككم إياهم. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يُنَبِّئُكَ﴾: فعل مضارع، والكاف مفعول به. ﴿مِثْلُ﴾: فاعله، و﴿مِثْلُ﴾ مضاف، و﴿خَبِيرٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾: الخطاب لجميع البشر؛ لتذكيرهم بنعم الله الجليلة عليهم؛ أي: أنتم المحتاجون إليه تعالى في بقائكم، وكل أحوالكم، وفي جميع حركاتكم، وسكناتكم. ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: غني عن عباده، غير محتاج إليهم في شيء، ومحمود بكل لسان، الممجد في كل مكان على كل حال، وهو مستحق للحمد، في ذاته، تحمده الملائكة، وتنطق بحمده ذرات المخلوقات.

قال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: لم يسمهم بالفقراء للتحقير؛ بل للتعريض على الاستغناء، ولهذا؛ وصف نفسه بالغني، الذي هو مطعم الأغنياء، وذكر الحميد ليدل به على أنه الغني،

النافع بغناه خلقه، والجواد المنعم عليهم؛ إذ ليس كل غني نافعاً بغناه، إلا إذا كان الغني جواداً منعماً، وإذا جاد، وأنعم؛ حمده المُنْعَمُ عليهم. قال سهل: لما خلق الله الخلق؛ حكم لنفسه بالغنى، ولهم بالفقر، فمن ادعى الغنى؛ حجب عن الله، ومن أظهر فقره؛ أوصله فقره إليه. فينبغي للعبد أن يكون مفتقراً بالسر إليه، ومنقطعاً عن الغير إليه، حتى تكون عبوديته محضة؛ فالعبودية هي الذل والخضوع، وعلامته ألّا يسأل من أحد.

وقال الواسطي: من استغنى بالله لا يفتقر، ومن تعزز بالله لا يذل. وقال الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنياً بالله، وكلما ازداد افتقاراً إلى الله؛ ازداد غنىً. وقال يحيى: الفقر خير للعبد من الغنى؛ لأن المذلة في الفقر، والكبر في الغنى، والرجوع إلى الله بالتواضع والذلة، خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال. وقيل: صفة الأولياء ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه من كل شيء، وقال الشبلي: الفقر يجر البلاء، وبلاؤه كله عز. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠]، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿أَنتُمُ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾: خبره، والجملة الاسمية لا محل لها كالجملة الندائية قبلها؛ لأنها ابتدائية مثلها. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾؛ لأنه جمع: فقير، وهو صفة مشبهة. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، لا محل له، وأجيز اعتباره توكيداً للفظ الجلالة، وعليه: ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾: خبر أول. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: خبر ثان، وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، وما بعده خبران له؛ فالجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وهو أقوى من اعتبارها حالية.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: لو شاء الله تعالى إهلاككم؛ لأهلككم، وأفناكم، وأتى بقوم آخرين غيركم، وفي هذا؛ وعيد، وتهديد. ومثله قوله تعالى في سورة (محمد) ﷺ رقم [٣٨]: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾. ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي: وليس ذلك بصعب، أو ممتنع على الله؛ بل هو سهل يسير عليه سبحانه؛ لأن أمره بين الكاف والنون، إذا قال للشيء: كن؛ فيكون، ومثله في سورة (إبراهيم) رقم [٢٠] على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَشَأْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، والفاعل مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى (الله)، ومفعوله محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة

جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَيَأْتِ﴾: الواو: حرف عطف. (يأت): فعل مضارع معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، وفاعله يعود إلى (الله) أيضاً، ومثل هذا الفعل يجوز رفعه، ونصبه، قال ابن مالك في ألفيته: [الرجز]

والْفِعْلُ مِنْ بَعْدِ الجزا إنْ يَقْتَرِنْ   بِالفَا، أوِ الْوَاوِ بِتَثْلِيثٍ قَمِنْ

ولكن لم يقرأ الفعل هنا بغير الجزم. ﴿بِخَلْقٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَدِيدٍ﴾: صفة له. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم (ما)، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِعَزِيزٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (عزيز): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. واعتبارها حالاً فيه ضعف.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: يعني: لا تؤاخذ نفس بإثم أخرى، ولا تحمل نفس حاملة حمل أخرى، ولا يؤاخذ أحد بذنب آخر، وذلك: أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾، بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الذنوب والسيئات. هذا؛ وأصل: ﴿تَزِرُ﴾: (تَوْزِر) لأن ماضيه: وَزر، فحذفت الواو لوقوعها ساكنة بين عدوتيها، وهما الياء، والكسرة في مضارع الغائب: «يزر» وتحذف من مضارع المتكلم، والمخاطب قياساً عليه، والأمر: زُرْ فيما يظهر، ومصدره: وِزْر، بفتح الواو وكسرها، وهو بمعنى: الإثم، والثقل أيضاً، والوزر بفتح الواو، والزاي: الملجأ، والمستغاث، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾. ومن المعنيين يؤخذ اسم وزير السلطان، فإنه يحمل ثقل دولته، ويلجأ إليه السلطان في المهمات، فيستشيره بذلك. ومعنى الآية: يتبرأ كل واحد من أوزار غيره، حتى إن الوالدة تلقى ولدها يوم القيامة، فتقول: يا بني ألم يكن حجري لك وطاءً؟ ألم يكن ثديي لك سقاءً؟ ألم يكن بطني لك وعاءً؟ فيقول: بلى يَا أُمَّهْ! فتقول: يا بني! إن ذنوبي أثقلتني، فاحمل عني منها ذنباً واحداً، فيقول: إليك عني يَا أُمَّهْ! فإني بذنبي عنك اليوم مشغول.

خذ قوله تعالى في سورة (المعارج): ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾، وقوله جل ذكره في سورة (عبس): ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

تنبيه: عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ**». رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه، والنسائي؛ إلا أنه قال: «**بِالنِّيَاحَةِ عَلَيْهِ**». فلا تعارض بين الآية، والحديث، فإن الحديث محمول على ما إذا كان النوح من وصية الميت، وسنته، كما كانت الجاهلية تفعله، حتى قال طرفة بن العبد البكري وهو من معلقته: [الطويل]

إذا مِتُّ فَانْعِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يا ابنَةَ مَعْبَدِ

وذهب جماعة من أهل العلم، ـ منهم داود الظاهري ـ إلى الأخذ بظاهر الحديث، وأنه إنما يعذب بنوح النساء؛ لأنه أهمل النهي عنه قبل موته، فيعذب بتفريطه بذلك.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾: المعنى وإن تطلب نفس مثقلة بالأوزار، وتسأل أحداً ليحمل عنها بعض أوزارها؛ لا يتحمل عنها شيئاً، ولو كان المدعو المسؤول قريباً لها، كالأم، والأب، والولد، والأخ، والصديق، والزوجة... إلخ، وهو صريح الآيات المذكورة آنفاً، وقال تعالى في سورة (لقمان) رقم [٣٣]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: ما الفرق بين معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وبين معنى قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ...﴾ إلخ؛ قلت: الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه، وأنَّه تعالى لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها. والثاني: فإنه لا غياث يومئذ لمن استغاث، حتى إن نفساً قد أثقلتها الأوزار، وبهظتها لو دعت إلى أن يخفف عنها بعض وزرها؛ لم تُجَبْ، ولمْ تُغَث، وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب، أو ولد، أو أخ. انتهى. كشاف.

وأما قوله تعالى في الآية رقم [١٣] من سورة (العنكبوت): ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ فهذا في حق الضالين المضلين، فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم، وكان ذلك يعد من أوزارهم، ليس فيه شيء من أوزار غيرهم. انظر تفسيرها هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ و(حَمْل) بفتح الحاء وسكون الميم، قال ابن السكيت: ما كان في بطن، أو على رأس شجرة، والحِمْل بالكسر: ما كان على ظهر، أو رأس، قال الأزهري: وهذا هو الصواب، وهو قول الأصمعي، وقال بعضهم: [الرجز]

مَا كَانَ فِي بَطْنٍ فَذَاكَ حَمْلُ وإنْ عَلَى ظَهْرٍ ورأسٍ حِمْلُ

وقال القرطبي: وقد حكى يعقوب في حِمْل النخلة الكسر. وقال أبو سعيد السيرافي: يقال في حمل المرأة: حِمْل، وحَمْل، يشبه مرة لاستبطانه بحمل النخلة، ومرة لبروزه، وظهوره بحِمْل الدابة. وقال الرازي في مختاره: ويقال: امرأة حامل، وحاملة إذا كانت حبلى، فمن قال: حامل قال: هذا نعت لا يكون إلا للإناث، ومن قال: حاملة بناه على: حملت، فهي حاملة، وأنشد: [الوافر]

تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَتَى ولِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

فإذا حملت المرأة شيئاً على ظهرها، أو على رأسها، فهي حاملة لا غير؛ لأن الهاء إنما تلحق للفرق، فما لا يكون للمذكر، لا حاجة فيه إلى علامة التأنيث، فإن أُتي بها فإنما هو على الأصل، هذا قول أهل الكوفة، وقال أهل البصرة: هذا غير مستمر؛ لأن العرب تقول: رجل أيِّم وامرأة أيِّم، ورجل عانس وامرأة عانس مع الاشتراك، وقالوا: امرأة مصبية، وكلبة مجرية مع الاختصاص. قالوا: والصواب أن يقال: إن قولهم: حامل، وطالق، وحائض، ونحوها، أوصاف مذكرة وصف بها الإناث، كما أن الرَّبْعة، والرَّاوية، والْخُجَأَة، أوصاف مؤنثة وصف بها الذكور. انتهى.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: إنما تخوف الذين يخشون عقاب الله تعالى حالة كونهم غائبين عن عذابه، أو غائبين عن الناس في خلوتهم، أو غائباً عنهم عذاب الله تعالى، فهؤلاء هم الذين ينفعهم الوعظ، والنصح، ويجدي معهم التخويف، والإنذار، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الآية رقم [١١] من سورة: (يس) والخطاب للنبي ﷺ، ويعم كل واعظ، ومرشد، وانظر شرح الغيب في الآية رقم [٣] من سورة (سبأ).

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ بما قبله، قلت: لما غضب الله عليهم في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أتبعه الإنذار بيوم القيامة، وذكر أهوالها، ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ كأن رسول الله ﷺ أسمعهم ذلك، فلم ينفع، فنزل: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾، أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم. انتهى. ولا تنس الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وانظر الالتفات في الآية رقم [٣٤] من سورة (الروم) فهو جيد.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: انظر الآية رقم [٤] من سورة (لقمان). وخصهم بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بالإنذار؛ لأن من شأن الصلاة أن تهذب النفوس، وتلين الطبائع، وتصلح العمل، وإذا لم تفعل ذلك؛ فهي غير مقبولة عند الله، انظر الآية رقم [٤٥] من سورة (العنكبوت) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: ومن طهر نفسه من أدناس المعاصي. ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾: فإن ثمرة تطهير نفسه عائدة عليه، فصلاحه، وتقواه مختص به، لا يتعداه لغيره. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: إليه المرجع، والمآب، فهو يجازيه على عمله، ويجازي كل إنسان أيضاً من ذكر، أو أنثى، وانظر شرح النفس في الآية رقم [٢٨] من سورة (الروم).

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿تَزِرُ﴾: فعل مضارع. ﴿وَازِرَةٌ﴾: فاعل. ﴿وِزْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أُخْرَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَدْعُ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها. ﴿مُثْقَلَةٌ﴾: فاعل. ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحْمَلْ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، مبني للمجهول. ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: (شيء) كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿شَيْءٌ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف عطف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمه مستتر، التقدير: ولو كان المدعو. ﴿ذَا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذَا﴾ مضاف، و﴿قُرْبَىٰٓ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. هذا؛ وقرئ: (ولو كان ذو قربى) على اعتبار ﴿كَانَ﴾ تامة، أي: ولو حضر ذو قربى، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ قال الزمخشري: ونظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة. قال البيضاوي: وقرئ: (ذو قربى) على حذف الخبر، وهو أولى من جعل كان تامة، فإنها لا تلائم نظم الكلام، وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون حالاً، و﴿كَانَ﴾ تامة، ولا وجه له قطعاً، وجواب (لو) محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: ولو كان المدعو ذا قربى لا يحمل من أوزار قريبه شيئاً. ﴿وَلَوْ﴾ ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله. وقيل: الواو واو الحال، وهذا لا يصح إلا إذا اعتبرنا (لو) وصلية، ولا جواب لها.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿تُنذِرُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿يَخْشَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿رَبَّهُم﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير: «قد» قبلها.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَزَكَّىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وهو في محل جزم فعل

الشرط، والفاعل مستتر، تقديره: «هو»، يعود إلى (مَنْ). ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنما): كافة، ومكفوفة. ﴿يَتَزَكَّى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٠] وإن اعتبرت (مَنْ) موصولة؛ فالإعراب ظاهر، وقد مر معنا كثير مثله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِلَى﴾: الواو: حرف استئناف. (إلى الله): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: الجاهل، والعالم، والكافر، والمؤمن. فهذا مثل ضربه الله لهما. أي: فكما لا يتساوى الأعمى مع البصير، فكذلك لا يتساوى المؤمن المستنير بنور القرآن، والكافر الذي يتخبط في الظلام. ففي الكلام استعارة تصريحية حيث شبه الله الكافر بالأعمى، والمؤمن بالبصير، بجامع ظلام الطريق، وعدم الاهتداء على الكافر، ووضوح الرؤية، والاهتداء للمؤمن، ثم استعار المشبه به، وهو ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ للكافر، واستعار (البصير) للمؤمن بطريق الاستعارة التصريحية. ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ أي: لا يستويان. والمراد بـ: ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الكفر، والباطل، والجهل. والمراد بـ: ﴿ٱلنُّورُ﴾: الإيمان، والحق، والعلم. ففي الكلام استعارة مثل سابقه. وجمع الظلمات؛ لأن طرق الكفر، والباطل، والجهل متعددة، وأفرد النور؛ لأن الإيمان، والحق، والعلم واحد، لا يتعدد.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ أي: لا يستويان أيضاً. والمراد بـ: ﴿ٱلظِّلُّ﴾ ظل الجنة ونعيمها الدائم، والمراد بـ: ﴿ٱلْحَرُورُ﴾ حر نار جهنم؛ أي: فكما لا يستوي في الدنيا الظل المنعش للأرواح، والأجسام مع الحر الشديد المسمى أحياناً بالسموم لشدته؛ لا تستوي نار جهنم مع الجنة. وبالمناسبة خذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَتِ النارُ: رَبِّ أكلَ بعْضي بَعْضاً فَائْذَنْ لي أَتنفَّسْ، فأذِنَ لهَا بنفسَيْنِ: نفسٍ في الشِّتاءِ، ونفَسٍ في الصيْفِ، فمَا وجدْتُم مِنْ بَرْدٍ، أوْ زَمْهَرِيرٍ؛ فمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ، ومَا وجدْتمْ من حرٍّ، أو حرورٍ؛ فمِنْ نفسِ جَهَنَّمَ**». أخرجه مسلم، لذا يُسَن في حق المسلم أن يقول في يوم الحر: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم، اللهم أجرني من حرِّ نار جهنم! وفي يوم البرد أن يقول: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم، اللهم أجرني من زمهرير جهنم!

وينبغي أن تعلم: أن الفعل: ﴿يَسْتَوِي﴾ من الأفعال التي لا يكتفى فيها بواحد، فلو قلت: استوى زيد لم يصح فمن ثَمَّ لزم العطف على الفاعل، أو تعدده. هذا؛ ولا تنس المطابقة، والمقابلة بين الضدين في الآيات الأربع، وهي من المحسنات البديعية. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٨] من سورة (غافر) إن أردت الزيادة.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَسْتَوِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء. ﴿الْأَعْمَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة. ﴿الظُّلُمَاتُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة. ﴿النُّورُ﴾: معطوف على ما قبله، وأيضاً ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ معطوفان على ما قبلهما.

قال الجلال ـ رحمه الله تعالى ـ: وزيادة (لا) في الثلاثة تأكيد. قال الجمل: وقد زيدت في الآيات الثلاث خمس مرات: اثنتين في الأولى، واثنتين في الثانية، وواحدة في الثالثة، والكل لتأكيد نفي الاستواء. وقال ابن هشام في المغني: فـ: (لا) الثانية، والرابعة، والخامسة زوائد لأمن اللبس. وقال الزمخشري: فإن قلت: هل من فرق بين هذه الواوات، قلت: بعضها ضمت شفعاً إلى شفع، وبعضها وتراً إلى وتر. انتهى.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: تمثيل آخر للمؤمنين، والكافرين أبلغ من الأول، ولذلك كرر الفعل. وقيل: للعلماء، والجهلاء. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾: هدايته، فيوفقه لفهم آياته، والاتعاظ بعظاته. ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار شبههم الله بالأموات في القبور؛ لأنهم لا يجيبون إذا دعوا.

هذا؛ وقد قال ابن كثير: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى، والبصير لا يستويان؛ بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور، ولا الظلُّ، ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء، ولا الأموات. وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين، وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ الآية رقم [١٢٢] من سورة (الأنعام)، وقال عز وجل: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ الآية رقم [٢٤] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

فالمؤمن سميع بصير في نور، يمشي على صراط مستقيم في الدنيا، والآخرة؛ حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال، والعيون، والكافر أعمى، وأصم في ظلمات يمشي فيها، لا خروج له منها؛ بل هو يتيه في غيه، وضلاله في الدنيا، والآخرة؛ حتى يفضي به ذلك إلى الحرور، والسموم، والحميم. انتهى. بتصرف.

تنبيه: المراد في الآية الكريمة تشبيه الكفار بالمدفونين في القبور بعدم الانتفاع فيما يقال لهم، لا أنهم لا يسمعون أبداً؛ بل يسمعون، ولكنهم لا يقدرون على الجواب، كيف لا؟ والرسول ﷺ قد خاطب قتلى بدر من المشركين، وناداهم بأسمائهم: «يا فلانُ بن فلان! ويا فلانُ بن فلان! هل وجدتُمْ ما وعدَ رَبكم حقاً؟ فإني وجَدْتُ ما وعدني ربي حقاً» فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! كيف تكلم أجساداً، لا أرواح فيها؟! فقال: «**والله ما أنتمْ بأسمعَ لِمَا أقولُ منهمْ غيْرَ أنهم لا يستطيعونَ أن يردُّوا شيْئاً**». وفي رواية: «**يسمعون كما تسمعون، ولكن لا يجيبون**». وقد ثبت: أن للروح تعلقاً بالجسد بعد الدفن، أو بموضع الدفن بعد فناء الجسد، لذا علمنا الرسول ﷺ إذا أتينا المقبرة أن نقول: «**السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله العفو لنا، ولكم، ولجميع المسلمين**». وليقرأ الفاتحة، والأحاديث الصحيحة الواردة في سؤال القبر تؤكد هذه الحقيقة. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: إعراب هذه الكلمات مثل الآية رقم [١٩] بلا فارق. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُسْمِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يسمع الذي، أو: شخصاً يشاء الله إسماعه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية، تعمل عمل: «ليس». ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمُسْمِعٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (مسمع): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائدة. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) مهملة تميمية، فالضمير مبتدأ، و(مسمع) خبره، زيدت الباء فيه، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت». ﴿مَّن﴾: مفعول به لـ: (مسمع). ﴿فِي ٱلْقُبُورِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول ﴿مَّن﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَنتَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. واعتبارها حالاً من لفظ الجلالة لا بأس به، ويكون الرابط: الواو فقط.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: فما عليك يا محمد إلا الإنذار، وأما الإسماع فلا إليك، ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم، وفي الآية قصر موصوف على صفة. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: محقين، أو محقاً، أو: إرسالاً مصحوباً بالحق. ﴿بَشِيرًا﴾: بالجنة، والثواب الحسن لمن آمن. ﴿وَنَذِيرًا﴾: بالنار، والعقاب لمن كفر، وعاند، وخرج عن طاعة ربه، وما بينهما مطابقة، ومقابلة، وهي من المحسنات البديعية. ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾: جماعة من الناس في العصور، والأزمنة الخالية. ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: جاءها رسول، فأنذرها عقاب الله، وغضبه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ الآية رقم [٣٦] من سورة (النحل)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ رقم [٧] من سورة (الرعد). قال ابن جريج: إلا العرب، فإنه لم يبعث فيهم رسولاً. انتهى. وقد صح: أن الله بعث فيهم خالد بن صفوان، ونبياً آخر اسمه: حنظلة.

هذا؛ و﴿أُمَّةٍ﴾ بمعنى الجماعة، كما رأيت، ولا واحد لها من لفظها، وتكون واحداً إذا كان ممن يقتدى به كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾. والأمة: الطريقة، والملة في الدين، كقوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ وبها فسرت الآية رقم [٩٢] من سورة (الأنبياء): ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾. وقال النابغة الذبياني من قصيدة يخاطب بها النعمان بن المنذر، ويعتذر له مما وشى به الواشون: [الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ؟

وكل جنس من الحيوان أمة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ والأمة: الحين، والوقت، كقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد وقت، وحين.

الإعراب: ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر المبتدأ. والجملة الاسمية ابتدائية لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ...﴾ إلخ بيان، وتفسير لهذه الجملة. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، حذفت نونها، بقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَرْسَلْنَـٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول، انظر الشرح. ﴿بَشِيرًا﴾: حال من الكاف. ﴿وَنَذِيرًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ ابتدائية، لا محل لها من الإعراب.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف نفي. ﴿مِّنۡ﴾: حرف جر صلة. ﴿أُمَّةٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿خَلَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿نَذِيرٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، فلا محل لها على الوجهين.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ٢٥﴾

الشرح: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: وإن يكذبك قومك يا محمد؛ فاصبر، وتأس بمن سبقك من الرسل. ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: كذبوا رسلهم. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤] ففيها الكفاية. ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الباهرات، والحجج الدامغات، والبراهين الساطعات، فكذبوهم، وآذوهم أشد الإيذاء، فلك يا محمد أسوة حسنة، وقدوة طيبة بهؤلاء الرسل الكرام. ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ أي: جاؤوهم بالزبر، وهي الصحف المنزلة على الأنبياء، كصحف إبراهيم، وهي ثلاثون، وصحف موسى قبل التوراة، وهي عشرة، وكصحف شيث، وهي ستون، وصحف إدريس، وهي عشرة. فجملة الصحف مئة وعشرة، تضم لها الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن. فجملة الكتب المنزلة على الأنبياء مئة وأربعة عشر. ﴿وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ أي: الواضح، والمراد بـ: (الكتاب) جنس الكتب؛ إذ المراد: التوراة، والإنجيل، والزبور. وقيل: المراد: الصحف والكتب السماوية على إرادة التفصيل دون الجمع، ويجوز أن يراد بهما واحد، والعطف لتغاير الوصفين لاختلاف اللفظين. هذا؛ والآية الكريمة مذكورة في سورة (آل عمران) مع اختلاف في بعض ألفاظها.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقَدۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والمفعول محذوف، تقديره: رُسُلَهم، والجملة الفعلية: ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. هذا؛ وإن اعتبرت

جواب الشرط محذوفاً؛ فالجملة الفعلية مفيدة للتعليل، لا محل لها، ويكون التقدير: وإن يكذبوك؛ فلا تحزن؛ لأنه قد كذب. . . إلخ.

﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والهاء مفعول به. ﴿رُسُلُهُم﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رُسُلُهُم﴾، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿جَآءَتۡهُمۡ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الضمير فقط، وهي على إضمار: «قد» قبلها. ﴿وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ﴾: معطوفان على: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾. ﴿ٱلۡمُنِيرِ﴾: صفة (الكتاب)، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾: عاقبتهم عقاباً شديداً، كما قال تعالى في سورة (القمر): ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾. ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: استفهام معناه التعجب؛ أي: فانظر كيف كان عقابي لهؤلاء المكذبين، وكذلك أفعل بكفار قريش، فما لكفار قريش لا يهتدون، ولا يرتدعون عما هم عليه من الكفر، والعصيان، والطغيان؟! هذا؛ وقد قرئ: (نكيري) بإثبات الياء أيضاً، ومثلها الآية رقم [٤٥] من سورة (سبأ). والآية رقم [٤٤] من سورة (الحج)، وانظر شرح ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الروم)، وشرح الكفر في الآية رقم [٣٤] منها أيضاً.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَخَذۡتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُواْۖ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿أَخَذۡتُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة ﴿جَآءَتۡهُمۡ...﴾ إلخ فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿فَكَيۡفَ﴾: الفاء: حرف عطف. (كيف): اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿نَكِيرِ﴾: اسم كان مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧﴾

الشرح: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾: انظر الآية رقم [٢٤] من سورة (الروم) ففيها الكفاية. ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾: أجناسها، أو أصنافها على أن كلًّا منها ذو أصناف

مختلفة هيئاتها من الصفرة، والحمرة، والخضرة، ونحوها، والأجناس مثل: الرمان، والتفاح، والتين، والعنب، والرطب، ونحو ذلك، هذا بالإضافة إلى الطعوم المختلفة أيضاً، والروائح المتنوعة، كما قال تعالى في الآية رقم [٤] من سورة (الرعد): ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾. وفي قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم. انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠] من سورة (لقمان) تجد ما يسرك.

﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ أي: وخلق الله الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضاً من بيض، وحمر، وفي بعضها طرائق، وهي الجدد، جمع: جُدّة مختلفة الألوان أيضاً، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الجدد: الطرائق. انتهى. هذا؛ وهو بضم الجيم وفتح الدال الأولى. وقال الأخفش: ولو كان جمع: جديد؛ لقال: جُدُدْ (بضم الجيم، والدال) نحو سرير وسُرُر، قال زهير بن أبي سلمى المزني: [البسيط]

كَأَنَّهُ أَسْفَعُ الخَدَّيْنِ ذو جُدُدٍ طَاوٍ ويَرْتَعُ بَعْدَ الصَّيْفِ عُرْيَانا

وقرأ الزهري: (جُدُدٌ) بضمتين على أنه جمع: جديدة، وهي الجدة. يقال: جديدَة، وجُدُد، وجَدَائِد. ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: قال أبو عبيدة: الغربيب: الشديد السواد، ففي الكلام تقديم، وتأخير. والمعنى: ومن الجبال سود غرابيب، والعرب تقول للشديد السواد؛ الذي لونه كلون الغراب: أسود غربيب. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ يبغضُ الشيخَ الغِربيب**». أي: الذي يخضب بالسواد. قال امرؤ القيس: [البسيط]

الْعَيْنُ طامِحَةٌ واليدُ سَابحةٌ والرِّجْلُ لافحةٌ والوجهُ غِرْبِيبُ

وقال آخر يصف كرماً: [البسيط]

ومِنْ تَعاجِيبِ خلقِ اللهِ غاطيةٌ يُعْصَرُ منه مُلَاحِيٌّ وغِرْبِيبُ

الغاطية: الشجرة التي طالت أغصانها، وانبسطت على وجه الأرض. ملاحي: أبيض. انتهى. قرطبي بتصرف. هذا؛ وقال الصابوني: يقول شهيد الإسلام في تفسيره «الظلال»: هذه لفتة كونية عجيبة من اللفتات الدالة على مصدر هذا الكتاب، تبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات المختلفات الألوان، ثم تنتقل إلى ألوان الجبال، ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار، وتنوعها، وتعددها. واللفتة إلى ألوان الصخور وتنوعها داخل اللون الواحد تهز القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي بما يستحق النظر، والالتفات، ثم ألوان الناس، وهي لا تقف عند حد، وكذلك ألوان الدواب، والأنعام. والدابة: كل حيوان. والأنعام: هي الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، ذات الألوان والأصباغ العجيبة، كلها معروضة للأنظار في هذا الكتاب الكوني، الجميل الصفحات، العجيب في التكوين، والتلوين. انتهى.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت». ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، تقديره: «هو». ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَآءً﴾ كان صفة له... إلخ. ﴿مَآءً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَنزَلَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول (ترى)، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (أخرجنا): فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿مُّخْتَلِفًا﴾: صفة ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ وهو نعت سببي، يراعى في تذكيره، وتأنيثه ما بعده، وهو: ﴿أَلْوَٰنُهَا﴾ الواقع فاعلاً له، وإنما كان سببياً؛ لأن الاختلاف في المعنى إنما هو لألوانها، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَأَخْرَجْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف استئناف. (من الجبال): متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿جُدَدٌۢ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿بِيضٌ﴾: صفة جدد. (حمر): معطوف على ﴿بِيضٌ﴾. ﴿مُّخْتَلِفٌ﴾: صفة ثانية لجدد، وفيها معنى التأكيد لـ: ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾. ﴿أَلْوَٰنُهَا﴾: فاعل بـ: ﴿مُّخْتَلِفٌ﴾. و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿وَغَرَابِيبُ﴾: معطوف على ﴿جُدَدٌۢ﴾. ﴿سُودٌ﴾: صفة له، وانظر الشرح، وما قيل فيه: إنه من عكس الصفة. وقيل: هو بدل من: (غرابيب)، واعتبره الزمخشري معطوفاً على ﴿بِيضٌ﴾ أو ﴿جُدَدٌۢ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ...﴾ إلخ: أي: وخلق الناس، والدواب، والأنعام مختلفة ألوانها مثل اختلاف ألوان الثمرات، والجبال، كما هو مشاهد، فإنك ترى في الجميع الأبيض، والأحمر، والأسود، والأسمر... إلخ، قال تعالى في سورة (الروم): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ هذا؛ و(الدواب) جمع: دابة، وهي تشمل كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان، وحيوان. قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآية رقم [٢٢] من سورة (الأنفال)، والمراد هنا ما لا يعقل خاصة. والمراد بالأنعام: الإبل، والبقر، والغنم. فهو من ذكر الخاص بعد العام، وانظر شرح: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في الآية رقم [٢٨] من سورة (سبأ).

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ أي: إنما يخافه تعالى العلماء؛ لأنهم عرفوه حق معرفته؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعلي القدير أتم، والعلم به أكمل؛ كان الخوف منه أعظم، وأكثر؛ إذ من دواعي الخوف منه تعالى معرفته، والعلم بصفاته، وأفعاله، فمن كان أعلم به؛ كان أشد خوفاً منه، ولذلك قال ﷺ: **«أنا أخشاكُمْ للهِ، وأتقاكُمْ لهُ»**. ولهذا أتبعه ذكر أفعاله، الدالة على كمال قدرته.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ قال: هم الذين يعلمون: أن الله على كل شيء قدير. وعنه قال: العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئاً، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن: أنه ملاقيه، ومحاسب بعمله. انتهى. وقال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل. وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: العالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط لله فيه، ثم تلا الآية الكريمة. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية. وقال مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب.

هذا؛ وقرئ برفع (الله) ونصب: (العلماء). قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: ما وجه قراءة من قرأ برفع (الله) ونصب (العلماء) وهو عمر بن عبد العزيز، ويحكى عن أبي حنيفة، رحمهما الله تعالى؟ قلت: الخشية في هذه الآية استعارة، والمعنى: إنما يجلهم ويعظمهم، كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده. انتهى. أقول: ومن هذه الزاوية قول نصيب بن رباح، وهو الشاهد رقم [٢١٤] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

أَهَابُكَ إِجْلَالاً وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

هذا؛ والآيات التي تثني على الخائفين من الله، والتي تعدهم بحسن المثوبة، وعظيم الجزاء، ورفيع الدرجات كثيرة، كيف وقد جعل الله هذا الخوف صفة من الصفات الثمانية، التي وصف الله بها أولي الألباب في سورة (الرعد)، وذلك في الآية رقم [٢٠] وما بعدها، والرسول ﷺ رغب في ذلك أيضاً، وأثنى على الخائفين، وبشرهم برضا رب العالمين، والنعيم المقيم في جنات النعيم، فعن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا اقْشَعَرَّ جلدُ العبدِ مِنْ خشيةِ اللهِ، تَحَاتَّتْ عنهُ ذنوبُهُ كمَا يَتَحَاتُّ عنِ الشجرةِ اليابسةِ وَرَقُهَا»**. رواه البيهقي، وغيره. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه جل وعلا: أنه قال: **«وعِزَّتِي! لا أَجْمَعُ على عَبْدِي خوْفيْنِ، وأمْنَيْنِ؛ إذَا خَافَنِي في الدُّنْيَا؛ أَمَّنْتُهُ يومَ الْقِيَامةِ، وإذَا أمنني في الدُّنْيَا؛ أخفْتُهُ في الآخِرَةِ»**. رواه ابن حبان. وحديث السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظله مشهور.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره، لا يخرج شيء عن إرادته، ومشيئته. ﴿غَفُورٌ﴾ أي: لمن تاب، وأناب من عباده، وهو صيغة مبالغة بمعنى: كثير الغفران لعباده المؤمنين؛ إن هم لجؤوا إليه بالتوبة، والإنابة. هذا؛ وقال الزمخشري: فإن قلت: ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله؟ قلت: لما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمعنى: ألم تعلم: أن الله أنزل من السماء ماء، وعدد آيات الله، وأعلام قدرته، وآثار صنعته، وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس، وما يستدل به عليه، وعلى صفاته؛ أتبع ذلك: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ...﴾ إلخ، كأنه قال: إنما يخشاه مثلك، ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته، وعلمه كنه علمه. انتهى.

الإعراب: ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف عطف. (من الناس): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: معطوفان على الناس. ﴿مُخْتَلِفٌ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو في الأصل صفة لموصوف محذوف، التقدير: خلق مختلف. ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾: فاعل بـ: ﴿مُخْتَلِفٌ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف: حرف تشبيه، وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله: ﴿مُخْتَلِفٌ﴾ التقدير: مختلف ألوانه اختلافاً مثل اختلاف ألوان الثمرات والجبال، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية السابقة، لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَخْشَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾: فاعل: ﴿يَخْشَى﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر أول. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: يداومون على تلاوة القرآن، وهي شأنهم، وديدنهم آناء الليل، وأطراف النهار. وعن مطرف بن عبد الله ـ رحمه الله تعالى ـ: هي آية القراء. وأقول: ينبغي لقارئ القرآن أن يتدبر آياته، وأن يعمل بما فيه؛ ليحوز الأجر المترتب على قراءته، وهو عشر حسنات لكل حرف يقرؤه. فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرفاً مِنْ كتابِ الله فلهُ بِهِ حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، لا أقولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكِنْ ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**». رواه الترمذي. وعن جابر بن

عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ، قال: «**القرآنُ شافعٌ مشفَّعٌ، وماحلٌ مصدَّقٌ، مَنْ جعلهُ أمامَهُ؛ قادَهُ إلى الجنةِ. ومَنْ جعَلَهُ خَلْفَ ظهرِهِ؛ ساقَهُ إلى النَّارِ**». رواه ابن حبان. ومعنى جعله أمامه: عمل بما فيه، واهتدى بهديه. ومعنى جعله خلف ظهره: أعرض عن العمل بما فيه، ولم يهتد بنوره. لذا فقد روي من قول النبي ﷺ: «**رُبَّ قارِئٍ لِلْقُرآنِ، والقرآنُ يَسْتَغْفِرُ لَهُ، ورُبَّ قارِئٍ لِلْقُرآنِ، والقرآنُ يَلْعَنُهُ**». وأكتفي بهذا القدر هنا. وقال الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه، وقد قال النبي ﷺ: «**ومَثَلُ المنافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القرآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وطَعْمُهَا مُرٌّ**». فأخبر أن المنافق يقرؤه، وأخبر الله تعالى: أن المنافق في الدرك الأسفل مِنَ النار، وكثير من الكفار: اليهود، والنصارى يقرؤونه في زماننا هذا، ويعلمون ما فيه.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: انظر الآية رقم [٤] من سورة (لقمان). ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي: تصدقوا في وجوه الخير بعض المال؛ الذي رزقناهم إياه. ﴿سِرًّا﴾ أي: في الخفاء. ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ العلانية: الجهر، ومثله: العلن، والإعلان، وما أكثر ما يتردد هذان اللفظان في القرآن الكريم، قال الشاعر، وهو الشاهد [٦١٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

وَنِعْمَ مَزْكَأُ مَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ   وَنِعْمَ مَنْ هُوَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ

﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تفسد، ولن تهلك، والمراد بالتجارة ما وعد الله من الثواب على أعمال البر، والخير، قال تعالى في سورة (الصف) رقم [١٠]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ...﴾ إلخ، وانظر شرح ﴿يَبُورُ﴾ في الآية رقم [١٠]. هذا؛ وفي الآية استعارة التجارة للمعاملة مع الله تعالى لنيل ثوابه، وشبهها بالتجارة الدنيوية، وهي معاملة الخلق بعضهم لبعض بالبيع، والشراء لنيل الربح، ثم رشحها بقوله: ﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن يخشى كسادها، وبوارها.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿يَتْلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَقَامُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (أقاموا): فعل ماض، وهو بمعنى المضارع، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَنفَقُواْ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول به محذوف، التقدير: أنفقوا شيئاً كائناً مما... إلخ، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ (من) والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: وأنفقوا من الذي، أو: من شيء رزقناهم إياه؛ لأن الفعل: «رزق» ينصب مفعولين، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ «من» التقدير: أنفقوا من رزقنا إياهم المال.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: حالان من واو الجماعة بمعنى: مسرين، ومعلنين. قال أبو البقاء: هما مصدران في موضع الحال. وقيل: هما منصوبان على نزع الخافض. وجملة: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. وقيل: الخبر الجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وعليه فالجملة الفعلية المذكورة في محل نصب حال ثانية من واو الجماعة أيضاً، وجملة: ﴿لَّن تَبُورَ﴾ في محل نصب صفة: ﴿تِجَارَةً﴾.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: إن الذين يقرؤون القرآن، ويتدبرون آياته، ويعملون بأوامره: من صلاة، وصدقة، وصوم، وبر، وإحسان... إلخ، إنما فعلوا ذلك، ويفعلونه؛ ليعطيهم أجورهم عليها يوم القيامة كاملة غير منقوصة. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: يمنحهم من كرمه، وجوده ورضوانه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وفي أبي السعود: أي: يتفضل عليهم بأشياء لم توعد لهم بخصوصياتها، أو بمقاديرها، ولا يخطر ببالهم كيفياتها، ولا كمياتها؛ بل إنما وعدت بطريق الإجمال في مثل قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية رقم [٢٦] من سورة (يونس) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وعن النبي ﷺ قال، يقول الله تبارك وتعالى: «**أعددْتُ لِعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أذنٌ سمِعَتْ، ولا خطر عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**». وغير ذلك من المواعيد الكريمة. انتهى. جمل. خرج الحديث في الصحيح من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه. وهو ما في القرطبي، وأسنده الخازن إلى أبي هريرة، رضي الله عنه. ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾: كثير الغفران لعباده المؤمنين، المطيعين، المخبتين، إن وقع منهم هفوات. ﴿شَكُورٌ﴾ لهم على أعمالهم الصالحة، ويفسر في حقه تعالى بالذي يعطي على العمل الصالح في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة.

الإعراب: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به أول، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يَرْجُونَ﴾، أو بالفعل ﴿تَبُورَ﴾، أو بفعل محذوف، التقدير: فعلوا ذلك؛ ليوفيهم. ﴿أُجُورَهُمْ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَيَزِيدَهُم﴾: معطوف على ما قبله، منصوب مثله، والفاعل يعود إلى الله، والهاء مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، التقدير: يزيدهم ما يليق بكرمه، وجوده. ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾: خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛

وأجيز اعتبارها خبراً لـ: (إن) في الآية السابقة جوزه الزمخشري على حذف العائد، أي: غفور لهم، وعلى هذا؛ فجملة ﴿يَرْجُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير.

﴿وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ. ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: القرآن الكريم. ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الذي لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآية رقم [٤٢] من سورة (فصلت).

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۗ﴾ أي: لما سبقه من الكتب المنزلة على الرسل، كالتوراة، التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، والزبور الذي أنزل على داود ـ على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام ـ. وذلك أن كتب الأنبياء كانت مشتملة على الدعوة إلى التوحيد، وتصديق الأنبياء، والإيمان بالمعاد، والحشر، والنشر، وجاء هذا الكتاب ـ وهو القرآن المنزل على محمد ﷺ ـ كذلك. فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب؛ أي: لما تقدمه من الكتب السماوية. قال أبو حيان: وفي الآية إشارة إلى كون القرآن وحياً؛ لأن النبي ﷺ لم يكن قارئاً، ولا كاتباً، وأتى ببيان ما في كتب الله، ولا يكون ذلك، إلا من عند الله تعالى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ﴾: عليم بخفايا أمورهم، وظواهرها. ﴿بَصِيرٌ﴾ أي: بهم، لا تخفى عليه خافية من شؤونهم. وانظر شرح الوحي في الآية رقم [٥٠] من سورة (سبأ).

الإعراب: ﴿وَالَّذِيٓ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذي): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أوحيناه. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، العائد على (الذي)، و﴿مِنَ﴾ بيان لهذا الموصول. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، لا محل له. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبر المبتدأ. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، والحق خبراً له؛ فتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (الذي...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مُصَدِّقًا﴾: حال مِنَ ﴿ٱلْحَقُّ﴾، وفاعله مستتر فيه، وهو حال مؤكدة. ﴿لِّمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُصَدِّقًا﴾، فـ: (ما) اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام. هذا؛ وقد اعتبر ابن هشام اللام في مثل ذلك زائدة. وسماها: لام التقوية، أي: تقوية عامل ضعيف ضعف عن العمل فيما بعده، وعليه فـ: (ما) مجرورة لفظاً، منصوبة محلاً بـ: ﴿مُصَدِّقًا﴾، وأورد آيات كثيرة شواهد على ذلك، وأورد قول حاتم الطائي. وقيل: هو لقيس بن عاصم المنقري، رضي الله عنه: [الطويل]

إذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

وهذا هو الشاهد رقم [٣٩٨] من كتابنا فتح القريب المجيب. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و: ﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و: ﴿يَدَيْهِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى لفظاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِعِبَادِهِ﴾: متعلقان بـ (خبير)، أو بـ: ﴿بَصِيرٌ﴾ على التنازع، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَخَبِيرٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (خبير): خبر أول. ﴿بَصِيرٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ تعليل، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: مناسبة الآية لما قبلها: لما أثنى الله تعالى على الذين يتلون كتاب الله؛ ذكر هنا انقسام الأمة الإسلامية أمام هذا الكنز الثمين، والفضل العظيم إلى ثلاثة أقسام: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، ثم ذكر مآل الأبرار، والفجار، ليظل العبد بين الرجاء، والخوف، والرغبة، والرهبة.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: أعطينا. ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن. والمعنى: أوحينا إليك القرآن يا محمد، ثم، أورثناه من بعدك لأمتك؛ ليعملوا بما فيه، ويهتدوا بهديه. هذا؛ وفي قوله: ﴿أَوْرَثْنَا﴾ استعارة تبعية، شبه إعطاء الكتاب إياهم من غير كد، وتعب في وصوله إليهم بتوريث الوارث؛ أوليس من لازم وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته، لقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ وفي الشهاب: وتوريث الكتاب للجهال كتوريث بعض الورثة السفهاء المضيعين لما ورثوه. انتهى. جمل. وأضيف: أن في الآية من المحسنات البديعية فن الجمع مع التقسيم، وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين، أو أكثر في حكم، ثم يقسم ما جمعه، أو يقسم أولاً، ثم يجمع، فالأول كالآية المذكورة، ومثلها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الآية رقم [١٠٥] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، والثاني كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الآية رقم [٩٠] من سورة (المائدة) وقال الراجز: [الرجز]

إنَّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ والجِدَهْ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيَّ مَفْسَدَهْ

﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: اخترنا، واشتقاقه من الصفو، وهو: الخلوص من شوائب الكدر، وأصل الفعل: (اصتفونا) فأبدلت التاء طاء، والواو ياء. والمراد من عبادنا: أمة محمد ﷺ. قاله ابن عباس، وغيره. قال النسفي: وهم أمته من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم،

ومن بعدهم إلى يوم القيامة؛ لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم، وجعلهم أمةً وسطاً؛ ليكونوا شهداء على الناس، واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسله، ثم رتبهم على مراتب، فقال:

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: وهو المرجأ لأمر الله. ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: هو الذي خلط عملاً صالحاً، وآخر سيئاً. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يضم إلى العمل التعليم، والإرشاد إلى العمل، وهذا التأويل يوافق التنزيل، فإنه تعالى قال في الآية رقم [١٠١] من سورة (التوبة): ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ...﴾ إلخ. وقال بعده في الآية رقم [١٠٣] منها: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟...﴾ إلخ. وقال بعده في الآية رقم [١٠٧] منها: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ.

ويوافق الحديث، فقد روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية: قال رسول الله ﷺ: «**سابِقُنَا سابقٌ، ومقتصدُنا ناجٍ، وظالِمُنا مغفورٌ لهُ**». وعنه ﷺ: «**السابقُ يدخلُ الجنةَ بغيرِ حسابٍ، والمقتصدُ يُحَاسَبُ حساباً يسيراً، ثم يدخل الجنة، وأما الظالمُ لنفسِهِ فيحبسُ؛ حتى يظُنَّ: أنه لا ينجُو، ثم تناله الرحمةُ، فيدخل الجنة**». رواه أبو الدرداء.

ويوافق الأثر، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال: السابق: المخلص، والمقتصد: المرائي، والظالم: الكافر بالنعمة غير الجاحد لها؛ لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة. ويوافق التأويل السابق قول السلف، فقد قال الربيع بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ: الظالم: صاحب الكبائر. والمقتصد: صاحب الصغائر. والسابق: المجتنب لهما. وقال الحسن البصري: الظالم: من رجحت سيئاته. والسابق: من رجحت حسناته. والمقتصد: من تساوت حسناته، وسيئاته. وسئل أبو يوسف عن هذه الآية، فقال: كلهم مؤمنون، وأما صفة الكفار فبعد هذا، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ إلخ الآية رقم [٣٦] الآتية.

وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى الله من عباده، فإنه قال: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ (ومنهم)، ﴿وَمِنْهُم﴾ والكل راجع إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أهل الإيمان. وعليه الجمهور، وإنما قدم الظالم؛ للإيذان بكثرة الظالمين لأنفسهم بالمعاصي، والسيئات، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل، وقال ابن عطاء: إنما قدم الظالم؛ لئلا ييأس من فضله. وقيل: إنما قدمه؛ ليعرفه: أن ذنبه لا يبعده من ربه، وليس التقديم للتشريف، ولا يقتضيه. قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية رقم [٢٠] من سورة الحشر. وقيل: إن الملوك إذا أرادوا الجمع بين الأشياء بالذكر؛ قدموا الأدنى كالآية المذكورة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية رقم [١٦٧] من سورة (الأعراف)، وقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ الآية رقم [٤٩] من سورة (الشورى).

وقيل: إن أول الأحوال معصية، ثم توبة، ثم استقامة. وقال سهل بن عبد الله: السابق: العالم. والمقتصد: المتعلم. والظالم: الجاهل. وقال أيضاً: السابق: الذي اشتغل بمعاده. والمقتصد:

الذي اشتغل بمعاشه، ومعاده، والظالم: الذي اشتغل بمعاشه عن معاده. وقيل: الظالم: الذي يعبده على الغفلة، والعادة. والمقتصد: الذي يعبده على الرغبة، والرهبة. والسابق: الذي يعبده على الهيبة، والاستحقاق. وقيل: الظالم: من أخذ الدنيا حلالاً، أو حراماً، والمقتصد: من يجتهد أن لا يأخذها إلا من حلال. والسابق: من أعرض عنها جملة. وقيل: الظالم: طالب الدنيا. والمقتصد: طالب العقبى. والسابق: طالب المولى. انتهى. نسفي بتصرف بسيط.

هذا؛ وفي القرطبي عن ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والفراء: أن المقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقي على الإطلاق، والظالم: الكافر. وقال الحسن: الفاسق. قالوا: ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة (الواقعة): ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ وقالوا: بعيد أن يكون ممن يصطفي الله ظالم، وقد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قوله: نجت فرقتان. وقد أطال القرطبي بأكثر مما ذكرته عن النسفي.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بأمر الله، وإرادته، أو بعلمه، وتوفيقه. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي: إيراثهم الكتاب واصطفاؤهم، وتكريمهم فضل من الله عليهم، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَوْرَثْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به. ﴿الَّذِينَ﴾: مفعول به أول، و﴿الْكِتَابَ﴾ مفعوله الثاني، وقدم لشرفه؛ إذ لا لبس في ذلك، وجملة: ﴿اصْطَفَيْنَا﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: الذين اصطفيناهم. ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب العائد على الموصول، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَوْرَثْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على وجهين ذكرهما الزمخشري: أحدهما: أن التقدير: إنا أوحينا إليك القرآن، ثم أورثناه من بعدك؛ أي: حكمنا بتوريثه. والوجه الثاني: أنها معطوفة على معنى ما تضمنته الآية رقم [٢٥] وما بعدها.

﴿فَمِنْهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع، أو حرف استئناف، وتفريع. (منهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ظَالِمٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ولا أعتمد هذا، وإنما أعتمد ما ذكرته في الآية رقم [٢٣] من سورة (الأحزاب) والله ولي التوفيق. ﴿لِنَفْسِهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿ظَالِمٌ﴾، وفاعله مستتر فيه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية لا محل لها على الوجهين المعتبرين بالفاء، وجملة: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ معطوفة عليها، وأيضاً جملة: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان بـ: ﴿سَابِقٌ﴾، و(إذن) مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، لا محل له. ﴿الْفَضْلُ﴾: خبر المبتدأ. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، والفضل خبره؛ فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر الأول. ﴿الْكَبِيرُ﴾: صفة ﴿الْفَضْلُ﴾، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾

الشرح: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾: جنات إقامة، وخلود، يقال: عدن بالمكان: إذا أقام به، ومنه: المعدن الموجود في باطن الأرض، وقال النبي ﷺ: «**عَدْنٌ دارُ اللهِ، الَّتي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ قَطُّ، وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، لا يَسْكُنُهَا إلا ثَلاثَةٌ: النبيُّونَ والصديقونَ والشهداءُ، يقولُ اللهُ: طُوبى لِمَنْ دَخَلكِ!**». رواه الطبراني عن أبي الدرداء، رضي الله عنه. وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: إن في الجنة قصراً، يقال له: عدْن، حوله البروج، والمروج، فيه خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حِبرة، لا يدخله إلا نبي، أو صِدِّيق، أو شهيد. والحِبرة (بكسر الحاء، وفتحها) ضرب من البرود اليمنية مخطط.

﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾: الضمير يعود إلى الثلاثة، أو: لـ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أو: للمقتصد، والسابق. انتهى. بيضاوي. وقال القرطبي: جمعهم في الدخول؛ لأنه ميراث، والعاق، والبار في الميراث سواء؛ إذا كانوا معترفين بالنسب، فالعاصي، والمطيع مُقِرُّون بالرب. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. هذا؛ وقرئ: (جناتِ) بالنصب، وقرئ: (جنة) بالإفراد، ولم يقرأ في سورة (الرعد) رقم [٢٣] وفي سورة (النحل) رقم [٣١] إلا بالرفع، والجمع.

﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾ أي: في تلك الجنات. ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾: قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: على كل واحد منهم ثلاثة أسورة: واحد من ذهب، وواحد من ورِق، وواحد من لؤلؤ، وقد نص القرآن هنا على الذهب، واللؤلؤ، ومثل هذه الآية الآية رقم [٢٣] من سورة (الحج). ونص على الذهب في سورة (الكهف) رقم [٣١]. ونص على الفضة في قوله تعالى في الآية [٢١] من سورة (الدهر): ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾. وفي الحديث الصحيح قول النبي ﷺ: «**تبلغُ حِليةُ المؤمِن حيثُ يبلغُ الوَضوءُ**». رواه ابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا؛ ويقرأ بجر (لؤلؤ) ونصبه، ويقرأ بهمز، وبدونه، وبقلب الهمزتين ياء، وغير ذلك. ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ أي: وجميع ما يلبسونه من فرشهم، ولباسهم، وستورهم حرير، وهو أعلى مما في الدنيا بكثير. هذا؛ وروى النسائي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَبِسَ الحريرَ في الدنيا؛ لَمْ يَلْبَسْهُ في الآخِرةِ. وَمَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدُّنيَا؛ لَمْ يَشربْهُ في الآخِرةِ. وَمَنْ شَربَ في آنِيةِ الذهبِ، والفضةِ في الدنيا؛ لَمْ يَشربْ فيهَا في الآخِرةِ**». ثم قال ﷺ: «**لِبَاسُ أهلِ الجَنةِ وَشَرَابُ أَهلِ الجنةِ، وآنِيَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». هذا؛ وذكر الله في سورة (الكهف) وسورة (الإنسان) أن أَهل الجنة يلبسون السندس، والإستبرق أيضاً. اللهم اجعلنا من أهل جناتِ عَدْنٍ بفضلك، وكرمك ومنّك يا أكرم الأكرمين!.

الإعراب: ﴿جَنَّٰتُ﴾: بالرفع يجوز أن يكون خبراً ثانياً للمبتدأ ﴿ذَٰلِكَ﴾، وأن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هو جنات، أو مبتدأ، والخبر جملة: ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾. هذا؛ وقال الزمخشري: بدل من ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾ ورده ابن هشام في المغني مع عزوه خطأً لِمَكيٍّ؛ حيث قال: والأولى: أنه مبتدأ. هذا؛ وعلى قراءته بالنصب؛ فهو مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده. ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، وانظر: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ﴾ في الآية رقم [٥٣] من سورة (الأحزاب)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿جَنَّٰتُ﴾ على اعتباره مبتدأ، وصفة له على اعتباره خبراً ثانياً لما قبله، أو خبراً لمبتدأ محذوف، ومفسرة على نصب (جناتِ) لا محل لها. ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة مفعول به ثان، أي: شيئاً كائناً من أساور، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. هذا؛ ويجوز على مذهب الأخفش اعتبار ﴿مِنۡ﴾ زائدة في الإيجاب، فيكون أساور مفعولاً ثانياً، مجروراً لفظاً، منصوب محلاً. ﴿مِن ذَهَبٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَسَاوِرَ﴾، وجملة: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿جَنَّٰتُ﴾، أو في محل صفة لها رفعتها، أو نصبتها، أو في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من الضمير المنصوب في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ والرابط على الاعتبارين الضمير فقط. ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾: بالنصب معطوف على محل: ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾، أو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: ويؤتون لؤلؤاً. هذا؛ وعلى قراءته بالجر فهو معطوف على ﴿ذَهَبٍ﴾ فيكون المراد: أساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ. ﴿وَلِبَاسُهُمۡ﴾: الواو: حرف عطف. (لباسهم): مبتدأ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالمصدر، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له؛ لأنه يقال: يلبسون فيها. ﴿حَرِيرٞ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، على جميع الوجوه المعتبرة فيها، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ أي: يقول الذين اصطفاهم الله من عباده بعد دخولهم الجنة: الحمد لله... إلخ. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حزن النار. وقيل: حزن الموت. وقيل: حزن الذنوب، والسيئات، ورد الطاعات، وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم. وقيل: حزن زوال النعم، وتقليب القلوب، وخوف العاقبة. وقيل: حزن أهوال يوم القيامة. وقيل غير ذلك. انتهى. خازن. وقريب منه في الكشاف. روى البغوي بسنده عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْشَةٌ في قبورِهِمْ، وَلَا في نشُورِهِمْ، وَكَأني بِأَهْلِ لَا إلهَ إلَّا اللهُ يخرجونَ مِنْ قبورِهِمْ، وَهمْ ينفضون الترابَ عن رؤوسِهِمْ، وَيَقُولُونَ: الحمدُ للهِ الذي أذهبَ عَنَّا الْحَزَنَ**». هذا؛ ويقرأ: (الحزن) بضم الحاء وسكون الزاي. وقراءة حفص بفتحتين. ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾: انظر الآية رقم [٣٠]. ولا تنس: أن التعبير بالماضي بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ إنما هو لتحقق وقوعه. وانظر سورة (سبأ) رقم [١].

الإعراب: ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لفظ الجلالة. ﴿أَذْهَبَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾. ﴿عَنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْحَزَنَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّنَا﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (غفور شكور): خبرانِ لـ: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ إلخ معطوفة على جملة ﴿يَدْخُلُونَهَا...﴾ إلخ، وساغ ذلك؛ لأن الفعل بمعنى: «يقولون»، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلست مفنداً.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا﴾: أنزلنا. ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾: الجنة التي جعلها الله لعباده المؤمنين مقراً، ومسكناً لا يتحولون عنها. والمقامة والإقامة، والمقام بمعنى واحد. ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: من كرمه، وجوده، ومنِّه، وإحسانه، لا بالاستحقاق بالأعمال؛ لأن أعمالنا لا تساوي ذلك. وقد قال النبي ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحداً عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يا رسولَ اللهِ؟! قَالَ: «**وَلَا أَنَا؛ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله بِفَضْلِهِ، وَرَحْمَتِهِ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا... إلخ**». أخرجه البخاري بطوله عن أبي هريرة. وهذا الحديث لا يتعارض مع قوله تعالى في الآية رقم [٤٣] من سورة (الأعراف): ﴿وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ومثلها في (الزخرف) رقم [٧٢] فإن دخول الجنة بفضل الله ورحمته، وانقسام المنازل، والدرجات بالأعمال.

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: لا يصيبنا مشقة، ولا تعب. ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي: لا ينالنا فيها إعياء، ولا ضعف من التعب، فالله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآية: أن الجنة خالية من تعب الأبدان، وكدِّ الأذهان، فهم في راحة، واطمئنان، وسرور، لا يكدره هموم، وأحزان، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ وانظر سورة (الزمر) رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون، وفي محله، أوجه: أحدها: الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الذي، أو على أنه خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾ أو على أنه بدل من: (غفور) أو على أنه بدل من الضمير في ﴿شَكُورٌ﴾. والثاني: النصب على أنه مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني، أو أمدح الذي. وأجاز مكي اعتباره نعتاً لاسم: ﴿إِنَّ﴾. والثالث: الجر على أنه بدل من الموصول قبله. ﴿أَحَلَّنَا﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وهو العائد، و(نا): مفعول به أول. ﴿دَارَ﴾: مفعول به ثان، و﴿دَارَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُقَامَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿أَحَلَّنَا...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمَسُّنَا﴾: فعل مضارع، و(نا): مفعول به. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿نَصَبٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: (نا) أو من: ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾، والأول أقوى، والرابط: الضمير فقط، والجملة الفعلية بعدها معطوفة عليها، وهي مثلها في محل نصب حال.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾: لما ذكر أهل الجنة، وأحوالهم، ومقالتهم؛ ذكر أهل النار، وأحوالهم، ومقالتهم على سبيل المقابلة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٨] من سورة (سبأ). ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾: مثل قوله تعالى في سورة (الأعلى): ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: لا يحكم عليهم بالموت فيها، فيستريحوا من عذاب النار؛ بل هم أحياء مع أن أسباب الموت محيطة بهم من كل جانب، كما قال تعالى في الآية رقم [١٧] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾. ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾: هو مثل قوله تعالى في الآية رقم [٥٦] من سورة (النساء): ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ فهم في عذاب مستمر، لا ينقطع، قال تعالى في الآية رقم [٩٧] من سورة (الإسراء): ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ أي: مثل ذلك العذاب الشديد الفظيع نجازي، ونعاقب كل مبالغ في الكفر، والإفساد، والعصيان، والعناد. هذا؛ ويقرأ: (يجزى)، ويقرأ: (يجازى) ورفع (كلٌّ) كما يقرأ (فيموتون) بالعطف على ﴿لَا يُقْضَىٰ﴾ مثل قوله تعالى في الآية رقم [٣٦] من سورة المرسلات: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾:

جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿نَارُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث، أو: والعجمة، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ...﴾ إلخ، وما بينهما كلام متعلق بالذين يتلون كتاب الله على مثال ما رأيت. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُقْضَى﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، وأجيز اعتبارها خبراً ثانياً للمبتدأ. ﴿فَيَمُوتُوا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لم يكن، أو: لم يوجد قضاء عليهم، فموت لهم. هذا؛ وعلى قراءة: (فيموتون) فالجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ فتكون في محل نصب حال مثلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يُخَفَّفُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿عَنْهُم﴾: في محل رفع نائب فاعل، وعليه فـ: ﴿مِّنْ عَذَابِهَا﴾ متعلقان بمحذوف في محل نصب مفعول به، كما يجوز اعتبار: ﴿مِّنْ عَذَابِهَا﴾ في محل رفع نائب فاعل، واعتبار: ﴿عَنْهُم﴾ متعلقين بمحذوف مفعول به، وإن اعتبرت: ﴿مِّنْ﴾ صلة؛ فيتعين اعتبار: ﴿عَذَابِهَا﴾ نائب فاعل مجرور لفظاً مرفوع محلاً، وجملة: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: نجزي كل كفور جزاءً مثل ذلك الجزاء الذي جزيناه الذين كفروا. ﴿نَجْزِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وعلى القراءتين الأخريين فالفعل مبني للمجهول، فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، و﴿كُلُّ﴾ نائب فاعله، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿كَفُورٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معترضة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي: يستغيثون في النار بالصوت العالي. والصارخ: المستغيث، والمصرخ: المغيث. قال سلامة بن جندل: [البسيط]

كُنَّا إذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ ... كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ

الظنابيب: جمع ظنبوب، وهو مسمار يكون في جبة السنان. وقرعَ ظنابيبَ الأمرِ: ذَلَّلَهُ. انتهى. قاموس. ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي: يقولون: ربنا أخرجنا من جهنم، وردَّنا إلى الدنيا. ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: يسألون الله الرجعة إلى الدنيا؛ ليعملوا غير عملهم الأول. وقد علم الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه لو ردهم إلى الدنيا؛ لعادوا أخبث مما كانوا، تحقيقاً، وتصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ رقم [٢٨] من سورة (الأنعام). وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا حينما يشاهدون العذاب كثير في آيات القرآن، ولذا رد عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ المعنى، لقد: عشتم في الدنيا أعماراً، لو كنتم ممن ينتفع بالحق؛ لانتفعتم به في مدة عمركم؟.

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هنا: قيل: هو عشرون سنة. وقيل: أربعون، وهو سن كمال القوى، والعقل، ومن لم يكمل في الأربعين؛ لم يكمل بعدها. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ بَلَغَ مِنَ العُمرِ أربعين سنةً، وَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ على شَرِّهِ فَلْيَتَجَهَّزْ إلى النَّارِ**». ورحم الله من يقول: [الطويل]

إذا المرءُ وفَّى الأربعينَ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ دُونَ مَا يَأْتِيَ حياءٌ ولا سِتْرُ
فَدَعْهُ وَلَا تَنْفَسْ عَلَيْهِ الَّذِي ارْتَأَى ... وَإِنْ مَدَّ أَسبابَ الْحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ

وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الطويل]

وَإِنَّ سِفَاهَ الشيخِ لا حِلمَ بَعْدَهُ ... وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السفاهَةِ يَحْلُمُ

وقيل: المراد: ستون سنة. وهو مروي عن مجاهد، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وهي الرواية الصحيحة عنه وفي الأصح في نفس الأمر؛ لما ثبت في ذلك من الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: أنه قال: «**أَعْذَرَ اللهُ تعالى إلى عبدٍ أَحْيَاهُ حتَّى بلغَ سِتين، أو سَبْعين سنةً، لقدْ أَعذَرَ اللهُ إِلَيْهِ، لَقَدْ أَعذَرَ اللهُ إِلَيْهِ**». أخرجه الإمام أحمد. ومعنى أعذر إليه: أي لم يبق له عذر، ومنه قولهم: أعذر من أنذر. والمعنى، ـ والله أعلم ـ: أن من عمره الله ستين سنة لم يبق له عذر؛ لأن الستين قريب من معترك المنايا، وهو سن الإنابة والخشوع، وترقب المنية، ولقاء الله تعالى. ففيه إعذار بعد إعذار.

والستون هي منتهى الكمال، ثم يأخذ ابن آدم في النقص، والهرم، كما قال الشاعر: [الوافر]

إِذَا بَلَغَ الفتى ستينَ عاماً ... فَقَدْ ذَهَبَ الْمَسَرَّةُ وَالْفَتَاءُ

ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده به، ويزيح به عنهم العلل، والتعلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، كما ورد بذلك الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعمار أمَّتي ما بَيْنَ السِّتّينَ إلى السَّبعِينَ، وَأَقلُّهُمْ مَنْ يجوزُ ذَلِكَ**». أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾: روي عن ابن عباس، وعكرمة، وقتادة: أنهم قالوا: يعني: الشيب.
وقال البوصيري: [البسيط]

فَـإِنَّ أَمَّـارَتـي بـالـسُّـوءِ مـا اتَّـعَـظَـتْ ... مِـنْ جَـهْـلِـهَـا بِـنَـذِيـرِ الـشَّـيْـبِ وَالْـهَـرَمِ

وقال آخر: [الوافر]

رَأيـتُ الـشـيـبَ مِـنْ نُـذُرِ الـمـنـايَـا ... لِـصـاحِـبِـهِ، وحـسـبُـكَ مِـنْ نَـذِيـرِ

وقال آخر: [الوافر]

فَـقُـلْـتُ لَـهَـا: الـمـشـيـبُ نـذيـرُ عـمْـرِي ... وَلَـسْـتُ مُـسَـوِّداً وَجْـهَ الـنَّـذِيـرِ

وقال السدي، وعبد الرحمن بن زيد: يعني به: رسول الله ﷺ، وقرأ ابن زيد: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ الآية رقم [٥٦] من سورة (النجم). ﴿فَذُوقُواْ﴾ أي: ذوقوا عذاب النار، جزاء على مخالفتكم للأنبياء في حياتكم الدنيا. وانظر الاستعارة في الآية رقم [١٤] من سورة (السجدة). ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: ما لهم من مانع، ولا مدافع يمنعهم، ويدفع عنهم عذاب الجحيم.

الإعراب: ﴿وَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الاسمية: (الذين...) إلخ، أو هي مستأنفة. ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَخْرِجْنَا﴾: فعل دعاء مبني على السكون، والفاعل تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به. ﴿نَعْمَلْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف. ﴿صَٰلِحًا غَيْرَ﴾: يجوز أن يكونا نعتيْ مفعول مطلق محذوف، التقدير: نعمل عملاً صالحاً غير، وأن يكونا نعتيْ مفعول به محذوف، التقدير: نعمل شيئاً صالحاً غير، وأن يكون ﴿صَٰلِحًا﴾ نعتاً لمصدر محذوف، و﴿غَيْرَ﴾ هو المفعول به. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. و﴿غَيْرَ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه، وجملة: ﴿نَعْمَلُ﴾ في محل نصب خبره، وجملة: ﴿كُنَّا نَعْمَلُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذي كنا نعمله، والكلام ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، إن شئت قدرته فعلاً مفسراً لـ: ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ أي يقولون في صراخهم: ربنا... إلخ. وإن شئت قدرته حالاً من فاعل يصطرخون، التقدير: قائلين ربنا... إلخ.

﴿أَوَلَمۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الواو: عاطفة على مقدر، التقدير: ألم نمهلكم، ونؤخركم عمراً يتذكر فيه من تذكر. ﴿نُعَمِّرۡكُم﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة المحذوفة، التي رأيت تقديرها. ﴿مَّا﴾: نكرة موصوفة بمعنى: وقتاً، فهي ظرف متعلق بما قبله، أو بمعنى: تعميراً، فتكون في محل نصب مفعول مطلق. ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: فعل مضارع. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿مَّا﴾. ﴿تَذَكَّرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والكلام: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، التقدير: فيقال لهم: أولم نعمركم... إلخ، والجملة المقدرة هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَجَآءَكُمُ﴾: الواو: واو الحال. (جاءكم): ماض، والكاف مفعول به. ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية هذه في محل نصب حال من الكاف، والرابط: الواو، والضمير، و«قد» قبلها مقدرة، وجملة: ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ في محل نصب صفة (ما)، والرابط الضمير المجرور محلاً بـ(في).

﴿فَذُوقُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (ذوقوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف، كما رأيت تقديره في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً في الدنيا؛ فذوقوا. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف تعليل. (ما): نافية. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّصِيرٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها، والكلام: ﴿فَذُوقُواْ...﴾ إلخ من جملة مقول القول المحذوف.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: يعلم ما غاب فيهما عن أعين الناس. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما تكنه الصدور من الأسرار. وإذا علم ما في الصدور ـ وهو أخفى ما يكون ـ فقد علم كل غيب في العالم. وانظر شرح: (ذات) في الآية رقم [٧] من سورة (الزمر).

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَٰلِمُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿غَيۡبِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و﴿غَيۡبِ﴾ مضاف، و: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿عَلِيمُۢ﴾: خبرها. ﴿بِذَاتِ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمُۢ﴾، و(ذات) مضاف،

و: ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ...﴾ إلخ تعليل لما قبلها، ومؤكدة لها.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ﴾: الخطاب لأهل مكة، ويعم كل عاقل إلى يوم القيامة. ﴿خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يخلف بعضكم بعضاً. أو: خلفاء الله في أرضه، تتصرفون فيها. أو: خلفاء الله في الأرض في تنفيذ أحكامه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. أو المعنى: جعلكم سكاناً في الأرض من بعد القرون المهلكة. هذا؛ و﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع: خليفة، مثل: كرائم جمع: كريمة، وصحائف جمع: صحيفة. هذا؛ وكل من جاء بعد من مضى؛ فهو خليفة. وفي المصباح: والخليفة: أصله خليف بغير «ها»؛ لأنه بمعنى الفاعل، دخلته الهاء للمبالغة، كعلَّامة، ونسَّابة، ويكون وصفاً للرجل خاصة. ويقال: خليفة آخر (بالتذكير). ومنهم من يقول: خليفة أخرى (بالتأنيث). ويجمع باعتبار أصله على: خلفاء، مثل: شريف، وشرفاء. وباعتبار اللفظ على: خلائف. هذا؛ والخلف: هو التالي للمتقدم، ولذلك قيل لأبي بكر رضي الله عنه: يا خليفةَ اللهِ! فقال: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ، وأنا راضٍ بذلك.

﴿فَمَن كَفَرَ﴾ أي: جحد النعمة، وغمطها. ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: عليه وبال كفره، وهو العقاب الشديد، والعذاب الأليم. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أي: لا يزيدهم كفرهم إلا طرداً من رحمة الله، وبعداً، وبغضاً شديداً من الله. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: ولا يزيدهم كفرهم إلا هلاكاً، وضلالاً، وخسران العمر؛ الذي ما بعده شر، وخسار.

قال أبو حيان: وفي الآية تنبيه على أنه تعالى استخلفهم بدلاً ممن كان قبلهم، فلم يتعظوا بحال من تقدمهم من المكذبين للرسل، وما حل بهم من الهلاك، ولا اعتبروا بمن كفر، ولا اتعظوا بمن تقدم. والمقت: أشد الاحتقار، والبغض. والخسار: خسار العمر، كأن العمر رأس مال الإنسان، فإذا انقضى في غير طاعة الله؛ فقد خسره، واستعاض به بدل الربح سخط الله، وغضبه، بحيث صار إلى النار المؤبدة. انتهى. مختصر ابن كثير.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿جَعَلَكُمْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والكاف مفعول به أول. ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (من): اسم شرط

مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. وفاعله يعود إلى: (مَنْ) تقديره: هو، والمتعلق محذوف. ﴿فَعَلَيْهِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (عليه): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿كُفْرُهُ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٠]. هذا؛ وإن اعتبرت (من) موصولة؛ فهي مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والجملة الاسمية: (عليه كفره) في محل رفع خبرها، ودخلت الفاء في خبرها؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. وعلى الاعتبارين؛ فالجملة الاسمية مستأنفة، ومفرعة عما قبلها، لا محل لها.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَزِيدُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿كُفْرُهُمْ﴾: فاعل، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل ﴿يَزِيدُ﴾، وقيل: متعلق بمحذوف حال. ولا وجه له. و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَقْتًا﴾: مفعول به ثان، وقيل: تمييز. وليس بشيء. وجملة: ﴿وَلَا يَزِيدُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الفعلية بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وإعرابها واضح، وكررت للتوكيد، ولزيادة التقرير على رسوخ الكفر في نفوسهم، واقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين، وهما: المقت، والخسار.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني. ﴿شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: تعبدون من دون الله. هذا؛ وأطلق على الأصنام التي كانوا يعبدونها اسم الشركاء لأحد أمرين: أحدهما: أن المشركين يشركونها مع الله في العبادة، والتعظيم، والتقديس. وثانيهما: أنهم كانوا يشركونها في الأموال، والأنعام، والزروع، والثمار، وقد تكفلت سورة (الأنعام) ببيان ذلك. ومعنى ما تقدم: قل يا محمد توبيخاً، وتأنيباً لهؤلاء المشركين: أخبروني عن حال الأوثان التي عبدتموها من دون الله، وأشركتموها معه في العبادة، والتعظيم، والتقديس: بأي شيء استحقت ذلك؟!

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أروني أي شيء خلقته هذه الأصنام في هذه الدنيا من المخلوقات؛ حتى استحقت العبادة مع الله؟! ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: أم شاركوا الله في

خلق السموات، فاستحقوا بذلك الشركة معه في الألوهية؟! ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ أي: أنزلنا عليهم كتاباً من السماء ينطق على أنا اتخذناهم شركاء. ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾: على بصيرة، وحجة، وبرهان في عبادة هذه الحجارة، والأوثان.

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم...﴾ إلخ: أي ليس لهم حجة على ما هم عليه من الضلال، وإنما عبدوا هذه الحجارة، والأوثان بسبب تغرير الأسلاف للأخلاف، وإضلال الرؤساء للأتباع بأنهم يشفعون لهم عند الله بالتقرب إليه، وهو صريح قوله تعالى حكاية عن قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

هذا؛ وإنما جمعت المعبودات الباطلة بواو الجماعة، التي هي لجماعة المذكرين العاقلين، مع أنها جمادات لا تعقل؛ لأن الكفار يعاملونها معاملة من يعقل، من سؤالهم لها حوائجهم، وتذللهم لها. والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل؛ إذا نزلوه منزلته؟ وإن كان خارجاً عن الأصل، وهو كثير ومستعمل في القرآن الكريم، والكلام العربي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿شُرَكَآءَكُمُ﴾: مفعول به أول، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة لما قبله. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذين تدعونهم. ﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في الموصول. و: ﴿دُونِ﴾ مضاف، و: ﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَرُونِي﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية بدل من جملة: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾؛ لأنها بمعنى: أخبروني، كما رأيت.

﴿مَاذَا﴾: (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: ما الذي خلقوه. هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿مَاذَا﴾ اسماً مركباً، فهو مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية بعده خبره، والرابط محذوف، مثل ما تقدم، كما يجوز اعتباره في محل نصب مفعول به مقدم، وعلى جميع الاعتبارات فالجملة: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ في محل نصب مفعول به ثان لـ: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾. ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من مفعول ﴿خَلَقُوا۟﴾ على جميع الاعتبارات، و: ﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيه، وجملة: ﴿أَرَءَيْتُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَمْ﴾: حرف عطف، معناه الإضراب. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شِرْكٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ فهي في محل نصب مثلها. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول.

﴿كِتَٰبًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب أيضاً. وهذا على اعتبار ﴿أَمْ﴾ متصلة، وإن كانت منقطعة بمعنى: «بل»؛ فالجملة بعدها مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿بَيِّنَتٍ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب أيضاً. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب تستأنف بعده الجمل. ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿يَعِدُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿بَعْضُهُم﴾: بدل من ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَعْضًا﴾: مفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿غُرُورًا﴾: مفعول به ثان، أو هو صفة مفعول مطلق محذوف، والجملة الفعلية: ﴿إِن يَعِدُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾: لما بين الله تعالى أن آلهة المشركين لا تقدر على خلق شيء من السموات، والأرض؛ بين: أن خالقهما، وممسكهما هو الله وحده، فلا يوجد حادث إلا بإيجاده، ولا يبقى إلا ببقائه. وانظر الآية رقم [٦٥] من سورة (الحج).

﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: ولو زالتا؛ ما أمسكهما أحد غير الله تعالى. هذا؛ وانظر إعادة الضمير مثنى على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في الآية رقم [٤] من سورة (السجدة). ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: حيث لم يعاجل المشركين؛ الذين ينسبون إليه الصاحبة، والولد بالعقاب الأليم، والأخذ الشديد.

قال الكلبي: لما قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله؛ كادت السموات، والأرض أن تزولا عن أمكنتهما، فمنعهما الله، وأنزل هذه الآية، وهي كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ في سورة (مريم).

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، وفي رواية: (النار) لو كشفه؛ لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمها. ﴿يُمْسِكُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله، تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول

به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَزُولَاۚ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة مصدر إليه، يقع مفعولاً لأجله، التقدير: كراهة زوالهما. وهذا عند البصريين، وأما الكوفيون؛ فإنهم يعتبرونه في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لئلا تزولا. ومثل الآية قول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته المشهورة: [الوافر]

نَــزَلْـتُــمْ مَـنْــزِلَ الأَضْـيَــافِ مِـنَّــا فَـعَـجَّـلْـنَـا الْـقِـرى أَنْ تَـشْـتِـمُـونَـا

هذا هو الشاهد رقم [٤٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» وقيل: المصدر في محل نصب بدل اشتمال من ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ التقدير: إن الله يمسك زوال السموات، والأرض. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، التقدير: والله. (إن): حرف شرط جازم. ﴿زَالَتَآ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والتاء للتأنيث، وحركت بالفتح لالتقائها ساكنة مع ألف الاثنين؛ التي هي فاعله، والمتعلق محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾: ماض، والهاء مفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَحَدٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المدلول عليه باللام الموطئة، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، انظر الآية رقم [٦٠] من سورة (الأحزاب). ﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَحَدٍ﴾، والكلام: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له.

﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر يعود إلى (الله) تقديره: «هو». ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾: خبران لـ: ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: أقسموا: حلفوا، وسمي الحلف قسماً؛ لأنه يكون عند انقسام الناس إلى مصدق، ومكذب، وهو رباعي كما ترى، فهمزته تثبت في الماضي،

والأمر، وتحذف من المضارع مع ضم حرف المضارعة، كما رأيته مراراً. هذا؛ وأما «قسم» الثلاثي؛ فإنه بمعنى جزأ، أو فرق، فمضارعه بفتح حرف المضارعة، وهمزته في الأمر همزة وصل، تسقط في درج الكلام. ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها، والجهد: بفتح الجيم المشقة، وبضمها القدرة، والطاقة، وبهما قرئ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية رقم [٧٩] من سورة (التوبة).

﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾: قال النسفي وغيره: بلغ قريشاً قبل مبعث النبي ﷺ: أن أهل الكتاب: اليهود، والنصارى كذبوا رسلهم، وعذبوهم؛ بل وقتلوا بعضهم، فقالوا: لعن الله اليهود، والنصارى أتتهم الرسل، فكذبوهم، فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى منهم، ولنتبعنه، ولنكونن معه! وقولهم هذا مثل قوله تعالى عنهم في سورة (الصافات): ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: هو سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ جاءهم بالهدى، ودين الحق. ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾: مجيئه. ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: إلا تباعداً عن الهدى، والحق، وهرباً منه. هذا؛ وقد قال الله تعالى عن كفار مكة في الآية رقم [١٠٩] من سورة (الأنعام): ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾.

الإعراب: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾: الواو: حرف استئناف. (أقسموا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿جَهْدَ﴾: مفعول مطلق عامله: (أقسموا) وهو من معناه، أو هو حال من واو الجماعة بمعنى: جاهدين، و: ﴿جَهْدَ﴾ مضاف، و: ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَئِن﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿جَاءَتْهُمْ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به. ﴿نَذِيرٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّيَكُونُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (يكونن): فعل مضارع ناقص مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة المدلول عليها بالضمة في محل رفع اسمه. ﴿أَهْدَىٰ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، وفاعله مستتر فيه وجوباً، تقديره: «هو». ﴿مِنْ إِحْدَى﴾: متعلقان بـ: ﴿أَهْدَىٰ﴾، و: ﴿إِحْدَى﴾ مضاف، و: ﴿الْأُمَمِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿لَّيَكُونُنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، المدلول عليه باللام، وجواب الشرط محذوف، لدلالة جواب القسم عليه، على نحو ما رأيت في الآية السابقة. هذا؛ والقسم المحذوف وجوابه المذكور، والشرط المذكور، وجوابه المحذوف، كل ذلك جواب لقوله: (أقسموا بالله). وهذا القسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [١٤] من سورة (سبأ). ﴿جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿زَادَهُمْ﴾: فعل ماض، ومفعوله الأول، والفاعل يعود إلى ﴿نَذِيرٌ﴾ تقديره: «هو»، وإسناد الزيادة إليه مجاز؛ لأنه سبب في ذلك، وإذا قلنا: الفاعل محذوف، يدل عليه المقام، التقدير: ما زادهم مجيئه، فهو كلام لا غبار عليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نُفُورًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب: (لما)، لا محل لها، وفيه دليل على أن (لمَّا) حرف، لا ظرف؛ لأنه لا يعمل ما بعد «ما» النافية فيما قبلها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان، ونفروا من النبي ﷺ بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وبسبب عتوهم، وطغيانهم في الأرض، ومن أجل المكر السَّيِّئ بالرسول ﷺ وبالمؤمنين؛ ليفتنوا ضعفاء الإيمان عن دين الله، والمكر: الاحتيال، والخديعة. ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ أي: ومكروا مكر العمل السَّيِّئ، أي القبيح، وانظر الآية رقم [١٠].

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ أي: لا ينزل، ولا يحيط وبال المكر السَّيِّئ إلا بمن مَكَرَه، ودبَّره. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن كعب الأحبار قال له: إني أجد في التوراة: «من حفر لأخيه حفرة وقع فيها». فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فإني أوجدك في القرآن ذلك! قال: وأين؟ قال: فاقرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾. وفي أمثال العرب: «مَنْ حَفَر لأخيه جبًّا وقع فيه منكبًّا». وقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: المكر، فالله يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾. والبغي، فالله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾. والنكث، فالله يقول: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾. وقال النبي ﷺ: «**لا تمكر، ولا تعن ماكِراً. ولا تبغِ، ولا تُعِنْ بَاغِياً. وَلَا تَنكُثْ، ولا تُعِنْ نَاكِثاً**». وقال الشاعر الحكيم: [السريع]

يـا أيـهـا الـظـالـمُ فـي فـعـلِـهِ والـظـلـمُ مـردودٌ عـلـى مَـنْ ظَـلَـمْ
إلـى مَـتـى أَنْـتَ وَحَـتَّـى مـتـى تُـحْـصـي الـمـصـائـبَ وَتَـنْـسـى الـنِّـعَـمْ

وفي الحديث الشريف: «**المكرُ، والخديعةُ في النار**». أي: تدخل أصحابها في النار يوم القيامة؛ لأنها من أخلاق الكفار، لا من أخلاق المؤمنين الأخيار، ولهذا قال النبي ﷺ في

سياق هذا الحديث: «**وليْسَ من أخلاق المؤمنِ المكرُ، والخديعةُ، والخيانةُ**». وفي هذا أبلغ تحذير عن التخلق بهذه الأخلاق الذميمة، والخروج عن أخلاق الإيمان الكريمة.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: فهل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون إلا سنة الله، وعادته في الأمم المتقدمة؟ وهي إهلاكهم، وتعذيبهم بسبب تكذيبهم للرسل.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: فلن تتغير، ولن تتبدل سنته في خلقه، ولا يستطيع أحد أن يحوِّل العذاب عن نفسه إلى غيره، وقال تعالى في الآية رقم [٦٢] من سورة (الأحزاب): ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. وقال تعالى في الآية رقم [٧٧] من سورة (الإسراء): ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾. فأنت ترى: أن الله تعالى أضاف السنة تارة إلى نفسه، وتارة أضافها إلى القوم لتعلق الأمر بالجانبين، وهو كالأجل تارة يضاف إلى الله، وتارة إلى القوم، قال الله تعالى في الآية رقم [٥] من سورة (العنكبوت): ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ﴾، وقال في الآية رقم [٣٤] من سورة (الأعراف)، وغيرها: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾.

الإعراب: ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾: يجوز فيه أن يكون مفعولاً لأجله، وأن يكون بدلاً من: ﴿نُفُورًا﴾، وأن يكون حالاً، أي: حال كونهم مستكبرين. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَمَكْرَ﴾: معطوف على ما قبله، أو هو معطوف على ﴿نُفُورًا﴾ أجازهما السمين، والزمخشري. و(مكر): مضاف، و﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الموصوف إلى صفته؛ إذ الأصل: والمكر السيئ. ﴿وَلَا﴾: والواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَحِيقُ﴾: مضارع. ﴿ٱلْمَكْرُ﴾: فاعله. ﴿ٱلسَّيِّئُ﴾: صفة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وقيل: في محل نصب حال، وهو ضعيف؛ إذ لا وجه له. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِأَهْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام، معناه النفي. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿سُنَّتَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ. والإضافة من إضافة المصدر لمفعوله هنا بخلاف قوله: ﴿لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾ فإن الإضافة فيه من إضافة المصدر لفاعله، وعليه: فهي تضاف أحياناً للفاعل، وأحياناً للمفعول. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: معطوفة على ما قبلها. ولا وجه له. ﴿فَلَن﴾: الفاء: حرف عطف. (لن): حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿تَجِدَ﴾: مضارع منصوب بـ: (لن)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِسُنَّتِ﴾: متعلقان بما بعدهما، أو هما في محل نصب حال منه، كان صفة له... إلخ، أو هما مفعوله الثاني تقدم على الأول. ﴿تَبْدِيلًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والتي بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: هذا استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تكذيب المكذبين بما يشاهدونه في سيرهم إلى الشام، واليمن، والعراق من آثار ديارهم الماضية، وانظر الآية رقم [٩] من سورة (الروم) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ أي: ليسبقه، ويفوته، وإذا أراد إنزال عذاب بقوم؛ لم يعجزه ذلك. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾: بكل شيء. ﴿قَدِيرًا﴾: قادر على كل شيء.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الواو: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسِيرُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على جملة مقدرة قبلها يقتضيها المقام، التقدير: أقعدوا في مساكنهم، ولم يسيروا... إلخ. ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم على اعتبار الفاء عاطفة، ومنصوب على اعتبار الفاء للسببية، وعلامة الجزم، أو النصب حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى اعتبار الفعل منصوباً؛ فيؤول مع «أن» المضمرة الناصبة له بمصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، فيكون التقدير: فهلا حصل منهم سير في الأرض، فنظر في عاقبة الذين من قبلهم.

﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها، وهو معلق للفعل قبله عن العمل لفظاً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَـٰقِبَةُ﴾: اسم كان، و﴿عَـٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ تامة، ـ والمعنى: لا يأباه ـ فيكون ﴿عَـٰقِبَةُ﴾ فاعلها، و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال من: ﴿عَـٰقِبَةُ﴾ والعامل (كان)، وعلى الاعتبارين فالجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل قبلها. ﴿وَكَانُوٓا۟﴾: الواو: واو الحال. (كانوا) فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أَشَدَّ﴾: خبر كان. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَشَدَّ﴾؛ لأنه أفعل تفضيل، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «هو». ﴿قُوَّةً﴾: تمييز، وجملة: ﴿وَكَانُوٓا۟...﴾ إلخ في محل نصب حال من الموصول، والرابط: الواو، والضمير، و«قد» قبلها مقدرة. هذا؛ ولم تربط بالواو في الآية رقم [٩] من سورة (الروم).

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿لِيُعْجِزَهُۥ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والهاء مفعول به. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿شَيْءٍ﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو صلة لتأكيد النفي. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ التقدير: وما كان الله مريداً لإعجازه عن شيء. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: معطوفة على ما قبلها، والأول أقوى معنى، وأتم سبكاً. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانَ﴾ ماض ناقص، واسمها يعود إلى الله. ﴿عَلِيمًا قَدِيرًا﴾: خبران لـ: ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي تعليل للتقرير المذكور في أول الآية.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾: من المعاصي، والسيئات، واقتراف المحرمات، والمنكرات، وفي سورة (النحل) آية رقم [٦١] ﴿بِظُلْمِهِم﴾ بدل: ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾. ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: على ظهر الأرض، والمراد: من دابة كافرة. وقيل: المعنى: أنه لو أهلك الآباء بكفرهم لانقطع النسل، ولم توجد الأبناء، فلم يبق على وجه الأرض أحد، قال تعالى في سورة (الكهف) رقم [٥٨]: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ...﴾ إلخ وفي الكلام استعارة حيث شبه الأرض بدابة تحمل على ظهرها أنواع المخلوقات، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الظهر بطريق الاستعارة المكنية، ومثله قول أبي ذؤيب الهذلي: وإذا المنية... إلخ. ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي: يمهلهم كرماً، وفضلاً، وحلماً. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو وقت انتهاء آجالهم. وانقضاء أعمارهم. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ يعني: وقت انتهاء آجالهم. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ أي: كان، ولم يزل كائناً خبيراً بأعمال عباده، بصيراً بجميع حركاتهم وسكناتهم، لا تخفى عليه خافية من جميع أحوالهم، بصيراً بمن يستحق العقوبة، والعذاب، ومن يستحق الأجر، والثواب.

هذا؛ وقد قال تعالى هنا: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ومثله في سورة (النحل) رقم [٦١] وغيرها كثير، وقال تعالى في هذه السورة رقم [١٣]: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وغيرها أيضاً كثير، فإن قلت: أهو من

تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع، ضيق العطن، ولكنَّ المعنيين ـ أعني: الانتهاء، والاختصاص ـ كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض؛ لأن قولك: يجري إلى أجل مسمى، معناه: يبلغه، وينتهي إليه. وقولك: يجري لأجل مسمى، تريد: لإدراك أجل مسمى، وتجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمّى، ألا ترى: أن جري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختص بآخر الشهر، فكلا الموضعين غير نابٍ به موضعه. انتهى. كشاف.

تنبيه: في الآية الكريمة بيان: أن الله لو عاجل المذنبين بالعقاب؛ لأهلكهم، وأهلك الناس معهم. قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه وقرأ هذه الآية ـ: لو آخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين؛ لأصاب العذاب جميع الخلائق؛ حتى الجعلان في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء، والنبات من الأرض، فمات الدواب، ولكن الله يأخذ بالعفو، والفضل، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ الآية رقم [٣٠] من سورة (الشورى)، وأيضاً قوله تعالى في سورة (الكهف): ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ فإن قيل: كيف يعم بالهلاك الناس جميعاً مع أن فيهم مؤمناً ليس بظالم؟ قيل: يجعل هلاك الظالم انتقاماً، وجزاءً، وهلاك المؤمن معوضاً بثواب الآخرة. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أراد اللهُ بقوْمٍ عَذاباً؛ أصابَ العذابُ مَنْ كَان فيهِمْ ثم بُعِثُوا عَلَى نيَّاتِهِمْ**». قال تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٢٥]: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾، وقال تعالى في سورة (الرعد) رقم [٦] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ انظر شرح هذه الآية في محالها، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿يُؤَاخِذُ﴾: فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿النَّاسَ﴾: مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو: بشيء كسبوه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبهم. (ما): نافية. ﴿تَرَكَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهُ﴾، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من: (دابة) كان صفةً له، فلما قدم عليها؛ صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا قدم عليها؛ صار حالاً». ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿دَابَّةٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

﴿وَلَكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل، لا عمل له. ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، تقديره: هو، والهاء مفعول به. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة ﴿أَجَلٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، وجملة: ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (لو) لا محل لها مثله. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿أَجَلُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: (إذا) إليها، وجواب: (إذا) محذوف، التقدير: لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. الدليل عليه التصريح به في سورة (الأعراف) رقم [٣٤]، وفي سورة (يونس) رقم [٤٩]، وفي سورة (النَّحل) رقم [٦١]. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، وهو يدل على الاستمرار، واسمه يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَصِيرًۢا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها تعليلية، أو مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (فاطر) بحمد الله وتوفيقه، إعراباً وتفسيراً.

والحمد لله رب العالمين

سورة يس

سورة (يٰسٓ) مكية بالإجماع إلا أن فرقة قالت: إن قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم، وينتقلوا إلى جوار مسجد الرسول ﷺ على ما يأتي. وهي ثلاث وثمانون آية، وسبعمئة وتسع وعشرون كلمة، وثلاثة آلاف حرف، فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِن لكلِّ شيءٍ قلباً، وقلبُ القرآنِ (يس)، ومن قرأ (يس) كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشْرَ مراتٍ**». أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب. وعن معقل بن يسار، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقْرَؤُوا عَلَى مَوتَاكُمْ (يٰس)**». أخرجه أبو داود، وغيره. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ (يٰس) في ليلَةٍ أَصْبَحَ مغفوراً لهُ، ومَنْ قَرأَ حَم التي يُذكَرُ فيها الدُّخَانُ أصبحَ مغفوراً لهُ**». أخرجه الحافظ أبو يعلى.

ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة: أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى، وكأن قراءتها عند المحتَضَر، أو الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح، والله تعالى أعلم. قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: كان المشيخة يقولون: إذا قُرِئَت ـ يعني: (يس) ـ عند الميت؛ خفف الله عنه بها. وروى البزار عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «**لَوَدِدْتُ أَنَّهَا في قَلبِ كُلِّ إنْسانٍ مِنْ أُمَّتي**». وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ دَخَلَ المقابرَ، فقرأَ سورة (يس) خَفَّفَ الله عنهم يَوْمَئِذٍ، وكان لَهُ بعددِ مَنْ فيها حَسناتٌ**». وذكر الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» عن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن الصلت، عن عمرو بن ثابت، عن محمد بن مروان، عن أبي جعفر قال: مَنْ وجد في قلبه قساوةً فلْيكتبْ (يٰس) في جامٍ بزعفران، ثم يشربه. حدثني أبي رحمه الله، قال: حدثنا أصرَم بن حَوْشَب، عن بَقِيَّة بنِ الوليد، عن المعتمر بن أشرف، عن محمد بن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**القرآنُ أفضلُ مِنْ كلِّ شيءٍ دونَ الله، وفضلُ القرآنِ على سائر الكلامِ، كفضلِ اللهِ على خَلْقِهِ، فمن وَقَّرَ القرآنَ فقد وقر اللهَ، ومن لم يُوَقِّر القرآن لم يُوقِر الله، وحرمةُ القرآن عندَ اللهِ كحرمةِ الوَالِد على وَلَدِهِ، القرآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ مُصَدَّق، فمن شفعَ لَهُ القرآن شُفِّعَ، ومن مَحَلَ به القرآنِ صُدِّقَ، ومَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الجنةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ ساقهُ إلى النار، وحملة القرآنِ هم المحفوفون برحمة الله، الملبسُون نورَ اللهِ، المعلِّمُون كلامَ اللهِ، مَنْ وَالَاهمْ فَقَدْ وَالَى اللهَ، وَمَنْ عَادَاهَمْ فَقَدْ عَادَى اللهَ**».

يقول الله تعالى: يا حملةَ القرآنِ استجيبوا لِرَبِّكُمْ بتوقيرِ كتابِهِ، يزدْكم حبّاً، ويحبِّبْكُمْ إلى عبادِهِ، يدفع عن مستمع القرآنَ بَلْوَى الدنيا، ويدفع عن تالي القرآن بلوى الآخرة، وَمَنْ استمعَ آيةً من كتابِ الله، كان له أفضل ممَّا تحتَ الْعَرْشِ إِلَى النُّجُومِ، وإِنَّ في كتابِ اللهِ لَسُورَةً، تُدْعَى العزيزةَ، وَيُدْعى صاحبُها الشريفَ يومَ القيامةِ، تشفعُ لصاحبها في أكثرَ مِنْ ربيعةَ ومُضَرَ، وهي سورةُ يٰسٓ». انتهى. قرطبي، والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١﴾

فيه قراءات كثيرة، كما في لفظ (طه) وقد اختلف في معناه، فقيل: معناه: يا رجل! وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهما: أن معناه يا إنسان. وقالوا في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ رقم [١٣٠] من سورة (الصافات) أي: على آل محمد. وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: هو اسم من أسماء محمد ﷺ، ودليله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال السيد الحِمْيري: [البسيط]

يَا نَفْسُ لَا تَمْحَضِي بالنصْحِ جاهِدَةً ... عَلَى الْمَوَدَّةِ إِلَّا آلَ يَاسِينَ

وقال أبو بكر الوراق: معناه: يا سيد البشر. وقيل: إنه اسم من أسماء الله، قاله مالك. هذا؛ وذكر الماوردي عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ تَعَالَى أَسْمَانِي في القرآنِ سبعة أَسماء: محمد وأحمد وطه وياسين والمزمِّل والمدَّثر وعبد الله**». قاله القاضي. وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق: أن المعنى: يا سيد! مخاطباً لنبيه ﷺ. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿يسٓ﴾: فيه، أوجه: أحدها أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي هذه (يس). الثاني: أنه مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أُتْلُ (يس). الثالث: أنه مقسم به، وحرف القسم محذوف، التقدير: أقسم بـ: (يس).

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾

الشرح: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾: قسم أقسم الله بالقرآن: أن محمداً ﷺ مرسل من عنده، وهو رد على كفار قريش؛ حيث قالوا: لست مرسلاً. ومعنى الحكيم: المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، كما قال تعالى في أول سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة،

وألف سلام. ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ...﴾ إلخ رقم [١] ويقال فيه: ذو الحكمة، يقال: قصيدة حكيمة، أي ذات حكمة، وانظر الكلام على ﴿ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ في سورة (لقمان) رقم [١٢]. وحكم الرجل يحكم؛ أي: صار حكيماً، ومنه قول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر في معلقته رقم [٢٧]: [البسيط]

واحكُمْ كحكمِ فتاةِ الحيِّ إذْ نَظَرَتْ ... إلى حَمَامٍ شِراعٍ وارِدِ الثَّمَدِ

وأحكمته التجارب: جعلته حكيماً. قال الشاعر: [الكامل]

وَقَصيدةٍ تأتي الملوك حكيمةٍ ... قَدْ قلتُها لِيُقَال مَنْ ذَا قَالَهَا؟

والخطاب بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ للنبي ﷺ. ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: على منهج قويم، وشرع مستقيم، كقوله تعالى في سورة (الشورى): ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ أي: الطريق الذي أمر الله بالسير عليه، ولا تَنْسَ ما في الآية الكريمة من التأكيد بأكثر من مؤكد؛ لأن المرسل إليهم منكرون، فقد أكد بـ: «إن» واللام، ويسمى هذا النوع في علم المعاني: إنكاراً.

قال الزمخشري: فإن قلت: أي حاجة إليه، وقد علم: أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم؟! قلتُ: ليس الغرض بذكره ما ذهبت إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته، وإنما الغرض وصفه، ووصف ما جاء به من الشريعة، فجمع بين الوصفين في نظام واحد، كأنه قال: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، الثابتين على طريق ثابت. هذا؛ والصراط: الطريق، وهو مستعار هنا للدين القويم كما في سورة الفاتحة، وسمي الدين طريقاً؛ لأنه يؤدي إلى الجنة، فهو طريق إليها، وهو يقرأ بالصاد، والسين، والزاي، ويذكر، ويؤنث، والأول أكثر.

هذا؛ وأصل مستقيم (مُسْتَقْوِم)؛ لأنه من: استقام،وهو أجوف واوي، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف بعد سلب سكونها، ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، فصار: مستقيم.

الإعراب: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم بالقرآن. ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾: صفة له. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (من المرسلين): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: (إنَّ). ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بـ: ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، ويجوز أن يكونا متعلقين بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾: صفة (صراط). والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ جواب القسم، والقسم وجوابه كلام مبتدأ لا محل له من الإعراب.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾

الشرح: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: أعني: هذا القرآن تنزيل العزيز الرحيم، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: نزل تنزيل، ويقرأ بالرفع، فيكون المعنى: القرآن الكريم الموجود بين أيدينا، المتلو بألسنتنا، المحفوظ في صدورنا تنزيل العزيز الرحيم، كما يقرأ بالجر على البدلية من القرآن. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ المراد: كفار قريش، وغيرهم، والمراد بآبائهم: الأقربون لا الأبعدون، فإنهم قد أنذروا، فآباء العرب الأقدمون أنذروا بإسماعيل عليه السلام، وآباء غيرهم الأقدمون قد أنذروا بعيسى، ومن قبله. هذا؛ وفي: ﴿مَّآ﴾ اختلف المفسرون، فأكثرهم ومنهم قتادة يقولون: إنها نافية. وعليه فالمعنى: لم يأت آباءهم نذير. وقال ابن عباس، وعكرمة، وقتادة أيضاً: هي بمعنى: «الذي» وعليه فالمعنى: لتنذرهم مثل ما أنذر آباؤهم. وقيل: إن ﴿مَّآ﴾ مصدرية، والمعنى: لتنذر قوماً إنذار آباءهم، ثم يجوز أن تكون العرب قد بلغتهم بالتواتر أخبار الأنبياء. فالمعنى يكون: لم ينذروا برسول من أنفسهم، ويجوز أن يكون بلغهم الخبر، ولكن غفلوا، وأعرضوا، ونسوا. ويجوز أن يكون هذا خطاباً لقوم لم يبلغهم خبر نبي، وقد قال تعالى في الآية رقم [٤٤] من سورة (سبأ): ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾. وقال تعالى في الآية رقم [٣] من سورة (السجدة): ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: لم يأتهم نذير. وعلى قول من قال: بلغهم خبر الأنبياء، فالمعنى فهم معرضون الآن متغافلون عن ذلك. ويقال للمعرض عن الشيء: إنه متغافل عنه. وقيل المعنى: فهم غافلون عن عقاب الله، وانتقامه. انتهى. قرطبي بتصرف. والزمخشري بمعناه.

الإعراب: ﴿لِتُنذِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالمصدر: ﴿تَنزِيلَ﴾، أو بمعنى (من المرسلين)، أي: أنت مرسل للإنذار. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به. ﴿مَّآ﴾: نافية. ﴿أُنذِرَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ءَابَآؤُهُمْ﴾: نائب فاعله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿قَوْمًا﴾، وعلى اعتبار ﴿مَّآ﴾ موصولة، أو نكرة موصوفة، وهو أجود، فالجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، وتكون ﴿مَّآ﴾ بدلاً من: ﴿قَوْمًا﴾، ولا يصح أن تكون صفة له؛ لأنه نكرة، وهي معرفة، وعلى اعتبار ﴿مَّآ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول مطلق، التقدير: لتنذر قوماً إنذاراً مثل إنذار آبائهم. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿غَٰفِلُونَ﴾: خبره مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ على اعتبار (ما) نافية، وعلى الاعتبارين الآخرين فالجملة الاسمية معطوفة على الجملة: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. وقيل: هي تعليلية،

ولا وجه له. هذا؛ وأورد أبو البقاء وجهاً رابعاً، وهو أن تكون زائدة، وتكون جملة: ﴿أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ صفة: ﴿قَوْمًا﴾، والرابط: الضمير.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾: لقد وجب العذاب على أكثرهم، واستحقوه، وهو فحوى قوله تعالى في الآية رقم [١٣] من سورة (السجدة): ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وهذا فيمن سبق في علم الله: أنه يموت على كفره، وذكر الله سبحانه الأكثر؛ لأن بعضهم أدركته العناية الإلهية، وسبق في علم الله الأزلي: أنه يموت على الإسلام فأسلم، وهؤلاء الذين سبق في علم الله: أنهم يموتون على الكفر قد أخرج الله من أصلابهم من حمل لواء الإسلام في ربوع الدنيا. والتاريخ الإسلامي وسيرة السلف الصالح شاهد عدل على ما أقول.

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم مقدر. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿حَقَّ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: فاعله. ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل ﴿حَقَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَقَدْ حَقَّ...﴾ إلخ لا محل لها على الوجهين المعتبرين في اللام. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية معطوفة على الجملة قبلها، لا محل لها مثلها. وإن اعتبرتها تعليلية؛ فلست مفنداً.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾

الشرح: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾: جمع: غل، يقال: في رقبته غل من حديد. ومنه قيل للمرأة السيئة الخلق: غل قَمِل، وأصله: أن الغل كان يتخذ من جلد، وعليه شعر فَيَقْمَل، والغل، والغلة: حرارة العطش، وكل ذلك بضم الغين، وهو بكسرها بمعنى: الحقد، والبغض. ورحم الله من يقول: [البسيط]

يـا طَـالِـبَ الْـعَـيْـشِ فـي أَمْـنٍ وفـي دَعَـةٍ ... رَغْــداً بِــلَا قَــتَــرٍ صَــفْــواً بِــلَا رَنَــقِ

خَــلِّــصْ فُــؤَادَكَ مِــنْ غِــلٍّ وَمِــنْ حَــسَــدٍ ... الْـغِـلُّ فـي الـقَـلْـبِ مِـثْـلُ الْـغُـلِّ فـي الْـعُـنُـقِ

هذا؛ وفي الكلام استعارة تمثيلية، فقد شبه الله تعالى حال الكفار في امتناعهم من الهدى، والإيمان بمن غلت يده إلى عنقه بالسلاسل، والأغلال، فأصبح مرفوعاً رأسه، لا يستطيع خفضاً له، ولا التفاتاً، وبمن سدت الطرق في وجهه، فلم يهتد لمقصوده. وذلك بطريق الاستعارة

التمثيلية، ولا تَنْسَ: أنه اكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين؛ وإن كانتا مرادتين، وهذا جيد؛ لأنه لما كان الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين إلى العنق؛ اكتفى بذكر العنق عن اليدين، وهذا يعني: أن الضمير يعود إلى اليدين، وإن لم يتقدم لهما ذكر، ورجح الزمخشري عوده على الأغلال.

﴿فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾: جمع: ذقن، هو من الإنسان مجمع لحيَيْه. واللَّحْي (بفتح اللام): منبت اللِّحية (بكسر اللام) من الإنسان، وغيره لذا فاللحية: هي الشعر المسترسل من لحي الإنسان. قال هدبة بن خشرم يوصي امرأته حين قتل قوداً في ابن عمه زيادة: [الطويل]

فَلَا تَنكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدهرُ بينَنَا ... أَغَمَّ القَفَا والوجهِ لَيْسَ بأَنزَعَا

ضَرُوباً بِلَحْيَيْهِ على زَوْرِ صدرِهِ ... إِذَا القومُ هَشُّوا لِلْفَعالِ تَقَنَّعَا

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ أي: رافعوا رؤوسهم، لا يستطيعون الإطراق؛ لأن من غُلّت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه. وهو مأخوذ مما حكاه الأصمعي، قال: يقال أقمحت الدابة: إذا جذبت لجامها لترفع رأسها، وقمح البعير قمحاً: إذا رفع رأسه عند الحوض، وامتنع عن الشرب، والجمع: قماح على غير قياس، قال بشر بن أبي خازم يصف سفينة: [الوافر]

ونَحْنُ عَلَى جوانِبِهَا قُعُودٌ ... نَغُضُّ الطَّرْفَ كَالإِبِلِ القِمَاحِ

والإقماح: رفع الرأس، وغض البصر، ولم تذكر هذه المادة في غير هذه السورة. هذا؛ والإقناع المذكور في الآية رقم [٤٣] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام بقوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ معناه: رفع الرأس وشخوص البصر إلى السماء. هذا؛ وفي الآية فن القلب؛ إذ أصل الكلام: جعلنا أعناقهم في الأغلال. وهذا باب مشهور في كلام العرب.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَغْلَٰلًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». وقيل: الجار والمجرور في محل نصب مفعول: ﴿جَعَلْنَا﴾ الثاني تقدم على الأول، وليس بشيء؛ لأن: ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى: وضعنا. ﴿أَغْلَٰلًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ تعليل لعدم إيمانهم، لا محل لها. ﴿فَهِىَ﴾: الفاء: حرف عطف. (هي): مبتدأ. ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا...﴾ إلخ. لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ معطوفة عليها أيضاً، لا محل لها.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا...﴾ إلخ: قال أبو السعود، وغيره: وهذا تتمة للتمثيل، وتكميل له؛ أي: لِمَا في الآية السابقة. انتهى. والمعنى: منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان، كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد، فيكون في الكلام استعارة كما في الآية السابقة. ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾: أي: فأغشينا أبصارهم؛ أي: غطيناها، وجعلنا عليها غشاوة. فهي معنوية مستعارة لعدم الاهتداء، ورؤية طريق الحق والصواب. وقرئ: (فأعشيناهم) بالعين من: العشاء في العين، وهو ضعف البصر؛ حتى لا تبصر في الليل، قالت عاتكة عمة النبي ﷺ: [مجزوء الكامل]

بِعُكَاظَ يُعْشِي النَّاظِرِيـ ـنَ إذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعُهْ

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: طريق الهدى، والحق؛ وإن كانت لهم عيون، كما قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ الآية رقم [١٨] من سورة (البقرة).

هذا؛ وقيل: نزلت الآيتان في أبي جهل، وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل ـ لعنه الله ـ حلف: لئن رأى محمداً يصلي ليرضخنَّ رأسه بحجر، فلما رآه؛ ذهب، فرفع حجراً ليرميه، فلما أومأ إليه رجعت يده إلى عنقه، والتصق الحجر بيده. قاله ابن عباس، وعكرمة، وغيرهما، فهو على هذا تمثيل، أي هو بمنزلةٍ من غُلَّت يده إلى عنقه. فلما عاد إلى صاحبيه أخبرهما بما حل به، فقال الرجل الثاني، وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه، فأتاه، وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فجعل يسمع صوته، ولا يراه، فرجع إلى أصحابه، فلم يرهم حتى نادَوْه، فقال: والله ما رأيته، ولقد سمعت صوته. فقال الثالث: والله لأشدخَنَّ أنا رأسه، ثم أخذ الحجر، وانطلق، فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشياً عليه، فقيل له: ما شأنك؟ قال: شأني عظيم، رأيت الرجل، فلمَّا دنوت منه، فإذا فحل من الإبل يخطر بذنبه، ما رأيت قط فحلاً أعظم منه، حال بيني وبينه، فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلني! فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا...﴾ إلخ. انتهى. قرطبي ومثله في الكشاف، والخازن.

تنبيه: في ليلة الهجرة المباركة التي تآمرت فيها كفار قريش على قتل النبي ﷺ، وأحاطوا في بيته وأخذوا يرصدونه وترقبوا خروجه ليضربوه ضربة رجل واحد، أمر ابن عمه علياً أن ينام في فراشه، وأخذ كفاً من تراب، فرماهم به، وخرج من بيته، وهو يقرأ يس والقرآن الحكيم. . .إلخ، إلى قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، فأعمى الله أبصارهم، فلم يبصروه حين خرج، وهذا شيء مشهور ومسطور.

الإعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنْ بَيْنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول. ﴿بَيْنِ﴾: مضاف، و: ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿سَدًّا﴾: مفعول به. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: معطوفان على ما قبلهما، وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. (أغشيناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُبْصِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. وقيل: تعليلية. ولا وجه له.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: (سواء): مصدر بمعنى الاستواء، فلذا صح الإخبار به عن متعدد. وقيل: هو اسم بمعنى: مستوٍ، وهو لا يثنى، ولا يجمع. قالوا: هما، وهم سواء. فإذا أرادوا لفظ المثنى؛ قالوا: سيان. وإن شئت؛ قلت: سواءان، وفي الجمع: هم أسواء، وهذا كله ضعيف، ونادر. وأيضاً على غير القياس: هم سواس، وسواسية، أي: متساويان ومتساوون. هذا؛ ويأتي بمعنى الوسط، كما في قوله تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ رقم [٥٥] من سورة (الصافات)، ويأتي بمعنى: العدل، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ رقم [٥٨] من سورة (الأنفال) وسواء الشيء غيره، قال الأعشى: [الطويل]

تَجَانَفُ عن جوِّ اليمامةِ ناقتي ... وَمَا عَدَلَتْ عَنْ أَهْلِهَا لِسَوائِكَا

وسواء السبيل: ما استقام منه، وسواء الجبل: ذروته. الإنذار: الإعلام، والتخويف من عذاب الله. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: المعنى: الإجمالي للآية الكريمة إنذارك وعدمه لكفار مكة سواء، فهم لا يؤمنون. والحمد لله قد آمن أولادهم، وأحفادهم.

الإعراب: (سواء): خبر مقدم، وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (سواء). ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتسوية. (أنذرتهم): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية وهمزة التسوية في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف معادل لهمزة التسوية. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تُنذِرْهُمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾. والفاعل تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية هذه مؤولة أيضاً بمصدر معطوف على سابقه، وتقدير الكلام: إنذارك، وعدمه سواء. هذا؛ وجوز اعتبار (سواء) مبتدأ، والمصدر المؤول خبراً عنه. والأول أقوى؛ لأن سواء نكرة لما ترى، ولا مسوغ لوقوعه

مبتدأ. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها بالواو العاطفة، فهي في محل رفع أيضاً، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مؤكدة لمضمون الجملة قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها، ورجحه ابن هشام في المغني. هذا؛ وينبغي أن تعلم: أن الآية مذكورة بحروفها في الآية رقم [٦] من سورة (البقرة)، فلذا لم يتكلم عنها أحد من المفسرين، وإنما أحالوا على سورة (البقرة)، والله الموفق، والمعين.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾: الخطاب للنبي ﷺ. ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: إنما ينتفع بإنذارك، وتخويفك يا محمد المؤمنون، من اتبع القرآن، وعمل بما فيه. ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: خاف الله بالغيب؛ حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى، فهو يعلم أن الله مطلع عليه، وعالم بما يفعل. هذا؛ والغيب: ما غاب عن الإنسان، ولم تدركه حواسه، قال الشاعر: [الطويل]

وَبِالْغَيْبِ آمَنَّا وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا ... يُصَلُّونَ لِلأَوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدِ

هذا؛ وانظر الخوف في الآية رقم [٢٨] من سورة (فاطر). هذا؛ والخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، وهو المراد منه بخشية عباد الله المؤمنين المتكررة في القرآن الكريم. هذا؛ والماضي: خشي، والمضارع: يخشى، والمصدر: خشية، والرجل خشْيَانُ، والمرأة خَشْيَا. وهذا المكان أَخْشَى من ذلك؛ أي: أشد خوفاً. وقد يأتي الفعل: «خَشِيَ» بمعنى: علم القلبية، قال الشاعر: [الكامل]

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنَّ مَنْ تَبِعَ الْهُدى ... سَكَنَ الْجِنَانَ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

قالوا: معناه: علمت. وقوله تعالى في سورة (الكهف) حكاية عن قول الخضر: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ قال الأخفش: معناه: كرهنا. ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾: لذنوبه، وستر لعيوبه. ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ أي: كثير، واسع، حسن، جميل. كما قال تعالى في سورة الملك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. هذا؛ والبشارة عبارة عن الخبر السار؛ الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به، ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تَغَيُّرَ بشرة الوجه؛ كان كذلك الحزن، والغم، يظهر أثرهما على الوجه، وهو الكمودة، التي تعلو الوجه عند حصول الغم، والحزن، فثبت بهذا: أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار، والخبر المحزن، وعليه قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾. ولكن قد تستعمل البشارة بالشر، ويما يسوء على سبيل التهكم، والاستهزاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وهو كثير في القرآن الكريم.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿تُنذِرُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَنِ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿ٱتَّبَعَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَنِ﴾، وهو العائد، أو الرابط. ﴿ٱلذِّكْرَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة ﴿مَنِ﴾ أو صفتها، وجملة: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ معطوفة عليها. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو المفعول، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ...﴾ إلخ تعليل لتسوية الإنذار وعدمه للكافرين. ﴿فَبَشِّرْهُ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً ﴿فَبَشِّرْهُ﴾. (بشره): فعل أمر، والفاعل تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها. ﴿بِمَغْفِرَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَأَجْرٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿كَرِيمٍ﴾: صفة له.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: يوم القيامة للحشر والنشر والحساب والجزاء، أو المراد: نحيي القلوب الميتة بالإيمان، على حد قوله تعالى في الآية رقم [١٢٢] من سورة (الأنعام): ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن...﴾ إلخ. ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ أي: من الأعمال، خيرها، وشرها، صالحها، وسيئها، فآثار المرء التي تبقى، وتذكر بعد الإنسان من خير، أو شر يجازى عليها: من أثر حسن، كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو وقف وقفوه، أو بناء بنَوْه، من مسجد، أو مدرسة، أو قنطرة يعبر الناس فوقها، مما تركوه من بعدهم مما تقدم يجري لهم ثوابه وأجره بعد موتهم. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ماتَ ابْنُ آدمَ انقطع عملُهُ إلَّا مِنْ ثلاثٍ: علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو لهُ، أو صدقةٍ جاريةٍ من بعده**». أخرجه مسلم، أما السَّيِّئ الذي يسجل عليه وزره بعد موته: كوظيفة وظفها بعض الفاسدين المفسدين على المسلمين، أو بناء بناه تجري فيه المفاسد، مثل المقاصف، التي تقع المعاصي فيها من قمار، وشرب الخمور، والكازينات المعدة للرقص، والمخزيات، وما يبنى على شواطئ البحار، والأنهار للدعارة، والخلاعة، وكل ما يغضب الواحد القهار، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٢] من سورة (الأحزاب)، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وقيل: إن المراد بـ: (آثارهم) خطاهم إلى المساجد. قال النحاس: وهذا أولى ما قيل فيه؛ لأنه قال: إن الآية نزلت في ذلك؛ لأن الأنصار كانت منازلهم بعيدة عن المسجد. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاةُ الرجلِ في جماعةٍ تُضَعَّفُ على**

صلاتِهِ في بيتِهِ، وفي سوقِهِ، خَمْساً وعشرينَ ضِعفاً، وذلك أَنَّهُ إِذا تَوَضأ، فأَحسنَ الوضوءَ، ثم خَرَجَ إلى المسجدِ، لا يخرجه إِلَّا الصلاةُ، لم يخط خطوةً إلا رُفِعَتْ لهُ بها درجةٌ، وحُطَّ عنهُ بها خطِيئةٌ، فإِذا صلَّى لم تزل الملائكةُ تصلِّي عليه ما دامَ في مُصَلَّاهُ ما لم يُحْدِثْ. . . إلخ». رواه البخاري. وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاةُ الجماعةِ أفضلُ مِنْ صلاةِ الْفَذِّ بسبعٍ وعشرين درجةً**». رواه مالك، والبخاري، ومسلم، والنسائي، و الترمذي، وهذا هو المفتى به، والمشهور عند المسلمين، وخذ ما يلي:

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قُرْب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «**إِنَّهُ بلغني أنكم تُريدونَ أَنْ تَنْتقلوا قُرْبَ المسجدِ**». قالوا: نعم يا رسول الله! قد أردنا ذلك، فقال ﷺ: «**يا بَنِي سلمَةَ! دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ! دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ!**». أخرجه الإمام مسلم والإمام أحمد. والمعنى: الزموا دياركم. والفعل المضارع مجزوم بهذا المقدر.

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: إن بني سلمة شكَوْا إلى رسول الله ﷺ بُعْدَ منازلهم من المسجد، فنزلت: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ فأقاموا في مكانهم، وقالوا: ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا. رواه الحافظ البزار. هذا؛ وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: لو كان الله ـ عز وجل ـ مغفلاً شيئاً من شأنك يا بن آدم؛ أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره، وعمله كله؛ حتى أحصى هذا الأثر، فيما هو من طاعة الله تعالى، أو من معصيته، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى؛ فليفعل. انتهى. من القرطبي ومختصر ابن كثير وغيرهما. هذا؛ والأثر: الأجل، وخذ ما يلي:

فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، وَيُنَسَّأَ لَهُ في أَثَرِهِ؛ فليصلْ رَحِمَهُ**». رواه البخاري، ومسلم. قال في الفتح: وسمي الأجل أثراً؛ لأنه يتبع العمر. قال زهير بن أبي سلمى: [البسيط]

والمرءُ ما عَاشَ ممدودٌ لَهُ أَمَلٌ لا يَنقَضي العمرُ حتَّى ينتهي الْأَثَرُ

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حفظنا كل شيء، وعددناه، وأثبتناه في اللوح المحفوظ، فهو مسطور، ومضبوط، لا يطرأ محو، ولا تغيير، ولا تبديل عليه، والإمام: الكتاب الذي يسجل فيه عمل الإنسان، وبه قيل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾. الآية رقم [٧١] من سورة (الإسراء)، أي: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير، أو شر، كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ...﴾ إلخ. الآية رقم [٤٩] من سورة (الكهف)، ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الآية رقم [١٤] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمه. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل لا محل له.، أو هو تأكيد لاسم (إنَّ) على المحل، أو هو مبتدأ. ﴿نُحْيِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) على الوجهين الأولين في الضمير، وفي محل رفع خبره على اعتباره مبتدأ، فتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. (نكتب): مضارع، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: نكتب الذي، أو شيئاً قدموه. (آثارهم): معطوف على ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَكُلَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (كل): منصوب على الاشتغال بفعل محذوف، يفسره المذكور بعده، ومثله قوله تعالى في الآية رقم [١٣] من سورة (الإسراء): ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ...﴾ إلخ. ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة لا محل لها؛ لأنها مفسرة لجملة مستأنفة في التقدير. ﴿فِىٓ إِمَامٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿إِمَامٍ﴾.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾: الخطاب لسيد الخلق وحبيب الحق ﷺ، والمضروب لهم كفار مكة. ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾: المراد به أنطاكية في قول جميع المفسرين، فيما ذكر الماوردي. ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: الذين أرسلهم عيسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، إلى: «أنطاكية» بكسر الهمزة وفتحها.

هذا؛ وأصحاب جمع: صاحب، وهو هنا بمعنى: المالك، والصاحب يكون بمعنى الصديق، والزوج، ونحوه. وصاحب رسول الله ﷺ: هو كل من جالسه في حياته، ولو ساعة واحدة بشرط أن يكون مسلماً موحداً. ويجمع على أصْحاب، وصَحْب، وصِحاب، وصِحابة، وصُحْبة، وصُحْبَان، ثم يجمع أصحاب على أصاحيب أيضاً، ثم يخفف، فيقال: أصاحب.

أما القرية: فهي اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وهو يطلق على المدينة الكبيرة، وغيرها، كيف لا؟ وقد جعل الله مكة المكرمة أم القرى في قوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الآية رقم [٩٢] من سورة (الأنعام). كما تطلق على الضيعة الصغيرة، وهي مأخوذة من قريت الماء في المكان: جمعته. وفي القاموس المحيط: القرية: بكسر القاف، وفتحها، والنسبة إليها: قَرَوِيٌّ وقِرَئِيٌّ والفتح أقوى.

وأما المثل في هذه الآية ونحوها، فهو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر؛ بينهما مشابهة؛ ليتبين أحدهما من الآخر، ويصوره. وقيل: هو تشبيه شيء بشيء آخر. وبالجملة: هو القول السائر بين الناس، والذي فيه غرابة من بعض الوجوه، والممثل بمضربه. أي: هو الحالة الأصلية، التي ورد الكلام فيها. وما أكثر الأمثال في اللغة العربية، علماً بأن الأمثال لا تغير: تذكيراً، وتأنيثاً، إفراداً، وتثنية، وجمعاً؛ بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل، أي: أصله. مثل: (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ). فإنه يضرب لكل من فرط في تحصيل شيء في أوانه، ثم طلبه بعد فواته.

الإعراب: ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾: الواو: حرف عطف. (اضرب): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، تقديره: «أنت». ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان به. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له. ﴿مَّثَلًا﴾: مفعول به أول. ﴿أَصۡحَٰبَ﴾: مفعول به ثان، وصحح «الجمل» العكس. و﴿أَصۡحَٰبَ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب بدل من ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾. ﴿جَآءَهَا﴾: ماض، ومفعوله. ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ...﴾: فاعل مرفوع إلخ، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها، وجملة: ﴿وَٱضۡرِبۡ...﴾ إلخ معطوفة على ما تضمنته الآيات السابقة من الكلام على كفار قريش، لا محل لها، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

تنبيه: قال مكي ـ رحمه الله تعالى ـ: أصح ما يعطي القياس، والنظر في ﴿مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ﴾: أنهما مفعولان لـ: (اضرب)، دليله: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية رقم [٢٤] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. فلا اختلاف: أن ﴿مَثَلُ﴾ ابتداء، و﴿كَمَآءٍ﴾ خبره، فهذا ابتداء، وخبر بلا شك، ثم قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ...﴾ إلخ الآية رقم [٤٥] من سورة (الكهف)، فدخل (اضرب) على الابتداء، والخبر، فعمل في الابتداء، ونصبه، فلا بد أن يعمل في الخبر أيضاً؛ لأن كل فعل دخل على الابتداء، والخبر، فعمل في الابتداء، فلا بد أن يعمل في الخبر؛ إذ هو هو، فقد تعدى (اضرب)؛ الذي هو لتمثيل الأمثال إلى مفعولين بلا اختلاف في هذا، فوجب أن يجري في غير هذا الموضع على ذلك، فيكون قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾، مفعولين لـ: (اضرب)، كما كان في دخوله على الابتداء، والخبر، وقد قيل: إن ﴿أَصۡحَٰبَ﴾ بدل من «مَثَلَ» وتقديره: واضرب لهم مثلاً «مَثَلَ» أصحاب، فالمثل الثاني بدل من الأول، ثم حذف المضاف. انتهى. بحروفه.

﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾

الشرح: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾: اسمهما: يوحنا، وبولس. وقيل: غير ذلك. هذا؛ وأسند سبحانه وتعالى الإرسال إلى نفسه؛ لأن عيسى أرسلهما بأمره، جلت قدرته، وتعالت حكمته. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: قيل: ضربوهما، وسجنوهما. ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا، وشددنا أمر الاثنين

برسول ثالث، واسمه: شمعون الصفا بن لاوي. ويقرأ الفعل بالتشديد، والتخفيف، وهما بمعنى واحد. وقيل: التخفيف بمعنى: غلبنا وقهرنا، ومنه قوله تعالى في سورة (ص) رقم [٢٣]: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾. والتشديد بمعنى: قوينا، وكثرنا.

وخذ القصة بما يلي: أرسل عيسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ رسولين من الحواريين، اسمهما: يوحنا، وبولس إلى مدينة أنطاكية، فلقيا رجلاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار صاحب: «يس» فدعَوْهُ إلى عبادة الله تعالى، وقالا: نحن رسولا عيسى ندعوك إلى عبادة الله تعالى. فطالبهما بالمعجزة، فقالا: نحن نشفي المرضى، وكان له ابن مريض منذ سنتين، فمسحاه، فقام بإذن الله صحيحاً، فآمن الرجل بالله تعالى، ففشا أمرهما، وشفيا كثيراً من المرضى، فأرسل الملك إليهما، وكان يعبد الأصنام، فسألهما عن حالهما، وما يريدان، فقالا: نحن رسولا عيسى، فقال: وما آيتكما؟ قالا: نبرئ الأكمه، والأبرص، ونبرئ المريض بإذن الله، وندعوك إلى عبادة الله، وتوحيده. فحبسهما الملك، وجلدهما مئة جلدة، فانتهى الخبر إلى عيسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فأرسل ثالثاً هو شمعون الصفا رأس الحواريين؛ لنصرهما.

فعاشر حاشية الملك حتى تمكن منهم، واستأنسوا به، ورفعوا حديثه إلى الملك، فأنس به، وأظهر موافقته في دينه، فرضي الملك طريقته، ثم قال يوماً للملك: بلغني: أنك حبست رجلين دعواك إلى الله، فلو سألت عنهما ما وراءهما؟ فقال: إن الغضب حال بيني، وبين سؤالهما! قال: فلو أحضرتهما، فأمر بذلك، فقال لهما شمعون: ما بُرهانكما على ما تدعيان؟ فقالا: نبرئ الأكمه، والأبرص، فجيء بغلام ممسوح العينين، موضع عينيه كالجبهة، فدعوا ربهما، فانشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من طين، فوضعاهما في خديه، فصارتا مقلتين يبصر بهما، فعجب الملك، وقال: إن هاهنا غلاماً مات منذ سبعة أيام؛ ولم أدفنه حتى يجيء أبوه، فهل يحييه ربكما؟ فدعوا الله علانية، ودعاه شمعون سراً، فقام الميت حياً، فقال للناس: إني مت منذ سبعة أيام فوجدت مشركاً، فأدخلت في سبعة أودية من النار، فأحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا بالله! ثم فتحت أبواب السماء، فرأيت شاباً، حسن الوجه، يشفع لهؤلاء الثلاثة: شمعون، وصاحبيه، حتى أحياني الله، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن عيسى رسول الله، وكلمته، وأن هؤلاء هم رسل الله. فقالوا له: وهذا شمعون أيضاً معهم؟ فقال: نعم، وهو أفضلهم، فأعلمهم شمعون: أنه رسول المسيح إليهم، فأثر قوله في الملك، فدعاه إلى الله، فآمن الملك في قوم كثير، وكفر آخرون.

وحكى القشيري: أن الملك آمن، ولم يؤمن قومه، وصاح جبريل صيحة مات كل من بقي من الكفار. وروي: أن عيسى لما أمرهم أن يذهبوا إلى تلك القرية، قالوا: يا نبي الله! إنا لا نعرف أن نتكلم بألسنتهم، ولغاتهم! فدعا الله لهم، فناموا بمكانهم، فهبوا من نومتهم، وقد

حملتهم الملائكة، فألقتهم بأرض أنطاكية، فكلم كل واحد صاحبه بلغة القوم. فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾. انتهى. قرطبي ونحوه في الخازن، والكشاف.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: بدل من سابقتها، فهي في محل نصب مثلها. ﴿أَرْسَلْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني تقدم على الأول. ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بالمثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. (عززنا): فعل، وفاعل، والمفعول محذوف؛ إذ التقدير: فعززناهما. ﴿بِثَالِثٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً. (قالوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّآ﴾: (إنَّ) حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿إِلَيْكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُّرْسَلُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها أيضاً.

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: أهل القرية. ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: تأكلون الطعام مثلنا، وتمشون في الأسواق، لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون. وهذه شبهة كثيرٍ من الأمم المكذبة، وقد ذكر الله ذلك عنهم في كثير من آيات القرآن. ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ أي: من وحي يأمر به، وينهىٰ. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾: في دعوى الرسالة، وتفترون شيئاً لم يأذن به الله.

هذا؛ و﴿بَشَرٌ﴾ يطلق على الإنسان ذكراً كان أو أنثى، مفرداً كان، أو جمعاً، مثل كلمة: الفلك تطلق على المفرد، والجمع. وسُمِّيَ بنو آدم: بشراً لِبُدُوِّ بشرتهم؛ التي هي ظاهر الجلد، بخلاف أكثر المخلوقات، فإنها مكسوة بالشعر، أو بالصوف، أو بالريش. هذا؛ و﴿بَشَرٌ﴾ يطلق على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ الآية رقم [١٧] من سورة (مريم)، ولذا ثني في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾. الآية رقم [٤٧] من سورة (المؤمنون)، ويطلق على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ الآية رقم [٢٦] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

وأما (مِثْل) فهو بكسر الميم، وسكون الثاء، ومثله: مثيل، وشبه، وشبيه، وهو اسم متوغل في الإبهام، فلا يتعرف بإضافته إلى الضمير، ونحوه من المعارف، ولذلك نُعتت به النكرة في قوله تعالى حكاية عن قول فرعون وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾. ويوصف به

المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وهو واضح في مواضعه. وتستعمل على ثلاثة أوجه: الأول: بمعنى الشبيه، كما في الآية الكريمة، ونحوها. والثاني: بمعنى نفس الشيء، وذاته، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ عند بعضهم، حيث قال: المعنى: ليس كذاته شيء. والثالث: زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي: بما آمنتم به.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بَشَرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِّثْلُنَا﴾: صفة: ﴿بَشَرٌ﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَىْءٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿تَكْذِبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الرسل. ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ...﴾ إلخ: أي: قالوا لهم مجيبين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبة؛ لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا، وينصرنا عليكم، وستعلمون من تكون له عاقبة الدار، وإنما أكد الكلام هنا باللام بخلافه في قوله: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ لأن الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣]. وقولهم: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم في التوكيد، مثل قولهم: شهد الله، وعلم الله.

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: وليس علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله بلاغاً واضحاً جلياً، لا غموض فيه، فإن آمنتم؛ فلكم السعادة في جنات عدن، تجري من تحتها الأنهار، وإن كذبتم؛ فلكم الشقاوة في النار، وبئس القرار! وهذا؛ وعيد لهم. قاله أبو حيان، ووصف ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾ بـ: ﴿ٱلْمُبِينُ﴾؛ لأنه الواضح، بالآيات الشاهدة بصحة الإرسال، وهي ما شاهدوه من إبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الميت، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبُّنَا﴾: مبتدأ. و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع،

والفاعل يعود إلى ﴿رَبُّنَا﴾ وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب لام الابتداء، ولذا كسرت همزة (إنَّ) قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

وَكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فِعْلٍ عُلِّقَا بِاللَّامِ كَاعْلَمْ إِنَّهُ لَذُو تُقَى

﴿إِنَّآ﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مرسلون): خبر (إنَّ) مرفوع إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعول: ﴿يَعْلَمُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿عَلَيْنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: صفة له، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من (نا) فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ﴾ أي: تشاءمنا بكم، وبدعوتكم القبيحة إلى الآن، وترك عبادة الأوثان. قال المفسرون: ووجه تشاؤمهم بالرسل: أنهم دعوهم إلى دين غير ما يدينون به، فاستغربوه، واستقبحوه، ونفرت منه طبائعهم المعوجة، فشاءموا بمن دعا إليه، كأنهم قالوا: أعاذنا الله مما تدعوننا إليه! وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه، وقبلته طباعهم، ويتشاءموا بما نفروا منه، وكرهوه، فإن أصابهم بلاء، أو نعمة؛ قالوا: بشؤم هذا؛ وبركة ذاك. وقيل: حبس عنهم المطر ثلاث سنين، فقالوا: هذا بشؤمكم. ويقال: إنهم أقاموا ينذرونهم عشر سنين. هذا؛ وقرئ: ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾ كما في الآية رقم [٤٧] من سورة (النمل). ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ﴾ أي: تكفوا عن دعوتكم إيانا إلى ما تعبدون. ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ أي: لنقتلنكم. وقيل: المعنى: لنرجمنكم بالحجارة. وقيل: المعنى: لنشتمنكم بالقبيح من الكلام. ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم﴾: وليصيبنكم. ﴿مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عقوبة شديدة. قيل: أرادوا الحرق بالنار.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿تَطَيَّرْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِكُمْۖ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَئِن﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَنتَهُواْ﴾: مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وهو فعل الشرط،

وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المقدر، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك في ألفيته: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

والكلام ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ١٩﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ﴾ أي: سبب شؤمكم معكم، وهو سوء عقيدتكم، وخبث أعمالكم، وعصيانكم لربكم. المعنى: أصابكم الشؤم من قبلكم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: طائرهم: ما قضي لهم، وقدر عليهم من عند الله. هذا؛ وكانت العرب في الجاهلية أكثر الناس طِيرةً، وكان أحدهم إذا أراد سفراً؛ نفَّر الطير صباحاً، فإن طار يَمنَةً؛ تيمن، وسار، وإن طارَ يَسرةً؛ أي: شِمالاً؛ رجع، وتشاءم، وإن طار يَمنةً؛ يسمونه: السانح. وإن طار يسرة؛ يسمونه البارح. والعرب تتيمن بالسانح، وتتشاءم بالبارح. قاله الجوهري. وقال غيره: للعرب في ذلك طريقان، فأهل نجد يتيمنون بالسانح دون البارح، وأهل الحجاز بالعكس. قال الشاعر: [الطويل]

وَكَيْفَ سُنُوحٌ والْيَمِينُ قَطِيعُ؟ عَلَى عَنْ يَمِينِي مَرَّتِ الطَّيْرُ سُنَّحاً

وهذا هو الشاهد رقم (٢٦٦) من كتابنا فتح القريب المجيب، وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير، ويتمدح بتركه، قال شاعر منهم: [الطويل]

وما عَاجِلاتُ الطيرِ تُدْني مِنَ الفتى نَجاحاً ولا عَنْ رَيْثِهِنَّ قُصورُ

وقال آخر، وأظنه: لبيد بن ربيعة العامري الصحابي، رضي الله عنه: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما تَدرِي الضواربُ بالحصى ولا زاجراتُ الطيرِ مَا اللهُ صَانِعُ؟

وقد أبطل الإسلام ذلك، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عَدْوَى، ولا طِيرةَ، ولا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**». أخرجه البخاري. وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**الطِّيَرةُ شركٌ، الطِّيرةُ شركٌ، الطِّيرةُ شركٌ**».

وأخيراً: فطائر الإنسان: عمله الذي قلده، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ الآية رقم [١٣] من سورة (الإسراء).

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾: شرط جوابه محذوف لدلالة السياق عليه، التقدير: أئن ذكرناكم، ووعظناكم ودعوناكم إلى توحيد الله؛ تشاءمتم، وتوعدتمونا بالرجم، والتعذيب؟! وفيه تسعة أوجه من القراءات. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي: أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان، فمن ثَمَّ جاءكم الشؤم. أو مسرفون في الضلال، ولذلك توعدتم، وتشاءمتم بمن يجب أن يكرم، ويتبرك به. وفي سورة (النمل) رقم [٤٧]: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾. وفيها أيضاً رقم [٥٥]: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿طَٰٓئِرُكُم﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مَّعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَئِن﴾: الهمزة: حرف استفهام. (إن): حرف شرط جازم. ﴿ذُكِّرْتُم﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، انظر تقديره في الشرح، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿قَوْمٌ﴾: خبره. ﴿مُّسْرِفُونَ﴾: صفة: ﴿قَوْمٌ﴾. وهذه الصفة وطئ لها بلفظ: ﴿قَوْمٌ﴾، فهي المرادة، لا لفظ: ﴿قَوْمٌ﴾؛ لأنهم معلومون بأنهم ﴿قَوْمٌ﴾، ومثل ذلك ما ذكرته في الشرح من سورة (النمل)، والجملة الاسمية مستأنفة، وهي من مقول الرسل. وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾: آخرها؛ أي: من مكان بعيد. ﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾: يسرع في مشيه. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الذين يدعونكم للإيمان. والمراد: رسل عيسى الذين مر ذكرهم. وينبغي أن تعلم: أن الله تعالى قدم هنا قوله: ﴿مِنْ أَقْصَا﴾ على: ﴿رَجُلٌ﴾ لأنه لم يكن من أقصاها، وإنما جاء منها، وفي سورة (القصص) رقم [٢٠] وصفه بأنه من أقصاها، وهما رجلان مختلفان، وقضيتان متباينتان، فما هنا في قصة حبيب النجار، وقضية حواري عيسى، وما هناك في قضية موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

تنبيه: المراد بـ: ﴿رَجُلٌ﴾ هنا هو حبيب بن مري، وكان نجاراً. وقيل: هو حبيب بن إسرائيل النجار، وكان ينحت الأصنام، وهو ممن آمن بالنبي ﷺ، وبينهما ستمئة سنة، كما آمن به تبع الأكبر، وورقة بن نوفل، وبحيرا الراهب، وغيرهم، ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره. قال وهب: وكان حبيب مجذوماً، ومنزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان يعكف على

عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوها لعلها ترحمه، وتكشف ضره، فما استجابت له ـ وهذا يناقض ما ذكرته في الآية رقم [٢٥] الآتية ـ فلما أبصر الرسل، دعوه إلى عبادة الله تعالى، فقال: هل من آية؟ قالوا: نعم ندعو ربنا القادر، فيفرج عنك ما بك! فقال: إن هذا لعجب لي، أدعو هذه الآلهة سبعين سنة تفرج عني، فلم تستطع، فكيف يفرجه ربكم عني في غداةٍ واحدةٍ؟

قالوا: نعم، ربنا على ما يشاء قدير، وهذه لا تنفع شيئاً، ولا تضر. فآمن، ودعوا ربهم، فكشف الله ما به، كأن لم يكن به بأس، فحينئذ أقبل على التكسب، فإذا أمسى تصدق بنصف كسبه، وأطعم عياله نصفاً، فلما هم قومه بقتل الرسل؛ جاءهم فـ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

الإعراب: ﴿وَجَآءَ﴾: الواو: حرف استئناف. (جاء): فعل ماض. ﴿مِنۡ أَقۡصَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. و﴿أَقۡصَا﴾ مضاف، و﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿رَجُلٌ﴾: فاعل. ﴿يَسۡعَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿رَجُلٌ﴾. والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿رَجُلٌ﴾، وجملة: ﴿وَجَآءَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿رَجُلٌ﴾. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (قوم): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة ضمير في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة، فيقول: يَا قَوْمِي. ومنهم من يثبتها، ويحركها بالفتحة، فيقول: يَا قَومِيَ. ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: يَا قَوْمَا. ومنهم من يقول: يَا قَوْمُ بضم الميم، ففيه خمس لغات، ويزاد سادسة، وهي حذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها، فيقول: يَا قَوْمَ. ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء إلخ، والجملة الفعلية، والندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل (يسعى) المستتر، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير: «قد» قبلها.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾

الشرح: كرر القول ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ تأكيداً، وبياناً للسبب، والمعنى: اتبعوا هؤلاء الرسل الكرام الصادقين المخلصين، الذين لا يطلبون منكم أجراً على ما يدعونكم إليه من توحيد رب العالمين، وهم على هدىً، وبصيرة فيما يدعونكم إليه. قيل: كان يعبد الله في غار، فلما بلغه خبر الرسل؛ أتاهم، وأظهر دينه، وقال لهم: أتسألون على هذا أجراً؟ قالوا: لا! فأقبل على قومه، و﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾. قاله قتادة، وهذا يخالف ما ذكرته في إيمانه سابقاً. وإنما قال: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ تألفاً لقلوبهم، واستمالة لها لقبول النصيحة، وما قاله لهم كلمة جامعة في

الترغيب فيهم. والمعنى: لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم، وتربحون صحة دينكم، فينتظم لكم خير الدنيا، والآخرة.

الإعراب: ﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾: قال الجلال رحمه الله: هو توكيد للأول، ووافقه الجمل على ذلك، وأقول: لا بأس باعتباره بدلاً من سابقه على حد الآية رقم [١٣٣] و [٢٢٢] كلتاهما من سورة (الشعراء)، وفي الثانية هنا زيادة إيضاح كما في آيتي (الشعراء). ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب بدلاً من: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قاله الجمل، وذلك بإظهار العامل، أي: إعادته، وعلى اعتبار الفعل بدلاً من سابقه فهو مفعول به لهذا الفعل، وهذا هو المتبادر للأفهام. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَسْـَٔلُكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، وهو العائد، والكاف مفعول به أول. ﴿أَجْرًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿مُّهْتَدُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير، ولا يخفى عليك: أنه روعي لفظ (مَنْ) إعادة الفاعل إليها، وروعي معناها في الجملة الاسمية الواقعة حالاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: فلما قال لهم حبيب النجار ما تقدم؛ قالوا له: وأنت مخالف لديننا، ومتابع هؤلاء الرسل، ومؤمن بإلههم؟ فقال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ...﴾ إلخ. وقيل: أضاف الفطرة إلى نفسه، والرجوع إليهم؛ لأن الفطرة أثر النعمة، وكانت عليه أظهر، والرجوع فيه معنى الزجر، فكان بهم أليق. هذا؛ وفيه تلطف في الإرشاد بإبرازه في معرض المناصحة لنفسه، وإمحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها، والمراد: تقريعهم، وتوبيخهم على تركهم عبادة خالقهم، ورازقهم إلى عبادة غيره، وفي قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تهديد، أي: فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ومعنى ﴿فَطَرَنِى﴾ خلقني.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لِىَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿أَعْبُدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «أنا». ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فَطَرَنِى﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿لَآ أَعْبُدُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ياء المتكلم، والرابط: الضمير فقط. (إليه): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ...﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية

معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. والجملة الاسمية: ﴿وَمَا لِىَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، وعلى الاعتبارين فهي في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول الرجل؛ الذي هو حبيب النجار.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ﴾: من دون الله. ﴿ءَالِهَةً﴾: أصناماً. والمعنى: كيف أتخذ من دون الله آلهة لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر، ولا تغني عن عابدها شيئاً. ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ أي: بفقر، أو مرض، ونحو ذلك. ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: هي في المهانة، والحقارة؛ بحيث لو أراد الله أن ينزل بي شيئاً من الضر، والأذى، وشفعت لي؛ لم تنفع شفاعتهم، ولم يقدروا على إنقاذي مما أنا فيه، ولا يدفعوا عني من عذاب الله شيئاً.

الإعراب: ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. (أتخذ): مضارع، وفاعله: «أنا». ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما مفعوله الثاني، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ءَالِهَةً﴾، كان نعتاً له على مثل ما رأيت في الآية رقم [٨]. ﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول به. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يُرِدْنِ﴾: مضارع فعل الشرط، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: فاعله. ﴿بِضُرٍّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها على مثال ما رأيت في الآية رقم [١٩]. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تُغْنِ﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿عَنِّى﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿شَفَٰعَتُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَّا تُغْنِ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يُنقِذُونِ﴾: معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به. هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من قول الرجل المذكور في الآية رقم [٢٠]. وقيل: الجملة الشرطية صفة: ﴿ءَالِهَةً﴾ وقيل: مستأنفة.

﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: إني إن عبدت غير الله، واتخذت الأصنام آلهة؛ لفي خسران ظاهر، وجلي؛ لأن إيثار ما لا ينفع، ولا يدفع ضراً بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع، والضر، وإشراكه به ضلال مبين، لا يخفى على عاقل. ولما قال هذا لقومه؛ أخذوا

يرجمونه بالحجارة، فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل، وقال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ أي: فاشهدوا لي بذلك عند الله. وقيل: الخطاب لقومه، والمعنى: إني آمنت بربكم الذي خلقكم، فاسمعوا قولي، واعملوا بنصيحتي. ولما قال لهم ذلك، وأعلن إيمانه؛ وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: وطئوه بأرجلهم؛ حتى خرج قُصْبُه من دبره. وقيل: كانوا يرمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي؛ حتى أهلكوه، وقبره بأنطاكية.

روي عن النبي ﷺ: أنه قال: «**سُبَّاقُ الأُمَمِ ثَلاثَةٌ لَمْ يَكْفُرُوا بالله طَرْفَةَ عيْنٍ: عليُّ بنُ أبي طالب، وصاحِبُ (يَس) ومُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْن**». وفي رواية ثانية: «**ثلاثة ما كفروا بالله قطُّ: مؤمن آل ياسين، وعلي بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون**». وهذا يناقض ما ذكرته في الآية رقم [٢٠] من أنه كان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة. وهذا التناقض موجود في الكشاف، وغيره. اللهم إلا أن يقال: إنه كان موحداً، وكان يخفي إيمانه، وتوحيده، فلما جاء رسل عيسى إلى المدينة، وسمع بهم؛ أظهر إيمانه، وتوحيده. والله أعلم بحقيقة ذلك.

الإعراب: ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء مهمل لا عمل له. هذا؛ واعتباره ظرفاً متعلقاً بـ: ﴿مُّبِينٍ﴾، والتنوين نائب عن الجملة التي تضاف «إذ» إليها، والتقدير: إني لفي ضلال مبين؛ إذا اتخذت آلهة من دون الله. فالمعنى يؤيد هذا الاعتبار، ﴿لَّفِي﴾: اللام: هي المزحلقة. (في ضلال): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَٰلٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ إِذًا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿ءَامَنتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِرَبِّكُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. والكاف في محل جر بالإضافة. من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ مؤكدة للجملة قبلها. ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اسمعون): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كنت آمنت بربكم؛ فاشهدوا على ذلك، واسمعوا.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾: قيل له ذلك لما قتلوه إكراماً له بدخولها كسائر الشهداء. وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة، وقال الحسن: لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه، وهو في الجنة، ولا يموت إلا بفناء السموات، والأرض. وهذا لم يثبت بسند صحيح. ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾: تمنى أن يعلم قومه أن الله تعالى غفر له، وأكرمه؛ ليرغبوا في دين الرسل. فلما قتل

غضب الله عز وجل له، فعجل لهم العقوبة، فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام، فصاح بهم صيحة واحدة، فماتوا عن آخرهم.

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي...﴾ إلخ: انظر الإعراب يتضح لك المعنى. قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ وبعد مماته بقوله: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا...﴾ إلخ. وقال سفيان الثوري عن أبي مجلز: معنى ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بإيماني بربي، وتصديقي المرسلين. ومقصوده: أنهم لو اطلعوا على ما حصل له من الثواب، والجزاء، والنعيم المقيم؛ لقادهم ذلك إلى اتباعه. فرحمه الله، ورضي عنه، فلقد كان حريصاً على هداية قومه. قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً، لا تلقاه غاشاً، لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى؛ ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ...﴾ إلخ.

وقال محمد بن إسحاق عن كعب الأحبار: أنه ذكر له (حبيب بن زيد) الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة، حين جعل يسأله عن رسول الله ﷺ، فجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم، ثم يقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فيقول له مسيلمة - لعنه الله - أتسمع هذا؛ ولا تسمع ذاك؟! فيقول: نعم. فجعل يقطعه عضواً عضواً، كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات بين يديه، فقال كعب حين قيل له: اسمه حبيب: وكان والله صاحب يس اسمه: حبيب!.

وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار، وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به، والدعاء عليه، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل، وهم كفرة عبدة أصنام. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱدۡخُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب عندهم انتصاب المفعول به على السعة، بإجراء اللازم مجرى المتعدي. وقل مثل ذلك في: (دخلت المدينة، ونزلت البلد، وسكنت الشام). والجملة الفعلية: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾، وهذا على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول، (يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه) وهذا لا غبار عليه. هذا؛ وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وقيل قول. وقيل: الجار والمجرور المقدر بـ: «له» في محل رفع نائب فاعل، والمعتمد الأول، وأيده ابن هشام في المغني؛ حيث قال: إن الجملة التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات، ولهذا تقع مبتدأ، نحو:

(لا حول، ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة) ونحو: (زعموا مطيةُ الكذب)، والجملة الفعلية: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (رجل) تقديره: «هو». (يا): حرف تنبيه. وقيل: أداة النداء، والمنادى محذوف، والمعتمد الأول. (ليت): حرف مشبه بالفعل. ﴿قَوْمِي﴾: اسم (ليت) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة إلخ، والياء ضمير متصل في محل نصب جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في محل رفع خبر: (ليت)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿يَعْلَمُونَ﴾، وهما في المعنى مفعوله. ﴿غَفَرَ﴾: فعل ماض. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿رَبِّي﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: يعلمون بالذي غفره لي ربي. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، التقدير: يعلمون بغفران ربي لي ذنوبي.

هذا؛ وأجاز الفراء اعتبار (ما) استفهامية فيها معنى التعجب، كأنه قال: ليت قومي يعلمون بأي شيء غفر لي ربي. واعترضه الكسائي، فقال: لو صح هذا؛ لقال: «بم» من غير ألف، كقوله تعالى: ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾. وقال الفراء: يجوز أن يقال: «بما» بالألف، وهو استفهام، وأنشد فيه أبياتاً، أقول من ذلك قول حسان رضي الله عنه: [الوافر]

عَلَى مَا قَامَ يَشْتِمُنِي لَئِيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي دَمَانِ؟

وهذا هو الشاهد رقم [٥٥٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وأيضاً قول كعب بن مالك رضي الله عنه، وهو الشاهد [٥٥٧] من كتابنا المذكور: [البسيط]

أَنَّا قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمُو ... أَهْلَ اللِّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ الْقِيلُ؟

وعليه يكون الإعراب كما يلي: الباء: حرف جر، و(ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل بعدهما، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به، وعليه فالفعل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ معلق عن العمل لفظاً بـ: (ما) الاستفهامية. ﴿وَجَعَلَنِي﴾: الواو: حرف عطف. (جعلني): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّي﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات، التي رأيتها في فعلها. ﴿مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في المعنى مفعوله الثاني، وأجيز اعتبار الباء زائدة على جميع الاعتبارات. تأمل.

الجزء ٢٣

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ...﴾ إلخ: الضمير يعود إلى حبيب النجار الذي كان الكلام فيه، يخبر الله تعالى أنه انتقم لحبيب من قومه بعد قتلهم إياه، غضباً منه تبارك وتعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليه. ويذكر الله عز وجل: أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم؛ بل الأمر كان أيسر من ذلك. قاله ابن مسعود، رضي الله عنه. انتهى. مختصر ابن كثير.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر، والخندق؟ فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾، وقال جل ذكره: ﴿مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾. وقال تعالت حكمته: ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾. وقال تمت كلمته: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾؟. الأولى من سورة (الأحزاب)، والثانية من سورة (الأنفال)، والثالثة، والرابعة من سورة (آل عمران).

قلت: إنما كان يكفي ملك واحد، فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلاد ثمود، وقوم صالح بصيحة، ولكن الله فضل محمداً ﷺ بكل شيء على سائر الأنبياء، وأولي العزم من الرسل، فضلاً عن حبيب النجار، وأولاه من أسباب الكرامة، والإعزاز ما لم يوله أحداً، فمن ذلك: أنه أنزل له جنوداً من السماء، وكأنه تعالى أشار بقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾، ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهَّل لها إلا مثلك، وما كنا نفعل لغيرك يا محمد!. انتهى. بتصرف.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿قَوْمِهِۦ﴾ وهو أولى من تعليقهما بالفعل السابق، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿جُندٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿جُندٍ﴾، والجملة الفعلية: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿مُنزِلِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وأجاز كثيرون اعتبار (ما) الثانية صلة، والمعنى: قد كنا منزلين، وعليه فالجملة الفعلية في محل نصب حال، والرابط: الواو، والضمير. وقيل: (ما) بمعنى «الذي» معطوفة على: ﴿جُندٍ﴾، وهو ضعيف معنىً، وإعراباً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: قال المفسرون: أخذ جبريل ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ بعضادتي باب المدينة، وصاح بهم صيحة واحدة. ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾: ميتون خمداً كما تخمد النار، فتعود رماداً. ففيه تشبيه بليغ، كما قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ ... يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

هذا؛ ويقرأ برفع (صيحة) أيضاً على اعتبار (كان) تامة، ومثلها الآية رقم [٥٣] الآتية، والإعراب يوضح ذلك. ولعلك تدرك معي: أن الله تعالى لم يصرح باسم البلدة، التي حصل فيها ما حصل، ولم يصرح باسم الشخص الذي دعا أهلها إلى عبادة الله تعالى، ولا باسم الرسل الكرام؛ لأن كل ذلك ليس هو الهدف والغاية من القصة؛ لأن القصد منها التذكير، والاعتبار. وهذا من محاسن القرآن الكريم، وبلاغته الخارقة في الإيجاز في القصص، والأخبار، والإشارة إلى روح القصة وسرِّها. وهذا؛ واضح وجلي في كل ما قص علينا من قصص. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿كَانَتْ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها محذوف، يفهم من المقام. التقدير: ما كانت العقوبة،أو الأخذة النازلة بهم. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿صَيْحَةً﴾: خبر (كان) وعلى قراءتها بالرفع فهي فاعل: ﴿كَانَتْ﴾ على اعتبارها بمعنى: حصلت، ووقعت. ﴿وَاحِدَةً﴾: صفة: ﴿صَيْحَةً﴾ على القراءتين. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف وتعقيب، وخذ ما قاله السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ فيها: اختلف في هذه الفاء. فقال المازني: هي زائدة لازمة للتأكيد؛ لأن «إذا» الفجائية فيها معنى الإتباع، ولذا وقعت في جواب الشرط موقع الفاء، وهذا ما اختاره ابن جني،وقال مَبْرُمَان: هي عاطفة لجملة: (إذا) ومدخولها على الجملة قبلها. واختاره الشلوبين الصغير، وأيده أبو حيان بوقوع ﴿ثُمَّ﴾ موقعها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ...﴾. وقال الزجاج: دخلت على حد دخولها في جواب الشرط. انتهى. أي: فهي للسببية المحضة. وفي مغني اللبيب نحو هذا.

(إذا): كلمة دالة على المفاجأة هنا، وهي تختص بالدخول على الجملة الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، نحو: خرجت، فإذا الأسد بالباب. وهي حرف عند الأخفش، وابن مالك، ويرجحه: (خرجت فإذا إن زيداً بالباب) لأن «إنَّ» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وظرف مكان عند المبرد، وابن عصفور، وظرف زمان عند الزجاج، والزمخشري. وزعم الأخير: أن عاملها فعل مشتق من لفظ المفاجأة. ولا يعرف هذا

لغير الزمخشري. وإنما ناصبها عندهم الخبر المذكور في نحو: «خرجت فإذا زيد جالس»، أو المقدر في نحو: «فإذا الأسد» أي: حاضر، وإذا قدرت: أنها الخبر؛ فعاملها: مستقر، أو: استقر، ولم يقع الخبر معها في التنـزيل إلا مصرحاً به. انتهى. ملخصاً من المغني. وعلى اعتبارها ظرف مكان، أو زمان، لا أجد لها متعلقاً هنا إلا بالتقدير: فهلكوا إذا هم إلخ، وتعليقها بـ: ﴿خَـٰمِدُونَ﴾ كما رأيت في المثال المتقدم، لا يعطي المعنى الذي أعطاه هذا التقدير. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿خَـٰمِدُونَ﴾: خبره مرفوع إلخ، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على التقدير الذي قدرته، وعليه فالجملة المقدرة معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها؛ لأن الأولى مستأنفة، وعلى تعليقها بـ: ﴿خَـٰمِدُونَ﴾، فتبقى الجملة الاسمية معطوفة على الفعلية قبلها، وأيضاً على اعتبار (إذا) حرفاً؛ فالجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ أي: يا ويل العباد. وقال قتادة: المعنى: يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعتْ من أمر الله، وفرطتْ في جنب الله. قال الخازن: يعني: يا لها حسرة، وندامة، وكآبة على العباد. والحسرة أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية له؛ حتى يبقى قلبه حسيراً. قيل: تحسروا على أنفسهم لما عاينوا العذاب؛ حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة، فتمنَّوا الإيمان؛ حيث لم ينفعهم. وقيل: تتحسَّر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل. وقيل: يقول الله تعالى: يا حسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل. انتهى. هذا؛ واختلفت الروايات بشأن الرسل، هل قتلوا مع حبيب النجار، أم لا؟ وخذ ما يلي:

قال المفسرون: بعث الله تعالى إليهم جبريل، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فأخذ بعضادتيْ باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم خامدون عن آخرهم. لم تبق بهم روح تتردد في جسد. وقد تقدم عن كثير من السلف: أن هذه القرية هي أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من قبل المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام. كما نص عليه قتادة، وغيره. وفي ذلك نظر من وجوه:

أحدها: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل، لا من جهة المسيح عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ...﴾ إلخ ولو كان هؤلاء من الحواريين؛ لقالوا عبارة تناسب: أنهم من عند المسيح عليه السلام، ثم لو كانوا رسل المسيح؛ لما قالوا لهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانت أول مدينة آمنت بالمسيح، ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربع اللاتي فيهنَّ «بتاركة» وهن: القدس؛ لأنها بلد

المسيح، وأنطاكية؛ لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والاسكندرية؛ لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة، والمطارنة، والأساقفة، والقساوسة، ثم رومية؛ لأنها مدينة الملك قسطنطين؛ الذي نصر دينهم، وأوطده. فإذا تقرر: أن أنطاكية أول مدينة آمنت؛ فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم. والله أعلم.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر غير واحد من السلف: أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم؛ بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين. ذكروه عند قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الآية رقم [٤٣] من سورة (القصص).

فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً، أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى، غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف: أنها أهلكت، لا في الملة النصرانية، ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى. مختصر ابن كثير بحروفه.

الإعراب: (يا): أداة نداء، تنوب مناب: أدعو. (حسرة): منادى، ونداء الحسرة مجاز؛ لأنها لا يتأتى منها الإقبال، وإنما المعنى على المبالغة في شدة التحسر، وكأنهم نادوا الحسرة، وقالوا: إن كان لك وقت؛ فهذا أوان حضورك. ومثله: يا ويلتا، ونحوه. وعليه: فالجار والمجرور متعلقان بـ: (حسرة) فيكون المنادى شبيهاً بالمضاف، وبسبب ذلك نون، كما قرئ شاذاً: (يا حسرة العباد) بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، أو لمفعوله. هذا؛ ويجوز أن يكون المنادى محذوفاً، و: (حسرة) مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، التقدير: يا هؤلاء ونحوه أتحسر حسرةً. هذا؛ ولا يجوز هذا الاعتبار بقوله تعالى حكاية عن قول الكافرين: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الآية رقم [٣١] من سورة (الأنعام)، وقوله تعالى في الآية رقم [٥٦] من سورة (الزمر): ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَأْتِيهِم﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والهاء مفعول به. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿رَّسُولٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلْعِبَادِ﴾ والرابط الضمير. وقال أبو البقاء: الجملة تفسير سبب الحسرة. وقال الجمل: مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، وجملة: «يستهزئون به» في محل نصب خبر: ﴿كَانُوا۟﴾، والجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿رَّسُولٍ﴾ والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير: «قد» قبلها، وساغ مجيء

الحال من ﴿رَّسُولٍ﴾ وهو نكرة لتقدم النفي عليه. وقيل: في محل نصب حال من الضمير المنصوب مستثنى من عموم الأحوال، والكلام: ﴿يَحَسْرَةً...﴾ إلخ كله مستأنف، لا محل له.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ...﴾ إلخ: أي: ألم يتعظ كفار قريش، ويعتبروا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل؛ كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة؟! وهذا يرد على أهل الزيغ والضلال، الذين يقولون بالرجعة، يحكى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قيل له: إن قوماً يزعمون: أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: بئس القوم نحن إذاً! نكحنا نساءه، وقسمنا ميراثه.

هذا؛ و﴿الْقُرُونِ﴾ جمع: قرن بفتح القاف، وسكون الراء مئة سنة على الصحيح. وقيل: ثمانون. وقيل: ثلاثون. ويقال: القرن في الناس: أهل زمان واحد، وهو المراد في الآية الكريمة، ونحوها. وقال الرسول ﷺ: «**خَيْرُ القرونِ قرني**». ومنه قول الشاعر: [الطويل]

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ، الَّذِي أَنْتَ فِيهِمُو ... وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

وخذ قول لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ ... لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرونُ الأوائِلُ

والقرن بفتح القاف: الزيادة العظيمة، التي تنبت في رؤوس بعض الحيوانات، ومنه: إسكندر ذو القرنين. والقرن الجبل الصغير. وذؤابة المرأة من الشعر. والقرن من القوم: سيدهم، ومن السيف: حدُّه، ونصله، وجمعه في كل ما تقدم قرون. هذا؛ وهو بكسر القاف، وسكون الراء: الكفؤ في الشجاعة، والعلم، ونحوهما، والجمع على هذا: أقران.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعله، والألف للتفريق. ﴿كَمْ﴾: خبرية بمعنى كثير مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿يَرَوْا﴾ المعلق عن العمل لفظاً بسبب ﴿كَمْ﴾ الخبرية؛ لأنها مثل الاستفهامية في تعليق الأفعال. ﴿قَبْلَهُم﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة. هذا؛ وإن علقتهما بالفعل: ﴿أَهْلَكْنَا﴾ فالظرف متعلق بمحذوف حال من القرون، وهو قوي معنىً. والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ يَرَوْا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: جار

ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْجِعُونَ﴾: فعل مضارع إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب بدلاً من معنى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا...﴾ إلخ بدل اشتمال، أو بدل كل من كل، وأجيز اعتباره في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: قضينا، وحكمنا أنهم إليهم لا يرجعون. وقال الجمل: ويدل على هذا قراءة ابن عباس، والحسن: (إنهم) بكسر الهمزة على الاستئناف، والاستئناف قطع لهذه الجملة عما قبلها، فهو مقوٍّ لأن تكون الجملة معمولة لفعل محذوف يقتضي انقطاعها عما قبلها. انتهى.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن كُلٌّ...﴾ إلخ: المعنى: أن كلهم محشورون، مجموعون، محضرون للحساب، والجزاء يوم القيامة. وقيل: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ معذبون. وإنما أخبر بـ: ﴿جَمِيعٌ﴾ عن ﴿كُلٌّ﴾؛ لأن كلاً يفيد معنى الإحاطة، والشمول، فلا ينفلت منهم أحد، والجميع معناه: الاجتماع، وأن المحشر يجمعهم. والجميع: فعيل بمعنى مفعول، يقال: حي جميع، وجاؤوا جميعاً. هذا؛ وقرئ بتشديد ميم: ﴿لَّمَّا﴾ وتخفيفها. ومعنى الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ الآية رقم [١١٢] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ. ﴿لَّمَّا﴾: اللام: هي الفارقة بين المهملة، والعاملة، أو الفارقة بين النفي، والإثبات. (ما): صلة لا عمل لها. ﴿جَمِيعٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَّدَيْنَا﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء لاتصاله بـ: (نا) التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مُحْضَرُونَ﴾: صفة ﴿جَمِيعٌ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو إلخ. وقيل: ﴿مُحْضَرُونَ﴾: خبر ثان للمبتدأ. هذا؛ وعلى قراءة ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد فهي بمعنى: «إلا» وإن نفي بمعنى: «ما» والمعنى: ما كل إلا جميع محضرون لدينا. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الطارق: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾. والآية رقم [٣٥] من سورة (الزخرف): ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وخذ قول الشاعر، وهو الشاهد رقم (٥١٥) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

قَالَتْ لَهُ بِاللهِ يَا ذَا الْبُرْدَيْنِ لَمَّا غَنِثْتَ نَفَساً أو اثْنَيْنِ

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾: علامة لأهل مكة على قدرة الله تعالى بأنه يعيد ابن آدم بعد موته يوم القيامة، ويحييه كما يحيي الأرض الميتة بعد موتها بإخراج النبات منها بسبب نزول المطر عليها،

كما قال تعالى في سورة (الحج): ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾. ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: القمح، والشعير، ونحوهما. ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾: قدم الجار والمجرور للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل منه، ويعاش به، وينتفع به الإنس، وإذا قلَّ؛ جاء القحط، ووقع الضرر، وإذا فقد؛ حضر الهلاك، ونزل البلاء.

الإعراب: ﴿وَءَايَةٌ﴾: الواو: حرف استئناف. (آية): خبر مقدم. ﴿لَّهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: (آية). ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾: صفة: ﴿ٱلْأَرْضُ﴾. ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ٱلْأَرْضُ﴾. والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير: «قد» قبلها، وأجاز الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي وجهين: الأول: الاستئناف. والثاني: اعتبار الجملة صفة لـ: ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ لأنه أريد بها الجنس لا أرض بعينها، فعوملت معاملة النكرة في وصفها بالأفعال، ومثلها الآية رقم [٣٧] الآتية، وقول رجل من بني سلول: [الكامل]

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي ... فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَعْنِينِي

وهذا هو الشاهد رقم [١٥٢] من كتابنا فتح القريب المجيب. وينبغي أن تفرق معي بين الآية التي نحن بصدد شرحها، والآية الآتية، والبيت، فإن الآية التي نحن بصدد شرحها قد وصفت ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ فيها بـ: ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾، والوصف وحده يجيز مجيء الحال من النكرة، كيف؛ و﴿ٱلْأَرْضُ﴾ مقرونة بأل، ووصفت بـ: ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾. هذا؛ وأجاز مكي، وأبو البقاء اعتبار (آية) مبتدأ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبره. و﴿ٱلْأَرْضُ﴾ مبتدأ، وجملة: ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية برمتها تفسير للجملة الأولى، أو تفسير لـ: (آيةٌ) وحدها.

(أخرجنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، على جميع الاعتبارات فيها. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿حَبًّا﴾: مفعول به. ﴿فَمِنْهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (منه): متعلقان بما بعدهما على أنهما مفعوله، وجملة: «يأكلون منه» معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ﴾: بساتين، جمع: جنة بفتح الجيم، سميت بذلك لكثرة أشجارها، ولأنها تستر ما فيها. وسميت جنة عدن لذلك. هذا؛ والجنة بكسر الجيم: الجنون، سمي بذلك؛ لأنه يغطي العقل، ويذهب به، والجنة بكسر الجيم أيضاً الجن، سموا بذلك؛ لأنهم يستترون عن أعين الناس. قال تعالى في سورة (الناس): ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾. وهو بضم الجيم كل ما استترت به، وكل

ما وقيت به نفسك من السلاح، وغيره، ومنه: المجن، والمجنة بكسر الميم فيهما، وهو الترس الذي كان يتخذ للوقاية من ضربات السيوف، والرماح. ﴿نَّخِيلٍ﴾: فيه قولان: أحدهما: أنه اسم جمع، واحده: نخلة. والثاني: أنه جمع: نخل؛ الذي هو اسم جنس. (أعناب): جمع: عنب الذي هو اسم جنس، واحده: عنبة. هذا؛ وإنما خص الله هذين النوعين بالذكر من بين سائر الأشجار تغليباً لهما لشرفهما، وكثرة منافعهما. وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب، والأعناب، لاختصاص شجرها بمزيد النفع، وآثار الصنع.

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ أي: جعلنا في الجنات أنهاراً جارية في أمكنة يحتاجون فيها. هذا؛ و﴿ٱلْعُيُونِ﴾ جمع: عين، وانظر ما ذكرته في آية (السجدة) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ و(نا) في قوله تعالى: (جعلنا وفجرنا) ونحوهما فقد قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»: وقوله تعالى: (جعلنا وهبْنا، نحن، إنَّا) لفظ يقع في جميع اللغات على من له شركاء، وأمثال، وعلى الواحد العظيم المطاع، الذي له أعوان يطيعونه، وإن لم يكونوا له شركاء، ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك، أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنوده، فإذا كان الواحد من الملوك، يقول: فعلنا وإنا، ونحن... إلخ ولا يريدون: أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء، ومليكه هو أحق أن يقول: فعلنا، ونحن، وإنا... إلخ، مع أنه ليس له شريك، ولا مثل؛ بل له جنود السموات، والأرض. انتهى.

أقول: و: «نا» هذه تسمى نون العظمة، وليست دالة على الجماعة، كما يزعم الملحدون، والكافرون، فالله لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكثيراً ما يتكلم بها العبد، ذكراً كان، أو أنثى، فيقول: أخذنا، وأعطينا إلخ، وليس معه أحد. والغاية من هذا الكلام الرد على النصارى الذين يدخلون الشبهة على السذج من المسلمين بأن الإله ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس، ويدعمون شبهتهم هذه بالألفاظ الموجودة في القرآن، والتي ظاهرها يفيد الجمع، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿وَأَعْنَٰبٍ﴾: معطوفة على ما قبله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات فيهن. ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، والمفعول محذوف، التقدير: وفجرنا فيها ينبوعاً، أو: ما ينتفعون به. ﴿مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة على التقدير الأول، وفي محل نصب حال من «ما» على التقدير الثاني، و﴿مِنَ﴾ بيان للإبهام. هذا؛ وأجاز الأخفش اعتبارها زائدة في الإيجاب، وعليه ف: ﴿ٱلْعُيُونِ﴾ هي المفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ أي: من ثمر النخيل، والأعناب. وأعاد الضمير عليهما مفرداً، لتأويلهما بالمذكور. وقيل: يعود الضمير إلى ماء العيون. و(ثمر) مفرده ثمرة، مثل: شجرة، وشجر، ويجمع (ثمر) بفتحتين على: ثمار، كجبل، وجبال، ويجمع «ثمار» على: ثمر بضمتين، ككتاب، وكتب، وجمع ثمر على: أثمار، كعنق، وأعناق. وانظر ما ذكرته في الشاهد رقم (٢٣١) من كتابنا فتح القريب المجيب؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: أجيز اعتبار (ما) موصولة معطوفة على ﴿ثَمَرِهِۦ﴾. وأجيز اعتبارها نافية، وعليه يختلف المعنى، فيكون المعنى على الأول: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ والذي عملته أيديهم من الزرع، والغرس الذي تعبوا فيه. وعلى الثاني: لم تعمله أيديهم، وليس من صنيعهم؛ بل وجدوها معمولة، أي: مصنوعة. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: الله على نعمه.

هذا؛ و﴿أَيْدِيهِمْ﴾ جمع: يد، وهي تطلق على الجارحة بداهة، وتطلق، ويراد بها: القوة، والقدرة، كما في قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قدرة الله فوق قدرتهم، كما تطلق على النعمة، والمعروف، يقال: لفلان عندي يد، أي: نعمة، ومعروف، وتطلق على الحيلة، والتدبير، فيقال: لا يد لي في هذا الأمر؛ أي: لا حيلة لي فيه، ولا تدبير. هذا؛ وأصل يد: (يديٌ) فحذفت منه الياء، والدليل على ذلك ردها إليه في الجمع، فنقول: الأيدي، كما في الآية الكريمة، وكذلك ترد إليه في التصغير، فنقول: يُدَيُّ؛ لأن التكسير، والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها.

الإعراب: ﴿لِيَأْكُلُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن ثَمَرِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله في المعنى، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (جعلنا) على الاعتبار الأول في الضمير، ومتعلقان بالفعل: (فجرنا) على الاعتبار الثاني في عود الضمير. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): موصولة، أو موصوفة، أو مصدرية، فعلى الأول والثاني مبنية على السكون في محل جر معطوفة على: ﴿ثَمَرِهِۦ﴾، أو في محل نصب معطوفة على محل الجار والمجرور. ﴿عَمِلَتْهُ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والهاء مفعول به. ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير الواقع مفعولاً به، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر، أو في محل نصب معطوف على ما قبله. هذا؛ وعلى اعتبار (ما) نافية فالجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي، الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَشْكُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع إلخ، والواو فاعله، والمفعول محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أيرون هذه النعم، أو يتنعمون بهذه النعم، فلا يشكرونها، والكلام كله مستأنف، لا محل له.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: نزه الله نفسه عن قول الكفار؛ إذ عبدوا غيره مع ما رأوه من نعمه، وآثار قدرته. وفيه معنى الأمر، أي: سبحوه، ونزهوه عما لا يليق به. وقيل: فيه معنى التعجب، أي: عجباً لهؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات! ومن تعجب من شيء قال: سبحان الله! و﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأنواع، والأصناف، فكل زوج صنف؛ لأنه مختلف في الألوان، والطعوم، والأشكال، والصغر، والكبر، فاختلافها هو ازدواجها. وقال قتادة: يعني: الذكر، والأنثى. انتهى. قرطبي.

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾: من النبات، وأنواع الشجر. ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: وخلق منهم أزواجاً ذكوراً، وإناثاً. ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من أصناف خلقه في البر، والبحر، والسماء، والأرض. ثم يجوز أن يكون مما يخلقه لا يعلمه البشر، وتعلمه الملائكة. ويجوز أن لا يعلمه مخلوق. ووجه الاستدلال في هذه الآية: أنه إذا انفرد بالخلق، فلا ينبغي أن يشرك به.

قال محمد علي الصابوني: سبحان الله ما أعظم قدرة الله، لقد كان السائد: أن الزوجية إنما تكون بين الإنسان، والحيوان فقط، وجاء القرآن بالمعجزة الباهرة المثبتة لما اكتشفه العلم الحديث منذ زمن قريب، وهي: أن الزوجية بين الإنسان، والحيوان، والنبات، والذرة، وسائر الكائنات، فقد ثبت: أن الذرة وهي أصغر أجزاء المادة، مؤلفة من زوجين مختلفين من الإشعاع الكهربائي: سالب، وموجب يتزاوجان، ويتحدان، وأن بين النبات أعضاء مذكرة، وأعضاء مؤنثة. فسبحان العلي القدير القائل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ...﴾ إلخ انتهى. هذا؛ وقال تعالى في سورة (الذاريات): ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فهذه الآية الكريمة عممت الزوجية في النبات، والإنسان وفي كل شيء مما نعلمه، ومما لا نعلمه، فسبحان الإله القدير العليم الذي أحاط علمه بكل الأكوان، وأحصى كل شيء عدداً. انتهى.

الإعراب: ﴿سُبْحَٰنَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف لم يذكر. و﴿سُبْحَٰنَ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض،

والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد. ﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: مفعول به. ﴿كُلَّهَا﴾: توكيد، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والكلام ﴿سُبْحَٰنَ...﴾ إلخ مستأنف، لا محل له. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الأزواج، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿تُنۢبِتُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي، أو: من شيء تنبته الأرض. ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿وَمِمَّا﴾: جار ومجرور معطوفان على مثلهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي، أو: من شيء لا يعلمونه.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: المعنى: وعلامة ثانية لأهل مكة، ومن لف لفهم من المشركين دالة على قدرة الله، ووحدانيته، وبأنه جلت حكمته قادر على إعادة الأموات بعد فنائها، ويحييها يوم القيامة للحساب، والجزاء كما يسلخ الليل من النهار. والعكس صحيح. هذا؛ والسلخ: الكشط، والنزع. يقال: سلخه الله من دينه. ثم تستعمل بمعنى الإخراج، ففي الكلام استعارة تصريحية، شبه الله إزالة ضوء النهار، وانكشاف ظلمة الليل بسلخ الجلد عن الشاة، ونحوها، واستعارة اسم السلخ للإزالة، والإخراج، واشتق منه: ﴿نَسْلَخُ﴾ بمعنى: نخرج منه النهار بطريق الاستعارة التصريحية. وهذا من بليغ الاستعارة. وبين الليل، والنهار طباق. ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظلام، يقال: أظلمنا؛ أي: دخلنا في ظلام الليل، وأظهرنا: دخلنا في وقت الظهر، وكذلك: أصبحنا، وأضحينا، وأمسينا.

هذا؛ والليل واحد بمعنى الجمع، واحده: ليلة، مثل: تمر، وتمرة، وقد جمع على: ليال، فزادوا فيه الياء على غير قياس، ونظيره: أهل، وأهال، والليل الشرعي: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق، وهو أحد القولين في اللغة، والقول الآخر: من غروبها إلى طلوعها. هذا؛ والنهار: ضد الليل، وهو لا يجمع كما لا يجمع العذاب، والسراب، فإن جمعته قلت في الكثير: نُهُر، بضمتين، كسحاب، وسحب، وأنشد ابن كيسان: [الرجز]

لَوْلَا الثَّرِيدانِ لَمُتْنَا بِالضُّمُرْ ... ثَرِيدُ لَيْلٍ، وَثَرِيدٌ بِالنُّهُرْ

وفي القليل: أنهر. والنهار: من طلوع الشمس، أو من طلوع الفجر ـ على ما تقدم في نهاية الليل ـ إلىٰ غروب الشمس. وقد يطلق عليهما: اليوم. هذا؛ والليل يطلق على الحبارى، أو على فرخها، وفرخ الكروان، والنهار يطلق على فرخ القطا. انتهى. قاموس. وقد ألغز بعضهم بقوله: [الوافر]

إذا شَـهْـرُ الـصِّـيَـامِ إِلَـيْـكَ وَافَـى فَـكُـلْ مَـا شِـئْـتَ لَـيْـلاً أَوْ نَـهَـارا

كما ألغز بعضهم بقصب السكر، فقال: [الطويل]

مُـهَـفْـهَـفَـةُ الأعـطـافِ عـذبٌ مَـذَاقُـهـا تـفـوقُ الـقَـنـا لـكِـنْ بِـغـيـرِ سِـنَـانِ

ويـأخـذُ كُـلُّ الـنـاسِ مـنـهـا مَـنَـافِـعـاً وَتُـؤكَـلُ بَـعْـدَ الـعـصـرِ فـي رَمَـضَـانِ

هذا؛ ويطلق على الليل والنهار اسم الجديدين، قالت الخنساء رضي الله عنها: [البسيط]

إنَّ الْـجَـدِيـدَيْـنِ فـي طـولِ اخـتـلافِـهِـمَـا لا يَـفْـسُـدَانِ ولـكِـنْ يَـفْـسُـدُ الـنَّـاسُ

أما (آية) فإنها تطلق على معان كثيرة: الدلالة: كما في هذه الآية ونحوها. وتطلق على المعجزة: مثل انشقاق القمر، ونحوه، وعصا موسى، ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾. وتطلق على الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾. كما تطلق على جملتين، أو أكثر من كلام الله تعالى، وعلى السورة بكاملها، وهو كثير.

الإعراب: (آيةٌ): خبر مقدم. ﴿لَّهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: (آية). ﴿ٱلَّيْلُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على مثلها في الآية رقم [٣٣]. ﴿نَسْلَخُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلنَّهَارَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ٱلَّيْلُ﴾ على اعتبار (أل) فيه للتعريف، والعامل في الحال: (آية) لما فيها من معنى للدلالة، أو في محل رفع صفة: ﴿ٱلَّيْلُ﴾ على اعتبار (أل) فيه للجنس، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾، حيث إن جملة ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ تصلح لأن تكون حالاً من الحمار، وأن تكون نعتاً له. ومثل الآيتين قول رجل من بني سلول، وهو الشاهد رقم (١٥٢) من كتابنا «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

وَلَـقَـدْ أَمُـرُّ عَـلَـى الـلَّـئِـيـمِ يَـسُـبُّـنِـي فَـمَـضَـيْـتُ ثُـمَّـتَ قُـلْـتُ: لَا يَـعْـنِـيـنِـي

فجملة: «يسبني» تصلح لأن تكون نعتاً للئيم، وأن تكون حالاً منه. ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ في الآية رقم [٢٩].

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: وآية أخرى لهم الشمس تسير بقدرة الله في فلك لا تتجاوزه، ولا تتخطاه لزمن تستقر فيه، ولوقت تنتهي إليه، وهو يوم القيامة حيث ينقطع جريانها عند خراب العالم. وقال ابن كثير: وفي قوله تعالى: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ قولان:

أحدهما: أن المراد مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب وهي أينما كانت فهي تحت العرش، هي وجميع المخلوقات؛ لأنه سقفها، فحينئذ تسجد، وتستأذن في الطلوع، كما جاءت بذلك الأحاديث. روى البخاري عن أبي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: كنتُ مع النبي ﷺ، في المسجدِ عِنْدَ غُروبِ الشمس، فقال ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أَيْنَ تغربُ الشمْسُ؟**». قُلْتُ: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**فإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُد تحتَ العرشِ، فَتَسْتأذِنُ، فيُؤْذَنُ لها. ويوشكُ أن تسجدَ، فلا يُقْبَلُ منها، وتَسْتَأذِن، فلا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا**». فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ...﴾ إلخ.

والقول الثاني: أن المراد بـ: «مستقرها» هو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها، وتسكن حركتها، وتُكَوَّر، وينتهي العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني، قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ أي لوقتها، ولأجل لا تعدوه. هذا؛ وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: (لا مُسْتَقَرَّ لها) أي: لا قرار لها، ولا سكون؛ بل هي سائرة ليلاً نهاراً، لا تفتر، ولا تقف، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ﴾ الآية رقم [٣٣] من سورة (إبراهيم)، أي: لا يفتران، ولا يقفان إلى يوم القيامة. انتهى.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ أي: ذلك الجري، وذلك الدوران بانتظام، وبحساب دقيق هو تقدير القوي القادر الغالب على أمره، العليم بكل شيء صغيراً كان، أو كبيراً، سراً كان، أو جهراً.

هذا؛ وجاء في الظلال للشهيد ما يلي: والشمس تدور حول نفسها، وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها، الذي تدور فيه، ولكن عرف أخيراً: أنها غير مستقرة في مكانها، إنما هي تجري فعلاً في اتجاه واحد في الفضاء الكوني، الهائل بسرعة، حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية، والله ربها الخبير بها، وبجريانها يقول: إنها ﴿تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ هذا المستقر الذي تنتهي إليه، لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه، وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء، لا يسندها شيء، نُدرك طرفاً من هذه القدرة، التي تُصَرِّف هذا الوجود عن قوة، وعن علم. وصدق الله إذ يقول: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾. انتهى. صفوة التفاسير للصابوني.

هذا؛ وجاء في الكشاف ما يلي: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾: لحد لها مؤقت مقدر، تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة، شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره، أو لمنتهى لها من المشارق، والمغارب؛ لأنها تتقصاها مشرقاً مشرقاً، ومغرباً مغرباً، حتى تبلغ أقصاها، ثم ترجع، فذلك حدها، ومستقرها؛ لأنها لا تعدوه. أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا، وهو المغرب. وقيل: مستقرها: أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها، فاستقرت عليه، وهو آخر السنة. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ والثابت: أن الشمس إذا غربت في ناحية من الأرض؛ تشرق على ناحية أخرى، مما يدل على أنها لا تقف أبداً، ويؤيد هذا القول ما قاله الفقهاء في باب مواقيت الصلاة من أن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات، والنواحي، فقد يكون المغرب عندنا عصراً عند آخرين، ويكون الظهر عندنا صبحاً عند آخرين، وهكذا. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿وَٱلشَّمْسُ﴾: يجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله، فيكون التقدير: وآية لهم الشمس، وعليه فالإعراب مثله في الآية رقم [٣٣]. ويجوز أن يكون (الشمس) مرفوعاً بفعل محذوف يفسره الثاني. ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء، والجملة الفعلية بعده خبره، التقدير: والشمس جارية. اعتبارات ذكرها القرطبي، والثاني ضعيف معنىً، تأمل. ﴿لِمُسْتَقَرٍّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَّهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (مستقر)، أو بمحذوف صفة له. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿تَقْدِيرُ﴾: خبر المبتدأ. وهو مضاف، و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: بدل مما قبله، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ...﴾ إلخ: أي: قدرنا له منازل، أو: قدرنا مسيره في منازل، مثل قوله تعالى في سورة (المطففين): ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ فإن الأصل: كالوا لهم، أو وزنوا لهم. والمنازل ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل كل ليلة في منزل منها، لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين، أو ليلة إذا نقص، فإذا كان في آخر منازله رقَّ، وتقوَّس، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ وهو العود الذي عليه شماريخ العذق إلى منبته من النخلة، و﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ الذي أتى عليه الحول، فإذا قدم؛ عتق، ويبس، وتقوَّس، واصفر، فشبه به القمر عند انتهائه إلى آخر منازله، فوجه الشبه فيه مركب، وهو الاصفرار، والدقة، والاعوجاج. وهذا التشبيه يسمى مجملاً، فقد أجمل وجه الشبه في العرجون القديم. والعرجون القديم غصن النخل اليابس، وهذا اللفظ لم يذكر في غير هذه السورة.

قال ابن كثير: جعل الله القمر لمعرفة الشهور، كما جعل الشمس لمعرفة الليل والنهار، وفاوت بين سير الشمس، وسير القمر، فالشمس تطلع كل يوم، وتغرب في آخره، وتنتقل في مطالعها، ومغاربها صيفاً وشتاءً، يطول بسبب ذلك النهار، ويقصر الليل، ثم يطول الليل، ويقصر النهار، وهو كوكب نهاري: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾. ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾، وأما القمر فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور، ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية، ويرتفع منزلةً، ثم كلما ارتفع؛ ازداد نوره، وضياؤه؛ حتى يتكامل

نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم. انتهى.

تنبيه: قال الله تعالى في الآية رقم [٥] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ وقال تبارك وتعالى في الآية رقم [١٢] من سورة (الإسراء): ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾. وقال جل شأنه في الآية رقم [١٨٩] من سورة (البقرة): ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ...﴾ إلخ انظر شرح هذه الآيات في محالِّها تجد: أن العبادات الإسلامية والمعاملات كلها مرتبط بحركة القمر الدورانية، لا دخل للعبد في صنع شيء من ذلك. فالحمد لله على ما أنعم، وأعطى. وتكرم!

بقي أن تعرف منازل القمر الثمانية والعشرين بأسمائها، وهي مواقع النجوم؛ التي نسبت إليها العرب الأنواء الماطرة، وهي: (الشَّرطان، الْبُطَيْن، الثُّرَيَّا، الدَّبرانِ، الهَقْعَة، الهنْعَة، الذِّرَاع، النَّثْرة، الطَّرْف، الجبْهة، الخراتَانِ، الصَّرْفة، الْعَوَّاء، السَّماك، الغَفْر، الزُّبَانَيان، الإكْليل، الْقَلْب، الشوْلة، النَّعائِم، الْبلدة، سعدُ الذابح، سعدُ بُلغ، سعد السعود، سعد الأخبية، الفرغ المقدَّم، الفرْغ المؤخَّر، بطن الحوت)، فإذا صار القمر في آخرها؛ عاد إلى أولها، وهذه المنازل منقسمة على البروج، لكل برج منزلان، وثلث، انظر الآية رقم [٦١] من سورة (الفرقان) لمعرفة هذه البروج.

الإعراب: ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾: يقرأ بالرفع، فتجري فيه الاعتبارات التي ذكرتها في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ ويقرأ بالنصب وهي قراءة الكوفيين، وبها قرأ حفص، وهو اختيار أبي عبيد، واختار الفراء الرفع، فعلى النصب فهو مفعول به لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده. ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، والهاء مفعول به، أو مجرورة بحرف جر، كما رأيت في الشرح. ﴿مَنَازِلَ﴾: فيه أوجه: أحدها: أنه مفعول ثان لـ: (قدرنا) بمعنى: صيرنا. الثاني: أنه حال، ولا بد من تقدير مضاف قبل: ﴿مَنَازِلَ﴾، تقديره: ذا منازل. الثالث: أنه ظرف، أي: قدرنا سيره في منازل. الرابع: أنه مفعول به على اعتبار الضمير مجروراً، بحرف جر محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: (القمر)، أو في محل نصب حال منه على رفعه، ومفسرة على نصبه، لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿عَادَ﴾: فعل ماض، وفاعله مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى: (القمر). ﴿كَٱلْعُرْجُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر. وإن اعتبرت الفعل ناقصاً؛ والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبره، وإن اعتبرت الكاف اسماً فالمحل لها على الاعتبارين، وتكون مضافاً، و(العرجون) مضاف إليه. ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾

صفة: (العرجون)، و«أن» المضمرة بعد: ﴿حَتَّىٰ﴾ والفعل: ﴿عَادَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى...﴾ إلخ: أي: لا يصح للشمس ولا يتسهل لها أن تدرك القمر في سرعة سيره، فإن ذلك يخل بتكوين النبات وبعيش الحيوان، أو في آثاره، ومنافعه، أو مكانه بالنزول إلى محله، أو سلطانه فتطمس نوره. وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مسخرة، لا يتيسر لها إلا ما أريد بها. انتهى. بيضاوي. وفحوى الآية الكريمة: أن الشمس والقمر لا يتوافقان في السير، ولا يجتمعان معاً، فأما قوله تعالى في سورة القيامة رقم [٩] ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ فذلك يكون حين تحبس الشمس عن الطلوع من المشرق، وتطلع من المغرب، وجمعهما علامة لانقضاء الدنيا، وقيام الساعة، فذلك اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ...﴾ إلخ الآية رقم [١٥٨] من سورة (الأنعام). ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: كل من الشمس، والقمر، والنجوم. هذا؛ وقال تعالى في الآية رقم [٣٣] من سورة (الأنبياء): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ والمعنى: كل واحد مما ذكر في فلك يسبحون، أي يجرون، ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء. وإنما جمعهن جمع المذكر السالم بالواو والنون، وهو للعقلاء؛ لأنه تبارك وتعالى ذكر عنهن فعل العقلاء، وهو السباحة والجري، وجعلهن في الطاعة والانقياد بمنزلة من يعقل، وهذا يتكرر في القرآن الكريم، وقد ذكرته في محالِّه.

هذا؛ والفلك بفتحتين: مدار النجوم الذي يضمها، وهو في كلام العرب كل شيء مستدير، وجمعه: أفلاك ويجمع على: فُلك، مثل: أَسَد، وأُسْد. وقيل: الفلك: السماء الذي فيه الكواكب، فكل كوكب يجري في السماء، الذي قدر له أن يجري فيه. وقيل: الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل، فهو الذي تجري فيه النجوم، وهو مستدير كاستدارة الرحى. وقيل: غير ذلك، وقال أصحاب الهيئة: الأفلاك: أجرام صلبة، لا ثقيلة، ولا خفيفة، غير قابلة للخرق، والالتئام، والنمو، والذبول. والحق: أنه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات، إلا بإخبار الصادق، فسبحان الخالق، المدبر لخلقه بالحكمة، والقدرة الباهرة غير المتناهية.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿ٱلشَّمْسُ﴾: مبتدأ. ﴿يَنۢبَغِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿لَهَآ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَن تُدْرِكَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلشَّمْسُ﴾. ﴿ٱلْقَمَرَ﴾: مفعول به، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل

مصدر في محل رفع فاعل ﴿يَنۢبَغِى﴾، والجملة الفعلية: ﴿يَنۢبَغِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿ٱلَّيْلُ﴾: مبتدأ. ﴿سَابِقُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّهَارِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وقرئ بنصب: ﴿ٱلنَّهَارِ﴾، وحذف تنوين ﴿سَابِقُ﴾ فيكون ﴿ٱلنَّهَارِ﴾ مفعولاً به صريحاً، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَكُلٌّ﴾: الواو: حرف استئناف. (كل): مبتدأ، سوغ الابتداء به الإضافة المقدرة. ﴿فِى فَلَكٍ﴾: متعلقان بما بعدهما، والجملة الفعلية: «يسبحون في فلكٍ» في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، واعتبارها حالاً لا بأس به.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: المعنى: وعلامة أخرى واضحة للناس على كمال قدرتنا: أننا حملنا آباءهم الأقدمين (وهم ذرية آدم) في سفينة نوح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام ـ؛ التي أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين. انتهى. صفوة التفاسير. وفي البيضاوي: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم الذين يبعثونهم في تجاراتهم، أو صبيانهم، ونساءهم؛ الذين يصطحبونهم في أسفارهم. فإن الذرية تقع عليهن؛ لأنهن مزارعهما، وتخصيصهم في الذكر؛ لأن استقرارهم في السفن أشق، وتماسكهم فيها أعجب، وقيل: المراد: فلك نوح، وحمل الله ذرياتهم فيها: أنه حمل آباءهم الأقدمين. وفي أصلابهم هم وذرياتهم، وتخصيص الذرية بالذكر؛ لأنه أبلغ في الامتنان، وأدخل في التعجب مع الإيجاز. انتهى. بتصرف. هذا؛ و﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء بالبضائع، والناس، والدواب، وغير ذلك من بترول، ونحوه في هذه الأيام. هذا؛ وقد استدل بهذه الآية على أن الذرية تطلق على الآباء كما تطلق على الأولاد، وهو ما في التاج، وتجمع جمع تكسير: ذراري كما تجمع جمع مؤنث سالماً: (ذريات). وإطلاق ذرية على الآباء لأن الله ذرأ منهم الأولاد.

هذا؛ و﴿ٱلْفُلْكِ﴾: بضم الفاء وسكون اللام، يطلق على المفرد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، فقد أفرد سبحانه وتعالى في هذه الآية، وذكَّر، وقال تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾. فأنث، ويحتمل الإفراد، والجمع، وقال جل شأنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾. فجمع، وكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى معنى المركب، فتذكر، وإلى معنى السفينة، فتؤنث، وقد ألغز فيها الشاعر حيث قال: [الطويل]

مُكَسَّحَةٌ تَجْرِي وَمَكْفُوفَةٌ تَرى ... وفي بَطْنِهَا حِمْلٌ على ظَهْرِهَا يَعْلُو

فَإنْ عَطِشَتْ عاشَتْ وَعَاشَ جَنِينُهَا ... وَإنْ شَرِبتْ مَاتَتْ وَفَارَقَهَا الْحِمْلُ

ولا تنسَ: أن أول من اخترع السفينة (وهي الفلك) نوح، على نبينا، وشفيعنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ومن تصميمها وشكلها أخذت البشرية تصنع السفن، وتتطور جيلاً بعد جيل، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في العصر الحاضر. هذا؛ وقد كانت السفن في الزمن الماضي تسير بواسطة الرياح، وأما في أيامنا هذه؛ فإنها تسير بواسطة البخار، ففي الزمن الماضي، كان البحارون يلقون العناء إذا اضطرب البحر، أو عاكست الرياح مسير السفينة، وقد عبر المتنبي عن ذلك، بقوله: (وهو جار مجرى المثل): [البسيط]

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدرِكُهُ تَأْتِي الرِيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ

هذا؛ والذرية هي النَّسْلُ من بني آدم، وهي تقع على الجمع كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾، وعلى الواحد كما في قوله تعالى حكاية عن قول زكريا ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾. قيل: هي مشتقة من: «الذَّرَا» بفتح الذال، وهو كل ما استذريت به، يقال: أنا في ظل فلان، وفي ذراه، أي: في كنفه، وستره، وتحت حمايته. وهو بضم الذال: أعلى الشيء. وقيل: هي مشتقة من الذَّرْء، وهو الخلق، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾. أبدلت همزة الذَّرْء ياءً، ثم شددت الياء، وتبعتها الراء في التشديد.

الإعراب: ﴿وَءَايَةٌ﴾: الواو: حرف استئناف. (آية): مبتدأ. ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر مقدم. ﴿أَنَّا﴾: (أنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿حَمَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: صفة، وجملة: ﴿حَمَلْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر. وهذا الإعراب هو فحوى كلام ابن هشام في المغني. وأجاز أبو البقاء اعتبار هذا المصدر خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هي أننا... إلخ. وقال مكي: المصدر المؤول مفسر لـ: (آية). هذا؛ وأرى أنَّ (آية) خبر مقدم، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة: (آية). والمصدر المؤول في محل مبتدأ مؤخر، مثله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ...﴾ إلخ، و﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ...﴾ إلخ. ولا حاجة إلى هذه التأويلات. والجملة الاسمية معطوفة على الجملتين المذكورتين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: المعنى: خلقنا لأهل مكة، وللناس أجمعين مثل الفلك المذكورة. ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: من الإبل؛ لأن الله خلقها للركوب، وللحمل مثل السفن المركوبة في البحر، والعرب تشبه الإبل بالسفن، قال طرفة في معلقته رقم [٤]. [الطويل]

كَـأَنَّ حُـدُوجَ الْـمَـالِـكِـيَّـةِ غُـدْوَةً خَـلَايَـا سَـفِـيـنٍ بِـالـنَّـواصِـفِ مِـنْ دَدِ

هذا قول. والقول الثاني: أن المراد جميع ما يركب من الدواب. والقول الثالث: أن المراد: السفن، وأن المراد في الفلك المشحون: سفينة نوح خاصة على نحو ما رأيت فيما تقدم. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وهو الأظهر لقوله تعالى في الآية التالية: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾.

الإعراب: ﴿وَخَلَقْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (خلقنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مَا﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مِّن﴾ صلة في الإيجاب على مذهب الأخفش. ومثله حال من: ﴿مَا﴾. وقدمت لمناسبة رؤوس الآي، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف التقدير: الذي يركبونه. وجملة: ﴿وَخَلَقْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿حَمَلْنَا...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ أي: في البحر، ونهلكهم فيه. ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: فلا مغيث لهم، ولا معين، ولا منجد فهو فعيل بمعنى فاعل. وفي سورة (إبراهيم) قوله تعالى حكاية عن قول إبليس ـ أخزاه الله تعالى ـ: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾. ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: ينجون من الموت. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ولا أحد ينقذهم من عذابي.

هذا؛ وكما يطلق (الصريخ) على المغيث يطلق على الصارخ، وهو المستغيث فهو من الأضداد، كما صرح به أهل اللغة، ويكون مصدراً بمعنى: الإغاثة؛ لأنه في الأصل بمعنى: الصراخ، وهو صوت مخصوص، وكل منهما صحيح هنا. انتهى. جمل نقلاً من الشهاب، وقد قال الشاعر، ـ وهو الشاهد رقم [١٠٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الكامل]

قَـوْمٌ إذَا سـمـعُـوا الـصَّـرِيـخَ رَأَيْـتَـهُـمْ مَـا بَـيْـنَ مُـلْـجِـمِ مُـهْـرِهِ، أو سَـافِـعِ

والصراخ: صوت المستغيث، وصوت المغيث؛ إذا صرخ بقومه للإغاثة. قال سلامة بن جندل: [البسيط]

إِذَا مَـا أَتَـانَـا صَـارِخ فَـزِعٌ كَـان الـصـراخُ لَـهُ قـرعَ الـظَّـنَـابِـيـبِ

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿نَّشَأْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره: «نحن»، ومفعوله محذوف، التقدير: وإن نشأ إهلاكهم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿نُغْرِقْهُمْ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام

معطوف على ما قبله، أو هو مستأنف لا محل له. ﴿فَلَا﴾: الفاء: قال أبو البقاء: حرف استئناف، وبه قال ابن عطية. وأرى صحة اعتبارها فصيحة تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا شئنا إغراقهم؛ (فلا...) إلخ. (لا): نافية للجنس تعمل عمل: «إنَّ». ﴿صَرِيخَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (لا). هذا؛ وقال أبو البقاء: وقرئ بالرفع، والتنوين، فتكون: (لا) عاملة عمل: «ليس»، وعلى الاعتبارين: لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُنقَذُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع إلخ، والواو نائب فاعله، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا...﴾ إلخ: أي لا ينقذهم من الغرق أحد إلا نحن؛ لأجل رحمتنا إياهم، وتمتيعنا لهم إلى انقضاء آجالهم. فقد بين الله تعالى: أن ركوبهم السفن في البحر من الآيات العظيمة الباهرة، فإن سير السفينة بما فيها من الرجال، والأثقال فوق سطح الماء آية باهرة، فقد حملتهم قدرة الله تعالى، ونواميسه التي تحكم، وتصرفه بحكم خواص السفن، وخواص الماء، وخواص الريح، وكلها من أمر الله تعالى، وخلقه وتقديره، والسفينة في البحر الخضم كالريشة في مهب الهواء، وإن لم تدركها رحمة الله؛ فهي هالكة في لحظة من ليل، أو نهار، والذين ركبوا البحار، وشاهدوا الأخطار يدركون هول البحر المخيف، ويحسون معنى رحمة الله تبارك وتعالى، وأنها وحدها هي المنجي لهم من بين العواصف، والتيارات. انتهى. صفوة التفاسير. هذا؛ وانظر ما ذكره الله تعالى عن الكافرين في الآية رقم [٣٢] من سورة (لقمان) حيث يلجؤون إلى الله تعالى حين يغشاهم الموج من جميع جهاتهم، ويدركون: أنهم هالكون لا محالة. ومعنى ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أجل يموتون فيه، لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق، ولقد أحسن أبو الطيب المتنبي؛ إذ يقول: [الوافر]

وَلَـمْ أَسْـلَـمْ لِـكَـيْ أَبْـقَـى وَلَـكِـنْ سَـلِـمْـتُ مِـنَ الـحِـمَـامِ إِلـى الـحِـمَـامِ

ورحم الله من يقول: [الطويل]

وَمَـنْ لَـمْ يَـمُـتْ بِـالـسَّـيْـفِ مَـاتَ بِـغَـيْـرِهِ تَـنَـوَّعَـتِ الأَسْـبـابُ، والـمَـوْتُ واحِـدُ

﴿وَمَتَاعًا﴾: انتفاعاً، وتلذذاً. وتمتع، واستمتع بكذا: انتفع به، والمتعة: الانتفاع، والتلذذ بالشيء، وأمتعه الله، ومَتَّعه بكذا بمعنى واحد، ومتاع الغرور: أي: ما يغر، ويخدع، ولا يغر إلا ضعفاء الإيمان، وذوي النفوس المريضة. وخاب الفسقة الذين يقولون: إن متاع الغرور

المذكور في كثير من الآيات هو ما تحمله المرأة في أيام حيضها من خرق. فمن أين أتَوْا بهذا التفسير الذي لا يقره ذوق، فضلاً عن عدم وجوده في كتب اللغة؟ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٤٨] من سورة (الصافات) تجد ما يسرك، وانظر شرح (الحين) في سورة (ص) رقم [٨٨].

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿رَحْمَةً﴾: استثناء منقطع؛ لأنه ليس من جنس ما قبله، فهو استثناء من أعم العلل، فهو بمعنى المفعول لأجله. وقيل: هو مفعول مطلق، فعله محذوف. وقيل: هو منصوب على نزع الخافض. ﴿مِّنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿رَحْمَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها. ﴿وَمَتَٰعًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: متعلقان بـ: (متاعاً)، أو بمحذوف صفة له.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: لهؤلاء الكافرين من أهل مكة، وغيرهم. ومثلهم الملحدون، والفاسقون، والمفسدون في هذه الأيام. ﴿ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أي: الوقائع التي خلت، والعذاب المعد لكم في الآخرة. أو: نوازل السماء، ونوائب الأرض، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم...﴾ إلخ، الآية رقم [٩] من سورة (سبأ) أو المراد: عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، أو عكسه، أو: ما تقدم من الذنوب، وما تأخر.

هذا؛ والتعبير عن الأمام، والخلف بقوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ونحوه كثير في القرآن الكريم؛ وإن اختص كل موضع بتفسير، ومعنىً حسب مقتضيات الأحوال، واختلافها، فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ في الآية رقم [٢٨] من سورة (الأنبياء) يفسر بغير ما في هذه الآية، وكذلك الآية رقم [١١٠] من سورة (طه) وكلتاهما تخالفان معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية رقم [٦٤] من سورة (مريم) على نبينا، وحبيبنا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، وهكذا، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ و﴿قِيلَ﴾ أصلها: (قُوِل) بضم القاف، وكسر الواو، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها بعد سلب حركتها، فصار: (قِوْل) بكسر القاف وسكون الواو، ثم قلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة بعد كسرة، فصار: قيل.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱتَّقُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَيْدِيكُمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، والكاف ضمير

متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: معطوفة على سابقتها فهي في محل نصب مثلها. ﴿خَلْفَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول إلخ، والجملة الفعلية: ﴿اتَّقُواْ...﴾ إلخ في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾، وهذا على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه» وهذا لا غبار عليه. هذا؛ وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو»، يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف يدل عليه المقام، التقدير: وقيل قول. وقيل: الجار والمجرور ﴿لَهُمُ﴾ في محل رفع نائب فاعل. والمعتمد الأول، وأيده ابن هشام في المغني؛ حيث قال: إن الجملة التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات، ولهذا تقع مبتدأ، نحو: (لا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله كنزٌ مِنْ كنوزِ الجنةِ) ونحو: (زعموا مطيةُ الكذبِ). وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها، وجواب (إذا) محذوف، تقديره: أعرضوا بدليل الآية التالية. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿تُرْحَمُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعلّ) والجملة الاسمية فيها معنى التعليل للأمر. و(إذا) ومدخولها، كلام معطوف على (إنّ) ومدخولها لا محل له مثله.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: المعنى: وما تأتي هؤلاء المشركين من أهل مكة، وغيرهم علامة من العلامات الواضحة، الدالة على صدق الرسول ﷺ، كالمعجزات الباهرة؛ التي أيده الله بها، إلا أعرضوا عنها على وجه التكذيب، والاستهزاء. قال أبو السعود: وإضافة الآيات إلى اسم الرب جل وعلا؛ لتفخيم شأنها، المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها، والمراد بالآيات: الآيات التنزيلية، التي من جملتها الآيات الناطقة ببدائع صنع الله وسوابغ آلائه، أو الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته تعالى، وتفرده بالألوهية. انتهى. صفوة التفاسير. وقال الجمل نقلاً من أبي السعود أيضاً: الآية وسابقتها بيان لإعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات الآفاقية؛ التي كانوا يشاهدونها، وعدم تأملهم فيها. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿تَأْتِيهِم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿ءَايَةٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَةٍ﴾، و﴿ءَايَٰتِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه. والهاء ضمير متصل في محل جر

بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿عَنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُعْرِضِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم. وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، وجملة: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم...﴾ إلخ معطوفة على جواب (إذا) المقدر، أو هي مستأنفة ولا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء المشركين من أهل مكة، ومن على شاكلتهم من مانعي الزكاة على سبيل النصيحة، والإرشاد. ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: أعطوا الفقراء قسماً من الأموال التي رزقكم الله إياها، وأنعم عليكم بها. ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بالله، وبحكمته، وأحكامه. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: قالوا لهم تهكماً، وسخرية، واستهزاءً بهم. ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ أي: أنعطي ونرزق من لو يشاء الله أعطاه، ورزقه؟! ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: ما أنتم أيها المؤمنون إلا في خطأ ظاهر واضح؛ حيث تأمروننا بأن ننفق أموالنا على من أفقرهم الله، ولو شاء؛ لأغناهم مثلنا. وقيل: إن الجملة الاسمية من قول المؤمنين للكافرين. وقيل: هي من قول الله لهم.

قال الخازن: نزلت الآية في كفار قريش، وذلك: أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين مما زعمتم: أنه لله تعالى من أموالكم. وهو ما جعلوه لله من حروثهم، وأنعامهم. انتهى. وقال القرطبي: قيل: إن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كان يطعم مساكين المسلمين، فلقيه أبو جهل الخبيث، فقال: يا أبا بكر! أتزعم: أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم. قال: فما باله لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر، وقوماً بالغنى، وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الأغنياء بالإعطاء. فقال: يا أبا بكر! ما أنت إلا في ضلال، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء، وهو لا يطعمهم؟ ثم تطعم أنت، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى في سورة الليل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ...﴾ إلخ. هذا؛ وقد صدقوا في قولهم لو شاء الله أطعمهم، ولكن كذبوا في الاحتجاج، ومثله ما حكى الله عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا...﴾ إلخ الآية رقم [١٤٨] من سورة (الأنعام)، وقوله تعالى عن المنافقين: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾. انتهى.

وقال الخازن: ومعنى الآية: أنهم قالوا: لو أراد الله أن يرزقهم؛ لرزقهم، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، فلا نطعم من لم يطعمه. وهذا مما يتمسك به البخلاء، يقولون: لا نعطي من

حرمه الله، وهذا الذي يزعمون باطل؛ لأن الله تبارك وتعالى أغنى بعض الخلق، وأفقر بعضهم، ابتلاءً، فمنع الدنيا من الفقير لا بخلاً، وأعطى الدنيا للغني لا استحقاقاً، وأمر الغني بالإنفاق، لا حاجة إلى ماله، ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله تعالى، وحكمته في خلقه، والمؤمن يوافق أمر الله فيما أمر، وينتهي عما نهى عنه. انتهى.

الإعراب: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٤٥]. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (من)، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (من) التقدير: من رزق الله لكم، وعلى الاعتبارين الأولين فالجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: أنفقوا من الذي، أو من شيء رزقكم الله إياه، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على مثله، لا محل له مثله. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلته. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿قَالَ﴾، وجملة: ﴿ءَامَنُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَنُطْعِمُ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (نطعم): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَّوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: لو يشاء الله إطعامه. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿أَطْعَمَهُ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهُ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب: ﴿لَّوْ﴾، و﴿لَّوْ﴾ ومدخولها صلة ﴿مَن﴾ أو صفتها، والجملة الفعلية: ﴿أَنُطْعِمُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب: (إذا)، لا محل لها.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَالٍ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، إن كانت من مقول الذين كفروا، ومستأنفة إن كانت من قول المؤمنين، أو من قول الله تعالى.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٨)﴾

الشرح: لما قيل لهم: ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾؛ قالوا: متى يكون يوم القيامة الذي تتوعدوننا به؟ ومتى يقع هذا العذاب الذي تخوفوننا به؟ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم: أن هناك بعثاً، أو نشوراً، وحساباً شديداً، وعذاباً أليماً فائتوا بذلك كله. وقولهم هذا على وجه التكذيب،

والاستبعاد، والاستهزاء، وإنما قالوا بلفظ الجمع: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لأن كل أمة قالت لرسولها كذلك. أو المعنى إن كنت صادقاً أنت، وأتباعك يا محمد! والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يقولون): فعل مضارع مرفوع إلخ، والواو فاعله. ﴿مَتَىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلْوَعْدُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، لدلالة ما قبله عليه، انظر تقديره في الشرح، والكلام كله في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: (يقولون...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرون. ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: هي نفخة إسرافيل الأولى التي يموت بها من كان على وجه الأرض. ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: يتخاصمون في متاجرهم، وفي معاملاتهم، وفي بيعهم، وشرائهم، فيموتون في مكانهم. وهذه نفخة الصعق. وفي ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ خمس قراءات: وأصله: يختصمون، فسكنت التاء، وأدغمت في الصاد، ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين. فهذه الآية تحدثنا عن أول أهوال يوم القيامة. وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**وَلَتَقُومَنَّ الساعةُ، وقدْ نشرَ الرجلانِ ثَوْباً بينهما، فلا يَتَبَايَعَانِهِ، ولا يَطْويَانِهِ، ولَتَقُومَنَّ الساعةُ، وقد انصرف الرجلُ بلَبَنِ لَقْحَتِهِ، فَلَا يَطْعمُهُ، وَلَتقومنَّ الساعةُ، وهو يَليطُ حَوْضَهُ، فلا يسقي فِيهِ، ولتقومنَّ الساعةُ، وقدْ رفعَ أَكْلَتَهُ إلى فِيهِ، فَلَا يَطْعمهَا**». أخرجه البخاري. انتهى. خازن. ولم أجده في التجريد الصريح، أما الحافظ المنذري، فقال: رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿صَيْحَةً﴾: مفعول به. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة. ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿صَيْحَةً﴾، والهاء مفعول به. والجملة الفعلية في محل نصب صفة ثانية لـ: ﴿صَيْحَةً﴾، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بـ: ﴿وَٰحِدَةً﴾. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿يَخِصِّمُونَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة

الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب. والرابط: الواو، والضمير. والجملة الفعلية: ﴿مَا يَنظُرُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾

الشرح: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: إذا حصلت الصيحة؛ فلا يقدر الناس أن يوصي بعضهم بعضاً بأمر من الأمور، أو بالتوبة إلى الله تعالى، والإقلاع عن المعاصي؛ بل يموت كل واحد في مكانه الذي هو فيه. ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يرجعون إلى منازلهم. بمعنى لا يتمكنون من ذلك. والحديث الذي ذكرته شاهد صدق.

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: مضارع مرفوع إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿تَوْصِيَةً﴾: مفعول به. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿يَرْجِعُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾

الشرح: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: الصور كهيئة البوق. قاله مجاهد، ويدل على صحته ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: ما الصُّورُ؟ قال: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**». أخرجه أبو داود والترمذي رحمهما الله تعالى، وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السمواتِ والأرضِ خَلَقَ الصُّورَ، فأعطاهُ إسرافيلَ، فهوَ وَاضعُهُ على فِيهِ، شاخِصٌ ببصرِهِ إلى العرْشِ، ينتظرُ متىَ يُؤْمَرُ بالنفخةِ**». قلْتُ: يا رسولَ اللهِ! ما الصُّورُ؟ قال: «**قَرْنٌ واللهِ عظِيمٌ! والذي بعثني بالحقِّ إنَّ عِظَمَ دارةٍ فيهِ كعرْضِ السماءِ والأرضِ!**».

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيْفَ أنتمْ؟ وقد الْتَقَمَ صاحبُ القرْنِ القرْنَ، وحنَى جبْهَتَهُ، وأَصْغَى سمعَهُ، ينتظرُ أَنْ يُؤْمَرَ أنْ ينفخَ؟!**». وكأنَّ ذلك ثقُلَ عَلى أصحابِهِ، فقالوا: كيْفَ نفعلُ يا رسولَ اللهِ؟! وكيفَ نقولُ؟ فقال: «**قولوا: حسبُنَا اللهُ، ونعمَ الوكيلُ، على اللهِ تَوكَّلنا**». ورُبَّمَا قَالَ: «**توكلْنَا على اللهِ**». أخرجه الترمذي.

وينبغي أن تعلم: أن الذي ينفخ في الصور، إنما هو إسرافيل ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ أحد الملائكة العشرة المقربين، وهو ينفخ نفختين، بينهما أربعون عاماً على الصحيح، الأولى: لإماتة الخلق أجمعين، والثانية: لإحيائهم، وبعثهم للحساب، والجزاء.

والآيات هنا دلت على ذلك. وخذ قوله تعالى في سورة (الزمر) رقم [٦٨]: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، وقرئ بالفاء: (من الأجداف) ذكره الزمخشري، يقال: جدث، جدف، واللغة الفصيحة الجدث بالثاء، والجمع: أجْدُث، وأجداث، قال المتنخل الهذلي: [الوافر]

عرفْتُ بأجْدُثٍ، فَنَعَافِ عِرْقٍ ... عَلاماتٍ كَتَحْبِيرِ النِّمَاطِ

هذا؛ وقال تعالى في سورة (القمر): ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾، وقال في سورة (المعارج): ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يخرجون. ومنه قول امرئ القيس في معلقته رقم [٢٧]: [الطويل]

وإنْ كنْتِ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِي

قرئ بضم السين، وكسرها، ومنه قيل للولد: نَسْل؛ لأنه يخرج من بطن أمه. وقيل: المعنى: يسرعون، والنسلان، والعسلان: الإسراع في السير، ومنه: مشية الذئب، قال لبيد. وقيل: هو للنابغة: [الرمل]

عَسَلانَ الذئْبِ أَمْسَىٰ قَارِباً ... بَرَدَ اللَّيْلُ عليهِ فَنَسَلْ

الإعراب: ﴿وَنُفِخَ﴾: الواو: حرف عطف. (نفخ): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل. ﴿فَإِذَا هُم﴾: انظر الآية رقم [٢٩] ففيها الكفاية. ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما أيضاً، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَنسِلُونَ﴾: مضارع مرفوع إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو: ﴿هُم﴾.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ أي: يقول الكافرون حين يخرجون من قبورهم: يا هلاكنا. وهذه القراءة سبعية، وقرأ ابن أبي ليلى: (يا ويلتَنَا) بتاء التأنيث، وعنه أيضاً: (يا ويْلتى) بإبدال الياء ألفاً، وتأويل هذا: أن كل واحد منهم يقول: يا ويلتي. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. هذا؛ والتعبير في هذه الآية، ونحوها بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق وقوعه.

﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾: من أخرجنا من قبورنا التي كنا فيها؟ وهذا على اعتبار (مرقد) اسم مكان، وأما على اعتباره مصدراً، فيكون المعنى: من بعثنا من رقادنا؟ أي: من نومنا، وهذا

أحسن؛ لأن المصدر يفرد مطلقاً، بخلافه على الأول، فيكون المفرد أقيم مقام الجمع، فإن قيل: كيف يقولون هذا، وهم من المعذبين في قبورهم؟ فالجواب: يكون من ثلاث جهات: الأولى: قال أبي بن كعب: ينامون نومة. الثانية: قال أبو صالح: إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور، وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة. وهذا قاله ابن عباس، وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ. الثالثة: قال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب، صار ما عُذِّبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم.

أقول: ويؤيد هذا قوله تعالى في سورة (غافر): ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾. ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أي: هذا الذي وعدكم الله به من البعث بعد الموت، والحساب، والجزاء، وصدق رسله الكرام فيما أخبرونا به عن الله تعالى. وهذا من كلامهم. وقيل: هو من كلام الملائكة لهم. وقيل: هو من كلام المؤمنين جواباً لهم عن سؤالهم، معدولاً به عن سننه، تذكيراً لكفرهم، وتقريعاً لهم عليه، وتنبيهاً بأن الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث، كأنهم قالوا: بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث، فأرسل إليكم الرسل، فصَدَقوكم، وليس الأمر كما تظنونه، فإنه ليس بعث النائم، فيهمكم السؤال عن الباعث، وإنما هو البعث الأكبر ذو الأهوال. انتهى. بيضاوي بتصرف.

هذا؛ وفي الآية استعارة تصريحية أصلية، حيث استعير الرقاد للموت. والجامع بينهما عدم ظهور الفعل منهما. وهذا على اعتبار (مرقد) مصدراً ميمياً، وأما على اعتباره اسم مكان؛ فالاستعارة تبعية.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. (يا): أداة نداء، والمنادى محذوف. كأنهم قالوا لبعضهم: يا هؤلاء ويلاً لنا، فلما أضاف حذف اللام الثانية، وعليه ف: (ويلاً) مصدر مفعول مطلق فعله محذوف. و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وهذا قاله الجلال، وأيده سليمان الجمل، وقول لمكي، وأجيز اعتبار: (ويلنا) منادى مثل: ﴿يَٰحَسۡرَةً﴾ في الآية رقم [٣٠] فيكون المعنى: يقول الكافر يوم القيامة: تَعالَ يا ويلُ هذا زمانك، وإبانك، وقال الكوفيون: إن (ويْل) كلمة برأسها، و«لنا» جار ومجرور متعلقان به. ولا معنى لهذا إلا بتأويل بعيد، وهو أن يكون: يا عجب لنا؛ لأن (وَيْ) تفسر بمعنى: أعجب منا. انتهى. جمل. وعليه يكون الكافر قد نادى العجب. تأمل، وتدبر.

﴿مَنۢ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَعَثَنَا﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَنۢ﴾. و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول كالجملة التي قبلها، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

هذا؛ وقرئ: (مِنْ بَعْثِنا) على اعتبارهما جار ومجرور متعلقين بالمصدر: (ويل). ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما على القراءتين. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكره موصوفة مبنية على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: هذا الذي، أو: شيء وعده الرحمن عباده، فيكون قد حذف المفعولين، ويجوز اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع خبر المبتدأ، فيكون التقدير: هذا؛ وَعْدُ الرحمن عباده البعث، والجزاء، وَصِدْقُ المرسلين. وعلى الأول، التقدير: والذي صَدَقَهُ المرسلون. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر الشرح.

هذا؛ وأجيز اعتبار اسم الإشارة في محل جر صفة لـ: ﴿مَّرْقَدِنَا﴾، فيكون الوقف على ﴿مَّرْقَدِنَا﴾. هذا، وما بعده مستأنف، وفيه ثلاث اعتبارات: الأول: ﴿مَا﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو ما وعد الرحمٰن. الثاني: بمعنى: الحق ما وعد الرحمٰن. والثالث: أن يكون بمعنى: الذي وعد الرحمن حق. والكلام هذا في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر ما ذكرته في الشرح.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي: ما كانت النفخة الثانية التي ينفخها إسرافيل على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ ويقرأ برفع صيحة على اعتبار (كان) تامة، ومثلها الآية رقم [٢٩]. وفي القرطبي: يعني: إن بعثهم، وإحياءهم كان بصيحة واحدة، وهي قول إسرافيل: أيتها العظام النخرة، والأوصال المتقطعة، والشعور المتفرقة، واللحوم المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وهو فحوى قوله تعالى في سورة (ق): ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾. ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي: مجموعون عندنا للحساب، والجزاء، وفي ذلك تهوين البعث، والحشر، والنشر، واستغناؤهما عن الأسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه، وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بَيْنَ النفخَتَيْنِ أربعونَ**». قيلَ: أربعونَ يَوْماً؟ قال أبو هريرة: أَبَيْتُ، قال: أربعونَ شهراً؟ قال: أَبَيْتُ، قال: أربعونَ سَنةً؟ قال: أَبَيْتُ، «**ثُمَّ ينزلُ مِنَ السَّماءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الإنسانِ شَيءٌ، إلا يَبْلَى إلا عظمٌ واحدٌ، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، مِنْهُ يُرَكَّبُ الخلقُ يوم الْقِيامةِ**». رواه البخاري، ومسلم.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿كَانَتْ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه محذوف، يفهم من المقام، التقدير: ما كانت الفعلة التي فعلها إسرافيل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿صَيْحَةً﴾:

خبر كان، وعلى قراءتها بالرفع، فهي فاعل: ﴿كَانَتْ﴾، على اعتبارها بمعنى حصلت، ووقعت. ﴿وَاحِدَةً﴾: صفة: ﴿صَيْحَةً﴾ على القراءتين. ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ﴾: انظر الآية رقم [٢٩] ففيها الكفاية. ﴿لَّدَيْنَا﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده، منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء، لاتصاله بـ: (نا) التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مُحْضَرُونَ﴾: صفة ﴿جَمِيعٌ﴾ مرفوع إلخ، والجملة الفعلية: ﴿إِن كَانَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ أي: ففي ذلك اليوم يوم القيامة، لا تظلم نفس شيئاً بنقص ثوابها، أو بزيادة وزرها، سواء أكانت هذه النفس برة، أو فاجرة. ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا...﴾ إلخ: أي: لا تجزون إلا بأعمالكم، إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشر، وهذا حكاية لما سيقال لهم في الآخرة حين يرون العذاب المعد لهم، تحقيقاً للحق، وتصديقاً للوعيد، والوعد، وتقريعاً لهم.

الإعراب: ﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (اليوم): ظرف زمان متعلق بالفعل بعده. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُظْلَمُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿نَفْسٌ﴾: نائب فاعله. ﴿شَيْئًا﴾: مفعول به ثان، أو هو نائب مفعول مطلق. والجملة الفعلية: ﴿فَالْيَوْمَ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تُجْزَوْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع.. إلخ، والواو نائب فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها. والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: إلا الذي، أو: شيئاً كنتم تعملونه. وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية، تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به ثان، التقدير: إلا عملكم. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَا﴾ على جميع الوجوه فيها منصوبة بنزع الخافض، التقدير: إلا بما كنتم تعملون، وهو كثير في القرآن الكريم، وجملة: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ...﴾ إلخ: ﴿فِي شُغُلٍ﴾ أي: بما هم فيه من اللذات، والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصي، ومصيرهم إلى النار، وما هم فيه من أليم العذاب، وإن كان فيه أقرباؤهم، وأهلوهم، وقال ابن كيسان: مشغولون في زيارة بعضهم بعضاً. وقيل: مشغولون في ضيافة الله تعالى، وروي: أنه إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين عبادي الذين أطاعوني،

وحفظوا عهدي بالغيب؟ فيقومون كأن وجوههم البدر، والكوكب الدُّرِّي ركباناً على نُجُبٍ من نور، أزمتها الياقوتُ، تطير بهم على رؤوس الخلائق، حتى يقوموا بين يدي العرش، فيقول الله عز وجل لهم: «السلام على عبادي الذين أطاعوني، وحفظوا عهدِي بالغيب، أنا اصْطَفيتكمْ، وأنا اجتبيتكم وأنا اخترتكم، اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب، و﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾» فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف، فَتُفَتَّحُ لهم أبْوابُها، ثم إن الخلق في المحشر موقوفون، فيقول بعضهم لبعض: يا قوم أين فلان وفلان؟ وذلك حين يسأل بعضهم بعضاً فينادي منادٍ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾. انتهى. قرطبي.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: شغلوا بافتضاض الأبكار، وسماع الأوتار عن أهليهم من أهل النار، لا يذكرونهم؛ لئلا يتنغصوا. وقال أبو حيان: والظاهر: أن الشغل هو النعيم؛ الذي قد شغلهم عن كل ما يخطر بالبال، وهذا أولى وأقوى.

و: ﴿فَٰكِهُونَ﴾: مسرورون، ناعمون، فرحون، وقرئ: (فكِهون) و(فكهين) وفي تنكير ﴿شُغُلٍ﴾ وإبهامه، تعظيم لما هم فيه من البهجة، والتلذذ، وتنبيه على أنه مما لا يحيط به الأفهام، ولا يعرب عن كنهه الكلام. هذا؛ وقرئ: ﴿شُغُلٍ﴾ بضم الغين، وسكونها، وهي قاعدة عربية. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله. وذلك مثل: رُسل، وعُسر، ويُسر، وأُسد، ورُحم... إلخ، ولا تنسَ: أن الله تبارك وتعالى لما أخبر عن حال المجرمين، ومآلهم؛ أخبر عن حال الأبرار المتقين، ومآلهم. وتلك سنة اقتضتها حكمة الحكيم العليم، ورحمته في كتابه الكريم بأن لا يذكر التكذيب من الكافرين والمنافقين؛ إلا ويذكر التصديق من المؤمنين، ولا يذكر الإيمان؛ إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة، ونعيمها؛ إلا ويذكر النار، وجحيمها، ولا يذكر الرحمة؛ إلا ويذكر الغضب، والسخط؛ ليكون المؤمن راغباً راهباً، خائفاً راجياً. وهذا ما يسمى بالمقابلة.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَصْحَٰبَ﴾: اسم (إنَّ) وهو مضاف، و﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿فَٰكِهُونَ﴾. وقيل: متعلق بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿فِى شُغُلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر أول، وأجيز تعليقهما بما بعدهما. ﴿فَٰكِهُونَ﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾: في ظلال الجنان الوارفة؛ حيث لا شمس فيها، ولا زمهرير، و﴿ظِلَٰلٍ﴾ جمع: ظلة، مثل: قباب جمع: قبة، أو جمع: ظل، مثل: شعاب

جمع: شعب. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السرر في الحجال، واحدها أريكة، مثل: سفينة، وسفائن، والمراد بها: نحو قبة تغلق على السرير، وتزين به العروس، قال الشاعر: [الطويل]

كَأَنَّ احْمِرَارَ الْوَرْدِ فوقَ غُصونِهِ ... بوقتِ الضحى في رَوْضَةِ الْمُتَضَاحِكِ

خدُودُ عذَارى قَدْ خجِلْنَ مِنَ الحَيَا ... تهادَيْنَ بالرَّيْحانِ فوقَ الأرَائِكِ

الإعراب: ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾: معطوف على الضمير، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الواو إلخ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، أو هي مستأنفة. لا محل لها كالجملة الاسمية السابقة لها. هذا الإعراب هو الظاهر، وهو المعتمد. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ خبر المبتدأ والجارين والمجرورين متعلقين به. كما أجيز اعتبار الضمير توكيداً للمستتر في: ﴿شُغُلٍ﴾، أو في: ﴿فَٰكِهُونَ﴾، و(أزواجهم) معطوفاً عليه، واعتبار: ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ متعلقين بمحذوف حال من: (أزواجهم)، واعتبار الجملة الاسمية: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾: في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾ واعتبارها مستأنفة أيضاً، والإعراب الأول أقوى وأوضح.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُمْ﴾: لأصحاب الجنة. ﴿فِيهَا﴾: في الجنة. ﴿فَٰكِهَةٌ﴾: كثيرة من كل أنواع الفواكه. ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾: ما يتمنون، وما يشتهون، وما يطلبون، فمهما طلبوا من أنواع الملاذ؛ وجدوه، فعن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا هَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ إِلى الجنَّةِ، فإِنَّ الجنةَ لا خطرَ لَها. هيَ وربِّ الكعبةِ نورٌ كلُّهَا يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقَصْرٌ مشِيدٌ، ونهرٌ مُطَّرِد، وثمرةٌ نضِيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ، وحُلَلٌ كثيرةٌ، ومقامٌ في دارِ سلامةٍ، وفاكِهةٌ خضِرَةٌ، وخيرٌ، ونعمةٌ في مَحلَّةٍ عَالِيةٍ بَهيَّةٍ**». قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها! قال ﷺ: «**قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللهُ**». فقال القوم: إِنْ شاءَ اللهُ. أخرجه ابن أبي حاتم، ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ وأصل ﴿يَدَّعُونَ﴾: يَدْتَعِيُون على وزن يَفْتَعِلون، فأسكنت الياء؛ لأن الضم فيها ثقيل، وألقيت حركتها على العين بعد أن أزيلت حركة العين، ثم حذفت الياء لسكونها، وسكون الواو بعدها، فصار: يَدْتعُون، ثم قلبت التاء دالاً، وأدغمت الدال في الدال، فصار: ﴿يَدَّعُونَ﴾ وقلبت التاء دالاً، ولم تقلب الدال تاءً؛ لأنَّ الدال حرف مجهور، والتاء مهموسة، والمجهور أقوى في اللفظ من المهموس. انتهى. مكي بن أبي طالب القيسي بتصرف.

الإعراب: ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف في محل نصب حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وبعضهم يعتبرهما متعلقين بمحذوف حال من: ﴿فَـٰكِهَةٌ﴾ كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً. وبعضهم لا يجيز مجيء الحال من المبتدأ. ﴿فَـٰكِهَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية يجوز فيها ما جاز بالجملة: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ من أوجه. ﴿وَلَهُم﴾: الواو: حرف عطف. (لهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ولهم الذي، أو: شيء يدعونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، التقدير: ولهم ادعاؤهم. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿سَلَـٰمٌ...﴾ إلخ: يعني: سلم الله عز وجل عليهم. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَمَا أَهْلُ الجنةِ في نعيمِهِمْ؛ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فرفعُوا رُؤُوسَهُمْ فإذَا الرَّبُّ عزَّ وجلَّ قدْ أَشرفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فقال: السلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الجنةِ! فذلِكَ قولُهُ عز وجل:** ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ **ينظُرُ إِلَيْهِمْ، وينظرون إِليْهِ، فَلَا يلتفتون إِلى شيْءٍ من النعيمِ، ما دَامُوا ينظرون إِلَيهِ، حتى يحتجبَ عنهم، فيبقى نورُهُ وبركتُهُ عليهِمْ في ديارِهِمْ**». أخرجه ابن أبي حاتم، قال ابن كثير: وفي إسناده نظر، ورواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه.

وقيل: تسلم الملائكة عليهم من ربهم. وقيل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب، يقولون: سلام عليكم من ربكم الرحيم، وهذا صريح قوله تعالى في سورة (الرعد): ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ وقال تعالى في الآية رقم [١٠] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾. وقال تعالى في الآية رقم [٤٤] من سورة (الأحزاب): ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾.

الإعراب: ﴿سَلَـٰمٌ﴾: بدل من ﴿مَّا﴾ في الآية السابقة، والتقدير: ولهم سلام. ويجوز أن يكون صفة ثانية لها، على اعتبارها موصوفة، التقدير: ولهم شيء يدعونه مسلّم. ويجوز أن يكون خبراً لها، و(لهم) ظرف ملغىً. هذا؛ وقرأ ابن مسعود، وأُبَيٌّ وغيرهما: (سلاماً) بالنصب، وعليه فهو مفعول مطلق، عامله محذوف. أو: هو حال في معنى مُسَلَّماً، أو: ذا سلامة، وصاحب: الحال ما، أو «مَنْ» العائد عليها المحذوف. هذا؛ وزيد في قراءته بالرفع

اعتباره خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو سلام، واعتباره مبتدأ خبره الناصب لـ: ﴿قَوْلًا﴾، أي ﴿سَلَٰمٌ﴾ يقال لهم ﴿قَوْلًا﴾. وقيل: تقديره: سَلام عليكم، واعتباره مبتدأ وخبره: ﴿مِّن رَّبٍّ﴾. انتهى. جمل نقلاً عن السمين، وانفرد الجلال باعتباره مبتدأ خبره: ﴿قَوْلًا﴾، تقديره: سلام بالقول، فاعتبر ﴿قَوْلًا﴾ منصوباً ينزع الخافض. ﴿قَوْلًا﴾: مفعول مطلق فعله محذوف، التقدير: يقولونه قولاً يوم القيامة، أو قال الله تعالى ذلك قولاً، والجملة الفعلية مستأنفة، أو معترضة. ﴿مِّن رَّبٍّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَوْلًا﴾، أو بمحذوف صفة له، أو متعلقان بمحذوف خبر سلام على وجه مر ذكره. ﴿رَّحِيمٍ﴾: صفة: ﴿رَّبٍّ﴾.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾

الشرح: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟...﴾ إلخ: أي: يقال لهم: اعتزلوا، وانفردوا، وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين، وكونوا على حدة. وقيل: إن لكل كافر في النار بيتاً، فيدخل ذلك البيت، ويردم بابه، فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى، ولا يُرى، فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعضهم. انتهى. خازن. وقال الضحاك: يمتاز المجرمون بعضهم من بعض، فيمتاز اليهود فرقة، والنصارى فرقة، والمجوس فرقة، والصابئون فرقة، وعبدة الأوثان فرقة. وقال داود بن الجراح: يمتاز المسلمون من الكافرين؛ إلا أصحاب الأهواء، فيكونون مع المجرمين.

وقد ذكر هذا التمييز، والتفريق بين المؤمنين، والكافرين في كثير من الآيات. خذ قوله تعالى في الآية رقم [٢٨] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾. وقال تعالى في الآية رقم [١٤] من سورة (الروم): ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

هذا؛ وفي المنجد الناقل عن القاموس قوله: مازَ، يَميز، ومَيَّز، وأمازَ الشيء: فرزَهُ عن غيره، والشيء: فضلّه عن سواه. وتميَّز، وانماز انْمِيازاً، وامتاز امتيازاً، واستماز استمازةً: انفصل عن غيره وانعزل. وَتَمَيَّز فلانٌ من الغيظ: تقطع، وامْتَازَ القوم: تَمَيَّز بعضهم من بعض.

هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١٧٩] ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾. وقال عز وجل في سورة (الأنفال) رقم [٣٧]: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ...﴾. وقال تعالت حكمته في سورة (الملك) رقم [٨]: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ...﴾ إلخ.

تنبيه: المراد بـ: المجرمين في هذه الآية: الكافرون، وكثيراً ما يعبر القرآن الكريم عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، والكاذبين... إلخ، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يوجه إليهم ما ذكر،

وهم أحق بذلك؛ لا سيما من قرأ القرآن منهم، واطلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم من رسلهم، وكيف نكل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب.

الإعراب: ﴿وَامْتَٰزُوا﴾: الواو: حرف عطف. (امتازوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿الْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. ﴿أَيُّهَا﴾: منادى نكرة مقصودة، حذف منها أداة النداء، مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء المحذوفة، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: صفة: (أيُّ) لأنه مشتق. ويجوز اعتباره بدلاً من (أيّ)، أو عطف بيان عليه، فهو مرفوع تبعاً للفظ، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: فيقال للكافرين: امتازوا، وهذه الجملة معطوفة على ما يقال لأصحاب الجنة، وما أعد لهم من النعيم المقيم، والخير العميم، وذلك من باب المقارنة، والمقابلة؛ التي رأيتها في الآية رقم [٥٥].

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ...﴾ إلخ: العهد: الوصية، وعهد إليه: إذا وصاه، وعَهْدُ الله إليهم: ما ركزه فيهم من الأدلة العقلية، والحجج السمعية، الآمرة بعبادته، الزاجرة عن عبادة غيره. واعتبر طاعة الشيطان عبادة له؛ لأنه الآمر بالكفر، وعبادة غير الله تعالى. هذا؛ وهناك عهد قديم أزلي أخذه على بني آدم؛ وهم في عالم الذر أن يعبدوه، ولا يشركوا به. خذ قوله تعالى في الآية رقم [١٧٢] من سورة (الأعراف): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ وهذا الكلام من جملة ما يقال للكافرين يوم القيامة على سبيل التقريع، والتوبيخ، والإلزام للحجة.

هذا؛ و(عدو) ضد الصديق، وهو على وزن فعول بمعنى فاعل، مثل: صبور، وشكور، وما كان من هذا الوزن يستوي فيه المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، إلا لفظاً واحداً جاء نادراً، قالوا: هذه عدُوَّةُ الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فقد عبر به عن مفرد، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ الْعَٰلَمِينَ﴾ فقد عبر به عن جمع، ومثل ذلك صديق. وجمع عدو: أعداء، وأعادٍ، وعُدات، وعِدًى. وقيل: أعادٍ جمع: أعداء، فيكون جمع الجمع. وفي «القاموس المحيط»: والعدا (بالضم، والكسر) اسم الجمع. هذا، وسمي العدو عدواً؛ لِعَدوه عليك عند أول فرصة تسنح له للإيقاع بك، والقضاء عليك، كما سمي الصديق صديقاً؛ لصدقه فيما يدعيه لك من الألفة، والمودة، والمحبة. هذا؛ والعبادة: غاية التذلُّل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى؛ ولذا يحرم السجود لغير الله تعالى. وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على

المفقود، وعن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: «**أَنَـا، وَالإِنْسُ، والْجِنُّ في نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ؛ ويُعْبَدُ غيْري، وأرزقُ؛ ويُشْكَرُ غَيْري**».

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿أَعْهَدْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) والفاعل مستتر، تقديره: «أنا». ﴿إِلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. (يا): أداة نداء، تنوب مناب أدعو. (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(بني) مضاف، و: ﴿ءَادَمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿أَن﴾: حرف تفسير لسبقه بجملة فيها معنى القول دون حروفه، أو هي مصدرية ناصبة. ﴿لَّا﴾: ناهية على التفسير، ونافية على اعتبار ﴿أَن﴾ ناصبة. ﴿تَعْبُدُواْ﴾: مجزوم بـ: ﴿لَّا﴾، أو منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة الجزم، أو النصب حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى اعتبار ﴿أَن﴾ مفسرة؛ فالجملة الفعلية لا محل لها، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأن لا تعبدوا. والجار، والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أَعْهَدْ﴾. ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُّبِينٌ﴾، أو بـ: ﴿عَدُوٌّ﴾ بعدهما. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر (إن). ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة. والجملة الاسمية تعليل لما قبلها. والآية بكاملها في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: فيقول الله: ألم أعهد... إلخ.

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِىۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾

الشرح: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِىۚ﴾: خصوني بالعبادة. ﴿هَٰذَا﴾: إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان، وطاعة الرحمن؛ إذ لا صراط أقوم منه. ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: ففي التنكير معنى (الصراط) بليغ في بابه؛ بليغ في استقامته، جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه. ويجوز أن يراد: هذا بعض الصرط المستقيمة، توبيخاً لهم على العدول عنه، والتفادي عن سلوكه، كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج، الذي يؤدي إلى الضلالة، والتهلكة. انتهى. كشاف بحروفه.

الإعراب: ﴿وَأَنِ﴾: الواو: حرف عطف. (أَنْ): معطوفة على سابقتها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿ٱعْبُدُونِىۚ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ. ﴿صِرَٰطٌ﴾: خبره. ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: صفة له. والجملة الاسمية مستأنفة، وفيها معنى التعليل، وهي من جملة مقول القول المقدر.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ﴾: أخرج الشيطان عن طريق الحق، وأغوى ﴿مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي: خلقاً كثيراً، وجموعاً كثيرة، ففيه خمس قراءات. هذا؛ والجبلة: الخليقة. قال تعالى في سورة (الشعراء) رقم [١٨٤]: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾. ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ أي: تعرفون عداوته، وتعلمون: أن الواجب طاعة الله، وامتثال أمره، واجتناب نهيه؟، أو المعنى: أفما كان لكم عقل يردعكم عن طاعة الشيطان، ومخالفة أمر ربكم؟! وهو توبيخ، وتقريع آخر للكفرة الفجار.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم يعتبرها حرف استئناف، ويعتبرون الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف. ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف واو القسم، والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو أقسم والله، واللام واقعة في جواب القسم المحذوف. وبعضهم يقول: موطئة للقسم، والموطئة معناها: المؤذنة، وهذه اللام إنما تدخل على: «إن» الشرطية، لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر) افهم هذا؛ واحفظه، فإنه جيد إن شاء الله تعالى.

فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به، وبقاء حرف القسم! فالجواب: أنه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور، مثل قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾. ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ...﴾، فإنه التقدير: ورب الضحى، ورب السماء إلخ. الدليل على ذلك التصريح به في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية رقم [٢٣] من سورة (الذاريات) وحذف المقسم به ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾ إلخ الآية رقم [٧١] من سورة (مريم) وأظهر منه في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية رقم [٧٣] من سورة (المائدة)، فالواو في الآيتين حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف بلا ريب.

(قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَضَلَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الشيطان، تقديره: «هو»، والجملة الفعلية (لقد أضل...) إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جِبِلًّا﴾: مفعول به. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة له. ﴿أَفَلَمْ﴾:

الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الفاء: حرف عطف على محذوف، أو هي حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَكُونُوا﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ في محل نصب خبر: ﴿تَكُونُوا﴾. والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، أو هي مستأنفة، وهي من جملة مقول القول.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: تقول لهم خزنة جهنم: هذه جهنم التي وعدتم، فكذبتم بها، فذوقوا حرها بسبب كفركم في الدنيا، وهو أمر إهانة وتحقير لهم، وهو كقوله تعالى في سورة الطور: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، فقد روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا كانَ يَوْمُ القيامَةِ جمعَ اللهُ الإنسَ والجِنَّ والأَوَّلِينَ والآخرِين في صعيدٍ واحدٍ، ثُمَّ أشرفَ عُنُقٌ من النَّارِ على الخلائِقِ، فأحاطَ بِهِمْ، ثُمَّ ينادي مُنَادٍ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ...﴾ إلخ فحينئذٍ تجثُو الأُمَمُ على رُكبِها، وتضعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حملهَا، وتذهلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَرَى الناسَ سُكارى، وما هُمْ بسُكارى، ولكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيد**».

هذا؛ وفي المصباح المنير: صَليَ بالنار، وصَلِيهَا صَلًى من باب: تعب: وجد حرها. والصِّلاءُ وزانُ كتاب: حر النار. وصليْتُ اللحمَ أصليه من باب: رَمَى: شويْتُه. وقال الجوهري: يقال: صليْتُ الرجلَ ناراً: إذا أدخلته النارَ، وجعلتُهُ يصلاها. فإن ألقيته فيها إلقاءً، كأنك تريد الإحراق؛ قلت: أصليْتُهُ بالألف، وصلَّيْتُهُ تصْلِيةً. ويُقالُ: أيْضاً: صَلِيَ بالأمر: إذا قاس حره، وشدته. واصطليْتُ بالنارِ، وتصلَّيْتُ بها: إذا اسْتدفأتُ بها، وفلان لا يُصطلَى بناره: إذا كان شجاعاً لا يُطاق.

الإعراب: ﴿هَٰذِهِۦ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء: حرف تنبيه لا محل له. ﴿جَهَنَّمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول المحذوف. انظر الشرح. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة: ﴿جَهَنَّمُ﴾. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تُوعَدُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والثاني محذوف، وهو عائد الموصول، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱصْلَوْهَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية، تؤول مع

ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: بسبب كفركم. واعتبار (ما) موصولة، أو موصوفة هنا لا يؤيده المعنى. ﴿كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب ما قبلها بلا فارق بينهما.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: نمنعها من الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ تنطق أيديهم بما عملت من سيئات في الدنيا. ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: من الأعمال السيئة. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (النور) رقم [٢٤]: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وقال جل ذكره في الآية رقم [٢٠] من سورة (فصلت): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقد قال ابن كثير: هذا حال الكفار، والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا، ويحلفون ما فعلوه، فيختم الله على أفواههم، ويستنطق جوارحهم بما عملت، فقد روى مسلم ـ رحمه الله ـ في صحيحه عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فضحك حتى بَدَتْ نواجذُه، ثم قال: «**أتدْرون مِمَّ أضحكُ؟**». قُلْنَا: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قال: «**مِنْ مخاطبةِ العبدِ رَبَّهُ يَوْمَ القيامَةِ، يقولُ: رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ فيقولُ: بَلَى، فيقولُ: إني لا أُجيزُ عَلَيَّ إِلَّا شاهداً مِنْ نَفسِي، فيقولُ: كَفَى بنفسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً، وبالكرامِ الكاتبين شُهُوداً، فَيَخْتِمُ الله على فِيهِ، ويُقَالُ لأركانِهِ: انطقي، فَتَنْطِقُ بأعمالِهِ، ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلامِ، فيقولُ: بعداً لَكُنَّ وسُحْقاً! فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ**». قال تعالى في سورة (فصلت) مبيناً ما يقولونه لجوارحهم: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وفي رواية أخرى لمسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وهو حديث القيامة الطويل، وفيه: ثم يقال له: «**الآن نبعَثُ شاهِدَنا عليكَ، ويتفكرُ في نفسِهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يشهدُ عَلَيْهِ؟ فيختمُ الله عَلَى فِيهِ، ويقال لِفَخذِهِ، ولحمِهِ، وعظامِهِ: انطقي! فتنطِقُ فخِذُهُ، ولحمُهُ، وعِظَامُهُ بعملِهِ. وذلك لِيُعذرَ مِنْ نَفْسِهِ. وذلك المنافق الذي يسخط الله عليه**». انتهى. قرطبي وابن كثير.

ثم قيل: في سبب الختم أربعة أوجه: أحدها: لأنهم قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فختم الله على أفواههم؛ حتى نطقت جوارحهم، قاله أبو موسى الأشعري، رضي الله عنه. الثاني: ليعرفهم أهل الموقف، فيتميزون منهم. قاله ابن زياد. الثالث: لأن إقرار غير الناطق أبلغ في الحجة من إقرار الناطق، لخروجه مخرج الإعجاز، وإن كان يوماً لا يحتاج إلى إعجاز. الرابع: ليعلم: أن أعضاءه التي كانت أعواناً في حق نفسه، صارت عليه شهوداً في حق ربه.

فإن قيل: لم قال: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ فيجعل ما كان من اليد كلاماً، وما كان من الرجل شهادةً؟ قيل: إن اليد مباشرة لعمله، والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة، وقول الفاعل على نفسه إقرار بما قال، أو فعل، فلذلك عبر عما صدر من الأيدي بالقول، وعما صدر من الأرجل بالشهادة. انتهى. قرطبي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿نَخْتِمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن». ﴿عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. (تكلمنا): فعل مضارع، و(نا): مفعول به. ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وجملة: (تشهد أرجلهم) معطوفة عليها، لا محل لها أيضاً. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو: بشيء كانوا يكسبونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبهم. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَكْسِبُونَ﴾ في محل نصب خبرها.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ أي: لو نشاء لأعميناهم، فلا يبصرون طريقاً إلى تصرفهم في منازلهم، ولا غيرها. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى: لأعميناهم عن الهدى، فلا يهتدون أبداً إلى طريق الحق، انتهى. فيكون في الكلام استعارة. ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾: فاستبقوا الطريق الذي اعتادوا سلوكه؛ ليجوزوا. ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾: فكيف، أو: من أين يبصرون وجهة السلوك في الطريق، والحال طمسنا أعينهم وأعميناهم عنه؟!

وقال عطاء، ومقاتل، وقتادة، وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ: ولو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم، وأعميناهم عن غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى، فاهْتَدَوْا وأبصروا رشدهم، وبادروا إلى طريق الآخرة، ولكننا لم نفعل ذلك بهم، فكيف يهتدون، وعين الهدى مطموسة، على الضلال باقية؟! انتهى. قرطبي.

وفيه أيضاً، ما روي عن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ في تأويل هذه الآية غير ما تقدم، وتأولها على أنها في يوم القيامة، وقال: إذا كان يوم القيامة، ومُدَّ الصراط؛ نادى منادٍ: لِيقمْ محمد ﷺ وأمته، فيقومون برُّهم، وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط، فإذا صاروا عليه طمس الله أعين فجارهم، فاستبقوا الصراط، فمن أين يبصرونه، حتى يجاوزوه؟! ثم ينادي منادٍ، لِيقُمْ

عيسى ﷺ وأمته، فيقوم، فيتبعونه بَرُّهم، وفاجرُهم، فيكون سبيلهم تلك السبيل، وكذا سائر الأنبياء، عليهم السلام. هذا؛ والمطموس، والطميس عند أهل اللغة: الأعمى الذي ليس في عينيه شق، والفعل يأتي من الباب الأول، والثاني. انتهى. وأعتمد القول الأول، فإنه هو الظاهر. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿نَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، ومفعوله محذوف، تقديره: لو نشاء الطمس. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَطَمَسْنَا﴾: اللام: واقعة في جواب لو. (طمسنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محل لها، ولو ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَٱسْتَبَقُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (استبقوا): فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: منصوب بنزع الخافض، أو هو مفعول به على تضمين الفعل معنى المبادرة، أفاده ابن هشام في المغني. والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لو) لا محل لها مثله. ﴿فَأَنَّىٰ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (أنى): اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب حال، عامله ما بعده. ﴿يُبْصِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط مقدر بـ: «إذا» التقدير: وإذا طمسنا أعينهم؛ فكيف يبصرون طريقهم؟! والجملة الشرطية هذه معطوفة على (لو) ومدخولها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾: المسخ: تبديل الخلقة، وقلبها حجراً، أو جماداً، أو بهيمة، ومسخ أقوام من اليهود قردة وخنازير، كما رأيت في الآية رقم [١٦٢] من سورة (الأعراف) وما بعدها. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: على مكاناتهم. قال الحسن: المعنى: لو نشاء لأقعدناهم، فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم، وكذلك الجماد لا يتقدم، ولا يتأخر. ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا﴾: ذهاباً، وسيراً. ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يستطيعون رجوعاً إلى الوراء بسبب مسخهم بشيء مما ذكر.

والمعنى: أنهم بكفرهم، ونقضهم ما عهد إليهم أحقاء بأن يفعل بهم ذلك، لكنَّا لم نفعل لشمول الرحمة لهم، واقتضاء الحكمة إمهالهم. وهذا تهديد، ووعيد لأهل مكة. والمراد به في هذه الدنيا. وانظر ما اعتمدته في الآية الأولى.

الإعراب: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: الإعراب مثل الآية السابقة بلا فارق. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: متعلقان في محل نصب حال من الضمير المنصوب؛ إذ المعنى لسمخناهم على

حالتهم، فهم ممسوخون في محالهم، وفي منازلهم. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿ٱسْتَطَٰعُواْ﴾: ماض وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مُضِيًّا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لو) لا محل لها مثله. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَرْجِعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على: ﴿مُضِيًّا﴾. انظر التقدير في الشرح. وخذ قول الفرزدق، وهو عكس ما في الآية الكريمة: [الطويل]

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وإِنَّنِي لَبَيْنَ رَتَاجٍ قَائِماً ومَقَامِ
عَلى حَلْفَةٍ لا أَشْتِمُ الدهرَ مُسلماً وَلَا خَارِجاً مِنْ فِيَّ زُورُ كَلامِ

فإن التقدير: لا شاتماً مسلماً، ولا خارجاً إلخ، وهذا هو الشاهد، رقم (٧٥٥) من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾: نطل عمره. ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾: من نكست الشيء، أنكسه نكساً: قلبته على رأسه، فانتكس. قال قتادة: المعنى: أنه يصير إلى حال الهرم الذي يشبه حال الصبا. انتهى. ومن المشاهد أن الإنسان إذا طال عمره؛ رُدَّ إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط، والنقص بعد الزيادة، قال تعالى في سورة (الروم) رقم [٥٤]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾. وقال تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ الآية رقم [٧٠] من سورة (النحل). وانظر الآية رقم [٥] من سورة (الحج) قال الشاعر الحكيم: [البسيط]

مَنْ عَاشَ أَخْلَقَتِ الأيامُ جِدَّتَهُ وَخَانَهُ ثِقَتَاهُ السَّمْعُ والْبَصَرُ

والمراد من هذا كله الإخبار عن هذه الدار، بأنها دار زوال، وانتقال، لا دار دوام، واستقرار. ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم، ثم صيرورتهم إلى سِنِّ الكهولة، ثم إلى سِنِّ الشيْبَةِ، ثم إلى سنِّ الشيخوخة، ليعلموا: أنهم خلقوا لدار أخرى، لا زوال لها، ولا انتقال منها، ولا محيد عنها، هي الدار الآخرة، وفي ذلك دليل أيضاً على قدرة الله تعالى؛ الذي لو شاء؛ طمس على أعينهم، أو مسخهم على مكانتهم، وقادر أيضاً على أن يعيدهم بعد موتهم من قبورهم. هذا؛ وقرئ: (نَنْكُسْه)، وقرئ: (تَعْقِلُون).

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿نُّعَمِّرْهُ﴾: فعل مضارع فعل شرط. والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. ﴿نُنَكِّسْهُ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل تقديره: «نحن»، والهاء مفعول

به، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح عند المعاصرين. والجملة الاسمية: ﴿وَمَن...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ. الفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَعْقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾: الضمير منصوب مراد منه النبي ﷺ. وفيه رد على كفار قريش الذين كانوا يقولون: إن محمداً شاعر، وإن القرآن شعر، والمعنى: وما علمنا محمداً ﷺ قول الشعراء، أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر. على معنى: أن القرآن ليس بشعر، فالشعر: كلام موزون مُقَفًّى يدل على معنىً، فأين الوزن وأين التقفية في القرآن الكريم؟ فلا مناسبة بينه، وبين الشعر في وجه من الوجوه؛ إذا تأملته وحققته.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي: وما يليق به، وما يصلح منه، ولا يسهل له ذلك لو أراد نظم الشعر، ولا يتأتى منه له ذلك، كما جعلناه أمياً، لا يقرأ، ولا يكتب، لتكون الحجة أثبت، والشبهة أدحض، قال العلماء: ما كان يتزن له ﷺ بيت شعر، وإن تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً، كما روي عن الحسن البصري: أن النبي ﷺ كان يتمثل بقول سحيم بن وثيل الرياحي، فيقول: [الطويل]

كَفَى بِٱلإِسْلَامِ والشيب للمرءِ نَاهِيَا

فقال الصديق ـ رضي الله عنه ـ: يا نبي الله إنما قال الشاعر: [الطويل]

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَازِياً كَفَى الشيبُ والإسلامُ لِلْمرءِ نَاهِيَا

فأعاد ﷺ الشطر الثاني مثل قوله الأول، ففطن الصديق لذلك، وقال: أشهد أنك رسول الله، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ...﴾ إلخ، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفة: [الطويل]

.... وَيَأْتِيكَ بِٱلأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

أخرجه الإمام أحمد، والنسائي، والترمذي، وهو من معلقته رقم [١١١] وهو بتمامه كما يلي: [الطويل]

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِٱلأَخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

هذا؛ وما ثبت من قوله ﷺ يوم حنين، وهو راكب بغلته يتقدم بها في نحور العدو: [الرجز]

أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابنُ عبدِ المطَّلِبْ

ومن قوله ﷺ حين أصابه حجر، فنكبت إصبعهُ: [الرجز]

هَــلْ أَنْــتِ إِلَّا إِصْــبَــعٌ دَمِــيــتِ وفــي ســبــيــلِ اللهِ مــا لَــقِــيــتِ

أخرجه البخاري، ومسلم من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه، ولهما أيضاً من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: [الرجز]

الــلَّــهُــمَّ إِن الْــعَــيْــشَ عــيْــشُ الآخِــرَة فــأكْــرِمِ الأنــصــارَ والــمــهَــاجِــرَةْ

فهذا كله من كلامه ﷺ، الذي نطق به من غير صنعة فيه، ولا تكلف له، إلا أنه اتفق له من غير قصد إليه، وإن جاء موزوناً، كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم، ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون، يدخل في وزن البحور.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: من الله تعالى يعظ به الإنس، والجن، وليس بشعر؛ لأنه ليس على أساليب الشعر، ولا يدخل في بحوره. ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إنه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب، ويتلى في المساجد، وأماكن العبادة، وينال بتلاوته الثواب، ورفيع الدرجات، وفيه بيان الحدود، والأحكام، وبيان الحلال والحرام، فكم من فرق بينه وبين الشعر، الذي هو من همزات الشياطين، وأقاويل الشعراء الكذابين. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٢٥] من سورة (الشعراء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿عَلَّمْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿ٱلشِّعْرَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَنۢبَغِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿ٱلشِّعْرَ﴾. ﴿لَهُۥٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ذِكْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿وَقُرْءَانٌ﴾: الواو: حرف عطف. (قرآن): معطوف على ماقبله. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾

الشرح: ﴿لِّيُنذِرَ﴾: الضمير إلى القرآن. وقيل: إلى الرسول ﷺ، ويؤيده أنه قرئ بالتاء. ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: عاقلاً فهماً، فإن الغافل كالميت، أو مؤمناً في علم الله تعالى. فإن الحياة الأبدية بالإيمان، وتخصيص الإنذار به؛ لأنه المنتفع به، والكافر كالميت الذي لا يتدبر، ولا يتفكر، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ...﴾ إلخ رقم [١٢٢] من سورة (الأنعام). ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

أي: ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر. و﴿ٱلْقَوْلُ﴾ هو قوله تعالى في سورة (السجدة) رقم [١٣]: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. هذا؛ وقد جعل الله الكافرين في مقابلة من كان حياً إشعاراً بأنهم لكفرهم، وسقوط حجتهم، وعدم تأملهم أموات في الحقيقة.

الإعراب: ﴿لِّيُنذِرَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى القرآن، أو إلى النبي ﷺ، حسب ما رأيت في الشرح، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: أنزل عليه الذكر للإنذار. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. واسمه يعود إلى ﴿مَن﴾ وهو العائد، أو الرابط. ﴿حَيًّا﴾: خبر: ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَن﴾ أو صفتها. ﴿وَيَحِقَّ﴾: الواو: حرف عطف. (يحق): فعل مضارع معطوف على (ينذر) منصوب مثله. ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: فاعله. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي: ويتفكروا، ويعتبروا، والمراد: أهل مكة، وغيرهم. ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ أي: لأجلهم، وانتفاعهم. ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أي: مما تولينا خلقه وإحداثه، ولم يقدر على إحداثه غيرنا. وذكر الأيدي، وإسناد العمل إليها استعارة تمثيلية، تفيد مبالغة في الاختصاص، والتفرد بالإحداث. ويجوز أن يكون من المجاز المتفرع على الكناية بأن يكنى عن الإيجاد بعمل الأيدي، فيمن له ذلك، ثم بعد الشيوع يستعمل لغيره. ويجوز أن يكون المعنى: علمناه بقوتنا، وقدرتنا. فعبر عن ذلك بالأيدي. انظر ما ذكرته في سورة (ص) رقم [١٧]، والأنعام واحده النعم، وهو يطلق في الأصل على المأكول من الحيوانات. وقيل: يطلق على الإبل خاصة، فيكون الجمع هنا من باب التغليب، غلب المأكول على غيره، أو غلب الإبل على غيرها من المأكول وغيره، والأنعام تؤنث كما في هذه الآية، فإن الأنعام جمع كما رأيت؛ ولذلك عده سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ في المفردات المبنية على أفعال، كأخلاق، وذُكِّر في قوله تعالى في الآية رقم [٦٦] من سورة (النحل): ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ...﴾ إلخ.

هذا؛ وخص الأنعام بالذكر من بين المخلوقات؛ لأنها أكثر أموال العرب، والنفع بها أعم. ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ أي: فهم فيها متصرفون تصرف الملاك بالانتفاع فيها لا يزاحمون، أو فهم لها ضابطون قاهرون. قال الربيع بن منيع الذي عمر طويلاً: [المنسرح]

أَصـبـحـتُ لا أمْـلِـكُ الـسـلاحَ وَلَا أمـلِـكُ رأسَ الـبـعـيـر إنْ نَـفَـرَا

أي: لا أضبط البعير إن نفر. وهذا من جملة النعم الظاهرة، وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليل الله لها وتسخيرها لابن آدم، كما قال «كثير عزة» من قصيدة قالها لعبد الملك بن مروان حينما احتقره، وقال: تسمعُ بالمعيدي خيرٌ من أن تراه: [الوافر]

وقد عَظُمَ البعيرُ بغيرِ لبٍّ فلم يَسْتَغْنِ بالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
يُصَرِّفُهُ الصبيُّ بكلِّ وجْهٍ ويحْبِسُهُ على الخسْفِ الجريرُ
وتضرِبُهُ الوليدةُ بالهراوِي فلا غَيْرٌ لدَيْهِ ولا نَكِيرُ

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. الواو: عاطفة على محذوف، التقدير: ألم يتفكروا، أو: ألم يلاحظوا، ولم يروا. وقال الجلال: عاطفة على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا...﴾ إلخ الآية رقم [٣١] وفيه بعد لا يخفى. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿خَلَقْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَنْعَمًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها؛ صار حالاً». وما تحتمل الموصولة، والمصدرية، فعلى الأول فهي: مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: من الذي عملته أيدينا، وعلى الثاني تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ (مِنْ)، التقدير: من عمل أيدينا، والأول أقوى معنىً، تأمل. ﴿عَمِلَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَيْدِينَآ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. هذا؛ وجملة: ﴿خَلَقْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد المفعول به. ﴿أَنْعَمًا﴾: مفعول به لـ: ﴿خَلَقْنَا﴾. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مَٰلِكُونَ﴾: خبر المبتدأ. والجملة معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾: سخرناها لهم؛ حتى يقود الصبي الصغير الجمل العظيم، ويضربه، ويصرفه كيف شاء، لا يخرج عن طاعته. ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ أي: مركوبهم، وقرئ: (مركوبتهم)، والركوب، والركوبة واحد، مثل: الحلوب، والحلوبة، والحمول، والحمولة،

وحكى الكوفيون: أن العرب تقول: امرأة صبور، وشكور بغير هاء، ويقولون: شاة حلوبة، وناقة ركوبة؛ لأنهم أرادوا أنْ يفرقوا بين ما كان له الفعل، وبين ما كان الفعل واقعاً عليه، فحذفوا الهاء مما كان فاعلاً، وأثبتوها فيما كان مفعولاً، كما قال عنترة بن شداد: [الكامل]

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُوداً كَخَافِيَةِ الْغُرابِ الأسودِ

فيجب أن يكون على هذا: (ركوبتهم). فأما البصريون، فيقولون: حذفت الهاء على النسب. والحجة للقول الأول ما رواه الجرمي عن أبي عبيدة، قال: الركوبة تكون للواحد، والجماعة، والركوب لا يكون إلا للجماعة، فعلى هذا يكون لتذكير الجميع. وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في (مرضع) في الآية رقم [٢] من سورة (الحج)، وما ذكرته في ﴿عَاقِرًا﴾ في الآية رقم [٨] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ أي: من لحومها.

الإعراب: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾: الواو: حرف عطف. (ذللناها): فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فَمِنْهَا﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (منها): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿رَكُوبُهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَمِنْهَا﴾: الواو: حرف عطف. (منها): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وشحومها، ولحومها، وجلودها، والحرث عليها، وغير ذلك. ﴿وَمَشَارِبُ﴾ يعني: ألبانها، جمع: مشرب، مصدر، أو اسم مكان. فيكون المراد: ضروعها، التي فيها اللبن. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: الله الذي سخر لهم ما ذكر من الحيوانات على اختلاف أجناسها، وتنوع منافعها.

هذا؛ وخذ قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. انظر شرح هذه الآيات هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بما بعدهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿مَنَافِعُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة

الاسمية معطوفة على ما قبلها. لا محل لها أيضاً. ﴿وَمَشَارِبُ﴾: معطوف على ما قبله، ولم يدخلهما التنوين؛ لأنهما صيغتا منتهى الجموع. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: مثل: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ في الآية رقم [٦٨].

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً﴾ أي: بعد أن رأوا هذه الآيات، الدالة على قدرته تعالى اتخذوا آلهة من الحجارة، لا قدرة لها على فعل أي شيء. وفي ذلك توبيخ شديد، وتقريع أليم للكفرة، والمشركين من أهل مكة، ومن لف لفهم. ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لما يرجون من نصرتها لهم إن نزل بهم عذاب، أو أحاط بهم بلاء، وهيهات هيهات أن ينصروا!.

الإعراب: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: الواو: حرف عطف. (اتخذوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ءَالِهَةً﴾. كان صفة له إلخ. وقيل: هما في محل نصب مفعوله الثاني. و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿لَّعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يُنصَرُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها تعليل لاتخاذهم آلهة من دون الله. وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له؛ لأنَّ الرجاء إنشاء.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أي: لا تستطيع الآلهة المزعومة نصرهم بحال من الأحوال، لا بنصرة، ولا بشفاعة؛ بل هي أضعف من ذلك، وأقل، وأذل، وأحقر، وأدحر؛ بل لا تقدر على نصر نفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء؛ لأنها جمادات لا تسمع، ولا تعقل، وما فعله إبراهيم الخليل ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ من تكسيرها، وتحطيمها أكبر شاهد على ذلك. ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: أي هؤلاء المشركون كالجند، والخدم لأصنامهم في التعصب لها، والذب عنهم، وفدائها بالمال، والروح، وهي لا تسوق لهم خيراً، ولا تدفع عنهما شراً في الدنيا، ولا في الآخرة.

وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: يعني: عند الحساب. يريد: أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند الحساب عابديها، ليكون ذلك أبلغ في حزنهم، وخيبتهم، وأدل في إقامة الحجة عليهم. وانظر جمع ما لا يعقل جمع المذكر السالم في الآية رقم [٤٠].

وخذ ما يلي: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**يَجْمَعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ في صَعيدٍ واحدٍ، ثم يطَّلِع عليهم رَبُّ العالمين، فيقولُ: أَلا لِيتبعْ كُلُّ إِنْسَانٍ ما كان يَعْبُدُ، فيُمثَّلُ لصاحِبِ الصليبِ صليبُهُ، ولصاحِبِ التصاويرِ تصاويرُهُ، ولصاحبِ النارِ نارُهُ، فيَتْبَعُون ما كَانُوا يَعْبُدُونَ، ويبقى المسلمون... إلخ**». الحديث، وأخرجه الترمذي بطوله، ومعناه ثبت في صحيح مسلم. هذا؛ وفي كتاب: «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري أحاديث كثيرة من هذا النوع.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: فعل مضارع، والواو فاعله. ﴿نَصْرَهُمْ﴾: مفعول به. والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. من إضافة المصدر لفاعله، أو من مفعوله حسب ما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿جُندٌ﴾. ﴿جُندٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّحْضَرُونَ﴾: صفة له مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو الضمير، وهي حال متداخلة.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي: لا يهمك، ولا يغمك، ولا يخوفك كفرهم، وتهديدهم، ووعيدهم، والخطاب للنبي ﷺ. هذا؛ ويقرأ الفعل بفتح الياء من الثلاثي، وبضمها من الرباعي، والمعنى واحد، والأول من باب: قتل، وهو لغة قريش، والرباعي لغة تميم، وهو متعدٍّ على اللغتين، مثل: سلكه، وأسلكه. قاله اليزيدي. هذا؛ و(حزن) بكسر الزاي من باب: فرح لازم.

هذا؛ و﴿قَوْلُهُمْ﴾ هو ما كانوا يصفون به النبي ﷺ: إنك شاعر، أو ساحر، أو كاهن، أو مجنون. وأيضاً: استهزاؤهم، وتهكمهم به ﷺ. ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ أي: يخفون في صدورهم من الكيد، وعداوتهم، وتكذيبهم. ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: يظهرونه من أقوالهم، وأفعالهم، وعبادة الأصنام، وغير ذلك.

تنبيه: النهي للنبي ﷺ في هذه الآية ليس على ظاهره، وليس إثباتاً لحزنه بذلك، وإنما هو على سبيل الفرض، والتقدير، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقوله جلت قدرته، وتعالت حكمته: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ...﴾.

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: إن علمت ما تقدم منهم؛ فلا يحزنك إلخ. (لا): ناهية. ﴿يَحْزُنكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، والكاف مفعول به. ﴿قَوْلُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، من: إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه

بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿نَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: نعلم الذي، أو: شيئاً يسرُّونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: نعلم سرهم. والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للنهي، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين، ولا يتوهم متوهم: أن الجملة من مقول المشركين، فيحصل في الكلام تناقض، ولذا فالوقف على: (قولهم) واجب، ومثل هذه الآية آية سورة (يونس)، رقم [٦٥]. وقد قرئ هناك بفتح همزة (أنَّ) وعليه فتؤول مع اسمها، وخبرها بمصدر في محل جر بحرف جر تعليل محذوف، وعليه: فلا يجب الوقف على: (قولهم). ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه بلا فارق.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: أو لم ينظر الإنسان نظر تبصر، واعتبار. ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من نطفة قذرة خسيسة مذرة خارجة من الإحليل؛ الذي هو قناة النجاسة. والمراد بالإنسان: الكافر الذي ينكر قدرة الله على بعثه، وحشره للحساب، والجزاء، وهو أُبَيُّ بن خلف الجمحي، كما ستعرفه. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: شديد الخصومة، فهو على مهانة أصله، ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه، وينكر قدرته على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ الآية رقم [٢٠] من سورة المرسلات. وقال تعالى في سورة (الدهر) رقم [٢]: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة؛ أليس بقادر على إعادته بعد موته؟! بلى! وأنا على ذلك من الشاهدين.

روى الإمام أحمد في مسنده عن بشر بن جحاش ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: ابنَ آدمَ أَنَّى تعجزني، وَقَدْ خلقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هذِه، حتى إِذَا سَوَّيْتُكَ، وَعَدَّلْتُكَ مشَيْتَ بين بُرْدَيْكَ، ولِلأَرْضِ منكَ وَئِيدٌ، فجمعْتَ، ومنعْتَ، حتى إذا بلغتِ التراقيَ قلتَ: أَتصدقُ، وأَنَّى أوانُ الصدقةِ؟!**». أخرجه الإمام أحمد. ورواه ابن ماجه في سننه.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ﴾: انظر الآية رقم [٧١]، فالإعراب مثله بلا فارق. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: انظر الآية رقم [٢٩] فالإعراب واحد.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾

الشرح: قال مجاهد، وعكرمة: جاء أبيُّ بن خلف الجمحي - لعنه الله تعالى - إلى رسول الله ﷺ، وفي يده عظم بال، وهو يفته بيده، ويذره في الهواء، وهو يقول: يا محمد! أتزعم أن الله يبعث هذا؟! فقال النبي ﷺ: «**نعمْ يُميتُكَ اللهُ تَعَالىَ، ثُمَّ يَبْعَثُكَ، ثُمَّ يَحْشُرُكَ إلى النَّارِ**». فنزل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ...﴾ إلخ إلى آخر السورة.

فقد استبعد اللعين إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة للأجساد، والعظام الرميمة، ونسي نفسه وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده، وأنكره وجحده. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ و(الرميم) اسم لما بلي من العظام غير صفة، كالرمة، والرفات، فلا يقال: لِمَ لَمْ يؤنث؟ وقد وقع خبراً لمؤنث، ولا هو فعيل بمعنى فاعل، أو مفعول. ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام، ويقول: إن عظام الميتة نجسة؛ لأن الموت يؤثر فيها من جهة أن الحياة تحلها، وهو قول الشافعية. وأما الحنفية فهي عندهم طاهرة، وكذلك الشعر، والعصب، ويزعمون: أن الحياة لا تحلها، فلا يؤثر فيها الموت، ويقولون: المراد بإحياء العظام في الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس. انتهى. كشاف. هذا؛ وقال البيضاوي: والرميم: ما بلي من العظام، ولعله فعيل بمعنى فاعل من: رم الشيء، صار اسماً بالغلبة، ولذلك لم يؤنث، أو بمعنى مفعول من رممته. انتهى. والنسفي قال بقول الزمخشري، وكلاهما قد أخذا تفسيرهما من الكشاف. هذا؛ والرميم: الهالك البالي، قال جرير يرثي ابنه: [البسيط]

تَرَكْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي وَإذْ بَقِيتُ كعظْمِ الرِّمَّةِ الْبالي

وأصل الكلمة من: رم العظم: إذا بلي، تقول منه: رم العظم، يرم بالكسر، رمَّة، فهو رميم، قال الشاعر: [الكامل]

وَرَأى عواقبَ خُلْفِ ذاكَ مَذَمَّةً تَبْقَى عَلَيْهِ والْعِظَامُ رَمِيمُ

وخذ قول الآخر، وهو الشاهد رقم [٢١٠] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا الإنْسانُ إلا ابنُ يومِهِ على ما تَجَلَّى يَوْمُهُ لا ابنُ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بالعظمِ الرميمِ وإنَّما فَخَارُ الَّذِي يبني الْفَخَارَ بنفسِهِ

الإعراب: ﴿وَضَرَبَ﴾: الواو: حرف عطف. (ضرب): فعل ماض، والفاعل يعود إلى الإنسان. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَثَلًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية

معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ معطوفة عليها لا محل لها أيضاً. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أيضاً. ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُحْيِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾. ﴿ٱلْعِظَٰمَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية: ﴿مَن...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الاسمية: ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ في محل نصب حال من ﴿ٱلْعِظَٰمَ﴾، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مفسرة لقوله ﴿مَثَلًا﴾.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد لهذا الكافر المعاند الذي ينكر إحياء العظام البالية: ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: ابتدأ خلقها، وهي نطفة. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض، وأرجائها: أين ذهبت، وأين تفرقت، وكيف تمزقت؟ وخذ ما يلي:

قال الإمام أحمد: قال عقبة بن عمرو لحذيفة ـ رضي الله عنهما ـ: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعته ﷺ يقول: «**إن رجلاً حَضَرهُ الموتُ، فلما أَيِسَ مِنَ الحياة؛ أوصَى أهلهُ إذا أَنا مِتُّ؛ فاجْمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً، ثم أَوْقِدُوا فيه ناراً، حتى إذا أكلتْ لحمي، وخلصتْ إلى عظمي، فَامْتَحَشْتُ فخذوها فدقوها، فذرُّوها في اليم. ففعلوا، فجمعه الله تعالى إليه، ثم قال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك! فغفر الله عز وجل له**».

وفي الصحيحين بأنه أمر بنيه أن يحرقوه، ثم يسحقوه، ثم يذرُّوا نصفه في البرِّ، ونصفه في البحرِ في يوم رائحٍ (أي: كثير الهواء) ففعلوا ذلك، فأمر الله تعالى البحر، فجمع ما فيه، وأمر البر، فجمع ما فيه، ثم قال له: كن؛ فإذا هو رجل قائم. فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك؛ وأنت أعلم، فما تلافاه أن غفر له. انتهى. مختصر ابن كثير. وفي «الترغيب والترهيب» بمعناه، وزاد في الحديثين «**لَئِنْ قَدَرَ الله عَلَيَّ لَيُعَذِّبُني عذاباً ما عذَّبَهُ أَحَداً**».

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يُحْيِيهَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، و(ها): مفعول به. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿أَنشَأَهَآ﴾: فعل ماض، و(ها): مفعول به، والفاعل يعود إلى الذي، وهو العائد. ﴿أَوَّلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وهو مضاف، و﴿مَرَّةٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿بِكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدهما، و(كل) مضاف، و﴿خَلْقٍ﴾ مضاف إليه.

﴿عَلِيمٌ﴾: خبر المبتدأ. والجملة الاسمية في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: المعنى: إن الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء، حتى صار خضراً، نضراً، ذا ثمر، وزهر وورد، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً، توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد، لا يمنعه شيء. وقيل: المراد بذلك شجر المرخ، والعَفَار، ينبت في أرض الحجاز، فيأتي من أراد قدح نار، وليس معه زناد، فيقطع منها غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان، يقطر منهما الماء، فيسحق المرْخ ـ وهو ذكر ـ على العفار. وهو أنثى، فتنقدح النار بإذن الله كالزناد سواء. وفي المثل: في كل شجر نار، واستمجد المرخ، والعفار. ولقد أحسن القائل: [البسيط]

جَمْعُ النَّقِيضَيْنِ مِنْ أَسْرَارِ قُدْرَتِهِ هَذا السَّحَابُ بِهِ مَاء بِهِ نَارُ

هذا؛ ومن غرائب التفسير ما قيل: المراد بالشجر الأخضر: إبراهيم، والمراد بالنار: نور محمد ﷺ. ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ أي: تقتبسون الدين. وهو تأويل باطل لنصوص القرآن؛ وإن كان سبكه جميلاً، وعبارته لطيفةً.

هذا؛ و(جعل) هنا بمعنى: خلق، وأنشأ، وأوجد، والفرق بين: «خلق» و: «جعل» الذي له مفعول واحد: أن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إحداث النور، والظلمات بالجعل، فقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ تنبيهاً على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت المجوس، بخلاف الخلق؛ لأن فيه معنى الإيجاد، والإنشاء، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إيجاد السموات، والأرض بالخلق.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع بدلاً من الموصول السابق، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الذي، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني الذي. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: هما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول. ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿جَعَلَ﴾ أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿نَارًا﴾ كان صفة له. ﴿ٱلْأَخْضَرِ﴾: صفة: ﴿ٱلشَّجَرِ﴾. ﴿نَارًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فَإِذَآ أَنتُم﴾: انظر الآية رقم [٢٩] ففيها الكفاية. ﴿مِّنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تُوقِدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية خبر المبتدأ.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: يقرر الله عبادة في هذه الآية الكريمة، ويلفت نظرهم إلى خلق السموات، وما فيها من الكواكب السيارة، والثوابت، والأرضين السبع، وما فيها من جبال، ورمال، وبحار، وقفار، وما بين ذلك. ويرشد خلقه إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء، فهو كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ الآية رقم [٥٧] من سورة (غافر)، وفحوى هذه الآية مثل الآية رقم [٣٣] من سورة (الأحقاف): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ إلخ و﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾: صيغتا مبالغة.

هذا؛ و﴿بَلَىٰ﴾ حرف إثبات لما نفوه من إعادة الأجساد بعد فنائها، وإثبات بأن خلق السموات، والأرض أعظم من إعادتها قطعاً، و: «بلى» حرف جواب كنَعم، وجيْرِ، وأَجَلْ، وإيْ، إلا: أن ﴿بَلَىٰ﴾ جواب لنفي متقدم، أي إبطال، ونقض، وإيجاب له، سواء دخله الاستفهام أم لا؟ فتكون إيجاباً له، نحو قول القائل: ما قام زيد، فنقول: بلى أي قد قام، وقوله: أليس زيد قائماً؟ فتقول: بلى، أي هو قائم، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو قالوا: نعم؛ لكفروا.

الإعراب: ﴿أَوَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ، الواو: حرف استئناف. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع اسم (ليس). ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم، والجملة الفعلية، صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بِقَٰدِرٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (قادر): خبر (ليس) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿أَوَلَيْسَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن يَخْلُقَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، و﴿أَن يَخْلُقَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ (قادر). ﴿مِثْلَهُم﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب مهمل لا عمل له. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): مبتدأ. ﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾: خبران للمبتدأ. والجملة الاسمية معطوفة على ما يفيده الإيجاب، أي بلى هو قادر على ذلك، ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ والكلام بعد: ﴿بَلَىٰ﴾ كله مستأنف لا محل له.

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ﴾: شأن الله. ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا﴾ أي: من الأشياء. ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: احدث، فيحدث. وليس المراد حقيقة أمر؛ بل هو تمثيل لما تعلقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور والمطيع بلا توقف، فهو سبحانه يأمر بالشيء أمراً واحداً، لا يحتاج إلى تكرار، وتأكيد، كما قيل: [الطويل]

إِذَا مَـا أَرَادَ اللهُ أَمْـراً فَـإِنَّـمَـا يَـقُـولُ لَـهُ كُـنْ قَـوْلَـةً فَـيَـكُـونُ

فعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى يقولُ: يا عبادي! كلكمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عافيْتُ، فاستغفروني؛ أَغْفِرْ لَكُمْ، وكلكمْ فَقيرٌ إِلَّا مَنْ أغنيْتُ، إني جوادٌ ماجدٌ أفعلُ ما أَشَاءَ، عطائي كلَامٌ، وَعَذَابي كلامٌ، إذا أردت شيئاً، فإنما أقولُ لهُ: كُنْ، فيكونُ**». أخرجه أحمد. وانظر الآية رقم [٤٠] من سورة (النحل) ففيها بحث جيد.

الإعراب: ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿أَمۡرُهُۥٓ﴾: مبتدأ، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِذَآ﴾: ظرف مجرد عن الشرطية مبني على السكون في محل نصب متعلق بالمصدر قبله. ﴿أَرَادَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿شَيۡـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَقُولَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، وهو متضمن معناه، وساغ ذلك؛ لاختلاف متعلقهما على حد قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾. وقال أبو النجم: [الرجز]

أَنَـا أَبُـو الـنَّـجْـمِ، وشِـعْـرِي شِـعْـرِي لِلهِ دَرِّي مَـا يَـجِـنُّ صَـدْرِي

وهذا هو الشاهد رقم [٦١٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿كُن﴾: فعل أمر تام بمعنى احدث، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول.

﴿فَيَكُونُ﴾: الفاء: حرف عطف. (يكون): فعل مضارع تام مرفوع، وفاعله يعود إلى (شيء). والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة تفصح عنها الفاء، وينسحب عليها الكلام، أي: فنقول ذلك، فيكون، كقوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وإما جواب لشرط محذوف؛ أي: فإذا قلنا ذلك؛ فهو يكون. انتهى. جمل. من سورة (النحل). وهذا يفيد: أن الفاء الفصيحة. وقال غيره: الجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو يكون، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ ويقرأ: (يكونَ) بالنصب عطفاً على:

﴿يَقُولَ﴾ وليست الفاء للسببية؛ لأن لفظ ﴿كُن﴾ أمر، ومعناه الخبر عن قدرة الله تعالى؛ إذ ليس ثَمَّ مأمور بأن يفعل شيئاً. أفاده مكي بن أبي طالب القيسي. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ: تنزيه له سبحانه وتعالى عما وصفوه به، وتعجيب مما قالوا في شأنه؛ وهو الحي القيوم؛ الذي بيده مقاليد السموات، والأرض، وإليه ترجع العباد يوم المعاد، فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المنعم المتفضل. ومعنى هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ إلخ، فالملك، والملكوت واحد في المعنى، كرحْمة، ورحَموت، ورهْبَة، ورهَبُوت. ومن الناس من يقول: إن الملك هو عالم الأجساد، والملكوت هو عالم الأرواح. والصحيح الأول، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.

روى الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قمت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقرأ السبع الطوال في ركعات، وكان ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع، قال: «**سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمدَهُ، ثم قال: الحمدُ للهِ ذِي الملكوتِ، والجبروتِ، والكبرياءِ، والعظمةِ**». وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعه، فانصرف، وقد كادت تنكسر رجلاي. أخرجه أحمد، ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي بنحوه.

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، قال: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة، فقام، فقرأ سورة (البقرة) لا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف، وسأل، ولا يمرُّ بآيةِ عذابٍ، إلا وقف، وتعوَّذ. قال: ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: «**سبحان ذِي الجبروتِ، والملكوتِ، والكبرياءِ، والعظمَةِ**». ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام، فقرأ بـ: (آل عمران) ثم قرأ سورة. أخرجه أبو داود في سننه، والترمذي في الشمائل، والنسائي عن عوف بن مالك الأشجعي، رضي الله عنه. انتهى. مختصر ابن كثير.

أقول فحوى ما تقدم يفيد: أن النبي ﷺ كان يطيل القيام في صلاة التهجد، وقد روي بالنص: أن النبي ﷺ كان يقرأ سورة (البقرة) في الركعة الأولى، و(آل عمران) في الثانية، و(النساء) في الثالثة، و(المائدة) في الرابعة، وكان ركوعه ﷺ، بمقدار خمسين آية، وسجوده بمقدار مئة آية، وحديث عائشة رضي الله عنها يوضح هذا، قالت ـ رضي الله عنها، وعن أبويها، وهي الخبيرة بتهجده ﷺ ـ: «**كَانَ يَقُومُ مِنَ الليلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَماهُ، فقُلْتُ لهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذا؛ وَقَدْ غُفِرَ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ؟! قال: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدَاً شَكُوراً؟**». رواه البخاري ومسلم.

الإعراب: ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: الفصيحة. ولا وجه له. (سبحان): مفعول مطلق، فعله محذوف، و: (سبحان) مضاف، و: ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو: لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً. ﴿بِيَدِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مَلَكُوتُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿كُلِّ﴾ مضاف إليه. و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. هذا؛ وإن اعتبرت الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صلة الموصول، فـ: ﴿مَلَكُوتُ﴾ يكون فاعلاً بمتعلقه، والكلام: ﴿فَسُبْحَٰنَ...﴾ إلخ مستأنف، لا محل له. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: الواو: حرف عطف. (إليه): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

انتهت سورة (يسٓ)، بحمد الله وتوفيقه، تفسيراً وإعراباً

والحمد لله على ما أنعم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس